تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

يطبع لأول مرة محققاً على نسختين خطيتين

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة

محمد بن مصطفى الكنز

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

تفسير ابن أبي زمنين

قالوا عن تفسير ابن أبي زمنين

كتابٌ من التفسير بالحقّ ينطقُ
ويُخبرُ عن وحيِ الإلهِ فيصدقُ
وفيهِ علومٌ من فنونٍ كثيرةٍ
على كلٍّ من معانيه رونقُ
لغاتٌ وإعرابٌ وآثارُ صحةٍ
وموعظةٌ تُبكي العيونَ فتَصْدقُ
رواها ثقاتٌ عن ثقاتٍ تقدموا
وكلهمُ برٌّ تقيٌّ موفقُ
قراءتها حرزٌ لمن كان طائعًا
وأمنٌ لما منها يخافُ ويرفقُ
فردٌ جميلٌ في الحياةِ وزينةٌ
وروضةُ ذكرٍ زهرُ الدهرِ مونقُ[1]

(١) من قصيدة في مدح التفسير، كُتبت على غلاف نسخة المتحف البريطاني.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله على محمد نبي الرحمة ، وعلى آله وسلم .

قال أبو عمر : قُرِئَ على أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ﷺ بقرطبة [في][١] شَعْبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[٢]:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على محمدٍ عبده ورسوله ؛ ليكون للعالمين نذيرًا ، وجعله داعيًا إليه وسراجًا منيرًا ؛ فبلغ رسولُ الله ﷺ ما أُرسل به ، ونصح لمن أُرْسِلَ إليه ، وكان كما وصفه الله بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا ﷺ تسليمًا .

وبعد ؛ فإني قرأت كتاب يحيى بن سَلاَّم في تفسير القرآن ، فوجدتُ فيه تكرارًا كثيرًا ، وأحاديث (ذكرها)[٣]؛ يقوم علم التفسير دونها ، فطال بذلك الكتاب [وإنه][٤] للذي خبرته من قلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا - إلا إلى ما يَخِفُّ في هذا الكتاب على الدارس ، ويَقْرُب للمقيِّد - نظرت فيه ، فاختصرت فيه مُكَرَّرَهُ وبعض أحاديثه ، وزدتُ فيه من غير كتاب يحيى تفسير ما لم يفسِّره يحيى ، وأتبعتُ ذلك إعرابًا كثيرًا ولغةً ؛ على ما نُقل عن النحويين ، وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل ؛ زائدًا على الذي ذكره يحيى من ذلك .

وأَبتدِئُ ببعض ما افتتح به يحيى كتابه ؛ فمن ذلك :

أنه قال : حدثني سفيانُ الثوري ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من قال في القرآن بغيرِ عِلْمٍ ، فليتبوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار »[٥].

---

(١) طمست في الأصل .

(٢) في « ر » : قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ﷺ مما رواه أبو سعيد الصنعاني المري الأبهري - رحمه الله - من تفسير يحيى بن سلام البصري - رحمه الله - .

(٣) في « ر » : بتفسيرها .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩) والترمذي (١٨٣/٥ رقم ٢٩٥٠) والنسائي في السنن الكبرى (٣٠/٥ - ٣١ رقم ٨٠٨٤، ٨٠٨٥) والطبري في تفسيره (١/ ٣٤) والطبراني في المعجم الكبير (٣٥/١٢ رقم ١٢٣٩٢) =

يحيى : وأخبرني صَاحِبٌ لي ، عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة «أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان بن عفان : ما كنت صانعًا إذا قيل : قراءة فلان ، وقراءة فلان ؛ كما صنع أهلُ الكتاب فاصنعه الآن . فجمع عثمان الناس على هذا المصحف ؛ وهو حرف زيد» .

يحيى : وحدثني الحسن بن دينار[١] عن محمد بن سيرين «أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ فيعرض عليه القرآن عَرْضَةً كل عامٍ ؛ فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه ، أتاه فعرض عليه مرتين» .

قال ابن سيرين : فكانوا (يرون أن قراءتنا هذه)[٢] على العرضة الآخرة .

قال يحيى : وحدثونا أن السور لم تنزل كُلُّ سورةٍ منها جملةً ، إلا اليسير منها ، ولكن النَّبي ﷺ قد كان سمى السور ؛ فكلما نزل من القرآن شيء ، أمر أن يضعوه من السور في المكان الذي يأمرهم به ؛ حتى تمت السُّوَرُ ، وكان يأمر أن يجعل في بعض السور المكية من المدني ، وأن يجعل في بعض السور المدنية من المكي ، وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ فيقول : إن اللَّه يأمرك أن تجعل آية كذا بين ظهراني كذا وكذا من السورة .

وقد نزل المكي قبل المدني وأن هذا [التأليف][٣] الذي بين السور لم ينزل على هذا التأليف ،

= والبغوي في شرح السنة (٢٥٨/١ رقم ١١٨، ١١٩) من طريق سفيان الثوري به .

ورواه أبو داود في سننه - رواية أبي الحسن بن العبد ، كما في تحفة الأشراف (٤٢٣/٤ رقم ٥٥٤٣) - والترمذي (١٨٣/٥ رقم ٢٩٥١) والطبري في تفسيره (٣٤/١) والبغوي في شرح السنة (٢٥٧/١ رقم ١١٧) من طريقين آخرين عن عبد الأعلى به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال البغوي : حديث حسن .

ورواه الطبري في تفسيره (٣٤/١) من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عبد الأعلى به موقوفًا .

ورواه الطبري في تفسيره (٣٥/١) من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا .

(١) الحسن بن دينار متروك، ترجمته في تاريخ البخاري الكبير (٢٩٢/٢) والجرح والتعديل (٣/ ١١، ١٢) وغيرهما .

(٢) سقط من «ر» .

(٣) طمس في الأصل ، وبياض في «ر» والمثبت هو المفهوم من السياق والمعنى .

ولكنه وضع هكذا ، لم يجعل المكي من السور على حِدَةٍ ؛ يتبعُ بعضه بعضًا في تأليف السور ، ولم يجعل المدني من السور على حدةٍ ؛ يتبع بعضه بعضًا في تأليف السور .

وقد نزل بمكة بعض ما أمر به لما يكون بالمدينة [يعملون به][(١)] إذا قدموا المدينة ، وأن بعض الآيات نزلت الآية منها قبل الآية ، وهي بعدها في التأليف ، وقد فسرنا هذه الوجوه في مواضعها من التفسير وإن ما نزل بمكة ، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي ، [وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني][(١)] وما كان (...)[(٢)] (ل٣) وأكثره مكي .

قال يحيى : ولا يَعْرِفُ تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة : المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، والتقديم والتأخير ، والمقطوع والموصول ، والخاص والعام ، والإضمار والعربية .

قال محمد : وجميع ما نقلته من كتاب يحيى أخبرني به أبي - رحمه الله - عن أبي الحسن علي بن الحسن ، عن أبي داود أحمد بن موسى ، عن يحيى بن سلام .

ومنه ما حدثني به أبي عن أبي الحسن عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه ، عن جده ، وكل ما أدخلته من طريق يحيى بن محمد فقد قلت : إنه من (حديث)[(٣)] يحيى بن محمد .

وأسأل اللَّه العَوْنَ والتأييد والإرشاد والتسديد ؛ لا إله إلا هو [الفعَّال لما يريد][(٤)] .



(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) بياض في الأصل ، وسقط من « ر » .

(٣) في « ر » : طريق .

(٤) من « ر » .

[باب](١) ما جاء في

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال يحيى : حدثني أبو أمية بن يعلى ، عن قتادة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « كنا نكتب : باسمك اللَّهُمَّ زمانًا ؛ فلما نزلت : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾(٢) كتبنا : بسم الله الرحمن ، فلما نزلت : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٣) كتبنا : بسم الله الرحمن الرحيم »(٤).

يحيى : وحدثنا الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري قال : « لم تنزل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في شيءٍ من القرآن إلا في هذه الآية : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ...﴾(٣) ويجعله مفتاح القراءة إذا قرأ »(٥).

يحيى : وحدثني أبو الأَشْهَبِ ، عن الحسن ؛ أنه قال : « هذان الاسمان من أسماء الله مَمْنُوعان ؛ لم يَسْتطع أَحَدٌ من الخَلْقِ أن ينتحلهما : الله ، والرحمن »(٦).

قال محمد : قيل : الجالبُ للباء في « باسم الله » مَعْنَى الابتداء ؛ كأنك قلت : أَبْدَأُ باسم الله .

---

(١) زيادة من « ر » .

(٢) الإسراء : ١١٠

(٣) النمل : ٣٠.

(٤) وعزاه السيوطي في الدر (١١٦/٥) لعبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الشعبي .
وقال السيوطي في الدر (١١٧/٥) : وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال : لم يكن الناس يكتبون إلا باسمك اللهم حتى نزلت ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ .
وهو في تفسير عبد الرزاق (٨١/٣) .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٩٥/١) عن الحسن - رحمه الله .

(٦) روى ابن أبي حاتم (٢٦/١ رقم ٧ ، ٢٨/١ رقم ٢٢) من طريق أبي الأشهب عن الحسن قال : «الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه ، تسمى به تبارك وتعالى» .

تَفْسِيرُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ
وهي مكّيةٌ كلُّها

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

قوله : ﴿الحمد لله﴾ حَمِدَ نَفْسَه ، وأمر العبادَ أن يَحْمَدُوه ، والحمدُ : شُكْرُ النعمة .

﴿رب العالمين﴾ العَالَمُونَ : الخَلْقُ .

﴿مَلِكِ[1] يوم الدين﴾ قال قتادة : يوم يَدِينُ اللَّهُ الناسَ فيه بأعمالهم .

قال محمد : معنى « الدِّين » في اللغة : الجَزَاءُ ؛ ومن كلام العرب : دِنْتُهُ بما صَنَعَ - أي : جازَيْتُهُ[2].

قال يحيى : من قرأ ﴿مَلِكِ﴾ فهو من باب : المُلْكِ[3] ؛ يقول : هو مَلِكُ ذلك اليوم .

وأخبرني بحر السقاء ، عن الزهري « أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يَقْرَءُونها : ﴿مالكِ يوم الدين﴾ بكسر الكاف »[4]

---

(١) هكذا في الأصل و « ر » وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا والكسائي ؛ فقد قرآ ﴿مالك﴾ ينظر : السبعة (١٠٤) ، الحجة (١١/١) ، التيسير (١٨) ، النشر (٢٧١/١) .

(٢) يقال : دانه يَدِينه دِينًا - أي : جازاه ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات : ٥٣] أي : لمجزيون ، ومنه : « كما تدين تدان » ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (دين) .

(٣) من قرأ « مَلِك » فهو مأخوذ من « المُلْك » ومن قرأ « مالك » فهو مأخوذ من « المِلْك » ينظر كشف المشكلات (١/ ٦ ، ٧) .

(٤) كذا روى يحيى بن سلام هذا الحديث عن بحر السقاء عن الزهري مرسلا ، وهو المحفوظ عن الزهري ، وقد خالف إبراهيمُ بن سليمان الزيات يحيى بن سلام فرواه عن بحر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ ﴿مالك يوم الدين﴾ » .

وإبراهيم مختلف فيه : ضعفه ابن عدي في الكامل (٤٢٩/١) وذكره ابن حبان في الثقات (٦٥/٨) .

والحديث محفوظ عن الزهري مرسلا ؛ رواه ابن أبي داود في المصاحف (٢٦٩) من طريق معمر عنه .

ورواه ابن أبي داود (٢٧١ - ٢٧٣) من طريق طلحة بن عبيد الله بن كريز عنه .

....

= ورواه أبو داود في سننه (٣٧/٤ رقم ٤٠٠٠) من طريق معمر عن الزهري وربما ذكر ابن المسيب به ، وزاد : وأول من قرأها ﴿ملك يوم الدين﴾ مروان .

وقال أبو داود : هذا أصح من حديث الزهري عن أنس ، والزهري عن سالم عن أبيه .

ورواه الترمذي (١٧٠/٥ رقم ٢٩٢٨) ، وابن أبي داود في المصاحف (٢٦٥) من طريق أيوب بن سويد الرملي ، عن يونس عن يزيد ، عن الزهري ، عن أنس به .

قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث الزهري عن أنس بن مالك إلا من حديث هذا الشيخ أيوب بن سويد الرملي .

وسأل ابن أبي حاتم في علله (١٧١٥) أباه عن هذا الحديث ، فقال أبو حاتم : هذا حديث منكر بهذا الإسناد .

وقال ابن عدي في الكامل (٥٠٢/٦) : وليس ذاك أيضًا بمحفوظ .

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (١٦٩) وابن أبي داود في المصاحف (٢٦٦ ، ٢٦٧) من طريق هشيم أخبرني مخبر عن الزهري عن سالم عن أبيه به .

ورواه ابن حبان في المجروحين (٣٠٤/٢) من طريق محمد بن عامر الرملي ، عن ابن عيينة ، عن الزهري عن سالم عن أبيه به .

وقال ابن حبان عن محمد بن عامر : يقلب الأخبار ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم . ثم روى له هذا الحديث ، وقال : هذا هو المشهور من حديث أيوب بن سويد عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس بن مالك ، وهو مما تفرد به أيوب ، ومثل هذا الإسناد عند ابن عيينة قال : «رأيت النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة» ليس يقرؤها ﴿مالك يوم الدين﴾ .

ورواه العقيلي في الضعفاء (١٥/٣) وابن عدي في الكامل (٥٠٢/٦) من طريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة به .

وعبد العزيز ضعيف ، قال العقيلي : لا يُتابع عليه . وقال ابن عدي : وهذا بهذا الإسناد منكر ... وعبد العزيز بن الحصين بين الضعف فيما يرويه .

وقال العقيلي : والرواية فيه من غير هذا الوجه مضطربة فيها لين .

ورواه ابن أبي داود في المصاحف (٢٧٠) والخطيب في تاريخ بغداد (٢١٠/١٣) من طريق أبي بكر بن عياش عن سليمان التيمي عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، والبراء بن عازب قال : قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ﴿مالك يوم الدين﴾ .

قال ابن أبي داود : هذا عندنا وهم ، وإنما هو سليمان بن أرقم .

وسُئل الدارقطني في علله (٢٨/٨ - ٢٩ رقم ١٣٩٠) عن حديث أبي سلمة عن أبي هريرة «أن النبي ﷺ قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾» فقال : يرويه الزهري ، واختلف عنه .

فرواه عبد العزيز بن الحصين وبحر السقاء عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

وقال هشيم : عن رجل عن الزهري عن سالم عن أبيه .

وتفسيرها على هذا المقراء: مالكه الذي يَمْلِكُه[1].

وقرأ بعض القُرَّاء: «مَالِكَ»[2]؛ بفتح الكاف؛ يجعله نداءً: يا مالك يوم الدين.

﴿إياك نعبد﴾.

قال محمد[3]: معنى العبادة في اللغة: الطَّاعةُ مع الخضوع، ومن هذا يُقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مُذَلَّلاً بكثرة المَشْي عليه[4].

﴿اهدنا﴾ أَرْشِدْنا[5] ﴿الصراط﴾: الطريق[6].

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالإسلام ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال (الحَسَنُ)[7]: المغضوب عليهم: اليهودُ، والضالُّونَ: النصارَى.

= وقال أبو بكر بن عياش عن سليمان التيمي عن الزهري عن سعيد بن المسيب والبراء بن عازب.

وقيل: عن أبي بكر بن عياش عن سليمان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن البراء.

وقال أيوب بن سويد الرملي عن يونس، عن الزهري عن أنس.

وكذلك قيل عن عقيل وعن أبي مطرف عن الزهري، ولا يصح عن الزهري ذلك.

والمحفوظ عن الزهري «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ...» مرسل. اهـ.

وروى ابن أبي داود في المصاحف (٢٧٦ - ٢٧٨) من طرق عن الثوري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه كان يقرؤها ﴿مالك يوم الدين﴾.

ورواه ابن أبي داود (٢٧٥) من طريق قبيصة عن الثوري فرفعه.

وقبيصة يضعف في الثوري، وصحح الدارقطني في العلل (١٧٥/٨ - ١٧٧) الموقوف.

وللحديث طريق آخر عن أنس ضعيف عند ابن أبي داود في المصاحف (٢٧٤) وغيره.

(١) أي: هو جارٍ على الفعل، فهو اسم فاعل من مَلَكَ يَمْلِكُ مِلْكًا فهو مالك.

(٢) عزاها القرطبي في تفسيره (١٣٩/١) لمحمد بن السميفع.

(٣) في «ر»: قتادة.

(٤) يقال: عَبَدَ اللَّه عبادةً وعبوديةً: انقاد له وخضع وذلّ. لسان العرب (عبد).

(٥) وعزا الزمخشري إلى عليّ وأُبيّ أن معنى «اهدنا»: ثبّتنا على الهداية. ينظر: تفسير الطبري (٥٥/١)، القرطبي (١/ ١٤٧)، مجمع البيان (٢٧/١).

(٦) وفيه ثلاث لغات: الصِّراط، والسِّراط، والزِّراط، وبكلٍّ قُرِئَ. ينظر: لسان العرب (زرط، سرط، صرط)، السبعة (١٠٥)، الحجة (٣٦/١).

(٧) في «ر»: قتادة.

وهذا دعاءٌ أمرَ اللَّهُ رسولَهُ أن يدعو به ، وجعله سُنَّةً له وللمؤمنين .

قال محمد : من قرأ ﴿غيرِ﴾ بالخفض فهو على البدل من « الذين » وجائزٌ أن يكون على النعت[1].



= وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم خلافًا بين المفسرين في تفسير المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى . تفسير ابن أبي حاتم (١/٣١) والدر المنثور (١/٢٢) .

(١) قراءة الخفض هي قراءة الجمهور ، قال الزمخشري : وقُرئ بالنصب على الحال . وقيل : إن قراءة النصب بإضمار « أعني » ويحكى ذلك عن الخليل . ينظر : السبعة (١١١) ، الكشاف (١/١١) ، البحر المحيط (١/٢٩) .

تفسير سورة البقرة

وهي مدنية كلها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾

قوله عزَّ ذِكْرُهُ : ﴿الٓمٓ﴾ .

قال يحيى : كان الحسن[1] يقول : ما أدري ما تفسير ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ وأشباه ذلك من حروف المعجم ، غير أن قومًا (ل٤) من المسلمين كانوا يقولون : أسماء السور وفواتحها .

قال محمد : وذكر ابن سلام في تفسير ﴿الٓمٓ﴾وغير ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور - تفاسير غير متفقة في معانيها وهذا الذي ذكره يحيى عن الحسن ، والله أعلم ، وقد سمعت بعض من أقتدي به من مشايخنا يقول : إن الإمساك عن تفسيرها أفضل .

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ يعني : هذا الكتابُ لا شَكَّ فيه .

﴿هدًى للمتقين﴾ : الذين يتَّقون الشِّرْكَ .

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ يعني : يُصَدِّقون بالبَعْثِ والحساب ، والجنَّة والنار ؛ في تفسير قتادة[2] ﴿ويقيمون الصلاة﴾ يعني : الصلواتِ المفروضةَ ، يُتِمُّونها على ما سَنَّ رسولُ الله ﷺ في كلِّ صلاة منها ﴿ومِمَّا رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة المفروضة على سُنَّتها أيضًا .

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٢٩/١) : وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن قال : ﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ فواتح يفتتح الله بها السور .

(٢) رواه الطبري (١٠١/١) ، وعزاه السيوطي في الدر (٣٢/١) لعبد بن حميد أيضًا .

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ يعني : القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني : التوراة والإنجيل والزَّبور ؛ يصدقون بها ولا يعملون إلا بما في القرآن ﴿ أولئك على هدًى﴾ بيَانٍ ﴿من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ السُّعَدَاء .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم (آنذرتهم)[١] أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ يعني : الذين سبق لهم - في علم الغيب - أنهم يلقون الله بكفرهم ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ يعني : طبع ؛ فهم لا يفقهون الهدى ﴿وعلى سمعهم﴾ فلا يسمعونه ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ فلا يبصرونه .

قال محمد : « غشاوة »[٢] يعني : غطاء .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾

قال يحيى : ثم ذكر صِنْفًا آخر من الناس - يعني : المنافقين - فقال : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إنما تكلموا به في العلانية ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ حتى يكفُّوا عن دمائهم وأموالهم ، وسَبْيِ ذراريهم ، ومُخَادعتهم لرسول الله وللمؤمنين مخادعةٌ لله ﴿وما يخادعون[٣] إلا أنفسهم﴾ أي أنَّ ذلك يرجع عليهم عذابه ، وثواب كفره ﴿وما يشعرون﴾ أن ذلك راجعٌ عليهم .

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ، والكسائي إذا خفف ، وأبو عمرو يدخل بين الهمزتين ألفًا . ينظر : السبعة (١٣٤) ، التيسير (٣٢) ، النشر (٣٦٣/١) .

(٢) و « غشاوة » فيها لغات : يقال : غشاء ، وغَشْوة ، وغُشْوة ، وغِشْوة - أي : بفتح الغين وضمها وكسرها . وقد رُويت القراءة بهذه اللغات . ينظر : إتحاف الفضلاء (١٢٨) مختصر شواذ القراءات (٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣) البحر (٤٩/١) ، لسان العرب (غشو) .

(٣) هكذا في الأصل و « ر » وهي قراءة أبي عمرو ، ونافع ، وابن كثير . ينظر : السبعة (١٣٩) ، التيسير (٧٢) ، النشر (٢/ ٢٠٧) ، البحر (٥٧/١) .

﴿في قلوبهم مرض﴾ قال الحسن[١]: يعني: شَكًّا ﴿فزادهم الله مرضًا﴾ بالطَّبْع على قلوبهم ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ مُوجِعٌ في الآخرة ﴿بما كانوا يُكَذِّبُونَ﴾ بقلوبهم في قراءة من قرأها بالتثقيل، ومن قرأها بالتخفيف «يكْذِبون» يعني: في قولهم: آمنا؛ وقلوبهم على الكفر[٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ يعني: لا تشركوا ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي: أظهروا الإيمان ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ أن الله يعذِّبهم في الآخرة.

﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ إذا قال لهم النبي والمؤمنون: آمنوا كما آمن المؤمنون. قال بعضهم لبعض: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون: من آمن، ولم يعلنوا قولهم هذا ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ أنَّهم سُفَهَاءُ؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: أصل السَّفَه: خفَّة الحِلْم؛ ومنهُ يَقالُ: ثَوْبٌ سَفِيهٌ إذا كان خفيفًا[٣]. وقيل: أصلُ السَّفَهِ: الجَهْلُ[٤].

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ قال قتادة[٥]: يعني: رؤساءهم في

---

(١) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٣/١).
وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود وأبي العالية وجماعة، واختاره الإمام الطبري في تفسيره (١٢١/١) وانظر تفسير ابن أبي حاتم (٤٣/١) والدر المنثور (٣٦/١).

(٢) ومعنى قراءة التثقيل أنهم يكذبون إياك حيث أنكروا ما جئت به، وقراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالتثقيل. ينظر: السبعة (١٤١)، التيسير (٧٢)، البحر (٦٠/١).

(٣) وفي لسان العرب (سفه): ثوب سفيه إذا كان رديء النسج.

(٤) يقال: هو سفيه، والجمع: سُفهاء، وسِفاه. وهي سفيهة، والجمع: سَفائه، وسُفَّه، وسِفاه. لسان العرب، القاموس المحيط (سفه).

(٥) رواه الطبري (١٣٠/١) وابن أبي حاتم (٤٧/١ رقم ١٣٨).
وعزاه السيوطي في الدر (٣٧/١) لعبد بن حميد وابن جرير

(الشرك)[١] ﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ بمحمَّدٍ (وأصحابه)[٢] ﴿اللَّه يستهزئ بهم﴾ .

قال محمد : يعني : يُجَازيهم جزاء الاستهزاء .

يحيى : عن المُبَارَكِ بن فُضَالَةَ ، عن الحسن قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يُجَاء بالمستهزئين يوم القيامة ؛ يفتح لهم بابٌ من أبواب الجنة ، فيُدْعَون [ليدخلوا][٣] فيجيئون ؛ فإذا بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون ، ثم يُدْعَوْن ليدخلوا فيجيئون ؛ فإذا بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون ، ثم يُدْعَوْنَ ليدخلوا فيجيئون ؛ فإذا (ل٥) بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون ، ثم يدعون حتى إنهم يدعون فلا يجيئون من اليأس »[٤].

﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ قال السُّدِّي : يعني : يترددون .

قال محمد : معنى : « يمدُّهم » : يُطيل لهم ؛ تقول : مددتُ فلانًا في غيِّه ومددتُ له ؛ فإذا كان في الشر قلت : مددته ، وإذا كان في الخير[٥] قلت : أمددته[٦] والطغيان : العُتو والتكبر[٧]. والعَمَهُ في كلام العرب : الحيرةُ والضَّلالُ [يقال][٨] عَمِهَ الرجل في الأمر يَعْمَهُ عُمُوهًا ؛ إذا تاه فيه وتحيَّر ؛ فهو عَمِهٌ ، وعَامِهٌ[٩].

---

(١) في « ر » : الشرّ .

(٢) في « ر » : وبما جاء به .

(٣) في الأصل : ليدخلوها . والمثبت من « ر » .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٨٥) والبيهقي في الشعب من طريق روح بن عبادة عن المبارك .
وروواه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان (١/٣٥٠ - ٣٥١ رقم ٤٩) من طريق أبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .
قال العراقي : رويناه في « ثمانيات النجيب » من رواية أبي هدبة - أحد الهالكين - عن أنس .
تخريج الإحياء (٤/١٦٨٧ رقم ٢٦٤٣) .

(٥) في « ر » : المدح .

(٦) ينظر الدر المصون (١/١٢٥) .

(٧) ويقال : الطغيان : هو مجاوزة الحد ، وكل مجاوز حدّه في العصيان طاغٍ ، والجمع : طغاة . وفي الطغيان لغات يقال : طُغوان ، وطَغْوى . لسان العرب (طغو) وقد ورد (الطغيان) في القرآن في أكثر من موضع ، وورد (الطغوى) في موضع واحد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنهَآ﴾ [الشمس : ١١] ، ولم يرد (الطغوان) فيه .

(٨) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٩) إذا عمه المرء في الطريق فلم يدر أين يذهب ، يقال : هو أعمه وغيه . وإذا عمه في الأمر فلم يدر وجه الصواب ، =

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ يعني: اختاروا الضلالة على الهدى؛ في تفسير الحَسَن ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

قال محمد: يعني: فما ربحوا في تجارتهم.

﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا...﴾ الآية، قال الحسن[1]: يعني: مثلهم كمثل رجلٍ يمشي في ليلةٍ مُظْلمةٍ في يده شُعْلةٌ من نارٍ فهو يبصر بها موضع قدميه؛ فبينما هو كذلك، إذ طفئت ناره؛ فلم يبصر؛ كيف يمشي؟! وإن المنافق تكلّم بقول لا إله إلا الله فناكح بها المسلمين، وحقن دمه وماله؛ فلما كان عند الموت، سلبه الله إياها. قال يحيى: لأنه لم يكن لها حقيقةٌ في قلبه ﴿صمٌّ بكمٌ عميٌ﴾ صمٌّ عن الهدى؛ فلا يسمعونه، بكمٌ عنه؛ فلا ينطقون به، عميٌ عنه؛ فلا يبصرونه.

﴿فهم لا يرجعون﴾ يعني: لا يتوبون من نفاقهم.

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أو كصيّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ﴾ هذا مَثَلٌ آخر؛ ضربه الله مَثَلاً للمنافقين.

والصَّيِّب: المطر[2]، والظلمات مثل الشدة، والرعد مثل التخويف، والبرقُ مثل نور الإسلام، وفي المطر الرزق أيضًا[3]. فضرب الله ذلك مثلاً لهم؛ لأنهم كانوا إذا أصابوا في الإسلام رخاءً

= يقال: هو عَامِه. لسان العرب، القاموس المحيط (عمه).

(١) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٥١).

(٢) ويقال: الصيب: السحاب ذو الصَّوْب؛ أي: ذو المطر، وفيه لغة: الصَّيُوب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (صوب).

(٣) ويقال: إن المطر لا يكون إلا للعقاب، أما الذي للنفع فهو الغيثُ، وبهذا ورد القرآن الكريم.

وطمأنينة ، سُرُّوا بذلك في حال دنياهم ، وإذا أصابتهم شدَّةٌ قطع بهم عند ذلك فلم (يصبروا على بلائها)[١] ولم يحتسبوا أجْرها ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ وهذا كراهية للجهاد ﴿والله محيطٌ بالكافرين﴾ أي : هو من ورائهم ؛ حتى (يخزيهم)[٢] بكفرهم .

﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [حتى أظهروا الإيمان وأسروا الشرك][٣] لشدة ضوئه ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي : بقوا لا يبصرون ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ حين أظهروا الإيمان ، وأسروا الشرك .

قال محمد : قوله : ﴿أو كصيب من السماء﴾ معناه : أو كأصحاب صيب ، و « أو » دخلت هنا لغير شكٍّ ؛ وهي التي يقول النحويون : إنها تدخل للإباحة[٤].

والمعنى : أن التمثيل مُباحٌ لكم في المنافقين ؛ إن مثَّلتموهم بالذي استوقد نارًا فذلك مثلهم ، وإن مَثَّلتموهم بأصحاب الصيب فهو مثلهم . ويقال : صاب المطر يَصُوبُ ؛ إذا نزل[٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ أي : لا تشركوا به شيئًا ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ يعني : خلقكم وخلق الأولين ؛ ﴿لعلكم تتقون﴾ أي : لكي تتقوا ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشًا﴾ يعني : بساطًا ومِهَادًا ﴿والسماء بناءً﴾ [على الأرض][٦].

---

(١) في « ر » : يصبروا بلاءها .

(٢) في « ر » : يجزيهم .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من الدر المصون (١/١٣٤ - ١٣٥) ، مغني اللبيب (١/٧٤) .

(٥) يقال : صاب المطر يصوب صَوْبًا وصَيْبُوبة : نزل . لسان العرب (صوب) .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال محمد: كل ما علا على الأرض فاسمه: بناء[١]. والمعنى: أنه جعلها سَقْفًا مثل قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[٢].

وقوله: ﴿فراشًا﴾ أي: لم يجعلها [بحيث][٣] لا يمكن الاستقرار عليها.

﴿فلا تجعلوا للّٰه أندادًا﴾ يعني: أَعْدَالاً تعدلونهم [به][١] ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه خلقكم، وخلق السمٰوات والأرض، وأنهم لا يَخْلُقُون ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ يعني: محمدًا ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي: من مثل هذا القرآن ﴿وادعوا شهداءكم من دون اللّٰه﴾ فيشهدوا أنه مثله ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأن هذا القرآن ليس من كلام اللّٰه ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ أي: لا تقدرون على ذلك ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وهي: أحجار من كبريت.

قال محمد: وَقُودُهَا بفتح الواو (ل٦) حطبها[٤]، والْوُقُود بالضم [المصدر][٥] يقال: وقدت النار تَقِدُ وُقُودًا[٦].

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار﴾.

قال محمد: يعني: بساتينَ تجري من تحتها [الأنهار؛ ذلك إلى شجرها][٧] لا إلى أرضها.

يحيى قال: وبلغني عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك؛ أنه قال: «أنهار الجنة تجري (في

---

(١) وقال الثعالبي: كل ما علاك فأظلك فهو سماء. ينظر فقه اللغة (٢).

(٢) الأنبياء: ٣٢.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في «ر»: حَصَبُهَا.

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) ينظر لسان العرب (وقد)، والدر المصون (١/١٥٥).

(٧) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

غير أخدود[1] الماءُ واللبن والعسلُ والخمرُ وهو أيسر عليه ، فطينة النهر مِسْكٌ أذْفَر[2]، وَرَضْرَاضُهُ[3] الدر والياقوت ، وحَافَاتُه قِبَاب اللؤلؤ »[4].

﴿كلما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل﴾ أي : في الدنيا يعرفونه بأسمائه ؛ في تفسير قتادة[5] ﴿وأتوا به متشابهًا﴾ قال الكلبي : يعني : متشابهًا في المنظر ، مختلفًا في المطعم ﴿ولهم فيها أزواجٌ مطهرة﴾ من الإثم والأذى ؛ في تفسير الحسن[6].

قال محمد : أهل الحجاز يقولون للمرأة : هي زوج الرجل ، وبنو تميم يقولون : زوجةُ الرجل[7].

يحيى : عن خالد[8]، عن الحسن قال : « قال رسولُ اللَّه ﷺ في نساء أهل الجنة : يدخلنها عُرُبًا أتْرابًا ، لا يحضن ، ولا يلدْن ، ولا يتمخطن ، ولا يقضين حاجةً »[9].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا

---

(١) في « ر » : من غير حدود .

(٢) أذفر : طيب الرائحة . والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيب والكريه ، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ، ويوصف به . ينظر : لسان العرب ، النهاية في غريب الحديث (ذفر) .

(٣) الرَّضْراضُ : الحصى الصغار . النهاية في غريب الحديث (رضرض) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة - كما في حادي الأرواح (ص١٢٤) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٦٧ رقم ٣١٦) من طريق معاوية بن قرة عن أنس ﷺ موقوفًا .

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٦٨ رقم ٣١٦) وفي حلية الأولياء (٦/٢٠٥) وابن مردويه - كما في حادي الأرواح (ص١٢٥) - من طريق معاوية بن قرة عن أنس عن النبي ﷺ .

قال المنذري في الترغيب (٤/٥١٨) : رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا ، ورواه غيره مرفوعًا ، والموقوف أشبه بالصواب .

(٥) رواه الطبري (١/١٧١) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٤٤) لعبد بن حميد وابن الأنباري في كتاب الأضداد أيضًا .

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم (١/٦٧) .

(٧) وقد جاء القرآن الكريم على لغة أهل الحجاز ؛ قال عز وجل : ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة : ٣٥] . وقال : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء : ٢٠] وغير ذلك . ينظر لسان العرب (زوج) .

(٨) في « ر » : عن مالك .

(٩) لم أقف عليه ، ومعناه في أحاديث معروفة في الصحيحين وغيرهما ، والله أعلم .

وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ...﴾ الآية ، وذلك أن الله لما ذكر في كتابه العنكبوت والنمل والذباب – قال المشركون : ماذا أراد الله بذكر هذا في كتابه ؟! وليس يقرون أنَّ الله أنزله ، ولكن يقولون للنبيِّ ﷺ : إن كنت صادقًا ، فماذا أراد الله بهذا مثلاً؟! فأنزل الله : ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها﴾ أي : مثلاً بعوضةً « ما » في هذا الموضع زائدة[١] ﴿فما فوقها﴾ يعني : فما أكبر منها .

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ يعني : المشركين ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم ، وتفسيره في سورة الأعراف[٢] ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال ابن عباس : يعني : ما أمر الله به من الإيمان بالنبيين كلهم ﴿ويفسدون في الأرض﴾ أي : يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة ؛ فصاروا في النار .

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا﴾ أي : نُطَفًا في أصلبة[٣] آبائكم ؛ في تفسير قتادة[٤]: ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام وفي الدنيا ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني : البعث .

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ، ينظر : معاني القرآن للأخفش (١٣٤) ، معاني القرآن للفراء (١/٢٤٤) ، الكتاب (٢/٣٠٥) ، مغني اللبيب (١/٣٤٤) .

(٢) يريد قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

(٣) مفردها : صُلْب . وتجمع أيضًا على : أَصْلُب وأَصْلاب ، وصِلَبة . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (صلب) .

(٤) رواه الطبري (١/١٨٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٤٨) لعبد بن حميد أيضًا .

قال محمد : تأويل « كيف » استفهام في معنى التعجب ؛ إنما هو للمؤمنين ؛ أي : اعجبوا من هؤلاء ؛ كيف يكفرون وقد ثبتتْ حُجَّةُ اللَّه عليهم؟!

﴿هو الذي خلق لكم﴾ سخر لكم ﴿ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء﴾ .

قال محمد : يعني : أقبل على خَلْقِ السماء ؛ كذلك جاء عن الحسن .

يحيى : وحدثنا عثمان ، « أنَّ رجلاً سأل ابن عباسٍ عن قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ وعن قوله عزَّ ذِكْرُه : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ إلى قوله : ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[1] فقال : إنه كان خلق الأرض ، ثم خلق السمٰوات ، ثم عاد ؛ فدحا الأرض ، وخلق فيها جبالها وأنهارها وأشجارها ومرعاها »[2].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...﴾ الآية ، تفسير الحسن : إن اللَّه أخبر الملائكة ؛ أنه جاعل في الأرض خليفة ، [يكون من][3] ولده من يسفك الدماء فيها ، ويفعل كذا ؛ فقالت الملائكة : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ أي : نصلي لك ؛ في تفسير بعضهم .

قال محمد : معنى : يَسْفك : يَصُبُّ ؛ تقول : سفكتُ الشيء ؛ إذا صَبَبْتَهُ[4].

ومعنى « نسبح بحمدك » : أي : نبرئك من السوء ونعظمك ، وكلُّ من عمل خيرًا (ل٧) أراد اللَّهَ به ، فقد سبَّح اللَّه ؛ أي : عظَّمه . ومعنى : ﴿نقدس لك﴾ أي : نطهر أنفسنا لك ، وأصل القدس في اللغة : الطهارة .

---

(١) النازعات : ٢٧ - ٣٠.

(٢) رواه البخاري (٤١٨/٨) - كتاب التفسير ، سورة السجدة - وعبد الرزاق في تفسيره (١٦٠/١ - ١٦٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٥/١٠ - ٢٤٦ رقم ١٠٥٩٤) وابن منده في التوحيد (١٠٤/١ - ١٠٨ رقم ١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٥/٢ - ٢٤٨ رقم ٨٠٩) وغيرهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٣) طمس بالأصل والمثبت من « ر » .

(٤) ينظر : لسان العرب (سفك) .

قال اللّه - عز وجل - : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ تفسير قتادة[١]: علم أنه سينشأ من ذلك الخليفة أنبياء ورسلٌ، وقومٌ صالحون.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ قال مجاهد: خلق اللّه آدم آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعدما خلق الخلقَ كلهم.

قال الكلبي: ثم علمه أسماء الخلق [كلهم][٢] بالسريانية اللسان الأول سرًّا من الملائكة، ثم حشر اللّه الدوابَّ كلها، والسباع والطير وما ذرأ في الأرض، ثم قال للملائكة: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ فقال آدم عليه السلام: هذا كذا، وهذا كذا. قال قتادة[٣]: فسمَّى كل نوع باسمه. فلما أنبأهم آدم بأسمائهم قال اللّه للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال الحسن[٤] وقتادة[٥]: لما قال اللّه - عز وجل - : ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ قالوا فيما بينهم: ما اللّه بخالق خلقًا هو أكرم عليه منا [ولا أعلم][٢] وهو الذي كتموا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

---

(١) رواه الطبري (٢١٣/١) وابن أبي حاتم (٧٩/١ - ٨٠ رقم ٣٣٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٥٢/١) لعبد بن حميد وابن جرير.
(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».
(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥٥/١) لعبد بن حميد في تفسيره.
(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٢٢/١ - ٢٢٣).
(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٢٣/١).

مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال قتادة[١]: أكرم الله آدم ؛ بأن أسجد له ملائكته ﴿فسجدوا إلا إبليس ...﴾ الآية ، قال بعضهم : خلق الله الخلق شقيًا وسعيدًا ؛ فكان إبليس ممن خلقه شَقِيًّا ؛ فلما أُمِرَ بالسجودَ ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ يخبر عز وجل أنه كان ممن خلقه شقيًا .

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ لا حساب عليكما فيه .

قال محمد : من كلام العرب : رغد فلان يرغَدُ إذا صار في خصبٍ وسَعَةٍ . وفيه لُغَةٌ أخرى : أرغدَ[٢].

﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ يعني لأنفسكما بخطيئتكما ، والشجرة التي نهي عنها آدم وحواء - : هي السنبلة ؛ في تفسير ابن عباس[٣].

وقال قتادة[٤]: هي التين [وقيل : هي شجرة العنب][٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/٢٢٩) .

وقال السيوطي في الدر (١/٥٦) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال : كانت السجدة لآدم والطاعة لله .

(٢) ينظر لسان العرب (رغد) .

(٣) رواه الطبري (١/٢٣١) وابن أبي حاتم (١/٨٦ رقم ٣٧٧) .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٥٨) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر .

(٤) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٨٦) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

ورُوي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن هبيرة والسدي ومحمد بن قيس ، كما في تفسير الطبري (١/٢٣٢) وتفسير ابن أبي حاتم (١/٨٦) .

وقال الطبري في تفسيره (١/٢٣٣) : فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به ، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين ؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة ، فأنى يأتي ذلك من أتى ، وقد قيل كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به .

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿فأزلَّهما الشيطان عنها﴾ **قال محمد**: «أزلهما» هو من: الزلل[١]؛ المعنى: كسَّبهما الزَّلَّةَ والخطيئةَ.

قال يحيى: بلغنا أن إبليس دخل في الحيَّة فكلَّمهما منها، وكانت أحسن الدواب، فمسخها الله، وردَّ قوائمها في جوفها، وأمشاها على بطنها.

وبلغنا أن أبا هريرة قال: حواء هي التي دلَّت الشيطان على ما كانا نُهيا عنه.

﴿وقلنا اهبطوا منها جميعًا بعضكم لبعضٍ عدو﴾ آدم ومعه حواء وإبليس والحيَّة التي دخل إبليسُ فيها لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته، ولا يقدر عليها في موضع إلا شَدَخَهَا ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ من يوم يولد إلى يوم يموت ﴿ومتاعٌ﴾ يعني: معايشهم التي يستمتعون بها ﴿إلى حين﴾ يعني: الموت ﴿فتلقَّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه﴾ وعلى حواء.

يحيى: عن شريك، عن (عبد الملك)[٢] بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: هو قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣].

قال محمد: قوله عز وجل: ﴿فتلقَّى﴾ معناه: قبل وأخذ.

﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ أي رسول ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ في الآخرة من النار

---

(١) أي: أن من قرأها «فأزَلَّهما» فهو مأخوذ من «الزلل»، أي: أوقعهما في الزلة. وهي قراءة السبعة إلا حمزة. ومن قرأها «فأزالهما» فهو مأخوذ من أزال يُزيل، أي: نحَّاهما وأزالهما. وهي قراءة حمزة. ينظر السبعة (١٥٣) التيسير (٧٣) لسان العرب (زلل).

(٢) في «ر»: عبد المبارك. وهو تحريف، وعبد الملك بن أبي سليمان ترجمته في التهذيب (١٨/ ٣٢٢ - ٣٢٩).

(٣) الأعراف: ٢٣.

قول ابن عباس عزاه السيوطي في الدر (٦٥/١) للثعلبي من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وعزاه السيوطي في الدر (٦٥/١) لابن المنذر من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا .

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ خاطب بهذا من أدرك النبي عليه السلام منهم ؛ يُذَكرهم ما فعل بأوليهم[١] أنه أنجاهم من آل فرعون ، وأنجاهم من الغرق ، وظلل عليهم الغمام ؛ وغير ذلك من نعمة الله التي لا تحصى ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ تفسير الكلبي : بعهدي في الإيمان بمحمد ﴿أوفِ بعهدكم﴾ الذي عهدت لكم من الجنة ﴿وإياي فارهبون﴾ (ل٨) هو كقوله : (فاتقون﴾[٢].

قال [محمد : يقال : وَفَيْتُ][٣] بالعهد وأَوْفَيت به[٤].

قوله : ﴿فارهبون﴾ أصله : فارهبوني بالياء ، وحذفت لأنها رأس آية[٥].

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني : القرآن ﴿مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به﴾ يعني [بهذا قريظة][٦] والنضير ؛ لأنَّ النبي ﷺ قدم عليهم « المدينة » فعصوا الله ، وكانوا أَوَّلَ من كفر به من اليهود ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً﴾ يعني : الآيات التي وصف الله بها محمدًا ﷺ في كتابهم ،

---

(١) في « ر » : بأولهم .

(٢) أي في الآية التي تليها ، وهي قوله عز وجل : ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة : ٤١] .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) وفيها لغة ثالثة لم يذكرها المصنف وهي « وفَّى » بالتشديد ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم : ٣٧] ينظر لسان العرب (وفى) .

(٥) أي : مراعاة لفواصل الآيات ، وأثبت الياء في الحالين يعقوب . النشر (٢/٢٣٧) إتحاف الفضلاء (١٧٧) .

(٦) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

فأخفَوْها من الأمّيين ، وجهَّال من اليهود ، وكان الذين يفعلون ذلك علماؤهم ؛ كعب بن الأشرف وأصحابه ، وكانت لهم مأكُلَة[١] من اليهود كل عام ؛ فذلك الثمن القليل ؛ خافوا إن تابعوا النبي ﷺ أن تذهب مأكُلتهم ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ قال قتادة[٢]: يعني : لا تخلطوا الإسلام باليهودية والنصرانية .

قال محمد : يقال لَبَسْتُ عليهم الأمرَ [إذا غمَّيْتهُ][٣]؛ فكأن معنى الآية : لا تَلْبِسُوا أمر النبيِّ ﷺ بما تحرفون وتكتمون .

﴿الحق﴾ يعني : محمدًا ﷺ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أي : تجدونه مكتوبًا عندكم ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ أمرهم أن يدخلوا في دين محمدٍ ﷺ ﴿أتأمرون الناسَ بالبر وتنسون أنفسكم﴾ أي : تتركون العمل به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ بخلاف ما تفعلون ﴿أفلا تعقلون﴾ ما تأمرون به ؛ يعني بذلك أَحْبَارهم .

قال محمد : جاء عن ابن عباس[٤] - في تفسير ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ - قال : نزلت في قوم من أحبار يهود ؛ كان الرجلُ منهم يقول لمن أسلم من ذوي قَرَابته - إذا وثق به في السّر - : اثْبُتْ على الذي أنت عليه ؛ مما يأمرك به هذا الرجلُ ؛ يعنون : محمدًا ﷺ فإنه حقٌّ ، ولا يفعلونه هم ؛ للرياسة التي كانوا حازُوها ، والمآكل التي كانوا يأكلونها ؛ فكشف الله سرَّهم ، وأخبر بذلك عنهم .

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي : على الصلاة ، فخص الصلاة لمكانها من الدين . تفسير الحسن : استعينوا بالصبر على الدين كله . وقال مجاهد[٥]: الصَّبْر - ها هنا الصَّوْم ؛ وليعلم أنهما

---

(١) المأكلة - بضم الكاف وفتحها لغتان - هو ما يُؤكل ، وتطلق أيضًا على الطعمة والمُرْتَزَق . والجمع : مآكل . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (أكل) .

(٢) رواه الطبري (٣/٣١٠) وابن أبي حاتم (١/٩٨ رقم ٤٥٥) .

(٣) في الأصل : إذا أعميته (بالعين المهملة) ويقال : لَبَسَ عليه الأمْرَ : خلطه عليه ، حتى لا يعرف حقيقته ، ويقال فيه : ألبس عليه الأمرُ ، ولبِّس الأمرُ ، ولبِّس عليه الأمرَ ، والتبس عليه الأمرُ ، وتلبّس بالأمرِ ، وتلبّس بي الأمرُ . كلها بمعنى واحد . لسان العرب (لبس) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (١/٧٠) للثعلبي والواحدي .

(٥) في « ر » : وقال بعضهم . وقول مجاهد رواه ابن أبي حاتم (١/١٠٢ رقم ٤٨٠) .

عَوْنٌ على طاعة الله .

قال محمدٌ : وأصل الصبر : الحبس ، وإنما سُمِّيَ الصائم صابرًا ؛ لحبسه نفسه عن الأَكْلِ والشرب .

﴿وإنها لكبيرةٌ﴾ يعني : الصلاة[1].

﴿إلا على الخاشعين﴾ الخشوع هو : الخوفُ الثابت في القلب .

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿الذين يظنون﴾ [يعلمون][2] ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ .

قال محمدٌ : الظنُّ في كلام العرب بمعنيين : شكٌّ ويقين ؛ قال دُرَيد بنُ الصِّمَّةِ :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُقَاتِلِ سَرَاتُهُمُ بِالفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[3]

ومعنى ظنُّوا : أي : أيْقِنُوا .

قوله : ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ قال قتادة : يعني : أهل زمانهم ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾ أي : لا تغني .

قال محمدٌ : يقال : جَزَى عني فلانٌ ، بلا هَمْزٍ ؛ أي : ناب عني ، وأجزأني : كفاني[4].

---

(١) اختار المصنف ها هنا عود الضمير في قوله تعالى : ﴿وإنها﴾ على الصلاة ، وفي عود الضمير أقوال أخر تنظر من معاني القرآن للأخفش (٨١ - ٨٢) البحر المحيط (١/١٨٥) مجاز القرآن (١/٣٩) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) البيت لدريد بن الصمة ، وهو من بحر الطويل ، ينظر : الأصمعيات (١٠٧) الحماسة (١/٣٩٧) شرح المفصل (٧/ ٨١) لسان العرب (ظنن) .

(٤) الفرق بين الفعلين (جزى) و(أجزأ) أن الأول ثلاثي غير مهموز ، والثاني رباعي مهموز ، فالفرق إذن في بناء الصيغة لا في المعنى ، فليُلْتفت إلى ذلك .

﴿ولا يقبل منها شفاعةٌ﴾ أي : لا تكون الشَّفَاعة إلا للمؤمنين ﴿ولا يؤخذ منها عَدْلٌ﴾ أي : لا يقبل منها فداءٌ ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي : لا أحد ينتصر لهم .

قال محمد : إنما يقال للفداء : عَدْل ؛ لأنه مثل للشيء ؛ يقال : هذا عدلُ هذا وعديلُه ؛ والعِدْلُ - بكسر العين - هو : ما حُمِلَ على الظَّهر[١].

﴿وإذ نجَّيناكم من آل فرعون يسومونكم﴾ [يلونكم][٢] ﴿سوء العذاب﴾ أي : أشده ﴿يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ فلا يقتلونهن ﴿وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم﴾ يعني : إذ نجاكم منه .

قال محمد : البَلاءُ يتصرفُ في النقل[٣] على وجوه ؛ وهو ها هنا النعمة[٤].

(ل٩) ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ [ماتوا][٥] وفرعون فيهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ يعني : أوليهم[٦].

قال محمد في قوله : ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ هو كقوله : ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٧].

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ

= تنبيه : قد تسهَّل همزة (أجزأ) ، فيقال فيه (أجزى) . ينظر لسان العرب (جزى) .

(١) ويُجمع العِدْل على أعْدال وعُدول ، والعَدِيل على أعدال وعُدَلاء . والعَدْل ضد الظلم ، أما العِدْل والعديل فهما بمعنى واحد . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (عدل) .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) أي : ما نُقِل عن العرب ، ويطلق على المحنة تنزل بالمرء ، وعلى الغمّ والحزن ، وعلى الجهد الشديد ، وعلى الاختبار والامتحان ، وغير ذلك . ينظر : اللسان ، مختار الصحاح (بلو) .

(٤) في « ر » : النقمة .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) في « ر » : أوّلهم .

(٧) الشعراء : ٦٣.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً﴾ تفسيره مذكورٌ في سورة الأعراف[١] ﴿وأنتم ظالمون﴾ يعني: لأنفسكم ﴿ثم عفونا عنكم﴾ يعني: التوبة التي جعلها الله (لهم فقتل بعضهم نفسه)[٢] قال قتادة[٣]: أمروا أن ينتحروا بالشفار[٤] ففعلوا، فلما بلغ الله فيهم نقمته سقطت الشفار من أيديهم؛ فكان ذلك للمقتول شهادة، وللحي توبةً ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: لتشكروا.

﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ الكتاب: التوراة، والفرقان: حلالها وحرامها ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا.

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾.

قال محمد: الاختيار في العربية يا قوم بحذف الياء للنداء، وبقيت الكسرة لتدل عليها[٥].

﴿فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ خالقكم ﴿فتاب عليكم﴾.

قال محمد: المعنى: ففعلتم فتاب عليكم؛ وهو من الاختصار.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك﴾ أي: لن نصدقك ﴿حتى نرى الله جهرةً﴾ أي: عياناً ﴿فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون﴾ قال قتادة[٦]: أُميتُوا عقوبة، ثم بعثوا؛ ليستكملوا بقيةَ آجالهم

---

(١) أي: عند قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(٢) في «ر»: لكم فقتل بعضكم بعضًا.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/١١٠ رقم ٥٢٩).

وعزاه السيوطي في الدر (١/٧٥) لعبد بن حميد.

(٤) واحدها: الشَّفْرة، وهي كل ما حُدِّد من الحديد، كحدّ السيف والسكين والموسى. وتجمع على شِفار، وشَفْر. لسان العرب (شفر).

(٥) في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ست لغات، ينظر تفصيل الكلام عليها من الدر المصون (١/٢٢٥ - ٢٢٦).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٤٦) والطبري (١/٢٩٢).

﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ قال قتادة[١]: سألوا موسى الأبنية ؛ وهم في التِّيه في البرية ، فظلَّلَ اللَّهُ عليهم الغمام . قال مجاهد[٢]: الغمام غير السحاب .

قال محمد : واحد الغَمَام : غَمَامةٌ ؛ وهي عند أهل اللغة البَيْضَاءُ من السَّحَاب[٣].

﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ قال قَتَادَةُ[٤]: المنُّ كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج ، وأحلى من العسل ؛ فيأخذ أحدهم ما يكفيه يومه ؛ فإن تعدَّى ذلك فسد ، ولم يَبْقَ عنده حتى إذا كان يوم سادسهم - يعني : يوم الجمعة - أخذوا ما يكفيهم لذلك اليوم ، وليوم سابعهم - يعني : السبت - فيبقى عندهم ؛ لأن يوم السبت كانوا يعبدون اللَّه - جل وعز - فيه ، ولا يشخصون لشيءٍ من الدنيا ، ولا يطلبونه . والسَّلْوَى[٥]: السُّمَاني[٦] طائر إلى الحمرة كانت تحشرها عليهم الجنوب[٧]؛ فيذبح الرجل ما يكفيه ليومه ذلك ؛ فإن تعدَّى ذلك فسد ،

= ورواه ابن أبي حاتم (١/١١٢ رقم ٥٣٨) مختصرًا .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٧٥) لعبد بن حميد وابن جرير .

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/١١٣ رقم ٥٤٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٧٦) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢) رواه الطبري (١/٢٩٣) وابن أبي حاتم (١/١١٣ رقم ٥٤٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٧٥) لوكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٣) وتجمع على : غَمام ، وغمائم . أما الغِمامة - بكسر الغين - فهي وثاق يُشد به فم الدابة لتُمنع من الاعتلاف ، أو تُغطى به عينا الثور وهو يدور فلا يلحقه الدوار . والغُمام - بالضم - الزكام ينظر : لسان العرب (غمم) .

(٤) رواه ابن أبي حاتم مفرقًا (١/١١٤ رقم ٥٥٦ ، ١/١١٥ رقم ٥٦٢) .

ورواه عبد الرزاق (١/٤٦) والطبري (١/٢٩٤ ، ٢٩٥) مختصرًا .

وعزا السيوطي في الدر (١/٧٦) ذكر المن لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وعزا السيوطي في الدر (١/٧٦) ذكر السلوى لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٥) السَّلْوى : طائر صغير من رتبة الدجاجيات ، جسمه ممتلئ منضغط ، وهو من القواطع التي تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان ، ويستوطن أوربا وحوض البحر المتوسط . وواحد « السلوى » : سَلْواة . وقال الأخفش : لم أسمع له بواحد . قال : ويشبه أن يكون واحده : سَلْوى أيضًا . ينظر : مختار الصحاح ، لسان العرب ، المعجم الوسيط (سلو) .

(٦) السُّمَاني بتخفيف الميم ، وقد أخطأ من شدّدها . الواحدة : سُمَانَاة ، وتجمع أيضًا على : سُمَانَيَات ، ينظر : مختار الصحاح ، اللسان (سمن) .

(٧) أي : رياح الجنوب .

ولم يبق عنده ، إلا يوم الجمعة ؛ فإنهم كانوا يذبحون ما يكفيهم ليومهم وللسبت .

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا﴾ أي : نقصونا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ينقصون بمعصيتهم .

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ إلى قوله : ﴿وسنزيد المحسنين﴾ قال الكلبي : لما فصلت بنو إسرائيل من التِّيه ، ودخلوا إلى العُمْران ، فكانوا بجبال أريحا[١] من الأردن قيل لهم : ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا . وكان بنو إسرائيل قد خَطِئُوا[٢] خطيئة ؛ فأحبَّ اللَّه أن يستنقذهم منها إن تابوا ، وقال لهم : إذا انتهيتم إلى باب القرية ، فاسجدوا ، وقولوا : حِطَّةٌ ، نحط عنكم خطاياكم ﴿وسنزيد المحسنين﴾ الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحسانًا إلى إحسانهم ، فأما المحسنون : فقالوا الذي أُمروا به ، وأما الذين عصوا : فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم قالوا : [...][٣] بالسريانية [قالوها استهزاءً وتبديلاً لقول][٤] اللَّه .

قال اللَّه تعالى (ل ١٠) : ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء﴾ يعني : عَذَابًا من السماء ﴿بما كانوا يفسقون﴾ قال يحيى : وبلغني أن ذلك العذاب الطَّاعون ، فمات منهم سبعون ألفًا .

---

(١) ويقال فيها : أَرِيح ، وأريحاء – بالمد والقصر – نسبةً إلى أريحاء بن لمك بن أرفخشد بن سام بن نوح . ينظر : معجم ما استعجم (١/١٣٣ – ١٣٤) ، معجم البلدان (١/٢١٠) .

(٢) أي : أذنبوا . وخطئ وأخطأ بمعنًى .

(٣) غير واضحة في الأصل وسقطت من «ر» . وروى الطبري في تفسيره (١/٣٠٤) وابن أبي حاتم (١/١١٩ رقم ٥٨٩) وغيرهما عن ابن مسعود أنه قال : «إنهم قالوا : هطى سمقا يا أزبة هزبا . وهو بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء» .

وانظر الدر المنثور (١/٧٦) .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من «ر» .

ومعنى حطَّة : احْطُطْ عنا خطايانا(١).

قال محمد : وارتفعت بمعنى : مسألتنا حِطَّةٌ(٢).

يحيى : وأخبرني صاحبٌ لي عن الأعمش ، عن إبراهيم بن سعد بن مالك ، عن سعد بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « الطَّاعُونُ بقيَّةُ رِجْزٍ وعَذَابٍ عُذِّبَ به من كان قَبْلكم(٣)؛ فإذا وَقَعَ بأرْضٍ وأنتم بها ، فلا تخرجوا منها ؛ وإن وَقَعَ بأرضٍ ولستم بها ، فلا تَقْدَمُوا عليها »(٤).

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإذ اسْتَسْقَى مُوسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مَشْرَبهم﴾ قال قتادة(٥): كان هذا وَهُمْ في البريَّة ، اشتكوا إلى موسى الظَّمأ ، فسقوا من حجر كان موسى عليه السلام يحمله [معه](٦) من الجبل الطُّوراني ، فكانوا إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سِبْطٍ عينٌ .

قال محمد : ومعنى السِّبط في اللغة : الجماعة الذين يرجعون إلى أبٍ واحدٍ(٧).

﴿كلوا واشربوا من رزق اللَّه ولا تَعْثَوْا﴾ قال قتادة(٨): يعني : لا تسيروا في الأرض مفسدين .

قال محمد : يقال : عَثِيَ يَعْثَى عُثِيًّا ، وعَثَى يَعْثُو عُثُوًّا ، وعاثَ يَعِيثُ عَيْثًا ؛ بمعنى

---

(١) وفي تفسيرها أقوال أخر غير ذلك . ينظر مجمع البيان (١١٨/١) الدر المصون (٢٣٢/١) تفسير ابن كثير (٩٩/١) .

(٢) أي : أن « حطة » ارتفعت خبرًا لمبتدأ مضمر . ينظر معاني القرآن للأخفش (٩٦) معاني القرآن للفراء (٣٨/١) مجاز القرآن (٤١/١) الدر المصون (٢٣٢/١) .

(٣) في « ر » : من كان به وباء .

(٤) رواه مسلم (١٧٣٩/٤ رقم ٩٧/٢٢١٨) من طريق الأعمش ، عن حبيب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه وأسامة بن زيد معًا . وللحديث طرق أخرى كثيرة .

(٥) رواه الطبري (٣٠٦/١ - ٣٠٧) وابن أبي حاتم (١٢١/١ رقم ٦٠١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧٦/١) لعبد بن حميد .

(٦) طمس في الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٧) ويقال : السِّبط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب ، والجمع : أسباط ، وفي التنزيل ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف : ١٦٠] . ينظر لسان العرب « سبط » مختار الصحاح .

(٨) رواه الطبري (٣٠٨/١) وابن أبي حاتم (١٢٢/١ رقم ٦٠٧) .

واحدٍ[١]، وذلك في الإسراع في إفساد الشيء، ومن هذا قولُ عَدِيِّ بن الرِّقَاع:

لولا الحَيَاءُ وإنَّ رَأْسِي قد عشا فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ[٢]

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ ...﴾ إلى ﴿وبصلها﴾ قال قتادة[٣]: لما أنزل اللَّهُ عليهم المنَّ والسَّلْوَى في التِّيه مَلُّوه[٤] وذكروا عيْشًا كان لهم بمصر؛ فقال اللَّه - عز وجل - لهم: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا﴾ يعني: مِصْرًا من الأمصار ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ وقال الكلبي. «اهبطوا مِصْرَ»[٥] بغير ألف؛ يعني: مصر بعينها[٦]. قال قتادة[٧]: والفُومُ: الحبُّ الذي يختبزه الناس[٨] ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ يعني: الجزية.

= وعزاه السيوطي في الدر (٧٧/١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) أي: أن هناك ثلاث صيغ لهذا الفعل: الناقص اليائي، والناقص الواوي، والأجوف اليائي. ينظر لسان العرب «عثو».

(٢) البيت من بحر الكامل. ينظر لسان العرب (عثى).

(٣) رواه الطبري (٣٠٨/١) وابن أبي حاتم (١٢٢/١ رقم ٦٠٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٧٨/١) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) في الأصل: تأوهوا. والمراد: ضجروا واشتكوا.

(٥) قرأ الجمهور بالتنوين «مصرًا»، وقرأ الحسن «مصر» بغير تنوين، وهي في بعض مصاحف عثمان وأبي. ينظر الدر المصون (٢٤١/١).

(٦) المصر في اللغة، يطلق على المكان عمومًا. ومصر: هي المدينة المعروفة، تُذكّر وتؤنث، وتُصرف وتمنع. والمِصْران: الكوفة والبصرة، ينظر: مختار الصحاح، لسان العرب (مصر).

(٧) رواه عبد الرزاق (٤٧/١) والطبري (٣١١/١).

(٨) وقيل: هو الثوم؛ ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وثومها». وقيل: هو الحنطة خاصة، وقيل: هو الحمص؛ لغة شامية. والمفرد: فومة، ويُجمع أيضًا على فُوَم، بفتح الواو. ينظر: المحتسب (٨٨/١) معاني القرآن للفراء (٤١/١) البحر المحيط (٢٣٣/١) لسان العرب (فوم).

قال محمد : وقد قيل الذلة : الصَّغار[١]، والمسكنة : الخضوع[٢].

﴿وباءوا بغضب من الله﴾ يعني : استوجبوا .

قال محمد : معنى باءوا في اللغة : رجعوا ؛ يقال : بُؤتُ بكذا فأنا أَبُوءُ به ، ولا يقال : باء إلاَّ بشرٍ[٣].

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ يعني : بأمر الله .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿والذين هادوا﴾ يعني : تهودوا ﴿والنصارى﴾ قال قتادة[٤]: سموا نَصَارى ؛ لأنهم كانوا بقريةٍ يُقَالُ لها : ناصرة[٥].

﴿والصَّابين﴾[٦] قال قتادة[٧]: هم قوم يقرءون الزَّبُور ، ويعبدون الملائكة[٨].

قال يحيى : وبعضهم يقرءونها : ﴿والصابئين﴾ مهموزة[٩].

---

(١) المعنى الأول يُرْوى عن أبي عبيدة وغيره ، ويُرْوى الثاني عن الحسن وقتادة . ينظر مجاز القرآن (٤٢/١) تفسير الطبري (٢٤٩/١ - ٢٥٠) .

(٢) وقال الإمام الطبري : مسكنة الفقر والحاجة . ينظر تفسير الطبري (٢٤٩/١) مجمع التفاسير (١٣٣/١) .

(٣) يقال : باء بكذا ، وباء إلى كذا . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (بوء) .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/١) والطبري (٣١٨/١) .

(٥) وهي قرية بالجليل من فلسطين ، وتُسمَّى نَصْران ، ومفرد النصارى : نَصْران للمذكر ، ونَصْرانة للمؤنث . ينظر : معجم البلدان (٢٩١/٥) لسان العرب (نصر) .

(٦) بترك الهمز ، وهي قراءة نافع . ينظر السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (٣٩٧/١) .

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٩/٢) والطبري (٣٢٠/١) .

(٨) الصابئ في اللغة : هو الذي يترك دينه ، ويدين بآخر . وفرقة الصابئة ؛ قوم يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنهم على ملة سيدنا نوح عليه السلام ، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار . ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/٢) لسان العرب (صبأ) .

(٩) وهي قراءة السبعة إلا نافعًا . ينظر : السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (٣٩٧/١) .
تنبيه : القراءة بالهمز هي الأصل ، ومن ترك الهمز حذفها استثقالاً .

قال محمد : وأصل الكلمة من قولهم : صَبَأَ نَابُهُ إذا خرج[١]؛ فكأن معنى الصابئين : خرجوا من دينٍ إلى دينٍ .

والتهود أصله : التعوُّد ؛ يقال للعائد : هائدٌ ، ومتهوِّدٌ[٢].

﴿فلهم أجرهم﴾ يعني : من آمن بمحمدٍ ﷺ وعمل بشريعته ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ **قال محمد** : القراءة ﴿ولا خوف عليهم﴾ بالرفع ، والنصب جائز وقد قُرِئَ به[٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ يعني : فوق رءوسكم ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ يعني : التوراة ﴿بقوة﴾ بجدٍّ ﴿واذكروا ما فيه﴾ أي : احفظوا ما فيه ، واعملوا به . والطور : جبل كانوا في أصله [فاقْتُلِعَ وأُشْرِفَ][٤] (...)[٥] ففعلوا .

﴿ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ (ل١١) حين لمْ يُعَجِّلْ لكم العذاب ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ يعني : المعذَّبين .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ يقول هذا لعلمائهم ﴿فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾ أي : صاغرين ؛ في تفسير الحسن .

قال محمد : وقيل : خاسئين ؛ يعني مبعدين ، يقال : خسأت[٦] فلانًا عني وخسأت الكلب ؛

---

(١) ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (صبأ) .

(٢) أي : يقال له : « هائد » من الفعل هاد ، و « متهود » من الفعل : تهوّد . لسان العرب (هود) .

(٣) قراءة الرفع هي قراءة الجمهور ، وورد عن الحسن البصري ويعقوب قراءة النصب ، ينظر : إتحاف الفضلاء (١٣٤) ، الإعراب للنحاس (١٨٣) ، البحر المحيط (١/٢٤٢) .

(٤) بياض في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) طمس في الأصل .

(٦) ينظر لسان العرب (خسأ) والدر المصون (١/٢٥٢) .

أي : باعدته .

قال يحيى : واعتداؤهم : أخذهم الصيدَ في يوم السبت ، وسيأتي تفسيره في سورة الأعراف[١].

﴿فجعلناها نكالاً﴾ أي : عِبْرةً ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة[٢]: يعني : لما سلف من ذنوبهم قبل أن يصيدوا الحيتان ﴿وما خلفها﴾ يعني : ما بعد تلك الذنوب ؛ وهو أخذهم الحيتان .

قال محمد : والهاء التي في « جعلناها » هي على هذا التأويل للفَعْلة . وقيل : المعنى جعلنا قرية أصحاب السبت[٣] ﴿نكالاً لما بين يديها﴾ من القُرى ﴿وما خلفها﴾ ليتَّعظوا بهم . والله أعلم .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...﴾ إلى قوله : ﴿وما كادوا يفعلون﴾ .

قوله ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ قال الحسن : الفَارِضُ : الهَرِمَة ، والبِكْر : الصغيرة ، والعَوَانُ : بين ذلك .

قال محمد : يقال من الفارض : فَرُضَتْ تَفْرُضُ فروضًا[٤].

---

(١) الأعراف : ١٦٣.

(٢) رواه الطبري (٣٣٤/١) .

(٣) وقيل : يعود الضمير على العقوبة ، وقيل : على الأمة . ينظر الدر المصون (٢٥٢/١) .

(٤) ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (فرض) .

قال يحيى : وقوله : ﴿فاقع لونها﴾ يعني : صافية الصُّفرة[١].

قال محمد : وقوله : ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ يعني : إن جنس البقر تَشَابَهَ علينا .

قال يحيى : وقوله : ﴿لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث﴾ تفسير ابن عباس : لا يُحْرَثُ عليها ولا يُسْقَى [عليها][٢].

وقوله : ﴿مسلَّمة﴾ يعني : من العيوب ؛ في تفسير قتادة[٣]. وقوله عز وجل : ﴿لا شية فيها﴾ يعني : لا سواد فيها ، ولا بياض ؛ في تفسير مجاهد[٤].

قال محمد : القراءة ﴿لا شيَةَ﴾ بالنصب[٥] على النَّفْي والوَشْيُ في اللغة : خَلْطُ لَوْنٍ بلون ؛ تقول : وَشَيْتُ الثوبَ أشِيهِ شِيَةً ووشْيًا ؛ فكأن المعنى : لا لون فيها يخالف معظم لونها ؛ وهو الذي أراد مجاهد[٦].

والذلولُ من الدَّواب : الخاضعة ، وهي بَيِّنَةُ الذُّلِّ . والذِّل ضد الصُّعوبةَ ؛ يقال : هذا جَمَلٌ ذلولٌ بَيِّنُ الذِّلِّ ؛ بكسر الذال .

قال يحيى : وقوله عز وجل ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أيْ : بيَّنْتَ ، وقد حدثني سعيد ، عن قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما أُمر القوم بأدنى بقرة ؛ ولكنهم لما شدَّدُوا على أنفسهم ، شُدِّد عليهم ، والذي نفسي بيده ؛ لولم يستثنوا ، ما بُيِّنت لهم »[٧].

---

(١) وقيل : خالص لونها . وقيل : سوداء شديدة السواد . وقيل غير ذلك . ينظر تفسير ابن كثير (١/١١١) كشف المشكلات (١/٥٣) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٧٠) والطبري (١/٣٥٢) وابن أبي حاتم (١/١٤٢ رقم ٧٣٣) .

(٤) رواه الطبري (١/٣٥١) وابن أبي حاتم (١/١٤٢ رقم ٧٣٥) .

(٥) وهي قراءة الجمهور .

(٦) وقيل غير ذلك : ينظر لسان العرب (وشى) .

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١/٣٤٨) من طريق سعيد .

ورواه الطبري في تفسيره (١/٣٤٧ - ٣٤٨) عن ابن جريج مرسلًا .

ورواه الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر عن عكرمة مرسلًا . كما في الدر المنثور (١/٨٣) .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٤١ رقم ٧٢٢) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/١١١) - من =

يحيى : وحدثني المعلّى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « قتل رَجُلٌ عمه ، فألقاه بين قريتين ، فأعطوه ديتين فأبى أن يأخذ ؛ فأتوا موسى فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ، فشددوا فشدد الله عليهم ؛ ولو كانوا اعترضوا البقر أول ما أمروا ، لأجزأهم ذلك »[1].

قال محمد : ومعنى « اعترضوا » : أخذوا منها بغير تخيير .

﴿فادَّارأتم فيها﴾ يعني : أَلْقَى قَتْلَهُ بَعْضُهم على بعض .

قال محمد : ادَّارأتم أصلُه : [تَدَارَأْتُمْ][2]؛ فأُدْغمت التاء في الدال[3]؛ ومعناه : تدافعتم ؛ يقال : دَرَأَ الكوكبُ بضوئه ؛ أي دفع[4].

﴿فقلنا اضربوه﴾ **قال يحيى** : سمعتُ بعضهم يقول : رُمِيَ قبره ببعضها - قال قتادة[5]: يعني : بفخذها - ففعلوا ، فقام فأخبر بقاتله ، ثم مات .

وقال ابن عباس[6]: طلبوها ، فوجدوها عند رجل بَرٍّ بوالديه ، فبلغ ثمنها مِلْءَ مَسْكِها[7] دنانير .

قال يحيى : وذُكِرَ لنا أن وليّه الذي كان يطلب دمه هو [الذي][8] قَتَلَهُ ؛ فلم يُوَرَّثْ بَعْدَهُ قَاتِلٌ .

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ

= طريق عباد بن منصور ، عن الحسن عن أبي رافع ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

قال ابن كثير : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة .

وقال الهيثمي في المجمع (٣١٧/٦) : رواه البزار ، وفيه عباد بن منصور ، وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات .

(١) رواه الطبري (٣٤٧/١) من طريق عثام بن علي عن الأعمش به مختصرًا .

ورواه ابن أبي حاتم (١٣٧/١ رقم ٦٩٣) من طريق السدي عن ابن عباس مختصرًا أيضًا .

(٢) في الأصل : فتدارأتم . والمثبت من « ر » .

(٣) وهذه قاعدة مطردة في كل فعل على وزن « تفاعل » أو « تفعّل » ، فاؤه دال . ينظر الدر المصون (٢٦٢/١) .

(٤) في اللسان والصحاح : درأ الكوكب في مضيه ؛ أي : اندفع .

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٠/١) والطبري (٣٦٠/١) .

(٦) انظر تفسير الطبري (٣٥٥/١) وتفسير ابن أبي حاتم (١٤٥/١ رقم ٧٥٠) .

(٧) أي : جلدها . لسان العرب (مسك) .

(٨) من « ر » .

ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة﴾ **قال يحيى**: يعني بل أشدُّ قسوة[1].

قال محمدٌ: وقيل: إن الألف زائدة، والمعنى فهي كالحجارة وأشدُّ قسوة[2]. ومثل هذا من الشعر(ل١٢):

أَلاَ زَعَمَتْ لَيْلَى [بأني فاجرٌ لنفسي][3] تُقَاهَا أَوْ عليها فُجُورُهَا[4]

قوله - عز ذِكْره - : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه ...﴾ أي: تجري ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ يعني العيون التي لا تكون أنهارًا.

﴿وإن منها لما يهبط من خشية اللَّه﴾ قال مجاهد[5]: كلُّ حجرٍ انفجر منه ماء أو تردى من رأس جبل فهو من خشية اللَّه[6].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ يقول: هذا للنبي ﷺ وللمؤمنين أن يصدِّقوكم؛ يعني: جماعة اليهود؛ لأن الخاصَّة قد تتبع ملته ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللَّه﴾ قال الحسن: يعني:

---

(١) أي: أن «أو» بمعنى «بل» على سبيل الإضراب، وهذا أحد معاني «أو». ولزيادة البيان ينظر مغني اللبيب (١/٧٥ - ٨٠).

(٢) ينظر مغني اللبيب (١/٧٥ - ٨٠) تفسير ابن كثير (١/١١٥).

(٣) بياض في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) البيت من بحر الطويل. ويروى: «وقد زعمت» بدل «ألا زعمت» وقائله: هو تَوْبة. وقد احتج به الكوفيون والأخفش والجرمي على أن «أو» بمعنى الجمع المطلق كالواو. أما المصنف فقد احتج به على أن ألف «أو» زائدة؛ فهي «واو» عنده أصلاً. ينظر: مغني اللبيب (١/٧٥).

(٥) رواه الطبري (١/٣٦٤) وابن أبي حاتم (١/١٤٧ رقم ٧٦٤).
وعزاه السيوطي في الدر (١/٨٦) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٦) ينظر تفسير ابن كثير (١/١١٤).

كتاب الله التوراة ﴿ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ حرفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ ودينه [﴿وهم يعلمون﴾][(١)].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ تفسير الكلبي : أتحدثونهم بما بيَّن الله لكم في كتابكم من أمْرِ نبيِّهم ، ثم لا تتبعونهم ، ولا تدخلون في دينهم ؛ هذه حجةٌ لهم عليكم ﴿أفلا تعقلون﴾ قالوا هذا وهم يتلاومون ﴿أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ مما قال اليهود بعضهم لبعض ﴿وما يعلنون﴾ .

قال محمد : جاء عن ابن عباس ؛ أن هذه الآية نزلت في طوائف من أَحْبَار اليهود ؛ كانوا إذا لَقُوا الذين آمنوا ، قالوا : نشهد أن صاحبكم صَادِقٌ ، وإنا نجد في كتابنا نَعْتَهُ وصفته ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ .

﴿ومنهم أُمِّيُّون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ يعني : أحاديث ما يحدثهم قراؤهم به فيقبلونه ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ أي : هم على غير يقين إن صدقت قراؤهم صدقوا ، وإن كذبت قراؤهم كذبوا .

قال محمد : ارتفع « أميون » بالابتداء ، و « منهم » الخبر[(٢)]. وقد قيل : المعنى استقرَّ منهم أميون[(٣)]، ومن كلامهم : فيك أُمِّيةٌ : أي : جَهَالة ؛ ولذلك قيل للذي لا يكتب : أُمِّيٌّ .

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .
(٢) أي : تقدم الخبر ، وتأخر المبتدأ .
(٣) هذا على رأي الأخفش . ينظر الدر المصون (١/٢٦٨) .

﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا﴾ قال الكلبي : هم أحبار اليهود وعلماؤهم عمدوا إلى نعت النبيّ ﷺ في كتابهم ، فزادوا فيه ، ونقصوا ، ثم أخرجوه لسَفِلَتهم فقالوا : هذا نعت النبي الذي يبعثه الله في آخر الزمان ليس كَنَعْتِ هذا الرجل ، فإذا نظرت السَّفلة إلى محمد ﷺ لم يروا فيه النعت الذي في كتابهم الذي كتبت أحبارهم . وكانت للأحبار مأكلةٌ فقال الله - عز وجل - : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا﴾ يعني : تلك المأكلة ﴿فويلٌ لهم﴾ في الآخرة ﴿مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ .

﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً﴾ قال قتادة[١]: قالت اليهود : لن يدخلنا اللهُ النارَ إلا عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل ؛ أي : إذا انقطعت تلك الأيام ، انقطع عنا العذاب ، قال الله - عز ذكره - للنبي عليه السلام ﴿قل﴾ لهم : ﴿أتخذتم عند الله عهدًا﴾ .

قال محمد : المعنى : عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار ؟!

﴿فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي : إنكم لن تتخذوا عند الله عهدًا ، وإنكم تقولون عليه ما لا تعلمون أنه الحق .

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿بلى من كسب سيئة﴾ السيئة ها هنا : الشرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي : مات ولم يتب من شركه ...الآية .

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ **قال محمدٌ** : « لا تعبدون » جائز أن يكون

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٥١) وابن أبي حاتم (١/١٥٦ رقم ٨١٦) والطبري (١/٣٨١) .

فيه الرفع ؛ على معنى ألا تعبدوا ، فلما سقطتْ « أن » رفع « تعبدون »[١] وكذلك قوله تعالى بعد هذا : ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ الرفع فيه على معنى : ألا [تسفكوا][٢].

﴿وبالوالدين إحسانًا﴾ أي : وصيناهم بالوالدين إحسانًا ﴿وقولوا للناس حسنًا﴾ تفسير الحسن[٣]: يأمرونهم بما أمر الله [به][٢] وينهونهم عما نهى الله عنه .

﴿ثم توليتم﴾ [أي جحدتم][٢] (ل١٣) ﴿إلا قليلاً منكم﴾ القليل يعني : الذين اتبعوا النبي ﴿وأنتم معرضون﴾ [عما][٢] جاء به النبي ﷺ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي : لا يخرج بعضكم بعضًا ﴿ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ .

قال محمد : ثم أقررتم يعني : اعترفتم [فإن هذا][٢] قد أُخذ عليكم في العهد ، وأُخذ على أوائلكُمْ ﴿وأنتم تشهدون﴾ أن هذا حقٌّ .

﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ .

قال محمد : « هؤلاء » بمعنى الذين ، وقد قيل : أراد يا هؤلاء[٤].

﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي : يقتل بعضكم بعضًا ﴿وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ أي : تعاونون عليهم ﴿بالإثم والعدوان﴾ يعني : بالظلم .

---

(١) وفيه وجوه أخر غير هذا . ينظر الدر المصون (١/٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/١٦١ - ١٦٢ رقم ٨٤٦) مطولاً .

(٤) أي : على حذف حرف النداء . وفي الآية وجوه أخر . ينظر الدر المصون (١/٢٨٣ - ٢٨٤) .

﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرَّمٌ عليكم إخراجهم﴾ قال الحسن: نكثوا؛ فقتل بعضهم بعضًا، وأخرج بعضهم بعضًا، وكان الفداءُ مفروضًا عليهم أيضًا، فاختلفت أحكامهم؛ فقال الله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ يعني: الفداء ﴿وتكفرون ببعض﴾ يعني: القتل والإخراج من الدور ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يقوله ليهود المدينة ﴿إلا خزيٌ في الحياة الدنيا﴾ قال الكلبي: الخزي: القتل والنفي؛ فَقُتِلت قريظة، ونُفِيت النضير؛ أخزاهم الله بما صنعوا.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ تفسير الحسن: يعني: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ أي: أتبعناه بهم ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ قال الكلبي: يعني: الآيات التي كان يريهم عيسى عليه السلام ﴿وأيَّدناه﴾ أعنَّاه ﴿بروح القدس﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

قال محمد: أصل القدس: الطهارة.

﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾ فلما قال لهم النبيُّ عليه السلام هذا سكتوا، وعرفوا أنه وحيٌ من الله عيَّرهم بما صنعوا، فقالوا: يا محمد ﴿قلوبنا غُلفٌ﴾ لا نعقل ولا نفقه ما تقول، وكانت أوعيةً للعلم، فلو كنت صادقًا سمعنا ما تقول.

قال محمدٌ: تُقرأ على وجهين: «غُلْفٌ وغُلُفٌ»[1]. وأجود القراءتين: «غُلْفٌ» بتسكين اللام، ومعناها: ذوات غُلْفٍ، الواحد منها: أَغْلَفُ؛ يقال: غلفْتُ السيف؛ إذا جعلته في غلاف، فهو سيف أغلف، ومنه يقال لمن لم يختتن: أغلفُ. فكأنهم قالوا: قلوبنا في أوعية مثل قولهم:

(١) القراءة بتسكين اللام قراءة الجمهور، وقد جوَّدها المصنف، والقراءة بضمها قراءة ابن عباس، ورويت عن أبي عمرو. ينظر: الدر المصون (١/٢٩٥ - ٢٩٦).

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[1].

ومن قرأ « غُلُفٌ » فهو جمع غلاف ؛ فيكون معنى هذا : أن قلوبنا أوعيةٌ للعلم فما لها لا تفهم عنك؟!

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ولما جاءهم كتاب من عند اللَّه مصدقٌ لما معهم﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال قتادة[2]: كانت اليهود تستنصر بمحمدٍ ﷺ على كفَّار العرب ، كانوا يقولون اللهم ائتِ بهذا النبيِّ الذي يقتُل العرب ويذلهم ، فلما رأوا أنه من غيرهم حسدوهم ، وكفروا به . قال اللَّه - تعالى - : ﴿فلعنة اللَّه على الكافرين﴾ .

قال محمد : الاستفتاح ها هنا بمعنى الدعاء ، والفُتَاحَةُ أيضًا الحكومة ، يقال : فِتاحة وفُتاحة بكسر الفاء وبضمها[3]، وفاتحت الرجل : إذا حاكمته .

﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم﴾ أي : بئس ما باعوا به أنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل اللَّه بغيًا﴾ حَسَدًا ﴿أن ينزل اللَّه من فضله على من يشاء من عباده﴾ .

قال يحيى : وكل شيءٍ في القرآن « اشتروا »[4] فهو شراء ، إلا هذه الآيةِ ، وكل شيء في القرآن ﴿شَرَوْا﴾ فهو بيعٌ .

قال محمد : ﴿بغيًا﴾ مصدر[5] المعنى : كفروا بغيًا لأن أنزل اللَّه الفَضْلَ على نبيه ﷺ ﴿فباءوا

---

(١) فصلت : ٥.

(٢) رواه عبد الرزاق (٥٢/١) والطبري (٤١١/١) وابن أبي حاتم (١٧١/١ رقم ٩٠٤) .

(٣) وتُفتح الفاء أيضًا . وقيل : معنى الاستفتاح : طلب النصرة . ينظر : مختار الصحاح ، ولسان العرب (فتح) .

(٤) الفعل « اشترى » من الأضداد ، يأتي بمعنى « اشترى » و « باع » وكذلك الفعل « شرى » . لسان العرب (شرى) .

(٥) وفيه وجوه أخر . ينظر الدر المصون (٣٠٠/١ - ٣٠١) .

بغضب على غضب﴾ قال قتادة[١]: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل، وغضب عليهم [بكفرهم][٢] بالقرآن .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نُؤمِنُ بما أُنزِلَ علينا ويكفرون بما وراءه﴾ (ل ١٤) بما بعده ؛ يعني الإنجيل والقرآن (...)[٣] ﴿وهو الحق﴾ يعني : القرآن ﴿مصدقًا لما معهم﴾ أي : التوراة والإنجيل .

قال محمد : نصب ﴿مصدقًا﴾ على الحال ، وهذه حال مؤكدة[٤].

قوله تعالى : ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنت مؤمنين﴾ وكان أعداء الله يقولون : [إن][٥] آباءهم الذين قتلوا أنبياء الله من قبل [وليس فيما][٦] أنزل الله عليهم قتل أنبيائهم فكذَّبهم الله في قولهم ﴿نؤمن بما أنزل علينا﴾ وهو تفسير الحسن .

---

(١) رواه الطبري (٤١٧/١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٩٤/١) لعبد بن حميد أيضًا .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

(٣) طمس في الأصل بمقدار كلمة .

(٤) ينظر الدر المصون (٣٠٣/١) .

(٥) سقطت من الأصل . وينظر تفسير ابن كثير (١٢٦/١ - ١٢٧) .

(٦) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعني : أوّليهم ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ .

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي : واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قد مضى تفسيره[١] ﴿واسمعوا﴾ قالوا : ﴿سمعنا وعصينا﴾ سمعنا ما تقول ، وعصينا أمرك . قال : ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ .

قال محمد : المعنى : أُدْخِلَ في قلوبهم[٢]؛ كذلك قال ابن عباس . ومن كلام العرب : اشرب عني ما أقول ؛ أي : اقبله وَعِهِ .

قال يحيى : قال الحسن : ليس كلهم تاب . وقيل : فالذين لم يتوبوا هم الذين بقي حب العجل في قلوبهم ؛ وهم الذين قال الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[٣].

﴿قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي : لو كان الإيمان في قلوبكم ، لحجزكم عن عبادة العجل . ثم رجع إليهم لقولهم : ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٤] ولقولهم : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[٥] وأشباه ذلك فقال : ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أنكم من أهل الجنّة ﴿ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم﴾ يعني : بما أسلفوا من الأعمال الخبيثة ؛ لأنهم يعلمون أنهم معذّبون ؛ يعني به الخاصة الذين جحدوا وكفروا حسدًا وبَغْيًا .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

---

(١) ينظر تفسير الآية (٦٣) من سورة البقرة .

(٢) وقال الزجاج : وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ؛ قال : معناه : سقوا حُبَّ العجل فحذف « حب » وأقيم العجل مقامه . ينظر لسان العرب (شرب) ، الدر المصون (٣٠٥/١) .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٢.

(٤) البقرة : ١١١.

(٥) البقرة : ٨٠.

﴿ولتجدنَّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمَّر ألف سنةٍ﴾ قال ابن عباس[١]: الذين أشركوا هم المجوس، وذلك أن المجوس كانوا يأتون الملك بالتحية في النَّيْروز والمِهْرجان[٢]، فيقولون له: عِشْ أيها الملك ألف سنة كلها مثل يومك هذا.

قال الله - عز وجل - : ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّرَ﴾ أي: ما عُمْرُهُ بمُبَاعِدِهِ من العذاب.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ يعني: نزل القرآن ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ من كتب الله - عز وجل.

قال قتادة[٣]: ذُكِرَ لنا أن عمر بن الخطَّاب أتى نفرًا من اليهود، فلما أبصروه رحَّبوا به؛ فقال: أما والله ما جئت لحبكم، ولا لرغبةٍ فيكم، ولكن جئتُ لأسمع منكم. فسألهم وسألوه؛ فقالوا له: من صاحب صاحبكم؟ قال: جبريل. قال: قالوا: ذاك عدوُّنا من أهل السماء يُطْلِعُ محمدًا على سرنا؛ وهو إذا جاء جاء بالحرب والسَّنةِ[٤]، وكان صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء

---

(١) روى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨/١ رقم ٩٤٦) عن ابن عباس قال: هم الأعاجم.
وروى سعيد بن منصور في تفسيره (٥٧٣/٢ رقم ٢٠١) والطبري (٤٣٠/١) وابن أبي حاتم (١٧٩/١ رقم ٩٤٨) والحاكم (٢٦٣/٢) واللفظ له عن ابن عباس قال: «هو قول أحدهم لصاحبه: هزار سال سرور مهرجان بخور». قال محقق المستدرك: يعني: تمتع ألف سنة كمثل عيد مهرجان.

(٢) النيروز هو أكبر الأعياد القومية للفرس، ويقال فيه أيضًا: النَّوْروز، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق الحادي والعشرين من مارس من السنة الميلادية. ينظر المعجم الوسيط (نورز، نيرز).
والمهرجان: كلمة فارسية أيضًا مركبة من كلمتين: الأولى: مِهْر. ومن معانيها الشمس، والثانية: جان. ومن معانيها الحياة أو الروح. وعيد المهرجان هو احتفال الاعتدال الخريفي عندهم. ينظر المعجم الوسيط (مهرج).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٤٣٤/١).

(٤) السَّنة: الجدب والقحط. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (سنة).

بالحَصْبِ وبالسِّلْم . فقال عمر : أتعرفون جبريل ، وتنكرون محمدًا؟ وفارقهم عند ذلك وتوجّه نحو النبي ﷺ ليحدثه حديثه ؛ فوجده قد نزلت عليه هذه الآية .

وفي رواية الكلبي : أن اليهود قالت : إن جبريل عدوٌّ لنا ، فلو أن محمدًا يزعم أن ميكائيل الذي يأتيه صدقناه ، وإن جبريل عدوٌّ لميكائيل ؛ فقال عمر : إني أشهد أن من كان عدوًّا لجبريل ، فإنه عدوٌّ لميكائيل .

قوله تعالى : ﴿أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه﴾ أي : نقضه ﴿فريق منهم﴾ يعني : اليهود ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ كقوله : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعني : محمدًا ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ أي : لا يعملون به ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أي : كأنهم ليس عندهم [من الله فيه عهدًا][2].

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

(ل١٥) قوله تعالى : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ يقول : نبذوا كتاب الله ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان .

قال محمد : « تتلوا » ؛ أي : تروي التلاوة والرواية شيء واحد .

---

(١) البقرة : ٨٨.

(٢) طمس في الأصل والمثبت من « ر » .

قوله : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ قال الكلبي : لما ابتلى الله - عز وجل - سليمان عليه السلام بما كان من أَمْرِ الشيطان[١]، كتبت الشياطين سحرًا كثيرًا ، ودفنوه تحت كرسيه ، ثم لما قبض الله سليمان أتت الشياطينُ إلى أوليائهم من الإنس ، فقالوا : ألا ندلُّكم على ما كان سليمان يملك به الإنس ، وتدين له به الجن ، وتسخر له [به][٢] الرياح؟ قالوا : بلى . قالوا : احفروا تحت كرسيه ، ففعلوا واستخرجوا كتبًا كثيرة ، فلما قرءوها فإذا هي الشركُ بالله ؛ فقال صلحاءُ بني إسرائيل : معاذ الله من هذا أن نتعلمه ، وتعلمه سَفِلَةُ بني إسرائيل [وفشت الكلمة][٣] لسليمان في بني إسرائيل حتى عذره الله على لسان محمدٍ ﷺ ، فقال : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين﴾ يقول : اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، واتبعوا ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت .

قال قتادة[٤]: السحر سحران : سحرٌ تعلمه الشياطين ، وسحر يعلمه هاروت وماروت .

وقال الحسن : إن الملكين ببابل إلى يوم القيامة ، وإن من عزم على تعلُّم السحر ، ثم أتاهما سمع كلامهما ، من غير أن يراهما .

وقال مجاهد[٥]: عجبت الملائكة من ظلم بني آدم ؛ وقد جاءتهم الرسل ، فقال لهم ربهم : اختاروا منكم اثنين أُنزلهما يحكمان في الأرض ، فكانا هاروت وماروت ، فحكما فعدلا ؛ حتى نزلت عليهما الزُّهَرة في صورة أحسن امرأة تخاصم [زوجها][٦] فافْتَتَنَا بها وأراداها على نفسها فطارت الزهرة ؛ فرجعت حيث كانت ، ورجعا إلى السماء فَزُجِرا فاستشفعا برجل من بني آدم ،

---

(١) لعله يشير إلى ما يذكر من القصص الإسرائيلية المنكرة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ (ص : ٣٤) وستأتي أقوال أهل العلم في بيان نكارة هذه الإسرائيليات وأنها لا تليق بمنصب النبوة عند تفسير هذه الآية ، والله أعلم .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) هكذا في الأصل ، « ر » ، ولعل المراد - والله أعلم - السِّحر ، أي فشا السحر ، ونُسِب إلى سيدنا سليمان في بني إسرائيل ، حتى عذره الله على لسان سيدنا محمد ﷺ . ينظر تفسير ابن كثير (١/١٩٢ - ١٩٥) .

(٤) رواه الطبري (١/٤٥٣) .

(٥) رواه الطبري (١/٤٥٨ - ٤٥٩) وابن أبي حاتم (١/١٩٢ رقم ١٠٠٩) .

(٦) ليس في الأصل والمثبت من «ر» .

فقالا : سمعنا ربك يذكرك بخير ، فاشفع لنا ، فقال لهما : كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ ثم واعدهما يومًا يدعو لهما فيه فدعا لهما فخُيِّرا بين عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة ، فنظر أحدهما إلى الآخر ، فقال : ألم تعلم أن أَفْواجَ عذاب اللَّه في الآخرة كذا وكذا ، وفي الخلد أيضًا؟ فاختارا عذاب الدنيا ؛ فهما يُعَذَّبان ببابل .

قال محمد : وقد ذكر يحيى عن غير مجاهد ؛ أن المرأة التي افْتُتِنَا بها كانت من نساء أهل الدنيا . واللَّه أعلم[1].

﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة﴾ أي : بلاء ﴿فلا تكفر﴾ .

قال محمدٌ : قوله ﴿فتنة﴾ معناه : ابتلاء واختبار ؛ وهو الذي أراد يحيى .

قال قتادة[2]: أخذ عليهما ألا يعلما أحدًا حتى يقولا له : إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر ﴿فيتعلَّمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يُبَغِّضَ كُلَّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ﴿وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن اللَّه﴾ قال الحسن[3]: من شاء اللَّه سلَّطهم عليه ، ومن شاء منعهم منه ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ يعني : لمن اختاره ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ يعني : نصيبًا في الجنة ، قال قتادة[4] قد علم أَهْلُ الكتاب في عهد اللَّه إليهم أن الساحر لا خلاق له عند اللَّه يوم القيامة ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي : ما باعوها به ﴿لو كانوا يعلمون﴾ قال الحسن : لو كانوا علماء أتقياء ، ما اختاروا السحر .

---

(١) قصة هاروت وماروت من الإسرائيليات ، قال ابن كثير في تفسيره (١/١٤١) : وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد اللَّه تعالى ...واللَّه أعلم بحقيقة الحال .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٥٣) والطبري (١/٤٦١) وابن أبي حاتم (١/١٩٢ رقم ١٠١٢) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/١٩٣ رقم ١٠١٨) .

(٤) رواه الطبري (١/٤٦٤) وابن أبي حاتم (١/١٩٥ رقم ١٠٢٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/١٠٩) لعبد بن حميد فقط .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله﴾ يعني : الثواب يوم القيامة ﴿خيرٌ لو كانوا يعلمون﴾ أي : لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك واتقوا ، ولا يوصف الكفار بأنهم علماء .

قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ قال الكلبي : راعنا كلمةٌ كانت العرب (تكنى بها)[١]؛ يقول الرجل لصاحبه : راعني سمعك ؛ فلما سمعتهم اليهودُ يقولون هذا للنَّبي (ل١٦) ﷺ أعجبهم ذلك ، و « راعني » في كلام اليهود كلمة يَسُبُّ [بها بعضهم بعضًا][٢] فقالوا : كنا نسب محمدًا سرًّا فالآن فأعلنوا له السب ، فكانوا يأتونه ، فيقولون : يا محمد راعنا . ويضحكون ، فعرفها رجل من الأنصار كان يعرف لغتهم ، فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنةُ الله ، والذي نفسي بيده لئن سمعت رَجُلاً منكم بعد مجلسي هذا يعيدها لأضربن عنقه . فقالوا : أولستم تقولونها للنبي؟! فقال الله للذين آمنوا : ﴿لا تقولوا﴾ لمحمد : ﴿راعنا﴾ ولكن قولوا : ﴿انظرنا﴾ ؛ أي : انتظرنا نتفَّهم . فقال المؤمنون : الآن فمن سمعتموه من اليهود يقول لنبيكم : راعنا . فأوجعوه ضربًا . فانتهت عنها اليهودُ بعد ذلك .

قال محمد : وذكر غير يحيى ؛ أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : راعِنا وأرْعِنا سمْعَك ، وأصل الكلمة من راعيت الرجلَ ؛ إذا تأمَّلته ، وتعرَّفت أحواله [ومنه يقال : أرعني سمعك][٣]. وكانت اليهود يقولونها لرسول الله ﷺ وهي بلغتهم سبٌّ ، ويحرفونها إلى ما في قلوبهم من السَّبِّ لرسول الله ﷺ والطَّعْن عليه .

قوله تعالى : ﴿واسْمَعُوا﴾ يعني : واستمعوا ما يأمركم به رسول الله ﷺ ولا تكونوا كالكافرين الذين لا يقولون : انظرنا ، ولا يسمعون قول رسول الله ﷺ ﴿عذاب أليم﴾ أي : موجعٌ .

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن

---

(١) في « ر » : يتكلمون بها .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) من «ر» . وينظر : اللسان ، القاموس المحيط (رعى) ، الدر المصون (١/٣٣١ - ٣٣٢) .

رَبِّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ أي: ولا من المشركين ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعني: الوحي الذي يأتي رسول الله ﷺ لا يسرهم ذلك؛ حسدًا لرسول الله وللمؤمنين.

قال محمد: قوله: ﴿من خير من ربكم﴾ دخلت «من» ها هنا على جهة التوكيد والزيادة؛ كما تقول: ما جاءني من أحدٍ، وما جاءني أحدٌ[1].

﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ قال الحسن[2]: يعني: النبوة.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية﴾ أي: نبدل حكمها، ونثْبِتْ خطَّها: ﴿أو نُنسها﴾ قال قتادة[3]: يعني: ننسها رسوله؛ وقد نسي رسول الله ﷺ بَعْضَ ما كان نزل من القرآن، فلم يثْبُتْ في القرآن.

قال يحيى: وتقرأ ﴿أو ننسأها﴾ مهموزة[4]؛ أي: نؤخرها؛ فلم تثبت في القرآن ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ يقول: هذه الآية الناسخة خير في زماننا هذا لأهلها، وتلك الأولى المنسوخة خير لأهلها في ذلك الزمان، وهي مثلها بَعْدُ في حقها وصدقها.

---

(١) وذلك على رأي سيبويه وأتباعه. أما الكوفيون والأخفش فلا يقولون بهذا، وقيل: (من) ها هنا للتبعيض. الدر المصون (٣٣٣/١).

(٢) روى ابن أبي حاتم (١٩٩/١ رقم ١٠٥٢) عن الحسن قال: رحمته الإسلام، يختص بها من يشاء.

(٣) انظر تفسير الطبري (٤٧٦/١) والدر المنثور (١١١/١).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ومجاهد، وابن محيصن ورويت عن عمر وابن عباس وأُبي. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٥)، السبعة (١٦٨)، التيسير (٧٦)، النشر (٢١٩/١)، البحر (٣٤٣/١).

﴿ألم تعلم أنَّ اللَّه على كل شيء قدير ألم تعلم أن اللَّه له ملك السمـوات والأرض﴾ فهو يحكم فيهما بما يريد ﴿وما لكم من دون اللَّه من ولي ولا نصير﴾ يمنعكم إن أراد بكم عذابًا .

قال محمد : قوله : ﴿ألم تعلم﴾ لفظ : ﴿ألم﴾ ها هنا لفظ الاستفهام ؛ ومعناه : التوقيف والتقرير[1]؛ ومعنى الآية : أن اللَّه - عز وجل - يملك السمـوات والأرض ومن فيهنّ ؛ فهو أعلم بِوَجْهِ الصلاح فيما يتعبّدهم به من ناسخٍ ومنسوخٍ ، وغير ذلك .

قوله تعالى : ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ قال قتادة[2]: كان الذي سألوا موسى أن قالوا : ﴿أرنا اللَّه جهرة﴾[3].

﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ [أي : قصد][4] الطريق .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب﴾ يعني : من لم يؤمن منهم ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حَسَدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبينَّ لهم﴾ يعني : أن محمدًا رسول اللَّه ، وأن دينه الحق ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ .

قال محمد : قوله تعالى : ﴿حسدًا من عند أنفسهم﴾ المعنى : أن كتابهم أمرهم بما هم عليه [من الشرك][5] وبَيَّنَ ذلك قوله تعالى : ﴿من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي اللَّه بأمره إن اللَّه على كل شيء قدير﴾ (ل١٧) قال قتادة[6]: كانت هذه الآية قبل أن يؤمروا بقتال أهل

---

(١) الدر المصون (١/٣٣٨) .

(٢) رواه الطبري (١/٤٨٣) .

(٣) النساء : ١٥٣.

(٤) غير واضحة في الأصل والمثبت من «ر» . والمراد : وسط أو أعدل الطريق .

(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٥٥) والطبري (١/٤٩٠) .

الكتاب ؛ ثم أنزل اللَّه بعد ذلك سورة براءة ، وأتى فيها بأمره وقضائه ؛ وهو : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ الآية[١].

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾ قالت اليهود : لن يدخل الجنَّة إلا من كان يَهُودِيًّا ، وقالت النَّصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا ، قال اللَّه - تعالى - : ﴿تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم﴾ قال الحسن : يعني : حجتكم ثم كذَّبهم ، وأخبر تعالى أن الجنة إنما هي للمؤمنين ؛ فقال : ﴿بلى من أسلم وجهه للَّه﴾ أي : أخلص دينه لِلَّه ﴿وهو محسنٌ﴾ [فله أجره ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا][٢] الآية .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيءٍ وقالت النصارى ليست اليهود على شيءٍ وهم يتلون الكتاب﴾ يعني : التوراة والإنجيل ؛ أي : فكيف اختلفوا وتفرقوا [في الكتاب][٣]، والكتاب واحِدٌ جاء من عند اللَّه يصدِّقُ بعضُه بعضًا .

﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ .

قال محمد : يعني من كذب من الأمم : أمة نوح وعاد وثمود وغيرهم ؛ أي : إن هؤلاء أيضًا قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ؛ فيما ذكر ابن عباس .

= وعزاه السيوطي في الدر (١/١١٤) لعبد بن حميد وابن جرير .

(١) التوبة : ٢٩.

(٢) سقط من الأصل ، وأُثبت من « ر » .

(٣) سقط من الأصل ، وأُثبت من « ر » .

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

قال يحيى : فيكون حكمه فيهم أن يكذبهم جميعًا ، ويدخلهم النار .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله ...﴾ الآية تفسير الكلبي : أن الروم غزوا بني إسرائيل ، فحاصروهم فظهروا عليهم ، فقتلوا مقاتلتهم ، وسَبَوْا ذَرَاريهم ، وأحرقوا التَّوْراة ، وهدموا بيت المقدس ، وألقوا فيه الجِيَفَ فلم يُعْمَرْ ؛ حتى بناه أهل الإسلام ؛ فلم يدخله رومي بَعْدُ إلا خائفًا ﴿لهم في الدنيا خِزْيٌ﴾ وهو : فتح مدينتهم روميّة[1]، وقتل مُقَاتلتهم ، وسبي ذراريهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ .

قوله تعالى : ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ .

قال محمد : المعنى هو : خالقهما ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال بعضهم : يعني : فَثَمَّ[2] قبلةُ الله .

يحيى : عن أشعث ، عن عاصم بن عُبيد الله العمري ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه « أن رسول الله ﷺ [كان][3] في سفر فنزلوا منزلاً في ليلةٍ ظلماء ، فجعل أحدهم يجمع الحَصْباء[4]، فيجعلها مسجدًا فيصلي ، فلما أصبحوا ؛ إذا هم لغير القبلة ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ولله المشرق والمغرب ...﴾ الآية »[5].

---

(١) وهي مدينة رياسة الروم وعلمهم . معجم البلدان (١١٣/٣) .

(٢) ظرف مكان بمعنى هناك . اللسان ، القاموس المحيط (ثمم) .

(٣) في الأصل : كانوا . والمثبت من « ر » .

(٤) الحصباء : صغار الحجارة . اللسان والقاموس (حصب) .

(٥) رواه أبو داود الطيالسي (١٥٦رقم ١١٤٥) وعبد بن حميد (١٣٠ رقم ٣١٦) والترمذي (١٧٦/٢ رقم ٣٤٥، ٥/ ١٨٨رقم ٢٩٥٧) وابن ماجه (٣٢٦/١ رقم ١٠٢٠) والطبري في تفسيره (٥٠٣/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١١ رقم ١١٢٠) والعقيلي في الضعفاء (٣١/١) والدارقطني في سننه (٢٧٢/١ رقم ٥ - ٧) والبيهقي في سننه =

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

قوله تعالى : ﴿وقالوا اتخذ اللّٰه ولدًا سبحانه﴾ ينزّه نَفْسَهُ عما يقولون ﴿بل له ما في السمٰوات والأرض كلٌّ له قانتون﴾ قال الحسن : كلٌّ له قائم بالشهادة ، بأنه (عبدٌ)[1] ﴿بديع السمٰوات والأرض﴾ أي : ابتدعهما بغير مثالٍ ﴿وإذا قضى أمْرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ .

قال محمد : قوله ﴿كن فيكون﴾ المعنى : فهو يكون .

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ وهم مشركو العرب ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿يكلمنا اللّٰه أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ يعني : قول قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[2] وما سألوا من الآيات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الكفر مثل قوله : ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾[3] ﴿قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون﴾ يصدِّقون .

قال محمد : يعني الآيات التي أتي بها صلواتُ اللّٰه عليه في نحو انشقاق القمر[4]؛ وغير ذلك من آياته .

= (١١/٢) وغيرهم من طريق أشعث - وهو أبو الربيع السمان - به .

وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بذاك ، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان ، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يُضعف في الحديث .

وقال العقيلي : وأما حديث عامر بن ربيعة فليس يُروى من وجه يثبت متنه .

وقال ابن كثير (١٥٨/١) بعد أن نقل كلام الترمذي : وشيخه عاصم أيضًا ضعيف ، قال البخاري : منكر الحديث .

وقال ابن معين : ضعيف لا يُحتج به . وقال ابن حبان : متروك . واللّٰه أعلم .

(١) في «ر» : عبد اللّٰه .

(٢) النساء : ١٥٣.

(٣) التوبة : ٣٠.

(٤) انشقاق القمر ثابت في القرآن في قول اللّٰه تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر : ١] وهو متواتر في السنة المطهرة . انظر فتح الباري (٦٧٣/٦ - ٦٧٤) .

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا﴾ بشيرًا بالجنّة ، ونذيرًا من النار ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ من قرأها « تَسْأَل »[١] بفتح التاء تفسير بعضهم فإن النبيَّ ﷺ سأل عن أبيه فأنزل الله – عز وجل – ﴿ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم﴾[٢] وهي تُقْرأ على وجه آخر ﴿ولا تُسْأَلُ[٣] عن أصحاب الجحيم﴾ أي : لا تُسْأَلُ عنهم إذا أقمت عليهم [الحجة] .

(ل١٨) قوله تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى﴾ يعني بذلك العامَّة منهم ﴿حتى تتبع ملَّتهم﴾ .

﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ ؛ يعني : الإسلام الذي أنت عليه .

﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ يثبته بذلك ؛ وقد علم جَلَّ جلاله أنه لا يتبع أهواءهم .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

---

(١) وهي قراءة نافع ويعقوب ، ورويت عن ابن عباس وأبي جعفر الباقر . ينظر : إتحاف الفضلاء (١٤٦) ، التيسير (٧٦) ، الحجة (٨٧) ، السبعة (١٦٩) .

(٢) وروى عبد الرزاق في تفسيره (٥٩/١) والطبري في تفسيره (٥١٥/١ - ٥١٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٧/١ رقم ١١٥١) وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال : « كان النبي ﷺ يسأل عن أبيه فأنزل الله – عز وجل – ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ » واللفظ لابن أبي حاتم .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٧/١) : لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وقال : قلت : هذا مرسل ضعيف الإسناد .

وروى الطبري في تفسيره (٥١٦/١) عن داود بن أبي عاصم نحوه . قال السيوطي : معضل الإسناد ضعيف ، لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة .

(٣) وهي قراءة الجمهور . ينظر : إتحاف الفضلاء (١٤٦) ، التيسير (٧٦) ، الحجة (٨٧) .

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ قال قتادة[١]: هم أصحاب نبي الله آمنوا بكتاب الله، وأحلوا حلاله، واجتنبوا حرامه، وعملوا بما فيه.

قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني: عالَم زمانهم ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾ أي: لا تُغْني ﴿ولا يقبل منها عدلٌ﴾ أي: فداء ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾ أي: إن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ﴿ولا هم ينصرون﴾ يعني: يمنعون من العذاب.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ ابتلى﴾ اختبر ﴿إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ عمل بهن؛ تفسير ابن عباس[٢] هي: المناسك.

﴿قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ قال الكلبي: يعني: يُقْتَدَى بهديك وسُنَّتك، فأعجبَ ذلك إبراهيم ﴿قال ومن ذُريتي﴾ أي: ومن كان من ذُرِّيتي فليكن إمامًا [لغير][٣] ذريتي قال الله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ من ذرِّيتك؛ أي: أن أجعلهم أئمة يُقْتَدى بهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس﴾ قال الحسن[٤]: يعني: يثُوبون إليه كل عام.

قال محمد: قوله ﴿مثابة﴾ أي: معادًا؛ تقول: ثُبْتُ إلى كذا [وأثبت إلى كذا][٥]؛ أي: عُدْتُ إليه، وثاب إليه جسْمُهُ بعد العلة؛ أي عاد.

---

(١) رواه الطبري (٥١٨/١، ٥٢٠ - ٥٢١) وابن أبي حاتم (٢١٨/١ رقم ١١٦١).

وعزاه السيوطي في الدر (١١٧/١) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) رواه الطبري (٥٢٦/١) وابن أبي حاتم (٢٢١/١ رقم ١١٦٩) والحاكم (٥٦٠/٢). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وشواهده كثيرة.

وعزاه السيوطي في الدر (١١٨/١) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر أيضًا.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٥/١).

(٥) من «ر».

قوله تعالى : ﴿وأمنًا﴾ قال الحسن : كان ذلك في الجاهلية ؛ كان الرجل إذا جَرَّ جريرةً ، ثم لجأ إلى الحرم لم يُطْلَبْ ، ولم يُتَنَاوَلْ[١] فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من حَدٍّ يجب عليه ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ يعني : موطئ قدميه .

يحيى : عن حماد ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ؛ أن عمر بن الخطاب قال : « يا رسول الله ؛ لو صلينا خلف المقام . فأنزل الله : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ »[٢].

قال محمد : قراءة يحيى : ﴿واتخِذوا﴾ بكسر الخاء ، وقرأ بعض القُرَّاء : ﴿واتَّخَذوا﴾ بفتح الخاء[٣]؛ ومعناها : أن الناس اتخذوا هذا .

يحيى : عن حماد ، عن الحجاج بن أرطأة ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن أُبَيِّ بن كعب قال : « المقام جاء به (مَلَكٌ)[٤] فوضعه تحت قدم إبراهيم » .

يحيى : عن حماد ، وحدثني الحجاج ، عن مولًى لبني هاشم ، عن ابن عباس قال : « الحجر والمقام ياقُوتَتَان من ياقوت الجنَّة »[٥].

قوله تعالى : ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتي﴾ قال قتادة[٦]: أي : من عبادة

---

(١) أي : لم يُقَمْ عليه الحدُّ .

(٢) رواه الترمذي (١٨٩/٥ - ١٩٠ رقم ٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة به . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
ورواه البخاري (٦٠١/١ رقم ٤٠٢) من طريق حميد به .

(٣) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، وقرأ الباقون بكسرها .
ينظر : إتحاف الفضلاء (١٤٧) ، السبعة (١٦٩) ، النشر (٢٢٢/٢) ، البحر (٣٨٤/١) .

(٤) في « ر » : ملك الموت . والأثر رواه الفاكهي في أخبار مكة (٤٤١/١ رقم ٩٦٤) من طريق حماد بن سلمة به بلفظ : « إن جبريل عليه السلام جاء بالمقام حتى وضعه تحت رجل إبراهيم عليه السلام » .

(٥) رواه الفاكهي في تاريخ مكة (٤٤٤/١ رقم ٩٦٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس .
ورواه الفاكهي أيضًا (٤٤٤/١ رقم ٩٧٠) من طريق مجاهد عن ابن عباس .
وله شاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا «إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة» ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٤٠/٣) أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان ، وفي إسناده رجاء أبو يحيى ، وهو ضعيف ، قال الترمذي : حديث غريب ، ويروى عن عبد الله بن عمرو موقوفًا . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه وقفه أشبه والذي رفعه ليس بقوي .

(٦) رواه الطبري (٥٣٩/١) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢٨/١) لعبد بن حميد أيضًا .

الأوثان، وقول الزور والمعاصي.

﴿للطائفين والعاكفين﴾ تفسير ابن عباس[١]: الطائفون: الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون: القُعُود حوله ينظرون إليه ﴿والركع السجود﴾ الذين يصلون إليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات﴾ قال الكلبي: يحمل [إليه][٢] من الآفاق.

قوله تعالى: ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر ...﴾ الآية قال الحسن: لما قال إبراهيم: ﴿رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ قال الله تعالى: إني مُجيبك، وأجعله بلدًا آمنًا لمن ﴿آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر﴾ يوم القيامة ﴿ومن كفر﴾ فإني أمتعه ﴿قليلا﴾ وأرزقه من الثمرات، وأجعله آمنًا في [هذا][٣] البلد؛ وذلك إلى قليل؛ يعني إلى خروج محمد وذلك أن الله - عز وجل - أمر محمدًا أن يخرجهم من الحرم؛ وهو المسجد الحرام.

قال: ﴿ثم أضطره﴾ عند الموت ﴿إلى عذاب النار وبئس المصير﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ يعني: بنيانه.

= وروى عبد الرزاق (٥٨/١) والطبري (٥٣٩/١) عن قتادة في تفسير هذه الآية قال: من الشرك وعبادة الأوثان.

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٢٨/١ رقم ١٢٠٨، ١٢١٢، ٢٢٩/١ رقم ١٢١٦) مفرقًا.

(٢) في الأصل: إليها. والمثبت من «ر».

(٣) من «ر».

قال محمد : قواعد البيت : أساسُهُ ؛ واحدها : قاعدة وأما قواعد [النساء[1] فواحدها : قاعد ، وهي العجوز][2].

(ل١٩) قوله تعالى : ﴿ومن ذرِّيتنا أمةً﴾ يعني : جماعة ﴿مسلمةً لك﴾ ففعل اللَّه ذلك .

﴿وأرنا مناسكنا﴾ أي : عَلِّمنا . قال قتادة[3]: المناسكُ : الطواف بالبيت ، والسَّعْي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، والإفاضة منها ، والوقوف بجمع ، والإفاضة منها ، ورمي الجمار .

قال الحسن : إن جبريل أرى رسولَ اللَّه ﷺ المناسك كلها ، ولكنه أَضَلَّ عن إبراهيم ﷺ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ يعني : في ذريته ﴿رسولاً منهم﴾ فاستجاب اللَّه له ، فبعث محمدًا ﷺ في ذرية إبراهيم يعرفون وَجْهَهُ[4] ونَسَبَهُ .

﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ قال قتادة[5]: الكتاب : القرآن ، والحكمة : السُّنَّة ﴿ويزكيهم﴾ قال بعضهم يعني : يأخذ صدقاتهم ؛ وهي الطهارة ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ العزيز في نقمته ، الحكيم في أمره .

قوله تعالى : ﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ أي : عجز رأيه عن النَّظر لنفسه ، فَضَلَّ .

قال محمد : وقيل : المعنى : إلا من سفهت نفسُه ؛ أي : جهلت .

قوله تعالى : ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ أي : اخترناه ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ وهم أهل الجنة .

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ...﴾ الآية [النور : ٦٠] .

(٢) بياض في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطبري (١/٥٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/١٤٦) لعبد بن حميد فقط .

(٤) أي : حقيقته .

(٥) رواه الطبري (١/٥٥٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/١٤٦) لعبد بن حميد أيضًا .

اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أخلص .

قوله تعالى : ﴿وأوصى[1] بها إبراهيم بنيه﴾ يعني : كلمة التوحيد ﴿ويعقوب﴾ أي : وأوصى بها أيضًا يعقوب بنيه بعد إبراهيم قال : ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي : اختار لكم الإسلام ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي : لم تكونوا يومئذٍ حضورًا ؛ خاطب بهذا من كان حَوْلَ النبيِّ ﷺ من بني إسرائيل ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون﴾ أيَّ شيءٍ تعبدون ﴿من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ وكان (الحسن)[2] يقرؤها : « نعبد إلهك وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل »[3] أي : وإله إسماعيل وإسحاق .

قال محمد : من قرأ بهذا فإنه كره أن يجعل العَمَّ أبًا .

قوله تعالى : ﴿إلهًا واحدًا﴾ **قال محمدٌ** : نصب ﴿إلهًا واحدًا﴾ على معنى : نعبد إلهَكَ في حال وحدانيته ﴿تلك أمّةٌ قد خلت﴾ يعني : جماعة قد مَضَتْ ﴿ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ أي : إنكم إنما تسألون عن أعمالكم .

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا﴾ قالت اليهود : كونوا يهودًا تهتدوا وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا ؛ قال عز وجل : قل يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ أي : بل نكون على ملّة إبراهيم ﴿حنيفًا﴾ قال الحسن : الحنيفُ : المخلصُ .

---

(١) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿وأوصى﴾ وقرأ الباقون ﴿ووصّى﴾ . النشر (٢/٢٢٢ - ٢٢٣) وإتحاف الفضلاء (١٩٣)

(٢) في « ر » : بعضهم .

(٣) ورويت أيضًا عن ابن عباس ، وابن يعمر ، وأبي رجاء ، وعاصم الجحدري .

ينظر : إتحاف الفضلاء (١٤٨) ، الإعراب للنحاس (١/٢١٦) ، معاني القرآن للفراء (١/٨٢) ، البحر (١/٤٠٢) .

قال محمدٌ : ومعنى الحنف في اللغة : الميل ؛ يقال : رَجُلٌ حَنِفٌ [ورجل حنيف][1]؛ ورَجُلٌ أحنفُ[2]، وهو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها[3]؛ فالمعنى : إن إبراهيم (حَنَفَ)[4] إلى دين اللّٰه .

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقال الحسن : ثم أمر اللّٰه المؤمنين أن يقولوا : ﴿آمنا باللّٰه وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يعني : يوسف وإخوته .

﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ **قال محمد** : المعنى : فإن (أتوا)[5] بتصديقٍ مثل تصديقكم في إيمانكم بكل ما أتت به الأنبياء - فقد اهتدوا .

قال : ﴿وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ قال الحسن : يعني : في تَعَادٍ[6] إلى يوم القيامة .

﴿صبغة اللّٰه﴾ أي : دين اللّٰه ﴿ومن أحسن من اللّٰه صبغة﴾ دينًا .

قال محمدٌ : يجوز أن تكون ﴿صبغة اللّٰه﴾ منصوبةً على معنى : بل نكون أهل صبغة اللّٰه[7].

---

(١) سقط من الأصل، وأُثبت من « ر » .
(٢) ويقال منها : رِجْلٌ أو يَدٌ حَنْفَاء .
(٣) وقيل : الحَنَفُ : الاعوجاج في الرِّجْل عمومًا .
وقيل : هو المشي على ظهر القدمين من شق الخنصر .
وقيل : هو الميل في صَدْر القَدَم .
ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (حنف) .
(٤) في « ر » : حنيف .
(٥) في « ر » : أمنوا .
(٦) تُقرأ « بعاد » « وتعاد » ، وكلاهما يحتمله المعنى .
(٧) وقيل : منصوبة على التمييز . ينظر : مجمع البيان (٢١٩/١) ، البيان (١٢٦/١) .

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ...﴾ الآية .

قال محمدٌ : قيل : إن تأويل هذه الآية : أن الله - عز وجل - أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحد [الله من النصارى وعبدة الأوثان ، ويحتجوا عليهم بأنكم تزعمون أنكم موحدون ونحن نوحد الله ، فلم ظاهرتم من لا يوحد الله؟][1] ﴿وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ .

(ل ٢٠) ثم أعلموهم أنكم مخلصون دون من خالفكم .

قوله تعالى : ﴿أم يَقُولُونَ[2] إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ قال الحسن : يعني بذلك علماءهم ؛ لأنهم كتموا محمدًا ﷺ ودينه ؛ وفي دينه أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين ، ولم يكونوا مشركين .

قوله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ أي : لا أحد أظلم منه .

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

وقوله تعالى : ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ وهم مشركو العرب في تفسير الحسن ﴿ما ولاّهم﴾ أي : ما حوّلهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ هي بيت المقدس ؛ نزلت هذه الآية بعد ما صرف النبي ﷺ إلى الكعبة ؛ فهي قبلها في التأليف ، وهي بعدها في التنزيل ؛ وذلك أن رسول الله

---

(١) مطموس في الأصل ، وأثبت من « ر » .

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بالخطاب ﴿تقولون﴾ وقرأ الباقون بالغيب ﴿يقولون﴾ . النشر في القراءات العشر (٢٢٣/٢) .

ﷺ لما حوَّله الله - عز وجل - إلى الكعبة من بيت المقدس ، قال المشركون : يا محمد ، رغبت عن قبلة آبائك ، ثم رجعت إليها؟ وأيضًا واللهِ لترجعَنَّ إلى دينهم ؛ فأنزل الله : ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ...﴾ الآية .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا﴾ أي : عدلاً ؛ يعني : أمَّة محمد ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة بأن الرسل قد بلَّغتْ قومها عن ربِّها ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ أنه قد بلغ رسالة ربه إلى أمته ؛ وهذا تفسير قتادة .

قال محمد : وأنشد بعضهم :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بحكمهم إذا نَزَلَتْ إحْدَى الليالي بمُعْظَمِ[1]

يعني : بوسط : عدلاً خيارًا[2].

قوله تعالى : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ يعني : بيت المقدس ﴿إلا لنعلم﴾ يعني : عِلْمَ الفعال ﴿من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله﴾ يعني : صرف القبلة ، قال قتادة : « كانت القبلة فيها بلاء وتمحيصٌ ، صلَّى رسول الله ﷺ مدة إقامته بمكة إلى بيت المقدس ، وصلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي عليه السلام إلى المدينة ، وصلى النبي ﷺ بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، ثم وجَّهه الله - عز وجل - بعد ذلك إلى الكعبة ؛ فقال قائلون : ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ لقد اشتاق الرجل إلى مولده »[3].

---

(١) البيت من بحر الطويل ، وقد نسبه صاحب الدر المصون إلى زهير بن أبي سلمى ؛ وهو ليس في ديوانه ينظر : الطبرى (١٤٢/٣) ، القرطبي (١٠٤/٢) ، البحر المحيط (٤١٨/١) ، الدر المصون (٢٩٣/١) .

(٢) ينظر : اللسان ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (وسط) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥١/١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما .

قوله تعالى : ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني : صلاتكم إلى بيت المقدس ، قال قتادة[١]: لمَّا صُرِفت القبلة قال قومٌ : كيف بأعمالنا التي كنا نعمل؟ فأنزل الله : ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وقد يبتلي الله - تعالى - العباد بما شاء من أمره ، الأمر بعد الأمر ؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ؛ و كل ذلك مقبولٌ ؛ إذا كان في إيمانٍ بالله ، وإخلاصٍ له ، وتسليمٍ لقضائه .

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء﴾ تفسير الكلبي : «أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : وددتُ أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها . فقال جبريل : إنما أنا عبدٌ مثلكُ ، فادع الله وسَلْهُ ثم ارتفع جبريل ، فجعل رسول الله ﷺ يُدِيم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ؛ فأنزل الله عليه : ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء﴾ »[٢]، ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أي : تحبها ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ يعني : تلقاءه .

قال محمد : وأنشد بعضهم :

أَقُــولُ لأمِّ زِنْـبَـاعٍ أقـيــمــي صُدُورَ العِيسِ شَطْرَ بني تميمِ[٣]

يعني : تلقاء بني تميم .

قوله تعالى : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ **قال محمد** : يعني

---

(١) رواه الطبري (١٧/٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٥١/١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/١) لأبي داود في ناسخه عن أبي العالية مرسلاً .

(٣) البيت من بحر الوافر ، وهو لأبي زنباع الجذامي . ينظر اللسان (شطر) القرطبي (١٠٨/٢) ، البحر المحيط (١/ ٤١٨) .

[الآيات التي أتى][١] الأنبياء ؛ مثل الناقة والعصا [وغير ذلك ؛ إن أهل الكتاب قد علموا أن ما أتى به النبي][٢] (ل ٢١) ﷺ حق (وأن صفته وما جاء به من كتبهم وهم)[٣] يجحدون العلم بذلك ؛ فلا تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف .

﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين﴾ هذا الخطاب للنبي عليه السلام ولسائر أمته .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ قال الكلبي : لما قدم رسولُ اللَّه ﷺ المدينة ، قال ابن الخطَّاب لعبد اللَّه بن سلام [إن اللَّه - تعالى - أنزل على نبيه أن أهل الكتاب ﴿يعرفونه كما][١] يعرفون أبناءهم﴾ كيف هذه المعرفة يا ابن سلام قال : نعرف نبي اللَّه بالنعت الذي نَعَتَهُ [اللَّه به][١] إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه ؛ إذا رآه مع [الغرباء][٤]؛ والذي يحلف به عبد اللَّه بن سلام لأنا بمحمَّد أشدُّ معرفة مني لابني . فقال له عمر : وكيف ذلك؟ قال عَرَفْتُه بما نعته اللَّه لنا في كتابه ، وأما ابني [فلا أدري][٥] ما أحدثته أمه . فقال له عمر : وفَّقك اللَّه ، فقد أصبتَ وصدقتَ .

﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يعني : الشاكين ؛ أنك رسول اللَّه ، ويعرفون الإسلام ﴿ولكلٍّ﴾ يعني : كل ذي مِلَّة ﴿وجهة﴾ يعني : قبلة ﴿هو موليها﴾ أي : مستقبلها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ قال قتادة[٦]: يعني : لا تُفْتَنُنَّ في قبلتكم .

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) في «ر» : وأن صفته التي جاء بها في كتبهم وهم .
(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٤) في «ر» : الغلمان .
(٥) في الأصل : فلا أراني .
(٦) رواه الطبري (١/ ٣٠) .

قال محمد : وقيل : المعنى : فبادروا إلى ما أمرتكم به من أمر القبلة ؛ وهو نحو قول قتادة .

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿ومن حيث خرجت﴾ يعني : من مكة ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾ يعني : أن القبلة : الكعبة ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أي : تلقاءه ونحوه .

﴿لئلا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ﴾ تفسير الحسن : أخبره الله - تعالى - أنه لا يحوّله عن الكعبة إلى غيرها أبدًا فيحتج عليه بذلك محتجُّون ؛ كما احتج عليه مشركو العرب في قولهم : رغبت عن قبلة آبائك ، ثم رجعت إليها ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال الحسن[١]: لا يحتجُّ بمثل تلك الحجة ، إلا الذين ظلموا ﴿فلا تخشوهم﴾ في أمري ، يعني : امضوا على ما آمُركم به ﴿واخشوني﴾ في تركه .

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ الكتاب : القرآن ، والحكمة : السُّنة ؛ يقول كما فعلت ذلك بكم ﴿فاذكروني﴾ بطاعتي ﴿أذكركم﴾ برحمتي .

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ قد مضى تفسيره[٢] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾ كيف الحياة التي هي حياة الشهادة .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/٢٥٩ رقم ١٣٨٨) .

(٢) ينظر تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة .

قال محمد : ﴿أمواتٌ﴾ مرفوع على معنى : هم أمواتٌ ، وكذلك ﴿بل أحياء﴾ المعنى : بل هم أحياء[١].

يحيى : عن المُعَلَّى ، عن عبد الرحمن بن ثروان[٢]، عن هذيل ، عن عبد الله ابن مسعود قال : « أرواح الشهداء في حواصل طير خُضْرٍ ترعى في الجنة ؛ حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قَنَاديلَ معلَّقةٍ بالعرش »[٣].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف﴾ يعني : [القتال][٤]؛ في تفسير السدي .

﴿والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات﴾ يعني بنقص الأنفس : الموت ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

قال محمد : قوله : ﴿بشيءٍ﴾ ، ولم يقل : بأشياء - هو من الاختصار ؛ المعنى : بشيءٍ من الخوف ، وشيءٍ من الجوع ، وشيءٍ من نقص الأموال .

وقوله : ﴿إنا للَّه﴾ أي : نحن وأموالنا لِلَّه ، ونحن عبيده يصْنع بنا ما يشاء ؛ يعني : ذلك صلاحٌ لنا وخير ، ومعني ﴿ وإنا إليه راجعون﴾ أي : نحن مقرون [بأننا نبعث][٥] ونُعطى الثواب على تصديقنا ، والصبر على ما ابتلانا به .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي خليفة قال : « كان عمر يمشي

---

(١) ينظر : البحر المحيط (٤٤٦/١) الدر المصون (٤١٢/١) .

(٢) في « ر » : مروان . وعبد الرحمن بن ثروان أبو قيس الأودي ترجمته في « تهذيب الكمال » (١٧/ ٢٠ - ٢٢) .

(٣) رواه مسلم (١٥٠٢/٣ - ١٥٠٣ رقم ١٨٨٧) والترمذي (٢١٥/٥ - ٢١٦ رقم ٣٠١١) وابن ماجه (٩٣٦/٢ - ٩٣٧ رقم ٢٨٠١) من طريق مسروق عن ابن مسعود في سياق الظاهر أنه مرفوع ، والله أعلم .

(٤) في الأصل : القتل .

(٥) بياض في « ر » والمثبت أقرب إلى القراءة والمعنى .

فانقطع شِسْع[1] نعله فاسترجع[2] فقال له رجلٌ : ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال : انقطع شِسْعُ نعلي فساءني ذلك ، وكل ما ساءك فهو مصيبة »[3].

يحيى : عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « الصبر عند الصدمة الأولى والعين لا يملكها (ل٢٢) أحد صبابة المرء إلى أخيه »[4].

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ [يعني مغفرة][5] ﴿ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ يعني : الموفقين .

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ .

---

(١) شِسْع النعل : هو السَّيْر الذي يمسك النعل بأصابع القدم . ينظر اللسان : (شسع) .

(٢) أي : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) رواه هناد في الزهد (٢٤٥/١ رقم ٤٢٣) والبيهقي في الشعب (١١٧/٧ رقم ٩٦٩٤) من طريق أبي إسحاق به .
وعزاه السيوطي في الدر (١٦٥/١) لابن سعد وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وهناد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (٥٥١/٣ رقم ٦٦٦٧) عن معمر عن أيوب قال سمعت الحسن به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٦٥/١) لعبد بن حميد في تفسيره أيضًا .
وعزاه في الجامع الصغير لسعيد بن منصور في سننه ، ضعيف الجامع (٣٥٣٤) .
ورواه وكيع في الزهد (٤٥٨/٢ رقم ٢٠٤) عن الحسن مختصرًا .
وروى البخاري (٢٠٥/٣ رقم ١٣٠٢) ومسلم (٦٣٧/٢ - ٦٣٨ رقم ٦٢٦) عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الصبر عند الصدمة الأولى » .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر »

قال محمد : الشعائر واحدها : شعيرة ؛ وهي كل شيء جعله الله عَلَمًا من أعْلام الطاعة .

﴿فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه﴾ أي : لا إثم عليه ﴿أن يطوَّف بهما﴾ يعني : أن يتطوف .

يحيى : عن حماد ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : « كان إساف على الصفا ، ونائلة على المروة ؛ وهما صنمان ؛ فلما جاء الإسلام ، كرهوا أن يطوفوا بهما من أجلهما ، فأنزل الله : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله ...﴾ الآية »[1].

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ وهم أصحاب الكتاب ؛ كتموا محمدًا ﷺ والإسلام ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ تفسير الكلبي[2]: عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : إن الكافر إذا حُمل على سريره ، قال روحُه وجسدُهُ : ويلكم أين تذهبون بي ، فإذا وضع في قبره ورجع عنه أصحابه ، أتاه منكر ونكير ؛ أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخدَّان[3] الأرض بأنيابهما ، ويطآن في أشعارهما ، فيجلسانه ، ثم يقولان له : من ربك؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : لا دَرَيْتَ . ثم يقولان له : ما دِينُكَ؟ فيقول : لا أدري فيقال له : لا دريت . ثم يقولان له : من نبيُّك؟ فيقول : لا أدري فيقال له : لا دريت ؛ هكذا كنت في الدنيا ، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة ، فينظر إليها ، فيقال له : هذه الجنَّةُ ؛ التي لو كنت آمنت بالله ، وصدقت رسوله - صرت إليها ؛ لن تراها أبدًا . ثم يفتح له بابٌ إلى النار ؛ فيقال له : هذه النار التي أنت صائر[4] إليها ، ثم يضيق عليه قبره ، ثم يضرب ضربةً بمِرْزبة[5] من حديد لو أصابت جبلاً

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٦٣٦/٢ رقم ٢٣٤) والطبري في تفسيره(٤٦/٢) من طريق داود به .
وقال ابن حجر في فتح الباري (٥٨٤/٣) : رواه الفاكهي وإسماعيل القاضي في الأحكام بإسناد صحيح .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/١) : لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٢) محمد بن السائب الكلبي متهم ، قال سفيان الثوري : قال لنا الكلبي : ما حدثتُ عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب ، فلا ترووه . انظر ترجمة الكلبي في تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٤٦ - ٢٥٣) .

(٣) أي : يحفران . ينظر اللسان (خدد) .

(٤) في « ر » : سائر .

(٥) المرزبّة : هي المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة ، ويقال فيها أيضًا : الإرزبة . وجمعها مرازب . ينظر : اللسان ، المعجم الوسيط (رزب) .

لارْفَضَّ[١] ما أصابت منه . قال : فيصيحُ عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ غير الثقلين فلا يسمعُها شيء إلا لَعَنَهُ ، فهو قوله عز ذكره : ﴿أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون﴾ .

قوله تعالى : ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا﴾ أمْرَ محمدٍ والإسلام .

﴿فأولئك أتوب عليهم ...﴾ الآية .

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني : المؤمنين خاصة ؛ في تفسير قتادة ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي : لا يؤخرون بالعذاب .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وما أنزل اللّه من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي : حين لم يكن فيها نبات فأنبتت ﴿وبثَّ فيها﴾ يعني : خلق ﴿وتصريف الرياح﴾ يعني : تلوينَها ؛ في تفسير السُّدِّي ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون .

﴿ومن الناس من يتخذ من دون اللّه أندادًا﴾ يعني : أعدالاً[٢] يعدلونهم به ؛ أي : يعبدونهم ﴿يحبونهم كحب اللّه﴾ كحبِّ المؤمنين اللّه ﴿والذين آمنوا أشدُّ حبًّا للّه﴾ من المشركين لأوثانهم

(١) أي : تفرّق وتبدَّد وزال . لسان العرب ، المعجم الوسيط (رفض) .

(٢) واحدها : عِدْل ، وهو النِّدُّ والشريك . اللسان (عدل) .

﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا ﴿إذ يرون العذاب﴾ أي: [أنك][1] ستراهم إذا دخلوا النار؛ وهنالك يعلمون أن ﴿القوة﴾ القدرة ﴿لله جميعًا﴾ وإن كانوا عن قدرة الله وعزته في الدنيا غافلين ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا﴾ قال قتادة[2]: وهم الرؤساء في الشرك ﴿من الذين اتَّبعُوا﴾ وهم الضعفاء؛ اتبعوهم على عبادة الأوثان ﴿ورأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه ﴿وتقطَّعت بهم الأسباب﴾ يعني: ما كانوا يتواصلون به في الدنيا ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي: ندامةً.

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا﴾.

قال محمد: يعني: لا تأكلوا، ولا تنفقوا مما يحرمُ عليكم.

﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: ما يأمركم به.

قال محمدٌ: خُطُوات جمع: خُطْوَة، والخُطْوَة بضم الخاء: (ل٢٣) ما بين القَدَمَيْنِ[3]. والمعنى: لا تتبعوا سبيل الشيطان ومسلكه. والخَطْوة بفتح الخاء: الفَعْلة الواحدة[4].

﴿إنه لكم عدوٌّ مبين﴾ يعني: بيِّن العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ أنه الحق.

﴿بل نتبع ما ألفينا﴾ أي: وجدنا ﴿عليه آباءنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾ أي

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه الطبري (٢/٧٠) وابن أبي حاتم (١/٢٧٧ رقم ١٤٩٠).

وعزاه السيوطي في الدر (١/١٧٤) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) والخَطْوة - بالفتح -: مسافة ما بين القدمين أيضًا. ويقال: الخَطْوة بالفتح واحدة الخُطَا؛ أي: أنها اسم المرّة منه. ينظر اللسان، مختار الصحاح، القاموس المحيط (خطو).

(٤) ينظر لسان العرب (خطو) الدر المصون (١/٤٣٤) وفيه تفصيل ذلك.

أنهم لا يعقلون شيئًا [ولو كانوا مهتدين ما يتبعوهم][١].

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً﴾ تفسير الحسن[٢]: كمثل الراعي يصيح بالغنم فترفع رءوسها لا تدري ما يقول، ثم تضع رءوسها؛ فكذلك هم إذا دعوا إلى الهدى ﴿صمٌّ بكمٌ عميٌ﴾ صمٌّ عن الحق؛ فلا يسمعونه، بكمٌ عنه؛ فلا ينطقون به، عميٌ عنه؛ فلا يبصرونه.

قال محمد: يقال: نَعَقَ يَنْعِقُ، ونَعِقَ يَنْعَقُ لغتان[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ يعني: الحلال ﴿إنما حرَّم عليكم الميتة ...﴾ إلى قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ تفسير مجاهد[٤]: غير باغ؛ أي: يبغي على الناس، ولا عادٍ؛ أي: قاطع سبيل، ولا مفارق الأئمة، ولا خارج في معصية الله ﴿فلا إثم عليه﴾ أي: فله الرخصة في أن يأكل.

قال يحيى: يأكل حتى يشبع، ولا يتزوَّد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٢/١).
(٣) يقال: نعِق يَنْعَقُ، ونَعَق يَنْعِق نَعْقًا ونعيقًا ونُعاقًا؛ أي: صاح. ينظر اللسان (نعق).
(٤) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٦٤٥/٢ رقم ٢٤٣) والطبري (٨٦/٢، ٨٧) وابن أبي حاتم (٢٨٣/١ رقم ١٥٢٣، ٢٨٤/١ رقم ١٥٢٨) والبيهقي في سننه (١٥٦/٣).
وعزاه السيوطي في الدر (١٧٦/١) لسفيان بن عيينة وآدم بن أبي إياس وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في المعرفة وفي السنن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ هم أهل الكتاب الذين حرَّفوا كتاب الله ﴿ويشترون به ثمنًا قليلا﴾ يعني: المأكلة[1] التي كانت لهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ أي: سوف يأكلون به النار ﴿ولا يكلِّمهم الله يوم القيامة﴾ أي: لا يكلمهم بما يحبون، وقد يكلمهم ويسألهم عن أفعالهم[2] ﴿ولا يزكيهم﴾ أي: ولا يطهرهم من إثمهم ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجعٌ.

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ قال الحسن: يعني: اختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي: فما أجرأهم على العمل الذي يدخلهم النار ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ يعني: لفي فراقٍ بعيدٍ من الحق؛ وهم أهل الكتاب.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ تفسير قتادة[3]: يقول: ليس البر أن تكونوا نصارى؛ فتصلوا إلى المشرق، ولا أن تكونوا يهودًا؛ فتصلوا إلى المغرب إلى بيت المقدس.

﴿ولكن البر من آمن بالله﴾.

قال محمد: يعني: ولكن البر برُّ من آمن بالله.

---

(١) أي: المأدبة، وما يعدونه لهم من طعام وشراب. ينظر لسان العرب، المصباح المنير، القاموس المحيط، الوسيط (أكل).

(٢) في «ر»: أعمالهم.

(٣) انظر الدر المنثور (١/١٧٧).

﴿وآتى المال على حبه﴾ قال ابْنُ مسعود[1]: تؤتيه وأنت صحيح شحيح ؛ تأمل الحياة ، وتخشى الفقر .

﴿ذوي القربى﴾ هم القرابةُ ﴿وابن السبيل﴾ يعني : [الضيف][2] ﴿وفي الرقاب﴾ يعني : المكاتَبين ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ المفروضة ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ عليه من الحق ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ قال قتادة[3]: البأساء : البؤس والفقر ، والضراء : السقم والوجع ﴿وحين البأس﴾ يعني : مواطن القتال في الجهاد .

قال محمد : قوله تعالى : ﴿والموفون﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا ، على معنى : وهم الموفون ، والنعت إذا طال جاز أن يرفع بعضه ، وينصب بعضه في مذاهب النحويين[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤) وسعيد بن منصور في تفسيره (٦٤٨/٢ رقم ٢٤٥) وعبد الرزاق في تفسيره (٦٦/١) والطبري (٩٥/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٨/١ رقم ١٥٤٦) والطبراني في المعجم الكبير (٩٣/٩ رقم ٨٥٠٣) والحاكم (٢٧٢/٢) والبيهقي في سننه (١٩٠/٤) .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وعزاه السيوطي في الدر (١٧٨/١) لابن المبارك في الزهد ووكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه .

وقد رُوي عن ابن مسعود مرفوعًا ، والأصح وقفه ؛ قاله ابن كثير في تفسيره (٢٠٨/١) ، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (١٠١/١) .

وروى البخاري (٣٣٤/٣ رقم ١٤١٩ وطرفه في ٢٧٤٨) ومسلم (٧١٦/٢ رقم ١٠٣٢) عن أبي هريرة ﵁ قال : «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجرًا ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا ، وقد كان لفلان» .

(٢) في «ر» : الضعيف .

(٣) رواه الطبري (٩٩/٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٨٠/١) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) في رفع «الموفون» أقوال عديدة ، تراجع مفصَّلة من البحر المحيط (٧/٢) ومعاني القرآن للأخفش (١٥٦) ومجمع البيان (٢٦٢/١) والدر المصون (٤٤٩/١) .

تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى . . .﴾ الآية تفسير الحسن : كان أهل الجاهلية فيهم بَغْيٌ قد كان إذا قتل من الحي منهم مملوك قتله حيٌّ آخرون ، قالوا : لا نقتل به إلا حرًا ، وإذا قتل من الحي منهم امرأة قتلها حيٌّ آخرون ، قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً ، فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية ، ونهاهم عن البغي ، ثم أنزل اللَّه بعد ذلك في المائدة : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[١] يعني : النفس التي قَتَلَتْ بالنفس التي قُتِلَتْ ؛ وهذا [في الأحرار][٢].

قوله تعالى : ﴿فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان﴾ تفسير قتادة[٣]: يقول : من قتل عمدًا (ل ٢٤) فعفي عنه وقُبِلَتْ منه الدِّية ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ [أمر المتبِّع أن][٢] يتبع بالمعروف [وأمر المؤدِّي][٢] أن يؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ قال قتادة : كان أهل التوراة أمروا بالقود[٤] وكان أهل الإنجيل أمروا بالعفو ، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والدية ؛ إن شاءوا قتلوا ، وإن شاءوا عَفَوْا ، وإن شاءوا أخذوا الدية ؛ إذا تراضوا عليها .

﴿ورحمة﴾ أي : رحم اللَّه بها هذه الأمة ، وأطعمهم الدِّية ؛ قال قتادة : ولم [تحل][٥] لأحد قبلهم في القتل عمدًا ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ يعني : على القاتل فقتله بعد ما قبل منه الدية ﴿فله عذابٌ أليم﴾ يعني : القتل يقتله الوالي ، ولا ينظر في ذلك إلى عفو الولي .

﴿ولكم في القصاص حياةٌ﴾ أي : بقاء ؛ يخاف الرجل القصاص ؛ وهي بذلك حياةٌ له ﴿يا أولي الألباب﴾ العقول ، يعني : المؤمنين ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا القتل .

---

(١) المائدة : ٤٥.

(٢) مطموس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) تفسير عبد الرزاق (٦٧/١) وتفسير الطبري (١٠٨/٢) .

(٤) القود : القصاص . لسان العرب (قود) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٢٩٦/١ رقم ١٥٨٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٨١/١) لابن جرير والزجاجي في أماليه .

(٦) في « ر » : تُجعل.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿كتب عليكم﴾ أي : فُرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت ...﴾ الآية . قال قتادة[١]: الخير : المال ، وأمر تبارك وتعالى في هذه الآية بالوصية للوالدين والأقربين ، ثم نسخ ذلك في سورة النساء بقوله : ﴿ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدسُ﴾[٢] وصارت الوصية لمن لا يرث من قريب أو بعيد .

قال محمد : وقوله عز وجل ﴿حقًّا على المتقين﴾ نصب « حقًّا » ؛ على معنى : كان ذلك عليهم حقًّا[٣].

﴿فمن بدله بعد ما سمعه﴾ قال الحسن[٤]: هي الوصية ؛ من بدَّلها بعد ما سمعها ، فإنما إثمها على من بدَّلها .

﴿فمن خاف﴾ يعني : علم ﴿من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا﴾ الجَنَفُ : أن يوصي بِجَوْرٍ ؛ وهو لا يتعمَّد الجور ، والإثم : أن يوصي بجور وهو يعلم ذلك ﴿فأصلح بَيْنَهُم﴾ يعني : بين الموصَى له والورثة ﴿فلا إثم عليه﴾ .

قال محمد : الجَنَفُ في كلام العرب : الميل عن الحق ؛ يقال منه : جنِفَ يَجْنَفُ[٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/١٨٣) لعبد بن حميد في تفسيره .

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) في « ر » : وذلك حقٌ عليهم حقًّا . وفي نصب « حقًّا » أقوالٌ أخر للنحاة ؛ تجدها مفصَّلة في البحر المحيط (٢/٢١) وإعراب القرآن (١/٢٣٤) ومجمع البيان (١/٢٦٧) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٢٣) .

(٥) يقال : جَنَفَ يَجْنِف ، جُنُوفًا ، وجَنِفَ يَجْنَفُ جَنَفًا بمعنًى . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (جنف) .

إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ تفسير قتادة[1]: هو شهر رمضان ؛ وكانوا أُمروا أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهرٍ ، ويصلوا ركعتين غدوةً ، وركعتين عشية ؛ فكان ذلك بدء الصيام والصلاة .

﴿أيامًا معدوداتٍ﴾ **قال محمد** : يجوز أن يكون نصب ﴿أيامًا معدوداتٍ﴾ على معنى : كتب عليكم أن تصوموا أيامًا معدوداتٍ[2].

﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أُخَر﴾ **قال محمد** : يريد : فعليه عدةٌ من أيام أُخر ، ومثل عدة ما فاته[3].

﴿وعلى الذين يطيقونه فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسَاكِيْنَ﴾[4] تفسير ابن عباس[5]: قال : رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة - وهما يطيقان الصوم - أن يفطرا ؛ إن شاءا ، ويطعما مكان كل يوم مسكينًا .

﴿فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ يعني : الشيخ الكبير ، والعجوز الكبيرة ؛ وهما يطيقان الصوم ، ثم نسخ ذلك بقوله بعد هذا : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٨٥/١) لعبد بن حميد في تفسيره .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٩/١) والطبري (١٢٩/٢ - ١٣٠) مقتصرًا على ذكر الصيام .

(٢) وفي نصب « أيامًا » أقوال أخر للنحاة ، تجدها مفصَّلة في البحر المحيط (٣١/٢) ومجمع البيان (٢٧١/١) وإعراب القرآن (٢٣٥/١) .

(٣) وفي « ر » : وعليه مثل عدة ما فاته .

(٤) قرأ الجماعة « فدية طعام مسكين » بتنوين « فدية » ورفع « طعام » وتوحيد « مسكين » وقرأ هشام كذلك إلا أنه قرأ « مساكين » جمعًا . وقرأ نافع وابن ذكوان بإضافة « فدية » إلى « طعام مساكين » جمعًا . ينظر : الحجة (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) والبحر (٣٧/٢) والدر المصون (٤٦٣/١) .

(٥) رواه البخاري (٢٨/٨ رقم ٤٥٠٥) بنحوه .

﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ **قال محمد** : يجوز أن يكون ﴿شهر رمضان﴾ مرفوعًا على معنى : والأيام التي كُتِبَتْ عليكم شَهْرُ رمضان[١].

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أي : إنما أراد الله برُخصة الإفطار في السفر التيسير عليكم ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله﴾ .

قال محمد : يعني : ولتعظموا الله ، كذلك جاء عن ابن عباس ﴿على ما هداكم﴾ .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ تفسير قتادة[٢]: قال : ذُكر لنا أنه لما أنزل الله - تبارك وتعالى - ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣] قال رجل : كيف ندعو يا رسول الله؟ فأنزل الله : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ .

(ل٢٥) ﴿أُحِلَّ لكم ليلة الصيام﴾ إلى قوله ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ قال قتادة : الرفث : الغشيانُ .

﴿هن لباسٌ لكم﴾ أي : سكن لكم .

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ قال قتادة[٤]: كان المسلمون في أول ما فرض عليهم

---

(١) وفي رفعه أقوال أخر للنحاة مفصَّلة في إعراب القرآن (١/٢٣٨) ومجمع البيان (١/٢٧٥) والبحر (٢/٣٨ - ٣٩) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٥٩) .

(٣) غافر ٦٠.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٧٠) والطبري (٢/١٦٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٠٦) لعبد بن حميد وابن جرير .

الصيام ؛ إذا رقدوا لم يحلَّ لهم النساء ، ولا الطعام ، ولا الشراب بعد رقادهم ؛ فكان قومٌ يصيبون من ذلك بعد رقادهم ، فكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فتاب عليهم بعد ذلك ، وأُحلَّ ذلك إلى طلوع الفجر ، وقال : ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ تفسير مجاهد[١]: يعني : الولد يطلبه الرجل ؛ فإن كان ممن كتب الله له الولد ، رزقه إياه .

قال محمد : وهذا أمر نَدْبٍ لا فرض .

﴿وكلوا واشربوا حتى يتبينَّ لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ .

قال يحيى : الفجر فجران : فأما [الذي][٢] كأنه ذَنَبُ السرحان ؛ فإنه لا يُحل شيئًا ولا يحرمه ، وأما المستطيل الذي يأخذ بالأفق فإنه يُحل الصلاة ، ويوجب الصيام .

قال محمدٌ : وقوله : ﴿الخيط الأبيض﴾ يعني : بياض النهار ﴿من الخيط الأسود﴾ يعني : سواد الليل ؛ ويتبين هذا من هذا عند طلوع الفجر الثاني .

وقوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا﴾ هو أمر إباحةٍ ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ تفسير السدي : كان الرجلُ يعتكفُ ؛ فإذا خرج من مصلاَّه ، فلقي امرأته غشيها[٣]، فنهاهُمُ الله عن ذلك ؛ حتى يفرُغ من اعتكافه ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ أي : لا تقربوا ما نهاكم الله عنه .

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ تفسير الحسن : هو الرجلُ يأكل مال الرجل ظُلْمًا ، ويجحده إياه ، ثم يأتي به إلى الحكَّام ، والحكَّام إنما يحكمون بالظاهر ؛ فإذا حكم له ، استحلَّه بحكمه .

﴿لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ أنه ليس لكم بحقٍّ .

قال محمد : قوله تعالى : ﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾ يعني : الأموال ، وأصل الكلمة في اللغة :

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٦٩/٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٣١٧/١) والدر المنثور (٢٠٧/١) .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) في « ر » : فيباشرها .

من قولك : أدليت الدَّلوَ ؛ إذا أرسلتها ، وتقول : أَدْلَى فلان بِحُجَّته ؛ أي : أرسلها[١].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

﴿يسألـونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ قال قتادة[٢]: ذكر لنا : أنهم سألوا نبي الله ﷺ لِم خُلِقَتْ هذه الأهلة؟ فأنزل الله هذه الآية ؛ أي : هي مواقيت للناس ؛ لصومهم وإفطارهم وحجِّهم وعدَّة نسائهم ومَحِلِّ دَيْنهم[٣].

قوله تعالى : ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرَّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ تفسير قتادة[٤]: قال : كان هذا الحي من الأنصار إذا أَهَلَّ[٥] أحدهم لم يدخل بيتًا ولا دارًا من بابه ، إلا أن يتسوَّر حائطًا تسوُّرًا ، وأسلموا وهم كلهم على ذلك ؛ حتى نهاهم الله .

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ وذلك قبل أن يُؤمَرُوا بقتال المشركين كافَّة ؛ فكانوا لا يقاتلون إلا من قاتلهم ﴿ولا تعتدوا﴾ يعني : في حربكم ؛ فتقاتلوا من لم يقاتلوكم ، ثم أمر بقتالهم في سورة براءة[٦].

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي : وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ يعني :

---

(١) ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح ، المصباح المنير (دلو) .

(٢) رواه الطبري (٢/١٨٥) وابن أبي حاتم (١/٣٢٢ رقم ١٧٠٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢١٢) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٣) أي : وقت حُلول الدين .

(٤) رواه عبد الرزاق (١/٧٢) والطبري (٢/١٨٧ - ١٨٨) .

(٥) أي : رفع صوته بالتلبية . لسان العرب ، مختار الصحاح (هلل) .

(٦) يريد قوله تعالى : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] .

من مكة ﴿والفتنة أشدُّ من القتل﴾ الفتنةُ ها هنا : الشرك ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أمر اللَّه - جلَّ ذكره - نبيه ﷺ ألا يقاتلهم فيه حتى يبدءوا بقتالٍ ؛ وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم كافَّة[١].

﴿فإن انتهوا﴾ يعني : عن قتالكم ، ودخلوا في دينكم ﴿فإن اللَّه غفورٌ رحيم﴾ .

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي : شرك[٢] ﴿فإن انتهوا﴾ عن شركهم ﴿فلا عدوان﴾ أي : فلا سبيل ﴿إلا على الظالمين﴾ يعني : المشركين .

قال محمد : وأصل العدوان : الظلم[٣]، (ل٢٦) ومعنى العدوان ها هنا : الجزاء [يقول][٤]: لا جزاء ظلم إلا على ظالم .

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ تفسير مجاهد[٥]: قال : كان المشركون صَدُّوا رسول اللَّه ﷺ عن البيت عام الحديبية في ذي القعدة ، ففخروا عليه بذلك ، فرجعه اللَّه إلى البيت في ذي القعدة من قابل[٦]، واقتصَّ له منهم ، فأقام فيه ثلاثة أيام .

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ يقول : إن استحلوا منكم القتال ،

---

(١) يريد قوله عز وجل : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة : ٩] وقوله : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة : ٢٩] .

(٢) في الأصل : أي : فيه .

(٣) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (عدو) .

(٤) في الأصل : يقال . والمثبت من « ر » .

(٥) رواه الطبري (٢/١٩٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢١٥) لعبد بن حميد أيضًا .

(٦) أي : من العام التالي .

فاستحلوه منهم ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ تفسير الحسن[١]: يقول: إن تركِكم الإنفاق في سبيل الله إلقاءٌ منكم بأيديكم إلى ما يهلككم عند الله ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ قال قتادة: أمرهم أن ينفقوا في سبيل الله، وأن يحسنوا فيما رزقهم الله.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ تفسير قتادة: قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما هي حجةٌ وعمرة؛ فمن قضاهما، فقد قضى الفريضة، أو قضى ما عليه؛ فما أصاب بعد ذلك، فهو تطوع».

قال يحيى: العَامَّةُ على أن الحج والعمرة فريضتان، إلا أنَّ سعيدًا (أخبرنا)[٢] عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود قال: «الحج فريضة، والعمرة تطوع»[٣].

والقراءة على هذا التفسير: بنصب الحج، ورفع العمرة، ومَقْرَأَةُ العامة: بالنصب فيهما[٤].

قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم﴾ الإحصار: أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرضٍ أو عَدُوٍّ ﴿فما استيسر من الهدي﴾ قال ابن عباس[٥]: ما استيسر من الهدي شاةٌ ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ قال عطاء: كل هدي بلغ الحرم ثم عطب[٦] - فقد بلغ محله، إلا هَدْيَ المتعةِ والمحْصَر.

---

(١) رواه الطبري (٢/٢٠٢) وابن أبي حاتم (١/٣٣١ رقم ١٧٤٤).

(٢) في «ر»: حدثنا.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/٣٠٤ رقم ٣) عن ابن إدريس وأبي أسامة عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة - وعزاه السيوطي في الدر (١/٢١٨) لعبد بن حميد في تفسيره أيضًا

(٤) الجمهور على نصب «العمرة» على العطف على ما قبلها، وقرأ علي وابن مسعود وزيد بن ثابت برفعها على الابتداء. ينظر: البحر المحيط (٢/٧٤ - ٧٥)، الدر المصون (١/٤٨٤).

(٥) رواه الطبري (٢/٢١٥) وابن أبي حاتم (١/٣٣٦ رقم ١٧٧٠).

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٢١) لوكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أي: هلك. اللسان، القاموس المحيط (عطب).

قال محمد : المحِلُّ : الموضع الذي يحِلُّ [فيه النحر][(١)]؛ وهو من : حَلَّ يَحِلُّ ؛ أي : وجَب يجِبُ .

﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نسك﴾ .

يحيى : عن مجاهد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عُجْرة « أن رسول اللَّه ﷺ مَرَّ به عام الحديبية وهو محرم ، وهو يُوقد تحت قِدْرٍ له ، فنكس رأسه فإذا الهوامُّ تجول في رأسه ، فقال : أتؤذيك هوامُّ[(٢)] رأسك يا كعب؟ قال : نعم . فسكت النبي عليه السلام ، فنزلت هذه الآية ، فقال له النبي ﷺ : احلقْه ، وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم فَرَقًا[(٣)] بين ستة ، أو أَهْدِ شاةً »[(٤)].

قال يحيى : الفَرَقُ : ثلاثة آصُعٍ[(٥)]، صاعٌ بين اثنين .

﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ من أهلَّ بعمرة في أشهر الحج في شوال ، أو في ذي القعدة ، أو في ذي الحجة ، ثم حجَّ من عامه ذلك - فهو متمتِّع عليه ما استيسر من الهدي ، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج .

مالك بن أنس[(٦)] عن الزهري ، عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر ، عن أبيه قال : « من يوم يُهِلُّ إلى يوم عرفة ؛ فإن فاته ذلك صام أيام منى »[(٧)].

قوله تعالى : ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ .

---

(١) في الأصل : به المحرم . والمثبت من « ر » .

(٢) واحدها : هامَّة ؛ وهي الدابة . والمراد ههنا : الحشرات التي توجد بالرأس . اللسان ، المعجم الوسيط (همم) .

(٣) الفَرَقُ : مكيال معروف بالمدينة ؛ وهو ستة عشر رطلاً ، وقد يحرك ؛ أي : يقال : فَرَق ، والجمع : فُرْقان . اللسان ، مختار الصحاح (فرق) .

(٤) رواه البخاري (١٦/٤ رقم ١٨١٤) ومسلم (٨٥٩/٢ - ٨٦١ رقم ١٢٠١) وغيرهما من طريق مجاهد عن عبد الرحمن به .

(٥) واحدها : صاع ؛ وهو مكيال يسع أربعة أمداد ، ويقال فيه : صاع ، وصواع . والجمع : آصُع وأَصْوُعٌ . ينظر اللسان ، مختار الصحاح (صوع) .

(٦) الموطأ (٣٣٩/١ رقم ٢٥٥) .

(٧) رواه البخاري (٢٨٤/٤ - ٢٨٥ رقم ١٩٩٩) من طريق الإمام مالك به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٦/١) من طريق الزهري .
وله طرق وألفاظ ، انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٧، ٢٤٩)والدر المنثور (٢٢٣/١) .

يحيى : عن عثمان ، عن نافع ، عن سليمان بن يسار ؛ أن عمر بن الخطّاب قال : « صام إذا رجع إلى أهله » .

وقال مجاهد : إن شاء صامها في الطريق .

﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ قال عطاء : من كان منها على رأس ليلة ، فهو من حاضري المسجد الحرام .

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿الحج أشهر معلومات﴾ هي : شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذي الحجة ﴿فمن فرض﴾ أي : أوجب ﴿فيهن الحج﴾ على نفسه ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ قال ابن عباس[1]: الرفثُ : الجماع ، والفسوق : المعاصي ، والجدال : أن يُمَارِي بعضهم بعضًا حتى يغضبوا .

يحيى : عن حماد ، عن أبي الزبير ، عن طاوس ؛ أن ابن الزبير قال : « إياكم والنساء ؛ فإن الإعراب[2] من الرفث ، والإعراب أن [يعرب][3] لها بالقول ، يقول : لو كنا حلالاً لفعلنا كذا . قال : فأخبرت بذلك ابن عباس فقال : صدق ابن الزبير »[4].

(ل٢٧) ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ هو كقوله : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾[5].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٧٩٨/٣ رقم ٣٣٩ ، ٨٠١/٣ رقم ٣٤١) والطبري (٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣) وابن أبي حاتم (٣٤٦/١ رقم ١٨٢٤ ، ٣٤٧ رقم ١٨٢٧ ، ٣٤٨ رقم ١٨٣١) ، وأبو يعلى في مسنده (٩٨/٥ رقم ٢٧٠٩) والبيهقي في سننه (٦٧/٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٢٨/١) لوكيع وسفيان بن عيينة والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد أيضًا .

(٢) وفي ابن كثير عند تفسير هذه الآية (العرابة) ؛ والمعنى : الإفصاح عما بالنفس من أمور النساء .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٦٤/٢) والبيهقي في سننه (٦٧/٥) من طريق طاوس مختصرًا .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٢٨/١) لابن أبي شيبة .

(٥) آل عمران : ١١٥، وقرأها حمزة والكسائي وخلف وحفص بالغيب فيهما ، واختلف عن الدوري ، وقرأ الباقون بالخطاب . النشر (٢٤١/٢) .

﴿وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾ تفسير قتادة[1]: قال : كان أُناسٌ من أهل اليمن يحجُّون ولا يتزَّودون ، فأمرهم الله بالزَّاد والنفقة في سبيل الله ، ثم أخبرهم أن خير الزاد التقوى .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨﴾

﴿ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ يعني : التجارة في الحج ﴿فإذا أفضتم من عرفاتٍ﴾ قال قتادة : أفاض[2] رسولُ الله ﷺ من عرفات بعد غروب الشمس[3].

وقال الحسن : إن جبريل أرَى إبراهيم عليه السلام المناسك كلها ؛ حتى إذا بلغ إلى عَرَفَاتٍ ، قال : يا إبراهيم ؛ أعرفت ما رأيت من المناسك؟ قال : نعم . ولذلك سميت عرفة[4].

﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ قال قتادة[5]: هي المزدلفة .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله : « أن رسول الله ﷺ لما صلَّى الصبح ، وقف بِجَمْعٍ[6]، ثم أَفَاضَ »[7].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٧٧/١) والطبري (٢٨٠/٢) وابن أبي حاتم (٣٥٠/١ رقم ١٨٣٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٢٩/١) لعبد بن حميد .
ورواه البخاري (٤٤٩/٣ رقم ١٥٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أي : انصرف بعد انقضاء الموقف . لسان العرب (فيض) .

(٣) روى الإمام أحمد (٢٥١/١) وأبو داود (١٩٠/٢ رقم ١٩٢٢) والترمذي (٢٣٢/٣ رقم ٨٨٥) وابن خزيمة (٢٦٢/٤ رقم ٢٨٣٧) وغيرهم عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أفاض حين غربت الشمس» قال الترمذي : حديث حسن صحيح .
ومعناه في حديث جابر الطويل في حجة النبي ﷺ الذي رواه مسلم (رقم ١٢١٨) .

(٤) روى ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩/٤ رقم ٢٨٠٤ ، ٢٦٤/٤ رقم ٨٤٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما نحوه .

(٥) رواه الطبري (٢٨٨/٢) .

(٦) جَمْعٌ هي المزدلفة . القاموس المحيط (جمع) .

(٧) رواه مسلم (٨٩١/٢ رقم ١٢١٨) من طريق جعفر بن محمد في حديث الحج الطويل بمعناه .

قال قتادة : إنما سُمِّي جَمْعًا ؛ لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء[١].

﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ تفسير الحسن : من الضالين في مناسككم وحجِّكم ودينكم كله .

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

﴿ثُم أفيضوا من حيث أُفاض الناس﴾ وهي الإفاضةُ من عرفة . قال قتادة[٢]: كانت قريش وكل ابن أخت لهم وحليف لا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل اللّٰه فلا [نخرج][٣] من حرمه ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ قال السُّدي : يعني : إذا فرغتم من مناسككم ﴿فاذكروا اللّٰه كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا﴾ قال قتادة[٤]: كان أهلُ الجاهلية ؛ إذا قضوا مناسكهم ، ذكروا آباءَهم وفعل آبائهم ؛ بذلك يخطُب خطيبُهم إذا خطب ، وبه يحدث محدِّثُهم إذا حدث ، فأمرهم اللّٰه - عز وجل - إذا قضوا مناسكهم أن يذكروه كذكرهم آباءهم ، أو أشدّ ذكرًا ؛ يعني بل[٥] أشد ذكرًا .

﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ أي : من نصيب ؛ وهم المشركون ، ليس لهم همَّةٌ إلا الدنيا ، لا يسألون اللّٰه شيئًا إلا لها ؛ وذلك أنهم لا يقرون بالآخرة ولا يؤمنون بها .

﴿ومنهم من يقول﴾ وهم المؤمنون ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة ...﴾ الآية قال الحسن : والحسنة

(١) وقيل : سميت جَمْعًا ؛ لاجتماع الناس بها . مختار الصحاح (جمع) ومعجم البلدان (١٦٣/٢) .
(٢) رواه الطبري (٢٩٢/٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٣٦/١) لعبد بن حميد في تفسيره .
(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٩/١) والطبري (٢٩٦/٢ - ٢٩٧) .
(٥) أي : أن « أو » بمعنى « بل » ، وفيها أقوال نحوية أخر . ينظر : مغني اللبيب (٧٥/١ - ٨٠) .

في الدنيا طاعةُ اللَّه ، وفي الآخرة الأجر . وقال بعضهم : الحسنةُ في الدنيا كل ما كان من رخاء الدنيا ، ومن ذلك الزوجةُ الصالحةُ ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ أي : ثواب ما عملوا وهي الجنة .

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾

﴿واذكروا اللَّه في أيام معدوداتٍ﴾ قال ابن عباس[١]: هي أيام التشريق يُذْكَر اللَّه فيها ، ويُرْمَى فيها الجمار ، وما مضت به السُّنة من التكبير في دُبُرِ الصلوات ﴿فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ تفسير قتادة[٢]: يعني : فمن تعجَّل في يومين من أيام التشريق فنفر[٣]، فلا إثم عليه ، ومن تأخَّر إلى اليوم [الثالث][٤] فلا إثم عليه .

قوله تعالى : ﴿لمن اتقى﴾ .

يحيى : عن الحارث بن نبهان ، عن منصور ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من حج هذا البيت فلم يرفث ، ولم يفسق ؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[٥].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)﴾

---

(١) روى الطبري (١/٣٠٢ ، ٣٠٣) وابن أبي حاتم (٢/٣٦١ رقم ١٨٩٥) عن ابن عباس قال : الأيام المعدودات أيام التشريق .

وعزاه السيوطي في الدر (١/١٥٩) للفريابي وعبد بن حميد والمروزي في العيدين وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب ، والضياء في المختارة أيضًا .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٨٠ - ٨١) والطبري (١/٣٠٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٤٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣) أي : دفع إلى مكة . المعجم الوسيط (نفر) .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) رواه البخاري (٤/٢٥ رقم ١٨١٩، ١٨٢٠) ، ومسلم (٢/٩٨٣ - ٩٨٤ رقم ١٣٥٠) من طريق منصور به .

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ وهو المنافق الذي يقر بالإيمان في العلانية ﴿ويُشْهِدُ الله على ما في قلبه﴾ من الكفر والجحود بما أقرَّ به في العلانية ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: كاذب القول ﴿وإذا تولى﴾ أي: فارقك ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها ...﴾ الآية.

قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان شديد الخصام؛ فأما إهلاكه الحرث والنسل فيعني: قطع الرحم الذي [كان][1] بينه وبين ثقيف؛ فبيَّتَهُمْ[2] ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم؛ وكان حسن العلانية، سيِّئ السريرة.

﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾ تفسير قتادة: إذا قيل له: اتق الله؛ (ل٢٨) فإن هذا الذي تصنع لا يحقُّ لك، قال: إني لأزداد بهذا عند الله قُرْبَةً.

قال الله: ﴿فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ والمهاد والبساط والفراش واحدٌ[3].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ أي: يبيع نفسه بالجهاد ﴿ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ بالمؤمنين.

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافَّة﴾ يعني: في الإسلام جميعًا ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني: أمره.

﴿فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يعني بالزلل: الكفر ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ في نقمته ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: أوقع بهم بَغْتَةً ليلاً. اللسان، القاموس المحيط (بيت).

(٣) وقيل: بينها اختلاف وفي ذلك تفصيل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (مهد، بسط، فرش)، والدر المصون (١/٥٠٨).

ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون ﴿إلا أن يأتيهم اللَّه﴾ يوم القيامة ﴿في ظلل من الغمام والملائكة﴾ أي: وتأتيهم الملائكة ﴿وقضي الأمر﴾ يعني: الموت.

﴿سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ تفسير الحسن: يعني: ما نجَّاهم اللَّه من آل فرعون، وظلَّل عليهم الغمام وغير ذلك، وآتيناهم بيناتٍ من الهدى، بيَّن لهم الهدى من الكفر ﴿ومن يبدل نعمة اللَّه من بعد ما جاءته﴾ يقول: بدَّلوا ذلك، واتخذوا اليهودية والنصرانية ﴿فإن اللَّه شديد العقاب﴾ أخبر أنه ستشتدُّ نقمته على اليهود والنصارى الذين بدَّلوا دين اللَّه.

﴿زُيِّن للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا﴾ في طلبهم الآخرة ﴿والذين اتقوا﴾ وهم المؤمنون ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ أي: خير منهم ﴿واللَّه يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال بعضهم: يعني: من غير أن يحاسب نفسه؛ لأن ما عند اللَّه لا ينقص؛ كما ينقُصُ ما في أيدي الناس.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين﴾ تفسير قتادة[1]: ذُكر لنا أنه كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كلهم يعمل بطاعة اللَّه على الهدى، وعلى شريعةٍ من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث اللَّه نوحًا عليه السلام فكان أول رسول أرسله اللَّه إلى أهل الأرض.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢/٣٧٦ رقم ١٩٨٦).
وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٥٢) لعبد بن حميد أيضًا.

من بعد ما جاءتهم البينات بَغْيًا بينهم﴾ أي : حَسَدًا بينهم ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ أي : بأمره .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ أي : سنن الذين مضوا من قبلكم .

قال محمد : المعنى : ولما يصبكم مثل الذي أصاب الذين خَلَوْا من قبلكم ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿مسَّتْهم البأساء والضراء﴾ البأساء : البؤس ، والضرَّاء : المرض والجراح ﴿وزلزلوا﴾ أصابتهم الشدَّة ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ .

قال محمد : من قرأ : « حتى يقولُ » بالرفع - فالمعنى : حتى قال الرسول ، ومن نصب فعلى معنى : حتى يكون من قول الرسول[1].

قال الله : ﴿ألا إنَّ نصر الله قريب﴾ قال الحسن : وذلك أن الله وعدهم النصر والظهور[2]، فاستبطئوا ذلك ؛ لما وصل إليهم من الشدة ، فأخبر الله النبي ﷺ والمؤمنين ؛ بأن من مضى قبلكم من الأنبياء والمؤمنين ؛ كان إذا بلغ البلاء منهم هذا ، عجَّلت لهم نصري ؛ فإذا ابتليتم أنتم بذلك أيضًا فأبشروا ؛ فإن نصري قريب .

﴿يسألونك ماذا ينفقون ...﴾ الآية . نزلت هذه الآية قبل أن تنزل آية الزكاة ، ولم يكن ذلك يومئذٍ شيئًا موقَّتًا[3].

---

(١) قراءة النصب هي قراءة الجمهور ، أما الرفع فانفرد به نافع وحده . ينظر : السبعة (١٨١ - ١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢/٢٢٧) والبحر (٢/١٤٠) .

(٢) في « ر » : الظفر .

(٣) أي : محدَّدًا مبيَّنًا .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿كُتِب عليكم القتال﴾ أي: فُرض عليكم ﴿وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾ قال الكَلْبي: (ل٢٩) كان هذا حين كان الجهاد فريضة ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ قال الكلبي: علِمَ أنه سيكون فيهم من يقاتل في سبيل الله، فيُستشهَد.

قال محمد: ﴿كُرْهٌ لكم﴾ معناه: مشقَّة لكم، لا أنَّ المؤمنين يكرهون فرض الله؛ ويقال: كَرِهْتُ الشيء كَرْهًا وكُرْهًا وكَرَاهَةً[1]. والقراءة: «كُرْهٌ» بالضم[2]؛ وتأويله: ذو كُره لكم.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه﴾ تفسير مجاهد: قال: «أرسل رسولُ الله ﷺ رجلاً في سريَّة فمرَّ بابْن الحضرمي يحمل خَمْرًا من الطائف إلى مكة، فرماه بسهم فقتله وكان بين النبي عليه السلام وبين قريش عهدٌ فقتله آخر ليلة من جُمَادَى الآخرة وأول ليلةٍ[3] من رجب، فقالت قريش: أفي الشهر الحرام ولنا عهدٌ؟! فأنزل الله: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير وصَدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به﴾ أي: بالله ﴿والمسجد الحرام﴾ أي: وصَدٌّ عن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله منه﴾ يعني: النبي عليه السلام وأصحابه؛ أخرجهم المشركون من المسجد؛ كل هذا ﴿أكبر عند الله﴾ من قتل ابن الحضرمي ﴿والفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿أكبر من القتل﴾»[4].

---

(١) وكراهية أيضًا. وقال الفراء: الكره بالضم: المشقة، وبالفتح: الإكراه. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (كره).

(٢) قراءة الجمهور بالضم، وقرأ السلمي بالفتح. ينظر البحر (١٤٣/٢)، الدر المصون (٥٢٥/١).

(٣) أي: وأول يوم؛ حيث تُطلق الليلة على اليوم، وفي تفسير الطبري والدر المنثور: «يوم» في الموضعين.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٣٥٠/٢) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٠/١) للفريابي وعبد ابن حميد وابن المنذر أيضًا.

قال يحيى : وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم عامةً .

قال محمد : قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ « قتالٍ » مخفوضٌ على البدل[1] من الشهر الحرام ، المعنى : ويسألونك عن قتال في الشهر الحرام .

وقوله : ﴿قل قتال فيه كبير﴾ « قتالٌ » مرفوع بالابتداء[2]، و « كبيرٌ » خبره .

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ أي : ولن يستطيعوا ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ أي : بطلت .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللّٰه أولئك يرجون رحمةَ اللّٰه﴾ أي : يطمعون في رحمة اللّٰه ؛ يعني : الجنة . قال الحسن : وهو على الإيجاب ؛ يقول : يفعل ذلك بهم . وقال قتادة : ذكر في الآية الأولى قصة قتل ابن الحضرمي ، وما قال المشركون ، وما أنزل اللّٰه في ذلك ، ثم أثنى اللّٰه على أصحاب النبي ﷺ أحسنَ الثناء ؛ فقال : ﴿إن الذين آمنوا ...﴾ الآية .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ الميسر : القمار كله وقوله : ﴿فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾ كانوا إذا شربوا الخمر فسكروا ، عدا بعضُهم على بعضٍ ، وكانوا يتقامرون حتى لا يبقى لأحدهم شيءٌ ، فكان يورث ذلك بينهم عداوةً .

---

(١) وفي خفضه أقوال نحوية أخرى ، تنظر مفصَّلةً في : إعراب القرآن (١/٢٥٨) ، مجمع البيان (١/٣١١) ، أمالي ابن الشجري (١/٢٤٠) ، البحر المحيط (٢/١٤٥) .

(٢) وجُوِّز الابتداء بالنكرة ههنا ؛ لأن المبتدأ خُصِّصَ بقوله : (فيه) وإذا اختصت النكرة ، جاز الابتداء بها . ينظر : كشف المشكلات (١/١٥٦) ، معاني القرآن للفراء (١/١٤١) .

وقوله : ﴿ومنافع للناس﴾ ما كانوا ينتفعون به من شربها وبيعها ، ومن القمار قبل أن يحرمهما الله ، قال قتادة[١]: ذمَّها الله في هذه الآية ، ولم يحرمها ؛ لما أراد أن يبلغ بها من المدة وهي يومئذٍ لهم حلال ، ثم أنزل الله بعد ذلك آية هي أشد منها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[٢] فكانوا يشربونها ؛ حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا ، وكان السُّكر عليهم فيها حرامًا ، وأحلَّ لهم ما خلا ذلك ، فذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال - لما نزلت هذه الآية - : إن الله قد تقرب في تحريم هذه الخمر . ثم أنزل الله تحريمها في سورة المائدة ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ ... .﴾ إلى قوله : ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٣] فجاء تحريمها في هذه الآية قليلها وكثيرها .

قوله تعالى : ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ يعني : الصدقة ﴿قل العفو﴾ تفسير الحسن : يعني : ما فضل عن نفقتك ، أو نفقة عيالك .

قال يحيى : وكان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة .

قال محمد : قوله : ﴿العفو﴾ من قرأها بالنصب فعلى معنى : قل : أنفقوا العفوَ ، ومن قرأها بالرفع فعلى معنى : الذي ينفقون العفوُ[٤]. والعفو في اللغة : (ل ٣٠) الفضل والكثرة ؛ يقال : قد عفا القوم ؛ إذا كثروا[٥].

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ: « إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول ، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى ، ولا يلوم اللهُ على الكفاف »[٦].

---

(١) رواه الطبري (٣٦٣/٢) .

(٢) النساء : ٤٣.

(٣) المائدة : ٩٠ - ٩١.

(٤) قراءة الجمهور بالنصب ، وقرأ أبو عمرو وحده بالرفع . ينظر السبعة (١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢٢٧/٢) .

(٥) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح ، المصباح المنير (عفو) .

(٦) روى البخاري (٣٤٥/٣ رقم ١٤٢٧) ومسلم (٧١٧/٢ رقم ١٠٣٤) عن حكيم بن حزام عن النبي ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة عن ظهر غنى » .
ورواه البخاري (٣٤٥/٣ - ٣٤٦ رقم ١٤٢٦ - ١٤٢٨) عن أبي هريرة .

قوله تعالى: ﴿كذلك يبيِّنُ اللَّه لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ تفسير [قتادة[١]: أي: أن الدنيا][٢] دار بلاء وفناءٍ، وأن الآخرة دار جزاءٍ وبقاء.

﴿ويسألونك عن اليتامى قل [إصلاحٌ لهم خير...﴾ الآية][٢] تفسير قتادة[٣]: لما نزلت هذه الآية: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي [أحسن حتى يبلغَ أشده][٢]﴾ اشتدت عليهم؛ فكانوا لا يخالطونهم في مطعمٍ ولا نحوه؛ فأنزل اللَّه [بعد ذلك: ﴿وإن تخالطوهم][٢] فإخوانُكم واللَّه يعلم المفسد من المصلح﴾ فرخَّص اللَّه لهم.

﴿ولو شاء [اللَّه لأعنتكم﴾ أي: لتركَكم في المنزلة][٢] الأولى؛ لا تخالطونهم؛ فكان ذلك عليكم عَنَتًا شديدًا. [والعنتُ: الضيق][٢][٤].

قال محمد: قوله: ﴿فإخوانُكم﴾ القراءة بالرفع[٥]؛ على معنى: فهم إخوانُكم.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿[ولا تنكحوا المشركات حتى][٢] يؤمن ولأمةٌ مؤمنةٌ﴾ يتزوَّجها المسلم؛ إذا لم يجد طَوْلاً[٦] ﴿خيرٌ [من مشركة ولو أعجبتكم﴾ ثم][٢] نسخ المشركات من أهل الكتاب في سورة المائدة؛

= وروى مسلم (٧١٨/٢ رقم ١٠٣٦) عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

(١) رواه الطبري (٣٦٩/٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٥/١) لعبد بن حميد.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٩/١) والطبري (٣٧٠/٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٥/١) لعبد بن حميد وابن الأنباري والنحاس.

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عنت).

(٥) قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ أبو مجلز بالنصب بفعل مقدر، وفيه أقوال أخر وتوجيه قراءتي الرفع والنصب. ينظر: البحر المحيط (١٦٠/٢ - ١٦١)، الدر المصون (٥٣٩/١).

(٦) الطَّوْل: الفضل والغنى واليسر. اللسان (طول).

فأحلَّهن ؛ فقال : ﴿[والمحصنات من الذين][1] أوتوا الكتاب من قبلكم﴾[2] والمحصناتُ في هذه الآية : الحرائر[3] ﴿ولا تُنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ [فحرم][1] اللَّه أن يتزوج المسلمةَ أحدٌ من المشركين ؛ فقال : ﴿ولعبدٌ مؤمنٌ﴾ تتزوَّجه المسلمة ﴿خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار﴾ يعني : المشركين يدعون إلى النار ؛ أي : إلى دينهم ، قال : ﴿واللَّه يدعو إلى الجنة والمغفرةِ بإذنه﴾ بأمره ﴿ويبينُ آياته للناس﴾ يعني : الحلال والحرام ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي : يتذكروا .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ تفسير الحسن : أن الشيطان أدخل على أهل الجاهلية في حيض النساء من الضيق ما أدخل على المجوس ؛ فكانوا لا يجالسونهن في بيت ، ولا يأكلون معهن ، ولا يشربون ؛ فلما جاء الإسلام سأل المسلمون رسول اللَّه ﷺ في ذلك ، فأنزل اللَّه : ﴿قل هو أذًى﴾ أي : قَذَرٌ ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن﴾ يعني : المُجَامَعَة ﴿حتى يطهرن﴾ يعني : حتى يرين البياض[4] ﴿فإذا تطهرن﴾ يعني : اغتسلن ﴿فأتوهن من حيث أمركم اللَّه﴾ قال ابن عباس[5]: يعني : من حيث أمركم اللَّه أن تجتنبوهن . وقال السدي : (من حيث) يعني : في حيث أمركم اللَّه ؛ يعني : في الفرج ﴿إن اللَّه يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ من الذنوب .

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ .

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) المائدة : ٥ .

(٣) واحدها : حُرَّة .

(٤) أي يرين القَصَّة البيضاء ، وهو أن تخرج القطنة أو الخرقة التي تحتشي بها الحائض كأنها قصة بيضاء لا يخالطها صفرة . وقيل : القصة شيء كالخيط الأبيض يخرج بعد انقطاع الدم كله . النهاية في غريب الحديث (٤/٧١) .

(٥) رواه الطبري (٢/٣٨٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٧٠) للدارمي وابن جرير وابن المنذر .

يحيى : عن نصر بن طريف ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : « قالت اليهودُ : إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها ، جاء ولده أَحْوَلَ ؛ فأنزل اللَّه : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ؛ إن شئتم من بين يديها ، وإن شئتم من خلفها ؛ غير أن السَّبِيلَ موضعُ الولد »[1].

قال محمد : قوله : ﴿حرث لكم﴾ كنايةٌ ، وأصل الحرث : الزرع[2]؛ أي : هو للولد كالأرض للزرع .

يحيى : عن نصر بن طريف ، عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن [جده][3] قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللُّوطية الصغرى »[4].

---

(١) رواه البخاري (٣٧/٨ رقم ٤٥٢٨)و مسلم (١٠٥٨/٢ - ١٠٥٩ رقم ١٤٣٥) من طريق محمد بن المنكدر به .

(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير (حرث) .

(٣) كأنها في الأصل : جرير . وهو خطأ ، والمثبت من « ر » .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٢، ٢١٠) والطيالسي (٢٩٩ رقم ٢٢٦٦) والبخاري في التاريخ الكبير (٣٠٣/٨) والنسائي في السنن الكبرى (٣٢٠/٥ رقم ٨٩٩٧) والبزار - كشف الأستار (١٧٢/٢ - ١٧٣ رقم ١٤٥٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٤/٣) والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٨/٧) من طريق قتادة .
وقال البزار : لا أعلم في هذا الباب حديثًا صحيحًا .
ورواه النسائي في الكبرى (٣١٩/٥ رقم ٨٩٩٦) من طريق زائدة بن أبي الرقاد الصيرفي ، عن عامر الأحول ، عن عمرو ابن شعيب به . وقال النسائي : زائدة لا أدري من هو ، هو مجهول ، ووجدت في موضع آخر : عاصم الأحول .
ورواه النسائي (٣٢٠/٥ رقم ٨٩٩٨، ٨٩٩٩) من طريق سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن عمرو بن شعيب عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا .
ورواه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٢٦٣/١) - عن يزيد بن هارون ، عن حميد الأعرج ، عن عمرو بن شعيب . عن أبيه عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا .
ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٩٥٦) عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عمرو موقوفًا .
ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٣/٣ رقم ٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٣٠٣/٨) والطحاوي في شرح المعاني (٤٦/٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب المراغي ، عن ابن عمرو موقوفًا .
وقال البخاري في التاريخ الأوسط (٢٧٣/١) : والمرفوع لا يصح .
وقال ابن كثير (٢٦٣/١) عن هذا الموقوف : وهذا أصح ، واللَّه أعلم .
وقال ابن حجر في التلخيص (٣٧٢/٣) : والمحفوظ عن عبد اللَّه بن عمرو قوله .

يحيى: عن عبد القدوس بن [حبيب][(١)] عن الحسن، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في مواضع حشوشهن[(٢)]»[(٣)].

[قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني: الولد.

يحيى: عن قرة بن خالد، عن الحسن، [عن][(٤)] صعصعة، عن أبي ذر][(٥)] (ل٣١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا حنثًا، إلا أدخلهما [الله][(٦)] الجنة بفضل رحمته إياهم»[(٧)].

---

(١) كأنها في «الأصل»: حنيف. والمثبت من «ر» وعبد القدوس بن حبيب هو أبو سعيد الشامي، متروك الحديث، ترجمته في التاريخ الكبير (١١٩/٦ - ١٢٠) والجرح والتعديل (٥٥/٦ - ٥٦) وتاريخ دمشق (٤١٦/٣٦ - ٤٢٦).

(٢) واحدها: حُشٌّ؛ وهو الكنيف. والمراد هنا: الدبر. ينظر اللسان، مختار الصحاح (حشش).

(٣) روى ابن عدي في الكامل (١٦٠/٤) من طريق محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في أعجازهن ولا في أدبارهن».

قال ابن عدي: وابن حمزة هذا ليس بالمشهور. ونقل تضعيف زيد عن النسائي.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/١): محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقال.

وروى أبو بكر الأثرم في سننه - كما في تفسير ابن كثير (٢٦٤/١) - والدولابي في الكنى (١٦٨/٢ رقم ٢٣٢٥) من طريق أبي القعقاع الجرمي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «محاش النساء حرام».

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٨٦٤/٣ رقم ٣٧٠) - ومن طريقه البيهقي في سننه (١٩٩/٨) - من هذا الطريق موقوفًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٣/١)لعبد بن حميد والدارمي موقوفًا أيضًا.

قال ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/١) عن الموقوف: وهو أصح.

وفي تحريم أدبار النساء أحاديث كثيرة، تجدها في تفسير ابن كثير (٢٦٠/١ - ٢٦٥) والدر المنثور (٢٧١/١ - ٢٧٥).

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢٨/١٤): قد تيقنا بطرق لا محيد عنها نهي النبي ﷺ عن أدبار النساء، وجزمنا بتحريمه، ولي في ذلك مصنف كبير. اهـ.

وقال أيضًا في السير (١٠٠/٥): وقد أوضحنا المسألة في مصنف مفيد، لا يطالعه عالم إلا ويقطع بتحريم ذلك.

(٤) في «ر»: بن. وهو خطأ.

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٧) رواه الإمام أحمد (١٥٣/٥، ١٥٩) وأبو عوانة (٥٠١/٤ رقم ٧٤٨٢) وابن حبان (٥٠٢/١ - ٥٠٣ رقم ٤٦٤٥) من طريق قرة بن خالد به.

ورواه الإمام أحمد (١٥١/٥، ١٦٤) والبخاري في الأدب المفرد (٦٢ رقم ١٥٠) والنسائي (٣٢٤/٤ - ٣٢٥ رقم ١٨٧٣) وأبو عوانة في صحيحه (٥٠١/٤ - ٥٠٢ رقم ٧٤٨٣ - ٧٤٨٥) والبزار (٣٤٩/٩ - ٣٥١ رقم =

يحيى : عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقدم سُقْطًا[١] أحبّ إليّ من أنْ أخلف مائة فارس ؛ كلُّهم يُقَاتل في سبيل الله »[٢].

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ بالجنة .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

= ٣٩٠٩ - ٣٩١٤) وابن حبان (٧/٢٠٢ رقم ٢٩٤٠) والطبراني في الكبير (٢/١٥٤ - ١٥٥ رقم ١٦٤٤) والبيهقي في سننه (٩/١٧١) وغيرهم من طريق الحسن به .

(١) السُّقْطُ : هو الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه ؛ ذكرًا كان أو أنثى . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سقط) .

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/٥٢٠) بهذا اللفظ ، فقال الحافظ العراقي في تخريجه : لم أجد فيه ذكر « مائة فارس » وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة : « لسقط أقدمه بين يدي أحب إليّ من فارس أخلفه خلفي » . اهـ .
فتعقبه الزبيدي فقال : بل رُوي ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميري مرسلًا بلفظ : « لأن أقدم سقطًا أحب إلي من مائة مستلئم » رواه كذلك أبو عبيد في الغريب والبيهقي في الشعب (٧/١٣٧ رقم ٩٧٥٩) وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضًا أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة ، ويزيد بن عبد الملك ضعيف ، قاله الذهبي في الكاشف . اهـ . من تخريج أحاديث الإحياء (٦/٢٦٠٦ رقم ٤٠٢٢) .
قلت : هو في سنن ابن ماجه (١/٥١٣ رقم ١٦٠٧) ويزيد بن رومان لم يُدرك أبا هريرة ، قاله المزي في تحفة الأشراف (١٠/٤١٩) .
وقد اضطرب يزيد بن عبد الملك في إسناد هذا الحديث : فرواه ابن حبان في المجروحين (٣/١٠٣) والعقيلي (٤/٣٨٥) - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٩٠٦ رقم ١٥١٤) - وابن عدي (٩/١٣٦) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .
وقال العقيلي عن يزيد النوفلي : ولا يتابع على حديثه إلا من جهة لا تصح .
وقال ابن عدي : وهذا أيضًا يزيد بن عبد الملك يرويه .
وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ والحمل فيه على يزيد النوفلي ، قال أحمد : عنده مناكير .
قال النسائي : متروك الحديث . وقال أحمد بن صالح : ليس حديثه بشيء .
ورواه ابن عدي (٩/١٣٨ - ١٣٩) وتمام الرازي في فوائده (١/٣٤٥ رقم ٨٨٤) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي ، عن يزيد بن خصيفة ، عن السائب بن يزيد ، عن عمر بن الخطاب .
وقال ابن عدي : وهذه الأحاديث بهذه الأسانيد لا يرويها عن يزيد بن خصيفة غير يزيد بن عبد الملك ، و الحديث الآخر بهذا الإسناد « لسقط أقدمه أمامي » فقد أمليته في أحاديث يزيد هذا في رواية معن عنه ، فقال : عن سليمان - كذا ، و الصواب سهيل - عن أبيه عن أبي هريرة . ويزيد هذا مضطرب الحديث لا ينضبط ما يرويه فقال مرة : عن سهيل ، وقال مرة : عن يزيد بن خصيفة . اهـ .

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿ولا تجعلوا اللَّه عرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ تفسير الحسن[١]: كان الرجل يقال له: لم لا تبرَّ أباك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل كذا لخير؟! فيقـول: قد حلفتُ باللَّه لا أبرُّه، ولا أَصِله، ولا أصلح الذي بيني وبينـه؛ يَعْتَلُّ[٢] باللَّه؛ فأنزل اللَّه ﴿ولا تجعلوا اللَّه عُرْضَةً لأيمانكم﴾ يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلُّوا باللَّه.

قال محمد: المعنى: لا تجعلوا اللَّه بالحلف به مانعًا لكم من أن تبروا. وهو الذي أراد الحسن.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «يا عَبْدَ الرحمن بن سَمُرَة؛ إذا حلفت على يمين فرأيت خيرًا منها، فَأْتِ الذي هو خير وكفِّر عن يمينك»[٣].

﴿لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم﴾.

يحيى: عن همام[٤]، عن عطاء قال: «دخلتُ مع عُبَيْد بن عمير على عائشة، فسألها عبيدٌ عن هذه الآية. فقالت: هو قول أحدكم: لا واللَّه، وبلى واللَّه»[٥].

وقال الحسن وقتادة: وهو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء؛ وأنت ترى أنه

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٨٦٩/٣ رقم ٣٧٢) والبيهقي في سننه (٣٣/١٠).

(٢) أي: يحتج أنه أقسم باللَّه، والاعتلال: الاحتجاج. ينظر اللسان، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (علل).

(٣) رواه البخاري (٦١٦/١١ رقم ٦٧٢٢) ومسلم (١٢٧٣/٣ - ١٢٧٤ رقم ١٦٥٢) من طريق الحسن البصري به.

(٤) في «ر»: هشام.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٤٠٤/٢ - ٤٠٦) والبيهقي في سننه (٤٩/١٠) من طرق عن عطاء به موقوفًا.

ورواه أبو داود (٧٧/٤ - ٧٨ رقم ٣٢٤٩) - ومن طريقه البيهقي (٤٩/١٠) - والطبري في تفسيره (٤٠٥/٢) وابن حبان (١٧٦/١٠ رقم ٤٣٣٣) من طريق حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء به مرفوعًا.

وقال أبو داود: وروى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا.

ورواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول كلهم عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا. اهـ.

وقال البيهقي: وكذلك رواه عمرو بن دينار وابن جريج وهشام بن حسان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها موقوفًا.

وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٠٨/٤): وصحح الدارقطني الوقف.

ورواه البخاري (١٢٥/٨ رقم ٤٦١٣) من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة موقوفًا.

كذلك ؛ فلا يكون كما حلفت عليه[١].

﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبتْ قلوبُكم﴾ تفسير قتادة[٢]: يعني : ما تعمدتم به المأثم ؛ وهذا فيه الكفارة .

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي : يحلفون ﴿تربص أربعة أشهر ...﴾ الآية . كانوا في الجاهلية ، وفي صدرٍ من الإسلام يغضب أحدهم على امرأته ، فيحلف بالله لا يقربها[٣] كذا وكذا فيدعها لا أيِّمًا[٤] ولا ذاتَ بَعْلٍ ؛ فأراد الله أن يعصم المؤمنين عن ذلك بحدٍّ يحُدُّه لهم ؛ فحدَّ لهم أربعة أشهر .

﴿فإن فاءوا﴾ تفسير الحسن[٥]: يعني بالفَيْء : الرجوع إلى الجماع ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

﴿والمطلقات يتربَّصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والأقراء : الحيض ؛ في قول أهل العراق ، وفي قول أهل المدينة : الأطهار[٦].

قال قتادة[٧]: جعل عدة المطلقة في هذه الآية ثلاث حيض ، ثم نَسَخَ منها المطلقة التي لم يدخل

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٩١/١) والطبري في تفسيره (٤٠٨/٢) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤١٥/٢) .

(٣) في « ر » : لا يأتيها .

(٤) الأيِّم : العَزَبُ ؛ رجلاً كان أو امرأة ، تزوَّج من قبل ، أو لم يتزوج . ويقال للمرأة : أيِّم ، وأيِّمة . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، المعجم الوسيط (أيم) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٢٨١/١) لعبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد في تفسيره .

(٦) لسان العرب ، المصباح المنير (قرأ) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر (٣٨٤/١) لعبد بن حميد في تفسيره .

بها زوجُها ؛ فقال في سورة الأحزاب : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾[١] فهذه ليست عليها عدة .

ونسخ أيضًا من الثلاثة قروء التي لا تحيض من صِغَرٍ أو كبرٍ والحامل ؛ فقال : ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾[٢] فهذه للعجوز التي لا تحيض ﴿إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ فهذه التي لم تحض أيضًا ثلاثة أشهر .

قال : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ فهذه أيضًا ليست من القروء في شيء أجلها أن تضع حملها .

قال محمد : القروء : واحدها قُرْءٌ ؛ يقال : أقرأت المرأة وقرأتْ ؛ إذا حاضت ، أو طهرت ؛ وإنما جعل الحيضُ قرءًا ، والطُّهْر قرءًا ؛ لأن أصل القرء في كلام العرب : الوقت ؛ يقال : رجع فلانٌ لقرئه ؛ أي : لوقته الذي كان يرجع فيه ؛ فالحيض يأتي لوقتٍ ، والطهر يأتي لوقت[٣] والله أعلم بما أراد .

﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ تفسير مجاهد[٤] قال : لا يحلُّ للمطلقة أن تقول إني حائض ، وليست بحائض أو تقول : إني حبلى وليست بحبلى ، أو تقول : لست بحائض وهي حائض أو تقول : لست بحبلى ، وهي حُبْلَى ؛ لِتَبِينَ من زوجها قبل أن تنقضي العدة ، وتُضِيف الولد إلى الزوج الثاني ، وتستوجب الميراث ؛ إذا مات الرجل [فتقول : لم تنقض عدتي][٥] وقد انقضت عدتها ، والنفقة في الحمل .

(ل٣٢) ﴿وبعولتهن﴾ يعني : الأزواج ﴿أحق بردهن في ذلك﴾ في العدة التطليقة والتطليقتين

= ورواه الطبري في تفسيره (٤٣٩/١) مختصرًا .

(١) الأحزاب : ٤٩.

(٢) الطلاق : ٤.

(٣) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (قرأ) .

(٤) رواه الطبري (٤٤٧/١ - ٤٤٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٥/١) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبيهقي .

(٥) طمس في الأصل ، وأثبت من « ر » .

﴿إن أرادوا إصلاحًا﴾ يعني: حسن الصُّحْبة ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ يعني: فضيلة في الحق.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

﴿الطلاق مرتان﴾ **قال يحيى**: بلغنا أن أهل الجاهلية لم يكن لهم حدّ في الطلاق، كان يطلق أحدهم العَشْرَ وأقل من ذلك وأكثر، فجعل الله حَدَّ الطلاق ثلاثًا، ثم قال: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان﴾ وبلغنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قول الله: ﴿الطلاق مرتان﴾ فأين الثالثة؟ قال: قوله تعالى: ﴿أو تسريح بإحسان﴾»[1].

قال محمدٌ: القراءة (فإمساكٌ) بالرفع[2] على معنى: فالواجب عليكم إمساكٌ بمعروف، أو تسريح بإحسان. ومعنى (بمعروف) بما يعرف من إقامة الحق؛ في إمساك المرأة وقوله تعالى:

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٤/٤ رقم ٢) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٧٢) - والبيهقي في سننه (٧/٣٤٠) من طريق عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس بن مالك.
قال الدارقطني: كذا قال «عن أنس» والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسل عن النبي ﷺ.
وقال البيهقي: كذا قال عن أنس ﷺ، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين عن النبي ﷺ مرسلاً، كذلك رواه جماعة من الثقات عن إسماعيل.
قلت: حديث أبي رزين المرسل رواه أبو داود في مراسيله (١٨٩ رقم ٢٢٠) وعبد الرزاق في تفسيره (١/٩٣) وسعيد بن منصور في سننه (١/٣٤٠ - ٣٤١ رقم ١٤٥٦، ١٤٥٧) والحارث بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤/١٥٣ رقم ٣٣٢٤) والطبري في تفسيره (٢/٤٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤١٩ رقم ٢٢١٠) والبيهقي (٧/٣٤٠)، وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه في تفسيريهما - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٧٢) - ووكيع وابن المنذر والنحاس - كما في الدر المنثور (١/٢٨٧).
ورواه الدارقطني في سننه (٤/٣ - ٤ رقم ١) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٧٢) - من طريق قتادة عن أنس.
قال البيهقي في سننه (٧/٣٤٠): ورُوي عن قتادة عن أنس ﷺ وليس بشيء.

(٢) وهي قراءة الجمهور، ولم يقرأ أحد بالنصب، وإن كان جائزٌ في العربية نصبه على المصدر. وفي توجيه قراءة الرفع أقوال نحوية أخر غير القول المذكور ههنا. فلتراجع مفصّلة لمن أرادها من: إعراب القرآن (١/٢٦٤)، مجمع البيان (١/٣٢٨)، البحر المحيط (٢/١٩٦).

﴿الطلاق مرتان﴾ معناه : الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان .

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود اللَّه﴾ يعني : أمر اللَّه في أنفسهما ؛ وذلك أنه يُخاف من المرأة في نفسها إذا كانت مبغضةً لزوجها فتعصي اللَّه فيه ، ويخاف من الزوج إن لم يطلقها أن يتعدَّى عليها .

قال محمد : الذي يدلُّ عليه تفسير يحيى : أن القراءة كانت عنده [يُخَافا] بضم الياء ، وكذلك قرأها أبو جعفر وحمزة . وقرأها نافع وغير واحدٍ (يَخَافا) بالفتح[١]؛ ذكره أبو عبيد[٢].

قال أَبو عُبَيْدٍ : والقراءة عندنا بضم الياء ؛ لقوله تعالى : ﴿فإن خفتم﴾ فجعل الخوف لغيرهما ، ولم يقل : فإن خافا[٣].

قال قتادة : خاطب بهذا الولاة ﴿ألا يقيما حدود اللَّه فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود اللَّه﴾ يعني : سُنَّة اللَّه وأمره في الطلاق ﴿فلا تعتدوها﴾ أي : لا تتعدوها إلى غيرها ﴿ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون﴾ لأنفسهم .

قال محمد : ومعنى حدود اللَّه : ما حدَّه مما لا تجوز مُجَاوزته إلى غيره ، وأصل الحد في اللغة : المنع ؛ يقال : حددتُ الدار ؛ أي : بيَّنت الأمكنة التي تمنع غيرها أن يدخل فيها ، وحددتُ الرَّجُلَ أقمت عليه الحدَّ ، والحدُّ : هو الذي يمتنعُ به الناسُ من أن يدخلوا فيما يجلب إليهم العقوبة[٤].

قوله تعالى : ﴿فإن طلقها﴾ يعني : الثالثة ﴿فلا تحل له من بَعْدُ حتى تنكح زوْجًا غيره﴾ .

يحيى : عن سعيدٍ ، عن قتادة : « أن تميمة بنت عُبَيْد بن وهبِ القرظيَّة طلقها زوجها ، فخلف عليها عبد الرحمن بن الزبير فطلقها ، فأتت رسولَ اللَّه ﷺ فسألته ؛ هل ترجع إلى زوْجها الأول .

---

(١) ينظر السبعة (١٨٣) ، التيسير (٨٠) ، النشر (٢٢٧/٢) .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري مولاهم ، البغدادي ، أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر ، وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر . توفي بمكة (٢٢٤هـ) ينظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٥٣/٣) ، سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠) ، بغية الوعاة (٣٧٦) ، إنباه الرواة (١٣/٢) .

(٣) وفي توجيه ضم الياء أقوال نحوية أخر تنظر من : معاني القرآن للفراء (١٤٥/١ - ١٤٦) ، إعراب القرآن (٢٦٥/١) ، مجمع البيان (٣٢٨/١) ، البحر (١٩٧/٢ - ١٩٨) .

(٤) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير ، مختار الصحاح (حدد) .

فقال لها : هل غشيك؟ فقالت : ما كان ، ما عنده بأغنى عنه من هُدْبة ثوبي[١]؛ فقال رسولُ اللَّه ﷺ : لا ، حتى تذوقي من عُسَيْلةِ غيره[٢]. فقالت : يا رسول اللَّه ، قد غشيني . فقال : اللهم إن كانت كاذبةً فاحْرِمْها إياه . فأتتْ أبا بكرٍ بعده فلم يُرَخِّص لها ، ثم أتت عمر فلم يُرخِّص لها »[٣].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿فإن طلقها فلا جُنَاحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود اللَّه﴾ يعني : إن أيْقنا أن يُقِيمَا حدود اللَّه . تفسير بعضهم : يقول : ﴿فإن طلقها﴾ يعني : الزوج الأخير ﴿فلا جناح عليهما﴾ على المرأة والزوج الأول الذي طلقها ثلاثًا ﴿أن يتراجعا﴾ إن أحبَّا .

وفي تفسيرهم : فإن طلقها ، أو مات عنها ، فلا جناح عليهما أن يتراجعا .

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ...﴾ إلى قوله : ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ .

يحيى : عن الجهم بن وَرَّاد ؛ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ قال لامرأته : لأُطلقنك ، ثم لأُحبسنّك تسع حيض لا تقدرين على أن تتزوجي غيري . قالت : وكيف ذلك؟! قال : أُطلقك تطليقة ، ثم [أدعك][٤] حتى إذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك ، ثم أُطلقك أخرى ، فإذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك ثم أطلقك ثم [تعتدين من][٤] ثلاث حيضٍ ، فأنزل اللَّه (ل٣٣) هذه الآية ﴿وإذا طلقتم النساء ...﴾ إلى آخرها .

---

(١) الهُدْبة - ويقال فيه : الهدب - : طَرَفُ الثوب . وقد كَنَتْ به ههنا عن ارتخاء آلة الجماع وضَعفها .

(٢) كناية عن المجامعة .

(٣) رواه سعيد بن أبي عروبة في كتاب النكاح له عن قتادة - عزاه له ابن حجر في الفتح (٩/٣٧٤) ومن طريقه رواه ابن منده في معرفة الصحابة ، كما في الإصابة (١٢/١٦٥ رقم ٢٠٣) .

ورواه البخاري (٩/٢٧٤ رقم ٥٢٦٠) ومسلم (٢/١٠٥٥ - ١٠٥٧ رقم ١٤٣٣) عن عائشة دون آخره .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال يحيى : فإذا انقضت العدةُ قبل أن يراجعها ، فهو تسريح .

﴿ولا تتخذوا آيات اللَّه هزوًا﴾ .

يحيى : عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن ، عن أبي الدرداء قال : « كان الرجل يطلق ؛ فإذا سئل ، قال : كنتُ لاعبًا . ويتزوَّج ؛ فإذا سئل ، قال : كنت لاعبًا . ويعْتق ؛ فإذا سئل ، قال : كنت لاعبًا . فأنزل اللَّه : ﴿ولا تتخذوا آيات اللَّه هُزوًا﴾ وقال رسول اللَّه ﷺ : « من طلَّق لاعبًا أو تزوَّج لاعبًا أو أعتق لاعبًا فهو جائزٌ »[1].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٤/٢٨٨) وابن عدي في الكامل (٦/١٩٠) كلاهما من طريق عمرو ابن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء .

وقال الهيثمي في المجمع : وفيه عمرو بن عبيد ، وهو من أعداء اللَّه .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/٢٨١) وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفًا عليه .

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٨١ رقم ٥) من طريق عمرو عن الحسن مرسلًا .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/٤٨٢) من طريق سليمان بن أرقم عن الحسن مرسلًا .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٢٥ - ٤٢٦ رقم ٢٢٤٨) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً .

وروى ابن أبي شيبة (٤/٨١ رقم ١) وعبد الرزاق (٦/١٣٣ - ١٣٤ رقم ١٠٢٤٥ ، ١٠٢٤٦) من طريق الحسن عن أبي الدرداء قال : « ثلاث اللاعب فيهن كالجاد : النكاح ، والطلاق ، والعتاقة » .

ورواه أحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٤/٤٥ رقم ١/٣١٣٩) - وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٨١) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن عبادة بن الصامت .

قال الحافظ ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٣/٢١٥) إسماعيل ضعيف ، والحسن لم يسمع من عبادة . واللَّه أعلم .

ورواه الحارث بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤/٤٥ رقم ٢/٣١٣٩) - من طريق ابن لهيعة عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر عن عبادة بن الصامت نحوه .

وهذا إسناد منقطع ضعيف .

وروى عبد الرزاق في المصنف (٦/١٣٤ - ١٣٥ رقم ١٠٢٤٩) عن إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم أن أبا ذر قال قال رسول اللَّه ﷺ : « من طلق وهو لاعب فطلاقه جائز ، ومن أعتق وهو لاعب فعتاقه جائز ، ومن أنكح وهو لاعب فنكاحه جائز » .

وإبراهيم بن محمد متروك .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٢٨١) بعد أن ذكر أغلب هذه الطرق : والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن ماهك عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح ، والطلاق ، والرجعة » وقال الترمذي : حسن غريب .

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿فلا تعضلوهُنَّ﴾ أي: تحبسوهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ ﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ يعني: لقلب الرجل، وقلب المرأة.

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن «أن معقل بن يسار زوَّج أخته رجلاً، فطلَّقها الرجل تطليقة، فلما انقضت عدتها خطبها، فأرادت أن تتزوَّجه، فغضب معقل، وقال: زوَّجتُه ثم طلقها؛ لا ترجع إليه؛ فأنزل الله هذه الآية؛ إلى قوله: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾»[1] أي: علم الله حاجته إليها، وحاجتها إليه.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

﴿والوالدات﴾ يعني: المطلقات؛ في تفسير مجاهد[2] ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ تفسير قتادة[3]: قال: أنزل الله في أول هذه الآية ﴿حولين كاملين﴾ ثم أنزل اليُسْر والتخفيف؛ فقال: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ﴿وعلى المولود له﴾ يعني: الأب ﴿رزقهن

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٠١ رقم ٢٩٨١) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن عن معقل بن يسار، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن الحسن.

ورواه البخاري (٨/٤٠ رقم ٤٥٢٩، ٩/٨٩ رقم، ٥١٣٠ ٩/٣٩٢ - ٣٩٣ رقم ٥٣٣٠، ٥٣٣١) من طرق عن الحسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢/٤٢٨ رقم ٢٢٦١).

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٩٧) لوكيع وسفيان وعبد الرزاق وآدم وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢/٤٩٣).

وكسوتهن بالمعروف﴾ على قدر مَيْسَرَتِهِ ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ تفسير قتادة[١]: قال : نهى اللّه الوالد أن ينزعه[٢] من أمه ؛ إذا رضيت أن تُرْضِعَه بما كان مسترضعًا به غيرها ، ويدفعه إلى غيرها ، ونُهِيت الوالدةُ أن تقذف الولد إلى زوجها ؛ إذا أعطاها ما كان مُسْتَرضِعًا غيرها [وتدفعه إلى غيرها][٣].

﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ تفسير قتادة[٤]: قال : على وارث المولود إن كان المولود لا مال له ﴿مثل ذلك﴾ أي : مثل الذي كان على والده لو كان حيًا من أَجر الرضاع . وقال الحسن[٥]: وعلى الرجال دون النساء ، وتفسير ابن عباس[٦]: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ قال : هو في الضرار . ﴿فإن أرادا فصالاً﴾ يعني : فطامًا ﴿عن تراضٍ منهما وتشاوُرٍ﴾ قبل انقضاء الحولين بعد أن يستطيع الفطام ، ولا يدخل عليه فيه ضرورة ﴿فلا جُنَاح عليهما﴾ .

﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي : لأولادكم ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ تفسير مجاهد : حساب ما رضع الصبي ؛ إذا تراضيا أن يسترضعا له إذا خافا الضَّيْعة عليه .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾ وفي العشر يُنْفَخُ في الولد الروح ، فنَسَخَت هذه الآيةُ الآيةَ التي بعدها في التأليف ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾[٧] وهي قبل هذه في التنزيل ،

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/٤٩٧) .

(٢) أي : ينزع الوالدُ الولدَ من أمِّه .

(٣) من « ر » .

(٤) رواه الطبري (٢/٥٠٣) وابن أبي حاتم (٢/٤٣٣ رقم ٢٢٩٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٩٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢/٥٠٠) .

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٣٣ رقم ٢٢٩١) .

(٧) البقرة : ٢٤٠.

وَوُضِعت(١) في هذا الموضع. قال الحسن: وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ فيقول: يا محمد، إن اللّه يأمرك أن تضع آية كذا بين ظَهْرَاني آية كذا وكذا من السورة.

يحيى: عن يزيد بن إبراهيم، عن محمد بن سيرين، عن مالك بن عمرو، عن عبد اللّه بن مسعود؛ أنه قال: «نسخ من هذه الآية الحامل المتوفى عنها زوجها؛ فقال في سورة النساء القصرى(٢): ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾(٣)»(٤).

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: انقضت العدة ﴿فلا جناح عليكم﴾ أي: فلا إثم عليكم ﴿فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ قال مجاهد: يريد النكاح الحلال.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم﴾ يعني: أسررتُم في أنفسكم، قال عكرمة(٥): التعريض أن يقول: أنت في [نفسي](٦) (ل ٣٤) وتقول هي: ما يُقدر من أمر يكن؛ من غير أن يُوَاعِدَهَا ألا تنكح غيره، ﴿علم اللّه أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرًّا﴾ تفسير قتادة(٧): يقول: لا تأخذوا ميثاقها في عدتها ألاَّ تنكح زوجًا غيره ﴿إلا أن يقولوا قولاً معروفًا﴾ هو التعريض ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿واعلموا أن اللّه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ يعني: في أن تزوجوهن في العدة وفي جميع الأشياء بعد.

---

(١) في «ر»: ووجهت.

(٢) يعني: سورة الطلاق.

(٣) الطلاق: ٤.

(٤) رواه البخاري (٤١/٨ رقم ٤٥٣٢) من طريق محمد بن سيرين بمعناه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٤٣٨/٢ رقم ٢٣٢٧).

(٦) في الأصل: فؤادي. والمثبت من «ر».

(٧) رواه الطبري (٥٢٣/٢ - ٥٢٤).

قال محمد : قوله : ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ المعنى : على عقدة النكاح ، فاختصر على .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ يعني : تجامعوهن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ الموسع : الذي وُسعَ عليه في الرزق ، والمقتر : المقتَّر عليه ﴿متاعًا بالمعروف﴾ .

يحيى : وليس في المتعة أمرٌ مؤقَّت ، إلا ما أحب لنفسه من طلب الفضل في ذلك ، وقد كان في السَّلف من يُمتِّع بالخادم ، ومنهم من يمتع بالكُسْوَة ، ومنهم من يمتع بالطعام .

قال محمد : ﴿متاعًا﴾ يجوز أن يكون النصب فيه على معنى : ومتعوهن متاعًا[1] ويقال : أوسع الرجلُ ؛ إذا استغنى ، وأقتر ؛ إذا كان مقترًا عليه ، وأصل الإقتار : الضيق[2].

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي : تجامعوهن ﴿وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ .

قال محمدٌ : القراءة (فنصفُ) بالرفع ؛ على معنى : فعليكم نصف ما فرضتم[3].

قال سعيد بن المسيب[4]: كان لها المتاعُ في سورة الأحزاب[5]؛ فنسختها هذه الآية ؛ فصار لها نصف الصداق ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني : النساء ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ قال شريح[6]:

---

(١) وفي نصبه أقوال أخر . ينظر : مجمع البيان (٣٤٠/١) ، البحر المحيط (٢٣١/٢) .

(٢) ينظر لسان العرب ، ومختار الصحاح والمصباح المنير (وسع ، قتر) .

(٣) وقرئ أيضًا بالنصب . وفي توجيه قراءة الرفع أقوال أخر . ينظر : معاني القرآن للأخفش (١٧٧) ، إعراب القرآن (٢٧١/١) ، مجمع البيان (٣٤١/١) ، البحر (٣٤/٢) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٣٠١/١) لابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه .

(٥) الأحزاب : ٤٩.

(٦) روى عبد الرزاق في تفسيره (٩٦/١) والطبري في تفسيره (٥٤٣/٢) والبيهقي (٢٥٢/٧) عن شريح : الذي بيده عقدة النكاح الزوج .

هو الزوج ؛ إن شاء عفا عن نصف الصداق ، فأعطى المرأة الصداق تامًا ، وإن شاءت المرأة عَفَتْ عن نصف الصداق ، فسلمت الصداق كله للزوج .

يحيى : وكان الحسن[1] يقول : الذي بيده عقدة النكاح الولي .

﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ يقول ذلك من التقوى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أي : لا تتركوه .

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿حافظوا على الصلوات﴾ يعني : الصلوات الخمس ؛ على وضوئها ، ومواقيتها ، وركوعها وسجودها ﴿والصلاة الوسطى﴾ وهي في الخَمْس .

يحيى : عن عثمان ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي قال : « سُئِل رسولُ اللَّه ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال : هي صلاةُ العصر التي فرط فيها نبيُّ اللَّه سليمان ﷺ »[2].

---

(١) رواه الطبري (٢/٥٤٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٠٢) لابن أبي شيبة .

(٢) رواه مسدد في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (٢/١٢٤ رقم ١/١١٧٢) - من طريق محمد ابن إسحاق عن أبي إسحاق الهمداني به .

وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ؛ لضعف الحارث بن عبد اللَّه الهمداني الأعور ، وتدليس محمد بن إسحاق .

ورواه ابن عدي في الكامل (٨/١٩٠) من طريق مقاتل بن سليمان عن أبي إسحاق السبيعي به .

قال ابن حجر في تخريج الكشاف (٢١ رقم ١٧٥) : وفي إسناده مقاتل بن سليمان ، وهو ساقط ، ورواه ابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعًا - كذا ، والصواب موقوفًا - وهو أشبه بالصواب . اهـ .

ورواه الدمياطي في كشف المغطى (٤٤ - ٤٥ رقم ٤٩) من طريق الدارقطني عن محمد بن سعيد بن غالب ، عن محمد بن كثير الكوفي ، عن الأجلح بن عبد اللَّه عن أبي إسحاق به مرفوعًا .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/٥٥٤) من طريق مصعب عن الأجلح عن أبي إسحاق به موقوفًا .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/٥٥٤) والدمياطي في كشف المغطى (٤٢ - ٤٤ رقم ٤٧، ٤٨) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق به موقوفًا .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/٥٥٤) من طريق عنبسة عن أبي إسحاق به موقوفًا .

قال الدارقطني في العلل (٣/١٥٢ - ١٥٣ رقم ٣٢٤) لما سُئل عن هذا الحديث : يرويه يعقوب بن محمد الزهري =

﴿وقوموا لِلّه قانتين﴾أي : مطيعين .

قال محمد : معنى ﴿قانتين﴾ هنا : أي : ممسكين عن الكلام ؛ وأصل القنوت : الطاعة[(١)].

﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبانًا﴾ تفسير قتادة[(٢)] قال : هذا عند الضِّراب بالسُّيوف ؛ راكبًا كنت ، أو ساعيًا ، أوْ ماشيًا ؛ إن استطعت فركعتين ، وإلا فركعة تومئ برأسك إيماءً أينما توجَّهت .

قال يحيى : وبلغني أنه إذا كان الأمر أشدَّ من ذلك ، كبَّر أربع تكبيرات .

قال محمد : قوله : ﴿فرجالاً أو ركبانًا﴾ معناه : فصلُّوا رجالاً أو ركبانًا ، و﴿رجالاً﴾ جمع راجل[(٣)]؛ كما قالوا : صاحِبٌ وصحابٌ ، والخوف ها هنا ؛ باليقين لا بالظن .

﴿فإذا أمنتم فاذكروا اللّه كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ يعني : فصلُّوا لِلّه تعالى .

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

= عن ابن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ . ووقفه غيره عن ابن عيينة .

وكذلك رواه إسرائيل وغيره عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال : « صلاة الوسطى : صلاة العصر » .

ورواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق فرفعه ، وتابعه محمد بن كثير الكوفي عن الأجلح عن أبي إسحاق فرفعه أيضًا . والموقوف أصح . اهـ .

قلت : ورجح الوقف الترمذي في جامعه (٣/٢٩١ رقم ٩٥٧، ٩٥٨، ٥/٢٥٦ رقم ٣٠٨٨، ٣٠٨٩) .

وروى البخاري (٦/١٢٤ رقم ٢٩٣١) ومسلم (١/٤٣٦ - ٤٣٧ رقم ٦٢٧) عن عبيدة السلماني عن علي قال : « لما كان يوم الأحزاب قال رسول اللّه ﷺ : ملأ اللّه قبورهم وبيوتهم نارًا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس .

وقال الدمياطي في كشف المغطى (٢٤) : هذا حديث كبير جليل خطير ، نبيل عالٍ غير عليل ، حسن صحيح ، وهو نص صريح ، كوفي المخرج ، مجمع على صحته اهـ .

قلت : وله طرق أخرى صحيحة عن علي ﷺ .

(١) ينظر لسان العرب والمصباح المنير ومختار الصحاح (قنت) .

(٢) رواه الطبري (٢/٥٧٤) .

(٣) والراجل : الذي يسير على رجليه ، ويجمع على (رِجَال ، ورَجَّالة) ينظر : لسان العرب ، والقاموس المحيط (رجل) .

﴿والذين يُتوفَون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾ تفسير قتادة[١]: قال : كانت المرأة إذا توفِّي عنها زوجها ينفق عليها من ماله حَوْلاً ما لم تخرج ؛ فإن خرجت ، فلا نفقة لها ؛ فنسخ الحول في قوله : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهرٍ وعشرًا﴾[٢] (ل٣٥) ونسخ النفقة في الحول في هذه الآية : ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولدٌ فإن كان لكم ولدٌ فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيَّةٍ توصون بها أو دين﴾[٣].

قال محمدٌ : تقرأ ﴿وصية﴾ بالرفع والنصب ؛ فمن نصب أراد : فليوصوا وصيةً ، ومن رفع فعلى معنى : فعليهم وصية[٤]. ونصب ﴿متاعًا﴾ بمعنى : متِّعوهن متاعًا[٥].

قوله : ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروفٍ﴾ يعني : أن يتزينَّ ، ويتشوَّفن[٦]، ويلتمسن الأزواج .

﴿وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين كذلك يبيِّن الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ أي : لكي تعقلوا .

قال محمد : قوله ﴿حقًّا﴾ نصب على معنى : يحق حقًّا[٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى

---

(١) رواه عبد الرزاق (٩٦/١) وابن أبي حاتم (٤٥١/٢ رقم ٢٣٩٠) والطبري (٥٧٩/٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣١٩/١) لابن الأنباري في المصاحف .

(٢) البقرة : ٢٣٤.

(٣) النساء : ١٢.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر بن عاصم بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . ينظر : السبعة (١٨٤) والتيسير (٨١) والنشر (٢٢٨/٢) .

(٥) وفيه أقوال أخر في توجيه النصب ينظر : إعراب القرآن (٢٧٥/١) والبحر (٢٤٥/٢ - ٢٤٦) والدر المصون (١/ ٥٩١) .

(٦) في « ر » : يتشرفن .

(٧) وفي توجيه النصب أقوال أخر ينظر : البحر (٢٤٦/٢ - ٢٤٧) وإعراب القرآن (٢٧٥/١ - ٢٧٦) .

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ ...﴾ الآية . تفسير قتادة[١]: هم قومٌ فرُّوا من الطاعون ، فمقتهم اللَّه على فرارهم من الموت ﴿فقال لهم اللَّه موتوا﴾ فأماتهم اللَّه عقوبةً ، ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم .

قال الكلبي[٢]: وكانوا ثمانية آلافٍ ، فأماتهم اللَّه ، فمكثوا ثمانية أيام .

قال محمد : وقوله : ﴿ألم تر﴾ هو على جهة التعجُّب ؛ كقوله : ألم تر إلى ما صنع فلان؟!

﴿من ذا الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا﴾ أي : حلالاً محتسبًا ﴿فيضاعفه له أضعافًا كثيرة﴾ قال الحسن : هذا في التطوُّع ، وكان المشركون يخلطون أموالهم بالحرام ؛ حتى جاء الإسلام فنزلت هذه الآية ، فأُمِرُوا أن يتصدقوا من الحلال ، ولما نزلت قالت اليهود : هذا ربكم يستقرضكُمْ ، وإنما يستقرض الفقير ؛ فهو فقير ونحن أغنياء ، فأنزل اللَّه ﴿لقد سمع اللَّه قول الذين قالوا إن اللَّه فقيرٌ ونحن أغنياء﴾[٣].

قال محمدٌ : أصل القرض ما يفعله الرجل ويعطيه ؛ ليجازى به ، والعرب تقول : لك عندي قرضٌ حسن ، وقرض سيئ[٤].

وقوله : ﴿فيضاعفُه﴾ من قرأه بالرفع فهو عطف على ﴿يقرضُ﴾ ومن نصب فعلى جواب الاستفهام[٥] ﴿واللَّه يقبض ويبسط﴾ يقبض عمَّن يشاء ، ويبسط الرزق لمن يشاء ﴿وإليه ترجعون﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٩٧/١) وابن أبي حاتم (٤٥٧/٢ رقم ٢٤١٩) والطبري (٥٨٩/٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٢٠/١) لعبد بن حميد .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٩٧/١) .

(٣) آل عمران : ١٨١.

(٤) ينظر لسان العرب ، المصباح المنير ، مختار الصحاح (قرض) .

(٥) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب ، والباقون بالرفع . ينظر : السبعة (١٨٤ - ١٨٥) التيسير (٨١) ، النشر (٢٢٨/٢) .
وفي توجيه قراءة الرفع والنصب أقوال نحوية تنظر من : إعراب القرآن(٢٧٦/١) مجمع البيان (٣٤٨/١) ، البحر (٢/ ٢٥١ - ٢٥٢) .

يعني : البعث .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿ألم تر إلى الملإ﴾ يعني : الأشراف ﴿من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله﴾ .

قال محمد : القراءة ﴿نقاتِلْ﴾ بالجزم ؛ على جواب المسألة[1].

قال الكلبي : إن بني إسرائيل مكثوا زمانًا من الدَّهر ليس عليهم ملكٌ ، فأحبوا أن يكون عليهم ملك يقاتل عدوَّهم ، فمشَوْا إلى نبي لهم من بني هارون يقال له : إشمَويل[2]، فقالوا له : ﴿ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله﴾ فقال لهم نبيهم : ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ وكان عدوُّهم من قوم جالوت ﴿فلما كُتِب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم ...﴾ .

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا﴾ وكان طالوت من سبط قد عملوا ذنبًا

---

(١) قرأ الجمهور (نقاتلْ) أي : بالنون والجزم ، وفيه قراءة أخرى : ﴿يقاتلُ﴾ أي : بالياء والرفع . وقرئ بالنون والرفع . ينظر : البحر (٢/٢٤٨ - ٢٤٩) ، الدر (١/٥٩٨) ، والسبعة (١٨٦) ، والتيسير (٨١) ، والنشر (٢/٢٣٠) .

(٢) هكذا في الأصل ، و « ر » وفي ابن كثير : شمويل .

عظيمًا ، فَنُزِعَ منهم الملك في ذلك الزمان فأنكروه ﴿وقالوا أنّى يكون له المُلْكُ علينا﴾ وهو من سبط الإثم ؛ يعنون : الذنب الذي كانوا أصابوا ﴿ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعةً من المال قال إن اللَّه اصطفاه عليكم﴾ اختاره لكم ﴿وزاده بسطةً في العلم والجسم﴾ وكان طالوت أعْلَمَهُمْ يومئذٍ وأطولهم .

قال محمد : قوله ﴿بسطةً﴾ أي : سعة ؛ من قولك : بسطتُ الشيء ؛ إذا فرشته[1] ووسَّعْته[2].

قال الكلبي فقالوا : ائتنا بآية نعلم أن اللَّه اصطفاه علينا ﴿وقال لهم نبيهم إنَّ آية﴾ علامة ﴿ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ **قال يحيى** : يعني : رحمة من ربكم ، في تفسير بعضهم .

قال محمد : وقيل : سكينة فعيلة ؛ من : السكون[3]؛ المعنى : فيه ما تسكنون ؛ إذا أتاكم .

﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وكان فيه عصا موسى ورضاض[4] الألواح وقفيز[5] مَنٍّ كان موسى ﷺ (ل٣٦) تركه عند فتاه يوشع بن نون وهو في البريّة .

في تفسير بعضهم : فأقبلت به الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فأصبح في داره . قال الحسن : وكان التابوت من خشب .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾

---

(١) في « ر » : فتحته .

(٢) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح ، المصباح المنير (بسط) .

(٣) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير (سكن) .

(٤) هو الفُتات والدُّقاق لسان العرب (رضض) .

(٥) هو مكيال كان يكال به قديمًا ، ويختلف مقداره في البلاد ، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا .

ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (قفز) .

﴿فلما فصل طالوت بالجنود ...﴾ إلى قوله : ﴿إلا قليلاً منهم﴾ قال الكلبي : لما سار بهم طالوت ، اتخذ بهم مفازة[١] من الأرض فعطشوا فقال لهم نبيهم ﴿إن الله مبتليكم﴾ أي : مختبركم ﴿بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه﴾ يعني : ومن لم يشربه ﴿فإنه مني إلا من اغترف غرفةً بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم﴾ جعلوا يشربون منه ولا يروون ، وأما القليل فكفتهم الغرفة ، ورجع الذين عصوا وشربوا .

قال يحيى : ﴿غرفة﴾ تُقرأ بفتح الغين ورفعها ؛ فمن قرأها بالنصب[٢] ؛ يعني : غرفته التي اغترف مرةً واحدة ، ومن قرأها بالرفع[٣] ؛ أراد : الغرفة ملء[٤] اليد .

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ قال الكلبي : وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعِدَّةِ أهل بدر ﴿قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالُوتَ وجنوده قال الذين يظنون﴾ [يعلمون][٥] ﴿أنهم ملاقو الله كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين﴾ قيل للحسن : أليس القوم جميعًا كانوا مؤمنين الذين جاوزوا؟! قال : بلى ، ولكن تفاضلوا بما شحَّت أنفسهم من الجهاد في سبيله .

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا﴾ يعني : أنزل علينا ﴿صبرًا وثبت أقدامنا﴾ أي : واجعل لنا الظَّفَرَ عليهم .

---

(١) أي : صحراء .

(٢) أي : بفتح الغين .

(٣) أي : بضم الغين .

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع بفتح الغين ، وقرأ الباقون بضمها . ينظر : السبعة (١٨٧) ، التيسير (٨١) ، النشر (٢/٢٣٠) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾ **قال محمد** : يعني : آتى الله داود ؛ لأنه مُلِّك بعد قتله جالوت ﴿وعلمه مما يشاء﴾ يعني : الوحي الذي كان يأتيه من الله ﴿ولولا دفاع[١] الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ تفسير قتادة[٢]: يبتلي المؤمن بالكافر ، ويعافي الكافر بالمؤمن .

قال محمدٌ : وقيل : المعني : ولولا دفاع الله الكافرين بالمسلمين ، لكَثُر الكفر ؛ فنزلت بالناس السُّخطة فاستؤصل أهل الأرض . ونصب ﴿بَعْضَهُم﴾ بدلاً من ﴿الناس﴾ المعنى : ولولا دفاع الله بعض الناس ببعض[٣].

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ **قال محمد** : معنى آيات الله ها هنا : أعلامه التي تدل على توحيده ، و﴿تلك﴾ بمعنى هذه .

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ قال الحسن : يعني : بما آتاهم الله من النبوة والرسالة ﴿منهم من كلم الله ورفع بعضهم دَرَجَات﴾ قال الحسن : يعني : في الدنيا على وجه ما أُعْطوا .

﴿وآتيناعيسى ابن مريم البينات﴾ **قال محمد** : يريد الأعلام التي تدل على إثبات نبوته من إبراء الأكْمه[٤]

---

(١) هكذا قرأ المصنِّف (دفاع) ؛ وهي قراءة نافع . وقرأ الباقون (دفع) . ينظر : السبعة (١٨٧) ، والتيسير (٨٢) والنشر (٢/ ٢٣٠) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٣٢٩/١) لعبد بن حميد .

(٣) وفيه أقوال أخر للنحاة . ينظر : إعراب القرآن (٢٧٩/١ - ٢٨٠) ومجمع البيان (٣٥٦/١) والبحر (٢٦٩/٢) .

(٤) الأكمه هو : هو الذي يولد مطموس العين ، وقد يقال لمن تذهب عينه . المفردات في غريب القرآن (كمه) .

والأبرص[١]، وإحياء الموتى[٢]، وغير ذلك مما آتاه الله، وقوله: ﴿تلك الرسل﴾ يريد: الجماعة.

﴿وأيّدناه﴾ يعني: عيسى عليه السلام أعنّاه ﴿بروح القدس﴾ وروح القدس جبريل ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ قال قتادة: يعني: من بعد موسى وهارون.

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خُلّةٌ﴾ قال قتادة[٣]: ﴿ولا خلة﴾ أي: ولا صداقة، إلا للمتقين ﴿ولا شفاعة﴾ أي: للمشركين ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنفسهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال الحسن: القائم على كل نفس بكسبها يحفظ عليها عملها حتى يجازيها به ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ قال الحسن[٤]: السِّنَةُ: النُّعَاس، والنَّوْم؛ يعني: النوم الغالب.

قال محمد: يقال: وَسِن الرجل يوسن وَسَنًا؛ إذا نعس[٥].

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ كقوله: ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾[٦] (ل٣٧) وكقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[٧].

---

(١) الأبرص هو: المصاب بالبرص، وهو داء يصيب الجلد فيتركه أبيض على غير لونه.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقوله: ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني...﴾ الآية [المائدة: ١١٠].

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣/٣ - ٤) بمعناه.

وعزاه السيوطي في الدر (٣٣١/١) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٢/١) مختصرًا.

(٥) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (وسن).

(٦) سورة: يونس آية: ٣.

(٧) سورة: الأنبياء آية: ٢٨.

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن : يعني : أول أعمالهم وآخرها ﴿ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء﴾ يعني : ما يعلمُ الأنبياء من الوحي ﴿وسع كرسيه السمـٰوات والأرض﴾ [قال قتادة : يعني : ملأ كرسيه السمـٰوات والأرض][1].

يحيى : عن المُعَلَّى بن هلال ، عن عمار الدُّهني ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « إن الكرسي الذي وسع السمـٰوات والأرض لموضع القدمين ، ولا يعلم قَدْرَ العرش إلا الذي خلقه »[2].

﴿ولا يئوده حفظهما﴾ قال مجاهد[3]: أي : لا يثقل عليه .

قال محمد : يقول : آدَهُ الشيء يَئُودُهُ ، وفيه لغةٌ أخرى : وَأَدَهُ يَئِدُه[4].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من « ر » .

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٠٠ رقم ٣٧) بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٥٤ رقم ١٠٢٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٩ رقم ١٢٤٠٤) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٢٦٩) - من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني به .
وقال الهيثمي في المجمع (٦/٣٢٣) : ورجاله رجال الصحيح .
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٠١ رقم ٥٨٦، ١/٣٠٣ - ٣٠٤ رقم ٥٩٠، ٢/ ٤٥٤ رقم ١٠٢٠، ٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧ رقم ١٠٩١) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي (١/٣٩٩ - ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٤٨ - ٢٤٩ رقم ١٥٦ - ١٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٩١ رقم ٢٦٠١) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٧٩ رقم ٦١) والدارقطني في الصفات (٣٥ - ٣٦ رقم ٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣ رقم ١٩٦، ٢/ ٥٨٢ رقم ٢١٦، ٢/ ٥٨٤ رقم ٢١٧) وابن منده في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والحاكم في المستدرك (٢/٢٨٢) والخطيب في تاريخه (٩/٢٥١ - ٢٥٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٩٦ رقم ٧٥٨) وغيرهم من طرق عن عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .
ورواه شجاع بن مخلد عن أبي عاصم عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، بهذا الإسناد مرفوعًا، خرجه ابن منده في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والخطيب في تاريخه (٩/٢٥١) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٢٢ رقم ٤) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/٣٠٩) .
قال ابن الجوزي : وهم شجاع في رفعه .
وقال الذهبي في الميزان (٢/٢٦٥) : أخطأ شجاع فرفعه .
وأشار إلى ذلك ابن منده والخطيب وغيرهما .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣/١٢) .

(٤) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (وأد) .

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ تفسير سعيد بن جبير[1]: قال: كان قومٌ من أصحاب النبي ﷺ استرضعوا أولادهم في اليهود في الجاهلية، فكبروا على اليهودية؛ فلما جاء الإسلام، وأسلم الآباء، أرادوا أن يكرهوا أبناءهم على الإسلام فأنزل الله: ﴿لا إكراه في الدين قد تبّين الرشد من الغي﴾ يعني: الهدى من الضلالة ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان ﴿ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوُثقَى لا انفصام لها﴾ أي: لا انقطاع لها.

﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ قال الحسن: وليُّ هداهم وتوفيقهم ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ من الهُدَى إلى الضلالة.

قال محمد: والطَّاغوت ها هنا واحِدٌ في معنى جماعةٍ؛ وهذا جائز في اللغة[2]؛ إذا كان في الكلام دليلٌ على الجماعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى

---

(١) رواه سعيد بن منصور (٣/٩٥٧ - ٩٥٨ رقم ٤٢٨) والطبري في تفسيره (٣/١٥) والبيهقي في سننه (٩/١٨٦) من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير به.
وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.
وخالف شعبة بن الحجاج أبا عوانة فرواه عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موصولاً.
رواه أبو داود (٣/٥٨ - ٥٩ رقم ٢٦٨٢) والنسائي في الكبرى (٦/٣٠٤ رقم ١١٠٤٩) والطبري (٣/١٤) وابن حبان (١٤٠) والبيهقي (٩/١٨٦) من طرق عن شعبة به.
وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٣٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن منده في غرائب شعبة وابن مردويه والضياء في المختارة أيضًا.
ورواه الطبري في تفسيره (٣/١٤) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة فأرسله.
(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (طغى).

يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه اللَّه الملك﴾ الذي حاجَّ إبراهيم في ربه هو نُمْرُوذُ ؛ في تفسير قتادة[1]. قال قتادة[2]: وهو أول ملك تجبَّر في الأرض، وهو صاحب الصرح [الذي بُني][3] ببابل ﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾ قال قتادة[4]: ذُكر لنا أن نُمْرُوذ دعا برجلين فقتل أحدهما، واستحيى الآخر؛ فقال: أنا أحيي وأميت؛ أي: أستحيي من شئت، وأقتل من شئت ﴿قال إبراهيم فإن اللَّه يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فَبُهِتَ الذي كفر﴾ **قال محمد**: يعني: انقطعت حُجَّته ﴿واللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: المشركين الذين يلقون اللَّه بشركهم؛ أي: لا يهديهم إلى الحجة، ولا يهديهم من الضلالة إلى دينه.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أو كالذي مرَّ على قرية﴾ **قال محمد**: المعنى: هل رأيت كذلك أو كالذي مرَّ على قرية؟! على طريق التعجُّب.

﴿وهي خاويةٌ على عروشها﴾ **قال محمد**: يعني: وهي خرابٌ على سقوفها، والأصل في ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها.

---

(١) رواه الطبري (٣/٢٤) وابن أبي حاتم (٢/٤٩٨ رقم ٢٦٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٠٣) والطبري (٣/٢٤) وابن أبي حاتم (٢/٢٩٨ رقم ٢٦٣٥).
وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٤٠) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٠٣) والطبري (٣/٢٥).
وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٤٠) لعبد بن حميد وابن جرير.

﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ قال قتادة[١]: هو عزير ، والقرية بيت المقدس بعد ما خرَّبه بُخْتُنَصَّر ، فقال : أنَّى تُعْمَرُ هذه بعد خرابها؟! ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثتُ يومًا أو بعض يوم﴾ ذُكر لنا أنه مات ضُحًى ، وبُعِثَ قبل غروب الشمس ، فقال : لبثت يومًا ، ثم التفت ، فرأى بقية من الشمس من ذلك اليوم ، فقال : أو بعض يوم ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ﴾ أي : لم يتغيَّر . قال الكَلْبي : كان معه سلتان : سلةٌ من تين ، وسلةٌ من عنب ، وزِقٌّ[٢] فيه عصير . ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فنظر إلى حماره فإذا هو عظامٌ بالية ، فرأى العظام قد تحرَّكت ، وسعى بعضها إلى بعض ، وجاء الرأس إلى مكانه ، ثم رأى العصب والعروق أُلقيت عليها ، ثم وُضع عليها اللحم ، ثم بُسط عليها الجلد ، ثم نُفخ فيه الروح ؛ فإذا هو قائم ينْهق فخرَّ عُزَير ساجدًا ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ .

قال يحيى : قرأها قوم [﴿ننشزها﴾ بالزاي ، وقوم آخرون : ﴿كيف ننشرها﴾ وهو أجود الوجهين][٣] وتصديقه في كتاب الله ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾[٤].

(ل٣٨) **قال محمد** : من قرأ ﴿ننشزها﴾ بالزاي[٥]، فالمعنى : نُحرِّك بعضَها إلى بعض ونزعجه[٦]؛ ومنه يقال : نشزت المرأة على زوجها[٧].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٦/١) .
ورواه الطبري (٢٨/٣) وابن أبي حاتم (٥٠١/٢ رقم ٢٦٤٨) مختصرًا .
(٢) أي : إناء . ينظر : لسان العرب ، الوسيط (زقق) .
(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٤) سورة عبس : ٢٢.
(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع « ننشرها » بالراء ، وقرأ الباقون « ننشزها » بالزاي . ينظر : السبعة (١٨٩) ، التيسير (٨٢) ، النشر (٢٣١/٢) .
(٦) ينظر الدر المصون (٦٢٧/١) .
(٧) ينظر : لسان العرب ، المصباح المنير (نشز) .

﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ...﴾ الآية .

قال يحيى : بلغنا أن إبراهيم عليه السلام خرج يسير على حمارٍ له ؛ فإذا هو بجيفة دابة يقع عليها طَيْر السماء ، فيأخذ منها بضعة بضعة ، وتأتيها سباع البر ؛ فتأخذ منها عضوًا عضوًا ، ويقع من أفواه الطير اللحم ، فتأخذه الحيتان . فقام إبراهيم عليه السلام متعجبًا ، فقال : يا ربِّ ، أرني كيف تحيي الموتى؟! ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى﴾ يارب ، قد آمنت ، ولكن لأعلم ؛ حتى يطمئن قلبي - يعني : يسكن - كيف تجمع لحم هذه الدابة بعدما أرم[1] . فقال له : ﴿فخذ أربعة من الطير فصُرْهُنَّ إليك﴾ .

قال محمد : يعني : فضمَّهن إليك ؛ تقول : صُرْتُ الشيء فانصار ؛ أي : أملته فمال[2] .

﴿ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا﴾ **قال محمد** : يعني : فقطِّعهن ، ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا ؛ فاختصر « فقطِّعهن » .

﴿ثم ادعهنَّ يأتينك﴾ قل : تعالين بإذن الله يأتينك ﴿سعيًا﴾ أي : مشيًا على أرجلهن .

قال يحيى : فأخذ أربعة أطيار مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها ، أخذ ديكًا وطاوسًا وحمامةً وغرابًا ؛ فقطع أعناقها[3] ، ثم خلط ريش بعضها ببعضٍ ، ودماء بعضها ببعض ، ثم فرَّق بينها على أربعة أجْبُل ؛ فنوديت من السماء بالوحي أيتها العظام المتفرقة ، وأيتها اللحوم المتمزِّقة ، وأيتها العروق المتقطِّعة اجتمعي يرجع الله فيك أرواحك ، فجعل يجري الدم إلى الدم ، وتطير الريشة إلى الريشة ، ويَثِبُ العظم إلى العظم ؛ فعلق عليها رءوسها ، وأدخل فيها أرواحها ؛ فقيل : يا إبراهيم إن الله حين خلق الأرض وضع بيته في وسطها ، وجعل الأرض أربع زوايا ، والبيت أربعة أركان ؛ كل ركن في زاوية من زوايا الأرض ؛ فأرسل عليها من السماء أربعة أرواح : الشَّمال[4] ، والجَنُوب[5] ، والدَّبور[6] ،

(١) أي : فسد ، وصار رمَّةً . ينظر لسان العرب (أرم ، رمم) وكُتبت في الأصل : أرى . وهو خطأ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (صير) .

(٣) في الأصل : أعناقهما . على التثنية . وهو خطأ . وفي « ر » : أعناقهن .

(٤) الشمال : الريح التي تهب من جهة الشمال ؛ ولذا سميت بها ينظر اللسان (شمل) .

(٥) الجنوب : الريح التي تهب من جهة الجنوب ؛ ولذا سميت بها ينظر اللسان (جنب) .

(٦) الدبور : الريح التي تهب من المغرب . ينظر اللسان ، الوسيط (دبر) .

والصَّبا[(١)]؛ فإذا نفخ في الصور يوم القيامة، اجتمعت أجسادُ القتلى والهَلْكى من أربعة أركان الأرض، وأربع زواياها كما اجتمعت أربعة أطيار من أربعة أجْبُلٍ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...﴾ الآية.

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن عثمان بن عطاءٍ، عن أبيه قال: بلغنا أنه مَنْ جهَّز غيره بماله في سبيل الله، كان له بكل درهَم سبعمائة ضعف، ومن خرج بنفسه وماله - كُتِبَ له بكل درهمٍ سبعمائة ضعف، وبكل ضعفٍ سبعون ألف ضعف.

﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ يعني: في طاعة الله ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم﴾ تفسير قتادة[(٢)]: قال: علم الله أنَّ ناسًا يمنُّون في عطيَّتهم، فنهى عن ذلك.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

﴿قولٌ معروفٌ﴾ أي: حسنٌ ﴿ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى﴾ أي: يمنُّ بها على من تصدق عليه بها.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتِكم بالمن والأذى﴾ تفسير الحسن: قال: كان بعض المؤمنين يقول: فعلت كذا، وانفقت كذا؛ فقال الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ فيصير مثلكم فيما يحبطه الله من أعمالكم ﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله

(١) الصَّبا: الريح التي تهب من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار. ينظر: اللسان، الوسيط (صبو).
(٢) رواه الطبري (٦٣/٣) وابن أبي حاتم (٥١٦/٢ رقم ٢٧٣٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٦/١) لعبد بن حميد وابن جرير.

واليوم الآخر﴾ وهو المنافق ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب﴾ قال قتادة : الصفوان : الحجر[١] ﴿فأصابه وابل﴾ مطرٌ شديد[٢] ﴿فتركه صلدًا﴾ أي : نقيًا . ﴿لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا﴾ هذا مثلٌ ضربه الله - تعالى - لأعمال الكفار يوم القيامة ؛ يقول : ﴿لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا﴾ يومئذٍ ؛ كما ترك المطر الوابل هذا الحجر ليس عليه شيءٌ .

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾ (ل٣٩) قال الحسن : يعني : احتسابًا فمثلهم في نفقتهم ﴿كمثل جنّةٍ بِرُبوةٍ[٣]﴾ يعني : مكانًا مرتفعًا من الأرض ﴿أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين﴾ أي : مرتين ﴿فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌّ﴾ الطل : أضعف من المطر[٤]. قال الحسن : يقول : لا يخلف خيرها على كل حالٍ ؛ فكذلك لا يخلفهم الله نفقتهم أن يصيبوا منها خيرًا .

﴿أيودُّ أحدكم أن تكون له جنّةٌ ...﴾إلى قوله : ﴿فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ﴾ قال مجاهد[٥]: يعني : ريحًا شديدة فيها سموم ﴿فاحترقت﴾ يقول : أَمِنكم من يودُّ ذلك؟! أي : ليس منكم من يوده فاحذروا ألاّ تكون منزلتكم عند الله كذلك ؛ أحوج ما تكونون إلى أعمالكم يُحْبِطُها ويبطلها ؛ فلا تقدرون منها على شيء ؛ وهذا مثلُ المفرط في طاعة الله حتى يموت .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (صفو) .
(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، (وبل) .
(٣) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء ، وقرأ الباقون بضمها . النشر (٢/٢٣٢) .
(٤) ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (طلل) .
(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٥٢٤ رقم ٢٧٨١) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ تفسير الحسن[1]: هذا في النفقة الواجبة ؛ كانوا يتصدَّقون بأرْدَإ دراهمهم ، وأردإ طعامهم ؛ فنهاهم الله عن ذلك ؛ فقال : ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ وهو الرديءُ ﴿منه تنفقون﴾ .

قال محمد : ﴿لا تيمموا﴾ يعني : لا تقصدوا[2] .

﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ تفسير الكلبي : يقول : لو كان لبعضكم على بعضٍ حقٌّ فأُعْطِيَ دون حقه - لم يأخذه منه ، إلا أن يرى أنه قد تغامض له عن بعضِ حقه ؛ وكذلك [قول][3] الله لا تستكملوا الأجر كُلَّه ، إلا أن يتغمدكم منه برحمةٍ ﴿واعلموا أنَّ الله غنيٌّ حميدٌ﴾ غني عما عندكم لمَنْ بخل بصدقته ، حميدٌ لمَنْ احتسبَ بصدقته .

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقرَ﴾ يخبرهم أنهم حين ينفقون الرديء إنما هو ما يلقي الشيطان في قلوبهم من الفقر ﴿والله يَعدُكم﴾ على ما تنفقون ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلا﴾ قال الحسن : يعني : جَنَّةً ﴿واللهُ واسعٌ عليم﴾ واسعٌ لخلقه ، عليم بأمرهم .

قوله : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ يعني : الفقه في القرآن ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أولو

---

(١) رواه الطبري (٨٣/٣) بمعناه .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٥/١) لوكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، الوسيط (يمم) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

العقول ؛ وهم المؤمنون ﴿وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذرٍ فإنَّ اللَّهَ يعلمه﴾ يعني : يحصيه ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصارٍ﴾ .

﴿إن تُبدوا الصدقات﴾ يعني : الزكاة ﴿فنعِمَّا هي وإن تخفوها﴾ يعني : صدقة التطوع ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ونُكفر عنكم من سيئاتكم﴾ .

قال محمد : القراءة ﴿نكفرْ﴾ بالجزم[1]؛ على موضع ﴿خير لكم﴾ ؛ لأنَّ المعنى يكن خيرًا لكم .

قال يحيى : وسمعتُهم يقولون : يستحبُ أن تكون الزكاة علانيةً ، وصدقة التطوع سِرًّا .

يحيى : عن مالك بن سليمان ، عن الحسن ، عن كعب بن عُجرة قال : قال لي رسولُ اللَّه ﷺ : « يا كعبُ بْن عُجْرة ؛ الصلاةُ برهان ، والصومُ جنَّةٌ ، والصدقَةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ ، يا كعبُ بن عُجْرة ؛ الناسُ غاديان : فغادٍ فمشترٍ رقبَتَهُ فمُعْتِقُها ، وغادٍ فبائِعٌ رقبتَه فمُوبقها[2] »[3].

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو بكر عن عاصم « نكفرُ » بالنون والرفع ، وقرأ حمزة ونافع والكسائي « نكفرْ » بالنون والجزم ، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم « يكفرُ » بالياء والرفع .
ينظر : السبعة (١٩١) ، التيسير (٨٤) ، النشر (٢/٣٦) .

(٢) أي : مهلكها . ينظر لسان العرب (وبق)

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/١٦٠ رقم ٣٥٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/١٨٨) من طريق الحسن مختصرًا .
ورواه الترمذي (٢/٥١٢ - ٥١٤ رقم ٦١٤، ٦١٥) والطبراني في الكبير (١٩/١٠٥ - ١٠٦ رقم ٢١٢) من طريق طارق بن شهاب عن كعب بن عجرة .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث عُبيد اللَّه بن موسى ، وأيوب بن عائذ الطائي يضعف ، ويقال : كان يرى رأي الإرجاء ، وسألت محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عُبيد الله ابن موسى ، واستغربه جدًا .
ورواه الطبراني في الكبير (١٩/١٦٢ رقم ٣٦١) والأوسط (٣/١٣٩ - ١٤٠ رقم ٢٧٣٠) وابن حبان (١/٣٧٨ - ٣٧٩ رقم ٥٥٦٧) من طريق أبي بكر بن بشير عن كعب بن عجرة .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣١) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
ورواه الطبراني في الصغير (١/٢٢٤ - ٢٢٥) والكبير (١٩/١٣٥ - ١٣٦ رقم ٢٩٨) من طريق عاصم العدوي =

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿ليس عليك هداهم ...﴾ الآية تفسير قتادة[١]: قال : ذُكِرَ لنا أنَّ رجلاً من أصحاب النبيِّ قال : (أتصدق)[٢] على من ليس من أهل ديننا ؛ فأنزل اللَّه : ﴿ليس عليك هداهم ولكن اللَّهَ يهدي من يشاء وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم﴾ .

قال يحيى[٣]: فهذه الصدقة التي هي على غير المسلمين هي تطوع ، ولا يُعْطَوْن من الواجب شيئًا .

﴿للفقراء الذين أُحصروا في سبيل اللَّه لا يستطيعون ضَرْبًا في الأرضِ﴾ .

قال الحسن : أحصرهم الفقر ، وهم أهل تعفُّفٍ ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بفقرهم ﴿أغنياء من

= عن كعب بن عجرة .

ورواه الطبراني في الكبير (١٤١/١٩ رقم ٣٠٩) من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة .

ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٣٠٣/٢) من طريق المثنى بن الصباح ، عن عطاء بن عباس ، عن كعب بن عجرة ، وقال ابن عبد البر : المثنى بن الصباح ضعيف الحديث لا حجة في نقله .

ورواه عبد الرزاق (١١/ ٣٤٥ - ٣٤٦رقم ٢٠٧١٩) وأحمد (٣٢١/٣) وعبد بن حميد (٣٤٥ رقم ١١٣٨) وأبو يعلى (٤٧٥/٣ - ٤٧٦ رقم ١٩٩٩) وابن حبان (٩/٥ رقم ١٧٢٣) والحاكم (٤٢٢/٤) وغيرهم عن جابر بن عبد اللَّه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة ، فذكره .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه مسلم (٢٠٣/١ رقم ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري بنحوه .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩٥/٣) وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٨/١) لعبد بن حميد أيضًا .

(٢) في « ر » (ليس علينا هدى) .

(٣) في « ر » : الحسن .

التعفُّفِ تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافًا﴾ أي : إلحاحًا . قال مجاهد[١]: هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي ﷺ أمر الله بالصدقة عليهم .

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ...﴾ الآية نزلت في عَلَف الخيل .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون﴾ يعني : من قبورهم يوم القيامة ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ﴾ يعني : الخَبَل [يعني مجنون ، تقول : رجل مجنون ، أي : مخبول ؛ كذلك آكل الربا][٢].

يحيى : عن حمَّادٍ [عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري][٣] أنَّ رسول الله ﷺ حدَّث عن ليلة أسري (ل ٤٠) به ، فكان في حديثه : « فإذا أنا برجالٍ بطونهم كالبيوت ، يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟! فقال : هؤلاء أكلة الربا . ثُمَّ تلا هذه الآية ﴿الذين يأكلون الربا ...﴾ الآية »[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩٦/٣) وابن المنذر في تفسيره (٤٢/٦ رقم ٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٩/١) لسفيان وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » وأصول السنة ، وسيأتي هذا الحديث بإسناده في تفسير سورة الإسراء مطولاً جدًّا .

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٣٨ رقم ٦٧) بإسناده عن يحيى بن سلام به .

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١٤٧/١ - ١٥٠ رقم ١٤٦) - عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة بنحوه في حديث طويل .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٥/١ - ٣٧٠) والطبري في تفسيره (١١/١٥ - ١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١٣/٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٣٩٠/٢ - ٣٩٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠٩/٣ - ٥١٦) والبغوي في تفسيره (٣٤١/١) والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٩/٣) - من طرق عن أبي هارون العبدي بنحوه .

وضعفه البيهقي ، وقال المنذري في الترغيب (٩/٣) : رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي هارون العبدي واسمه عمارة ابن جوين ، وهو واهٍ .

وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦) : هذا حديث غريب عجيب ، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا . =

وقوله : ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ هو الذي كانوا يعملون به في الجاهلية ؛ إذا حَلَّ دَيْنُ أحدهِمْ على صاحبه ، قال المطلوب : أَخِّرني[1] وأزيدك ؛ فكانوا في الإسلام إذا فعلوا ذلك ، قال لهم المسلمون : إنَّ هذا رِبًا . قالوا : لا ، سواءٌ علينا زدنا في أول البيع ، أو عند محلِّ الأجل ؛ فأكذبهم اللَّهُ ؛ فقال : ﴿وأحل اللّه البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه﴾ يعني : البيان الذي في القرآن في تحريم الربا ﴿فانتهى فله ما سلف﴾ أي : غفر اللّه له ما سلف ﴿وأمره إلى اللّه﴾ إن شاء عصمه منه بعد ، وإن شاء لم يفْعَل ﴿ومن عاد﴾ فاستحلَّ الربا ﴿فأولئك أصحاب النار﴾ .

قال محمَّد : المعنى : من استحل الربا وقال : هو مثلُ البيع ، واعتقد ذلك بعد نَهْي اللّه عنه - فهو كافر .

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

﴿يمحقُ اللّهُ الربا﴾ يعني : يَمْحَقُه يوم القيامة ، فيبطله . ﴿ويربي الصدقات﴾ لأهلها ؛ أي : يضاعفها .

يحيى : عن عثمان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما تصدَّق عبدٌ بصدقة فتقع في يد السائل ؛ حتى تقع في يد اللّه ، ثمَّ يُرَبِّيهَا لصاحبها كما يُرَبّي أحدُكم فلوَّهُ[2] أو فصيلَهُ[3]؛ حتى تصير اللقمةُ مثل أُحد »[4].

= وذكر ابن كثير في تفسيره (١٣/٣) أن فيه غرابة ونكارة ، وأن أبا هارون العبدي اسمه عمارة بن جوين مضعف عند الأئمة .

وقال البوصيري في الإتحاف (١٥٠/١) : هذا حديث مداره على أبي هارون العبدي ، وهو ضعيف .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٨/٤) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا .

(١) في الأصل : أخر عنّي . والمثبت من « ر » .

(٢) الفلو : هو المهر الصغير . وقيل غير ذلك . ينظر لسان العرب (فلو) .

(٣) الفصيل : ولد الناقة . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (فصل) .

(٤) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١٣٨/١ - ١٣٩ رقم ٧٣، ٧٤) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري به .

﴿والله لا يحب كلَّ كفارٍ أثيم﴾ والكفر أعظم الإثم ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني : ما افترض الله عليهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ يعني : الجنَّة . ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ يعني : ما بقي مما أربوا فيه في الجاهلية ألا يأخذوه ، وما أخذوا قبل إسلامهم فهو حلالٌ لهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني : إذ كنتم مؤمنين .

﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله﴾ أي : فاعلموا أنكم بحربٍ من الله ورسوله ، وأنكم مشركون .

قال محمد : من قرأ ﴿فآذنوا﴾ غير موصولة فهو من : آذن يُؤْذِن ؛ أي : أعلم ، ومن قرأها موصولةً فهي من : أذِن يَأْذَن ؛ إذا أصغى للشيء وسمعه[1].

﴿وإن تبتم﴾ أي : أسلمتم ﴿فلكم رءوس أموالكم﴾ يقول : يبطل الفضل إذا كان بقي دَيْنًا على المطلوب ﴿لا تَظْلِمُون﴾ فتأخذون الفضل ﴿ولا تُظْلَمُون﴾ من رُءوس أموالكم شيئًا .

﴿وإن كان ذو عسرةٍ فنظرة إلى ميسرة﴾ .

= ورواه مسلم (٢/٧٠٢ رقم ١٠١٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٢ رقم ٤٣، ٧٦ - ٧٧ رقم ٥٠) من طريق سعيد المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة .

وقال ابن منده : وهذا حديث ثابت باتفاق ، وله طرق عن أبي هريرة ، منها أبو صالح السمان وأبو سعيد الخدري .

قلت : طريق أبي صالح عن أبي هريرة ، رواه البخاري (٣/٣٢٦ رقم ١٤١٠) ومسلم (٢/٧٠٢ رقم ١٠١٤/٦٤) .

ومن طرقه أيضًا حفص بن عاصم ، والقاسم بن محمد ، وأبو سلمة ، كلهم عن أبي هريرة ، وقد خرجتها في تخريجي لكتاب « التوحيد » لابن خزيمة يسر الله طبعه .

(١) قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم « فآذنوا » ، وقرأ الباقون « فأذنوا » ينظر : السبعة (١٩٢) التيسير (٨٤) ، النشر (٢/٢٣٦) .

قال محمد : ﴿ذو عسرة﴾ بالرفع ؛ هو على معنى : فإن وقع ذُو عسرة[١].

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ : « رحم الله من يسَّر على معسر ، أو محا عنه »[٢].

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التَّوْءَمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنظر معسرًا ، أو وضع له ، أظلَّه الله في ظلِّه يوم القيامة »[٣].

قوله : ﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ [قال الحسن][٤] أي : خير لكم في يوم ترجعون فيه إلى الله ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم تُوَفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ يعني : لا ينقصون ؛ يعني : المؤمنين يوفون حسناتهم يوم القيامة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

---

(١) ينظر إعراب القرآن (١/٢٩٥) البحر المحيط (٢/٣٤٠) ، الدر المصون (١/ ٦٦٨) .

(٢) لم أقف عليه بهذا الإسناد ، والله أعلم .

(٣) رواه أحمد (٢/٣٥٩) والترمذي (٣/٥٩٩ رقم ١٣٠٦) والبيهقي في الشعب (٧/٥٣٥ رقم ١١٢٤٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
ورواه مسلم (٤/٢٣٠٢ رقم ٣٠٠٦) عن أبي اليسر ﷺ .
وفي الباب عن عدة من الصحابة ، انظر الدر المنثور (١/٣٨٠ - ٣٨١) .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿وليكتبْ بينكم كاتب بالعدل﴾ أي : لا يزيد على المطلوب ، ولا ينقص من حق الطالب ﴿ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه اللَّه﴾ الكتابة ، وترك غيره فلم يعلِّمه ﴿فليكتبْ وليملل الذي عليه الحق﴾ يعني : المطلوب ﴿وليتقِ اللَّهَ ربَّه ولا يبخس منه شيئًا﴾ (ل ٤١) أي : لا ينقص من حق الطالب[1] ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا﴾ [يعني : جاهلاً][2] ﴿أو ضعيفًا﴾ يعني : في عقله ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ يعني : الذي عليه الحق ﴿فليملل وليه﴾ أي : ولي الحق ﴿بالعدل﴾ لا يزدَادُ شيئًا .

قوله : ﴿أن تضل إحداهما﴾ أي : تنسى إحداهما الشهادة ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ أي : تذكر التي حفظت شهادتها الأخرى .

قال محمد : من قرأ ﴿أنْ تضل﴾ بفتح الألف[3]؛ فعلى معنى : من أجل أن تضل ؛ كذلك قال قُطْرب[4]، ولغيره من النحويين فيه قولٌ غير هذا[5]؛ فاللَّه أعلم .

﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا﴾ تفسير قتادة[6]: قال : كان الرجل يأتي الحي العظيم يطلب منهم من يُشهده[7]، فلا يتبعه منهم رجل ، فنهى عن ذلك . قال الحسن : وإن وجد غيره فهو واسع . ﴿ولا تسأموا﴾ أي : لا تملوا ﴿أن تكتبوه﴾ يعني : الحق . ﴿صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله ذلكم أقسط﴾ أي : أعدل ﴿وأقوم للشهادة﴾ أي : أصوب ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ أي : أجدر ألا تشكوا ؛ إذا كان ذلك مكتوبًا ﴿إلا أن تكون تجارةٌ[8] حاضرة﴾ أي : حالَّة ﴿تديرونها بينكم﴾ ليس فيها

---

(١) في « ر » : المطلوب . وهو خطأ .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) قرأ حمزة « إن تضل » بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون « أن تضل » بفتحها . ينظر السبعة (١٩٤) ، التيسير (٨٥) ، النشر (٢/٢٣٧) .

(٤) هو : محمد بن المستنير أبو علي النحوي ، من تلاميذ سيبويه توفي (٢٠٦هـ) ينظر : إنباه الرواة (٣/٢١٩) ، طبقات النحويين واللغويين (٩٩ - ١٠٠) .

(٥) ينظر تفصيل ذلك في إعراب القرآن (١/٢٩٨) ، البحر (٢/٣٤٨) ، الدر المصون (١/٦٧٦) .

(٦) رواه الطبري (٣/١٢٦) وابن أبي حاتم (٢/٥٦٣ رقم ٣٠٠١) بنحوه .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٨٣) لابن جرير وعبد بن حميد .

(٧) في «ر» : يشهد .

(٨) هكذا ضبطت في الأصل و « ر » بالرفع ، وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا ؛ فقد قرأ بالنصب . ينظر : السبعة =

أجلٌ ﴿فليس عليكم جناحٌ﴾ حرج ﴿ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ يعني : أشهدوا على حقكم ؛ كان فيه أجل أو لم يكن .

قال الحسن : وهذا منسوخٌ ؛ نسخه ﴿فإن أمن بعضكم بعضًا﴾(١).

﴿ولا يضارّ كاتبٌ ولا شهيد﴾ تفسير مجاهد(٢): لا يقام عن شغله وحاجته ، فيجد في نفسه ، أو يحرج .

قال يحيى : وبلغني عن عطاء ؛ أنه قال : هي في الوجهين جميعًا إذا دعي ليُشهَد ، أو ليشهد بما عنده .

﴿وإن تفعلوا﴾ أي : تضاروا الكاتب والشاهد ﴿فإنه فسوقٌ بكم﴾ أي : معصية ﴿واتقوا الله﴾ أي : لا تعصوه فيهما .

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهانٌ مقبوضة فإن أمن بعضُكم بعضًا﴾ يعني : فإن كان الذي عليه الحقُّ أمينًا عند صاحب الحق ، فلم يرتهن منه في السفر ؛ لثقته به ﴿فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانته﴾ أي : ليؤدِّ الحق الذي عليه .

﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أي : عند الحكام ﴿ومن يكتمها﴾ فلا يشهد ؛ إذا دُعِي ﴿فإنه آثم قلبه﴾ .

يحيى : عن المبارك ، عن الحسن قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا يمنعنَّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه »(٣).

= (١٩٤) ، التيسير (٨٥) ، النشر (٢/٢٣٧) .

(١) البقرة : ٢٨٣ . وينظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (٢٧) .

(٢) رواه الطبري (٣/١٣٦) وابن أبي حاتم (٢/٥٦٧ رقم ٣٠٢٢) وابن المنذر (١/٨٦ رقم ١٣٩) بمعناه .

(٣) رواه أحمد (٣/ ٥٠، ٧١) وأبو يعلى (٢/٥٣٦ - ٥٣٩ رقم ١٤١١) والطبراني في الأوسط (٣/١٦٢ رقم ٢٨٠٤) من طريق الحسن به .

﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه﴾ تفسير قتادة[1]: قال: نزلت هذه الآيةُ، فكبُرتْ عليهم، فأنزل اللّه بعدها آية فيها يُسْرٌ وتخفيف؛ فنسختها ﴿لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت﴾ أي: من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ أي: من شرٍّ.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه تجاوز لأمّتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تتكلّم به»[2].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه ...﴾ الآية قال الحسن: هذا دعاء أمر اللّه رسوله والمؤمنين أن يدعوا به ﴿لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها﴾ إلا طاقتها؛ وهذا في حديث النَّفْس ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن

= ورواه أحمد (٣/ ٥، ١٩، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٨٤، ٨٧، ٩٢) والطيالسي (٢٨٦ رقم ٢١٥١، ٢٨٧ رقم ٢١٥٨) وعبد الرزاق (١١/٣٤٦ - ٣٤٧ رقم ٢٠٧٢٠) والترمذي (٤/٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٢١٩١) وابن ماجه (٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٧) وابن حبان (١/٥٠٩ رقم ٢٧٥، ١/ ٥١١ - ٥١٢ رقم ٢٧٨) والطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٤ - ١٤٥ رقم ٤٩٠٦) والبيهقي في سننه (١٠/٩٠) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أحمد (٣/٤٧ - ٤٨، ٧٣) وعبد بن حميد (٣٠٠ - ٣٠١ رقم ٩٧١، ٩٧٢) وابن ماجه (٢/١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨) والدارقطني في العلل (١١/٣٥٤) من طريق أبي البختري عن أبي سعيد.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٢٤٢ رقم ١٤٠٩): هذا إسناد صحيح.

ورواه أحمد (٣/٨٤) والطيالسي (٢٩٣ رقم ٢٢٠٦) عن أبي البختري عن رجل عن أبي سعيد.

وصحح الدارقطني في العلل (١١/٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٢٣٣٦) هذا الطريق.

(١) رواه عبد الرزاق (١/١١١) والطبري (٣/١٤٦) بمعناه.

(٢) رواه مسلم (١/١١٦ - ١١٧ رقم ١٢٧/ ٢٠٢) من طريق سعيد وهو ابن أبي عروبة به.

ورواه البخاري (٥/١٩٠ رقم ٢٥٢٨، ٩/٣٠٠ رقم ٥٢٦٩، ١١/ ٥٥٧ رقم ٦٦٦٤) ومسلم (١/١١٦ - ١١٧ رقم ١٢٧) من طرق عن قتادة.

نسينا أو أخطأنا﴾ قوله : ﴿إن نسينا﴾ هذا فيما يتخوّف فيه العبدُ المأثم ؛ أن ينسى أن يعمل بما أُمِرَ به ، أو ينسى فيعمل بما نُهِي عنه ﴿أو أخطأنا﴾ هذا فيما يتخوّف فيه العبد المأثم ؛ أن يخطئ ، فيكون منه أَمْرٌ يخاف فيه المأثم لم يتعمَّده .

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرًا﴾ أي : ثقلاً[1] ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ يعني : ما كان شدِّد به على بني إسرائيل ؛ وكان من ذلك الإصر ما كان حرّم عليهم من الشّحوم ، وكل ذي ظُفُر ، وأمر السَّبْت ، وكل ما كان عهد إليهم ألا يفعلوه مما أُحِلَّ لنا ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ يعني : الوسوسة ؛ في تفسير ابن عباس .

يحيى : عن المبارك ، عن الحسن « أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه (ل٤٢) إني لأُحدِّث نفسي بالشيء ما يسرُّني أني تكلمت به ، وأن لي الدنيا . قال : ذلك محض الإيمان[2] »[3].

﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال الحسن : هذا دعاءٌ أمر اللَّه به النبي ﷺ والمؤمنين ، وقد أخبر اللَّه النبي أنه قد غفر له .

يحيى : عن هشام ، عن قتادة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن اللَّه كتب كتابًا قبل أن يخلق السمـٰوات والأرض بألفي سنة ، فوضعه تحت العرش ، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ؛ لا تقرآن في بيت ، فيقربه الشيطانُ ثلاث ليال : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ...﴾ إلى آخر السورة »[4].

---

(١) ينظر لسان العرب ، المصباح المنير ، مختار الصحاح (إصر) .

(٢) وفي صحيح مسلم : « صريح الإيمان » قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٠) : أي كراهتكم له وتفاديكم منه صريح الإيمان ، والصريح : الخالص من كل شيء ، وهو ضد الكناية ، يعني أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه نفوسكم ، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان ؛ لأنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله ، فكيف يكون إيمانًا صريحًا .

(٣) رواه مسلم (١/ ١١٩ رقم ١٣٢) عن أبي هريرة .

ورواه مسلم (١/ ١١٩ رقم ١٣٣) عن ابن مسعود .

(٤) رواه الإمام أحمد (٤/ ٤٧٢) والترمذي (٥/ ١٤٧ رقم ٢٨٨٢) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٠ رقم ١٠٨٠٢ ، ١٠٨٠٣) والدارمي في مسنده (٢/ ٥٤٢ رقم ٣٣٨٧) وابن حبان (٣/ ٦١ - ٦٢ رقم ٧٨٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٢ ، ٢/ ٢٦٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦٤ - ٥٦٥ رقم ٤٩٠) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧ رقم ١٢٠١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وقال البغوي : هذا حديث غريب .

تفسير سورة آل عمران
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ۝٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦﴾

قوله : ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ « الحي » الذي لا يموت ، « القيوم » قال الحسن : يعني : القائم على كل نفسٍ بكسبها حتى يجزيها به ﴿نزّل عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق مصدقًا لما بين يديه﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل﴾ يعني : من قبل القرآن ﴿هدًى للناس﴾ يعني : أنزل هذه الكتب جميعًا هدًى للناس ﴿وأنزل الفرقان﴾ تفسير قتادة[1]: فرق الله في الكتاب بين الحقِّ والباطل .

﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ تفسير الحسن : يعني : بدين الله .

﴿والله عزيز﴾ في نقمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ كقوله : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[2].

﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي

(١) رواه الطبري (١٦٧/٣) وابن أبي حاتم (٥٨٨/٢ - ٥٨٩ رقم ٣١٤٥، ٣١٤٦) وابن المنذر (١١٥/١ رقم ٢١٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .
(٢) الانفطار : ٨.

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات﴾ تفسير مجاهد[1]: ﴿هن أم الكتاب﴾، يعني: ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه المتشابه.

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغٌ...﴾ الآية كان الحسن يقول: نزلت في الخوارج. قال الحسن: ومعنى ﴿ابتغاء الفتنة﴾: طلب الضلالة.

قال محمد: الفتنة تتصرَّف على ضروب[2]؛ فكان الضربُ الذي ابتغاه هؤلاء إفسادَ ذات البَيْن في الدِّين، ومعنى ﴿الزيغ﴾: الجَوْر، والميل عن القصد[3].

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عن ابن عباس، «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين سَمَّى الله؛ فإذا رأيتموهم، فلا تجالسوهم. أو قال: احذروهم»[4].

---

(١) رواه الطبري (١٧٣/٣) وابن أبي حاتم (٥٩٢/١ رقم ٣١٦٧) وابن المنذر (١١٩/١ رقم ٢٢٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢) لعبد بن حميد والفريابي.

(٢) أي: تأتي في اللغة على عدة معانٍ، فتطلق على: الابتلاء، والاضطراب وبلبلة الافكار، والعذاب، والضلال، والإعجاب بالشيء. وغير ذلك. ينظر لسان العرب (فتن).

(٣) لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (زيغ).

(٤) لم أقف عليه من حديث ابن عباس، إنما وقفت عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد، والله أعلم.
فرواه الإمام أحمد (٤٨/٦) وعبد الرزاق في تفسيره (١١٦/١) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٦٤٨/٣ - ٦٤٩ رقم ١٢٣٥، ١٢٣٦) وابن ماجه (١٨/١ رقم ٤٧) وابن أبي عاصم في السنة (٩/١ رقم ٦) والطبري في تفسيره (١٧٨/٣ - ١٧٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٣٣٥/٦ رقم ٢٥١٦) وابن حبان (٢٧٧/١ - ٢٧٨ رقم ٧٦) والآجري =

يحيى : وفي تفسير ابن عباس : قال : نزل القرآن على أربعة أوْجُه : حلالٌ وحرامٌ لا يسع الناسَ جهْلُه ، وتفسير يعلمه العلماء ، وعربيَّة تعرفها العرب ، وتأويل لا يعلمه إلا الله .

يقول الراسخون في العلم : ﴿آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أولو العقول ؛ وهم المؤمنون .

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا ...﴾ الآية . قال الحسن : هذا دعاءٌ ، أمر الله المؤمنين أن يدعوا به .

﴿إنَّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم﴾ أي : لن تنفعهم ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ يعني : حطبها .

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

= في الشريعة (١٤٣/١ رقم ٤٤، ٢٠٩/١ رقم ١٥٧ - ١٥٩) والبيهقي في الدلائل (٥٤٦/٦) من طرق عن أيوب السختياني ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها .

ورواه الترمذي (٢٠٧/٥ رقم ٢٩٩٣) والطبري في تفسيره (١٧٩/٣) والطحاوي في المشكل (٣٣٤/٦ رقم ٢٥١٥) والطبراني في الأوسط (٣٤١/٣ - ٣٤٢ رقم ٣٣٤٤) من طرق عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه البخاري (٥٧/٨ رقم ٤٥٤٧) ومسلم (٢٠٥٣/٤ رقم ٢٦٦٥) والترمذي (٢٠٧/٥ رقم ٢٩٩٤) من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة ، بزيادة القاسم بن محمد بين ابن أبي مليكة وعائشة ، والله أعلم .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورُوي عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة ، هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن عائشة ، ولم يذكروا فيه عن القاسم بن محمد ، وإنما ذكر يزيد بن إبراهيم التستري « عن القاسم » في هذا الحديث ، وابن أبي مليكة هو عبد الله بن عُبيد الله بن أبي مليكة ، سمع من عائشة أيضًا .

قلت : وتابع يزيدَ التستري عليه حمادُ بن سلمة ، عند الإمام أحمد (٦/ ١٢٤، ١٣٢) والطيالسي (٢٠٣ رقم ١٤٣٢) وإسحاق بن راهويه (٣٨٩/٢ رقم ٩٤١) والدارمي رقم (١٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (٩/١ رقم ٥) والطبري في تفسيره (١٨٠/٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٥/٢ رقم ٣١٨٤) .

﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ...﴾ الآية .

قال الحسن : هذا مَثَلٌ ضربه اللَّهُ لمشركي العرب ؛ يقول : كفروا ، وصنعوا كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم من الكُفَّار . ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ فهزمهم يوم بدر ، وحشرهم إلى جهنّم .

قال محمد : الدَّأب في اللغة : العادة ؛ يقال : هذا دأبه[١].

﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا﴾ وهما فئتا بدْرٍ ؛ فئة المؤمنين ، وفئة مشركي العرب .

﴿ترونهم[٢] مثليهم رأي العين﴾ قال الحسن : يقول : قد كان لكم أيها المشركون آية (ل٤٣) في فئتكم ، وفئة رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ؛ إذ ترونهم مثليكم رأى العين ؛ لما أراد اللَّه أن يُرْعِبَ قلوبهم ، ويخْذُلَهم ويخزيهم ، وكان مع رسول اللَّه ﷺ الملائكة وجبريل ، يقول : لقد كان لكم في هؤلاء عبرةٌ ومتفكّر ؛ أيّدهم اللَّه ، ونصرهم على عدوهم ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ وهم المؤمنون .

قال قتادة[٣]: وكان المشركون آلَفُوا[٤] يوم بدر ، أوْ قاربوا الألف ، وكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زُيِّنَ للناس حبُّ الشهوات﴾ **قال محمد** : هو كقوله : ﴿إنَّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾[٥].

---

(١) لسان العرب ، مختار الصحاح ، القاموس المحيط (دأب) .

(٢) ﴿ترونهم﴾ بالخطاب قراءة المدنيين ويعقوب ، وقرأ الباقون ﴿يرونهم﴾ بالغيب . النشر في القراءات العشر (٢/٢٣٨).

(٣) رواه الطبري (٣/١٩٦) وابن المنذر (١/١٣٩ رقم ٢٧٧) .

(٤) أي : كان عددهم أَلْفًا ؛ يقال : آلف الجمعُ إيلافًا : صار أَلْفًا . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، المعجم الوسيط (ألف) .

(٥) الكهف : ٧.

﴿والقناطير المقنطرة﴾ [قال قتادة][١] يعني: المالَ الكثير بعضه على بعض ﴿والخيل المسوَّمة﴾ قال الحسن: يعني: الراعِيَة.

قال محمد: يقال: سامت الخيل، فهي سائمةٌ؛ إذا رعت، وسوَّمتُها فهي مسوَّمة؛ إذا رعيتها[٢].

﴿والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ المتاع: ما يُستَمْتَعُ به، ثم يذهب.

﴿والله عنده حسن المآب﴾ المرجع للمؤمنين؛ يعني: الجنة.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قل أؤنبئُكم بخير من ذلكم﴾ يعني: الذي ذكر من متاع الحياة الدنيا ﴿للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار ...﴾ إلى قوله: ﴿ورضوان من اللَّهِ﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، ورأوا ما فيها، قال الله: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من الجنة. قال: بلى أُحِلُّ عليكم رضواني»[٣].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر»، وأثر قتادة رواه الطبري (٢٠٢/٣) وابن المنذر (١٤٠/١ - ١٤١ رقم ٢٨١).

(٢) سامت الخيلُ تسومُ سَوْمًا وَسُوامًا: رَعَتْ حيث شاءت؛ فهي سائمة، والجمع: سوائم، ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (سوم).

(٣) رواه ابن حبان (٤٦٩/١٦ رقم ٧٤٣٩) والحاكم (٨٢/١) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٨٢/١) وفي صفة الجنة (١٣٢/١ رقم ٢٨٣) والسهمي في تاريخ جرجان (١١٥) والمحاملي - كما في تفسير ابن كثير (٣٧٠/٢) - من طريق الفريابي عن الثوري عن محمد بن المنكدر به.

ورواه الحاكم (٨٢/١ - ٨٣) من طريق عُبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣٧٠/٢): وقال الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «صفة الجنة»: هذا عندي على =

﴿الصابرين والصادقين﴾ أي : صدقت نيّتهم ، واستقامت قلوبهم وألسنتهم في السّرّ والعلانية ﴿والقانتين﴾ يعني : المطيعين . ﴿والمستغفرين﴾ يعني : أهل الصلاة . يقول : هل يستوي هؤلاء والكفار؟ أي : أنهم لا يستوون عند الله .

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٩﴾

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط﴾ فيها تقديم وتأخير ؛ يقول : شهد الله أنه لا إله إلا هو قائمًا بالقسط ؛ أي بالعدل[1] [ويشهد الملائكة ويشهد أولو العلم وهم المؤمنون][2].

قال محمد : نصب ﴿قائمًا﴾ على الحال ؛ وهي حال مؤكدة[3].

﴿فإن زللتم[4] من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يعني : ما بين لهم ﴿فاعلموا أن الله عزيزٌ حكيم﴾ .

قال يحيى : أحسب أنهم فسروا كل شيءٍ فيه وعيد : عزيز في نقمته ، وكل شيءٍ ليس فيه وعيد : عزيز في ملكه .

= شرط الصحيح ، والله أعلم . اهـ

وقال أبو نعيم في صفة الجنة : ورواه وكيع وغيره فلم يرفعوه .

قلت : رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦١٣/٢ رقم ٣٢٨٧) من طريق وكيع ، ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (١٤٠/٥ رقم ٤٦٠٩) - عن يحيى ، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٣) من طريق أبي أحمد الزبيري ، كلهم عن سفيان الثوري به موقوفًا ، والله أعلم .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٩/٣) إلى ابن مردويه عن جابر مرفوعًا .

وروى البخاري (٤٢٣/١١ رقم ٦٥٤٩، ١٣/ ٤٩٦ رقم ٧٥١٨) ومسلم (٢١٧٦/٤ رقم ٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا نحوه .

(١) ينظر الكلام على هذا التقديم والتأخير من البحر (٤٠٠/٢ - ٤٠١) ، الدر المصون (٤٠/٢) .

(٢) من « ر » .

(٣) وفي نصبه أقوال أخر ؛ ينظر : البحر (٤٠٣/٢) ، والدر المصون (٤١/٢) .

(٤) في الأصل و « ر » : توليتم . والآية من سورة البقرة ، رقم : ٢٠٩ ، ولا أدري لما أعادها المؤلف - رحمه الله - هنا .

﴿إنَّ الدين عند اللَّهِ الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ وكانوا على الإسلام ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بَغْيًا﴾ أي: حسدًا ﴿بينهم﴾.

قال محمدٌ: نصب ﴿بغيًا﴾ على معنى: للبغي[1].

﴿ومن يكفر بآيات اللَّه فإن اللَّه سريع الحساب﴾ يعني: العذاب؛ أي: إذا أراد أن يعذبهم، لم يؤخِّرهم عن ذلك الوقت؛ هذا تفسير الحسن.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فإن حاجوك فقل أسلمت﴾ أي: أخلصتُ ﴿وجهي﴾ أي: ديني ﴿للَّهِ ومن اتبعن﴾ أي: وأسلم من اتبعني وَجْهَهُ للَّه.

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾ يعني: مشركي العرب؛ وكانت هذه الأمة أُمِّيَّةً لا كتاب لها؛ حتى نزل القرآن.

﴿أأسلمتم﴾ أي: أخلصتم ﴿فإن أسلموا﴾ أخلصوا ﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ واللَّه بصير بالعباد﴾ أي: بأعمال العباد ﴿إن الذين يكفرون بآيات اللَّه﴾ يعني: بدين اللَّه ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ مُوجِع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

---

(١) أي: نُصب على أنه مفعول لأجله، وفي نصبه أقوال أخر؛ ينظر: كشف المشكلات (١/٢٢٠)، إعراب القرآن (١/٣١٧)، البحر (٢/٤١١)، الدر المصون (٢/٤٩).

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب ...﴾ الآية .

قال قتادة[١]: هم اليهود ؛ دعاهم رسولُ اللَّه ﷺ إلى المحاكمة إلى كتاب اللَّه [وأحكامه ؛ أي][٢] كتاب اللَّه الذي أنزله عليه (ل ٤٤) فوافق[٣] كتابَهم الذي أنزل عليهم ، فتولَّوْا عن ذلك ، وأعرضوا عنه .

﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسَّنا النار إلا أيامًا معدودات﴾ عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ؛ يعني به أوائلهم ، ثم رجع الكلام إليهم ؛ فقال : ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي : يختلقون من الكذب على اللَّه ، قال قتادة[٤]: وهو قولهم ﴿نحن أبناء اللَّه وأحباؤه﴾[٥] ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه .

قال محمد : المعنى - واللَّه أعلم - : فكيف يكون حالهم في ذلك اليوم ؛ وهذا من الاختصار .

﴿ووفِّيت كل نفس ما كسبت﴾ أما المؤمن فيُوَفَّى حسناته في الآخرة ، وأما الكافر فيجازى بها في الدنيا ، وله في الآخرة عذابُ النار .

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل اللَّهم مالك الملك ...﴾ الآية . قال قتادة : « ذُكِرَ لنا أن رسول اللَّه ﷺ سأل ربه أن يجعل مُلْكَ فارس والروم في أمته ، فأنزل اللَّه هذه الآية إلى آخرها »[٦].

---

(١) رواه الطبري (٣/٢١٨) وابن المنذر (١/١٥٥ رقم ٣٢٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٦) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٢) في « ر » : وأعلمهم أن .
(٣) في « ر » : يوافق .
(٤) رواه الطبري (٣/٢١٩) .
(٥) المائدة : ١٨.
(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٢٤ رقم ٣٣٥٢) والطبري في تفسيره (٣/٢٢٢) وعبد بن حميد في تفسيره =

﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ؛ نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن[١] وقتادة : تخرج المؤمن من الكافر ، وتخرج الكافر من المؤمن ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ يعني : بغير محاسبة منه لنفسه .

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ يعني : في النصحية ﴿من دون المؤمنين﴾ .

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ .

يحيى : عن الفُرَاتِ بن سلمان[٢]، عن عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر قال : « أخذ المشركون أبي فلم يتركوه ؛ حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ، فلما أتى النبي ﷺ قال : ما وراءك؟ قال : شرٌّ يا رسول الله ، والله ما تُرِكْتُ حتى نِلْتُ منك ، وذكرت آلهتهم بخير! قال : فكيف تجدُ قلبك؟ قال : أجده مطمئنًا بالإيمان . قال : فإن عادوا فَعُدْ »[٣].

= كما في الدر المنثور (١٦/٢) - والواحدي في أسباب النزول (ص٧١) .

(١) رواه عبد الرزاق (١١٧/١) والطبري (٢٢٥/٣) وابن أبي حاتم (٦٢٧/٢ رقم ٣٣٦٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٧/٢) لابن جرير وأبي الشيخ .

(٢) في « ر » : سليمان . وفرات بن سلمان الجزري ترجمته في تاريخ البخاري (١٢٩/٧) والجرح والتعديل (٨٠/٧) وغيرهما .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٠/١) وابن سعد في الطبقات (٢٤٩/٣) والطبري في تفسيره (١٨٢/١٤) وأبو نعيم في الحلية (١٤٠/١) من طريق عبد الكريم الجزري به . =

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضرًا﴾ أي : موفَّرًا كثيرًا ﴿وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾ فلا يجتمعان أبدًا .

قال محمد : نصب (يومًا)[1] على معنى : ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم .

قوله : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ يعني : عقوبته ﴿والله رءوف بالعباد﴾ أي : رحيم ؛ أما المؤمن فله رحمة الدنيا والآخرة ، وأما الكافر فرحمته في الدنيا ما رزقه الله فيها ، وليس له في الآخرة إلا النار .

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ قال الحسن : جعل محبةَ رسوله محبتَه ، وطاعتَه طاعتَه .

﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ أي : أطيعوا الله في الفرائض .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحًا﴾ أي : اختار .

﴿وآل إبراهيم﴾ يعني : إبراهيم وولده ، وولد ولده ﴿وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعضٍ﴾ قال قتادة[2]: أي : في النية والعمل والإخلاص ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك

= ورواه الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٨ - ٢٠٩) من طريق عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه . فزاد « عن أبيه » .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(١) وفي نصبه أقوال أخر ، ينظر : مجمع البيان (٤٣١/١) ، البيان (١٩٩/١) البحر (٤٢٦/٢) ، الدر المصون (٦٢/٢) .

(٢) رواه الطبري (٢٣٥/٣) وابن أبي حاتم (٦٣٥/٢ رقم ٣٤١٨) وابن المنذر (١٧٢/١ رقم ٣٧١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٠/٢) لعبد بن حميد أيضًا .

ما في بطني محرَّرًا﴾ تفسير قتادة[١]: قال: كانت امرأة عمران حررتْ لله ما في بطنها، وكانوا يحررون الذكور؛ فكان المحرَّر إذا حُرِّر يكون في المسجد يقوم عليه ويكنسه[٢] لا يبرح منه، وكانت المرأة لا يُسْتَطاع أن (يصنع)[٣] ذلك بها؛ لما يصيبها من الأذى ﴿فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتْ﴾ وهي تقرأُ على وجهٍ آخر: ﴿ والله أعلم بما وَضَعْتُ﴾[٤].

﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريمَ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ أي: الملعون أن يضلها وإياهم ﴿فتقبَّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا وكفلها زكريا﴾ أي: ضمها إليه؛ في تفسير من خفف قراءتها، ومن ثقلها يقول: ﴿وكفَّلَها﴾[٥] أي: فكفلها الله زكريا، بنصب زكريا[٦].

قال الكلبي: ﴿فلما وضعتها﴾ لفتها في خرقها، (ل٤٥) ثم أرسلت بها إلى مسجد بيت المقدس، فوضعتها فيه فتنافسها الأحبارُ بنو هارون؛ فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها عندي أختها فذروها لي، فقالت الأحبار: لو تركت لأقرب الناس إليها لتُركت لأمها، ولكنا نقترع عليها؛ فهي لمن خرج سهمه، فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، فقرعهم زكريا، فضمها إليه، واسترضع لها؛ حتى إذا شبَّت بنى لها مِحْرابًا في المسجد، وجعل بابه في وسطه لا يُرْتقى إليها إلا بُسلَّم، ولا يأمن عليها غيره.

﴿وجد عندها رزقًا﴾ قال قتادة[٧]: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف

---

(١) رواه عبد الرزاق (١/١١٨ - ١١٩) والطبري (٣/٢٣٦) وابن المنذر (١/١٧٦ - ١٧٧ رقم ٣٨٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢١) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في الأصل: ويكسوه.

(٣) في «ر»: يفعل.

(٤) قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم بضم التاء، وقرأ الباقون بإسكانها. ينظر: النشر (٢/٢٣٩)، السبعة (٢٠٤) التيسير (٨٧).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتشديد الفاء، وقَصْر ﴿زكريا﴾ والنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم، بتشديد الفاء مع مدّ ﴿زكرياء﴾، والنصب، وقرأ الباقون بتخفيف الفاء، ورفع ﴿زكرياء﴾ مع المد. ينظر: النشر (٢/٢٣٩)، التيسير (٨٧)، السبعة (٢٠٤ - ٢٠٥).

(٦) أي: النصب على أنه مفعول به ثان. ينظر إعراب القرآن (١/٣٢٦ - ٣٢٧).

(٧) رواه الطبري (٣/٢٤٥).

في الشتاء .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية﴾ أي : من عندك ﴿ذريةً طيبةً﴾ يعني : تقية ، قال الكلبي : وكانت امرأة زكريا عاقرًا قد دخلت في السّن ، وزكريا شيخٌ كبير ؛ فاستجاب الله له .

﴿فنادته الملائكة﴾ ناداه جبريل ﴿وهو قائم يصلّي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدّقًا بكلمةٍ من الله﴾ يعني : عيسى عليه السلام ﴿وسيدًا وحَصُورًا﴾ يعني : يحيى ؛ في تفسير قتادة[١]؛ أحياه الله بالإيمان ، والسيد : الحسنُ الخلق ، والحَصُورُ : الذي لا يأتي النساء أي حُصِرَ عنهن .

قال محمد : وأصل الحصر : الحبس[٢].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿قال رب أنّى يكون لي غلامٌ﴾ أي : من أين يكون لي؟! ﴿وقد بلغني الكِبَرُ وامرأتي عاقر﴾ أي : لا تلد ، قال الحسن : أراد أن يعلم كيف وُهِبَ ذلك له ؛ وهو كبير وامرأته عاقر ؛ ليزداد علمًا ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ .

﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا﴾ أي : إيماءً ، فعوقب فأُخِذَ بلسانه ؛ فجعل لا يبينَ الكلام ، وإنما عوقب ؛ لأنَّ الملائكة شافهته ، فبشَّرَ بيحيى مشافهةً ، فسأل

---

(١) رواه الطبري (٣/٢٥٢) وابن أبي حاتم (٢/٦٤١ رقم ٣٤٥٥) وابن المنذر (١/١٨٦ رقم ٤١٢) . وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٤) لعبد بن حميد أيضًا .

(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (حصر) .

الآية بعد أن شافهته الملائكة ﴿واذكر ربَّك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار﴾ يعني : الصلاة .

﴿إن اللَّه اصطفاك﴾ أي : اختارك لدينه ﴿وطهرك﴾ من الكفر ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ قال مجاهد[١]: يعني : أطيلي القيام في الصلاة .

قال محمد : وأصل القنوت : الطاعة[٢].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ أي : يستهمون[٣] بها .

﴿أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ فيها أيهم يضمها إليه .

﴿اسمه المسيح﴾ أي : مُسِحَ بالبركة ؛ في تفسير الحسن .

﴿وجيهًا في الدنيا والآخرة﴾ **قال محمد** : وَجُهَ الرجل ، وأوْجهني أي : صيَّرَني وجيهًا[٤].

﴿ومن المقربين﴾ عند اللَّه يوم القيامة .

﴿ويكلم الناس في المهد﴾ أي : في حِجْرِ أمه ﴿وكهلا﴾ كبيرًا أي : يعلمهم كبيرًا ؛ فأرادت أن

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٢٠/١) والطبري (٢٦٥/٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٧/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .
ورواه عبد الرزاق (٣٠٣/٣) وابن المنذر (١٩٧/١ رقم ٤٥٢) بلفظ : «أطيلي الركوع» .

(٢) يقال : قَنَتَ يَقْنُتُ قُنوتًا ؛ أي : أطاع اللَّه وخضع له وأقر بالعبودية ، فهو قانت ، والجمع : قُنَّت ، وهي قانتةٌ . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير (قنت) .

(٣) أي : يتقارعون ، ويتغالبون في الفوز بالسهام . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سهم) .

(٤) وَجُهَ فلانٌ يَوْجُهُ وَجاهَةً ؛ أي : صار ذا قَدْرٍ ورُتْبة ، فهو وجيه ، والجمع : وُجَهاء ووِجَاه ، وهي وجيهة ، والجمع : وِجَاه . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (وجه) .

تعلم كيف ذلك ؛ فقالت : ﴿رب أنى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ .

﴿ويعلمه الكتاب﴾ يعني : الخطَّ ﴿والحكمة﴾ يعني : السُّنَّة .

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ أي : أصوِّر [من الطين][2] ﴿كهيئة الطير﴾ كشبه الطير .

﴿وأبرئُ الأكمه والأبرص﴾ قال قتادة[1]: الأكمه : الذي تلده أمه وهو مضموم العينين .

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ يعني : أنبئكم بما أكلتم البارحة ، وبما خبَّأتم في بيوتكم .

﴿ولأُحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ تفسير قتادة[2]: كان الذي جاء به عيسى أَلْيَنَ مما جاء به موسى ؛ أحلت لهم في الإنجيل أشياء كانت عليهم في التوراة حرامًا .

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) رواه الطبري (٣/٢٧٦) وابن المنذر (١/٢٠٩ رقم ٤٩٢) .

(٢) رواه الطبري (٣/٢٨٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٩) لعبد بن حميد أيضًا .

فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي : رأى .

﴿قال من أنصاري إلى اللّه﴾ أي : مع اللّه ﴿قال الحواريون نحن أنصار اللّه﴾ والحواريون : هم أصفياءُ الأنبياء .

﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي : فاجعلنا ﴿ومكروا ومكر اللّه﴾ مكروا بقتل عيسى ، ومكر اللّه بهم فأهلكهم ، ورفع عيسى إليه .

قال محمد : المكر من الناس الخديعة ، وهو من اللّه (ل٤٦) الجزاء ، يجازي مَنْ مكرَ بمَكْرِهِ .

﴿إذ قال اللّه يا عيسى إني متوفِّيك ورافعك إليَّ﴾ قال السُّدي : معنى ﴿متوفيك﴾ : قابضك من بين بني إسرائيل ، ﴿ورافعك إليَّ﴾ في السماء .

قال محمد : تقول : توفَّيتُ العدد واستوفيته ؛ بمعنى : قبضته[1].

﴿ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ في النصر ، وفي الحجَّة إلى يوم القيامة ، والذين اتبعوه محمدٌ وأهل دينه ؛ اتبعوا دين عيسى وصدقوا به .

﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة﴾ أما في الدنيا : فهو ما عذَّب به الكفار من الوقائع والسَّيْف حين كذبوا رسلهم ، وأما في الآخرة : [فيعذبهم بالنار][2].

﴿واللّه لا يحبُّ الظالمين﴾ يعني : المشركين .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب﴾ قال الكلبي : لما قدم نصارى

---

(١) لسان العرب ، القاموس المحيط ، المعجم الوسيط (وفى) .

(٢) في الأصل (فالنار) ، والمثبت من « ر » .

نجْران ، قالوا : يا محمد ؛ أتذكر صاحبنا؟ قال : ومن صاحبكم؟ قالوا : عيسى ابن مريم ؛ أتزعم أنه عبدٌ؟ فقال لهم نبي الله ﷺ : أجلْ هو عبد الله . قالوا : أرنا في خلق الله عبدًا مثله فيمن رأيت أو سمعت؟ فأعرض عنهم نبي الله عليه السلام يومئذٍ ، ونزل عليه جبريل ، فقال : ﴿إن مثل عيسى عند الله ...﴾ الآية .

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم ...﴾ الآية .

قال الكلبي : ثم عادوا إلى النبي ، فقالوا : هل سمعت بمثل صاحبنا؟! قال : نعم ، قالوا : ومن هو؟ قال : آدم ، خلقه الله من تراب . فقالوا له : إنه ليس كما تقول؟ فقال لهم رسولُ الله ﷺ : ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾ أي : نتلاعن ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ منَّا ومنكم . قالوا : نعم نلاعنك . فرجع رسولُ الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين فهمُّوا أن يلاعنوه ، ثم نكصوا ، وعلموا أنهم لو فعلوا لوقعت اللعنة عليهم ، فصالحوه على الجزية[1].

قال محمد : قوله : ﴿ثم نبتهل﴾ المعنى : نتداعي باللَّعْن ؛ (يقال : أبهله الله ؛ أي : لعنه الله)[2] وفيه لغة أخرى : بَهَلَهُ[3].

﴿فإن تولَّوْا﴾ يعني : عما جاء به النبي ﷺ ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ يعني : المشركين :

---

(١) انظر الدر المنثور (٢/٤٢ - ٤٤) .

(٢) في « ر » : عليه بُهْلة الله ، أي : لعنة الله .

(٣) في الأصل : بُهْلة . والمثبت من «ر» أي : أن الفعل يتعدى بنفسه فيقال : (بَهَلَهُ) ، ويتعدى بالهمز ، فيقال : (أبهله) . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (بهل) .

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء﴾ أي: عَدْل ﴿بيننا وبينكم﴾ يعني: لا إله إلا الله.
﴿ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله﴾.

يحيى: عن المعلى بن هلال، عن أبي بكر بن عبد الله، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: جئتُ إلى النبي ﷺ وفي عنقي صليبٌ. فقال: يا عدي ألْقِ هذا الوثن من عنقك. فألقيته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فلما انتهى إلى قوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله﴾[1] قال: قلت: يا رسول الله، والله ما نتخذهم أربابًا من دون الله. قال: بلى؛ أليسوا يحلون لكم ما حرم الله عليكم؛ فتستحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم؛ فتحرمونه؟ قلتُ: بلى. قال: فتلك عبادتهم[2].

﴿فإن تولوا فقولوا﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٣٠٩٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٨٤ رقم ١٠٠٥٧) والطبري في تفسيره (١٠/١١٤) والطبراني في الكبير (١٧/٩٢ رقم ٢١٨، ٢١٩) والسهمي في تاريخ جرجان (ص٥٤١ رقم ١١٦٢) وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في المدخل والثعلبي في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٦٦ رقم ٥٣٨) - من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

ورواه الواقدي في كتاب الردة - وعنه ابن سعد في الطبقات - حدثني أبو مروان عن أبان بن صالح، عن عامر بن سعد، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٢/٦٦).

ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان عن خالد العبدي، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٢/٦٦).

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ قال الحسن: وذلك أنهم نحلوه[١] أنه كان على دينهم؛ فقالت اليهود ذلك، وقالت النصارى ذلك. فكذبهم الله جميعًا، وأخبر أنه كان مسلمًا، ثم احتج عليهم أنه إنما أنزلت التوراة والإنجيل بعده؛ أي: إنما كانت اليهودية بعد التوراة، والنصرانية بعد الإنجيل.

﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ أي: بما كان في زمانكم وأدركتموه ﴿فلم تحاجُّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم﴾ أن إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولكن حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ قال قتادة[٢]: أي: على ملَّته ﴿وهذا النبي﴾ (ل٤٧) يعني: محمدًا ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ يعني: المؤمنين الذين صدقوا نبي الله واتبعوه.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿ودَّت طائفة من أهل الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم. ﴿لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم﴾ بما يودُّون من ذلك ﴿وما يشعرون﴾.

﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ أنها آيات الله (وأنه)[٣] رسوله، يعني به خاصة علمائهم؛ لأنهم يجدون نعت محمد في كتابهم، ثم كفروا به وأنكروه.

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون﴾ أي: لم تخلطون الحق بالباطل؟! قال الحسن: يعني: ما حرَّفوا من التوراة والإنجيل بالباطل الذي قَبِلُوه عن الشيطان.

---

(١) أي: وصفوه، ينظر: لسان العرب (نحل).

(٢) رواه الطبري (٣/٣٠٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٤٧) لعبد بن حميد أيضًا.

(٣) في «ر»: (وأيات).

﴿وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ أن محمدًا رسول الله ، وأن دينه حق .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ بمحمَّد ﴿وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ تفسير الكلبي[1]: كتبت يهود خيبر إلى يهود المدينة أن آمنوا بمحمدٍ أول النهار ، واكفروا آخره ؛ أي : اجحدوا آخره ، ولَبِّسُوا[2] على ضعفة أصحابه ، حتى تشككوهم في دينهم ؛ فإنهم لا علم لهم ولا دراسة يدرسونها ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن محمَّد ، وعما جاء به . وقال مجاهد[3]: صلَّت اليهودُ مع النبي ﷺ أول النهار صلاة الصبح ، وكفرت آخره ؛ مَكْرًا منهم ؛ ليرى الناس أنه قد بدت لهم الضلالةُ بعد إذ كانوا اتبعوه .

﴿قل إن الهدى هدى اللَّه﴾ يعني : أن الدين دينُ الإسلام ﴿أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم﴾ فيها تقديم : إنما قالت يهود خيبر ليهود المدينة : ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أي : لا تصدقوا إلا من تبع دينكم ؛ فإنه لن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، ولن (يُحَاجكم)[4] بمثل دينكم أحدٌ عند ربكم ، فقال اللَّه : ﴿قل إن الهدى هدى اللَّه﴾ والفضل بيد اللَّه ، وفضل اللَّه : الإسلام ﴿يؤتيه من يشاء واللَّه واسعٌ﴾ لخلقه ﴿عليم﴾ بأمرهم .

﴿يختص برحمته﴾ أي : بدينه ؛ وهو الإسلام ﴿من يشاء﴾ يعني : المؤمنين .

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ

---

(١) انظر تفسير ابن المنذر (٢٥١/١ - ٢٥٢ رقم ٥٩٧) .

(٢) أي : دَلِّسوا وخلِّطوا عليهم . ينظر : لسان العرب (لبس) .

(٣) رواه الطبري (٣١٢/٣) وابن المنذر (٢٥١/١ رقم ٥٩٥ ، ٥٩٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤٨/٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) في « ر » : يحاجوكم .

إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك﴾ يعني : من آمن منهم . قال قتادة[1]: كنا نحدّث أن القنطار مائة رطل من ذهب ، أو ثمانون ألفًا من الوَرِق[2].

﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾ يعني : إن سألته حين تعطيه إياه ردَّه إليك ، وإن أنظرته به أيامًا ذهب به .

﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين﴾ يعنون : مشركي العرب ﴿سبيل﴾ إثم . تفسير الحسن : كانوا يقولون : إنما كانت لهم هذه الحقوق وتجب علينا وهم على دينهم ، فلما تحولوا عن دينهم لم يثبت لهم علينا حق . قال الله - عز وجل - : ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى﴾ قال الحسن : يعني : أدى الأمانة وآمن ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً﴾ هم (أهل الكتاب)[3] كتبوا كتبًا بأيديهم ،

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٢٣/١) والطبري (٢٠١/٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) أي : الفضة . ينظر : لسان العرب (ورق) .

والقنطار : معيار مختلف المقدار عند الناس ، وهو بمصر في زماننا مائة رطل ، وهو ٤٤. ٩٢٨ من الكيلو جرامات . ج : قناطير . ينظر المعجم الوسيط (قنطر) .

(٣) في « ر » : اليهود .

وقالوا : هذا من عند الله ؛ فاشتروا به ثمنًا قليلاً ؛ أي : عَرَضًا من عَرَض الدنيا ، وحلفوا أنه من عند الله .

﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي : لا نصيب لهم [في](١) الجنة .

﴿ولا يكلّمهم اللّهُ﴾ بما يحبون [وذلك](٢) يوم القيامة ، وقد يكلمهم ويسألهم عن أعمالهم . قال : ﴿ولا ينظر إليهم﴾ نظرة رحمةٍ [يوم القيامة](٢) ﴿ولا يزكّيهم﴾ أي : لا يطهّرهم من ذنوبهم ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع ﴿وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ تفسير قتادة(٣): حرّفوا كتاب اللّهِ ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند اللّه .

﴿ما كان لبشرٍ أن يؤتيه اللّه الكتاب والحكم والنبوة﴾ كما آتى عيسى ﴿ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللّه﴾ أي : اعبدوني ؛ يقول : لا يفعل ذلك من آتاه اللّه الكتاب والحكم والنبوة .

قال الحسن : احتج (ل٤٨) عليهم بهذا ؛ لقولهم أن عيسى ينبغي له أن يُعْبد وأنهم قبلوا ذلك عن اللّه ، وهو في كتابهم الذي نزل من عند اللّه .

قال ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ أي : ولكن يقول لهم : كونوا ربانيين ؛ أي : علماء فقهاء ﴿بما كنتم تَعْلَمُونَ(٤) الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ تقرءون .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا﴾ أي : من دون اللّه ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم

---

(١) في الأصل : من . والمثبت من « ر » .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطبري (٣/٣٢٣) وابن أبي حاتم (٢/٦٨٩ رقم ٣٧٣٤) .

(٤) كذا ، وقد قرأ ابن عامر والكوفيون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة ، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففًا . النشر (٢/٢٤٠) .

مسلمون﴾ على الاستفهام أي : لا يفعل .

﴿وإذ أخذ اللَّه ميثاق النبيين لما آتيناكم[١] من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ [أي : عهد ثقيل][٢] ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ .

يقوله اللَّه : أنا شاهد معهم وعليهم ، بما أعطوا من الميثاق والإقرار ، قال قتادة[٣]: هذا ميثاقٌ أخذه اللَّه على النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا ، وأن يبلغوا كتاب اللَّه ورسالاته إلى عباده ، وأخذ ميثاق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم ؛ أن يؤمنوا بمحمدٍ ويصدقوه وينصروه ﴿فمن تولَّى بعد ذلك﴾ (أي :)[٤] بعد العهد والميثاق الذي أخذ اللَّه عليهم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ .

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿أفغير دين اللَّه تبغون[٥]﴾ (تطلبون)[٦] ﴿وله أسلمَ من في السمـٰوات والأرض طوعًا وكرهًا﴾ تفسير الحسن[٧]: وله أسلم من في السمـٰوات ، ثم انقطع الكلام ، ثم قال : ﴿والأرض﴾ أي : ومن في الأرض طوعًا وكرهًا ؛ يعني : طائعًا وكارهًا . قال الحسن : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « واللَّه لا

---

(١) بالنون والألف على التعظيم ، وهي قراءة نافع ، وقرأ باقي السبعة (آتيتكم) . بتاء مضمومة من غير ألف . ينظر : البحر (٥١٣/٢) ، الدر (١٥٦/٢) ، النشر (٢٤١/٢) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطبري (٣٣٢/٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥٣/٢) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) سقط من « ر » .

(٥) قرأ البصريان وحفص بالغيب ، وقرأ الباقون بالخطاب . النشر (٢٤١/٢) .

(٦) سقط من « ر » .

(٧) انظر تفسير الطبري (٣٣٧/٣) .

يجعل اللَّه من دخل في الإسلام طوعًا ؛ كمن دخله كرهًا »[١].

قال يحيى : لا أدري أراد المنافق ، أو الذي قوتل عليه .

وقال قتادة[٢]: أما المؤمن فأسلم طائعًا ؛ فنفعه ذلك وقُبِل منه ، وأما الكافر فأسلم كارهًا ؛ فلم ينفعه ذلك ولم يُقْبل منه .

قال يحيى : يعني بالكافر : المنافق الذي لم يسلم قَلْبُه .

قال محمد : ﴿طوعًا﴾ مصدرٌ ، وُضِعَ موضع الحال[٣].

﴿قل آمنا باللَّه وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ الأسباط : يوسف وإخوته ، إلى قوله ﴿مسلمون﴾ قال الحسن : هذا ما أخذ اللَّه على رسوله ، ولم يؤخذ عليه ما أخذ على الأنبياء في قوله : ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به﴾ إذ لا نبي بعده .

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ خسر نفسه ؛ فصار في النار ، وخسر أهله من الحُور العين .

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كيف يهدي اللَّه قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾ قال مجاهد[٤]: نزلت في رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه .

---

(١) لم أقف عليه ، واللَّه تعالى أعلم .

(٢) رواه عبد الرزاق (١/١٢٥) والطبري (٣/٣٣٧) وابن أبي حاتم (٢/٦٩٧ رقم ٣٧٧٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٥٤) لعبد بن حميد أيضًا .

(٣) وفيه أقوال نحوية أخر ؛ ينظر : البحر المحيط (٢/٥١٦) ، الدر (٢/١٥٨) .

(٤) رواه الطبري (٣/٣٤٠ ، ٣٤١) وابن المنذر (١/٢٧٨ رقم ٦٧٣) .

﴿وجاءهم البينات﴾ يعني : الكتاب فيه البيِّنات والحُجج .

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني : من لا يريد أن يهديه منهم ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني بالناس : المؤمنين خاصَّةً ﴿خالدين فيها﴾ أي : في تلك اللعنة ، وثوابها[1] النار .

﴿لا يخُفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ يؤخَّرون بالعذاب .

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ يعني : من أراد الله أن يهديه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ۝٩٢﴾

قوله عز ذكره : ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا﴾ قال الحسن[2]: هم أهل الكتاب كانوا مؤمنين ، ثم كفروا ﴿ثم ازدادوا كفرًا﴾ ؛ أي : ماتوا على كفرهم .

يقول : لن يقبل الله إيمانَهم الذي كان قبل ذلك ، [إذا ماتوا][3] على كفرهم ﴿وأولئك هم الضالون﴾ .

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مِلْءُ الأرض ذهبًا ولو افتدى به﴾ **قال محمد** : يقال : هذا مِلْءُ هذا ؛ أي : مقدار ما يُمْلأُ ، والمَلْءُ المصدر فبالفتح ، يقال : ملأتُ الشيء مَلْئًا ؛ هذا هو الاختيار (عند اللغويين)[4].

---

(١) أي : جزاؤها ومرجعها ؛ الثواب : الجزاء والمرجع . ينظر لسان العرب (ثوب) .

(٢) رواه الطبري (٣/٣٤١) .

وعزاه السيوطي في الدر (١/٥٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٣) مشتبهة في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) في « ر » : عند النحويين . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، المصباح المنير (ملأ) .

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال الحسن : يعني الزكاة (ل٤٩) الواجبة ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ يحفظه لكم حتى يجازيكم به .

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿كلّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [أي : فاقرءوها] ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن فيها ما تذكرون [أنه][1] حرمه عليكم . قال الحسن[2]: وكان الذي حرم إسرائيل على نفسه : لحوم الإبل ، وقال بعضهم : ألبانها .

﴿قل صدق الله﴾ أن إبراهيم كان مسلمًا ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا﴾ والحنيف : المخلص .

﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ قال الحسن[3]: يعني : وُضع قبلةً لهم .

﴿للذي ببكة مباركًا﴾ تفسير حبيب بن أبي ثابت : قال : البيت وما حوله بكة ، وأسفل من ذلك مكة ، وإنما سمي الموضع بكّة ؛ لأن الناس يتزاحمون فيه[4].

قال محمد : البكُّ أصله في اللغة : الدفع[5]، ونصب ﴿مباركًا﴾ على الحال[6].

---

(١) في الأصل : لم . والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/٤ - ٥) .

(٣) رواه ابن المنذر في تفسيره (٢٩٨/١ رقم ٧١٨) .

(٤) مأخوذ من التباكّ ، وهو الازدحام الذي يحصل عند الطواف . وفي هذه التسمية أقوال أخر . ينظر لسان العرب (بكك) الدر المصون (١٦٨/٢) .

(٥) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (بكك) .

(٦) وفيه أقوال أخر . ينظر : البحر المحيط (٦/٣) ، الدر (١٦٨/٢) .

﴿فيه آيات بيناتٌ مقام إبراهيم﴾ قال الحسن[١]: مقام إبراهيم من الآيات البينات ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾ قال الحسن: كان ذلك في الجاهلية؛ لو أن رجلاً جرَّ جريرةً[٢]، ثم لجأ إلى الحرم لم يُطْلَبْ ولم يُتَنَاوَلْ، وأما في الإسلام؛ فإن الحرم لا يمنع مِنْ حَدٍّ، مَنْ أصاب حدًّا أُقِيمَ عليه.

﴿ولله على الناس حج البيت﴾ **قال محمد**: الحج في اللغة معناه: القصد؛ يقال: حججتُ الشيءَ أحُجُّه حجًّا؛ إذا قصدته مرةً بعد مرة[٣]، ومن هذا قولُ الشاعر:

وَأَشْهَدُ من عَوْفٍ حُلُولاً كثيرةً يحجُّون سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا[٤]

أي: يكثرون الاختلاف إليه؛ لسؤدده، وكان الرئيس يعتم بعمامة صفراء تكون عَلَمًا لرئاسته.

قوله: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾.

يحيى: (عن الحسن بن دينار، عن الحسن)[٥] «أن رجلاً قال: يا رسول الله [إن الله عز وجل قال][٦]: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ فما السبيلُ؟ قال: الزاد والراحلة»[٧].

---

(١) رواه الطبري (٤/١١).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٦٠) لعبد بن حميد أيضًا.

(٢) أي: ارتكب جنايةً. ينظر: لسان العرب (جرر).

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حجج).

(٤) البيت من بحر الطويل، وهو للمخبّل السّعْدي، ينظر: ديوانه (٢٩٤)، البيان والتبيين (٣/٩٧)، إصلاح المنطق (٣٧٢) اللسان (سبب)، (حجج)، (زبرق) تهذيب اللغة (٣/٣٨٨)، (١٢/٣١٣).

(٥) في «ر» عن الحسن.

(٦) في الأصل: قال الله. والمثبت من «ر».

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٥٣٦ رقم ٦، ٧) وسعيد بن منصور في سننه - كما في نصب الراية (٣/ ٨ - ٩) - والطبري في تفسيره (٤/١٦) والدارقطني (٢/٢١٨ رقم ١٣)، والبيهقي في سننه (٤/٣٢٧) والمعرفة (٣/٤٧٨ رقم ٢٦٦٣) من طريق يونس عن الحسن به.

وقال البيهقي: هذا منقطع.

ورواه سعيد بن منصور - كما في نصب الراية (٣/٨) - والطبري في تفسيره (٤/١٦) من طريق منصور عن الحسن.

قال ابن دقيق العيد: وهذه أسانيد صحيحة إلا أنها مرسلة. نقله الزيلعي في نصب الراية (٣/٩).

ورواه الطبري (٤/١٧) وأبو بكر القطيعي في كتاب «المناسك عن سعيد بن أبي عروبة» (١/١٥٧/٢) - كما في إرواء الغليل (٤/١٦١) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

قال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وكذلك رواه يونس بن عبيد عن الحسن. =

= وقال ابن حجر في التلخيص (٢/٢٢٣) : وسنده صحيح إلى الحسن .
ورواه الطبري (١٧/٤) من طريق حماد عن قتادة وحميد عن الحسن .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٧/١) عن هشام عن الحسن . ورواه أيضًا (١٢٧/١) عن معمر عن قتادة مرسلاً .
قلت : هذا الحديث محفوظ عن الحسن مرسلاً ، وقد أخطأ بعض الرواة فوصلوه ؛ فرواه حصين بن المخارق ، عن يونس ابن عبيد ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك . خرجه الدارقطني في سننه (٢١٨/٢ رقم ١٥) وحصين بن مخارق قال عنه الدارقطني في الضعفاء والمتروكين (١٨٩ رقم ١٧٩) : متروك .
ورواه عتاب بن أعين ، عن الثوري ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن أمه ، عن عائشة . خرجه الدارقطني (٢/ ٢١٧ رقم٨) والعقيلي في الضعفاء (٣٣٢/٣) والبيهقي في سننه (٣٣٠/٤) .
وقال البيهقي في المعرفة (٤٧٨/٣) : وليس بمحفوظ .
ورواه علي بن سعيد بن مسروق الكندي عن ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس . خرجه الدارقطني (٢١٦/٢ رقم ٦) والحاكم في المستدرك (٤٤١/١ - ٤٤٢) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
وقال البيهقي في سننه (٣٣٠/٤) : وُروي عن سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في الزاد والراحلة ، ولا أراه إلا وهمًا .
وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٣٧٩/٢ رقم ١٢٥٤) : هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل السنن بهذا الإسناد ، والصواب عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ، وأما رفعه عن أنس فهو وهم ، هكذا قال شيخنا .
ورواه الدارقطني (٢١٦/٢ رقم ٧) والحاكم (٤٤٢/١) من طريق أبي قتادة ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن أنس . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .
قال ابن حجر في التلخيص (٢٤٣/٢) : إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني ، وقد قال أبو حاتم : هو منكر الحديث .
وقد روي هذا الحديث عن عدة من الصحابة لا يصح شيء منها .
قال ابن المنذر : لا يثبت الحديث الذي فيه ذكر الزاد والراحلة مسندًا ، والصحيح رواية الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً .
وقال الطبري في تفسيره (١٨/٤) : فأما الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة ؛ فإنها أخبار في أسانيدها نظر ؛ لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين .
وقال البيهقي : وروي فيه أحاديث أخر لا يصح شيء منها .
وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٢٥٨/٢) : وقد خرج الدارقطني هذا الحديث من حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود وأنس وعائشة وغيرهم ، وليس فيها إسناد يحتج به .
ونقل الزيلعي في نصب الراية (١٠/٣) هذا الكلام برمته عن ابن دقيق العيد في الإمام .
وقال ابن كثير في تفسيره (٣٨٦/١) : وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس =

﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ قال الحسن[١]: الكفر: أن يقول: ليس بفريضة؛ فيكفر به.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله﴾ يعني: الإسلام ﴿من آمن تبغونها عوجًا﴾ أي: تطلبون بها العوج.

﴿وأنتم شهداء﴾ على ذلك فيما تقرون من كتاب الله أن محمدًا رسولُ الله، وأن الإسلام دين الله.

قال محمد: يُقَال في الأمر: «عِوَج» بالكسر؛ إذا كان في الدِّين، ويقال لكل شيءٍ مائل: فيه «عَوَج» بالفتح؛ كالعصا والحائط[٢] وشبه ذلك.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

= وابن مسعود وعائشة، كلها مرفوعة، ولكن في أسانيدها مقال، كما هو مقرر في كتاب الأحكام، والله أعلم، وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث.

وقال ابن حجر في التلخيص (٤٢٣/٢): وطرقها كلها ضعيفة.

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (١٠٧٦/٣ رقم ٥١٧) والطبري في تفسيره (١٩/٤) وابن المنذر في تفسيره (٣١١/١ رقم ٧٥٨) بمعناه.

(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (عوج).

﴿ومن يعتصم بالله﴾ أي: يستمسك بدين الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن مسعود[١]: حق تقاته أن يُطَاعَ فلا يعصى، ويُشْكَر فلا يُكْفَر، ويُذْكَر فلا يُنْسَى. قال قتادة[٢]: نزلت هذه الآيةُ فثقلت عليهم، ثم أنزل الله اليُسْر والتخفيف، فقال: ﴿[فاتقوا][٣] الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا﴾ قال الحسن وغيره: حبل الله: القرآن.

قال محمد: وأصل الحبل في اللغة: العهد[٤]. قال (الأعشى)[٥]:

وإذا أجوِّزها حبالَ قبيلة أخذتْ من الأخرى إليها حبالها[٦]

---

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (٢٢) وعبد الرزاق في تفسيره (١٢٩/١) والطبري في تفسيره (٢٨/٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٢/٣ رقم ٣٩٠٨) وابن المنذر في تفسيره (٣١٧/١ رقم ٧٦٨) والنسائي في المواعظ - كما في تحفة الأشراف (١٤٠/٧ رقم ٩٥٥٦) - والطبراني في المعجم الكبير (٩٢/٩ رقم ٨٥٠١، ٨٥٠٢) والحاكم في المستدرك (٣٢٣/٢) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٨١/١) وأبو نعيم في الحلية (٢٣٨/٧) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢١٠/١) - من طرق عن زبيد اليامي عن مرة الطيب عن عبد الله بن مسعود.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. فتعقبه ابن كثير في تفسيره (٣٨٧/١ - ٣٨٨) فقال: كذا قال، والأظهر أنه موقوف، والله أعلم.

وقال أبو نعيم: رواه الناس عن زبيد موقوفًا، ورفعه أبو النضر محمد بن طلحة عن زبيد. ثم رواه مرفوعًا من هذا الطريق.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣٨٧/١): إسناده صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٢٦/٧): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، والآخر ضعيف.

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢١٠/١): روي موقوفًا ومرفوعًا كما قال المصنف، والأكثر على وقفه.

قلت: وللموقوف علة ؛ قال البخاري في تاريخه (٤٥٠/٣): وقال نصر بن علي عن أبيه عن شعبة عن زبيد عن مرة عن عبد الله ﴿حق تقاته﴾ فذكرته لعمرو بن مرة، فقال: كان زبيد صدوقًا سمعت مرة يحدثه عن ربيع بن خثيم. اهـ.

وقال الدارقطني في علله (٢٧٤/٥): يرويه زبيد عن مرة عن عبد الله. وخالفه عمرو بن مرة فرواه عن مرة عن الربيع بن خثيم قوله. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٨/٤) عن الربيع بن خثيم قوله من هذا الطريق.

(٢) رواه عبد الرزاق (١٢٨/١) والطبري (٢٩/٤) وابن المنذر (٣١٧/١ رقم ٧٦٦، ٧٦٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٦٦/٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن جرير.

(٣) في الأصل، «ر»: اتقوا. بدون الفاء، والآية من سورة التغابن ١٦.

(٤) ينظر: لسان العرب (حبل).

(٥) في «ر»: الأعمش. وهو تحريف.

(٦) ويروى: وإذا تجوّزها ...ينظر ديوان الأعشى (٦٥)، وتأويل مشكل القرآن (٤٦٥)، ورغبة الآمل (٥٢/٤) =

يعني : عهودها .

قوله : ﴿ولا تفرقوا واذكروا نعمة اللّه عليكم﴾ أي : اشكروا نعمة اللّه عليكم ﴿إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم﴾ بالإيمان ﴿فأصبحتم﴾ يعني : فَصِرْتم ﴿ بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ بالإسلام .

قال محمد : قوله : ﴿شفا حفرة﴾ يعني : حرف حفرة ؛ أي : قد كنتم أشرفتم على النار .

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ ؛ يعني : [بتوحيد اللّه][(١)]، ﴿وينهون عن المنكر﴾ ؛ يعني : الشرك باللّه .

قال [محمد][(٢)]: قوله : ﴿ولتكن منكم أمةٌ﴾ قيل : معناه : ولتكونوا كلكم أمّة .

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ هم أهل الكتاب ، يقول : لا تفعلوا كفعلهم .

(ل ٥٠) ﴿يوم تبيض وجوه ...﴾ إلى قوله : ﴿بما كنتم تكفرون﴾ .

يحيى : عن حمّاد بن سلمة [عن أبي غالب][(٣)] قال : « كنت مع أبي أمامة وهو على حمارٍ ،

= ومعنى (أجوزها) : أسوغها قطع الطريق المخوف . و(الحبال) : العهود والمواثيق . والبيت من بحر الكامل . وفي « ر » : إليك . بدل : إليها .

(١) غير واضحة في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » ، وأبو غالب صاحب أبي أمامة ﷺ اختلف في اسمه ، فقيل : اسمه حزور ، وقيل : سعيد بن الحزور ، وقيل : نافع ، معروف بهذا الحديث ، قال ابن عدي في الكامل (٣/٣٩٨) : وأبو غالب قد روى عن أبي أمامة حديث الخوارج – هو حديث الكتاب - بطوله ، وهو حديث معروف به . اهـ . =

حتى انتهينا إلى درج مسجد دمشق ؛ فإذا برءوس من رءوس الخوارج منصوبةٍ ، فقال : ما هذه الرءوس؟! قالوا : رءوس خوارج جِيء بها من العراق . فقال : كلاب أهل النار ، كلاب أهل النار ، كلاب أهل النار! شرُّ قتلى تحت ظل السماء ، شرُّ قتلى تحت ظل السماء ، شرُّ قتلى تحت ظل السماء! خير قتيل من قتلوه ، خير قتيل من قتلوه ، خير قتيل من قتلوه ، طُوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه . ثم بكى ، فقلت : ما يبكيك؟ فقال : رحمةً لهم ؛ إنهم كانوا من أهل الإسلام ، فخرجوا من الإسلام ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات . . .﴾[1] حتى انتهى إلى آخرها ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . . .﴾ إلى قوله : ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فقلت : هم هؤلاء يا أبا أمامة؟ فقال : نعم ، فقلت : شيء تقوله برأيك ، أم سمعت رسول الله يقوله؟ قال : إني إذن لجريء ، إني إذن لجريء ، إني إذن لجريء! لقد سمعتُه من رسول الله ﷺ غير مرةٍ ولا مرَّتين . حتى بلغ سَبْعًا ، ووضع أصبعيه في أذنيه ثم قال : وإلا فَصُمَّتا . ثم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة ؛ واحدةٌ في الجنَّة وسائرها في النار ، ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة ؛ فواحدة في الجنة وسائرها في النار . فقلت : فما تأمرني؟ قال : عليك بالسواد الأعظم . قال : فقلت : في السواد الأعظم ما قد ترى . قال : السمع والطاعة خيرٌ من الفرقة والمعصية »[2].

= وقال الخليلي في الإرشاد (١٢٩) : أبو غالب الذي يروي عن أبي أمامة حديث الخوارج ، اسمه حزور ، ويقال : عبد الله بن حزور ، وروى عن أبي غالب حديث الخوارج أكثر من بضع - كذا - وسبعين نفرًا من أهل الكوفة وأهل البصرة .اهـ
وترجمة أبي غالب في التهذيب (٣٤/١٧٠ - ١٧٣) .

(١) آل عمران : ٧.

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٩٤ رقم ٢٢٤) من طريق يحيى بن سلام به .
ورواه الإمام أحمد (٥/٢٥٦) والطيالسي (١٥٥ رقم ١٣٦) والترمذي (٥/٢١٠ - ٢١١ رقم ٣٠٠٠) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٦٤٣ رقم ١٥٤٢) والطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٦٧ - ٢٦٨ رقم ٨٠٣٤) والبيهقي في سننه (٨/١٨٨) من طريق حماد بن سلمة به مختصرًا .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن .
ورواه الإمام أحمد (٥/٢٥٣) وعبد الرزاق (١٠/١٥٢ رقم ١٨٦٦٣) والحميدي (٢/٤٠٤ رقم ٩٠٨) وابن =

﴿تلك آيات الله﴾ هذه آيات الله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ يعني : عواقبها في الآخرة .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿كنتم خير أمّةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف﴾ يعني : بتوحيد الله ﴿وتنهون عن المنكر﴾ يعني : عن الشرك بالله .

= ماجه (٦٢/١ رقم ١٧٦) والحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (٢٨٤/٣ - ٢٨٥ رقم ٢٩٨٩) وإتحاف الخيرة (٢١٩/٤ - ٢٢٠ رقم ٣٤٥٢) - وعبد الله بن أحمد في السنة (٦٤٣/٢ رقم ١٥٤٣، ١٥٤٤)، والطحاوي في شرح المشكل (٣٣٨/٦ - ٣٣٩ رقم ٢٥١٩) والطبراني في الكبير (٢٦٦/٨ - ٢٧٥ رقم ٨٠٣٣ - ٨٠٥٦) وفي مسند الشاميين (٢٤٨/٢ رقم ١٢٧٩) والآجري في الشريعة (١٥٤/١ - ١٥٦ رقم ٦٢ - ٦٤) والخليلي في الإرشاد (١٢٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٣٩٤/٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/٢٤ - ٥٣) وغيرهم من طرق عن أبي أمامة مطولاً ومختصرًا .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٤/٢ - ٥٩٥ رقم ٣١٨٠) ووقع في إسناده : عن عبد الله بن شوذب عن أبي أمامة ؛ وسقط أبو غالب من بينهما .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣٤٦/١) : ورواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة ، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي ، ومعناه صحيح .

ورواه الإمام أحمد (٢٥٠/٥) من طريق سيار بن عبد الله عن أبي أمامة .

ورواه الإمام أحمد (٢٦٩/٥) - وعنه ابنه عبد الله في السنة (٦٤٤/٢ رقم ١٥٤٦) - من طريق صفوان بن سليم عن أبي أمامة .

قال ابن حجر في إتحاف المهرة (٢٣٤/٦ رقم ٦٤٠٩) : قلت : أظنه منقطعًا .

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦٤٤/٢ رقم ١٥٤٥) وابن خزيمة في الجهاد - كما في إتحاف المهرة (٢٢٩/٦ رقم ٦٣٩٦) - والحاكم (١٤٩/٢ - ١٥٠) والثعلبي في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢١٥/١) - عن شداد بن عبد الله عن أبي أمامة ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ثم قال : الغالب على هذا المتن طرق حديث أبي غالب عن أبي أمامة ، ولم يخرجاه .

قال محمد : قوله : ﴿كنتم﴾ قيل : معناه : أنتم[1].

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال رسول الله ﷺ : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله »[2].

﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم﴾ يعني : عامتهم ، ثم قال : ﴿منهم المؤمنون﴾ يعني : من آمن منهم ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ يعني : فسق الشرك .

﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ بالألْسِنَة ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ .

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ أي : حيثما وجدوا ﴿إلا بحبل من الله وحبلٍ من الناس﴾ قال السُّدي[3]: يعني بأمانٍ[4] وعهْدٍ من الله ، ومن الناس ﴿وباءوا بغضبٍ من الله﴾ يعني : استوجبوا غضبه ﴿ضربت عليهم المَسْكنة﴾ يعني : ما يُؤْخَذُ منهم من الجِزْية ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حقٍّ﴾ يعني : أوليهم ، وليس يعني الذين أدْرَكوا النبي عليه السلام .

---

(١) وهو قول الفراء والنحاس وغيرهما ؛ أي : على اعتبار (كان) زائدة . وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من البحر (٢٩/٣) ، مجمع التفاسير (٥٦٤/١ - ٥٦٥) ، المقتضب (١١٩/٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/٥) وعبد الرزاق في تفسيره (١٣٠/١) وعبد بن حميد (١٥٥ رقم ٤٠٩) والدارمي (٤٠٤/٢ رقم ٢٧٦٠) والترمذي (٢١١/٥ رقم ٣٠٠١) وابن ماجه (١٤٣٣/٢ رقم ٤٢٨٨) والطبري في تفسيره (٤٥/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٤١٩/١٩ رقم ١٠١٢ ، ٤٢٢/١٩ - ٤٢٣ رقم ١٢٣ - ١٢٥) والحاكم (٨٤/٤) وغيرهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وقال الترمذي : حديث حسن .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وقال ابن كثير في تفسيره (٣٩١/١) : وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي ، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . اهـ .
وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١٤٠/٣) : إسناده جيد ، وبهز حديثه حسن .
وقال ابن حجر في الفتح (٧٣/٨) : وهو حديث حسن صحيح .
ورواه الطبري في تفسيره (٤٥/٤) عن قتادة مرسلًا .
قال ابن حجر في الفتح (٧٣/٨) : رجاله ثقات .

(٣) رواه الطبري (٤٨/٤) وابن أبي حاتم (٧٣٥/٣ رقم ٣٩٩١) .

(٤) في « ر » : بإيمان .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿ليسوا سواء﴾ يقول[1]: ليس كل أهل الكتاب كافرًا.

﴿من أهل الكتاب أمةٌ قائمة﴾ بأمر الله ؛ يعني : من آمن منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾ يعني : ساعات الليل ﴿وهم يسجدون﴾ يصلون .

قال محمد : واحد (الآناء) : إِنًى ؛ مثل : مِعًى وأمعاءٍ ، وقيل : واحدها : إِنْيٌ[2].

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ يعني : بالإيمان [بمحمد ﷺ][3] ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن التكذيب بمحمَّدٍ ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ يعني : الأعمال الصالحة ﴿وأولئك من الصالحين﴾ وهم أهلُ الجنة .

﴿وما تَفْعَلُوا من خير فلن تُكفروه﴾[4] يقول : تجازون به .

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

---

(١) في «ر» : يقولون .

(٢) قيل في مفرد (آناء) أربعة أقوال ؛ ذكر المصنف منها اثنين ، والاثنان الآخران هما : أَنْيٌ بفتح وسكون ، وإِنْوٌ بكسر وسكون مع الواو . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (أني) ، الدر المصون (٢/ ١٩٠) .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٤) قرأ الأخوان وحفص ﴿وما يفعلوا ...يكفروه﴾ بالغيب ، وقرأ الباقون بالخطاب . ينظر : البحر (٣/ ٣٦) الدر المصون (٢/ ١٩١) التيسير (٩٠) السبعة (٢١٥) .

﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ﴾ يعني: البرد الشديد ﴿أصابت حرْثَ قوم ظلموا أنفسهم﴾ قال مجاهد(١): يعني [نفقات الكفار](٢) لا يكون لهم في الآخرة منها ثواب، وتذهب [كما يذهب](٢) هذا الزرع الذي أصابته الريح [فأهلكته](٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ يعني: (ل٥١) من غير المسلمين ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ أي: شرًّا ﴿ودُّوا ما عنتم﴾ أي: ما ضاق بكم ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي: ظهرت ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ في البغض والعداوة ولم يظهروا العداوة، وأسرُّوها فيما بينهم؛ فأخبر الله بذلك عنهم رسُولَه.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ يقول للمؤمنين: أنتم تحبون المنافقين؛ لأنهم أظهروا الإيمان، فأحبوهم على ما أظهروا، ولم يعلموا ما في قلوبهم.

﴿ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي: وهم لا يؤمنون؛ [فيها](٣) إضمار ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ مخافةً على دمائهم وأموالهم ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ مما يجدون في قلوبهم.

قال الله لنبيه: ﴿قل موتوا بغيظكم ...﴾ الآية.

﴿إن تَمْسَسْكم حسنةٌ تسؤهم﴾ يعني بالحسنة: النصر ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ نَكْبَةٌ من المشركين ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا﴾ أي: أنهم لا شوكة لهم إلا أذًى بالألسنة.

---

(١) رواه الطبري (٥٩/٤) وابن المنذر (٣٤٣/١ رقم ٨٣٦) مختصرًا.
وعزاه السيوطي في الدر (٧٣/٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم أيضًا.
(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) في الأصل: وهذا. والمثبت من «ر».

﴿إن الله بما يعملون محيط﴾ أي: يجازيهم بما يعملون.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ يعني: يوم أُحد ﴿تُبوِّئُ﴾ أي: تنزل ﴿المؤمنين مقاعد للقتال﴾.

﴿إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ قال الكَلْبي: يعني: بني حارثة، وبني سلمة، حَيَّيْنِ من الأنصار، وكانوا همُّوا ألا يخرجوا مع رسول الله، فعصمهم الله وهو قوله: ﴿والله وليهما﴾.

﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة﴾ يذكِّرهم نعمته عليهم. قال قتادة: نصرهم الله يوم بدر بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ رجع إلى قصة أُحد ﴿ألن يكفيكم أن يُمِدَّكم﴾ أي: يقوِّيكم ربكم ﴿بثلاثة آلافٍ من الملائكة منزلين﴾ ينزلهم الله عليكم من السماء ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾ من (وجههم)[1] هذا ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوَّمين[2]﴾ قال قتادةُ[3]: يعني: عليهم سِيما القتال.

قال محمد: السُّومَةُ: العلامة التي يُعْلِمُ بها الفارس نَفْسَهُ[4].

قال الشعبي[5]: وَعَدَهُ خمسة آلافٍ إن جاءوا من ذلك الفور، فلم يجيئوا من ذلك الفور، ولم يمده بخمسة آلافٍ، وإنما أمدَّه بألفٍ مردفين، وبثلاثة آلافٍ منزلين؛ فهم أربعة آلافٍ، وهم اليوم في جنود المسلمين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

(١) وقيل: من غضبهم. ينظر تفسير الطبري (١٨٢/٧)، تفسير ابن كثير (٩٤/٢). وفي «ر»: وجوههم.
(٢) قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها. النشر (٢٤٢/٢).
(٣) رواه الطبري (٨٣/٤) وابن أبي حاتم (٧٥٥/٣ رقم ٤١١٥).
(٤) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (سوم).
(٥) رواه الطبري (٧٦/٤).

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

﴿وما جعله الله﴾ يعني: المدد ﴿إلا بشرى لكم﴾ تستبشرون بها وتفرحون ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ أي: لتسكن به [قلوبكم][1] ﴿و ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ أي: يخزيهم ﴿فينقلبوا خائبين﴾.

قال محمد: قوله: ﴿طرفًا﴾ يعني: قطعة، وقوله: ﴿أو يكبتهم﴾ قيل: الأصل فيه: يكبدهم؛ أي: يصيبهم في أكْبادهم بالحزن والغيظ؛ التَّاءُ مُبْدلَةٌ فيه من دال؛ لقرب مخرجيهما[2].

﴿ليس لك من الأمر شيء...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أن رسول الله ﷺ أُدْمِيَ وَجْهُه يوم أُحد، فجعل يمسح الدمَ عن وجهه ويقول: كيف يُفْلِح قوم أدْمَوْا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فإنهم ظالمون﴾»[3].

قال يحيى: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ قال: ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين، أو يتوب عليهم أو يعذبهم؛ فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وعلى ذلك قراءة لاحق بن حميد: (أو يكبدهم). وقيل: التاء أصلية وليست مبدلةً من شيء. والكَبْتُ: الإصابة بمكروه. وقيل: هو الصَّرع للوجه واليدين. ينظر: البحر المحيط (٥٤/٣) الدر المصون (٢٠٨/٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨٧/٤) من طريق ابن عون عن الحسن به.
ورواه الطبري (٨٧/٤ - ٨٨) من طريق عباد عن الحسن به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٩/٢) لعبد بن حميد في تفسيره.
ورواه مسلم (١٤١٧/٣ رقم ١٧٩١) عن ثابت عن أنس.
ورواه الإمام أحمد (٩٩/٣) والترمذي (٢١١/٥ رقم ٣٠٠٢، ٣٠٠٣) والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦ رقم ١١٠٧٧) وابن ماجه (١٣٣٦/٢ رقم ٤٠٢٧) وابن حبان (٥٣٦/١٤ رقم ٦٥٧٤) وغيرهم عن حميد عن أنس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومعنى ﴿أو يتوب عليهم﴾ يرجعون إلى الإيمان ﴿أو يعذبهم﴾ بإقامتهم على الشرك

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفةً﴾ كانوا في الجاهلية إذا حلَّ دَيْنُ أحدهم على صاحبه ؛ فتقاضاه ، قال : أخِّرْ عني وأزيدك .

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عَرْضُها السمٰواتُ والأرضُ﴾ قال كريب مولى ابن عباسٍ : سبع سمٰوات وسبع أرضين يلفقن جميعًا كما تلفق الثياب بعضها إلى بعض ، ولا يصف أحدٌ طولها .

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي مي اليسر والعسر (ل٥٢) ﴿والكاظمين الغيظ﴾ .

قال محمد : أصل الكظم : الحبس[١]

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جرع أحدٌ جرعةً[٢] خيرٌ له من جرعة غيظٍ »[٣].

---

(١) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (كظم)

(٢) في « ر » : ما تجرع عبد جرعة .

(٣) رواه الإمام أحمد (١٢٨/٢) وابن ماجه (١٤٠١/٢ رقم ٤١٨٩) والبيهقي في الشعب (٣١٣/٦ - ٣١٤ رقم ٨٣٠٥، ٨٣٠٧) عن يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر مرفوعًا .
ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩ رقم ١٣١٨) من هذا الطريق موقوفًا .
ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٢٨٩) - ومن طريقه البيهقي في الشعب (٣١٤/٦ رقم ٨٣٠٨) عن معمر عمن سمع الحسن مرسلاً
ورواه البيهقي في الشعب (٣١٤/٦ رقم ٨٣٠٦) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عباس وقال . والأول أصح . يعني . حديث يونس عن الحسن عن ابن عمر
ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٧/١) عن ابن عباس ، قال الذهبي في الميزان . خبر منكر

قوله : ﴿والعافين عن الناس﴾ .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسولُ اللّه ﷺ : « أفضل أخلاق (المسلمين)[1] العفو » .

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللّه﴾ فخافوه وتابوا إليه ﴿ولم يصروا﴾ أي : لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من المعصية .

يحيى : عن أبان العطّار قال : كان يقال : لا قليل مع إصْرار ، ولا كثير مع استغفار .

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿قد خلت من قبلكم سننٌ﴾ يعني : ما عذَّب اللّه به الأمم السالفة حين كذَّبوا رسلهم ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين﴾ أي : كان عاقبتهم أن دمَّر اللّه عليهم ، ثم صيَّرهم إلى النار ؛ يحذرهم[2] بذلك ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ قال قتادة[3]: يعني : هذا القرآن بيانٌ للناس عامَّةً ﴿وهدًى وموعظة للمتقين﴾ خُصُّوا به ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أي : لا تضعفوا عن قتال المشركين ﴿وأنتم الأعلون﴾ يعني : الظاهرين المنصورين ﴿إن كنتم﴾ يعني : إذا كنتم ﴿مؤمنين﴾ .

﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله﴾ قال قتادة[4]: القرح : الجراح ، وذلك يوم أحد ؛ فَشَا في أصحاب رسول اللّه ﷺ يومئذ القتلُ[5] والجراحةُ ؛ فأخبرهم اللّه أن القوم قد أصابهم من ذلك مثلُ ما أصابكم ، وأن الذي أصابكم عقوبةٌ ؛ وتفسير تلك العقوبة بعد هذا الموضع .

---

(١) في « ر » : المؤمن . ولم أقف على هذا الحديث .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطبري (١٠١/٤) وابن أبي حاتم (٧٦٩/٣ رقم ٤٢٠٨) وابن المنذر (٣٩٠/١ رقم ٩٤٧) . وعزاه السيوطي في الدر (٨٧/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) رواه الطبري (١٠٤/٤) وابن المنذر (٣٩٤/١ رقم ٩٥٦) .

(٥) في « ر » : القتال .

قال محمد : يقال : قَرْحٌ وقُرْحٌ ، وقد قُرِئَ بهما[١]، والقُرْح بالضم : أَلَمُ الجراح ، والقَرْح بالفتح : الجراح[٢].

﴿وتلك الأيامُ نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ قال قتادة[٣]: لولا أن الله جعلها دُوَلاً ما أُوذي المؤمنون ، ولكن قد يُدَال[٤] الكافر من المؤمن ، ويُدَالُ المؤمن من الكافر ؛ ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ؛ وهذا علمُ الفَعال .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وليمحِّص الله الذين آمنوا﴾ أي : يختبرهم ؛ في تفسير مجاهد[٥] ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي : يمحق أعمالَهم يوم القيامة .

قال محمد : وقيل : معنى ﴿وليمحص الله﴾ أي : يمحِّص ذنوبهم ؛ والتمحيص[٦] أصله : التنقيةُ ، والتخليصُ[٧].

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله﴾ أي : ولم يعلم الله ﴿الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالضم ، والباقون بالفتح . ينظر : التيسير (٩٠) السبعة (٢١٦) النشر (٢/ ٢٤٢) .

(٢) وقد ذهب إلى ذلك الفراء في معانيه ، بينما ذهب الأخفش والنحاس ، والفارسي إلى أن الضم والفتح لغتان ، فهما بمعنى واحد . ينظر : معاني القرآن للفراء (١/٢٣٤) ، معاني القرآن للأخفش (٢١٥) ، الحجة (٢/٣٨٥) .

(٣) رواه الطبري (٤/١٠٥) .

(٤) أي : يُنصر ويغلب . ينظر لسان العرب (دول) .

(٥) في « ر » : قتادة . وقول مجاهد رواه الطبري (٤/١٠٧) وابن أبي حاتم (٣/٧٧٤ رقم ٤٢٤٣) بمعناه .

(٦) في « ر » : والمحص .

(٧) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (محص) ، وفي معنى التمحيص أقوال أخر ؛ تنظر من البحر (٣/٦٤) ، الدر المصون (٢/٢١٧) .

قال محمدٌ : القراءة ﴿ويعلم الصابرين﴾ بالفتح على الصرف من الجزم(١).

﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ إلى السيوف بأيدي الرجال . قال قتادة(٢): أناسٌ من المسلمين لم يشهدوا يوم بَدْرٍ ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً ؛ فيقاتلوا ، فَسِيقَ إليهم القتال يوم أُحُدٍ . قال غير قتادة : فلم يثبت منهم إلا من شاء اللّه .

﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ...﴾ الآية تفسير قتادة(٣) قال : ذلك يوم أحد حين أصابهم القرحُ والقتل ؛ فقال أناسٌ منهم : لو كان نبيًا ما قُتِل ، وقال ناسٌ من عِلْيَةِ(٤) أصحاب النبيِّ ﷺ : قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم ؛ حتى يفتح اللّه لكم ، أو تلحقوا به ؛ فقال اللّه : ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ يقول : ارتددتم [على أعقابكم](٥) كفارًا بعد إيمانكم ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئًا﴾ إنما يضر نفسه ﴿وسيجزي اللّه الشاكرين﴾ يعني : المؤمنين يجزيهم بالجنَّة .

قال محمد : يقال لمن كان على شيءٍ ، ثم رجع عنه : انقلب على عقبيه(٦).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا

---

(١) وذلك على مذهب الكوفيين ، إذ كان حق الفعل الجزم عطفًا على ما سبقه ، فعدل عنه إلى النصب بواو الصرف . وفيه أقوال نحوية أخرى . وقرأ الحسن وابن يعمر وأبو حيوة بكسر الميم عطفًا على ما سبقه ، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء (ويعلمُ) بالرفع . ينظر : إعراب القرآن (١/٣٦٧) ، البيان (١/٢٢٣) ، البحر (٣/٦٦) ، الدر المصون (١/ ٢١٩) .

(٢) رواه عبد الرزاق (١/١٣٤) والطبري (٤/١٠٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٨٩) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٣) رواه الطبري (٤/١١١) وابن المنذر (١/٤١٧ رقم ١٠٠٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٩٠) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) واحدها : عَلِيٌّ ، وهو الرفيع القَدْرِ . ينظر لسان العرب (علو) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (عقب) .

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجَّلا﴾ لا يستقدم، ولا يستأخر عنه.

قال محمدٌ: ونصب ﴿كتابًا﴾ على معنى: كتب ذلك كتابًا[١].

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ مثل قوله: (ل٥٣) ﴿من كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾[٢] ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ يعني: الجنة.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا﴾ قيل: معناه: من كان إنما يقصد بعمله الدنيا ﴿وكأين من نبي﴾ أي: وكم من نبي ﴿قُتِل[٣] معه ربيون كثير﴾ أي: جموعٌ كثيرةٌ، وتقرأ: ﴿قاتل معه﴾.

﴿فما وهنوا﴾ أي: ضعفوا وعجزوا.

﴿وما استكانوا﴾ أي: وما ارتدوا عن بصيرتهم.

قال محمدٌ: الرِّبَّة: الجماعة، ويقال للجمع: رِبِّيٌّ؛ كأنه نُسِبَ إلى الرِّبَّة؛ فإذا جُمع قيل: ربيون[٤]، ومعنى استكانوا: خشعوا وذلوا[٥].

﴿وما كان قولهم﴾ حين[٦] لقوا عَدُوَّهم ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ يريدون: خطاياهم.

---

(١) وفي نصبه أوجه نحوية أخرى، تنظر من البيان (١/٢٢٣ - ٢٢٤)، البحر (٣/٧١)، الدر (٢/٢٢٣).

(٢) الإسراء: ١٨.

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو على البناء للمجهول، وقرأ الباقون (قاتل). ينظر: السبعة (٢١٧)، النشر (٣/٢٤٢)، التيسير (٩٠).

(٤) وتجمع (الربة) على: (ربَب) و(رباب) و(أربُة). أما جمع (ربّي) فهو (ربِّيون). ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (ربب).

(٥) وعليه يكون (استكان) أصله (استكنْ). وقيل: (استكان) استفعل من (كان) والمعنى: ما كانوا لطاعة ربهم. وفيه أقوال أخر.

ينظر: الزاهر (٢/٣٠٩)، الخصائص (٣/٣٢٤)، رسالة الملائكة (٢١٦)، كشف المشكلات (١/٢٦٤).

(٦) في الأصل: حيث. والمثبت من «ر».

﴿فآتاهم الله﴾ أعطاهم ﴿ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ أما ثواب الدنيا: فالنصر على عدوهم، وأما ثوابُ الآخرة: فالجنة.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿وما كان قوْلهم﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأ بالرفع: جعل خبر «كان» ما بعد «إلا»، والأكثر في الكلام أن يكون الاسم هو ما بعد «إلا»؛ فيكون المعنى: وما كان قولَهم إلا استغفارُهم[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ يعني: اليهود؛ في تفسير الحسن ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ أي: إلى الشرك ﴿فتنقلبوا﴾ إلى الآخرة ﴿خاسرين بل الله مولاكم﴾ ولِيُّكم ينصركم ويعصمكم من أن ترجعوا كافرين ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال الحسن: يعني: مشركي العرب ﴿بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ أي: حُجَّةً بما هم عليه من الشرك ﴿ومأواهم النار﴾ أي: مصيرهم إلى النار ﴿وبئس مثوى الظالمين﴾ منزل الظالمين المشركين.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ تفسير الحسن وغيره: إذ تقتلونهم.

قال محمدٌ: يقال: سَنَةٌ حَسُوسٌ؛ إذا أتت على كل شيء، وجرادٌ محسوسٌ؛ إذا قتله البَرْدُ[2].

---

(١) الجمهور على نصب (قولهم) خبرًا مقدمًا، والاسم هو (أن) وما في خبرها، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع (قولهم) على أنه اسم، والخبر (أن) وما في خبرها. ينظر: البحر المحيط (٣/٧٥)، الدر المصون (٢/٢٣٠)، إتحاف الفضلاء (١٨٠).

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (حسس).

﴿حتى إذا فشلتم ...﴾ الآية، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «رأيْتُني البارحةَ؛ كأنَّ عَلَيَّ دِرْعًا حصينةً، (فأوَّلْتها)[1] المدينة، فأَكْمِنوا للمشركين في أزِقَّتها حتى يدخلوا عليكم في أزقَّتها فتقتلوهم. فأبت الأنصارُ من ذلك فقالوا: يا رسول الله، منعنا مدينتنا من تُبع والجنود فنُخلي بين هؤلاء المشركين وبينها يدخلونها؟! فلبس رسول الله سلاحَهُ، فلما خرجوا من عنده أقبل بعضُهم على بعض، فقالوا: ما صَنَعْنا؛ أشار علينا رسول الله، فرددنا رأيه؛ فأتوه فقالوا: يا رسول الله، نكمن لهم في أزقَّتها؛ حتى يدخلوا فنقتلهم فيها؛ فقال: إنه ليس لنبي لبس لأْمَتَهُ - أي: سلاحَهُ - أن يضعها؛ حتى (يقاتل)[2] قال: فبات رسولُ الله دونهم بليلة؛ فرأى رؤيا، فأصبح فقال: إني رأيت البارحة كأنَّ بقرًا ينحر، فقلت: بقر! والله خيرٌ، وإنه كائنةٌ فيكم مصيبةٌ، وإنكم ستلقونهم وتهزمونهم غدًا؛ فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا المُدْبِرين»[3] ففعلوا فلقوهم فهزموهم؛ كما قال رسول الله فأتبعوا المدبرين على وجهين: أما بعضهم: فقالوا: مشركون وقد أمكننا الله من أدبارهم فنقتلهم، فقتلوهم على وجه الحِسْبَةِ، وأما بعضهم: فقتلوهم لطلب الغنيمة، فرجع المشركون عليهم فهزموهم، حتى صعدوا أحدًا؛ وهو قوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ لقول رسول الله: إنكم ستلقونهم فتهزمونهم، فلا تتبعوا المُدْبِرين.

وقوله: ﴿حتى إذا فشلتم﴾ أي: ضعفتم في أمر رسول الله ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم فصرتم فرقتين؛ تقاتلونهم على وجهين.

﴿وعصيتم﴾ الرسول ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصر على عدوكم ﴿منكم من يريد

---

(١) في «ر»: فتأوَّلتها.

(٢) في «ر»: يدخل.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥١/٣) وابن سعد في الطبقات (٤٥/٢) والدارمي (١٧٣/٢ رقم ٢١٥٩) والنسائي في الكبرى (٨٤/٤ - ٨٥ رقم ٢٧٢٢) عن أبي الزبير عن جابر دون قوله «وإنه كائنة فيكم مصيبة . . .» إلى آخره، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٥٣/١٣): وسنده صحيح.
ورواه الحاكم (١٢٨/٢ - ١٢٩) وعنه البيهقي في السنن (٤١/٧) وفي الدلائل (٢٠٤/٣ - ٢٠٥) عن ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
قال ابن حجر في الفتح (٣٥٣/١٣): وهذا سند حسن.
وروى البخاري (٧٢٥/٦ رقم ٣٦٢٢) ومسلم (٨٤/٤ - ٨٥ رقم ٢٢٧٢) عن أبي موسى قصة الرؤيا.

الدنيا﴾ يعني : الغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم﴾ حين لم يستأصلكم ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ .

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

﴿إذ تصعدون﴾ إلى الجبل ﴿ولا تلوون على أحدٍ﴾ يعني : النبي .

(ل٥٤) ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ جعل يقول : إليَّ عِبادَ الله حتى خص الأنصار ؛ فقال : يا أنصار الله إليَّ ، أنا رسول الله ، فرجعت الأنصار والمؤمنون .

﴿فأثابكم غمًّا بغمٍّ﴾ .

قال يحيى : كانوا تحدَّثوا يومئذٍ أنَّ نبي الله أُصِيبَ ، وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي فيهم ؛ وذكر لنا أنه قُتِلَ يومئذٍ سبعون رَجُلاً : ستة وستون من الأنصار ، وأربعةٌ من المهاجرين .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فأثابكم غمًّا بغمٍّ﴾ أي : جازاكم غمًّا متصلاً بغم[١]. وقوله : ﴿إذ تصعدون﴾ تقرأ : ﴿تُصْعِدون﴾ و﴿تَصْعَدُونَ﴾ ، فمن قرأ بضم التاء[٢] فالمعنى : تبعُدون في الهزيمة ، يقال : أصْعد في الأرض ؛ إذا أمعن في الذهاب ، وصَعِدَ الجبلَ والسطح[٣].

---

(١) وفي الآية معانٍ أخر غير هذا تنظر من : البحر (٨٣/٣) الدر المصون (٢٣٥/٢) .

(٢) الجمهور على (تُصعدون) من (أَصْعَدَ) ، وقرأ الحسن والسلمي (تَصْعدون) من (صعد) ينظر إتحاف الفضلاء (١٨٠) البحر (٨٢/٣) الدر المصون (٢٣٣/٢) .

(٣) أي : رَقِيهما . ينظر اللسان (صعد) .

﴿لكي لا تحزنوا على ما فاتكم﴾ من الغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾ في أنفسكم من القتل والجراحات.

قال محمدٌ: قيل: أي: ليكون غمّكم؛ بأنكم خالفتم النبي ﷺ فقط.

﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاسًا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ تفسير قتادة: كانوا يومئذٍ فريقين: فأما المؤمنون: فغشاهم الله النُّعَاس أمنةً منه ورحمة، والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم ﴿يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ قال الكلبي: (هم المنافقون)[1] قالوا لعبد الله بن أبي بن سَلُولَ: قُتِل بَنُو الخزْرج! فقال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قال الله: ﴿قل إن الأمر﴾ يعني: النصر ﴿كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا﴾ قال الكلبي: كان ما أخفوا في أنفسهم أن قالوا: لو كنا على شيءٍ من الأمر - أي: من الحق - ما قُتِلْنا ها هنا، ولو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتلُ. قال الله للنبي: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم﴾ أي: يطهره ﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصدور، ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ تفسير قتادة[2] قال: كان أُناسٌ من أصحاب النبي تولَّوْا عن القتال، وعن نبي الله ﷺ يوم أُحُد وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه؛ فأنزل الله: ﴿ولقد عفا الله عنهم ...﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

---

(١) في «ر»: هو ظن المنافقين.

(٢) رواه الطبري (٤/١٤٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٩٩) لعبد بن حميد وابن جرير.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض﴾ يعني: التجارة ﴿أو كانوا غزى﴾ يعني: في الغزو.

قال محمدٌ: ﴿غزًى﴾ جمع (غازٍ)[١] مثل: قاسٍ وقُسًّى، وعافٍ وعُفًّى.

قال الحسن: هم المنافقون ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ يعني: إخوانهم فيما يظهر المنافقون من الإيمان.

﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ قالوا هذا؛ لأنه لا نيّة لهم في الجهاد. قال الله: ﴿ليجعل الله ذلك حسْرةً في قلوبهم﴾ وذلك أنهم كانوا يجاهدون قومًا على دينهم؛ فذلك عليهم عذابٌ وحسرة ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو مِتُّم[٢] لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ مما تجْمعون[٣]﴾ أي: من الدنيا.

﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم﴾ أي: فبرحمةٍ من الله و(ما) صلة زائدة[٤] ﴿ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم﴾ أمره أن يعفُوَ عنهم ما لم يلزمهم من حكمٍ أو حدٍّ.

﴿واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ أمره الله أن يشاورَ أصحابه في الأمور؛ لأنه أطيبُ لأنفس القوم، وأنَّ القوم إذا شاور بعضُهم بعضًا، وأرادوا بذلك وجه الله - عزم الله لهم على أرْشَدِهِ[٥].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إن ينصركم اللهُ فلا غالب لكم ...﴾ الآية، وقد أعلم الله رسوله والمؤمنين أنهم منصورون، وكذلك إن خذلهم لن ينصرهم من بعده ناصرٌ.

---

(١) وتجمع (غازٍ) أيضًا على: غُزَّاء، وغُزاة، وغَزِيّ. ينظر اللسان (غزو).

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف بكسر الميم، وقرأ الباقون بضم الميم. النشر (٢/٢٤٣).

(٣) وهي قراءة الجماعة، وقرأ حفص ﴿يجمعون﴾ ينظر السبعة (٢١٨)، التيسير (٩١)، النشر (٢/٢٤٢ - ٢٤٣)، الدر المصون (٢/٢٤٤).

(٤) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٩٧)، إعراب القرآن (١/٣٧٤)، البيان (١/٢٢٩).

(٥) أي: على أرشد الأمر وأفضله.

﴿وما كان لنبي أن يُغَل[١]﴾ قال قتادة[٢]: يعني : أن يغله أصحابه من المؤمنين ﴿ومن يغلل يأتِ بما غلَّ يوم القيامة﴾ .

يحيى : عن حماد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي (ل٥٥) بيده ، لا يغل أحدٌ من هذا المال بعيرًا إلا جاء به يوم القيامة حامله على عنقه له رُغاء[٣]، ولا بقرةً إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه ولها خُوار[٤]، ولا شاة إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه وهي تَيْعر »[٥].

قال محمدٌ : معنى (تَيْعَر) : تصيح[٦].

﴿أفمن اتبع رضوان اللَّهِ كمن باء بسخطٍ من اللَّه﴾ أي : استوجب سخطَ اللَّه ؛ يقول : أهما سواء؟! على وجه الاستفهام أي : أنهما ليسا بسواءٍ ﴿ومأواه﴾ مصيره .

﴿هم درجاتٌ عند اللَّه﴾ يعني : أهل النار بعضهم أشدُّ عذابًا من بعض ، وأهل الجنة بعضهم أرفع درجات من بعض .

قال محمد : ﴿هم درجاتٌ عند اللَّه﴾ المعنى : هم [ذوو][٧] درجات .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿يَغُل﴾ بفتح الياء وضم الغين ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين . النشر (٢/٢٤٣) .

(٢) رواه عبد الرزاق (١/١٣٧) والطبري (٤/١٥٧) وابن أبي حاتم (٣/٨٠٤ رقم ٤٤٣٢) وابن المنذر (٢/٤٧٣ رقم ١١٣٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٠٢) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٣) هو صوت الإبل وضجيجه . اللسان ، القاموس (رغو) .

(٤) هو صياح البقر . اللسان ، القاموس (خور) .

(٥) رواه البخاري (٥/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٢٥٩٧) عن أبي حميد الساعدي .

ورواه مسلم (٣/٣٢١ رقم ١٨٣١) عن أبي هريرة ﷺ .

(٦) ينظر : اللسان ، القاموس ، مختار الصحاح (يعر) . يقال : يَعَرت الشاة تَيْعَر ، وتَيْعِر يعْرًا ويُعَارًا ؛ أي : صاحت .

(٧) في الأصل : ذو . وفي « ر » : ذوي . والمثبت هو الصواب . وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (١/٣٧٥) ، البحر (٣/١٠٢) .

مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

﴿لقد مَنَّ اللَّهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ يعني : يصلحهم .

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السُّنَّة ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم النبي عليه السلام ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بيِّن .

﴿أو لما أصابتكم مصيبةٌ﴾ أي : يوم أُحدٍ .

﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بَدْرٍ ﴿قلتم أنى هذا﴾ أي : من أين أوتينا ونحن مؤمنون والقوم مشركون؟! ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بمعصيتكم رسولَ اللَّه حين أمركم ألا تتبعوا المدبرين ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ يعني : جمع المؤمنين ، وجمع المشركين يوم أحد ﴿فبإذن اللَّه﴾ أي : اللَّه أذن في ذلك ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وهذا عِلمُ الفَعَال .

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا﴾ أي : كثّروا السَّوَاد ﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ . قال الحسن : وإذا قال اللَّه : ﴿أقربُ﴾ فهو اليقين ؛ أي : إنهم كافرون .

قال الكلبي : كانوا ثلاثمائة منافق ؛ رجعوا مع عبد اللَّه بن أُبَي ابن سلول ؛ فقال لهم جابر بن عبد اللَّه : أنشدكم اللَّه في نبيكم ودينكم وذَرَاريكم . قالوا : واللَّه لا يكون اليوم قتال ، ولو نعلم قتالاً لاتبعناكم . قال اللَّه : ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ .

﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ يعني : من قُتِلَ من المؤمنين يوم أُحُد هم فيما أظهره المنافقون من الإيمان إخوانهم ﴿وقعدوا﴾ عن القتال ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾ أي : ما خرجوا مع محمدٍ . قال اللَّه لنبيه :

﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي: لا تستطيعون أن تدرءوه، يعني: تدفعوه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾.

قال محمدٌ: ﴿بل أحياءٌ﴾ بالرفع؛ المعنى: بل هم أحياءٌ[1].

﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ أي: من الشهادة والرزق ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ...﴾ الآية، يقول بعضهم لبعض: تركنا إخواننا: فلانًا وفلانًا وفلانًا يقاتلون العدو؛ فيُقْتَلون إن شاء الله؛ فيصيبون من الرزق والكرامة والأمن.

يحيى: عن خالد، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «لما قدمت أرواح أهل أُحُد على الله، جعلتْ[2] في حواصل طير خضر تسرحُ في الجنة، ثم تأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة بالعرش يجاوبُ بعضُها بعضًا بصوتٍ لم تسمع الخلائق بمثله؛ يقولون: يا ليت إخواننا الذين خَلْفَنا من بعْدنا علموا مثل الذي علمنا فَسَارعوا إلى مثل ما سارعنا فيه؛ فإنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، فوعدهم الله ليخبرن نبيَّه بذلك حتى يخبرهم؛ فأنزل الله: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ...﴾ إلى قوله: ﴿أجْرَ المؤمنين﴾»[3].

---

(١) ينظر: البحر (٣/١١٢ - ١١٣)، الدر المصون (٢/٢٥٦).

(٢) في «ر»: جعلها الله في الجنة.

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٣٧ رقم ٦٦) بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه الإمام أحمد (١/٢٦٥ - ٢٦٦) وعبد بن حميد (٢٢٧ رقم ٦٧٩) والطبري في تفسيره (٤/١٧٠ - ١٧١) وابن أبي عاصم في الجهاد (٢/٥١١ رقم ١٩٤، ١٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن ابن عباس مرفوعًا.
ورواه الإمام أحمد (١/٢٦٦) وأبو داود (٣/٢٢٢ رقم ٢٥١٢) وابن أبي عاصم في الجهاد (١/٢١٥ - ٢١٦ رقم ٥٢، ٢/٥١٠ رقم ١٩٣) والحاكم في المستدرك (٢/٨٨، ٢٩٧) والبيهقي في السنن (٩/١٦٣) والدلائل (٣/٣٠٤) والواحدي في أسباب النزول (ص٩٤ - ٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. =

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿الذين استجابوا للَّهِ والرسول من بعد ما أصابهم القَرح﴾ يعني: الجراح؛ وذلك يوم أُحُد؛ حيث قال رسول اللَّه ﷺ: «رحم اللَّه قومًا ينتدبون حتى يعلم المشركون أنا لم نُستأْصل، وأن فينا بقيةً فانتدب قومٌ ممن أصابتهم الجراح»(١).

﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم﴾ إلى قوله: (ل٥٦) ﴿واللَّه ذو فضلٍ عظيم﴾ تفسير الكلبي: بلغنا «أنَّ أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال: يا محمدُ، موعد ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى أن نقاتل بها إن شئت؛ فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: ذلك بيننا وبينك. فانصرف أبو سفيان فقدم مكة، فلقي رجلاً من أشجع يقال له: نعيم بن مسعود؛ فقال له: إني قد واعدت محمدًا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر، فبدا لي ألا أخرج إليهم، وأكره أن يخرج محمدٌ وأصحابه ولا أخرج؛ فيزيدهم ذلك عليَّ جُرْأة، ويكون الخُلْفُ منهم أحبَّ إليَّ، فلك عشرةٌ من الإبل إن أنت حبسته عني فلم يخرج. فقدم الأشجعي المدينة، وأصحابُ رسول اللَّه ﷺ يتجَّهزون لميعاد أبي سفيان؛ فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدرٍ فنقتتل بها.

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وذكر الدارقطني أن عبد اللَّه بن إدريس تفرد بذكر سعيد بن جبير في الإسناد، وغيره يرويه فيجعله عن أبي الزبير عن ابن عباس. أطراف الغرائب (١٨٧/٣ رقم ٢٣٨٥) وانظر تخريج الكشاف (٢٤٢/١ - ٢٤٣ رقم ٢٥٥).

وقال ابن القطان: حديث حسن. بيان الوهم والإيهام (٣٣٨/٤ رقم ١٩١٩).

ورواه مسلم (١٥٠٢/٣ رقم ١٨٨٧) عن ابن مسعود ﷺ.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، واللَّه أعلم.

فقال : بئس الرأي رأيتم ، أتوكم[١] في دياركم وقراركم ؛ فلم يُفلتْ[٢] منكم إلا شريد ؛ وأنتم تريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم ، والله إذن لا يفلت منكم أحد . فكره أصحاب رسول الله ﷺ أن يخرجوا ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لأخرجنّ ، وإن لم يخرج معي منكم أحدٌ! فخرج معه سبعون رجلاً ؛ حتى وافَوْا معه بَدْرًا ، ولم يخرج أبو سفيان ولم يكن قتالٌ ، فتسوقوا في السوق ، ثم انصرفوا »[٣].

فهو قوله : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني : نعيمًا الأشجعي ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمةٍ من الله﴾ يعني : الأجر ﴿وفضل﴾ يعني : ما تسوقوا به ﴿لم يمسسهم سوءٌ﴾ قتلٌ ولا هزيمة .

﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أي : يخوفكم من أوليائه المشركين ﴿فلا تخافوهم﴾ .

﴿ولا يُحْزِنكَ[٤] الذين يسارعون في الكفر﴾ (أي : اختاروا الكفر)[٥] على الإيمان ، وهم المنافقون ؛ في تفسير الحسن .

﴿يريد الله ألا يجعل لهم حَظًّا﴾ نصيبًا من الجنة .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿ولا يَحْسِبنَّ[٦] الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم ...﴾ الآية ، **قال محمدٌ** : معنى ﴿نُملي

(١) في « ر » : إخوانكم .

(٢) في « ر » : ينقلب .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧٧/٤) عن ابن عباس بنحوه .

(٤) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي . النشر (٢٤٤/٢) .

(٥) سقط من « ر » .

(٦) قرأ حمزة ﴿ولا تحسبن﴾ بالتاء وفتح السين ، وقرأ ابن عامر وعاصم سوى الأعشى ﴿ولا يحسَبن﴾ بالياء وفتح =

لهم﴾ نطيل لهم ونمهلهم[١]، ونصب (أنما) بوقوع (يحسبن) عليها[٢].

﴿ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز﴾ أي: يعزل ﴿الخبيث من الطيب﴾ ميَّز المؤمنين من المنافقين يوم أُحد؛ في تفسير قتادة[٣].

﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ قال المنافقون: ما شأن محمد؛ إن كان صادقًا لا يخبرنا بمن يؤمن به قبل أن يؤمن؟ فقال الله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي﴾ أي: يستخلص ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على ما يشاء (من الغيب)[٤].

﴿ولا يَحْسِبَنَّ[٥] الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم﴾ **قال محمد**: يعني: البخل خيرًا لهم.

﴿بل هو شرٌّ لهم سيطوقون ما بخلوا به﴾ قال الكَلْبي: يُطَوَّق شجاعين في عنقه؛ فَيَلْدَغان جبهته ووجهه؛ يقولان: أنا كنزك الذي كنزت، أنا الزكاة التي بخلت بها.

﴿ولله ميراثُ السماوات والأرض﴾ أي: يبقى، وتفنون أنتم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

= السين، وقرأ الباقون ﴿ولا يحسِبن﴾ بالياء وكسر السين. التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون (٢/٢٩٨).

(١) يقال: أملاه، وأملَى له بمعنى أطال له وأمهله. ينظر: اللسان، القاموس المحيط (ملو).

(٢) وفيها تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/٣٧٩ - ٣٨٠)، البحر (٣/١٢٢ - ١٢٣)، البيان (١/٢٣٢)، الدر المصون (٢/٢٦٤).

(٣) رواه عبد الرزاق (١/١٤٠) وابن المنذر (٢/٥١٠ رقم ١٢١٦) بمعناه.

(٤) سقط من «ر».

﴿لقد سمع اللهُ قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾ قالت اليهود : إن اللهَ استقرضكم ، وإنما يستقرض الفقير ، قالوه لقول الله : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾[١] قال الله : ﴿سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياءَ بغيرِ حق﴾ يعني بهذا : أوليهم الذين قتلوا الأنبياء ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ يعني : في الآخرة ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ من القربان الذي تأكله النار ؛ فلم تؤمنوا بهم وقتلتموهم ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ أن اللهَ عهد إليكم ذلك ؛ يعني به أوليهم وكانت الغنيمة قبل هذه (ل٥٧) الأمة [لا تحل لهم][٢] كانوا يجمعونها فتنزل عليها نارٌ من السماء ؛ فتأكلها .

قال مجاهد[٣]: وكان الرجل إذا تصدَّق بصدقة فتقبلت منه أُنْزِلت عليها نارٌ ، فأكلتها .

﴿فإن كذبوك فقد كُذبَ رسلٌ من قبلك جاءوا بالبينات والزبر﴾ يعني : الحُجَج والكتب ﴿والكتاب المنير﴾ يعني : الحلال والحرام .

قال الحسن : أمر اللّه نبيّه بالصَّبر وعزَّاه ، وأعلمه أن الرسل قد لقيت في جَنْب اللّه أذى .

﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ عَزَّى اللّه رسولَه والمؤمنين عن الدنيا ، وأخبرهم أن ذلك يصير باطلاً .

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿لتبلون﴾ لتُخْتَبَرُنَّ ﴿ في أموالكم وأنفسكم ...﴾ الآية ؛ ابتلاهم في أموالهم [وأنفسهم][٢] ففرض عليهم أن يجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم ، وأن يؤدوا الزكاة ، ثم أخبرهم أنهم

---

(١) البقرة : ٢٤٥.

(٢) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٣) في « ر » : محمد .

سيؤذون في جَنْبِ اللَّه ، وأمرهم بالصبر .

﴿وإذ أخذ اللَّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ...﴾ الآية ، هذا ميثاقٌ أخذه اللَّهُ على العلماء من أهل الكتاب ؛ أن يبينوا للناس ما في كتابهم ، وفيه رسولُ اللَّه والإسلام ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ وكتبوا كتبًا بأيديهم ؛ فحرّفوا كتاب اللَّه ﴿واشتروا به ثمنًا قليلا﴾ يعني : ما كانوا يصيبون عليه من عَرَضِ الدنيا ﴿فبئس ما يشترون﴾ اشتروا النار بالجنة .

يحيى : عن خداش ، عن أبان بن أبي عياش ، عن عطاء قال : « من سُئِلَ عن عِلْمٍ عنده فكتمه ؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار »[1].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿لا يَحْسِبَنَّ[2] الذين يفرحون بما أتوا﴾ هم اليهود ، قال الحسن[3]: دخلوا على رسول اللَّه ﷺ فدعاهم إلى الإسلام ، فصبروا على دينهم ، فخرجوا إلى الناس ؛ فقالوا لهم : ما صنعتم مع محمدٍ؟ فقالوا : آمنا به ووافقناه . فقال اللَّه : ﴿لا يَحْسِبنَّ[2] الذين يفرحون بما أتوا﴾ يقول : فرحوا بما في أيديهم حين لم يوافقوا محمدًا ﴿ويحبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تَحْسِبَنَّهُم[2] بمفازةٍ من العذاب﴾ أي : بمَنْجَاة .

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ

---

(١) روي مرفوعًا من طرق ، انظر جامع بيان العلم وفضله (١/٢ - ١٨ رقم ١ - ٩) .

(٢) قرأ الكوفيون ويعقوب بالخطاب ، وقرأ الباقون بالغيب . النشر (٢/٢٤٦) .

وقرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ، وقرأ الباقون بكسرها . النشر (٢/٢٣٦) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٣/٨٤٠ رقم ٤٦٥١) بمعناه .

لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿إنَّ في خلق السمـٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ [يعني : أولي العقول][1]؛ وهم المؤمنون .

﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾ تفسير قتادة[2]: قال : هذه حالاتُك يا ابن آدم ؛ فاذكر الله وأنت قائم ؛ فإن لم تستطع فاذكره وأنت جالس ، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جَنْبك ؛ يُسْرًا من الله وتخفيفًا .

﴿ويتفكَّرون في خلق السمـٰوات والأرض ربنا﴾ يقولون : ربنا ﴿ما خلقت هذا باطلا﴾ أي : إن ذلك سيصير إلى الميعاد ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ اصرفْ عنا عذاب النار ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصار﴾ .

﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان﴾ وهو النبيِّ ﷺ ﴿أن آمنوا بربكم ...﴾ الآية . قال الحسن : أمرهم الله أن يدعوا الله بتكفير ما مضى من الذنوب والسَّيئات ، والعصمة فيما بقي .

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي : على ألْسنة رسلك ؛ وعد الله المؤمنين على ألسنة رسلِهِ أن يدخلهم الجنة إذا أطاعوه .

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ أشركَ اللهُ بين الذكر والأنثى ﴿فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم ...﴾ إلى قوله : ﴿حسن الثواب﴾ هذا للرجال دون النساء ؛ فسألت عائشةُ النبيَّ ﷺ : « هل على النساء جهادٌ؟ قال : نعم ،

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري (٤/ ٢١٠) وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢ رقم ٤٦٥٨) وابن المنذر (٢/ ٥٣٣ رقم ١٢٦٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٢٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر .

جهادٌ لا قتال فيه ؛ الحج والعمرة »[١].

قال محمدٌ : قوله : ﴿أني لا أضيع﴾ تقرأ بفتح الألف وبكسرها ؛ فمن قرأها بالفتح فالمعنى : فاستجاب لهم ربُّهم بأني لا أضيع ، ومن قرأها بالكسر فالمعنى : قال لهم : إني لا أضيع[٢]، و « ثوابًا » مصدر مؤكّد[٣].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لا يغرنَّك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ بغير عذاب ، إنما هو متاعٌ قليل ذاهبٌ .

قال محمدٌ : وقيل : معنى : ﴿لا يغرنك تقلُّب الذين كفروا في البلاد﴾ أي : تصرفهم في التجارة ، وإصابتهم الأموال ؛ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد : المؤمنون ؛ أي : لا يغرنكم أيها المؤمنون .

(ل٥٨) قوله : ﴿نزلاً من عند الله﴾ أي : ثوابًا ورزقًا .

قال محمدٌ : ﴿نُزُلاً﴾ مصدر مؤكد[٤].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ يعني : من آمن منهم ﴿وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٧٥، ١٦٥) وابن ماجه (٩٦٨/٢ رقم ٢٩٠١) وابن خزيمة (٣٥٩/٤ رقم ٣٠٧٤) والدارقطني (٢٨٤/٢ رقم ٢١٥) والبيهقي (٣٥٠/٤) .

وروى البخاري (٤٤٦/٣ رقم ١٥٢٠) عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « لكنَّ أفضل الجهاد حج مبرور » .

(٢) الجمهور على فتح (أني) وقرأ عيسى بن عمر بالكسر . ينظر الإعراب للنحاس (٣٨٦/١) البحر (١٤٣/٣) ، الدر المصون (٢٨٧/٢) . وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى ، تنظر من المرجعين السابقين : البحر ، والدر .

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (٣٨٧/١) ، البيان (٢٣٧/١) ، البحر (١٤٦/٣) ، الدر المصون (٢/ ٢٨٩) .

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى ، تنظر من البحر (١٤٧/٣) ، إعراب القرآن (٣٨٨/١) الدر المصون (٢٩١/٢) .

خاشعين لله﴾ الخشوعُ : المخافةُ الثابتةُ في القلب . قال قتادة[١]: ذكر لنا ؛ أنها نزلت في النجاشي وأناسٍ من أصحابه ؛ آمنوا بنبي الله ﷺ .

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ تفسير قتادة[٢]: أي : اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أهْلَ الضلالة ، ورابطوا في سبيل الله ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ وهي واجبةٌ [لمن فعل][٣] والمفلحون : السعداء .

قال محمدٌ : أَصْلُ المرابطة : أن يربط هؤلاء خيولَهم ، وهؤلاء خيولهم بالثغر ؛ كُلٌّ معِدٌّ لصاحبه ، فسمي المقامُ بالثغور رِبَاطًا[٤].



---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٤/١) والطبري (٢١٨/٤ - ٢١٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢٦/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .
(٢) رواه الطبري (٢٢١/٤) وروى ابن أبي حاتم (٨٤٩/٣ رقم ٤٧٠٢) بعضه .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢٧/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .
(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٤) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (ربط) .

تفسير سورة النساء
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾

قوله : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [يعني : آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني : حواء][(١)] قال قتادة[(٢)]: خلقها من ضلع من أضلاعه القُصَيْراء . وقال [مجاهد[(٣)]: من جَنْبه الأيسر .

يحيى :][(١)] عن الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : [« إن المرأةَ خُلقت من ضلعٍ ، وإنك إن تُرِدْ إقامة][(١)] الضلع تكسرها ، فدارها تَعِش بها »[(٤)].

﴿وبثَّ منهما﴾ أي : [خلق .

---

(١) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري (٢٢٤/٤) دون قوله القصيراء .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٥/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٣) روى الطبري (٢٢٤/٤) وابن أبي حاتم (٨٥٣/٣ رقم ٤٧١٩) وابن المنذر (٥٤٧/٢ - ٥٤٨ رقم ١٣٠٥) عن مجاهد قال : خلق الله حواء من قصيراء آدم .

(٤) هذا مرسل ضعيف ، وقد روي متصلا : رواه الحاكم في المستدرك (١٧٤/٤) عن سمرة بن جندب بهذا اللفظ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

ورواه البخاري (١٦١/٩ رقم ٥١٨٦) ، ومسلم (١٠٩٠/٢ - ١٠٩١ رقم ١٤٦٨) عن أبي هريرة بنحوه .

﴿واتقوا اللَّه الذي تَسَّآءَلُونَ(١)]﴾(٢) به والأرحام﴾ أي : واتقوا الأرحام أن تقطعوها . هذا تفسير من قرأها بالنصب ، ومن قرأها بالجر ، أراد : الذي تسألون به والأرحام(٣)، وهو قول الرجل : نشدتك باللَّه وبالرَّحم .

﴿إن اللَّه كان عليكم رقيبًا﴾ حفيظًا .

﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ يعني : إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ قال الحسن : الخبيث : أكل أموال اليتامى ظُلْمًا ، والطيب : الذي رزقكم اللَّه ؛ يقول : لا تذروا الطيب ، وتأكلوا الخبيث ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ يعني : مع أموالكم ﴿إنه كان حوبًا كبيرًا﴾ أي : ذنبًا .

قال محمدٌ : وفيه لغة أخرى : حَوْبًا بفتح الحاء(٤)، وقد قُرِئَ بها(٥).

﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ أي : تعدلوا ﴿في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم﴾ يعني : ما حلَّ لكم من النساء قال قتادة(٦): يقول : كما خفتم الجَوْرَ في اليتامى ، وأهمَّكم ذلك ، فكذلك فخافوه في جميع النساء ، وكان الرجلُ في الجاهلية يتزوج العشر فما دون ذلك ، فأحلَّ اللَّه له أربعًا ؛ فقال : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ يقول : إن خفت ألا تعدل في أربع فانكح ثلاثًا ، فإن خفت ألا تعدل في ثلاث فانكح اثنتين ، فإن خفت ألا تعدل في اثنتين فانكح واحدةً ، أو ما ملكت يمينك ؛ يطأ بملك يمينه كم يشاء ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي : أَجْدَرُ ألا تميلوا .

---

(١) قرأ الكوفيون بتخفيف السين ، وقرأ الباقون بتشديدها . النشر (٢/٢٤٧) .

(٢) طمس بالأصل ، والمثبت من «ر» .

(٣) قراءة الجر هي قراءة حمزة ، وقراءة النصب هي قراءة الباقين . ينظر : السبعة (٢٢٦) ، التيسير (٩٣) ، النشر (٢/٢٤٧) . وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى تنظر في : إعراب القرآن (١/٣٨٩ - ٣٩١) ، الحجة (٣/٢٢٦ - ٢٣٨) ، البحر (٣/١٥٧ - ١٥٩) ، الدر المصون (٢/٢٩٦) .

(٤) وهي لغة تميم . وفيه لغة أخرى (حابًا) وعليها قراءة أبي بن كعب يقال : حاب يَحُوب حَوْبًا وحُوبًا وحابًا وحُؤوبًا وحِيابةً ؛ أي : أذنب ذنبًا عظيمًا . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (حوب) الدر المصون(٢/٢٩٨) ، البحر (٣/١٦١) .

(٥) قرأ الجمهور (حُوبًا) بالضم ، وقرأ الحسن (حَوْبًا) بالفتح . ينظر : إتحاف الفضلاء (١٨٦) ، البحر (٣/١٦١) ، الدر المصون (٢/٢٩٨) .

(٦) رواه الطبري (٤/٢٣٤) .

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةًۭ ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍۢ مِّنْهُ نَفْسًۭا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًۭٔا مَّرِيٓـًۭٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًۭا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًۭا مَّعْرُوفًۭا ﴿٥﴾﴾

﴿وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة﴾ قال قتادة[١]: يعني: فريضة.

قال محمد: اختلف القولُ في ﴿نحلة﴾ فقيل: المعنى: نحلة من الله - عز وجل - للنساء، إذ جعل على الرجل الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئًا، يقال: نَحلتُ الرجلَ إذا وهبت له هِبَةً، ونحلت المرأة، وقال بعضهم: معنى ﴿نحلة﴾: ديانة؛ كما تقول: فلان ينتحلُ كذا؛ أي: يدين به[٢]. و﴿صدُقاتُهن﴾ جمع: صَدُقة، يقال: هو صَدَاقُ المرأة، وصَدُقة المرأة[٣].

﴿فإن طبن لكم عن شيءٍ منه﴾ يعني: الصداق ﴿نفسًا﴾ [يعني: نفسها][٤] ﴿فكلوه هنيئًا مريئًا﴾ قال قتادة[٥]: يعني: ما طابت به نفسها في غير كُرْه؛ فقد أحلَّ الله لك أن تأكله.

قال محمد: يقال: هَنَأني الطعام ومَرَأني بغير ألف؛ فإذا أفردوا مرأني قالوا: أمرأني بالألف[٦].

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ قال الكلبي: يعني: النساء والأولاد؛ إذا علم الرجل أنَّ امرأته سفيهة مفسدة، أو ابنه سفيه مفسد؛ فلا ينبغي له أن يسلط أيهما[٧] على ماله.

(ل٥٩) **قال محمد**: والسَّفه في اللغة أصله: الجهل[٨].

---

(١) رواه الطبري (٤/٢٤١).

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (نحل).

(٣) الصَّدَاقُ، والصَّدُقة بمعنى واحد؛ وهو مهر الزوجة، ويجمع الصداق على: أصْدقة، وصُدُق. وتجمع الصَّدُقة على: صَدُقات. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (صدق).

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) رواه الطبري (٤/٢٤٣) وابن أبي حاتم (٣/٨٦١ رقم ٤٧٧٤).

(٦) أي: يستعمل رباعيًا إذا أفرد، وإنما يستعمل ثلاثيًا للمشاكلة مع (هنأني). ينظر: إصلاح المنطق (١٤٩، ٣١٩)، الدر المصون (٢/٣٠٩).

(٧) في «ر»: واحدًا منهما.

(٨) يقال: سَفِه يَسْفَه سَفَهًا وسَفاهًا وسَفَاهةً: خف وطاش وجهل. اللسان (سفه).

(التي جعل الله لكم قوامًا)[١] لمعايشكم وصلاحكم ، وتقرأ ﴿قيامًا﴾[٢].

قال محمد : يقال : هذا قوام أمرك وقيامه ؛ أي : ما يقوم به أمرك . ومن قرأ (قِيَمًا)[٣] فهو راجع إلى هذا ؛ أي : جعلها الله قِيَمَ الأشياء ؛ فبها تقوم .

﴿وارزقوهم فيها﴾ يعني : من الأموال ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفًا﴾ يعني : العِدَة الحسنة .

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي: اختبروا عقولهم ودينهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ يعني : الحلم .

﴿فإن آنستم منهم رشدًا﴾ صَلاَحًا في دينهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبروا﴾ أي : مبادرة أن يكبروا فيأخذوها منكم ﴿ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾ تفسير قتادة[٤]: قال : كان الرجل يلي مال اليتيم يكون له الحائط[٥] من النخل ، فيقوم على (صلاحه وسقيه ، فيصيب من تمره ، وتكونُ له الماشية ، فيقوم على)[٦] صلاحها ، ويلي علاجها ومؤنتها ، فيصيب من جُزَازها[٧] وعوارضها ورِسْلها [يعني بالعوارض : الخرْفان[٨]،

---

(١) المثبت قراءة ابن عمر (قِوامًا) بكسر القاف ، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر (قَوَامًا) بفتح القاف ، وتروى عن أبي عمرو . الدر المصون (٢/٣١٠) .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا نافعًا وابن عامر ينظر : السبعة (٢٢٦) ، التيسير (٩٤) ، والنشر (٢/٢٤٧) .

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر . ينظر المراجع السابقة .

(٤) رواه الطبري (٤/٢٥٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٣٦) لعبد بن حميد أيضًا .

(٥) أي : البستان . وجمعه : حوائط وحيطان . اللسان (حوط) .

(٦) سقط من « ر » .

(٧) الجُزَاز من كل شيء : ما جُزَّ عنه . والمراد هاهنا الصوف ، ويقال فيه أيضًا : الجَزَز . ينظر لسان العرب (جزز) .

(٨) ينظر لسان العرب (عرض) .

والرِّسْل : السَّمْن واللَّبَن[(١)]][(٢)] فأما رِقاب المال فليس له أن يستهلكه .

يحيى : عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب (عن أبي الخير)[(٣)] « أنه سأل ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار عن قول الله - عز وجل - : ﴿ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾ فقالوا : فينا والله نزلت ، كان الرجل يلي مال اليتيم له النخل ، فيقوم له عليها ؛ فإذا طابت الثمرة ، كانت يده مع أيديهم مثل ما كانوا مستأجرين به غيره في القيام عليها » .

يحيى : عن نصر بن طريف ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن العرني : « أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن في حجري يتيمًا أفأضربه؟ قال : اضربه مما كنت ضاربًا منه ولدك . قال : أفآكل من ماله؟ قال : بالمعروف غير متأثّل[(٤)] من ماله مالاً ، ولا وَاقٍ مَالَكَ بماله »[(٥)].

---

(١) ينظر لسان العرب (رسل) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) في « ر » : عن أبي الحسن . وأبو الخير هو مرثد بن عبدالله اليزني ، ترجمته في التهذيب (٢٧/٣٥٧ - ٣٥٩) .

(٤) تأثّل المالَ : اتّخذه ليستثمره . اللسان (أثل) .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/١٤٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٢٦٣ رقم٢) عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به .

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٣/١١٥٩ رقم ٥٧٢) - ومن طريقه البيهقي في سننه (٦/٤) - عن حماد بن زيد وسفيان عن عمرو بن دينار به .

ورواه الطبري في تفسيره (٤/٢٦٠) من طريق عبدالرزاق به ، لكن وقع فيه « عن الحسن البصري » وكذلك وقع في نسخة الشيخ شاكر (٧/٥٩٢ رقم ٨٦٤٨) .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٤٩) ومن طريقه الطبري في تفسيره (٤/٢٦٠) من طريق الزبير بن موسى عن الحسن العرني به .

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٢٨٦) لابن المبارك في البر والصلة ، وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٣٦) لسعيد ابن منصور وعبد بن حميد والنحاس في ناسخه كلهم رووه مرسلاً .

ورواه الثعلبي في تفسيره من حديث عبدالله بن محمد بن أبي أسامة ثنا أبي عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن العرني ، عن ابن عباس به . كذا في تخريج الكشاف (١/٢٨٦) .

ورواه ابن حبان في صحيحه (١٠/٥٤ - ٥٥ رقم٤٢٤٤) والطبراني في الصغير (١/٨٩) وابن مردويه في أحاديث ابن حبان (رقم ٩٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٥١) والبيهقي في سننه (٦/٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/٣٦٧ - ٣٦٨) من طريق معلى بن مهدي ، عن جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي عامر الخزاز ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . =

قوله : ﴿وكفى بالله حسيبًا﴾ أي : حفيظًا .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ...﴾ الآية . هذا حين بيَّن الله فرائض المواريث ، نزلت آية المواريث قبل هذه الآية ، وهي بعدها في التأليف ؛ وكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث ، ولا الصغير شيئًا ، وإنما كانوا يعطون من يحترف وينفع ويدفَعُ ، فجعل الله لهم من ذلك ﴿مما قلَّ منه أو كثر نصيبًا مفروضًا﴾ .

﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى ...﴾ الآية ، يعني : قسمة المواريث .

تفسير الحسن : إن كانوا يقتسمون مالاً أو متاعًا أعطوا منه ، وإن كانوا يقتسمون دورًا أو رقيقًا قيل لهم : ارجعوا رحمكم الله ؛ فهذا قولٌ معروفٌ ، وكان الحسن[1] يقول : ليست بمنسوخةٍ . وقال سعيد بن المسيب[2]: هي منسوخة نسختها آيةُ المواريث .

يحيى : وهو قول العامة أنها منسوخة[3].

= وقال الطبراني : لم يروه عن عمرو بن دينار عن جابر إلا أبو عامر الخزاز ولا عنه إلا جعفر بن سليمان ، تفرد به معلى بن مهدي .
وقال ابن عدي : لا أعرفه إلا من هذا الطريق ، وهو غريب ، ولا أعلم يرويه عن أبي عامر غير جعفر بن سليمان .
وقال أبو نعيم : غريب من حديث عمرو عن جابر ، تفرد به الخزاز ، واسمه صالح بن رستم من ثقات أهل البصرة .
وقال البيهقي كذا قال والمحفوظ ... فأسند حديث الحسن العرني . وانظر تخريج الكشاف (١/٢٨٥ - ٢٨٦) .

(١) رواه عبد الرزاق (١/١٤٩) وسعيد بن منصور (٣/١١٧١ رقم ٥٨٠) والطبري (٤/٢٦٣ - ٢٦٤) وابن المنذر (٢/ ٥٨١ رقم ١٤١٧) .

(٢) رواه عبد الرزاق (١/١٤٩) والطبري (٤/٢٦٤) وابن أبي حاتم (٣/٨٧٦ رقم ٤٨٦٥) وابن المنذر (٢/٥٨٢ - ٥٨٣ رقم ١٤٢١) والبيهقي (٦/٢٦٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٧) لأبي داود في ناسخه والنحاس أيضًا .

(٣) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (٣١ - ٣٢) .

﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا﴾ تفسير قتادة[١]: قال: يقول: من حضر ميتًا[٢] فليأمره بالعدل والإحسان، ولْيَنْهَهُ عن الحيف[٣] والجور في وصيّته، وليخش على عياله ما كان خائفًا على عياله إن حضره الموت.

﴿إنما يأكلون في بطونهم نارًا﴾ أي: إنما يأكلون به نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾﴾

﴿فإن كن نساءً فوق اثنتين﴾ يعني: أكثر من اثنتين.

﴿فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت وَاحِدَةٌ[٤] فلها النصف﴾.

قال محمد: (أعطيت الابنتان الثلثين)[٥] بدليل لا بفرض[٦] مسمى لهما؛ والدليل قوله: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾[٧] فقد صار للأخت النصف، كما أن للابنة النصف ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان﴾ فأعطيت (ل٦٠) البنتان الثلثين؛ كما أعطيت الأختان، وأعطى جملة الأخوات الثلثين؛ قياسًا على ما ذكر الله في جملة البنات[٨].

---

(١) رواه عبد الرزاق (١/١٥٠) والطبري (٤/٢٧٠) وابن المنذر (٢/٥٨٦ رقم ١٤٢٨).

(٢) أي: في فراش الموت، أو من حضره الموت.

(٣) أي: الظلم. ينظر لسان العرب (حيف).

(٤) قرأ المدنيان بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر (٢/٢٤٧).

(٥) في «ر»: حظ الأنثيين.

(٦) في «ر»: بفرض.

(٧) النساء: ١٧٦.

(٨) في «ر»: قياسًا على ما ذكر الله للأختين والبنات.

﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ ذكر أو ولد ابن ذكر[١] وإن ترك ابنتين أو أكثر وأبويه فكذلك أيضًا، وإن ترك ابنته وأبويه، فللابنة النصف وللأم ثلث ما بقي وما بقي فللأب، وليس للأم مع الولد الواحد أو أكثر؛ ذكرًا كان أو أنثى إلا السدس.

﴿فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾ هذا إذا لم يكن له وارثٌ غيرهما؛ في قول زيد والعامة.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ إذا كان له أخوان فأكثر حجبوا الأم عن الثلث، وكان لها السدس ولا يحجبها الأخ الواحد عن الثلث، والأخوان إذا كانا أخويه لأبيه أو أخويه لأمه، أو بعضهم من الأب وبعضهم من الأم، فهؤلاء ذكورًا كانوا أو إناثًا أو بعضهم ذكور وبعضهم إناث يحجبون الأم عن الثلث؛ فلا تأخذ إلا السدس ﴿من بعد وصية يوصي به أو دين﴾ فيها تقديم؛ يقول: من بعد دين يكون عليه أو وصية يوصي بها.

﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا﴾ تفسير مجاهد[٢]: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا في الدنيا ﴿فريضةً من الله﴾ قال السُّدِّي يعني: قسمة المواريث لأهلها الذين ذكرهم الله في هذه الآية.

قال محمد: ﴿فريضةً﴾ منصوبٌ على التوكيد والحال[٣]؛ أي: ما ذكرنا لهؤلاء الورثة مفروضًا فريضة مؤكدة، لقوله: ﴿يوصيكم الله﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) زاد بعدها في «ر»: أو أنثى.

(٢) رواه الطبري (٢٨٢/٤) وابن أبي حاتم (٨٨٤/٣ رقم ٤٩١١) وابن المنذر (٥٩٠/٢ رقم ١٤٣٦).
وعزاه السيوطي في الدر (١٤٠/٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر في: البحر (١٨٧/٣ - ١٨٨)، الدر المصون (٣٢٣/٢).

وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ أو ولد ولد ، وولد البنات لا يرثون شيئًا ، ولا يحجبون وارثًا .

﴿فإن كان لهن ولد﴾ ذكرٌ أو أنثى ﴿فلكم الربع مما تركن﴾ .

﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ أو ولد ولد ، ولا يرث ولد البنات شيئًا ولا يحجبون .

﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم﴾ فإن ترك رجل امرأتين أو ثلاثًا أو أربعًا ، فالربع بينهن سواء ؛ إذا لم يكن له ولد ، فإن كان له ولد أو ولد ولد ؛ ذكر أو أنثى ، فالثمن بينهن سواء .

﴿وإن كان رجلٌ يورث كلالةً أو امرأة وله أخٌ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ وذكرهم كأنثاهم فيه سواءٌ . قال قتادة[1]: والكلالة : الذي لا ولد له ولا والد ولا جدٌّ ﴿غير مُضارٍّ﴾ في الميراث أهله ، يقول : لا يقر بحق ليس عليه ، ولا يوصي بأكثر من الثلث مضارة لهم .

قال محمد : ﴿غير﴾ منصوب على الحال ، المعنى : يوصي بها غير مضار[2] ﴿وصية من الله﴾ تلك القسمة .

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تلك حدود الله﴾ أي : سُنَّته وأمره في قسمة المواريث ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في قسمة المواريث ؛ كما أمره الله ﴿نُدْخِلْهُ[3] جنات تجري من تحتها الأنهار ...﴾ الآية .

﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في قسمة المواريث ﴿ويتعد حدوده ...﴾ الآية وذلك أن المنافقين

(١) رواه عبد الرزاق (١/١٧٧) والطبري (٤/٢٨٥) وابن المنذر (٢/٥٩٤ رقم ١٤٤٩) .

(٢) وفيه تفصيل نحوي ، ينظر : البحر (٣/١٩١) ، الدر المصون (١/٣٢٦) .

(٣) قرأ المدنيان بالنون ، وقرأ الباقون بالياء . النشر (٢/٢٤٨) .

كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان الصغار ؛ كانوا يظهرون الإسلام وهم على ما كانوا عليه في الشرك ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء .

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ...﴾ يعني : الزنا ، الآية .

قال يحيى : وقيل : هذه الآية نزلت بعد الآية التي بعدها في التأليف[١] ﴿والَّذان يأتيانها منكم﴾ يعني : الفاحشة ﴿فآذوهما﴾ بالألسنة ﴿فإن تابا وأصلحا ...﴾ الآية .

ثم نزلت هذه الآية : ﴿فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ يعني : مخرجًا من الحبس ؛ في تفسير السُّدِّي[٢]، ثم نزل في سورة النور : ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[٣].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

﴿إنما التوبة على الله﴾ يعني : التجاوز من الله ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ (ل٦١) قال قتادة : كل ذنب أتاه عبدٌ فهو بجهالة .

﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعني : ما دون الموت ، يقال : ما لم يُغَرْغِرْ .

﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ قال الحسن : نزلت هذه الآية في المؤمنين ، ثم ذكر الكفار ؛ فقال :

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص٣٣) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٤/٢٩٢ - ٢٩٣) .

(٣) النور : ٢، وصح عن النبي ﷺ أنه قال : «خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» رواه مسلم (٣/١٣١٦ رقم ١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت ﷺ .

﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ ؛ يعني : الشرك بالله ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ عند معاينة ملك الموت قبل أن يخرج من الدنيا ﴿قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا﴾ كان الرجل في الجاهلية يموت عن امرأته ، فيلقي وليه عليها ثوبًا ؛ فإن أحبَّ أن يتزوجها تزوجها ، وإلا تركها حتى تموت ، فيرثها ، إلا أن تذهب إلى أهلها من قبل أن يلقي عليها ثوبًا ، فتكون أحق بنفسها ﴿ولا تعضلوهن﴾ تحبسوهن ﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ يعني : الصداق ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ نُهي[1] الرجل إذا لم يكن له بامرأته حاجة أن يضرها فيحبسها لتفتدي منه ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ تفسير بعضهم : إلا أن تكون هي الناشزة فتختلع منه . الفاحشة المبينة : عصيانها ونشوزها .

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي : اصحبوهن بالمعروف ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾ يكره الرجل المرأة ، فيمسكها وهو لها كاره ، فعسى الله أن يرزقه منها ولدًا ، ثم يعطفه الله عليها ، أو يطلقها ، فيتزوَّجها غيره ، فيجعل الله للذي تزوَّجها فيه خيرًا كثيرًا .

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ يعني : طلاق امرأة ، ونكاح أخرى .

﴿وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا﴾ أي : ظلمًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيِّنًا .

يقول له : لا يحل له أن يأخذ ممَّا أعطاها شيئًا ، إلا أن تنشز ؛ فتفتدي منه .

---

(١) في « ر » : يعني .

قال محمد : ﴿بهتانًا﴾ مصدر موضوع موضع الحال[(١)]؛ المعنى : أتأخذونه مباهتين وآثمين . والبهتان : الباطل الذي يُتحيَّر من بطلانه[(٢)].

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ يعني : المجامعة ﴿وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا﴾ هو قوله : ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[(٣)] في تفسير قتادة[(٤)]، قال قتادة : وقد كانت في عقد المسلمين عند نكاحهم : الله عليك لتمسكن بمعروف ، أو لتسرحن بإحسان .

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ يعني : ما قد مضى قبل التحريم ﴿إنه كان فاحشة ومقتًا﴾ بغضًا من الله ﴿وساء سبيلًا﴾ أي : بئس المسلك .

قوله : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ والجدات كلهن مثل الأم ، وأم أبي الأم مثل الأم . ﴿وبناتكم﴾ وبنات الابن وبنات الابنة وأسفل من ذلك فهي كالابنة ﴿وأخواتكم﴾ إن كانت لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه فهي أخت ﴿وعماتكم﴾ فإن كانت عمته [أو عمة أبيه][(٥)] أو عمة أمه وما فوق ذلك فهي عمة ﴿وخالاتكم﴾ فإن كانت خالته أو خالة أبيه أو خالة أمه أو خالة فوق ذلك ؛ فهي خالته ﴿وبنات الأخ﴾ فإن كانت ابنة أخيه أو ابنة ابن أخيه لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه أو ابنة ابنة أخيه

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : البحر (٣/٢٠٧) ، الدر المصون (٢/٣٣٨) .

(٢) والبهتان فُعلان من البَهْت ؛ وهو التحيُّر والدَّهش . ينظر اللسان (بهت) .

(٣) البقرة : ٢٢٩.

(٤) رواه عبد الرزاق (١/١٥٢) والطبري (٤/٣١٥) وابن أبي حاتم (٣/٩٠٩ رقم ٥٠٧١) وابن المنذر (٢/٦١٧ رقم ١٥١٩) .

(٥) لحق لم يظهر بحاشية الأصل ، والمثبت من « ر » .

وما أسفل من ذلك ؛ فهي بنت[1] أخ .

﴿وبنات الأخت﴾ فإن كانت ابنة أخته أو ابنة ابن أخته (أو ابنة ابنة أخته)[2] وأسفل من ذلك ؛ فهي ابنة أخت .

﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ؛ فلا تحل له أمه من الرضاعة ولا ما فوقها من الأمهات ، ولا أخته من الرضاعة ، ولا عمته من الرضاعة ، ولا عمة أبيه من الرضاعة ، ولا عمة أمه من الرضاعة ، ولا ما فوق ذلك ، ولا خالة من الرضاعة ، ولا خالة أبيه ، ولا خالة أمه ، ولا ما فوق ذلك ، ولا ابنة أخيه من الرضاعة ، ولا ابنة ابن أخيه من الرضاعة ، ولا ابنة ابنة أخيه من الرضاعة ، ولا ما سفل من ذلك ، ولا ابنة أخته من الرضاعة ولا ابنة ابن أخته ، (ل٦٢) ولا ابنة ابنة أخته من الرضاعة ، ولا ما أسفل من ذلك . وإذا أرضعت المرأة غلامًا لم يتزوّج ذلك الغلام شيئًا من بناتها[3]؛ لا ما قد وُلد (معه ولا قبل)[4] ذلك ولا بعده ، ويتزوج إخوته من أولادها إن شاءوا ، وكذلك إذا أرضعت جارية لم يتزوج تلك الجاريةَ أحد من أولادها ؛ لا ما وُلِدَ قبل رضاعها ، ولا ما بعده ، ، يتزوج إخوتها من أولادها إن شاءوا .

﴿وأمهات نسائكم﴾ لا تحل للرجل أم امرأته ، ولا أمهاتها .

﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ فإذا تزوَّج الرجل المرأة ، فطلقها قبل أن يدخل بها ، أو ماتت ولم يدخل بها تزوج ابنتها إن شاء ، وإن كان قد دخل بها لم يتزوَّج ابنتها ، ولا ابنة ابنتها ، ولا ما أسفل من ذلك .

﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ فلا تحل له امرأة ابنه ، ولا امرأة ابن ابنه ، ولا امرأة ابن ابنة ابنه ولا أسفل من ذلك ، وإنما قال الله : ﴿الذين من أصلابكم﴾ لأن الرجل كان يتبنَّى الرجل في الجاهلية ، وقد كان النبي ﷺ تبنَّى زيدًا ، فأحل الله [له][5] نكاح نساء الذين تبنَّوا ، وقد تزوج النبي

---

(١) في « ر » : بنات .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) في « ر » : أولادها .

(٤) في « ر » : قبل رضاعه .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

- عليه السلام - امرأة زيد بعد ما طلقها .

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ ما مضى قبل التحريم ؛ فإن كانت أختها لأبيها وأمها ، أو أختها لأبيها ، (أو أختها لأمها ، أو من الرضاعة)[1] فهي أختٌ ، وجميع النسب والرضاع في الإماء بمنزلة الحرائر .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿والمحصنات من النساء﴾ المحصنات ها هنا : اللاتي لهن الأزواج ؛ يقول : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾ إلى هذه الآية ، ثم قال : ﴿والمحصنات من النساء﴾ أي : وحُرم عليكم المحصنات من النساء ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ ؛ يعني : من السَّبَايَا ؛ فإذا سُبِيَتِ المرأةُ من أهل الشرك ، ولها زوج ، ثم وقعت في سهم رجل ؛ فإن كانت من أهل الكتاب ، وكانت حاملاً لم يَطَأْها ؛ حتى تضع ، وإن كانت ليست بحامل ، لم يقربها ؛ حتى تحيض ، وإن لم يكن لها زوج فكذلك أيضًا ، وإن كانت من غير أهل الكتاب لم يطأها ، حتى تتكلم بالإسلام فإذا قالت : لا إله إلا اللّه ، استبرأها بحيضة ، إلا أن تكون حاملاً ؛ فيكفّ عنها ، حتى تضع .

يحيى : عن المُعَلَّى ، عن عثمان البَتِّي ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري قال : « أَصَبْنا يَوم أَوْطَاس سَبَايَا نعرف أنسابهن وأزواجهن ، فامتنعْنا منهن ؛ فنزلت هذه الآية : ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من السبايا »[2].

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/٧٢) والترمذي (٣/٤٣٨ رقم ١١٣٢، ٥/٢١٨ - ٢١٩ رقم ٣٠١٧) والنسائي في الكبرى (٣/٣٠٨ رقم ٥٤٩١، ٦/٣٢١ رقم ١١٠٩٧) والطبري في تفسيره (٥/٢) ، والدارقطني في العلل (١١/٣٥٢) وغيرهم من طريق عثمان البتي به .

ورواه مسلم (٢/١٠٨٠ رقم ١٤٥٦/ ٣٥) من طريق قتادة عن أبي الخليل به .

ورواه عبدالرزاق في تفسيره (١/١٥٣ - ١٥٤) عن معمر عن قتادة ، عن أبي الخليل أو غيره عن أبي سعيد به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهكذا رواه الثوري ، عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد ، وأبو الخليل =

﴿كتاب الله عليكم﴾ يعني: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم إلى هذا الموضع، ثم قال: كتاب الله عليكم؛ يعني: بتحريم ما قد ذكر.

قال محمد: ﴿كتاب الله﴾ منصوب على معنى: كتب عليكم كتابًا[1].

﴿وأُحِلَّ[2] لكم ما وراء ذلكم﴾ يعني: ما بعد ذلكم من النساء. ﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ تتزوَّجوا بأموالكم؛ لا يتزوج فوق أربع.

﴿محصنين غير مسافحين﴾ قال مجاهد[3]: يعني: ناكحين غير زانين ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ قال مجاهد[4]: يعني: النكاح. ﴿فآتوهن﴾ فأعطوهن ﴿أجورهن﴾ قال: صَدُقَاتهنّ. ﴿فريضة﴾ «كان رسولُ الله ﷺ رخَّصَ في المتعة يومَ فتح مكة إلى أجلٍ؛ على ألا يَرِثُوا ولا يُوَرَّثُوا، ثم نهى عنها بعد ثلاثة أيام»[5] فصارت منسوخةً نسختها الميراث والعدة[6].

﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ قال الحسن: لا بأس على الرجل أن تضع له المرأة من صداقها الذي فرض لها؛ كقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا﴾[7].

= اسمه صالح بن أبي مريم، وروى همام هذا الحديث عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ.

ورواه الإمام أحمد (٣/٨٤) ومسلم (٢/١٠٧٩ - ١٠٨٠ رقم ١٤٥٦/٣٣، ٣٤) وأبو داود (٢/٢٤٧ رقم ٢١٥٥) والترمذي (٣/٤٣٨)، والنسائي (٦/٣٢١ رقم ١١٠٩٦) والطبري في تفسيره (٥/٢) وغيرهم من طرق عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد.

وقال الدارقطني في العلل (١١/٣٥٢ رقم٢٢٣٤): وقول قتادة أصح.

(١) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/٤٠٦)، مجمع البيان (٢/٣١)، البحر (٣/٢١٤)، الدر المصون (٢/٣٤٥).

(٢) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الهمزة وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما. النشر (٢/٢٤٩).

(٣) رواه الطبري (٥/١١) وابن أبي حاتم (٣/٩١٨ رقم ٥١٢٥) وابن المنذر (٢/٦٤١ رقم ١٥٨٦، ١٥٨٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٥٥) لعبد بن حميد أيضًا.

(٤) رواه الطبري (٥/١٢) وابن أبي حاتم (٣/٩١٩ رقم ٥١٣١) وابن المنذر (٢/٦٤١ رقم ١٥٨٨).

(٥) رواه مسلم (٢/١٠٢٣ - ١٠٢٧ رقم ١٤٠٦) عن سبرة بن معبد الجهني.

(٦) وينظر الناسخ والمنسوخ (ص٣٥ - ٣٦).

(٧) النساء: ٤.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ (ل٦٣) يعني : غنى ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يعني : الحرائر المؤمنات ﴿فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم﴾ يعني : إماءكم المؤمنات ، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾ فيها تقديم يقول من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض ؛ يعني : المؤمنين ، حرهم ومملوكهم ، وذكرهم وأنثاهم ، والله أعلم بإيمانكم ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ أي : ساداتهن ﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾ يعني : ما تراضوا عليه من المهر ﴿مُحْصَنَاتٍ غير مسافحات﴾ يعني : ناكحات غير زانيات . ﴿ولا متخذات أخدان﴾ المُسَافحة : المجاهرة بالزنا ، وذات الخدن : التي كان لها خليل في السِّر[1] ﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾ قال قتادة[2]: يعني : أحصنتْهُنَّ البعولةُ ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ يعني : الزنا . ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ يعني : الحرائر ﴿من العذاب﴾ يعني : من الجلد ؛ تجلد خمسين جلدة ليس عليها رَجْمٌ ، وإن كان لها زوج .

﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ قال قتادة[3]: إنما أحلَّ الله نكاح الإماء المؤمنات لمن خشي العنت على نفسه - والعنت : الضيق - أي : لا يجد ما يستعف به ، فلا يصبر فيزني[4].

﴿وأن تصبروا خيرٌ لكم﴾ يعني : عن نكاح الإماء .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (سفح ، خدن) ، والدر المصون (٢/٣٥٠) .

(٢) رواه الطبري (٥/٢٣) وابن المنذر (٢/٦٥٢ رقم ١٦٢٠) .

(٣) عزاه له ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٢٤) .

(٤) بعدها في حاشية الأصل جملة غير واضحة .

﴿يريد الله ليبين لكم﴾ حلاله وحرامه ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يعني: شرائع من كان قبلكم من المؤمنين فيما حرَّم عليكم من الأمهات والبنات والأخوات ...إلى آخر الآية.

﴿ويتوب عليكم﴾ أي: يتجاوز عما كان من نكاحكم إياهُنَّ قبل التحريم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ هي مثل الأولى قبلها.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ يعني: اليهود في استحلالهم نكاح بنات الأخ. ﴿أن تميلوا﴾ يعني: أن تأثموا.

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ في نكاح الإماء، ولم يكن أحلَّ نكاحهن لمن كان قبلكم. ﴿وخلق الإنسان ضعيفًا﴾ أي: لا يصبر عن النساء.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ يعني: بالظلم ﴿إلا أن تكون تِجَارَةٌ[1]﴾ يعني: تجارة حلالاً ليس فيها ربًا ﴿عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، (عن)[2] أبي بكر [بن][3] عبدالرحمن[4] (عن)[5] أبي أمامة بن سهل بن حُنَيْفٍ «أن النبي ﷺ بعث رجلاً في سرية فأصابه كلْمٌ[6]، فأصابته عليه جنابةٌ، فصلى

---

(١) قرأ الكوفيون بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. النشر (٢/٢٤٩).

(٢) تحرفت في «ر» إلى: «و» وإبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، ترجمته في التهذيب (٢/١٨٤ - ١٩١)، وأبوبكر بن عبدالرحمن الأنصاري، ترجمته في الكنى لأبي أحمد الحاكم (٢/٢٤٣رقم٧٤٢).

(٣) تحرفت في «الأصل» إلى: «عن» والتصويب من «ر».

(٤) زاد بعدها في «الأصل»: ابن أبي أمامة. وهي زيادة مقحمة ليست في «ر».

(٥) تحرفت في «ر» إلى: بن.

(٦) أي: جراحة.

ولم يغتسل ، فعاب عليه ذلك أصحابُه ، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له ، فأرسل إليه ، فجاءه فأخبره ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا﴾[1].

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدْخلاً[2] كريمًا﴾ يعني : الجنة . قال قتادة[3]: إنما وعد الله المغفرة من اجتنب الكبائر .

يحيى: عن أبي أمية ، عن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله ﷺ : «الكبائر تسعٌ : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرّم الله [إلا بالحق][4]، وعقوق الوالدين المسلمين ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، والسحر ، والفرار من الزحف ، وشهادة الزور»[5].

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه في التيمم - كما في تخريج الكشاف (١/ ٣١٠) - عن ابن جريج ، عن أبي بكر بن عبدالرحمن الأنصاري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف وعبدالله بن عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص بنحوه .

ورواه أبو أحمد الحاكم في الكنى (٢/ ٢٤٣) ، والطبراني في معجمه - كما في تخريج الكشاف (١/ ٣١٠) - من طريق عبد الرزاق به .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٦٣) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه أبوبكر بن عبدالرحمن الأنصاري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، ولم أجد من ذكره ، وبقية رجاله ثقات . اهـ .

قلت : أبو بكر بن عبدالرحمن الأنصاري ذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى ، وذكره البخاري في الكنى (ص١٢) مختصرًا ، وإبراهيم بن محمد متروك ، وثقه الشافعي .

(٢) قرأ المدنيان بفتح الميم ، وقرأ الباقون بالضم . النشر (٢/ ٢٤٩) .

(٣) رواه الطبري (٥/ ٤٥) وابن المنذر (٢/ ٦٧٥ رقم ١٦٧٥) .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٥) هذا معضل ، وقد روي موصولاً :

فرواه أبوداود (٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨ رقم ٣٨٦٧) والنسائي (٧/ ١٠٣ رقم ٤٠٢٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣١ رقم ٥٢٠٠) والطبراني في الكبير (١٧/ ٤٧ - ٤٨ رقم ١٠١) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٩ - ٢٦٠) من طريق يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير ، عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه .

قال الحاكم : قد احتجا برواة هذا الحديث غير عبدالحميد بن سنان ، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي وابنه عبيدالله متفق على إخراجه والاحتجاج به .

فتعقبه الذهبي في عبد الحميد بن سنان فقال . لجهالته ، ووثقه ابن حبان .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨١) : وعبدالحميد بن سنان حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري : في حديثه نظر .

يحيى: عن الحسن البصري[1] قال: كان الفرار من الزحف من الكبائر يوم بدر.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن قتادة، عن الحسن: «أن النبي ﷺ ذكرت عنده الكبائر، فقال: فأين تجعلون اليمين الغموس؟»[2].

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة»[3].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾

قوله: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض...﴾ الآية.

تفسير مجاهد[4]: نزلت في النساء يقلن: يا ليتنا كنا [رجالاً فنغزو، ونبلغ مبلغ][5] (ل ٦٤) الرجال.

﴿ولكل جعلنا موالي﴾ يعني: العصبة.

---

(١) رواه الطبري (٢٠٢/٩) والبغوي في الجعديات (٤٦٠/١ رقم ٣١٦٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦/ ١٠٣٨ رقم ١٩١٤).

وعزاه السيوطي في الدر (١٨٨/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ. اهـ. وسيأتي في تفسير سورة الأنفال مسندًا.

(٢) لم أقف عليه، والله أعلم.

(٣) هذا مرسل ضعيف، وقد روي بإسناد متصل:

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٤٠/١٨ رقم ٢٩٣) وفي مسند الشاميين (٢٦/٤ رقم ٢٦٣٥)، والبيهقي في سننه (٢٠٩/٨)، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال البيهقي: تفرد به عمر بن سعيد الدمشقي، وهو منكر الحديث، وإنما يُعرف من حديث النعمان بن مرة مرسلاً.

ثم رواه البيهقي (٢٠٩/٨ - ٢١٠) من طريق مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد، عن النعمان بن مرة مرسلاً.

(٤) رواه الطبري (٤٧/٥).

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر». وفي تفسير ابن كثير: تفسير مجاهد: نزلت في النساء يقلن: ليتنا كنا رجالاً فنغزو كما يغزو الرجال.

يحيى : عن نصر بن طريف ، عن هشام بن حجيرة ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « ألحقوا المال بالفرائض ، فما أبقت الفرائض ، فأول رحم ذكر »[١].

﴿والذين عاقدت[٢] أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ تفسير قتادة[٣] قال : كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية ؛ فيقول : دمي دمُك ، وترثني وأرثك ، تُطلب بي وأُطْلب بك ، فجعل له السدس من جميع المال ، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم ، ثم نسخ ذلك بَعْدُ في الأنفال فقال : ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللَّه﴾[٤] فصارت المواريث لذوي الأرحام .

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي : مُسلَّطون على أدب النساء ، والأخذ على أيديهن .

قال قتادة : ذُكِر لنا أن رجلاً لطم امرأته على عهد نبي اللَّه ، فأتت المرأة نبي اللَّه ، فأراد نبيُّ اللَّه أن يَقُصَّها منه فأنزل اللَّه : ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٢/١٢ رقم ٦٧٣٢) ومسلم (١٢٣٣/٣ - ١٢٣٤ رقم ١٦١٥) من طريق عبداللَّه بن طاوس عن أبيه .

(٢) قرأ الكوفيون ﴿عقدت﴾ وقرأ الباقون (عاقدت) . ينظر : السبعة : (٢٣٣) ، التيسير (٩٦) ، النشر (٢٤٩/٢) .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٥٧/١) والطبري (٥٢/٥) وابن المنذر (٦٨١/٢ رقم ١٦٩١) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٦٦/٢) : لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير .

(٤) (الأنفال : ٧٥) وينظر : الناسخ والمنسوخ (ص٣٧) .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٧/١) والطبري في تفسيره (٥٨/٥) .

ورواه الطبري (٥٨/٥) عن قتادة عن الحسن مرسلاً .

ورواه الطبري (٥٨/٥) وابن أبي حاتم (٩٤٠/٣ رقم ٥٢٤٦) وغيرهما من طرق عن الحسن مرسلاً .

ورواه الطبري (٥٨/٥) عن ابن جريج والسدي مرسلاً .

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٤٩١/١) - عن علي رضي الله عنه .

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ جعل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد، وفضلوا في الميراث ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني: الصُّدُقاتِ ﴿فالصالحات﴾ يعني: المحسنات إلى أزواجهن. ﴿قانتات﴾ أي: مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ لغيب أزواجهن في فروجهن. ﴿بما حفظ الله﴾ أي: بحفظ الله إياهن.

﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن؛ يعني: تنشز على زوجها؛ فلا تدعه أن يغشاها[١] ﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ قال قتادة[٢]: ابدأ فَعِظْها بالقول، فإن عصت فاهجرها؛ فإن عصت فاضربها ضربًا غير شائن.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ تفسير الكلبي: يقول: فإن أطعنكم في الجماع، فلا تبغوا عليهن سبيلاً؛ يقول: لا تكلفوهن الحُبَّ، فإنما جعلت الموعظة لهن والضرب[٣] في المضجع ليس على الحب، ولكن على حاجته إليها.

﴿وإن خفتم﴾ علمتم ﴿شقاق بينهما﴾ قال الحسن: يقول: إن نشزت حتى تشاق زوجها ﴿فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾ إذا نشزت، ورفع ذلك إلى الإمام، بعث الإمام حكمًا من أهل المرأة، وحكمًا من أهل الرجل يصلحان بينهما، ويجمعان ولا يفرقان، وينظران من أين يأتي الدرءُ[٤]، فإن اصطلحا فهو أمر الله وإن أبيا ذلك وأبت المرأة إلا نشوزًا وقفها الإمام على النشوز، فإن افتدت من زوجها، فقد حل له أن يخلعها.

﴿إن يريدا إصلاحًا﴾ قال مجاهد[٥]: يعني: الحكمين ﴿يوفق الله بينهما﴾.

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

---

(١) أي: أن يطأها. اللسان (غشي).

(٢) رواه الطبري (٥/٦٥ - ٦٦، ٦٨) وابن المنذر (٢/٦٩٣ رقم ١٧٢٩).

(٣) في «ر»: ضربهن.

(٤) أي: دفع الفرقة. وفي «ر»: الضرر.

(٥) رواه عبد الرزاق (١/١٥٩ - ١٦٠) والطبري (٥/٧٦) وابن أبي حاتم (٣/٩٤٦ رقم ٥٢٨٦) وابن المنذر (٢/٦٩٩ رقم ١٧٤٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٧٣) لعبد بن حميد أيضًا.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿واعبدوا اللّه﴾ يعني: واحفظوا اللّه. ﴿ولا تشركوا به شيئًا﴾ أي: لا تعدلوا به غيره ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾.

﴿والجار ذي القربى﴾ الذي له قرابة ﴿والجار الجنب﴾ الأجنبي الذي ليست له قرابة.

﴿والصاحب بالجنب﴾ يعني: الرفيق في السفر، في تفسير ابن جبير(١). وقال غيره: يعني: المرأة.

قال محمد: وقيل: في الجار الجنب: إنه الغريب، والجنابة في اللغة: [البعد](٢): يقال: رجلٌ جُنُبٌ: [غريب](٣).

يحيى: عن المعلَّى بن هلال، عن محرر بن عبداللّه، عن عطاءٍ الخراساني قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له ثلاثة حقوق؛ فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق؛ فالجار المسلم ذو الرحم؛ فله حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار. وأما الذي له حقان: فالجار المسلم؛ له حق الإسلام، وحق الجوار، وأما الذي له حق واحد: فالجار المشرك؛ له حقُّ الجوار»(٤).

---

(١) رواه سفيان الثوري (٩٥ رقم ٣٤٣) وعبد الرزاق (١/١٦٠) والطبري (٥/٨٠) وابن أبي حاتم (٣/٩٤٩ رقم ٥٣٠٧).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر: اللسان، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جنب). ويقال فيه: جار الجُنُب، وجارٌ جُنُب. والجمع أجناب. وفي الأصل: رجل جنب غُرب. والمثبت من «ر».

(٤) هذا مرسل ضعيف، وقد رُوي عن عطاء الخراساني موصولا، واختلف عليه فيه:
فرواه ابن أبي فديك، عن عبدالرحمن بن الفضيل، عن عطاء الخراساني، عن الحسن، عن جابر. خرجه البزار كشف الأستار (٢/٣٨٠ رقم ١٨٩٦) - وأبونعيم في الحلية (٥/٢٠٧).
قال البزار: لا نعلمه يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.
ونقل ابن كثير في تفسيره (١/٤٩٥) عن البزار قوله: لا نعلم أحدًا روى عن عبدالرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك. =

قوله : ﴿وابن السبيل﴾ يعني : الضيف .

يحيى : عن عثمان ، عن سعيد المَقْبُرِي ، عن أبي شريح الخزاعي قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ؛ جائزته يومٌ وليلة ، والضيافة : ثلاثة أيام ، وما سوى ذلك ، فهو صدقة »[١].

قوله : ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ .

(ل٦٥) **يحيى** : عن عثمان ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن سفينة مولى أم سلمة ، عن أم سلمة : « أن رسول الله ﷺ كان آخر قوله عند موته : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حتى جعل [يلجلجها][٢] في صدره ، وما يفيض[٣] به لسانه »[٤].

= وقال أبو نعيم : غريب من حديث عطاء عن الحسن ، لم نكتبه إلا من حديث ابن أبي فديك .

ورواه سويد بن عبدالعزيز ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . خرجه ابن عدي في الكامل (٢٩٢/٦) ، والبيهقي في الشعب (٨٣/٧ - ٨٤ رقم ٩٥٦٠) .

قال البيهقي : سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه ضعفاء ، غير أنهم غير متهمين بالوضع ، وقد روي بعض هذه الألفاظ من وجه آخر ضعيف .

وقال أبو حاتم الرازي : هذا خطأ . علل الحديث (٢٢٠/١ رقم ٦٣٩، ٢٨٥/٢ رقم ٢٣٥٧) .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٣٨) : وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة ، ولا تخلوا من مقال .

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٣١/٢) : أخرجه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتابه الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر ، وابن عدي من حديث ابن عمرو ، وكلاهما ضعيف .

(١) رواه البخاري (٤٦٠/١٠ رقم ٦٠١٩) ومسلم (١٣٥٢/٣ - ١٣٥٣ رقم ٤٨) من طريق سعيد المقبري به .

ورويا من طريق نافع بن جبير ، عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

(٢) في الأصل و « ر » : « يجلجلها » بتقديم الجيم ، والصواب « يلجلجها » بتقديم اللام ، أراد : يحركها ويرددها ، انظر النهاية (٢٣٤/٤) .

(٣) كذا في الأصل و « ر » : يفيض . بالضاد المعجمة ، وقد ذكرها ابن الأثير في النهاية (٤٨٤/٣) بالصاد المهملة ، وقال : فيه : « كان يقول عليه السلام في مرضه : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، فجعل يتكلم وما يفيص بها لسانه » أي : ما يقدر على الإفصاح بها ، وفلان ذو إفاصة إذا تكلم أي ذو بيان . اهـ . وكذا قيدها بالصاد المهملة البغوي في شرح السنة (٣٥٠/٩) .

(٤) اختلف على قتادة في إسناد هذا الحديث :

فرواه همام ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن سفينة ، عن أم سلمة .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « المملوك أخوك ، فإن عجز فجد معه ، من رضي مملوكه فليمسكه ، ومن كرهه فليبعه ، ولا تعذبوا خلق الله »[1].

قال محمد : قوله في أول الآية : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ المعنى :

= خرجه الإمام أحمد (٦/ ٣١١، ٣٢١) ، وعبد بن حميد (٤٤٥ رقم١٥٤٢) وابن سعد (٢/٢٥٣ - ٢٥٤) والنسائي في الكبرى (٤/٢٥٩ رقم ٧١٠٠) وابن ماجه (١/١٥٩ رقم ١٦٢٥) وأبو يعلى (١٢/٤١٤ رقم ٦٩٧٩) والبيهقي في الدلائل (٧/٢٠٥) والبغوي في شرح السنة (٩/٣٤٩ - ٣٥٠ رقم ٢٤١٥) وفي تفسيره (٢/٢١٢) .

ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سفينة ، عن أم سلمة ، فلم يذكر أبا الخليل في إسناده .

خرجه الإمام أحمد (٦/٢٨٩ - ٢٩٠) والنسائي في الكبرى (٤/٢٥٨ رقم ٧٠٩٨) .

ورواه أبو عوانة عن قتادة ، واختلف عليه فيه ، فرواه جماعة عنه عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة .

خرجه أبو يعلى (١٢/٣٦٥ - ٣٦٦ رقم ٦٩٣٦) والطحاوي في المشكل (٨/٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ٣٢٠٣) والبيهقي في الدلائل (٧/٢٠٥) وقال النسائي : قتادة لم يسمعه من سفينة .

ورواه قتيبة بن سعيد ، عن أبي عوانة ، عن قتادة ، عن سفينة مرفوعًا ، لم يذكر أم سلمة في إسناده ، خرجه النسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٧) .

وكذلك رواه شيبان ، عن قتادة ، قال : حُدِّثنا عن سفينة مرفوعًا . خرجه النسائي (٤/٢٥٨ رقم ٧٠٩٩) .

ورواه سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أنس . جعله من مسند أنس بن مالك . خرجه الإمام أحمد (٣/١١٧) وابن سعد (٢/٣٥٢) والنسائي (٤/٢٥٨ رقم ٧٠٩٥) وابن حبان (١٤/٥٧٠ - ٥٧١ رقم ٦٦٠٥) والطحاوي في المشكل (٨/٢٢٦ رقم ٣٢٠٢) والبيهقي في الدلائل (٧/٢٠٥) والخطيب (٤/٢٤٠) .

وروي عن سليمان التيمي ، عن رجل ، عن أنس ، خرجه النسائي (٤/٢٥٨ رقم ٧٠٩٦) وابن سعد (٢/٢٥٣) والطحاوي (٨/٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٣٢٠١) .

وروي عن سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، خرجه عبد بن حميد (٣٦٥ رقم ١٢١٤) والنسائي (٤/٢٥٨ رقم ٧٠٩٤) وابن ماجة (٢/٩٠٠ - ٩٠١ رقم ٢٦٩٧) والطحاوي (٨/٢٢٤ - ٢٢٥ رقم ٣١٩٩، ٣٢٠٠) والحاكم (٣/٥٧) والضياء في المختارة (٦/١٥٧ - ١٥٨ رقم ٢١٥٥ - ٢١٥٧) وقال النسائي : سليمان التيمي لم يسمع هذا الحديث من أنس .

قال ابن أبي حاتم في العلل (١/١١٠ - ١١١ رقم ٣٠٠) : سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه ، عن قتادة عن أنس قال : « كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال أبي : نرى أن هذا خطأ ، والصحيح حديث همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ .

وقال أبو زرعة : رواه سعيد بن أبي عروبة فقال : عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ . وقال : وابن أبي عروبة أحفظ ، وحديث همام أشبه ، زاد همام رجلاً .

(١) رواه المروزي في البر والصلة (١٧٩ رقم ٣٤٦) عن ابن المبارك عن جعفر بن حيان - وهو أبو الأشهب - به .

أوصاكم الله بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحسانًا، وكذلك جميع ما ذكر الله في هذه الآية، المعنى: أحسنوا إلى هؤلاء كلهم.

قوله: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾.

قال محمد: المختال: يعني: التيّاه الجهول[1].

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ قال الحسن: هم اليهود؛ منعوا حقوق الله في أموالهم، وكتموا محمدًا؛ وهم يعلمون أنه رسول الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾.

قال بعضهم: هم المنافقون.

﴿ومن يكن الشيطان له قرينًا﴾ [صاحبًا][2] ﴿فساء قرينًا﴾ فبئس القرين.

قال محمد: ﴿ساء قرينًا﴾ منصوب على التفسير[3].

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ يعني: الزكاة الواجبة. ﴿وكان الله بهم عليمًا﴾ أي: عليمًا بأنهم مشركون.

قال محمد: قوله ﴿وماذا عليهم﴾ المعنى: أي شيء عليهم؟[4].

---

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (خيل).
والتياه معناه: المتكبر المعجب بنفسه. اللسان (تيه).

(٢) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر المحيط (٣/٢٤٨)، الدر المصون (٢/٣٦٣).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٣/٢٤٩)، الدر المصون (٢/٣٦٣).

﴿إن الله لا يظلم﴾ لا ينقص، ﴿مثقال ذرة﴾ أي: وزن ذرة.

قال محمد: يقال: هذا على مثقال هذا؛ أي: على وزنه[١].

﴿وإن تك حَسَنَةٌ يضاعفها ويؤتِ من لدنه﴾ ويعط من عنده.

قال محمد: من قرأ ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالرفع، فالمعنى: وإن تَحْدُث حسنة[٢].

﴿فكيف إذا جئنا من كل أُمَّةٍ بشهيد﴾ يعني: يوم القيامة يشهد على قومه؛ أنه قد بلغهم.

قال محمد: المعنى: فكيف تكون حالهم؟! وهذا من الاختصار[٣].

﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ أي: جحدوه ﴿لو تَسَوَّى[٤] بهم الأرض﴾ قال قتادة[٥]: يعني: لو ساخوا[٦] فيها.

﴿ولا يكتمون الله حديثًا﴾ تفسير ابن عباس[٧]: يعني بهذا: جوارحهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) ينظر: اللسان، القاموس (ثقل).

(٢) قراءة الرفع هي قراءة ابن كثير ونافع، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: السبعة (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، النشر (٢/ ٢٤٩).

(٣) ينظر: الدر المصون (٢/٣٦٥)، البحر (٣/٢٤٩ - ٢٥٠).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح التاء وتخفيف السين، وقرأ المدنيان وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين. النشر (٢/٢٤٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٣/٩٥٧ رقم ٥٣٤٧) وابن المنذر (٢/٧١٣ رقم ١٧٨٨).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٨١) لعبد بن حميد أيضًا.

(٦) أي: غاصوا في الأرض وانخسفت بهم. اللسان، القاموس (سوخ).

(٧) رواه ابن أبي حاتم (٣/٩٥٧ رقم ٥٣٥٠) وابن المنذر (٢/٧١٤ رقم ١٧٩٠).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة في تفسير : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾[١].

قوله : ﴿ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾ تفسير ابن عباس[٢]: هو المسافر إن لم يجد الماء تيمَّم وصلَّى . ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ .

قال محمد : الغائط : الحَدَثُ ، وأصل الغائط : المكان المطمئنُّ من الأرض[٣]؛ فكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة ، أتوا غائطًا من الأرض ، ففعلوا ذلك فيه ، فكنَّى عن الحدث بالغائط[٤].

وقوله : ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فيه إضمار : لا تستطيعون [قرب][٥] الماء من العلّة ؛ ذكره إسماعيل بن إسحاق[٦].

﴿أو لامستم النساء﴾ الملامسة في قول علي[٧] وابن عباس[٨] والحسن[٩]: الجماع ، وكان ابن مسعود[١٠] يقول : هو المسّ باليد ، ويرى منه الوضوء .

---

(١) البقرة : ٢١٩ وفي الأصل : (ويسئلونك) بإثبات الواو .

(٢) رواه الطبري (٩٧/٥) وابن المنذر في تفسيره (٧٢١/٢ رقم ١٨٠٣) وفي الأوسط (١٤/٢ رقم ٥١١، ١٠٨/٢ رقم ٦٣٥) وعزاه السيوطي في الدر (١٨٢/٢) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني .

(٣) اللسان ، القاموس (غوط) .

(٤) وهذه الكناية للاستحياء من ذكره . الدر المصون (٣٧٠/٢) .

(٥) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٦) إسماعيل بن إسحاق ، من أئمة الفقه على مذهب مالك ، ومن مشيخة الحديث ، وأعلام القضاة ببغداد . توفي سنة ٣٨٣هـ ينظر المرقبة العليا (٣٢) وسير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٣) .

(٧) رواه الطبري (١٠٣/٥) وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفسيره (٧٢٧/٢ رقم ١٨٢٠) وفي الأوسط (١١٥/١ رقم ٦) . وعزاه السيوطي في الدر (١٨٤/٢) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد أيضًا .

(٨) رواه سعيد بن منصور (١٢٦٥/٤ رقم ٦٤١) والطبري (٥٢٨/٢، ١٠٢/٥) وابن أبي حاتم (٩٦١/٣ رقم ٥٣٦٧) وابن المنذر (٧٢٦/٢ رقم ١٨١٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢٤/٧ - ٤٢٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٨٤/٢) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) رواه الطبري (١٠٣/٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٨٤/٢) لابن أبي شيبة .

(١٠) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (١٢٥٧/٤ - ١٢٥٩ رقم ٦٣٨، ٦٣٩) وعبد الرزاق في المصنف (١/ ١٣٣=

﴿فتيمَّموا صعيدًا طيبًا﴾ أي : تعمدوا ترابًا نظيفًا . ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ .

يحيى : عن المعلَّى ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن ناجية بن كعب ، عن عمار بن ياسر قال : « أجنبتُ وأنا في الإبل فتمعَّكت[1] في الرمل ؛ كما تتمعَّك الدابة ، ثم أتيت النبي ﷺ وقد دخل الرمل في رأسي ولحيتي فأخبرته . فقال : إنما كان يكفيك التيمُّم . ثم ضرب النبي ﷺ بكفيه (ل٦٦) جميعًا التراب ، ثم نفضهما ، ثم مسح بوجهه وكفيه مرةً واحدة . ثم قال : كان يكفيك أن تصنع هكذا »[2] وبه يأخذ يحيى .

= رقم ٥٠٠) والطبري (٥/١٠٣ - ١٠٤) وابن أبي حاتم (٣/٩٦١ رقم ٥٣٦٨) وابن المنذر (٢/٧٢٧ رقم ١٨٢١) والطبراني (٩/ ٢٨٥، ٢٨٦ رقم ٩٢٢٧، ٩٢٢٩) والدارقطني (١/١٤٥ رقم ٤٣) والبيهقي (١/١٢٤) وغيرهم .

(١) أي : تقلَّب في التراب ، وتمرَّغ فيه . ينظر : اللسان ، القاموس (معك) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/٢٦٣) والطيالسي (٨٩ رقم٦٤٠) والحميدي (٧٩ رقم ١٤٤) وعبدالرزاق(١/٢٣٨ رقم ٩١٤) ، والنسائي في الكبرى (١/١٣٦ رقم ٣٠٩) وأبو يعلى (٣/٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ١٦٤٠) وابن المنذر في الأوسط (٢/١٣ رقم ٥٠٨) والبيهقي في السنن (١/٢١٦) والمزي في التهذيب (٢٩/٢٥٨) من طرق عن أبي إسحاق به .

وقد اختلف في تسمية ناجية ، فجاء في بعض الروايات مهملاً غير مقيد ، وفي بعضها ناجية بن كعب وفي بعضها ناجية ابن خفاف ، قال المزي في التهذيب (٢٩/٢٥٥ - ٢٥٦) : وقالٓ يعقوب بن شيبة السدوسي في حديث ناجية عن عمار في التيمم : حديث كوفي رواه أبو إسحاق عن ناجية عن عمار عن النبي ﷺ وهو حديث صالح الإسناد ، ولا أحسبه متصلاً لأن بعضهم ذكر أن ناجية ليس بالقديم ، رواه جماعة عن أبي إسحاق ثقات منهم : زائدة بن قدامة ، وأبو الأحوص سلام بن سليم ، وأبوبكر بن عياش ، وسفيان بن عيينة ، وإسرائيل بن يونس ، فقال زائدة : ناجية . لم ينسبه ، وقال أبو الأحوص : عن ناجيه أبي خفاف . وقال أبو بكر بن عياش : ناجية العنزي . وقال ابن عيينة وإسرائيل : ناجية بن كعب .

ذكر علي بن المديني هذا الحديث عن ابن عيينة فقال : هذا الحديث غلط في قول سفيان : ناجية بن كعب . إنما هو ناجية ابن خفاف العنزي . قال علي : وناجية بن كعب أسدي . قال علي : وقد روى غير سفيان من حديث أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف أبي خفاف ، ورواه يونس بن أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف عن عمار .

قال علي : وناجية بن خفاف أبو خفاف العنزي لم يسمعه عندي من عمار ؛ لأن ناجية هذا لقيه يونس بن أبي إسحاق ، وليس هذا بالقديم .

وقال الحافظ أبوبكر الخطيب في هذا الحديث : وقال إسرائيل بن يونس وسفيان بن عيينة والمعلى بن هلال : عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب . وهو وهم ، قال : وأحسب أبا إسحاق رواه لهم عن ناجية غير منسوب فظنوه ناجية بن كعب . اهـ .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الجريح والمجدور[١] والمقروح[٢]؛ إذا خشي على نفسه ، تيمَّم[٣].

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب﴾ يعني : اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ أي : يختارون ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ يعني : طريق الهدى .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

= قلت : وحديث عمار في التيمم ثابت في الصحيحين البخاري (٥٢٨/١ رقم٣٣٨) ومسلم (٢٨٠/١ - ٢٨١ رقم ٣٦٨) من طريق آخر بنحوه .

(١) هو المصاب بمرض الجدري . وهو مرض فيروسي مُعْدٍ يتميز بطفح جلدي حُلَيْمي يتقيح ويعقبه قِشْر ويُخْلف ندوبًا . المعجم الوسيط (جدر) .

(٢) أي : المجروح ، أو الذي في جلده بثور قد دبَّ فيها الفساد .
ينظر : اللسان ، القاموس (قرح) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٢٤/١ رقم١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٦٠/٣ رقم ٥٣٦٢) والدارقطني في سننه (١٧٨/١ رقم ١٠، ١١) - مختصرًا - والبيهقي (٢٢٤/١) من طرق عن عطاء بن السائب .
ورواه ابن المنذر في الأوسط (١٩/٢ رقم ٥٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١٣٨/١ رقم ٢٧٢) وابن الجارود في المنتقى (١٢٩) والحاكم (١٦٥/١) والبيهقي في سننه (٢٢٤/١) وفي المعرفة (٣٠٠/١ رقم ٣٤٢) من طريق جرير عن عطاء ابن السائب مرفوعًا .
ورواه الدارقطني في سننه (١٧٧/١ رقم٩) من طريق جرير عن عطاء موقوفًا .
وقال الدارقطني : رواه علي بن عاصم عن عطاء ورفعه إلى النبي ﷺ ، ووقفه ورقاء وأبو عوانة وغيرهما ، وهو الصواب . اهـ .
قلت : رواية علي بن عاصم عند البيهقي (٢٢٤/١) لكنها موقوفة ، والله أعلم .
وقال ابن أبي حاتم في العلل (٢٥/١ - ٢٦ رقم٤٠) : سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه علي بن عاصم ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في المجدور والمريض إذا خاف على نفسه تيمم . قال أبوزرعة : ورواه جرير أيضًا فقال عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس رفعه في المجدور . قال أبي : هذا خطأ ، أخطأ فيه علي بن عاصم ، ورواه أبو عوانة وورقاء وغيرهما عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوف ، وهو الصحيح .

قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ قال الحسن: حرفوا كلام الله؛ وهو الذي وضعوا من قِبَلِ أنفسهم من الكتاب، ثم ادَّعَوْا أنه من كتاب الله ﴿ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع﴾ تفسير الحسن: غير مسمع منا ما تحبُّ.

قال محمد: قيل في قوله: ﴿غير مسمع﴾: كانوا يقولون له سرًّا في أنفسهم.

﴿وراعنا ليًّا بألسنتهم﴾ قد مضى تفسير ﴿راعنا﴾ في سورة البقرة(١).

قال محمدٌ: ﴿ليًّا﴾ أصله: لَوْيًا؛ ولكن الواو أُدْغِمَتْ في الياء(٢)؛ ومعناه: التحريف(٣)؛ أي: يحرفون [راعنا إلى ما](٤) في قلوبهم من السَّبِّ والطعن على النبي ﷺ ﴿وطعنًا في الدين﴾ في الإسلام.

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسْمَعْ وانظرنا﴾ حتى نتفهَّم.

﴿لكان خيرًا لهم وأقوم﴾ لأمرهم ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ قال قتادة: قَلَّ من آمن من اليهود.

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزَّلنا مصدِّقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردَّها على أدبارها﴾ قال قتادة(٥): يعني: من قِبَلِ أقفائها(٦) ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السَّبت﴾ مُسِخَ أصحاب السبت قِردةً ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ أي: إذا أراد الله أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون.

---

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ البقرة: ١٠٤.

(٢) أي: أدغمت الواو في الياء، بعد قلب الواو ياءً.

(٣) ومنه: يلوون أعناق الكلام أي: يحرفونه على غير حقيقته وصوابه.

ينظر: اللسان، المختار، المعجم الوسيط (لوى).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٣/١) وابن المنذر (٧٣٧/٢ رقم ١٨٥٢، ١٨٥٣).

(٦) واحدها (قفا)، ويجمع أيضًا على: قُفِيّ. ينظر اللسان، القاموس (قفو).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به﴾ أي : يُعْدَل به غيره ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .

يحيى : عن سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبداللَّه قال : « سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عن الموجِبَتينِ ؛ فقال : من مات (لا)[١] يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنّة ، ومن مات يشرك باللَّه شيئًا دخل النار »[٢].

﴿ألم تر إلى الذين يزكُّون أنفسهم﴾ تفسير قتادة[٣]: هم اليهود زكَّوْا أنفسهم بأَمْرٍ لم يبلغوه ؛ قالوا : نحن أبناء اللَّه وأحباؤه ﴿بل اللَّه يزكي من يشاء ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿فتيلا﴾ الفتيل : ما كان في بطن النواة من لحائها[٤].

﴿انظر كيف يفترون على اللَّه الكذب﴾ أي : يختلقونه ﴿وكفى به إثمًا مبينًا﴾ بيِّنًا .

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال مجاهد[٥]: الجِبْتُ : الكاهن ، والطاغوت : الشيطان .

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ قال الكلبي : هم قومٌ من اليهود

---

(١) في « ر » : ولم .

(٢) رواه أبو عوانة في صحيحه (٢٧/١ - ٢٨ رقم ٣٢) من طريق سفيان به .

ورواه مسلم في صحيحه (٩٤/١ رقم ٩٣) من طريق قرة بن خالد وهشام الدستوائي عن أبي الزبير به .

(٣) رواه الطبري (١٢٦/٥) وابن المنذر (٧٤٠/٢ رقم ١٨٦٠) .

(٤) ينظر : اللسان ، المختار ، القاموس (فتل) .

واللِّحاء : هو ما كسا النواة . والجمع : أُلحِيَة ، ولُحِيّ . ينظر : اللسان ، القاموس (لحو) .

(٥) في « ر » : محمد .

وأثر مجاهد رواه الطبري (١٣١/٥) وابن أبي حاتم (٩٧٥/٣ رقم ٥٤٢٩) وابن المنذر (٧٤٧/٢ رقم ١٨٧٩) .

أتوْا مكة فسألتهم قريشٌ وأناس من غطفانَ ؛ فقالت قريش : نحن نعمر هذا المسجد ، ونحجُب هذا البيت ، ونسقي الحاج ؛ أفنحن أَمْثَلُ أم محمدٌ وأصحابه؟ فقالت اليهود : بل أنتم أمثل . فقال عيينة ابن حصن وأصحابه الذين معه : أما قريش فقد عَدُّوا ما فيهم فَفُضِّلوا على محمد وأصحابه . فناشدوهم أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فقالوا : لا والله ، بل أنتم أهدى ؛ فقال الله : ﴿أولئك الذين لعنهم الله ...﴾ الآية .

قال محمد : يقول : أولئك الذين باعدهم الله من رحمته ، واللعنة أصلها : المباعدة[1].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا﴾ النقير : النقرة تكون في ظهر النواة[2].

قال محمدٌ[3]: المعنى : أنهم لو أعطوا الملك ، ما أعطوا الناس منه النقير ؛ والنقير ها هنا تمثيل .

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ قال الكلبي : الناس في هذه الآية : النبي ﷺ ؛ قالت اليهود : (ل٦٧) انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ، ولا والله ما له همٌّ إلا النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك ؛ فقالوا : لو كان نبيًّا ما رغب في كثرة النساء ؛ فأكذبهم[4] الله ، فقال : ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ يعني : النبوة ﴿وآتيناهم مُلْكًا عظيمًا﴾ فسليمان بن داود من آل إبراهيم ، وقد كان عند سليمان ألفُ امرأة ، وعند داود مائة

---

(١) والطرد : ينظر اللسان ، القاموس (لعن) .
(٢) ينظر : اللسان ، القاموس (نقر) . وجمع النقير : أنقِرة . وفي « ر » : النقير والنقيرة التي تكون في ظهر النواة .
(٣) زاد في الأصل : بل .
(٤) في « ر » : فكذَّبهم .

امرأة ، فكيف يحسدونك يا محمد على تسع نسوة؟!

﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه﴾ قال مجاهد[١]: يعني : اليهود منهم من آمن بما أنزل على محمد ، ومنهم من صدَّ عنه ؛ يعني : جحد به ﴿وكفى بجهنم سعيرًا﴾ لمن صدَّ عنه .

﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها﴾ .

قال يحيى : بلغنا أنها تأكل كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد ؛ فيصيح الفؤاد فلا يريد اللَّه أن تأكل أفئدتهم ؛ فإذا لم تجد شيئًا تتعلق به منهم ، خبت - أي : سكنت - ثم يُعادون خلقًا جديدًا ؛ فتأكلهم كلما أعيد خَلْقهم .

وقوله : ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ قال الحسن : يعني : دائمًا .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿إنَّ اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمَاناتِ إلى أهلها ...﴾ الآية .

« لما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة ، دعا عثمان بن طلحة ، فقال : أرنا المفتاح ، فلما أتاه به قال عباسٌ[٢]: يا رسول اللَّه اجمعه لي مع السقاية . فكفَّ عثمان يده ؛ مخافة أن يدفعه إلى العباس ؛ فقال رسول اللَّه : يا عثمان ، إن كنت تؤمن باللَّه واليوم الآخر فأرنا المفتاح . فقال : هاك في أمانة اللَّه ؛ فأخذه رسولُ اللَّه ، ففتح باب الكعبة ، ثم دخل فأفسد ما كان في البيت من التماثيل ، وأخرج مقام إبراهيم فوضعه ، حيث وضعه ، ثم طاف بالكعبة مرةً أو مرتين ، ونزل عليه جبريل يأمره بردِّ المفتاح إلى أهله ، فدعا عثمان ، فقال : هاك المفتاح ؛ إن اللَّه يقول : وأدوا[٣] الأمانات إلى أهلها . وقرأ الآية كلها »[٤].

---

(١) رواه الطبري (١٤١/٥) وابن أبي حاتم (٩٨١/٣ رقم ٥٤٨٤) وابن المنذر (٧٥٦/٢ رقم ١٩٠٥) .

(٢) في « ر » : ابن عباس . وهو خطأ ، واللَّه أعلم .

(٣) كذا في الأصل و «ر» .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره (٥١٦/١) والسيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٢) إلى ابن مردويه في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال الكلبي : هم أمراء السَّرايا . ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال قتادة[1]: يعني : إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسوله . ﴿ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾ يعني : عاقبةً في الآخرة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ...﴾ إلى قوله : ﴿يصدون عنك صدودًا﴾ قال الكلبي : إن رجلاً من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خُصومةٌ ؛ فقال اليهودي : انطلق بنا إلى محمد نختصم إليه . وقال المنافق : بل إلى كعب بن الأشرف ؛ وهو الطاغوت ها هنا . قال الكلبي : فأبى المنافق أن يخاصمه إلى النبي ، وأبَىٰ اليهودي إلا أن يخاصمه إلى النبي ؛ فاختصما إلى النبي ، فقضى لليهوديِّ ، فلما خرجا من عنده ، قال المنافق : انطلق بنا إلى عمر بن الخطّاب أخاصمك إليه . فأقبل معه اليهودي ؛ فدخلا على عمر ، فقال له اليهودي : يا عمر إني اختصمت أنا وهذا الرجل إلى محمد ؛ فقضى لي عليه ، فلم يرض هذا بقضائه ، وزعم أنه يخاصمني إليك . فقال عمر للمنافق : أكذلك؟ قال : نعم . فقال عمر : رويدكما ؛ حتى أخرج إليكما ؛ فدخل البيت فاشتمل[2] على السيف ، ثم خرج إلى المنافق فضربه حتى بَرَد[3].

﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ﴾ قال الحسن : وهذا كلام منقطع عما قبله وعما بعده ؛ يقول : إذا

---

(١) رواه الطبري (٥/١٥١) وابن المنذر (٢/٧٦٨ رقم ١٩٣٨) .

(٢) اشتمل على السيف ، واشتمل به ؛ أي : تقلّده . ينظر لسان العرب (شمل) .

(٣) بَرَدَ يَبْرُد بَرْدًا وبُرودًا ؛ أي : مات . لسان العرب (برد) .

أصابتهم ؛ يعني : أن يظهروا ما في قلوبهم ؛ فيقتلهم رسول الله .

وفيه إضمار ، والإضمار الذي فيه يقول : إذا أصابتهم مصيبةٌ ، لم ينجهم منها ولم يُغْنِهم ، ثم رجع إلى الكلام الأول . إلى قوله : ﴿يصدون عنك صدودًا﴾ .

﴿ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحْسَانًا وتوفيقًا﴾ أي : إن أردنا إلا الخير .

قال الله : ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من الشرك والنفاق ﴿فأعرض عنهم﴾ فلا تقتلهم (ل٦٨) ما جعلوا يظهرون الإيمان ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا﴾ يقول لهم : إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتُكم .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ قال مجاهد[1]: واجب للرسل أن يطاعوا ، ولا يطيعهم أحدٌ إلا بإذن الله .

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم﴾ أي : اختلفوا فيه ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مما قضيت﴾ قال مجاهد : يعني : شكًا .

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال الكلبي : كان رجال من المؤمنين ورجال من اليهود جلوسًا فقالت اليهود : لقد استتابنا الله من أمر فتبنا إليه منه ، وما كان ليفعله أحدٌ غيرنا قتلنا أنفسنا في طاعة الله حتى رضي عنا . فقال ثابت بن

---

(١) رواه الطبري (٥/١٥٧) وابن المنذر (٢/٧٧٣ رقم ١٩٥٣) مختصرًا .

قيس بن شمَّاس : إن اللَّه يعلم لو أمرنا محمدٌ أن نقتل أنفسنا لقتلت نفسي ، فأنزل اللَّه : ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ .

قال محمد : من قرأ ﴿إلا قليلٌ﴾[١] فالمعنى : ما فعله إلا قليل[٢].

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم﴾ في العاقبة .

﴿وأشدّ تثبيتًا﴾ في العصمة والمنعة من الشيطان .

﴿وإذًا لآتيناهم من لدنَّا﴾ من عندنا ﴿أجرًا عظيمًا﴾ يعني : الجنة .

﴿ومن يطع اللَّه والرسول ...﴾ الآية .

تفسير قتادة[٣]: ذُكر لنا أن رجالاً قالوا : هذا نبي اللَّه نراه في الدنيا ، فأما في الآخرة فيرفع بفضله فلا نَراه ؛ فأنزل اللَّه هذه الآية .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فانفروا ثبات أو انفروا جميعًا﴾ الثبات : السرايا ، والجميع : الزحف .

قال محمد : الثُّباتُ : الجماعات المفترقة ، واحدها : ثُبَةٌ[٤].

---

(١) قرئ بالرفع وبالنصب ، فالنصب قراءة ابن عامر ، والرفع قراءة الباقين . ينظر السبعة (٢٣٥) ، التيسير (٩٦) ، النشر (٢/٢٥٠) .

(٢) وفي قراءة الرفع تفصيل نحوي آخر . ينظر من إعراب القرآن (١/٤٣١) مجمع البيان (٢/٧٠) ، البحر (٣/٢٨٥) ، الدر المصون (٢/٣٨٦) .

(٣) رواه الطبري (٥/١٦٣ - ١٦٤) وابن المنذر (٢/٧٨٢ رقم ١٩٧٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٠١) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) وجمع (ثبة) أيضًا (ثُبُون) ينظر لسان العرب (ثبى) .

﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ عن الغزو والجهاد، في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: ﴿ليبطئن﴾ معناه: يتأخر؛ يقال: أبطأ الرجل؛ إذا تأخر[١]، وبطُؤَ إذا ثقل[٢].

﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ أي: نكبة ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا﴾ حاضرًا ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ يعني: الغنيمة ﴿ليقولنَّ كأن لم يَكُن[٣] بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾ أي: أصبت من الغنيمة؛ وهؤلاء المنافقون.

وقوله: ﴿كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ فيما يظهر.

قال محمد: ﴿فأفوز﴾ منصوبٌ؛ على جواب التمني بالفاء[٤].

﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: يبيعون.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾ قال الحسن: يعني: وعن المستضعفين من أهل مكة من المسلمين.

﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ وهم مشركو أهل مكة[٥].

قال محمد: ﴿الظالم أهلها﴾ نعت للقرية[٦].

---

(١) يفهم من ذلك أن المصنف قرأ ﴿لَيُبْطِئَنَّ﴾، بتخفيف الطاء وهي من الفعل الرباعي (أبطأ)، وهي قراءة مجاهد. وقرأ الجمهور ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أي بتشديد الطاء من الفعل الرباعي بطَّأ ينظر: الإعراب للنحاس (١/٤٣٣)، البحر (٣/٢٩١).

(٢) ويقال: أبطأ وبطَّأ وبطؤ؛ أي: تكاسل وتثبط وثقل.

ينظر الدر المصون (٢/٣٩٠)، لسان العرب (بطؤ).

(٣) قرأ ابن كثير وحفص ورويس بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون بالياء على التذكير. النشر (٢/٢٥٠).

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٢٩٤)، الدر المصون (٢/٣٩٣).

(٥) في «ر»: هم من أهل مكة.

(٦) وفيه تفصيل نحوي ينظر من الدر المصون (٢/٣٩٥).

﴿واجعل لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿وليًّا﴾ .

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللَّه﴾ أي : في طاعة اللَّه ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وهم المشركون ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ أخبرهم أنهم يظهرون عليهم ؛ في تفسير الحسن .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ...﴾ الآية . قال الكلبي : كانوا مع النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ، وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرًا ؛ فقالوا : يا نبي اللَّه ألا تأذن لنا في قتال (هؤلاء القوم)[1]؛ فإنهم قد آذونا؟ فقال لهم رسول اللَّه ﷺ : « كفوا أيديكم عنهم ؛ فإني لم أؤمر بقتالهم » فلما هاجر رسول اللَّه ﷺ و[سار][2] إلى بدر وعرفوا أنه القتال كرهوا ، أو بعضهم .

(ل٦٩) قال اللَّه : ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا﴾ هلاَّ ﴿أخرتنا إلى أجلٍ قريب﴾ إلى الموت .

قال اللَّه للنبي : ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ أي : إنكم على كل حال ميتون ، والقتل خيرٌ لكم . ثم أخبرهم - ليعزيهم ويصبرهم - فقال : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيَّدة﴾ قال قتادة[3]: يعني : في قصور محصنة .

---

(١) في « ر » : هذه القرية .

(٢) لحق لم يظهر بحاشية الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطبري (١٧٢/٥) وابن المنذر (٧٩٧/٢ رقم ٢٠١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٠٣/٢) لعبد بن حميد أيضًا .

قال الحسن : ثم ذكر المنافقين خاصة فقال : ﴿وإن تصبهم حسنةٌ﴾ النصر والغنيمة ﴿يقولوا هذه من عند اللَّه وإن تصبهم سيئة﴾ نَكْبة من العدو ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي : إنما أصابنا هذا عقوبة مذ خرجت فينا ؛ يتشاءمون به .

﴿قل كلٌّ من عند اللَّه﴾ النصر على الأعداء والنكبة .

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا . ما أصابك من حسنة﴾ [فظهرت بها على المشركين][١] ﴿فمن اللَّه وما أصابك من سيئة﴾ من نكبة نُكِبُوا بها يوم أُحُدٍ . ﴿فمن نفسك﴾ أي : بذنوبهم ، وكانت عقوبة من اللَّه ؛ بمعصيتهم رسول اللَّه ؛ حيث اتبعوا المُدْبرين .

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه ومن تولَّى﴾ كفر ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالَهم ؛ حتى تجزيهم بها .

﴿ويقولون طاعة﴾ يعني به : المنافقين ؛ يقولون ذلك لرسول اللَّه ﷺ .

قال محمدٌ : وارتفعت ﴿طاعةٌ﴾ بمعنى : أَمْرُنا طاعة[٢].

﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيَّت طائفةٌ منهم﴾ قال قتادة[٣]: يعني غيَّرت طائفة منهم ﴿غير الذي تقول واللَّه يكتب ما يبيتون﴾ أي : يغيرون .

قال محمد : قيل : المعنى : قالوا وقدَّروا ليلاً غير [ما أتوك][٤] نهارًا ، والعرب تقول لكل ما فُكِّر

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : البحر (٣٠٢/٣) ، الدر المصون (٤٠١/٢) .
(٣) رواه الطبري (١٧٨/٥) وابن المنذر (٨٠٣/٢ رقم ٢٠٣٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٠٥/٢) لعبد بن حميد أيضًا .
(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

فيه ، أو خِيضَ فيه بليلٍ : قد بيّت[١]، ومن هذا قول الشاعر :

أَتَـوْنِـي فَـلَـمْ أَرْضَ مَـا بَـيَّـتُـوا وكَـانُـوا أَتَـوْنِـي لِأَمْـرٍ نُـكُـرْ[٢]

قوله : ﴿فأعرض عنهم﴾ لا تقتلهم ، ولا تحكم عليهم أحكام المشركين ؛ ما كانوا إذا لقوك أعطوك الطاعة ، ولم يظهروا الشرك .

﴿وتوكّل على اللّه﴾ فإنه سيكفيكهم ﴿وكفى باللّه وكيلا﴾ لمن توكّل عليه .

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يقول : لو تدبروه ، لم ينافقوا ولآمنوا . ﴿ولو كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ تفسير قتادة : قول اللّه لا يختلف هو حقٌّ ليس فيه باطل ، وإن قول الناس يختلف .

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾

قال قتادة[٣]: إذا جاءهم أمر من الأمن – أي : من أن إخوانهم آمنون ظاهرون – أو الخوف – يعني : القتل والهزيمة – أذاعوا به ؛ أي : أفشوه .

﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ أولي العلم منهم .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (بيت) .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للأسود بن يعفر ، ويروى :

أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بشـيء نكُره

ينظر اللسان (نكر) ، تاج العروس (نكر)

ونسبه الجاحظ في الحيوان لعبيد بن همام بلفظ :

أتوني ولـم أرض مـا بيتوا وقد طرقوني بأمر نكـر

ينظر الحيوان (٣٧٦/٤) .

(٣) انظر تفسير الطبري (١٨٠/٥) .

﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ الذين يفحصون عنه ، ويهمهم ذلك ، يقول : إذا كانوا أعلم بموضع الشكر في النصر والأمن ، وأعلم بالمكيدة في الحرب .

﴿ولولا فضلُ اللّه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ فضل اللّه الإسلام ، ورحمته القرآن .

قال يحيى : قوله : ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ فيه تقديم وتأخير ؛ يقول : لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان .

قال محمدٌ : قيل : إن هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين ، وضعفة من المسلمين ؛ كانوا إذا أعلم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم - أو إذا تجمع قومٌ يُخَافُ من جمع مثلهم - أذاع ذلك المنافقون ؛ ليحذر من يحبون أن يحذر من الكفار ، وليقوى قلب من يحبون أن يقوى قلبه ، وكان ضعفة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم منهم بالضرر في ذلك ؛ فقال اللّه : ﴿ولو ردوه إلى الرسول ...﴾ الآية .

﴿فقاتل في سبيل اللّه لا تكلف إلا نفسك وحرض﴾ (ل ٧٠) أي : أخبرهم بحسن ثواب اللّه في الآخرة للشهداء .

﴿عسى اللّه أن يكف بأس الذين كفروا﴾ وعسى من اللّه واجبة ﴿واللّه أشد بأسًا﴾ عذابًا ﴿وأشد تنكيلا﴾ عقوبة .

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ أي : حظٌّ ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ أي : إثم .

قال الحسن : (والشفاعة الحسنة ما يجوز)[1] في الدين أن يشفع فيه ، (والشفاعة السيئة ما يحرم

---

(١) في « ر » : والشفاعة ما يحبون .

في الدين أن يشفع فيه)[١].

﴿وكان الله على كل شيء مقيتًا﴾ أي: مقتدرًا؛ في تفسير الكلبي.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتَا[٢]

قوله: ﴿وإذا حييتم بتحيّة فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ التحية: السلام، ومعنى: ﴿أحسن منها﴾ إذا قال الرجل: السلام عليكم، رد عليه: السلام عليكم ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، رد عليه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومعنى: ﴿أو ردوها﴾ أي: رُدّ عليه مثل ما يسلم؛ وهذا إذا سلَّم عليك المسلم.

﴿إن الله كان على كل شيء حسيبًا﴾ **قال محمد**[٣]: يعني: محاسبًا؛ في قول بعضهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾﴾

---

(١) سقط من «ر».

(٢) البيت من الوافر، وهو للزبير بن عبد المطلب، أو لأبي قيس بن رفاعة. ويروى:

وذي ضغن كففت الودَّ عنه ... وكنت على إساءته مقيتا

ينظر: البحر (٣/٣٠٣)، الدر المصون (٢/٤٠٥)، إصلاح المنطق (٢٧٦) اللسان (قوت)

(٣) في «ر»: قال مجاهد.

﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ لا شك فيه ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾ أي : لا أحد أصدق منه .

﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ .

قال محمد : ﴿فئتين﴾ نصب على الحال[1] المعنى : أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟

﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ هم قومٌ من المنافقين كانوا بالمدينة ؛ فخرجوا منها إلى مكة ، ثم خرجوا من مكة إلى اليمامة تجارًا فارتدوا عن الإسلام ، وأظهروا ما في قلوبهم من الشرك ، فلقيهم المسلمون ، فكانوا فيهم (فئتين - أي :)[2] فرقتين - فقال بعضهم : قد حلَّت دماؤهم ؛ هم مشركون مرتدون ، وقال بعضهم : لم تحل دماؤهم ؛ هم قوم عرضت لهم فتنةٌ . فقال الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ وليس يعني : أنهم في تلك الحال التي أظهروا فيها الشرك منافقون ، ولكنه نسبهم إلى (خُبثهم)[3] الذي كانوا عليه مما في قلوبهم من النفاق ، يقول : قال بعضكم كذا ، وقال بعضكم كذا ؛ [هلاَّ][4] كنتُم فيهم فئةً [واحدة][5] ولم تختلفوا في قتلهم؟ ثم قال : ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ أي : ردهم إلى الشرك بما كان في قلوبهم من الشك[6] والنفاق .

﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ أي : في الكفر شَرْعًا سواء . ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي : لا توالوهم[7].

﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ فيرجعوا إلى الدار التي خرجوا منها ؛ يعني : المدينة ﴿فإن تولوا﴾ وأبوا الهجرة ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ ثم استثنى قَوْمًا نهى عن قتالهم ؛ فقال : ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ **قال محمد** : يعني : إلا من اتَّصل بقوم بينكم وبينهم

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : البحر المحيط (٣/٣١٠ - ٣١١) ، الدر المصون (٢/٤٠٧) .
(٢) سقط من « ر » .
(٣) في « ر » : أصلهم .
(٤) غير واضحة في الأصل . والمثبت من « ر » .
(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٦) في « ر » : الشرك .
(٧) في « ر » : لا تتولوهم .

ميثاقٌ ، ومعنى (اتصل) : انتسب[١].

قال يحيى : وهؤلاء بنو مُدْلج كان بينهم وبين قريش عَهْدٌ ، وكان بين رسول الله وقريش عهد ؛ فحرم الله من بني مدلج ما حرم من قريش ؛ وهذا منسوخ نسخته الآية ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[٢].

﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ أي : كارهة صدورهم .

﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ...﴾ الآية .

قال محمد : وتقرأ (حَصِرةً صدروهم)[٣] أي : ضاقت ؛ الحصر في اللغة : الضيق[٤].

قوله : ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ يعني : حجة ؛ وهذا منسوخ أيضًا ؛ نسخته آية القتال[٥].

﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ تفسير مجاهد[٦]: قال هم أُنَاسٌ من أهل مكة ؛ كانوا يأتون النبي يُسَلِّمون عليه رياءً ، ثم يرجعون إلى قريش يرتكسون في الأوثان[٧] يبتغون بذلك أن يأمنوا ها هنا وها هنا ؛ فأُمروا (ل٧١) بقتالهم ؛ إن لم يعتزلوا ويصلحوا .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ

(١) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (وصل) .

(٢) (التوبة : ٥) ، وينظر الناسخ والمنسوخ (ص٣٨) .

(٣) قرأ الجمهور (حصرت) فعلاً ماضيًا ، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب (حصرة) ونقلها المهدوي عن عاصم في رواية حفص .
ينظر : إتحاف الفضلاء (١٩٣) ، النشر (٢/٢٥١) البحر المحيط (٣/٣١٧ - ٣١٨) ، الدر المصون (٢/٤١١) .

(٤) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (حصر) .

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٩) .

(٦) رواه الطبري (٥/٢٠١) وابن أبي حاتم (٣/١٠٢٩ رقم ٥٧٦٩) .
وابن المنذر (٢/٨٢٧ رقم ٢١٠١) .

(٧) أي يرتدون إلى عبادتها . ينظر : لسان العرب (ركس) .

أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني: لا ينبغي لمؤمن ﴿أن يقتل مؤمنًا إلا خطئًا﴾ أي إلا أن يكون لا يتعمَّد لقتله.

﴿ومن قتل مؤمنًا خطئًا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعني: أهل القتيل ﴿إلا أن يصدقوا﴾ يعني: إلا أن يصدِّق أهل القتيل؛ فيتجاوزوا عن الدية.

﴿فإن كان من قوم عدوٍّ لكم وهو مؤمن﴾ قال الحسن: كان الرجل يسلم وقومه حَرْبٌ، فيقتله رجلٌ من المسلمين خطأً، ففيه تحرير رقبة مؤمنة [ولا دية][1] لقومه.

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلَّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ ما كان من عهد بين المسلمين وبين المشركين، أو أهل الذمَّة؛ فقتل رجلٌ منهم، ففيه الديةُ لأوليائه، وعتق رقبة مؤمنة.

﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من اللَّه﴾ تجاوزًا من اللَّه.

قال محمد: ﴿تَوْبَةً من اللَّه﴾ القراءة بالفتح[2]؛ المعنى: فعل اللَّه ذلك توبةً منه[3].

﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا ...﴾ الآية.

قال يحيى: بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لما أنزل اللَّه الموجبات التي أوجب عليها النار؛ لمن عمل بها: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا﴾ (أو أشياه)[4] ذلك كنا نبتُّ عليه الشهادة[5] حتى نزلت هذه الآية ﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فكففنا عن الشهادة.

---

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة الجمهور. البحر (٣/٣٢١).

(٣) وفي توجيه القراءة معان نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٣٢٤ - ٣٢٥) الدر المصون (٢/٤١٥).

(٤) في «ر»: أو ما أشبه.

(٥) أي: نقطع له بالنار، انظر تفسير الطبري (٥/١٢٥ - ١٢٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٠ - ٩٧١) وغيرهما.

يحيى : عن عاصم بن حكيم ، (عن خالد بن أبي كريمة ، عن عبد الله بن مِسْوَر ، عن محمد بن الحنفية)[(١)]، عن علي قال : « لا تنزلوا العارفين المحدثين الجنة ولا النار ، حتى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم القيامة »[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله ...﴾ الآية .

تفسير قتادة[(٣)]: هذا في شأن مِرْدَاسٍ رجلٍ من غطفان ؛ ذكر لنا أن نبيَّ الله بعث جيشًا عليهم غالبٌ الليثي إلى أهل فَدَك ، وفيها ناسٌ من غطفان ، وكان مرداس منهم ففر أصحابُه ، وقال لهم مرداس : إني مؤمن وإني غير متابعكم ؛ فصبَّحته الخيل غدوةً ، فلما لقوه سلَّم عليهم ، فدعاه أصحاب نبي الله ؛ فقتلوه ، وأخذوا ما كان معه من متاع ؛ فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيَّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَم[(٤)] لست مؤمنًا﴾ لأن تحية المؤمنين السلام ؛ بها يتعارفون ، ويلقى بعضهم بعضًا .

﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾ يعطيكموها ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي : ضُلَّالاً ﴿فمنَّ الله عليكم﴾ بالإسلام .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٩٢/٨) من طريق أيوب بن سويد عن سفيان عن خالد بن أبي كريمة بهذا الإسناد مرفوعًا .

وعبد الله بن مسور كان يضع الحديث ويكذب . ترجمته في الجرح والتعديل (١٦٩/٥ - ١٧٠) وضعفاء العقيلي (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦) والمجروحين (٢٤/٢) وميزان الاعتدال (٥٠٤/٢ - ٥٠٥) وغيرها .

(٣) رواه الطبري (٢٢٣/٥ - ٢٢٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٢١/٢) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة (السَّلَم) بفتح السين واللام من غير ألف . وقرأ باقي السبعة (السلام) بألف . وروي عن عاصم ﴿السِّلْم﴾ بكسر السين وسكون اللام ينظر : إتحاف الفضلاء (١٩٣) ، البحر (٣٢٨/٣) ، الدر المصون (٤١٦/٢) ، التيسير (٩٧) .

قال محمد : ومن قرأ : ﴿لمن ألقى إليكم السَّلَم﴾ فالمعنى : استسلم لكم[(١)].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن البراء بن عازب قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ ولم يذكر الضرر ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ جاء ابن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ ؛ فقال : أنا كما ترى - وكان أعمى - . فقال رسول الله : « ادعوا لي زيدًا وليأت باللوح أو الكَتِف[(٢)]، فأنزل الله : ﴿غَيْرَ أولي الضرر﴾ »[(٣)].

قال محمد : القراءةُ ﴿غَيْرَ﴾ بالفتح[(٤)]؛ على معنى : الاستثناء[(٥)].

﴿فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاًّ وعد الله الحسنى﴾ يعني : الجنة . وهذه نزلت بعدما صار الجهاد تطوُّعًا .

قال : ﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرة ورحمة ...﴾ الآية .

قال محمد : ﴿درجات﴾ نصبٌ على البدل ، من قوله : ﴿أجرًا عظيمًا﴾[(٦)].

---

(١) ينظر : الدر المصون (٢/٤١٦) .

(٢) في « ر » : والكتاب .

(٣) رواه البخاري (٦/٥٣ رقم٢٨٣١) ومسلم (٣/١٥٠٨ رقم ١٨٩٨) من طريق أبي إسحاق به .

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم . وقرأ الباقون بالرفع ، وعزا أبوحيان إلى الأعمش وأبي حيوة قراءة الجر . ينظر : السبعة (٢٣٧) ، التيسير (٩٧) ، النشر (٢/٢٥١) ، البحر (٣/٣٣٠ - ٣٣١) .

(٥) وفي توجيه النصب أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (١/٤٤٧) البحر (٣/٣٣٠ - ٣٣١) ، الدر المصون (٢/٤١٧) .

(٦) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (١/٤٤٨) ، البحر (٣/٣٣٣) ، الدر (٢/٤١٨) .

يحيى : (عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن مكحول)[1] قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لمائة درجة ، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله ، ولولا أن أَشُقَّ على أمتي ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، (ل٧٢) ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ، ما قعدت خلاف سرية تغزو ، وَلَوَدِدْتُ أني أُقْتَلَ في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم﴾ قالت لهم الملائكة : فيم كنتم؟ ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ يعني : مقهورين في أرض مكَّة ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ أي : إليها . تفسير قتادة[3]: قال : هؤلاء قوم كانوا بمكة تكلَّموا بالإسلام ؛

---

(١) في « ر » : عن عبد الرحمن بن مكحول . وهو خطأ ، وعبد الرحمن بن يزيد هو أبو عتبة عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي ، يروي عن مكحول ، ترجمته في التهذيب (٥/١٨ - ١٠) .

(٢) روى البخاري (١٤/٦ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

وروى البخاري (٢٠/٦ رقم ٢٧٩٧) ومسلم (١٤٩٥/٣ - ١٤٩٧ رقم ١٨٧٦) عن أبي هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده ، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أُقتل ثم أُحيا ، ثم أُقتل ثم أُحيا ، ثم أُقتل » .

(٣) رواه الطبري (٢٣٥/٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٢٧/٢) لعبد بن حميد أيضًا .

فلما خرج أبو جهل وأصحابه، خرجوا معه؛ فقتلوا يوم بَدْرٍ، واعتذروا [بالأعذار][(١)]، فأَبَىٰ اللَّه أن يقبل ذلك منهم، ثم عذر اللَّه الذين بمكة واستثناهم، فقال: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة﴾ أي: لا قوة لهم فيخرجون من مكة إلى المدينة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ لا يعرفون طريقًا إلى المدينة.

﴿فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم﴾ و﴿عسى﴾ من اللَّه واجبة.

﴿ومن يهاجر في سبيل اللَّه يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة﴾ أي: مُهَاجَرًا فيهاجر إليه.

قال محمدٌ: المراغم والمهاجر واحد؛ يقال: راغمتُ وهاجرتُ، وأصله: أن الرجل إذا أسلم خرج عن قومه مراغِمًا لهم؛ أي: مغاضبًا مقاطعًا[(٢)].

﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى اللَّه ورسوله ...﴾ الآية.

يحيى: عن قرة بن خالد، عن الضحاك بن مزاحم قال: «سمع رجلٌ من بني كنانة؛ أن بني كنانة قد ضربت الملائكةُ وجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ يوم بدر وقد أدنف[(٣)] للموت، فقال: أخرجوني إلى النبي. فوُجِّهَ إلى النبي ﷺ فانتهى إلى عقبة سماها تُوُفِّي بها؛ فأنزل اللَّه فيه هذه الآية»[(٤)].

﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم﴾ أن يقتلكم ﴿الذين كفروا﴾ هذا قَصْرُ صلاة الخوف.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ

---

(١) في الأصل: بلا عذر. والمثبت من «ر».

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (رغم).

(٣) أي: اشتد مرضه وأشرف على الموت. يقال منه: دَنِف يَدْنِف دَنَفًا فهو دَنف. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس (دنف).

(٤) رواه الطبري (٥/٢٣٩) من طريق قرة به.
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٢٩) لعبد بن حميد أيضًا.

وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ قال مجاهد[١]: « إن النبي ﷺ وأصحابه كانوا بِعُسْفَان ، والمشركون بِضَجْنَان[٢] فتواقفوا فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظُّهر أربعًا ؛ ركوعهم وسجودهم وقيامهم معًا ، فَهَمَّ بهم المشركون أن (يغيروا)[٣] على أمتعتهم وأثقالهم ، فأنزل الله ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ...﴾ الآية » .

قوله : ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذًى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم﴾ أي : يضعون أسلحتهم وهم (يحذرون)[٤].

قال محمد : ذكر يحيى سُنَّة صلاة الخوف ، ونقل فيها اختلافًا ؛ فاختصرت ذلك ؛ إذ له موضعه من كتب الفقه .

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا اللّه﴾ يعني : باللسان ﴿قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم﴾ تفسير قتادة : افترض اللّه ذِكْرَهُ عند القتال ﴿فإذا اطمأننتم﴾ يعني : في أمصاركم .

﴿فأقيموا الصلاة﴾ يقول : فأتموا الصلاة ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾ أي : مفروضًا . ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ أي : لا تضعفوا في طلبهم ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ يعني : وجع الجراح ﴿وترجون من اللّه ما لا يرجون﴾ أي : من ثوابه ما لا يرجو المشركون ، يرغِّبُهم بذلك في الجهاد .

---

(١) رواه الطبري (٥/٢٥٧) وابن أبي حاتم (٣/١٠٥٢ رقم ٥٨٩٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٣٥) لابن أبي شيبة وابن جرير .
(٢) جبل قرب مكة . وقيل : بناحية تهامة . ينظر : معجم البلدان (٣/٥١٤) .
(٣) في « ر » : يعدوا .
(٤) في « ر » : حذرون .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ في الوحي . ﴿ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ تفسير الحسن[١]: « أن رجلاً من الأنصار سرق درعًا فاتُّهم عليها حتى فَشَت القَالَةُ[٢]؛ أنه سرق الدرع ؛ فانطلق فاستودعها رجلاً من اليهود ، ثم أتى قومه ، فقال : ألم تروا إلى هؤلاء الذين اتهموني على الدرع ؛ فوالله مازلت أطلب وأبحث حتى وجدتها عند فلانٍ اليهودي ؛ فأتوا اليهوديَّ فوجدوا عنده الدِّرْع ، (ل٧٣) فقال : والله ما سرقْتُها ، إنما استوْدَعَنيها ثم قال الأنصاريُّ لقومه : انطلقوا إلى النبي ﷺ فقولوا له ، فليخرج فليعذرني ؛ فتسقط عني القَالَةُ ، فأتى قومُه رسولَ الله فقالوا : يا رسول الله ، اخرجْ فاعذر فلانًا ، حتى تسقط عنه القالة ، فأراد رسول الله أن يفعل ، فأنزل الله : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ أي : أن الأنصاري هو سرقها ؛ فلا تعذرنَّه[٣]، واستغفر الله مما كنت هَمَمْتَ به أن تعذره .

﴿وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢/٢٣٩) لابن المنذر في تفسيره .

(٢) القالة : اسم للقول الفاشي في الناس ؛ خيرًا كان أو شرًّا . ينظر : لسان العرب (قول) .

(٣) في « ر » : فلا تعذر له .

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب﴾ أي: إن الأنصاري [سرقها أي][١] خانها، والأنصاري: طُعْمَةُ بن أُبَيْرِقٍ وكان منافقًا».

﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾ (أي: يستحيون من الناس، ولا يستحيون من الله)[٢].

﴿وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ يعني: ما قال الأنصاري: إن اليهودي سرقها.

ثم أقبل على قوم الأنصاري فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾ أي: حفيظًا لأعمالهم؛ في تفسير الحسن (قال الحسن)[٣]: ثم استتابه الله، فقال: ﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ...﴾ إلى قوله: ﴿عليمًا حكيمًا﴾.

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا﴾ أي: [ما رمي به][٤] اليهودي وهو منها بريءٌ ﴿فقد احتمل بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيّنًا، قال الحسن: ثم قال لنبيه عليه السلام: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ فيما أرادوا من النبي ﷺ أن يعذر (عن)[٥] صاحبهم ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أي: حين جاءوا[٦] إليك لتعذره ﴿وما يضرونك﴾ ينقصونك ﴿من شيء﴾.

قال محمد: قيل: إن المعنى في قوله: ﴿أن يضلوك﴾ أي: أن يخطئوك في حكمك ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ لأنهم يعملون عمل الضالين، والله يعصم نبيه من متابعتهم.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».
(٣) سقط من «ر».
(٤) في الأصل: يرمى بها. والمثبت من «ر».
(٥) من «ر».
(٦) في «ر»: مشوا.

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ يعني: قوم الأنصاري. ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ قال الحسن: فلما أنزل الله في الأنصاري ما أنزل استحيى أن يقيم بين ظهراني المسلمين، فلحق بالمشركين؛ فأنزل الله: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ أي: يفارق ﴿من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ يعني: غير دين المؤمنين ﴿نولّه ما تولى﴾ قال الحسن: ثم استتابه الله، فقال: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾ الآية فلما نزلت هذه الآية رجع إلى المسلمين.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿إن يدعون من دونه إلا إناثًا﴾ قال الحسن: يعني: إلا أمواتًا.

قال يحيى: كقوله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[1] يعني: أصنامهم.

قال محمد: وقيل: المعنى: إلا ما سموه بأسماء الإناث؛ مثل اللات والعُزَّى ومناة.

﴿وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا﴾ قال الحسن: أي: إن تلك الأوثان لم تدعهم إلى عبادتها، إنما دعاهم إلى عبادتها الشيطان.

قال محمد: المريد: العاتي؛ يقال: مَريدٌ ومارِدٌ[2].

---

(١) النحل: ٢١.

(٢) ويقال أيضًا: مِرِّيد؛ أي: بكسر الميم، وتشديد الراء المكسورة.
ينظر: لسان العرب، القاموس (مرد).

قوله تعالى: ﴿لعنه الله وقال﴾ يعني: إبليس ﴿لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا﴾.

قال محمد: المعنى: أفترضه لنفسي.

﴿ولأضلنهم﴾ لأغوينهم ﴿ولأمنينهم﴾ أي: بأنهم لا عذاب عليهم ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ هي: البحيرة؛ كانوا يقطعون أطراف آذانها ويحرمونها.

﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن عباس[1]: هو الخصاء[2].

وقال الحسن[3]: هو ما تَشِمُ[4] النساء في أيديها ووجوهها؛ كان نساء أهل الجاهلية يفعلن ذلك.

﴿ولا يجدون عنها محيصًا﴾ ملجأ.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وعد الله حقًا ومن أصدق من الله قيلا﴾ أي: لا أحد.

﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ (ل٧٤) قال الحسن: قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا

---

(١) رواه الطبري (٢٨٢/٥).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٢ - ٢٤٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) الخِصاء: نزع الخصيتين. وقيل: قطع الذكر. لسان العرب (خصى).

(٣) روى الطبري (٢٨٥/٥) وابن أبي حاتم (١٠٧٠/٤ رقم ٥٩٨٦) عن الحسن في قوله ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال: الوشم.

وعزاه السيوطي في الدر (٢٤٦/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٤) مأخوذ من الوَشْم؛ وهو ما تفعله النساء من غرز الإبرة في البدن ثم ذَرّ مادة النيلج عليه حتى يزرق أو يخضر. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (وشم).

قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم[1]، ونحن أهدى منكم . قال المؤمنون : كذبتم ، إنا صدقنا بكتابكم ونبيكم ، وكذبتم بكتابنا ونبينا ، وكتابنا القاضي على ما قبله من [الكتب][2].

قال محمد : المعنى : ليس ثواب الله - عز وجل - بأمانيكم ، ولا أماني أهل الكتاب .

﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ .

يحيى : عن المعلّى بن هلال ، عن إسماعيل بن أبي خالد[3]، عن أبي بكر بن زهير « أن أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال له النبي ﷺ : أية آية؟ قال : قول الله : ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ فكل سوء عملناه نُجْزَى به يا رسول الله؟ فقال النبي : غفر الله لك يا أبا بكر ، أليس تمرض؟ أليس تحزن؟ أليس تَنْصَبُ[4]؟ أليس تَصيبك اللّأْواء[5] - يعني : الأوجاع والأمراض - ؟ قال : بلى . قال : فهو مما تجزون به »[6].

﴿ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله﴾ أي : أخلص ﴿وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفًا﴾ أي : لا أحد أحسن دينًا منه .

قال الكلبي : لما قالت اليهود للمؤمنين : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، وقال لهم

---

(١) زاد بعدها في «ر» : وكتابنا القاضي على ما قبله من الكتب .

(٢) في الأصل : الكتاب . والمثبت من « ر » .

(٣) في « ر » : إسماعيل بن خالد . وهو خطأ . وأبو خالد اسمه هرمز ، ويقال سعد ، ويقال كثير ، وإسماعيل بن أبي خالد ترجمته في تهذيب الكمال (٣/٦٩) .

(٤) أي : تتعب ؛ مأخوذ من النَّصَب ؛ وهو التعب . لسان العرب (نصب) .

(٥) وقيل : اللأواء : ضيق المعيشة . ينظر لسان العرب (لأى) .

(٦) رواه الإمام أحمد (١/١١) وأبو يعلى (١/٩٧ - ٩٨ رقم ٩٨ - ١٠١) والطبري في تفسيره (٥/ ٢٩٤، ٢٩٥) ، وابن حبان (٧/١٧٠ - ١٧١ رقم ٢٩١٠) والمروزي في مسند أبي بكر (١٤٧ - ١٤٨ رقم ١١١، ١١٢) وابن السني في اليوم والليلة (١٨٩ رقم ٣٩٢) والحاكم (٣/٧٤ - ٧٥) والبيهقي في سننه (٣/٣٧٣) والضياء في المختارة (١/ ١٥٩ - ١٦٠ رقم ٦٩، ٧٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال الضياء : قال أبو زرعة : أبو بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق مرسل .

قلت : قد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ من طرق ، وفي الباب عن عدة من الصحابة ، انظر تفسير ابن كثير (١/٥٥٧ - ٥٦٠) والدر المنثور (٢/٢٤٩ - ٢٥٠) ، وأصحها حديث أبي هريرة ، رواه مسلم (٤/١٩٩٣ رقم ٢٥٧٤) .

المؤمنون ما قالوا ؛ فأنزل الله : ﴿ليس بأمانيكم ...﴾ إلى قوله : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ ففضل الله المؤمنين على اليهود .

قال محمد : تفسير بعضهم : الخليل هو من باب الخلَّة والمحبّة التي لا خلل فيها[1].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿ويستفتونك في النساء﴾ قال الكلبي : « سئل رسول الله ﷺ [ما لهن][2] من الميراث ، فأنزل الله الربع والثمن » .

﴿قل الله يفتيكم فيهن...﴾ إلى قوله : ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي : عن أن تنكحوهن[3].

يحيى : عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن علي بن أبي طالب « أنه قال في قوله : ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب ...﴾ الآية ، قال : تكون المرأة عند الرجل بنت عمه يتيمة في حجره ، ولها مال فلا يتزوجها لذمامتها ، ولكن يحبسها حتى يرثها ، فنزلت هذه الآية ، فنهوا عن ذلك » .

وقوله : ﴿لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ يعني : ميراثهن .

وقوله : ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يقول : يفتيكم فيهن ، وفي المستضعفين من الولدان ؛ ألاَّ تأكلوا [من][4] أموالهم .

قال قتادة : وكانوا لا يورثون[5] الصغير ، وإنما كانوا يورثون[4] من يحترف ، وينفع ويدفع .

---

(١) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، المختار (خلل) .

(٢) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) أي : على حذف حرف الجر (عن) وفيه تفصيل نحوي واسع ينظر من : إعراب القرآن (٤٥٧/١) ، البحر (٣٦٠/٣ - ٣٦١) ، الدر المصون (٤٣٤/٢) .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) في « ر » : يرثون .

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ وهو تبع للكلام الأول، قل الله يفتيكم فيهن، وفي يتامى النساء، وفي المستضعفين من الولدان، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وإن امرأة خافت﴾ يعني: علمت ﴿من بعلها﴾ يعني: زوجها ﴿نشوزًا﴾ يعني: بغضًا ﴿أو إعراضًا فلا جناح﴾ لا حرج.

﴿عليهما أن يُصَّالَحَا[1] بينهما صلحًا والصلح خير ...﴾ الآية، قال بعضهم: هي المرأة تكون عند الرجل فتكبر فلا تلد، فيريد أن يتزوج عليها أشبَّ[2] منها، ويؤثرها على الكبيرة، فيقول لها: إن رضيت أن أوثرها عليكِ وإلا طلَّقتكِ، أو يعطيها من ماله على أن ترضى أن يؤثر عليها الشابة.

وقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي: شحت بنصيبها من زوجها للأخرى؛ فلم ترض.

﴿وإن تحسنوا﴾ [الفعل][3] ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾.

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ في الحب ﴿ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل﴾ قال الحسن: فتأتي واحدة، وتدع الأخرى ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ قال الحسن[4]: لا أيِّمٌ، ولا ذات بعل.

﴿وإن تصلحوا﴾ الفعل في أمرهن ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فإن الله كان غفورًا رحيمًا﴾.

قوله: ﴿وكان الله واسعًا حكيمًا﴾ أي: واسعًا لهما في الرزق (ل٧٥) حكيمًا في أمره.

---

(١) قرأ الكوفيون ﴿يُصْلِحا﴾ بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، وقرأ الباقون ﴿يَصَّالحا﴾ بفتح الياء والصاد واللام، وتشديد الصاد، وألف بعدها. النشر (٢/٢٥٢).

(٢) صيغة تفضيل من (الشباب)، والمراد: امرأة شابة صغيرة. لسان العرب (شبب).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) رواه الطبري (٥/٣١٦) وابن أبي حاتم (٤/١٠٨٤ رقم ٦٠٦٣).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

قوله : ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ لمن توكل عليه .

﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ [أي : يذهبكم](١) بعذاب الاستئصال .

﴿ويأت بآخرين﴾ [بقوم](١) يطيعونه .

﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ يعني : ثواب الآخرة لمن أراد الآخرة .

هو كقوله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ...﴾ إلى قوله : ﴿كان سعيهم مشكورًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ...﴾ إلى قوله : ﴿فالله أولى بهما﴾ يقول : اشهدوا على أنفسكم وعلى أبنائكم [وعلى آبائكم](٣) وأمهاتكم وقراباتكم ؛ أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إن يكن

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) الإسراء : ١٨ - ١٩.

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما﴾ أي : أولى بغناه وفقره منكم . قال قتادة[١]: يقول : لا يمنعك غنى غنيٍّ ، ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم .

﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ (فتدعوا)[٢] الشهادة .

﴿وأن تلووا﴾ ألسنتكم فتحرفوا الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ فلا تشهدوا بها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ .

قال الكلبي : خاطب بهذا من آمن من أهل الكتاب ؛ وذلك أنهم قالوا عند إسلامهم : أنؤمن بكتاب محمد ، ونكفر بما سواه؟!

فقال الله : ﴿قل آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله ...﴾ الآية .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ...﴾ الآية ، هم أهل الكتابين ، في تفسير قتادة[٣]. قال : آمنت اليهود بالتوراة ، ثم كفرت بها - يعني : ما حرفوا منها - وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت به - يعني : ما حرفوا منه .

﴿ثم ازدادوا﴾ كلهم ﴿كفرًا﴾ بالقرآن ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ قال الحسن : يعني : من مات

---

(١) رواه الطبري (٥/٣٢٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٥٧) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢) في « ر » : فتعدلوا .
(٣) رواه الطبري (٥/٣٢٧) وابن أبي حاتم (٤/٢٠٩١ رقم ٦١١٢، ٦١١٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٥٨) لعبد بن حميد وابن جرير .

منهم على كفره .

﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أي: سبيل هدى ؛ يعني : الأحياء ، وأراد بهذا عامتهم ، وقد تسلم الخاصة منهم .

﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًاالذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ كانوا يتولون اليهود ، وقد أظهروا الإيمان .

﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أي : أيريدون بهم العزة؟!

﴿وقد نُزِّلَ[1] عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ يعني : ما أنزل في سورة الأنعام : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ...﴾[2] الآية .

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿الذين يتربصون بكم﴾ هم المنافقون ؛ كانوا يتربصون برسول الله وبالمؤمنين ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ نصر وغنيمة ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾ .

﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ نكبة على المؤمنين ﴿قالوا﴾ للكافرين ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي : ندين بدينكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ يعنون : من آمن بمحمد ﷺ أي : كنا لكم عيونًا نأتيكم بأخبارهم ، ونعينكم عليهم ؛ وكان ذلك في السر . قال الله : ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ فيجعل المؤمنين في الجنة ، ويجعل الكافرين في النار .

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ أي : حجة في الآخرة .

---

(١) قرأ عاصم ويعقوب بفتح النون والزاي ، وقرأ الباقون بضم النون وكسر الزاي . النشر (٢/٢٥٣) .

(٢) الأنعام : ٦٨.

﴿إن المنافقين يخادعون اللَّه﴾ بقولهم : ﴿إذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾(١) وهو خداعهم .

قال محمد(٢): يجازيهم جزاء الخداع .

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ عنها ﴿يراءون الناس﴾ يظهرون ما ليس في قلوبهم .

﴿ولا يذكرون اللَّه إلا قليلاً﴾ قال الحسن(٣): إنما قَلَّ ؛ لأنه كان لغير اللَّه .

﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ قال قتادة(٤): (ل٧٦) ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا بمشركين مُصَرِّحِين ﴿ومن يضلل اللَّه﴾ عن الهدى ﴿فلن تجد له سبيلًا﴾ يعني : سبيل هدى .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ يقول : لا تفعلوا كفعل المنافقين ؛ اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين ﴿أتريدون أن تجعلوا للَّه عليكم سلطانًا مبينًا﴾ قال ابن عباس(٥): حجة بيّنة .

---

(١) البقرة : ١٤.

(٢) في « ر » : قتادة .

(٣) رواه الطبري (٥/٣٣٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٣٤٤ رقم ٦٨٦٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٥٩) لابن أبي شيبة وابن المنذر أيضًا .

(٤) رواه الطبري (٥/٣٣٦) وابن أبي حاتم (٤/١٠٩٧ رقم ٦١٤٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٥٩) لابن جرير وابن المنذر .

(٥) روى عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٩٩) وابن أبي حاتم (٣/١٠٣٠ رقم ٥٧٧٨، ٤/١٠٩٧ رقم ٦١٥١) وابن مردويه ومن طريقه الضياء المقدسي في المختارة (١٠/٣١٤ رقم ٣٣٥) - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كل =

﴿إن المنافقين في الدَّرْكِ[١] الأسفل من النار﴾ وهو الباب السابع الأسفل .

﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ أي : أن الله غنيٌّ لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا .

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ قال قتادة[٢]: عذر الله المظلوم أن يدعو . وقال مجاهد[٣]: هو الضيف ينزل فيحول رحله[٤]، فيقول : فعل الله[٥] به ، لم ينزلني! ﴿إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء ...﴾ الآية هو كقوله : ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[٦].

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ قال قتادة[٧]: هم اليهود

= سلطان في القرآن فهو حجة .

وعلقه البخاري (٨/ ٢٤٠) في كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٤٣/٨) وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، وهذا على شرط الصحيح ، ورواه الفريابي بإسناد آخر . اهـ .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٢٦٠) لابن المنذر أيضًا .

(١) قرأ الكوفيون بإسكان الراء ، وقرأ الباقون بفتحها . النشر (٢٥٣/٢) .

(٢) رواه الطبري (١/٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦١/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٦/١) وسعيد بن منصور (١٤٢٣/٤ رقم ٧٠٧) والطبري (٢/٦) وابن أبي حاتم (١١٠٠/٤ رقم ٦١٧٠) بمعناه .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦١/٢) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) كناية عن عدم استضافته ، وتقديم القِرَى له .

(٥) أي : وسَّع عليه في الرزق .

(٦) آل عمران : ٢٩.

(٧) رواه الطبري (٦/٦) وابن أبي حاتم (١١٠١/٤ رقم ٦١٧٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦١/٢) لعبد بن حميد وابن جرير .

والنصارى ؛ آمنت اليهود بالتوراة وبموسى ، وكفروا بالإنجيل وعيسى ، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى ، وكفروا بالقرآن ومحمد - على جميعهم السلام .

﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ قال السُّدي : يعني : دينًا . قال اللَّه : ﴿أولئك هم الكافرون حقًّا ...﴾ الآية .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

﴿والذين آمنوا باللَّه ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم﴾ هو كقوله : ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ...﴾[(١)] الآية .

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء﴾ أي : خاصة عليهم ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا اللَّه جهرة﴾ أي : عيانًا ﴿وآتينا موسى سلطانًا مبينًا﴾ حجّة (بيّنة)[(٢)].

﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ...﴾ الآية ، قد مضى تفسيره في سورة البقرة[(٣)].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ

---

(١) البقرة : ١٣٦.

(٢) سقط من « ر » .

(٣) أي : عند تفسير قوله : تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ...﴾ البقرة : ٦٣، ٩٣.

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي : فبنقضهم ميثاقهم ، و(ما) صلة[١].

﴿وقولهم قلوبنا غلفٌ﴾ قد مضى تفسيره[٢].

قال اللّه : ﴿بل طبع اللّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ قال قتادة : قَلَّ من آمن من اليهود .

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا﴾ هو ما قذفوا به مريم .

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم﴾ (مسح)[٣] بالبركة .

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ قال قتادة[٤]: ذكر لنا أن عيسى قال لأصحابه : أيكم يُقْذَفُ عليه شبهي ؛ فإنه مقتول؟ قال رجل من أصحابه : أنا يا رسول اللّه . فقتل ذلك الرجل ، ومنع اللّه نبيه (ورفعه إليه)[٥].

﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم﴾ كان بعضهم يقول : هم النصارى ، اختلفوا فيه فصاروا ثلاث فرق .

قال اللّه : ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا﴾ (أي : ما قتلوا ظنهم يقينًا)[٦] ﴿بل رفعه اللّه إليه وكان اللّه عزيزًا حكيمًا﴾ .

﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال قتادة[٧]: يعني : قبل موت عيسى إذا نزل .

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (٤٦٧/١ - ٤٧٠) البحر (٣٨٨/٣ - ٣٩٤) الدر المصون (٤٥٥/٢) .

(٢) أي : عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ (البقرة : ٨٨) .

(٣) في « ر » : مسيح .

(٤) رواه عبد الرزاق (١٧٧/١) والطبري (١٤/٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٢/٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٥) في « ر » : ورفعه اللّه .

(٦) رواه الطبري (١٧/٦) وابن أبي حاتم (١١١١/٤ رقم ٦٢٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال الطبري : فالهاء في ﴿وما قتلوه﴾ عائد على الظن .

(٧) رواه عبد الرزاق (١٧٧/١) والطبري (٦/ ١٨، ١٩) وابن أبي حاتم (١١٤/٤ رقم ٦٢٥٤) . ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٩٦ رقم ١١٦) من طريق يحيى به .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٥/٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

وقال السدي : يقول لا يموت منهم أحدٌ حتى يؤمن بعيسى ؛ أنه عبد اللَّه ورسوله ، فلا ينفعه ذلك عند معاينة ملك الموت .

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾ أي : يشهد عليهم ؛ أنه قد بلغ رسالة ربه ، وأقر بالعبودية على نفسه .

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا﴾ قال مجاهد(١): صدوا أنفسهم وغيرهم .

﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ قال قتادة(٢): استثنى اللَّه منهم من كان يؤمن باللَّه وما أنزل عليهم ، وما أنزل على نبي اللَّه .

قال محمد : اختلف (ل٧٧) القول في إعراب ﴿والمقيمين الصلاة﴾ فقال بعضهم : المعنى : يؤمنون بما أنزل إليك ، وبالمقيمين الصلاة ؛ أي : ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة .

وقال بعضهم : المعنى : واذكر المقيمين الصلاة ، وهم المؤتون الزكاة(٣).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

---

(١) رواه الطبري (٦/٢٤) وابن أبي حاتم (٤/١١١٥ رقم ٦٢٦١) بمعناه .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٧٠) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) رواه الطبري (٦/٢٥) وابن أبي حاتم (٤/١١١٦ رقم ٦٢٧٠) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٧٠) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) وينظر في تفصيل إعراب الآية : إعراب القرآن (١/٤٧٠ - ٤٧٢) ، الكتاب (١/٢٤٨ - ٢٤٩) ، البحر (٣/٣٩٥ - ٣٩٦) ، الدر المصون (٢/٤٦١ - ٤٦٣) .

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم﴾ أي : وكما أوحينا إلى إبراهيم ﴿وإسماعيل ...﴾ إلى قوله : ﴿والأسباط﴾ والأسباط : يوسف وإخوته .

﴿وآتينا داود زبورًا﴾ يعني : كتابًا ؛ وكان داود بين موسى وعيسى ، وليس في الزبور حلالٌ ولا حرام ، وإنما هو تحميد وتمجيد وتعظيم لله .

﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل﴾ **قال محمد** : المعنى : وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ .

قال يحيى : قال بعضهم : « قيل : يا رسول الله ، كم المرسلون؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً جماء الغفير . قيل : أكان آدم نبيًّا مكلمًا أو غير مكلم؟ قال : بل كان نبيًّا مكلمًا »[1].

---

(١) رُوي عن أبي ذر وأبي أمامة وعوف بن مالك ﷺ .
أما حديث أبي ذر ﷺ فله عنه طرق :
منها : المسعودي عن أبي عمر - أو عمرو - الدمشقي عن عبيد بن خشخاش عنه . رواه الإمام أحمد (٥/ ١٧٨ ، ١٧٩) والطيالسي (٦٥ رقم ٤٧٨) وابن سعد في الطبقات (٣٢/١) والبزار في مسنده (٤٢٦/٩ - ٤٢٧ رقم ٤٠٣٤) والمزي في التهذيب (٢٠٤/١٩ - ٢٠٥) والبيهقي في الشعب (٣٧٧/١ - ٣٧٨ رقم ١٢٩) .
قال البزار : وهذا الكلام لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أبي ذر ، وعبيد بن الخشخاش لا نعلم روى عن أبي ذر إلا هذا الحديث .
ومنها : يحيى بن سعيد - وقيل : ابن سعد - القرشي ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي ذر . رواه ابن حبان في المجروحين (١٢٩/٣) وابن عدي في الكامل (١٠٦/٩ - ١٠٧) والحاكم (٥٩٧/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/١) والبيهقي في السنن (٤/٩) وفي الشعب (٣٧٩/١ - ٣٨١ رقم ١٣١) وابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٢٧٦ - ٢٧٩) .
وقال ابن حبان : وليس من حديث ابن جريج ولا عطاء ولا عبيد بن عمير ، وأشبه ما فيه رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر . أخبرناه القطان ، قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، قال : حدثني أبي ، عن جدي ، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر بطوله اهـ . =

= وقال ابن عدي : وهذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر ، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر ، والثالث حديث ابن جريج ، وهذا أنكر الروايات ، ويحيى بن سعد هذا يُعرف بهذا الحديث . اهـ .
وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : قلت : السعدي ليس بثقة .
ومنها : إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر . رواه ابن حبان في صحيحه (٧٦/٢ - ٧٩ رقم ٣٦١) و في المجروحين(١٣٠/٣) وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/١) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير(٥٨٥/١) - وابن عساكر في تاريخه (٢٧٣/٢٣ - ٢٧٦) .
قلت : إبراهيم كذبه أبو حاتم الرازي ، وقال الذهبي في الميزان (٣٧٨/٤) : إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان ؛ فلم يصب .
وقال ابن كثير : وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه « الأنواع والتقاسيم » وقد وسمه بالصحة ، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي ؛ فذكر هذا الحديث في كتابه « الموضوعات » واتهم به إبراهيم بن هشام هذا ، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث ، والله أعلم . اهـ .
وقال نحوه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٩١/٢) .
وقال ابن عساكر : رواه أبو الحسن بن جوصا عن أبي حارثة أحمد بن إبراهيم عن هشام عن أبيه . وكذلك رواه عن أبي إدريس الخولاني القاسم بن محمد الثقفي ومولى ليزيد بن معاوية .
ومنها : عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن محمد بن أيوب ، عن عبد الرحمن بن عائذ ، عن أبي ذر . رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٥٤/٣ - ١٥٥ رقم ١٩٧٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٤/٧ - ٤٥٥، ٢٧٦/٢٣) .
ومنها : الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر . رواه الطبري في تاريخه (١٥٠/١ - ١٥١) .
ومنها : جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر قال : « قلت : يا نبي الله ، أنبيًّا كان آدم؟ قال : نعم كان نبيًّا ، كلمه الله قبلا » رواه الطبري في تاريخه (١٥١/١) .
ومنها : معان بن رفاعة ، عن على بن يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر ، نحو سابقه . رواه ابن عساكر (٤٤٥/٧) والمشهور في هذا الإسناد عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي ﷺ وسيأتي .
ومنها : هشام بن سليمان ، عن أبي رافع ، عن يزيد بن رومان ، عمن أخبره ، عن أبي ذر . رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في مسنده - كما في المطالب العالية (٤٩/٤ - ٥٠ رقم ٣٤٥٧) وإتحاف الخيرة (٢٣١/١ - ٢٣٣ رقم٢/٣٣٧) .
ومنها : يونس بن محمد ، عن حماد بن سلمة ، عن معبد بن هلال ، عن رجل ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر . رواه الحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (٢٦٨/١ رقم٦٦٢/١) .
وأما حديث أبي أمامة ﷺ ، فله طريقان : الأول : معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة . رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٥/٥ - ٢٦٦) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٩٠) - وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٨/٤ رقم ٦٢٨٣) والطبراني في الكبير (٢١٧/٨ - ٢١٨ رقم ٧٨٧١) . =

قال محمد : يقال : جاء القوم جَمًّا غفيرًا ، أو جماء الغفير - إضافة - أي : كلهم بلفِّهم ولفيفهم(١).

﴿وكلم اللَّه موسى تكليمًا﴾ أي : كلامًا من غير وحي .

﴿مبشرين ومنذرين﴾ يعني : مبشرين بالجنة ، ومنذرين بالنار .

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿لكن اللَّه يشهد بما أنزل إليك﴾ يعني : القرآن ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾ أنه أنزله إليك .

﴿وكفى باللَّه شهيدًا﴾ **قال محمد** : المعنى : وكفى اللَّه شهيدًا ، والباء مؤكدة(٢).

= قال ابن كثير في تفسيره (٥٨٦/١) : معان بن رفاعة السلامي ضعيف ، وعلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا .

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٩١/٢) : ومعان وعلي بن يزيد والقاسم ؛ ثلاثتهم ضعفاء .

والثاني : معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة .

رواه الطبراني في الكبير (١١٨/٨ - ١١٩ رقم ٧٥٤٥) والأوسط (١٢٨/١ رقم ٤٠٣) ومسند الشاميين (١٠٥/٤ رقم ٢٨٦١) وابن حبان (٦٩/١٤ رقم ٦١٩) والحاكم (٢٦٢/٢) وابن عساكر (٤٤٥/٧ - ٤٤٦) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به معاوية بن سلام .

وأما حديث عوف بن مالك ﷺ ؛ فيرويه النضر بن شميل ، عن حماد بن سلمة ، عن معبد بن هلال ، أخبرني فلان في مسجد دمشق ، عن عوف بن مالك .

رواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٢٦٧/١ رقم ٦٦١) و إتحاف الخيرة (٢٣٣/١ رقم ٣٣٧/٣) .

(١) ويقال منه أيضًا : جاء القوم جَمُّ الغفير ، والجَمُّ الغفير ؛ أي : جاءوا كلهم مجتمعين كثيرين . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (جمم) .

(٢) ينظر البيان (٢٧٨/١) ، البحر (٣٩٩/٣) ، الدر المصون (٤٦٧/٢) .

﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ أي: أنفسهم.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ يعني: إذا ماتوا على كفرهم ﴿ولا ليهديهم طريقًا﴾ أي: طريق هدًى؛ يعني: العامة من أحيائهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (١٧١) لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (١٧٣)﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الغُلُوُّ: تعدي الحق.

قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ أي: أنه كان من غير بشر.

﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ...﴾ الآية. أي: آلهتنا ثلاثة ﴿انتهوا خيرًا لكم﴾ ﴿إنما الله إله واحد﴾ **قال محمد**: اختلف القول في قوله: ﴿خيرًا لكم﴾ والاختيار أنه محمول على معناه؛ كأنه قال: انتهوا وائتوا خيرًا لكم[1]. وكذلك قوله: ﴿فآمنوا خيرًا لكم﴾[2] هو على مثل هذا المعنى.

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله﴾ أي: لن يحتشم ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ أن يكونوا عبادًا لله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا (١٧٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا (١٧٥) يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ

---

(١) وفيه تفصيل نحوي واسع، ينظر في: إعراب القرآن (١/٤٧٤ - ٤٧٥)، مجمع البيان (٢/٢٤٣)، البحر (٣/٤٠٠) الدر المصون (٢/٤٦٨ - ٤٦٩).

(٢) النساء: ١٧٠.

ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قال مجاهد[1]: يعني : حجة ﴿وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾ بينًا ؛ يعني : القرآن .

﴿ويهديهم إليه﴾ (أي : في الدنيا)[2] ﴿صراطًا مستقيمًا﴾ .

﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ قال قتادة[3]: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد ولا جدٌّ .

قوله : ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ لئلا تضلوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾ .

قال محمد : ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض ؛ فاختصرت كثيرًا منها ؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه ، ولا توفيق إلا بالله [وهو حسبي ونعم الوكيل][4].



(١) رواه الطبري (٣٩/٦) وابن أبي حاتم (١١٢٥/٤ رقم ٦٣٢٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٧٣/٢) لابن جرير وابن المنذر .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٧/١) والطبري (٢٨٥/٤) .

(٤) من « ر » .

الموضوع	الصفحة

تفسير سورة المائدة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣) ﴾

قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ قال الكلبي : يعني : العهود التي أخذ الله على العباد فيما أحل لهم وحرم عليهم ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ والأنعام : الإبل والبقر والغنم[1] ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يقرأ : مما حرم من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك مما نهى عنه .

﴿غير محلي الصيد﴾ من غير أن تحلوا الصيد ﴿وأنتم حرم﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام﴾ وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتال المشركين كافّة .

---

(١) والأنعام واحدها : نَعَم . ينظر لسان العرب (نعم) .

قوله : ﴿ولا القلائد﴾ يعني : أصحاب القلائد[١]، وكانت القلائد أن الرجل إذا خرج من أهله حاجًا أو معتمرًا ، وليس معه هدي جعل في عنقه قلائد من شعر أو [وَبَرٍ ، فأمن][٢] بها إلى مكة وإذا (ل٧٨) خرج من مكة تعلق من لحاء[٣] شجر مكة ، فيأمن به إلى أرضه .

وقوله : ﴿ولا آمّين البيت الحرام﴾ يعني : حجاج المشركين ، والفضل والرضوان الذي كانوا يبتغونه أن يصلح الله لهم معايشهم في الدنيا ، وألا يعاقبهم فيها .

قال محمد : واحد ﴿آمّين﴾ آمّ ؛ وهم القاصدون[٤]، وشعائر الله : ما جعله الله علمًا لطاعته ، واحدها : شعيرة[٥]، والشهر الحرام (محرم)[٦]؛ يقول : لا تقاتلوا فيه .

﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ أي : إذا خرجتم من إحرامكم وهي إباحة ؛ إن شاء صاد ، وإن شاء ترك .

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ لا يحملنكم بغض قوم .

﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ .

قال الكلبي : يعني بالقوم : أهل مكة ؛ يقول : لا تعتدوا عليهم ؛ لأن صدوكم عن المسجد الحرام .

وقال الحسن : كان هذا حين صدوه يوم الحديبية عن المسجد الحرام .

قال محمد : ﴿يجرمنكم﴾ حقيقته في اللغة : يُكْسِبنكم ؛ يقال : فلان جارم أهله [وجرمة أهله][٧] أي : كاسبهم ، وتقول : جرمني كذا ؛ أي : كسبني كذا . وفيه لغة أخرى : أجرمني[٨].

---

(١) ويجوز أن يكون المراد : القلائد حقيقة . ينظر الدر المصون (٢/٤٨١) والقلائد : واحدها قلادة : وهي ما يعلّق في العنق ، يكون ذلك للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (قلد) .

(٢) بياض بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) المراد : قِشْر الشجر ، والجمع : أَلْحِيَةٌ ولُحِيٌّ . ينظر لسان العرب (لحو) .

(٤) لسان العرب ، القاموس المحيط ، المختار (أمم) .

(٥) لسان العرب ، القاموس المحيط ، المختار (شعر) .

(٦) سقط من « ر » .

(٧) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٨) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (جرم) .

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير اللّه به﴾ يعني : ما ذبح لغير اسم اللّه .

قال محمد : أصل الإهلال : رفع الصوت[١]؛ فكأن المعنى : ما ذُكر عند ذبحه غير اللّه .

﴿والمنخنقة﴾ قال الحسن : هي التي تختنق في حبلها فتموت ، وكانوا يأكلونها ﴿والموقوذة﴾ كانوا يضربونها بالخشبة حتى تموت ، ثم يأكلونها .

قال محمد : الوقذة : الضربة ؛ يقال : وَقَذْتها أقذُها وَقْذًا ، وفيه لغة أخرى : أوقذتها أُوقِذها إيقاذًا[٢].

﴿والمتردية﴾ التي تتردَّى في بئر فتموت ﴿والنطيحة﴾ يعني : الكبشين [يتناطحان][٣] فيموت أحدهما .

﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾ يعني : ما أدركتم ذكاته من هذا كله ما خلا الخنزير ﴿وما ذبح على النصب﴾ حجارة كانت [يعبدونها][٤] أهل الجاهلية ، ويذبحون لها ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ قال قتادة[٥]: هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور ، فكان الرجل إذا أراد سَفَرًا أخذ قدحًا ؛ فقال : هذا يأمرني بالخروج ، ويأخذ قدحًا آخر فيقول : هذا يأمرني بالمكوث .

قال محمد : أُخذ الاستقسام من القسم ، وهو النصيب ؛ فكأن الاستقسام طلب النصيب[٦].

﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ قال الحسن : يئسوا أن يستحلوا فيه ما استحلوا في دينهم .

﴿فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال قتادة[٧]: ذكر لنا أنها نزلت على نبي اللّه ﷺ يوم جمعة ، يوم عرفة حين نفى اللّه المشركين عن المسجد الحرام ،

---

(١) ينظر : المصادر السابقة (هلل) .

(٢) ينظر : المصادر السابقة (وقذ) .

(٣) في الأصل : ينتطحان . والمثبت من « ر » .

(٤) في «ر» (تعبدها) والمثبت من الأصل على لغة «أكلوني البراغيث» .

(٥) رواه عبد الرزاق (١٨٣/١) والطبري (٧٧/٦) .

(٦) لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (قسم) .

(٧) رواه عبد الرزاق (١٨٤/١) والطبري (٨١/٦) .

وأخلص للمسلمين حَجُّهُمْ .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن عمار مولى بني هاشم ، عن ابن عباس « أنه قرأ هذه الآية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ...﴾ وعنده رجل من اليهود ؛ فقال اليهودي : لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا . فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عِيدَيْن اثنين : يوم جمعة ، ويوم عرفة »[1].

﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ قال قتادة[2]: أي : في مجاعة[3]؛ رجع إلى الكلام الأول من قوله : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ...﴾ إلى آخر الآية ﴿غير متجانف لإثم﴾ أي : متعمد .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿يسألونك ماذا أُحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ يعني : الحلال من الذبائح .

﴿وما علَّمتم من الجوارح مكلبين﴾ أي : مضرين[4] ﴿تعلمونهن مما علمكم اللّه﴾ قال مجاهد[5]: الجوارح هي من الطير والكلاب .

---

(١) رواه الطيالسي (٣٥٣ رقم ٢٧٠٩) والترمذي (٥/٢٢٣ رقم ٣٠٤٤) والطبري في تفسيره (٦/٨٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٨٤ - ١٨٥ رقم ١٢٨٣٥) والواحدي في أسباب النزول (ص١٤٠) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس ، وهو صحيح .

قلت : وهو ثابت عن عمر بن الخطاب ﷺ رواه البخاري (٨/١١٩ رقم ٤٦٠٦) ومسلم (٤/٢٣١٢ - ٢٣١٣ رقم ٣٠١٧) .

(٢) رواه عبد الرزاق (١/١٨٤) والطبري (٦/٨٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٨٤ - ٢٨٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣) في « ر » : جماعة . وهو تصحيف ظاهر .

(٤) الضَّاري من الجوارح : المدرَّب على الصيد . لسان العرب (ضرى) .

(٥) رواه الطبري (٦/٨٩) .

قال محمد : ﴿مكلِّبين﴾ نصب على الحال[١]؛ يقال : رجل مُكَلِّب وكَلَّاب ؛ إذا كان صاحب صيد بالكلاب[٢]؛ المعنى : وأحل لكم صيد ما علمتم ؛ وهذا من الاختصار [إذ كان في الكلام ما][٣] يدل عليه .

﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ قال السدي : (ل٧٩) يعني : كأنه قد جاء الحساب .

﴿اليوم أُحلَّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم﴾ يعني : ذبائحهم ﴿وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ المحصنات ها هنا : الحرائر ، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ يعني : الصداق إذا [سماه][٤] لها ، ولا بأس أن يدخل عليها قبل أن يعطيها إياه .

﴿محصنين غير مسافحين﴾ يعني : ناكحين غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ يعني : الخليل والخليلة في السِّرِّ .

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال قتادة[٥]: لما نزل تحليل نساء أهل الكتاب ؛ ذكر لنا أن رجالاً قالوا : كيف نتزوَّج نساءً على غير ديننا؟ فأنزل الله : ﴿ومن يكفر بالإيمان ...﴾ الآية .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن

= وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٨٦) لعبد بن حميد أيضًا .

(١) وفيه تفصيل نحوي ينظر من : البحر المحيط (٣/٤٢٩) ، الدر المصون (٢/٤٨٩) .

(٢) قال الزجاج : (رجل مُكَلِّب - يعني بالتشديد - ومُكْلِب - يعني من : أكلب ، وكلَّاب - يعني : بتضعيف اللام - أي : صاحب كلاب) . الدر المصون (٢/٤٨٩) ، لسان العرب (كلب) .

(٣) بياض في الأصل . والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) رواه الطبري (٦/١٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٠٩) لعبد بن حميد .

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ...﴾ الآية .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء : « أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء . قالت : فأتيته بإناء به ماء قدر مُدٍّ وثلث (أو مُدٍّ وربع)[1] فغسل يديه ثلاثًا قبل أن يدخلهما في الإناء ، ثم مضمض ثلاثًا ، واستنشق ثلاثًا ، وغسل وَجْهه ثلاثًا ، وغسل ذراعيه ثلاثًا ثلاثًا ، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر ، ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما ، وغسل رجليه [ثلاثًا][2] قالت : فأتاني غلامٌ من بني عبد المطلب - يعني : ابن عباس - فحدثته هذا الحديث ، فقال : أبى الناس إلا الغسل ، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح »[3].

﴿وإن كنتم جنبًا فاطهروا﴾ .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة (عن الحسن)[4]، عن أبي هريرة قال : « تحت كل شعرة جنابة ؛

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) سقط من الأصل . والمثبت من «ر» .

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/٣٥٨) والحميدي (١/١٦٣ - ١٦٤ رقم ٣٤٢) والدارقطني (١/٩٦ رقم ٥) والبيهقي (١/٧٢) من طريق سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل به .

وقال البيهقي : فهذا - إن صح - فيحتمل أن ابن عباس كان يرى القراءة بالخفض ، وأنها تقتضي المسح ، ثم لما بلغه أن النبي ﷺ توعد على ترك غسلهما أو ترك شيء منهما ذهب إلى وجوب غسلهما ، وقرأها نصبًا ، وقد روينا عنه أنه قرأها نصبًا .

وقد روى حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع دون قول ابن عباس ، جماعة كثيرة .

وقد رُوي نحو قول ابن عباس هذا عن أنس وغيره ، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٢/٢٥) ثم قال : فهذه آثار غريبة جدًا ، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين ، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض - يعني : قراءة من قرأ ﴿وأرجلِكم﴾ - بالجر - إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب : جحر ضب خرب ، وكقوله تعالى : ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع ، ومنهم من قال : هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان . قاله أبو عبد الله الشافعي - رحمه الله - ومنهم من قال : هي دالة على مسح الرجلين ، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة . وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضًا لابد منه للآية والأحاديث التي نوردها . ثم ذكر ابن كثير - رحمه الله - الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لابد منه .

(٤) سقط من « ر » .

فاغسلوا الشعر، وأَنْقُوا البَشَرَ»[١].

قال محمد: يقال: رجل جنبٌ، وامرأة جنبٌ، وكذلك في التثنية والجمع؛ هذا أفصح اللغات[٢].

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر ...﴾ إلى قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ قد مضى تفسيره في سورة النساء[٣].

﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا؛ فتدخلوا الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

---

(١) ورواه الحارث بن وجيه عن مالك بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا. خرجه أبو داود (١/٢٧١ رقم ٢٥٢) والترمذي (١/١٧٨ رقم١٠٦) وابن ماجه (١/١٩٦ رقم ٥٩٧) والعقيلي في الضعفاء (١/٢١٦) وابن عدي والبيهقي في السنن (١/ ١٧٥، ١٧٩) وغيرهم.

وقال أبو داود: الحارث حديثه منكر، وهو ضعيف. وقال أبوحاتم نحوه، علل الحديث (١/٢٩ رقم ٥٣).

وقال الترمذي: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخ ليس بذاك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، وقد تفرد بهذا الحديث، عن مالك بن دينار.

وقال العقيلي: لا يُتابع عليه، وله غير حديث منكر.

وقال البيهقي: تفرد به موصولًا الحارث بن وجيه، والحارث بن وجيه تكلموا فيه.

وقال الشافعي: ليس بثابت. قال البيهقي: وأنكره غيره أيضًا من أهل العلم بالحديث: البخاري وأبو داود السجستاني وغيرهما، وإنما يروى عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، وعن الحسن عن أبي هريرة موقوفًا. اهـ.

وقال الدارقطني في العلل (٨/١٠٤): ورواه أبان العطار، عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولا يصح مسندًا، والحارث بن وجيه من أهل البصرة ضعيف.

(٢) وقيل: ورد له جمع، وهو: أجناب وجُنُبون. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (جنب).

(٣) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ....﴾ (النساء: ٤٣).

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿واذكروا نعمة اللّه عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صُلب آدم ؛ وتفسيره في سورة الأعراف[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين للّه شهداء بالقسط﴾ بالعدل ؛ وهي الشهادة تكون عند الرجل ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي : فإنه من التقوى .

﴿وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ أي : وفي الوعد لهم مغفرة لذنوبهم . ﴿وأجر عظيم﴾ الجنة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ قال الحسن : « كان رسول اللّه عليه السلام ببطن نَخْل مُحاصِرًا غطفان ، وهو متقلّد سيفه ، فجاءه رجل كانت قريش قد بعثته ليفتك برسول اللّه ؛ فقال : يا محمد ، أرني سيفك هذا أنظر إليه . فقال : هاك . فأخذه ؛ فجعل ينظر إلى السيف مرة ، وإلى رسول اللّه مرة ؛ فقال : أما تخافني يا محمد؟ قال: لا . فغمد

---

(١) أي : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾ الآية . (الأعراف : ١٧٢) .

سيفه، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالرحيل»[1].

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا﴾ قال الحسن: فما ضمنوا عنهم من شيء قبلوه وفعلوه.

قال محمد: النقيب في اللغة هو كالأمين وكالكفيل؛ يقال: نَقُبَ الرجل على القوم يَنْقُب[2].

قال مجاهد: فأرسلهم موسى إلى الجبَّارين.

﴿وقال الله إني معكم﴾ على الشرط ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ أي: نصرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضًا حسنًا﴾ يعني: الصدقة والنفقة في الحق ﴿لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم﴾.

(ل ٨٠) **قال محمد**: العزر في اللغة معناه: الرد[3] فتأويل: ﴿وعزَّرتموهم﴾: نصرتموهم؛ بأن رددتم عنهم أعداءهم. وتقول أيضًا: عزرت فلانًا؛ إذا أدَّبْتَهُ، ومعناه: فعلت به ما يردعه عن القبيح[4].

قال مجاهد: فلما أرسل موسى من كل سبط نقيبًا إلى الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم، ثم يلقيهم إلقاء، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع بن نون وكالوب؛ فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم؛ فعصوهما.

﴿فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ يعني: قصد الطريق ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (أي: فبنقضهم ميثاقهم)[5] ﴿لعناهم﴾ يعني باللعن: المسخ؛ فجعل منهم قردة وخنازير مسخوا في زمان داود قردة، وفي زمان عيسى خنازير ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وهو ما حرفوا من كتاب الله.

---

(١) روى البخاري (٧/٤٩٠ - ٤٩١ رقم ٤١٣٥، ٤١٣٦، ٧/٤٩٤ رقم ٤١٣٩)، ومسلم (٤/١٧٨٦ - ١٧٨٧ رقم ٨٤٣) عن جابر نحو هذه القصة.

(٢) نَقَابَةً، فهو نقيبٌ، والجمع: نُقَبَاء. لسان العرب (نقب).

(٣) يقال: عَزَرَهُ يَعْزِره عَزْرًا؛ أي: ردَّه ومنعه. لسان العرب (عزر).

(٤) ومنه أخذ التعزير، الذي هو تأديب لا يبلغ الحد الشرعي. لسان العرب، المعجم الوسيط (عزر).

(٥) سقط من «ر».

﴿ونسوا حظًّا مما ذكروا به﴾ أي: نسوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده.

﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من آمن منهم.

قال محمد: الخائنة والخيانة واحدة، وقد يجوز أن تكون الخائنة صفة للرجل؛ كما يقال: رجل طاغية، وراوية للحديث[١].

﴿فاعف عنهم واصفح﴾ وهذا منسوخ[٢].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أي: كما أخذنا ميثاق اليهود ﴿فنسوا حظًّا مما ذكروا به﴾ هي مثل الأولى.

﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ أي: ألقينا بينهم العداوة ﴿والبغضاء﴾ قال الحسن: يعني به: عامَّتهم.

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى غير المذكورة، ينظر: إعراب القرآن (٤٨٧/١) مجمع البيان (١٧٢/٢) الدر المصون (٢/ ٥٠١ - ٥٠٢).

(٢) قيل: نسخ بقوله: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩) وانظر الناسخ والمنسوخ (٤١).

قال محمد : ﴿أغرينا﴾ حقيقته في اللغة : ألصقنا[١]، وتأويل العداوة والبغضاء ؛ أي : صاروا فرقًا ؛ يكفر بعضهم بعضًا .

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ قال قتادة : هو محمد .

﴿يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ يعني : ما حرفوه منه (وأَخفَوا الحقَّ فيه)[٢].

﴿ويعفو عن كثير﴾ مما كان حُرم عليهم ؛ أي : يحله لهم .

﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ يعني : القرآن ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ والسلام هو الله ؛ كقولهم : ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قالت اليهود لأنفسها ، وقالت النصارى لأنفسها .

قال الحسن : يقولون : قُرْبُنا من الله وحُبُّه إيانا كقُرْب الولد من والده ، وكحب الوالد ولده ؛ ليس على حد ما قالت النصارى لعيسى قال الله للنبي : ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فجعل منكم القردة والخنازير ، لو كان لكم هذا القرب ، وهذه المحبة ما عذَّبكم!

﴿بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء﴾ للمؤمنين ﴿ويعذب من يشاء﴾ الكافرين .

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ وهو محمد ﴿يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا﴾

---

(١) وهو مأخوذ من الغِراء ؛ يقال : غَرِي به يَغْرَى غَرًى وغَرَاةً أي : تعلَّق به ولزمه ؛ كأنه أُلصق به بالغراء . لسان العرب ، مختار الصحاح ، المعجم الوسيط (غرى) .

(٢) في « ر » : وأخبر الله نبيه .

(٣) العنكبوت : ٦٩.

لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير﴾ (يبشر)[1] بالجنة ﴿ونذير﴾ ينذر من النار .

قال قتادة[2]: ذكر لنا أن الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة ، أو ما شاء الله من ذلك .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا﴾ تفسير مجاهد[3]: جعل لكم أزواجًا وخدمًا [وبيوتًا][4]. قال الكلبي : وكان منهم في حياة موسى ﷺ اثنان وسبعون نبيًا .

قوله : ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ يعني : ما ظلل عليهم من الغمام ، وأنزل عليهم من المنّ والسلوى (وأشباه ذلك)[5] مما أوتوا .

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ يعني : التي بورك فيها ، وهي [الشام][6] ﴿التي كتب الله لكم﴾ أن تدخلوها .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) رواه الطبري (٦/١٦٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٩٦) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٣) رواه الطبري (٦/١٦٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٩٦) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٤) بياض بالأصل . والمثبت من « ر » .

(٥) سقط من « ر » .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا﴾ (ل ٨١) إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين ...﴾ إلى قوله : ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ قال الكلبي : كانوا بجبال أريحا من الأردن فَجَبُن القوم أن يدخلوها ؛ فأرسلوا جواسيس من كل سبط رجلاً ؛ ليأتوهم بخبر الأرض المقدسة ، فدخل الاثنا عشر ؛ فمكثوا بها أربعين ليلة ثم خرجوا ، فصدق اثنان وكذب عشرة ، فقالت العشرة : رأينا أرضًا تأكل أهلها ، ورأينا بها حصونًا منيعة ، ورأينا رجالاً جبابرة ، ينبغي للرجل منهم مائة منا ، فجبنت بنو إسرائيل فقالوا : والله لن ندخلها حتى يخرجوا منها ؛ فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان أحدهما : يوشع بن نون ، والآخر : كالوب ؛ وهما اللذان قال الله : ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ بمخافتهما الله : نحن أعلم بالقوم من هؤلاء ؛ إن القوم قد مُلِئوا منا رُعبًا .

﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ .

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قالوا يا موسى﴾ أيُكَذِّب منا عشرة ويصدق اثنان؟! ﴿إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها ...﴾ الآية ، وكان موسى ﷺ (حديدًا)[1] فقال : ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي : وأخي لا يملك إلا نفسه ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني : قومه .

قال الله لموسى إذ سميتهم فاسقين : ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس﴾ فلا تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ فتاهوا أربعين سنة .

قال الكلبي : لما قالوا : إنا لن ندخلها أبدًا ، قال الله : فإنها محرمة عليهم أبدًا ، وهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة . قال : فلم يدخلها أحدٌ ممن كان مع موسى ، هلكوا (أجمعون)[2] في التِّيه إلا رجلين : يوشع بن نون ، وكالوب ، وأنزل عليهم في تلك الأربعين سنة المنَّ والسلوى ، وثيابًا

(١) في « ر » : حزينًا .

(٢) في « ر » : أجمعين .

لا تخرَّق ولا تدنَّس تشبُّ[١] مع الصغير ، وخِفَافًا[٢] لا تخرَّق ، فكان لهم ذلك في تيههم ؛ حتى دخلوا أريحا .

قال يحيى : دخلها أبناؤهم ، ويوشع بن نون وكالوب .

قال مجاهد[٣]: ومعنى ﴿يتيهون في الأرض﴾ كانوا يصبحون حيث يُمْسُون ، ويمسون حيث يصبحون ، وفي تيههم ذلك ضرب لهم موسى الحَجَر .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿واتل عليهم﴾ اقرأ عليهم ﴿نبأ ابني آدم﴾ أي : خبرهما ﴿إذ قربا قربانًا ...﴾ الآية .

قال الكلبي : كانت حواء تلد في [كل][٤] بطن اثنين : غلامًا وجارية ؛ فولدت في أول بطن قابيل وأخته ، وفي البطن الثاني هابيل وأخته ؛ فلما أدركوا[٥]، أُمر آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل ، وهابيل أخت قابيل ؛ فقال آدم لامرأته الذي أمر به ، فذكرته لابنيها فرضي هابيل بالذي أمر به وسخط قابيل لأن أخته كانت أحسَنَهما ؛ فقال : ما أمر الله بهذا قط ، ولكن هذا عن أمرك يا آدم! قال آدم : فقربا قربانكما ؛ فأيكما كان أحق بها ، أنزل الله نارًا من السماء فأكلت القربان . فرضيا بذلك ؛ فعمد هابيل ، وكان صاحب ماشية إلى خير غذاء غنمه وزبد ولبن ، وكان قابيل زرَّاعًا

---

(١) أي : تكبر وتطول .

(٢) واحدها : خُفّ .

(٣) رواه الطبري (٦/١٨٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٢٩٣) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) أي : بلغوا سن الزواج .

فأخذ من ثمر زرعه ، ثم صعدا الجبل وآدم معهما ، فوضعا القربان على الجبل فدعا آدم ربه ، وقال قابيل في نفسه : ما أدري أيقبل مني أم لا؟ لا ينكح هابيل أختي أبدًا ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتجنَّبت قربان قابيل ؛ لأنه لم يكن زاكي القلب ، فنزلوا من الجبل [فانطلق قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال : لأقتلنك][(١)] قال : لِمَ؟! قال : لأن الله تقبل منك ، وردَّ علي قرباني ، [وتنكح أختي الحسنى ، وأنكح أختك القبيحة][(١)] ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني . فقال له هابيل : ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ (ل٨٢) ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي وإثمك﴾ قال قتادة : يعني : بإثم : قتلي ، وإثمك : الذي مضى ؛ يعني : من قبل قتلي .

﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد[(٢)]: يعني : فشجَّعته نفسه ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ الذين خسروا الجنة .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً ؛ فخذوا بخيرهما ، ودعوا شرهما »[(٣)].

﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ...﴾ الآية .

قال الكلبي : وكان قتله عشية ، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل ؛ فإذا هو بغراب حي يحثي التراب على غراب ميت ، فقال : ﴿يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي﴾ كما يواري هذا الغراب سوءة أخيه!! فدعا بالويل ، وأصبح من النادمين .

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ

---

(١) بياض بالأصل . والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري (١٩٥/٦) .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/١) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٩٩/٦) - عن معمر عن الحسن به . ورواه الطبري (١٩٩/٦) من طريق ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن .

وروى الطبري في تفسيره (١٩٩/٦) عن سليمان التيمي قال : قلت لبكر بن عبد الله : أما بلغك أن نبي الله ﷺ قال : « إن الله - جل وعز - ضرب لكم ابني آدم مثلاً ، فخذوا خيرهما ، ودعوا شرهما » ؟ قال : بلى .

رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض﴾ يعني : ما تستوجب به القتل ﴿فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ قال الحسن : من إحيائها أن ينجيها من القَوَد[1]، فيعفو عنها ، أو يُفَاديها من العدو ، أو ينجّيها من الغرق ، ومن الحرق ، ومن السَّبُع ، وأفضل إحيائها أن ينجيها من كفرها وضلالتها .

قال محمد : ذكر بعض المفسرين في قوله : ﴿فكأنما قتل الناس جميعًا﴾ أي : يعذب كما يعذب قاتل الناس جميعًا ، ومن أحياها أُجِرَ في إحيائها ؛ كما يؤجر من أحيا الناس جميعًا .

يحيى : عن المُعَلَّى ، عن سماك بن حرب ، عن قابوس بن المخارق ، عن أبيه قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ؛ أرأيت إن عرض لي رجل يريد نفسي ومالي ، فكيف أصنع به؟ قال : تناشده باللَّه . قال : نشدته باللَّه فلم ينته . قال : اسْتَعْدِ[2] عليه السلطان . قال : ليس بحضرتنا سلطان . قال : استعنْ عليه بالمسلمين . قال : نحن بِفَلَاةٍ من الأرض ليس قربنا أحدٌ . قال : فجاهده دون مالك حتى تمنعه ، أو تكتب في شهداء الآخرة »[3].

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ يعني : أهل الكتاب ﴿ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لَمُسْرِفون﴾ لمشركون ؛ يعني : من لم يؤمن منهم .

---

(١) أي : من القصاص . لسان العرب (قود) .

(٢) في « ر » : اسْتَعِنْ .

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/٢٩٤ - ٢٩٥) وابن أبي شيبة في مسنده (٢/٩ رقم ٥٢٤) ومسدد في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (٤/٢١١ رقم٤٣٣٢/١) - وإسحاق بن راهويه في مسنده وإبراهيم الحربي في غريب الحديث - كما في نصب الراية (٤/٣٤٩) - والنسائي (٧/١٢٩ رقم ٤٠٩٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٣١٣ - ٣١٥ رقم ٧٤٦ - ٧٤٩) وابن قانع في معجم الصحابة (٣/١٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٦٣٥ رقم٦٣٢٩) والبيهقي في سننه (٨/٣٣٦) ، والمزي في تهذيبه (٢٣/٣٣١ - ٣٣٢) من طرق عن سماك بن حرب به .

ورواه الحربي في غريب الحديث - كما في نصب الراية (٤/٣٤٩) - من طريق سفيان الثوري عن سماك ، عن قابوس « أن رجلًا أتى النبي . . . » الحديث ، لم يقل فيه : « عن أبيه » .

قال الدارقطني في العلل : هذا حديث يرويه سماك بن حرب ، واختلف عليه ، فرواه عمار بن رزيق وأبو الأحوص وأيوب ابن جابر والوليد بن أبي ثور عن سماك عن قابوس عن أبيه ، ورواه الثوري وحماد بن سلمة عن سماك عن قابوس مرسلًا لم يقولا عن أبيه ، والمسند أصح . اهـ . نقلته من نصب الراية (٤/٣٤٩) .

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللّٰه ورسوله ...﴾ الآية .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : « أن ناسًا من عُكْل وعرينة قدموا على النبي المدينة وأسلموا ، واستوخموا المدينة[١]، فأمرهم رسول اللّٰه أن يخرجوا في إبل من إبل الصدقة ؛ فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا حتى صحوا ؛ فقتلوا راعي رسول اللّٰه ، واستاقوا الإبل ، وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث رسول اللّٰه في طلبهم ، فأُتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم[٢]، وتركهم في الحرَّة[٣] حتى ماتوا »[٤].

قال قتادة : وكان هذا من قبل أن تنزل الحدود .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة ؛ « أنه لما جيء بهم ؛ فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، نزلت هذه الآية : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللّٰه ورسوله ...﴾ الآية »[٥].

---

(١) أي : استثقلوها ولم يوافق هواؤها طبائعهم . لسان العرب ، القاموس (وخم) .

(٢) أي : فقأها بمسمار أو حديدة مُحماة . لسان العرب (سمل) .

(٣) الحرة هي كل أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت . والمراد هنا : موضع بظاهر المدينة تحت واقم ، وبها كانت وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية . ينظر لسان العرب ، المختار ، المعجم الوسيط (حرر) .

(٤) رواه البخاري (٥٢٤/٧ رقم ٤١٩٢، ١٨٨/١٠ - ١٨٩ رقم ٥٧٢٧) ، ومسلم (١٢٩٨/٣ رقم ١٣/١٦٧١) من طريق سعيد - وهو ابن أبي عروبة - به .
ولهذا الحديث طرق عن قتادة ، وله طرق كثيرة عن أنس أيضًا .
قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢) : وقد روى قصة العرنيين من حديث جماعة من الصحابة منهم : جابر ، وعائشة ، وغير واحد ، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدًا ، فرحمه اللّٰه وأثابه .

(٥) رواه عبد الرزاق - كما في تفسير ابن كثير (٤٩/٢) - عن إبراهيم بن محمد الأسلمي به .

قال يحيى : سألت الجهم بن ورَّاد الكوفي عن قوله : ﴿من خلاف﴾ فقال : يده اليمنى ورجله اليسرى .

وقال ابن عباس : ومعنى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ أن يعجزوا فلا يقدر عليهم .

﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ...﴾الآية .

قال قتادة[١]: نزلت في أهل الشرك خاصَّة .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وابتغوا إليه الوسيلة﴾ قال قتادة[٢]: يعني : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ قال الحسن : كلما رفعتهم بمسها حتى يصيروا إلى أعلاها أعيدوا فيها .

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ هي في قراءة ابن مسعود[٣]: « فاقطعوا أيمانهما » ﴿جزاءً بما كسبا﴾ (ل٨٣) بما عملا ﴿نكالاً من اللّه﴾ يعني : عقوبةً .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٨٨/١) والطبري (٦/٢٢٠) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٦/٢ - ٣٠٧) لعبد بن حميد أيضًا .
(٢) رواه الطبري (٢٢٦/٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٧/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٣) رواه الطبري (٢٢٨/٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٨/٢) لابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

يحيى : عن المعَلَّى ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن محمد بن المنكدر قال : « قطع رسولُ اللَّه يد سارق من الكوع وحَسَمَهَا[١]» .

يحيى : عن النضر بن مَعْبد[٢]، عن أبي قلابة قال : « مُرَّ على أبي الدرداء برجل قد أُخذ في حدٍّ فسبوه ، فقال : لا تسبوه! ولكن احمدوا اللَّه الذي نجاكم »[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون يقول : لا يحزنك كفرهم ، فإن ذلك لا يضرك ، إنما ضره عليهم .

ثم قال : ﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون﴾ أي : يقول الذين لم يأتوك ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللَّه فتنته﴾ يعني : ضلالته . إلى قوله : ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني : الجزية .

قال قتادة[٤]: وكان هذا في قتيل من بني قريظة ، قتلته النضير ، وكانت قتيل عمد ، وكان النضير إذا قتلت من قريظة قتيلاً لم يعطوهم القود[٥] ويعطوهم الدية ، وإذا قتلت قريظة من النضير قتيلاً لم يرضوا دون القود ؛ فكانوا على ذلك حتى قدم نبي اللَّه المدينة بأثر قتيلهم ؛ فأرادوا أن يرفعوا ذلك إليه ليحكم بينهم ، فقال لهم رجل من المنافقين : إن قتيلكم قتيل عمد ، وإنكم متى ترفعوه إلى

---

(١) أي : كواها ؛ لئلا يسيل منها الدم . لسان العرب (حسم) .

(٢) في « ر » : النضر بن سعيد .

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/١٨٠ رقم ٢٠٢٦٧) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٢٥) والبيهقي في الشعب (٥/٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٦٦٩١) من طريق أبي قلابة .

(٤) رواه الطبري (٦/٢٣٧) .

(٥) القود : القصاص . لسان العرب (قود) .

محمد أخشى عليكم القود؛ فإن قبل منكم الدية وإلا فكونوا منه على حَذَر، فأنزل الله هذه الآية .

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

ثم قال : ﴿سماعون للكذب أكَّالون للسحت﴾ يعني : اليهود والسحت الرُّشا[1].

﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم ...﴾ الآية . قال قتادة[2]: رُخص له في هذه الآية أن يحكم بينهم ، أو يعرض عنهم ، ثم نسخ ذلك بعد ؛ فقال : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[3] فنسخت هذه الآية الآية الأولى[4].

قال محمد : معنى قوله : ﴿سمَّاعون للكذب﴾ أي : قائلون له ، ومعنى ﴿من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله موضعه ؛ فأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه .

﴿وكيف يحكِّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ...﴾ الآية . قال قتادة[5]: يعني : عندهم بيان ما تشاجروا[6] فيه من شأن قتيلهم ؛ أي : إن في التوراة أن النفس بالنفس .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ

---

(١) الرشا : جمع رشوة ، وهي ما يعطى لقضاء حاجة أو مصلحة ، أو ما يعطى لإحقاق باطل وإبطال حق . لسان العرب ، المعجم الوسيط (رشو) .

(٢) رواه الطبري (٦/٢٤٥) .

(٣) المائدة : ٤٨.

(٤) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٤١، ٤٢) .

وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة ؛ وهو مروي عن عطاء وسعيد بن جبير والزهري وغيرهم ، قال الطبري في تفسيره (٦/٢٤٦) : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ . اهـ . وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٧٨) : وهو الصحيح .

(٥) رواه الطبري (٦/٢٤٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣١٤) لعبد بن حميد أيضًا .

(٦) تشاجروا : اختلفوا وتنازعوا . لسان العرب (شجر) .

وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ أي : يحكم بها النبيون المسلمون ﴿للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾ قال قتادة[١]: الربانيون : فقهاء اليهود ، والأحبار : علماؤهم .

قال محمد : وقيل : الربانيون : العُبَّادُ .

﴿فلا تخشوا الناس﴾ في إقامة الحدود على أهلها مَنْ كانوا ﴿واخشون﴾ في ترك إقامتها .

﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل اللّه﴾ قال الحسن : يقول : من لم يتخذ ما أنزل اللّه دينًا ويقر به ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ .

﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ يريد : التوراة ﴿أن النفس بالنفس ...﴾ إلى قوله : ﴿والجروح قصاص﴾ وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة ، وكل ما ذكر اللّه في القرآن ؛ أنه أنزله في الكتاب الأول ، ثم لم ينسخه بالقرآن فهو ثابت يُعْمَلُ به[٢].

﴿فمن تصدّق به فهو كفّارةٌ له﴾ قال قتادة : يعني : كفارة لِذَنْبِهِ .

يحيى : عن المعَلَّى ، عن أبان ، عن الشعبي ، عن رجل من الأنصار قال : « سئل رسول اللّه ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ قال : هو الرجل تُكْسَر سِنُّه ، أو يجرح في جسده ؛ فيعفو فيُحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه ؛ إن كان نصف الدية فنصف خطاياه ، وإن كان ربع الدية فربع خطاياه ، وإن كان ثلث (ل ٨٤) الدية فثلث خطاياه ، وإن كانت الدية كلها

---

(١) رواه الطبري (٦/ ٢٥٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٣١٤) لعبد بن حميد أيضًا .

(٢) مسألة متى يكون شرع من كان قبلنا شرعًا لنا مبسوطة في كتب الأصول ، تراجع في محلها .

فخطاياه كلها »[١].

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وقفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ...﴾ إلى قوله : ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الفِسْقُ ها هنا : الشرك .

قال محمد : ومعنى ﴿قفَّينا﴾ : أتبعنا ، والمصدر منه : تقفيةٌ[٢].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿ومهيمنًا عليه﴾ قال عبد الله بن الزُّبَيْر : المُهَيْمِنُ : القاضي على ما قَبْلَه من الكُتُب .

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ قال قتادة[٣]: للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة ؛ أحل الله فيها ما شاء ، وحرَّم ما شاء ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني : ملَّة واحدة

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢/٦٣ - ٦٤) - من طريق المعلى - وهو ابن هلال - به . وفي الباب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم ، انظر الدر المنثور (٢/٢١٧) .

(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (قفو) .

(٣) رواه الطبري (٦/٢٦٩) وابن أبي حاتم (٤/١١٥٢ رقم ٦٤٨٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣١٩) لعبد بن حميد وأبي الشيخ أيضًا .

﴿ولكن ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ فيما أعطاكم من الكتاب والسُّنَّة .

﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ أي : يصدوك ﴿عن بعض ما أنزل اللّه إليك فإن تولوا﴾ يعني : اليهود ، عن بعض ما أنزل اللّه إليك ﴿فاعلم أنما يريد اللّه أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ فيقتلهم ويجليهم وتؤخذُ منهم الجزية بالصَّغَار[1] والذل .

﴿وإن كثيرًا من الناس لفاسقون﴾ يعني : اليهود وغيرهم من الكفار . ثم قال عز وجل : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ وهو ما خالف كتاب اللّه وحُكْمَهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي : في الدين ﴿ومن يتولهم منكم﴾ في الدين ﴿فإنه منهم﴾ .

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني : المنافقين ﴿يسارعون فيهم﴾ في أهل الكتاب ؛ أي : يوافقونهم في السر ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ فينصروا علينا ؛ فنكون قد اتخذنا بيننا وبينهم مودة . قال اللّه : ﴿فعسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ...﴾ الآية .

قال الكلبي : فجاء اللّه بالفتح ؛ فنصر نبيَّه ، وجاء أمر اللّه من عنده بإجلاء بني النضير ، وقتل بني قريظة ، وسَبْي ذراريهم[2]؛ فندم المنافقون حتى ظهر نفاقهم ، وأُجْلِيَ أهلُ وُدِّهم عن أرضهم ، فعند ذلك قال الذين آمنوا بعضهم لبعض : ﴿أهؤلاء الذين أقسموا باللّه جهد أيمانهم إنهم لمعكم ...﴾الآية .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(١) أي : الذِّلَّة والمهانة . لسان العرب (صغر) .

(٢) أي : سبي نسائهم وصغارهم . لسان العرب (ذرر) .

عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هو كقوله : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ...﴾ الآية . قال الكلبي : بلغنا « أنَّ عبد الله بن سلام ورهطًا[2] من مسلمي أهل الكتاب أتوا النبي عند صلاة الظهر ، فقالوا : يا رسول الله ، بيوتنا قاصية[3]، ولا نجد متحدَّثًا دون المسجد ، وإن قومنا لما رأونا أننا قد صدقنا الله ورسوله وتركناهم ودينَهُمْ أظهروا لنا العداوة ، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يجالسونا ، فشق ذلك علينا . فبينما هم [كذلك][4] يشكون ذلك إلى النبي ؛ إذ نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فلما اقترأها رسول الله ، قالوا : رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين أولياء ، وأذن بلال بالصلاة فخرج رسول الله ﷺ والناس يصلون بين قائم وراكع وساجد ، وإذا هو بمسكين يسأل ، فدعاه رسول الله ؛ فقال له : هل أعطاك أحدٌ شيئًا؟ قال : نعم . قال : ماذا؟ قال : خاتمٌ من فضة . قال : من أعطاكه؟ قال : ذلك الرجل القائم ، فإذا هو عليٌّ . قال : على أي حال أعطاكه؟ قال : أعطانيه وهو راكع [فزعموا أن][5] رسول الله كبَّر عند ذلك »[6].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) الفتح : ٢٩.

(٢) أي : الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة ، أو ما دون العشرة والجمع : أرهط وأرهاط . لسان العرب (رهط) .

(٣) أي : بعيدة . لسان العرب (قصو) .

(٤) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٥) بياض بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٢٢ - ٣٢٣) لابن مردويه .

﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا﴾ قال [الكلبي][١]: كان إذا نادى منادي رسول الله للصلاة ، قالت اليهود والمشركون : قد قاموا لا قاموا . وإذا ركعوا وسجدوا (استهزءوا)[٢] بهم وضحكوا ؛ فقال الله لنبيه : ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ ، أي : بفسقكم نقمتم ذلك علينا ، ثم قال : ﴿هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ [يعني : ثوابًا][٣] ﴿عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ قال الحسن : يقول : جعل الله ذلك منهم (ل٨٥) بما عبدوا الطاغوت ؛ يعني : الشيطان .

﴿أولئك شرٌ مكانًا﴾ في الآخرة ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ يعني : عن قَصْد طريق الهدى .

قال محمد : وقيل : إن ﴿عبد الطاغوت﴾ نسقٌ[٤] على قوله : ﴿لعنه الله وغضب عليه﴾[٥].

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ قال الكلبي : هؤلاء منافقو أهل الكتاب ، كانوا إذا دخلوا على رسول الله ، قالوا : آمنا ، وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفارًا ، وخرجوا من عنده وهم كفارٌ لم ينتفعوا بما سمعوا منه بشيء ؛ وهم من اليهود .

---

(١) بياض بالأصل ، والمثبت من «ر» .

(٢) في «ر» : استهزاء .

(٣) سقط من الأصل . والمثبت من «ر» .

(٤) أي : عَطْفٌ .

(٥) وفيه أقوال نحوية أخرى : ينظر إعراب القرآن (١/٥٠٧) ، مجمع البيان (٢/٢١٥) ، البحر المحيط (٣/٥١٩ - ٥٢٠) .

قال: ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ كانوا يكتمون دين اليهودية ﴿وترى كثيرًا منهم﴾ يعني: اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان﴾ يعني: المعصية والظلم ﴿وأكلهم السحت﴾ قال الحسن: هو أخذ الرشوة على الحكم ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ يعني: حُكَّامَهُم ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار ...﴾ إلى قوله: ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ أي: حين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت، وبئس ما صنع الربانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك.

﴿وقالت اليهود يدُ الله مغلولة﴾ قال الكلبي: كانوا من أخصب[1] الناس وأكثرهم خيرًا، فلما عصوا الله، وبدَّلوا نعمة الله كفرًا، كفَّ الله عنهم بعض الذي كان بسط لهم؛ فعند ذلك قالت اليهود: كفَّ الله يده عنا، فهي مغلولةٌ؛ أي: لا يبسطها علينا.

قال الله: ﴿غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنَّ كثيرًا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا﴾ وهم اليهود.

قال قتادة: حملهم حسَدُ محمدٍ والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم.

﴿كلما أوقدوا نارًا للحرب﴾ لحرب رسول الله ﴿أطفأها الله﴾ يعني: أذلَّهم الله، ونَصَرَه عليهم.

﴿ويسعون في الأرض فسادًا﴾ أي: يدعون فيها إلى خِلاف دين الله، وهم يعلمون ذلك.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾

﴿ولو أنَّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا﴾ قال قتادة[2]: يقول: لو آمنوا بما أنزل الله واتقوا ما حرَّم عليهم ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم ...﴾ الآية.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت

---

(١) أي: من أكثرهم نماءً وبركةً ورغد عيش. لسان العرب (خصب).

(٢) رواه الطبري (٦/٣٠٤) وابن أبي حاتم (٤/١١٦٩ رقم ٦٥٩٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٢٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

أرجلهم﴾ .

قال قتادة[١]: يعني : لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض نباتها . وإقامتهم التوارة والإنجيل : أن يؤمنوا بمحمد ؛ لأنهم قد أمروا بذلك .

قوله : ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أي : متَّبِعة ؛ يعني : من آمن من أهل الكتاب برسول اللَّه ، وبما جاء به ﴿وكثير منهم ساء ما﴾ بئس ما ﴿يعملون﴾ يعني : من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...﴾ الآية .

يحيى : عن أبي أمية ، عن الحسن « أن رسول اللَّه ﷺ شكا إلى ربه من قومه ؛ فقال : يا رب ، إن قومي قد خوَّفوني ، فأعطني من قبلك آيةً أعلم أن لا مخافة عليَّ . فأوحى اللَّه إليه أن يأتي وادي كذا فيه شجرة كذا ، فليدع غصنًا منها يأته ، فانطلق إلى الوادي ، فدعا غصنًا منها فجاء يخط في الأرض خطًّا[٢] حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء اللَّه أن يحبسه ، ثم قال : ارجع كما جئت . فرجع ؛ فقال رسول اللَّه : علمت يا رب أن لا مخافة عليَّ »[٣].

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن منهم باللَّه واليوم الآخر﴾ يعني : من آمن منهم بمحمد ، ودخل في دينه وشريعته .

قال محمد : اختلف القول في رفع ﴿الصابئون﴾ والأجود أنه محمول على التأخير ، ومرفوع

---

(١) رواه الطبري (٦/٣٠٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٢٦) لعبد بن حميد وأبي الشيخ أيضًا .

(٢) أي : يحفر الأرض ويشقها . ينظر لسان العرب (خطط) .

(٣) لم أقف عليه بهذا السياق ، وقصة الشجرة صحيحة في سياق آخر مذكور في دلائل النبوة .

بالابتداء ، المعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ، (ل٨٦) والصابئون والنصارى كذلك أيضًا[1].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ قد مضى تفسير أخذ الميثاق عليهم في سورة آل عمران[2].

﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون﴾ يعني به : أوليهم .

﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ تفسير الحسن[3]: وحسبوا ألا يبتلوا في الدين يجاهدون فيه ، وتفرض عليهم الطاعة بمحمد .

﴿فعموا وصمُّوا﴾ يعني : عن الهدى ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أي : جعل لهم متابًا ، فاستنقذهم بمحمد ﴿ثم عموا وصمُّوا كثير منهم﴾ يعني : من كفر منهم .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (٥٠٩/١ - ٥١٠) ، مجمع البيان (٢٢٤/٢ - ٢٢٥) ، البحر المحيط (٥٣١/٣) .

(٢) انظر الكلام عليه في تفسير الآية (٨٣) سورة البقرة ، والآيتين (٨١، ١٨٧) من سورة آل عمران .

(٣) روى الطبري (٣١٢/٦) وابن أبي حاتم (١١٧٧/٤ رقم ٦٦٣٨) عن الحسن في قوله تعالى ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ . قال : بلاء .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٢٩/٢) لابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ قال قتادة : قالوا : عيسى إله ، وأمه إله ، والله إله . قال الله : ﴿وما من إله إلا إله واحدٌ﴾ .

قوله : ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام﴾ أي : فكيف يكونان إلهين ، وهما مخلوقان يأكلان الطعام؟!

﴿انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عنها؟ يعني : عن الآيات .

قال محمد : فِعِّيل من أبنية المبالغة(١)، وقوله : ﴿صديقة﴾ أي : مبالغة في الصدق .

وقوله : ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ قيل : إنه من الاختصار(٢) والكناية ، ونبَّه بأكل الطعام على عاقبته ؛ وهو الحدَثُ ، والله أعلم .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ والغُلوّ : مجاوزة الحق .

---

(١) أي : من أوزان صيغ المبالغة ، وهي أبنية معروفة يقاس عليها ومن صيغها : فَعُول ، فَعَّال ، فَعِيل ، مِفْعال ، فعل ، فِعِّيل ...إلخ .

(٢) أي : اختصر ما يحدث بعد الأكل من إخراج الفضلات في صورة براز أو بول .

﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني : اليهود .

﴿وأضلوا كثيرًا﴾ يعني : من اتبعَهُمْ ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعني : عن قصد طريق الهدى .

﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾

قال قتادة[1]: يعني : في زمان داود وعيسى ابن مريم ؛ مسخوا في زمان داود قردةً حين أكلوا الحيتان ، ومُسِخُوا في زمان عيسى خنازير ﴿ترى كثيرًا منهم﴾ يعني : من لم يؤمن ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يتولَّون مشركي العرب ، [وهم الذين كذبوا][2] ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ لأنْ سخط الله عليهم .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعني : مشركي العرب ؛ وهم الذين كانوا بحضرة النبي من المشركين يومئذ ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنَّا نصارى﴾ يعني : من آمن منهم .

﴿ذلك بأن منهم قسِّيسين ورهبانًا﴾ يعني : الذين آمنوا منهم ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ، والإيمان بالله .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول﴾ محمد ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع ...﴾ إلى قوله :

---

(١) رواه الطبري (٦/٢١٧ - ٣١٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٣١) لعبد بن حميد وأبي الشيخ .
(٢) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

﴿مع الشاهدين﴾ أي: مع من شهد بما جاء به محمد أنه حق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ...﴾ إلى قوله: ﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ تفسير الحسن: «أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي جعل أحدهم على نفسه ألا يغشى النساء[1] أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا يفطر نهارًا أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا ينام ليلاً أبدًا! فكان عثمان بن مظعون ممن جعل على نفسه ألا يغشى النساء؛ وكانت أمراته تأتي أزواج النبي في شارة[2] حسنة وريح طيبة؛ فلما جعل عثمان على نفسه ما جعل، أتتهن في غير تلك الشَّارة؛ فأنكرن عليها؛ فقالت: إنما تصنع المرأة لزوجها؛ وإن فلانًا وفلانًا وفلانًا جعلوا على أنفسهم كذا وكذا! فلما جاء رسول الله ذكرن ذلك له، فغضب وبعث إليهم، فقال: ألم أُحدَّث عنكم بكذا وكذا؟ قالوا: بلى. قال: لكني أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأغشى النساء وأدع؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني (ل٨٧) فاستغفر القوم من ذلك، وراجعوا أمرهم الأول»[3].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ تفسير الحسن وقتادة: قالا[4]: هو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كذلك، فلا يكون كما حلفت عليه ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: ما حلفتم فيه متعمدين.

---

(١) أي: الوطء والجماع. لسان العرب (غشى).

(٢) أي: علامة وهيئة. لسان العرب (شير).

(٣) روى البخاري (٩/٥ - ٦ رقم ٥٠٦٣) ومسلم (٢/١٠٢٠ رقم ١٤٠١) عن أنس ﷺ نحو هذه القصة، دون تسمية عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

وورد تسمية عثمان بن مظعون في عدة روايات، انظر الدر المنثور (٢/٣٣٧ - ٣٤٠).

(٤) رواه الطبري (٧/١٤).

﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال مجاهد : أوسط ما تطعم أهلك : أشْبَعُه ﴿أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ فإن شاء أعتق رقبةً كبيرة ، وإن شاء صغيرة . وكل شيء في القرآن (أو) فهو فيه مخيَّرٌ ؛ يفعل أيَّ ذلك شاء ﴿فمن لم يجد﴾ أي : فمن لم يجد من هذه الثلاثة الأشياء من : الطعام ، أو الكسوة ، أو العتق ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة[١]: وهي في قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ يعني : القمار كله ﴿والأنصاب﴾ وهي أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون اللَّه ﴿والأزلام﴾ القِدَاح[٣] وهي السهام . قال قتادة[٤]: كان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ قِدْحَيْنِ ؛ فقال : هذا يأمره بالخروج وهو مصيبٌ في سفره خيرًا ، ويأخذ قِدْحًا آخر ، فيقول : هذا يأمره بالمكوث ، وليس بمصيب في سفره خيرًا ، مكتوبٌ عليهما هذا ، والمنيحُ[٥] بينهما ، فأيهما خرج عمل به ، فَنَهى عن ذلك .

قال محمد : المنيح : سهم ليس عليه كتاب ؛ فإذا خرج أعاد الضرب .

يقال : يسرت ، إذا ضربت بالقداح ، والضارب بها : ياسر[٦] [والجميع : يُسُر وأَيْسَار][٧].

---

(١) رواه الطبري (٧/٣٠) .

وقال السيوطي في الدر (٢/٣٤٤) . وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري وأبو الشيخ والبيهقي من طرق عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) .

(٢) وهي قراءة أُبيّ ، والنخعي . ينظر : البحر المحيط (١٢/٤) معاني القرآن للفراء (٣١٨/١) .

(٣) مفردها : قِدْح ، وهو قطعة من الخشب تُعرَّض قليلاً وتسوَّى ، وتخطّ فيها حزوز بعدد معين . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (قدح) .

(٤) رواه عبد الرزاق (١٨٣/١) والطبري (٧٧/٦) .

(٥) هو اسم سهم من سهام الأزلام لا يأمره بالخروج ، ولا بالمكوث . ينظر : لسان العرب (منح) .

(٦) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (يسر) .

(٧) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

قوله: ﴿رجسٌ من عمل الشيطان ...﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فجاء تحريم الخمر في هذه الآية قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يُسْكِرْ.

قال محمد: الرِّجس في اللغة: اسمٌ لكل ما استقذر[1]، ويقال: رجس الرجل يرجس[2]؛ إذا عمل عملاً قبيحًا.

يحيى: عن محمد بن أبي حميد، عن محمد بن المُنْكَدر قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر، ثم لم يسكَرْ أعرض الله عنه أربعين ليلةً، ومن شرب الخمر ثم سكر لم يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَدْلاً[3] أربعين ليلة؛ فإن مات فيها مات كعابد الأوثان، وكان حقًّا على الله أن يسقيه يومِ القيامة من طينة الخَبَالِ. قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار في النار: القيح والدم»[4].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ يعني: فيما شربوا من الخمر قبل أن تُحَرَّم.

قال الحسن: لما نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد أخبر

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (رجس).

(٢) يقال منه: رَجِسَ يَرْجَسُ رَجَسًا ورَجَاسَةً فهو رَجِسٌ، وهي رَجِسَةٌ، ويقال: رَجُسَ يَرْجُسُ رَجَاسةً. لسان العرب (رجس).

(٣) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.
ينظر لسان العرب (صرف، عدل) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٤).

(٤) لم أجده من هذا الطريق المرسل، ورواه مسلم (٣/١٥٨٧رقم٢٠٠٢) عن جابر مختصرًا دون قوله «فإن مات فيها مات كعابد وثن».
ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٦، ١٨٩) والنسائي (٨/ ٧٢٠ رقم ٥٦٨٦) وابن ماجه (٢/ ١١٢٠ - ١١٢١ رقم ٣٣٧٧) وابن حبان (١٢/ ١٨٠ رقم ٥٣٥٧) والحاكم (٤/ ١٤٥ - ١٤٦) عن عبد الله بن عمرو بنحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الله أنها رجسٌ؟ فأنزل الله : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ﴾ [إثم][1] ﴿فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾ شربها ﴿وآمنوا﴾ (من غير أن يعلموا)[2] بتحريمها ﴿وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾ شربها ﴿وأحسنوا﴾ العمل بعد تحريمها فلم يشربوها ؛ فمن فعل ذلك فهو محسنٌ ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يأخذون بالسُّنَّة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله﴾ ليختبرنكم الله ﴿بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ تفسير مجاهد[3] قال : رماحكم أوْ نبالكم ؛ تنال كبير الصيد ، وصغيره تناله أيديكم أخذًا ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ .

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ قال الحسن[4]: يقول : فمن اعتدى بعد التحريم وصاد وهو محرم ﴿فله عذابٌ أليم﴾ . قال مجاهد[5]: إن قتله ناسيًا لإحرامه غير متعمِّد لقتله فعليه الجزاء ، وإن قتله متعمِّدًا وهو ذاكر لإحرامه فله عذابٌ أليم ، وليس عليه جزاء .

---

(١) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٢) في « ر » : أي صدقوا .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٩٣/١) وفي المصنف (٣٨٩/٤ رقم ٨١٧٢) والطبري (٣٩/٧) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٠٣ رقم ٦٧٨٦، ٦٧٨٧) والبيهقي في سننه (٢٠٢/٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٨/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٤) روى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١٠/٤ رقم ٦٨٢٣) عن الحسن أن رجلا أصاب صيدًا فتجوز عنه ، ثم عاد فأصاب صيدًا آخر فنزلت نار من السماء فأحرقته ؛ فهو قوله ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ .

(٥) رواه سعيد بن منصور (١٦١٨/٤ رقم ٨٢٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١٩٣/١) وفي المصنف (٣٨٩/٤ - ٣٩٠ رقم ٨١٧٣، ٨١٧٤) والطبري (٤٢/٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٩/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصَّيْد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمِّدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ...﴾ الآية ، كان الحسن يقول : حكم (ل٨٨) الحَكَمَيْن ماضٍ أبدًا ، وقد يحكم الحَكَمان بما حكم به رسول اللّه ، ولكن لابد من أن يحكما . قال قتادة : وإذا كان صيدًا لا يبلغ النعم ، حَكَما طعامًا أو صومًا ، ويحكمان عليه في الخطأ والعمد .

﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي : عقوبة فِعْله ﴿عفا اللّه عما سلف﴾ قبل التحريم ﴿ومن عاد فينتقم اللّه منه واللّه عزيز ذو انتقام﴾ قال مجاهد[١]: إن عاد لم يحكم عليه ، اللّه ينتقم منه . وقال سعيد بن جبير[٢]: بل يحكم عليه أبدًا .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

قوله : ﴿أحلَّ لكم صيد البحر﴾ قال الحسن : لا بأس أن يصيد المحرم الحيتان ﴿وطعامه﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : ما ألقى البحر من حوت ميت فهو طعامه ﴿متاعًا لكم﴾ بلاغًا لكم ﴿وللسَّيَّارة﴾ يعني : المسافرين ، وهو ما يتزوَّده الناس من صالح السمك في أسفارهم .

قال محمد : ﴿متاعًا لكم﴾ مصدر ؛ أي : متعتكم به متاعًا[٣].

﴿وحرم عليكم صيدُ البر ما دمتم حرمًا واتقوا اللّه الذي إليه تحشرون﴾ .

﴿جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾ قال قتادة[٤]: كانت هذه في الجاهلية حواجز[٥]، كان الرجل لو جرَّ كل ....

(١) رواه الطبري (٧/٦١) .

(٢) ينظر تفسير الطبري (٧/٦٠ - ٦١) وابن أبي حاتم (٤/١٢٠٥ رقم ٦٧٩٨) والدر المنثور (٢/٣٥٩) .

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٢) ، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (١/٣٠٥) .

(٤) رواه الطبري (٧/٧٧ - ٧٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٦٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٥) حواجز : أي : موانع . لسان العرب (حجز) .

جريرة[1]، ثم لجأ إلى الحرم لم يُتَنَاوَلْ ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يمسه ، وكان الرجل لو لقي الهَدْيَ مقلَّدًا وهو يأكل [القضب][2] من الجوع لم يمَسّه ، وكان الرجل إذا أراد البيت الحرام تقلّد قلادة من شَعَر[3]، حتى يبلغ مكة ، وإذا أراد أن يصدر[4] من مكّة تقلّد قلادة من لحاء السمر[5] أو من الإذخر[6]، فمنعته حتى يأتي أهله .

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن أراد أن ينتقم منه . ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ .

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ يعني : الحلال والحرام ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ كثرة الحرام .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها﴾ قال الحسن : « سألوا رسول الله ﷺ عن أمور الجاهلية التي قد عَفَا الله عنها

---

(١) أي : كل ذنب وإثم . لسان العرب (جرر) .

(٢) في الأصل : (العصب) والقَضْب هو شجر ترعاه الإبل ، فإذا شبعت منه هجرته حينا ، لأنه يضرسها ويورثها السعال . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (قضب) .

(٣) أي : مصنوعة من شَعَر .

(٤) يرجع ويخرج . لسان العرب (صدر) .

(٥) اللحاء هو قشر الشجر ، والسَّمُر : ضرب من شجر الطَّلح ، واحدته : سَمُرة . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (لحو) و(سمر) .

(٦) الإذخر : هو حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَّف بها البيوت فوق الخشب . ينظر : النهاية في غريب الحديث (٣٣/١) .

فأكثروا ؛ حتى غضب رسول الله غضبًا شديدًا ، فقال : سلوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتكم به إلى يوم القيامة »[١].

﴿قد سألها قومٌ من قبلكم﴾ فَبيِّنت لهم ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يعني : أهل الكتاب[٢]، وبلغني أنها في قراءة أبي بن كعب[٣]: قد سألها قوم من قبلكم فبينته لهم فأصبحوا بها كافرين .

قوله : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ...﴾ إلى قوله : ﴿لا يعقلون﴾ يعني : لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم .

قال قتادة[٤]: كانت البحيرة من الإبل ؛ كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، نظر إلى البطن الخامس ؛ فإن كان ذكرًا أكله الرجال دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها ؛ أي : شقوها ، وتركت فلا يشرب لها لبن ، ولا يُجَزُّ لها وَبَرٌ ، ولا يُرْكب لها ظَهْر . والسائبة : كانوا يسيبون ما بدا لهم من أموالهم ، فلا يمنع من ماء ولا مرعى . والوصيلة من الغنم : كانوا إذا نتجت الشاة سبعة أبطن ، نظروا إلى البطن السابع ، فإن كان ذكرًا ذُبح ، فكان للرجال دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء ، وإن كانت أنثى تركت ، وإن جاءت بذكر وأنثى قيل : وصلت أخاها فمنعته الذبح . وكان الحام إذا ركب من ولده عشرة قيل حمى ظهره فلا (يُزَمّ)[٥] ولا يخطم ولا يركب .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ يعني : إذا لم يقبل منكم . ﴿لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾ ليس هذا في ضلال الكفر (ل٨٩) ولكن في الضلال عن الحق في الإسلام .

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٤/٣ رقم ١٣٧/٢٣٥٩) عن أنس بنحوه .

(٢) زاد بعدها في «ر» : (حدثنا يحيى) .

(٣) انظر الدر المنثور (٣٦٧/٢) .

(٤) رواه عبد الرزاق (١٩٧/١ - ١٩٨) والطبري (٩٠/٧) .

(٥) أي : لا يوضع له زمام يزمّه .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن : « أن هذه الآية قُرِئَت عند عبد الله بن مسعود ، فقال : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم »[1].

قال محمد : المعنى : إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم ، وإذا قلت : عليك فلانًا ، فالمعنى : الزم فلانًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ...﴾ إلى قوله : ﴿وآخران من غيركم﴾ .

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣/٦٤٥ رقم ٢٩٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه الطبري (٧/٩٤) من طريق أبي الأشهب به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٩٩) والطبري (٧/٩٥) من طريق معمر عن الحسن به .
ورواه سعيد بن منصور (٤/١٦٥٥ رقم ٨٤٣، ٤/١٦٦٠ رقم ٨٤٩) والطبري (٧/٩٤) والطبراني (٩/٢٥١ رقم ٩٠٧٢) من طريق يونس عن الحسن به .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٩) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود ، والله أعلم .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٧٢) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ .
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٢٧ رقم ٦٩٢٢) والطبري في تفسيره (٧/٩٦) من طريق أبي العالية عن ابن مسعود .
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٧٢) نسبته إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب .
ورواه سعيد بن منصور (٤/١٦٥٦ رقم ٨٤٤) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود به .
وعزاه السيوطي في الدر (٢/٣٧٢) لعبد بن حميد أيضًا .

قال يحيى : فيها تقديم ؛ يقول : يا أيها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت فأشهدوا ذوي عدلٍ منكم .

قال محمد : ﴿شهادة بينكم﴾ رفع بالابتداء والخبر ﴿اثنان﴾ المعنى : شهادة هذه الحال شهادة اثنين(١).

قال الحسن(٢): يعني : من المسلمين من العشيرة ، لأن العشيرة أعلم بالرجل وبولده وماله ، وأجدر ألا ينسوا ما يشهدون عليه ، فإن لم يكن من العشيرة أحدٌ فآخران من غير العشيرة ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فإن شهدا وهما عَدلان مضت شهادتهما وإن ارتيب(٣) في شهادتهما حُبسا بعد صلاة العصر ، وفيها تقديم ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [صلاة العصر](٤) ﴿إن ارتبتم﴾ . قال الحسن : ولو كانا من غير أهل [الصلاة](٥) ما حلفا دبر الصلاة ﴿فيقسمان باللَّه إن ارتبتم لا نشتري به ثمنًا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة اللَّه إنا إذًا لمن الآثمين﴾ .

فتمضي شهادتهما ﴿فإن عثر﴾ يعني : اطُّلع ﴿على أنهما استحقا إثمًا﴾ أي : شهدا بزور ﴿فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ يعني : الورثة ﴿الأَوْلَيَان فيقسمان باللَّه ...﴾ الآية .

قال محمد : المعنى : فليقم الأوليان من الذين استحق عليهم الوصية(٦).

﴿ذلك أدنى﴾ أجدر ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم﴾ قال الحسن : فأراد اللَّه أن ينكل الشهود بعضهم ببعض .

---

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر في : إعراب القرآن (٥٢٥/١) ، مجمع البيان (٢٥٥/٢) البحر المحيط (٣٩/٤) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (١٦٧٠/٤ رقم ٨٥٨) والطبري (١٠٥/٧) وابن أبي حاتم (١٢٢٩/٤ رقم ٦٩٣٣) .

(٣) أي : شُك . لسان العرب (ريب) وفي «ر» : ارتبتم .

(٤) سقط من الأصل . والمثبت من «ر» .

(٥) في الأصل : الكتاب . والمثبت من «ر» .

(٦) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (٥٢٦/١ - ٥٢٧) ، مجمع البيان (٢٥٧/٢ - ٢٥٨) ، البحر المحيط (٤٥/٤ - ٤٦) .

قال يحيى: ولم تكن عند الحسن منسوخة، وبعضهم يقول: هي منسوخة[١] ولا يحلف الشاهدان اليوم؛ إن كانا عدلين جازت شهادتهما، وإن لم يكونا عدلين لم تجز شهادتهما؛ قال الله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[٢]. وقال في سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٣] ولم يجعل على الشاهد أن يحلف.

قوله: ﴿واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم قالوا لا علم لنا﴾ قال مجاهد[٤]: تنزع أفئدتهم فلا يعلمون، ثم تردُّ إليهم فيعلمون.

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ أي: يقوله يوم القيامة.

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ (٤٤)، نواسخ القرآن (٣٨٣ - ٣٨٥).

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الطلاق: ٢.

(٤) رواه الثوري في تفسيره (ص ١٠٥) وعبد الرزاق (٢٠١/١) وابن أبي حاتم (١٢٣٦/٤ رقم ٦٩٧٢). وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٧/٢) للفريابي وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك﴾ أعنتُكَ .

﴿بروح القدس﴾ يعني : جبريل ﴿تكلم الناس في المهد﴾ يعني : حجر أمه ﴿وكهلا﴾ أي : كبيرًا ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ يعني : كشبه الطير ﴿وتبرئ الأكمه﴾ يعني : الأعمى الذي تلده أمه وهو مضموم العينين[1].

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك ...﴾ إلى قوله : ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾ يعني : وحيَه إلى عيسى يأمرهم أن يتبعوه ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ قال الحسن : يقولون : هل ربك فاعلٌ ، وهو كلام العرب : ما أستطيع ذلك ؛ أي : ما أنا بفاعل ذلك[2].

يحيى : عن عثمان ، عن أبي الأشهب ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : « هم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا : هل يستطيع ربك ، ولكن قالوا : هل تستطيع ربك ، أي : هل تقدر على هذا منه؟ »[3]

﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (ل٩٠) قاله عيسى ﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾ أي : تسكن ؛ إذا نظرنا إلى المائدة .

﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من عند الله .

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قال عيسى ابن مريم اللَّهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا﴾ قال

---

(١) لسان العرب (كمه) .

(٢) وقيل : استطاع بمعنى أطاع ، والمراد : هل يطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ أي : هل يطيعك ربك إن سألته؟ وإليه ذهب السدي . ينظر تفسير الطبري (١٢٩/٧ - ١٣١) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤٣/٤ رقم ٧٠١٤) من طريق القاسم بن محمد به .
ورواه الطبري في تفسيره (١٢٩/٧) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٩/٢) نسبته إلى : ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

قتادة[١]: أرادوا أن تكون لعقبهم[٢] من بعدهم .

قال محمد : ومعنى ﴿عيدًا﴾ : مَجْمعًا[٣]، و﴿مائدة﴾ الأصل فيها من قولك : مادني ؛ أي : أعطاني ؛ فكأنها تميد الآكلين ؛ أي : تعطيهم[٤].

﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ على شرط ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه﴾ في الدنيا ...الآية ، قال ابن عباس : أنزل على المائدة كل شيء غير اللَّحْم .

قال قتادة[٥]: وذُكر لنا أنهم لما صنعوا في المائدة ما صنعوا من الخيانة وغيرها ، حُوِّلُوا خنازير ، وكانوا أمروا ألا يخونوا فيه ، ولا يخبئوا ، ولا يدخروا لغدٍ ، فخانوا وخبئوا وادَّخروا .

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ يعني : لبني إسرائيل خاصة ﴿اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ يقوله يوم القيامة .

﴿قال سبحانك﴾ ينزه الله أن يكون قاله ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته

---

(١) رواه الطبري (١٣٢/٧) وابن أبي حاتم (١٢٤٩/٤ رقم ٧٠٣٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٩/٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٢) أي : لأولادهم وأولاد أولادهم . لسان العرب (عقب) .

(٣) ولها معان أخرى تنظر من تفسير الطبري (١٣٢/٧ - ١٣٣) .

(٤) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (ميد) .

(٥) رواه الطبري (١٣٦/٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٢/٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن الأنباري وأبي الشيخ .

فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ وقد علم اللّٰه أنه لم يقله .

﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللّٰه ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا مادمت فيهم فلما توفيتني﴾ (وفاة الرفع إلى السماء)(١).

﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾الحفيظ عليهم ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ أي : فبإقامتهم على كفرهم ﴿وإن تغفر لهم﴾ فبتوبة كانت منهم .

﴿قال اللّٰه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ وهي تقرأ على وجه آخر ﴿يومٌ﴾ منوَّنة(٢).

﴿لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار ...ذلك الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة ﴿للّٰه ملك السمٰوات والأرض وما فيهن﴾ أي : وملك ما فيهن ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .



(١) سقط من « ر » .

(٢) قرأها الحسن بن عيّاش الشامي والأعمش منونة على الرفع ، وروي عن الأعمش أنه قرأها منونة على النصب ، وقرأ الجمهور برفعه من غير تنوين ، ونافع على نصبه من غير تنوين .
ينظر : البحر المحيط (٦٣/٤) ، الإعراب للنحاس (٥٣/٢) ، الكشاف (٣٧٥/٢) ، الدر المصون (٦٥٩/٢) ، السبعة (٢٥٠) ، النشر (٢٥٦/٢) .

تَفْسِيرُ سورة الأَنْعَامِ

وَهِي مكّيّةٌ كُلُّهَا في قول قتادة ، وقال الكلبي : إلا ثلاث آيات مدنيات في آخرها قوله تعالى : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ...﴾ إلى قوله : ﴿لعلكم تتقون﴾[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾

قوله : ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ الظلمات : الليل ، والنور : ضوء النهار .

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عدلوا به أصنامهم التي عبدوها من دون الله .

﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني : آدم ، ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين ضعيف ؛ يعني : النطفة ﴿ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده﴾ قال قتادة[2]: ﴿ثم قضى أجلا﴾ يعني : الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ ما بين الموت إلى البعث ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون في الساعة .

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ يعني : القرآن ، ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ يعني به : مشركي العرب .

﴿فقد كذّبوا بالحق﴾ يعني : بالقرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾

---

(١) وهي الآيات : (١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

(٢) ينظر تفسير الطبري (٧/ ١٤٦، ١٤٧) وتفسير ابن أبي حاتم (١٢٦١/٤ رقم ٧٠٩٢) والدر المنثور (٣/٥).

يأتيهم علمه في الأرض ، فيأخذهم الله فيدخلهم النار .

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿كم أهلكنا﴾ عذبنا ﴿من قبلهم﴾ يعني : كفار مكة . إلى قوله : ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يحذر مشركي العرب ، ويخوفهم ما أهلك به الأمم حين كذَّبوا رسلهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم قرنًا آخرين﴾ .

قال محمد : يقال : القرن : ثمانون سنة[1].

﴿ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس ...﴾ الآية ، قال الحسن : وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية : بكتاب يقرءونه وقالوا : لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه من الله (ل ٩١) إلى كل رجل باسمه ؛ أن آمن بمحمد ؛ فإنه رسولي .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه ملك﴾ أي : يأمرنا باتباعه .

قال الله : ﴿ولو أنزلنا ملكًا لقضي الأمر﴾ بعذابهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يؤخرون بعد نزول الملك ؛ لأن القوم إذا سألوا نبيهم الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا ، أهلكهم الله .

﴿ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا﴾ أي : لجعلنا ذلك الملك في صورة آدمي ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أي : ولخلطنا عليهم ما يخلطون ؛ لأنهم طلبوا أن يكون ملك مع آدمي .

قال محمد : وقيل : المعنى : لأضللناهم بما ضلوا به قبل أن يبعث الملك .

---

(١) ويقال : القرن مائة سنة ، وهو المعروف ، ويقال : ثلاثون سنة . وقيل غير ذلك .
ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح ، المعجم الوسيط (قرن) .

﴿ولقد استُهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني : نزل بهم عقوبة استهزائهم .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم ، ثم صيرهم إلى النار .

﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ أي : أوجبها .

﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي : خسروها بمصيرهم إلى النار ﴿فهم لا يؤمنون﴾ يعني : من مات على كفره .

﴿قل أغير الله أتخذ وليًا فاطر السموات والأرض﴾ يعني : خالقهما .

﴿وهو يُطعِمُ ولا يُطعَم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ يعني : من أمته .

﴿من يصرف عنه يومئذ﴾ يعني : من يصرف عنه عذابه ﴿فقد رحمه﴾ .

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت ، وبما شاء من أمره ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بخلقه .

﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ قال الكلبي : قال المشركون من أهل مكة للنبي : من يعلم أنك رسول الله فيشهدُ لك؟ فأنزل الله : ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيدٌ بيني وبينكم﴾ فهو شهيد أني رسوله .

﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ أي : من بلغه القرآن .

قال مجاهد[١]: يعني : من أسلم من العجم[٢] وغيرهم .

﴿أئنّكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ وهذا على الاستفهام ؛ أي : قد شهدتم أن مع الله آلهة أخرى؟

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ فيعبد معه الأوثان ؛ أي : لا أحد أظلم منه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ يعني : أوثانهم .

﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ يعني : معذرتهم ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالكذب ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني : الأوثان التي عبدوها ضلت عنهم ؛ فلم تُغْن عنهم شيئًا .

قال محمد : من قرأ ﴿ربِّنا﴾ بالخفض ، فهو على النَّعت والثناء[٣]، ومن قرأ ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾

---

(١) رواه الطبري (١٦٣/٧) وابن أبي حاتم (١٢٧١/٤ رقم ٧١٦٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٨/٣) لآدم بن أبي إياس وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) العَجَم : هم خلاف العرب ، الواحد : عَجَميٌّ نطق بالعربية أو لم ينطق . ويقال لهم أيضًا : العُجْم ، والواحد : أعْجَم .

ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (عجم) .

(٣) قرأ بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي . وفي الآية أقوال نحوية أخرى ينظر : السبعة (٢٥٥) ، التيسير (١٠٢) ، النشر (٢٥٧/٢) ، البحر المحيط (٩٥/٤) .

بالنصب، فهو خبر ﴿تكن﴾، والاسم ﴿إلا أن قالوا﴾[1].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه[2]. ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ يعني: صَمَمًا عن الهدى.

﴿وإن يروا كل آية﴾ يعني: ما سألوا النبي ﷺ من الآيات.

﴿لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ ومجادلتهم أن ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم؛ يعنون: القرآن.

﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾ قال الحسن: ينهون عن اتباع محمد، ويتباعدون عنه ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ بذلك ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يهلكون أنفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم﴾ في الآخرة ﴿ما كانوا يخفون من قبل﴾ إذ كانوا في الدنيا، وكانوا يكذبون بالبعث. قال بعضهم: نزلت في المنافقين ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعادوا لما نُهوا عنه﴾ من التكذيب ﴿وإنهم لكاذبون﴾ (ل٩٢) أي: أنهم لم يكونوا ليؤمنوا؛ أخبر بعلمه فيهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص ﴿فتنتُهم﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. وفي الآية أقوال نحوية أخرى. ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢/٢٥٧)، البحر المحيط (٤/٩٥).

(٢) أي: بحذف (لا) من الآية. ينظر: البحر المحيط (٤/٩٥).

تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق﴾ الذي كنتم تكذبون به إذ أنتم في الدنيا ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فآمنوا حين لم ينفعهم الإيمان .

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا﴾ والتحسُّر : التندم ﴿على ما فرطنا فيها﴾ (في)(١) الساعة ، إذ لم يؤمنوا بها ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء﴾ (بئس)(٢) ﴿ما يزرون﴾ يحملون ذنوبهم .

يحيى : عن صاحب له ، عن إسماعيل بن أبي رافع(٣)، عن سعيد المقبري(٤)، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكافر إذا خرج من قبره مثِّل(٥) له عمله في أقبح صورة رآها قط ، أقبحه وجهًا ، وأنتنه ريحًا ، وأسوأه لفظًا ؛ فيقول : من أنت؟ أعوذ بالله منك ؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا ، ولا أنتن منك ريحًا ، ولا أسوأ منك لفظًا . فيقول : أتعجب من قبحي؟ فيقول : نعم . فيقول : أنا والله عملك الخبيث ، وإنك كنت تركبني في الدنيا ، وإني والله لأركبنك اليوم ؛ فيركبه فلا يرى شيئًا يهوله ولا يروعُه إلا قال : أَبْشر(٦) يا عدوَّ الله ، أنت الذي تراد وأنت الذي تُعنى . وهو قوله : ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ...﴾الآية »(٧).

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ

---

(١) في « ر » : من .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) كذا في الأصل و « ر » : إسماعيل بن أبي رافع . وأظن الصواب إسماعيل بن رافع ، وهو أبو رافع القاصُّ المدني ، وهو ضعيف ، يروي عن سعيد المقبري ، ترجمته في التهذيب (٣/٨٥ - ٩٠) والله أعلم .

(٤) في « ر » : عن أبي سعيد .

(٥) أي : صور .

(٦) تطلق البشرى في اللغة على الأمر الحسن أو السيئ ، فليست مقصورة على الحسن فحسب ، ومن إطلاقها على السيئ قوله تعالى : ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (الانشقاق : ٢٤) .

(٧) لم أقف عليه بهذا الإسناد ، والله أعلم .

رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي : أنَّ أهل الدنيا أهل لعب ولهو .

﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنك ساحرٌ ، وإنك شاعرٌ ، وإنك كاهن ، وإنك مجنونٌ .

قال الكلبي : شق عليه وحزن ، فأخبره اللَّه - عز وجل - أنهم لا يكذبونك ، وقد عرفوا أنك صادق ﴿ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون﴾ .

قال محمد : من قرأ ﴿لا يُكْذِبُونَكَ﴾ بالتخفيف ، فالمعنى : لا يلفونك كاذبًا ، ومن قرأ ﴿لا يُكَذِّبونك﴾ فالمعنى : لا ينسبونك إلى الكذب[1].

﴿ولقد كذبت رسل من قبلك ...﴾ إلى قوله : ﴿ولا مبدل لكلمات اللَّه﴾ أي : أنه سينصرك ، ويظهر دينك ، كما نصر الرسل الذين كُذبوا من قبلك ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ من أخبار المرسلين أنهم قد نصروا بعد الأذى ، وبعد الشدائد .

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ عنك ، وتكذيبهم إياك .

﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقًا في الأرض﴾ أي : سربًا ، فتدخل فيه ﴿أو سلمًا في السماء﴾ أي : إلى السماء[2]، فترقى إليها ﴿فتأتيهم بآية﴾ وهذا حين سألوا الآية .

قال محمد : المعنى : فإن استطعت أن تفعل هذا فافعل ؛ اختصر (فافعل) إذ كان في الكلام ما يدل عليه .

---

(١) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي ، وقرأ الباقون بالتشديد . ينظر : السبعة (٢٥٧) ، النشر (٢/٢٥٧ - ٢٥٨) .
وينظر في توجيه هاتين القراءتين : البحر (٤/١١١) ، كشف المشكلات (١/٣٩٤) .

(٢) أي : أن (في) في الآية بمعنى (إلى) . وانظر في دلالة (في) على معنى (إلى) عمومًا . مغني اللبيب (١/١٩٢) .

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني: المؤمنين ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ قال الحسن[1]: يعني بالموتى: المشركين.

وقوله: ﴿يبعثهم الله﴾ يعني: من يَمُنُّ الله عليهم بالإيمان؟ فيحييهم من شركهم ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِى ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَىۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه﴾ على محمد ﴿آيةٌ﴾ ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد[2]: [أي: أصناف][3] مصنفة [تعرف][3] بأسمائها.

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ من آجالها وأعمالها وأرزاقها وآثارها؛ أي: أن ذلك كله مكتوبٌ عند الله.

﴿والذين كذبوا بآياتنا صمٌّ﴾ عن الهدى؛ فلا يسمعونه ﴿وبكمٌ﴾ عنه؛ فلا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: الكفر.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٨٦/٧) وابن أبي حاتم (١٢٨٥/٤ رقم ٧٢٥٤).
وعزاه السيوطي في الدر (١٢/٣) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.
(٢) رواه الطبري (١٨٧/٧) وابن أبي حاتم (١٢٨٥/٤ رقم ٧٢٥٦).
وعزاه السيوطي في الدر (١٢/٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.
(٣) طمس بالأصل. والمثبت من «ر». وينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٨/٣)، والطبري (١٨٧/٧).

﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب اللّٰه﴾ قال الحسن : يعني : في الدنيا بالاستئصال ﴿أو أتتكم الساعة﴾ بالعذاب ﴿أغير اللّٰه تدعون إن كنتم صادقين﴾ أي : أنكم لا تدعون إلا اللّٰه ؛ فتؤمنوا حيث لا يقبل الإيمان (ل٩٣) منكم ؛ وقد قضى اللّٰه ألا يقبل الإيمان عند نزول العذاب .

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ وهذه مشيئة القدرة ، ولا يشاء أن يكشف عنهم عند نزول العذاب .

﴿وتنسون ما تشركون﴾ باللّٰه من هذه الأوثان ؛ فتعرضون عنها .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ البأساء : البؤس ؛ وهي الشدائد من الجدوبة ، وشدة المعاش . والضراء يعني : الضرّ من الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون فلولا﴾ يعني : فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي : أنهم لم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ غلظت فلم يؤمنوا ، وهذا الذي كان يصيب الأمم من البأساء والضراء إنما هو شيء يبتليهم اللّٰه به قبل العذاب لعلهم يؤمنون ؛ فإذا لم يؤمنوا أهلكهم اللّٰه .

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي : (كذبوا)[1] ما جاءتهم به الرسل .

﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من الرزق ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ بما أعطوا ﴿أخذناهم بغتة﴾ يعني : بالعذاب فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ ييأسون ﴿فقطع دابر﴾ أصل ﴿القوم الذين ظلموا﴾ أشركوا .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ

(١) في « ر » : تركوا .

جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم﴾ [فأصمها][1] ﴿وأبصاركم﴾ فأعماها .

﴿وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي : بما أذهَبَ ؛ يقول : ليس يفعل ذلك ؛ حتى يَرُدَّهُ عليكم إن شاء إلا هو ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نبينها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي : يعرضون عنها .

﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ أي : ليلاً ﴿أو جهرة﴾ نهارًا ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ يخوفهم العذاب ؛ إن لم يؤمنوا .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ يعني : بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار .

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ أي : علم خزائن الله الذي فيه العذاب ؛ لقولهم : ﴿ائتنا بعذاب الله﴾[2].

﴿ولا أعلم الغيب﴾ فيأتيكم العذاب . ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ إنما أنا بشر ، ولكني رسولٌ يوحى إليَّ . ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ أي : إنما أبلغ عن الله ما أمرني به .

﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ يعني : الذي لا يبصر ﴿والبصير﴾ الذي يبصر ؛ هذا مثل المؤمن والكافر ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي : أنهما لا يستويان .

﴿وأنذر به﴾ يعني : بالقرآن ﴿الذين يخافون﴾ يعني : يعلمون ﴿[أن يحشروا][3] إلى ربهم﴾

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٩.

(٣) في الأصل : أنهم يحشرون .

يعني : المؤمنين ؛ هذا مثل قوله : ﴿إنما تنذر به من اتبع الذكر﴾[١] إنما يقْبَلُ منك مَنْ آمَنَ .

﴿ليس لهم من دونه﴾ أي : من دون الله ﴿ولي﴾ يمنعهم من عذابه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم ؛ إن لم يكونوا مؤمنين .

﴿لعلهم﴾ لعل المشركين ﴿يتقون﴾ هذا فيؤمنوا .

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال الحسن : يعني : صلاة مكة ؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة ، وركعتين عشيَّة ، قبل أن تفترض الصلوات الخمس .

قال قتادة[٢]: قال قائلون لرسول الله : إن سرك أن نتبعك ، فاطرد عنا فلانًا وفلانًا وفلانًا – لأناس كانوا دونهم [في الدنيا][٣] ازدراهم المشركون – فأنزل الله هذه الآية ، ومعنى قوله : ﴿يريدون وجهه﴾ يريدون الله ورضاه .

﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يعني : المؤمنين الذين قالت له قريش : اطردهم. قال : ﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ أي : إن طردتهم .

قال محمد : ﴿فتكون من الظالمين﴾ هو جواب ﴿ولا تطرد﴾ وقوله : ﴿فتطردهم﴾ هو جواب ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾[٤].

﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ يعني : الموحِّدين .

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ

(١) سورة يس : ١١.
(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٨/٢) والطبري (٢٠٢/٧) .
(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » وفي تفسير الطبري بدل ما بين القوسين : (من ضعفاء المسلمين) .
(٤) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من : إعراب القرآن (٥٤٩/١) ، البحر (١٣٨/٤) .

﴿ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي : أن أبا طالب هو الذي قال للنَّبي : اطرد (ل٩٤) فلانًا وفلانًا وفلانًا ، وأنَّ ناسًا من أصحاب النبي قالوا : يا رسول اللَّه ، صدق عمك ؛ فاطرد عنا سفلة الموالي ، فعاتبهم اللَّه في الآية الأولى ، فجاءوا يعتذرون إلى رسول اللَّه من سقطتهم ، ويسألونه أن يعفوَ عنهم ، فأنزل اللَّه : ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم﴾ أمره اللَّه أن يسلم عليهم .

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة﴾ [قال قتادة : كل ذنب عمله عبد فهو بجهالة][(١)].

قال محمد : ومن قرأ : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه﴾ بفتح الألف[(٢)]، فالمعنى : وكتب أنه ، ومن قرأ : ﴿فإنه غفور رحيم﴾ بكسر الألف[(٣)]؛ فإنه على الاستئناف .

قوله : ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي : نبيِّنها ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ يعني : المشركين بالآيات التي بيَّن اللَّه فيها سبيل الهدى من سبيل الضلالة .

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون اللَّه﴾ يعني : الأوثان .

﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادة الأوثان ﴿قد ضللت إذًا﴾ إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من

---

(١) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » ، وينظر تفسير عبد الرزاق (١/١٥١) وتفسير الطبري (٤/٢٩٨) .

(٢) قرأ بفتح الهمزة عاصم وابن عامر . ينظر : التيسير (١٠٢) ، النشر (٢/٢٥٨) ، وينظر التوجيه النحوي في : البحر (٤/١٤٠ - ١٤١) ، إعراب القرآن (١/٥٥٠ - ٥٥١) .

(٣) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا وابن عامر ونافع . ينظر السبعة (٢٥٨) ، النشر (٢/٢٥٨) ، وينظر التوجيه النحوي في : مجمع البيان (٢/٣٠٧) ، البحر (٤/١٤٠ - ١٤١) .

المهتدين قل إني على بينة من ربي﴾ يعني : النبوة ﴿وكذبتم به﴾ بالقرآن .

﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب ؛ لقولهم : ﴿عجل لنا قطنا﴾[(١)] يعني : عذابنا ﴿قبل يوم الحساب﴾[(١)] ، ولقولهم : ﴿اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[(٢)] وأشباه ذلك .

﴿إن الحكم إلا للّه﴾ إن القضاء إلا للّه ﴿يقضي الحق﴾[(٣)] وتقرأ أيضًا ﴿يقص الحق﴾ من القصص ﴿وهو خير الفاصلين﴾ بالحكم .

﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من عذاب اللّه ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ يعني : الساعة ، فأتيتكم بالعذاب ﴿واللّه أعلم بالظالمين﴾ المعنى : وهو يعلم أنكم ظالمون ؛ أي : مشركون .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ يعني : خزائن الغيب ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ يعلم متى يأتيكم العذاب ؛ هذا تفسير الحسن ﴿ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ [في جوف الأرض][(٤)] ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ بيّن ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يعني : النوم ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ ما عملتم بالنهار ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ قال مجاهد[(٥)]: يعني : في النهار . ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ يعني : الساعة باختلاف الليل والنهار .

---

(١) سورة ص : ١٦.

(٢) سورة الأنفال : ٣٢.

(٣) هكذا وردت القراءة بالأصل و « ر » (يقضي) ، وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ونافعًا وعاصمًا ، حيث قرءوا ﴿يقصّ﴾ . ينظر : النشر (٢/٢٥٨) ، السبعة (٢٥٩) ، التيسير (١٠٣) .

(٤) سقطت من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٥) رواه الطبري (٧/٢١٥) وابن أبي حاتم (٤/١٣٠٦ رقم ٧٣٧٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/١٧ - ١٨) لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

﴿ثم إليه مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت ، وبما شاء من أمره . ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ من الملائكة ؛ يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها ، ويحفظونه مما لم يُقدَّرْ له ؛ حتى يأتي القدر ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ في أمر الله .

يحيى : وبلغنا أن لملك الموت أعوانًا من الملائكة هم الذين يسلون الروح من الجسد ؛ حتى إذا [كانوا عند خروجهم جاء][1] ملك الموت ، وهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله .

﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ يعني : مالكهم ، والحق : اسم من أسماء الله ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ .

قال يحيى : سمعت بعض الكوفيين يقول : يفرغ الله من القضاء بين الخلق إذا أخذ في حسابهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا .

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ يعني : كروب البر والبحر .

﴿تدعونه تضرعًا وخفية﴾ أي : سرًّا بالتضرع ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الشدة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ يعني : المؤمنين .

﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أي : كل كرب نجوتُمْ منه فهو الذي أنجاكم منه ﴿ثم

---

(١) في الأصل : كان عند خروجه قبضه . والمثبت من « ر » .

أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ (ل٩٥) تفسير الحسن في قوله: ﴿عذابًا من فوقكم﴾ فيحصبكم[1] بالحجارة كما حصب قوم لوط، أو يبعض ما ينزل من العذاب ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ أي: بِخَسْفٍ أو بِرَجْفَةٍ ﴿أو يلبسكم شيعًا﴾ يعني: اختلافًا.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي: فيقتل بعضكم بعضًا ﴿وكذّب به قومك وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم حتى [أجازيكم][2] بها إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم.

﴿ولكل نبإ مستقر﴾ تفسير الحسن: يقول: لكل نبإ مستقر عند الله خيره وشره.

﴿وسوف تعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيدٌ من الله للكفار؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال مجاهد[3]: يعني: يستهزئون بها ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم[4].

﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ نُهِي أن يقعد معهم، إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقُمْ.

﴿وما على الذين يتقون﴾ يعني: المؤمنين ﴿من حسابهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين ليس عليهم من حساب المشركين؛ أي: إن قعدوا معهم ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ قال الكلبي: قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا كنا كلما استهزأ المشركون بكتاب الله قمنا وتركناهم لم ندخل

---

(١) أي: يرميكم بالحصباء، وهي صغار الحجارة. لسان العرب (حصب).

(٢) في «الأصل»: بجازيكم. والمثبت من «ر».

(٣) رواه الطبري (٧/٢٢٩).

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٢ - ٢٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥).

المسجد ولم نطُفْ بالبيت ، فرخص الله للمؤمنين ؛ فقال : ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ فكان على المسلمين أن يذكروهم ما استطاعوا .

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ قال قتادة[1]: وهذا مما نسخ القتال[2].

﴿وذكر به﴾ بالقرآن ﴿أن تبسل نفسٌ بما كسبت﴾ يعني : أن تُسْلَم ﴿بما كسبت﴾ عملت ؛ أي : تُسْلم في النار ﴿ليس لها من دون الله وليٌّ﴾ يمنعها منه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها عنده ؛ وهذا الكافر .

﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي : تفتدي بكل فدية ﴿لا يؤخذ منها﴾ لا يقبل منها ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ أُسْلموا في النار . ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ﴿لهم شرابٌ من حميم﴾ والحميم : الحار الذي قد انتهى حَرُّه ﴿وعذاب أليم﴾ موجعٌ .

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قل أندعوا من دون الله﴾ يعني : نعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ وهي الأوثان .

﴿ونرد على أعقابنا﴾ أي : نرجع إلى الكفر ﴿بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ أي : غلبت عليه ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ أي : كرجل ضل في أرض فلاة[3]، له أصحاب كلهم يدعونه إلى الطريق فهو متحير ؛ هذا مثل من ضل بعد الهدى ،

---

(١) ينظر تفسير عبد الرزاق (٢١٢/١) وتفسير الطبري (٢٣١/٧) .
وتفسير ابن أبي حاتم (١٣١٧/٤ رقم ٧٤٤٨) والدر المنثور (٢٣/٣ - ٢٤) .
(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص٤٥) ونواسخ القرآن (ص٣٩٠) .
(٣) أي : صحراء ، والجمع . فَلَوَاتٌ ، وفَلاً . لسان العرب (فلو) .

قال الله للنبي : ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وهو الذي أنت عليه .

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝٧٣﴾

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي : للحق ؛ يعني : الميعاد ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ يعني : يوم القيامة .

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ينفخ فيه مَلَكٌ يقوم بين السماء والأرض ، قال قتادة : من الصخرة من بيت المقدس ، والصُّور : قَرْنٌ فيه أرواح الخلق؟ فينفخ فيه فيذهب كل روح إلى جسده ، فيدخل فيه ، ثم ينطلقون سراعًا إلى المنادي صاحب الصُّور إلى بيت المقدس ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب : السرُّ ، والشهادة : العلانية ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بأعمال العباد .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة﴾ قال قتادة : أبو إبراهيم اسمه : تارح[١]

قال يحيى : والمقرأة[٢] على هذا التفسير : ﴿آزرُ﴾ بالرفع ، وكذلك كان الحسن (ل٩٦) يقرؤها بالرفع[٣] (آزرُ) يقوله إبراهيم لأبيه[٤].

---

(١) وقيل : اسم أبيه آزر ، وقيل : آزر هو تارح ، وقيل غير ذلك . ينظر : تفسير الطبري (٢٤٢/٧ - ٢٤٤) .

(٢) أي : القراءة ، فهو مصدر ميمي على وزن مَفعَلَة .

(٣) وهي قراءة يعقوب ، وعزيت إلى أبي وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم . ينظر : النشر (٢٥٩/٢) ، المحتسب (٢٢٣/١) ، البحر المحيط (١٦٤/٤) .

(٤) أي : على النداء ، أي : يقول إبراهيم لأبيه : يا آزر .

قال محمدٌ : قال أبو عبيد[١]: مَقْرأ الحسن بالرفع ؛ هو بمعنى (يا آزر) . وقال الخليل[٢]: معنى (يا آزر) الشيء يُعَيِّره به ؛ كأنه قال : يا مُعْوَجُّ ، يا ضال[٣].

قال يحيى : وكان بعضهم يقرؤها بالنصب[٤]، ويقول : اسم أبيه : (آزر) .

﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت﴾ يعني : ملك ﴿السموات والأرض ...﴾ الآية .

تفسير قتادة[٥] قال : ذكر لنا أن إبراهيم فُرَّ به من جبار مترف ؛ فجعل في سرْبٍ ، وجُعل رزقُه في أطراف أصابعه ، فجعل لا يمص إصْبَعًا إلا وجد فيها رزقًا ، وإنه لما خرج من ذلك السَّرْب أراه اللَّهُ ملكوت السموات ؛ أراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وعيونًا وخلقًا عظيمًا ، وأراه ملكوت الأرض ؛ فأراه جبالاً وبحارًا وأنهارًا وشجرًا ، ومن كل الدواب وخلقًا عظيمًا .

﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾ أي : [آواه][٦].

قال محمد : يقال : جنَّ عليه الليل ، وأجنَّهُ الليل ؛ إذا أظلم حتى يستره بظلمته[٧].

﴿رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وأهمه[٨] النظر[٩] فراعى

---

(١) أبو عبيد : هو أبو عبيد القاسم بن سلام ؛ الإمام الجليل ، توفي سنة ٢٢٤هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠ - ٥٠٩) .
وفي « ر » : أبو عبيدة وهو معمر بن المثنى البصري العلامة النحوي ، ترجمته في تهذيب الكمال (٣١٦/٢٨ - ٣٢١) .

(٢) هو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) علامة العرب ، وهو أشهر اللغويين والنحاة واضع علمي المعاجم والعروض ، وله المؤلفات السائرة ككتاب العين والعروض وغيرهما . ينظر الأعلام (٣١٤/٢) .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (٢٤٣/٧) ، كشف المشكلات (٤٠٧/١) .
وفي كتاب العين للخليل (٣٨٢/٦) آزر : اسم والد إبراهيم عليه السلام .

(٤) وهي قراءة الجمهور . ينظر : إتحاف الفضلاء (٢١١) البحر المحيط (١٦٤/٤) ، النشر (٢٥٩/٢) .

(٥) رواه عبد الرزاق (٢١٢/١ - ٢١٣) والطبري (٢٤٦/٧ - ٢٤٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٧/٣ - ٢٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦) في الأصل : أتاه . والمثبت من « ر » .

(٧) يقال : جَنَّ وأجَنَّ ، واجْتَنَّ ، واسْتَجَنَّ بمعنى واحد ؛ أي : استتر ، والمراد : استتر بظلمة الليل .
ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (جنن) .

(٨) أي : أتعبه . لسان العرب (همم) .

(٩) اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مقام مناظرة ، والصحيح أنه مقام مناظرة . انظر تفسير القرطبي (٢٥/٧ - ٢٧) وتفسير ابن كثير (١٥١/٢ - ١٥٢) وأضواء البيان (١٨٠/٢) .

الكوكب حتى ذهب وغاب ، قال : واطَّلع القمر ، وكان ليلةَ آخرِ الشهر ﴿ فلما رأى القمر بازغًا﴾ أي : طالعًا ﴿قال هذا ربي﴾ قال : فراعاه حتى غاب ﴿فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ قال : فازداد قربًا من معرفة الله ﴿فلما رأى الشمس بازغةً﴾ [أي : طالعة][1] ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي : من القمر والكوكب . قال : فراعاها حتى غابت ﴿فلما أفلت﴾ ذهبت ﴿قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون﴾ .

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وحاجَّه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به﴾ يعني : أصنامهم التي كانوا يعبدون .

قال محمد : ذكر أبو عبيد[2]؛ أن نافعًا قرأ : ﴿أتحاجوني﴾ بتخفيف النون[3]، ومثله : ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد﴾[4] قال : وقرأهما أهل العراق مثقَّلتين : ﴿أتحاجونِّي﴾ ، و﴿تأمرونِّي﴾[5].

قال أبو عبيد[2] : وكذلك القراءة عندنا بتثقيلهما[6]؛ لأن الأصل أن يكون[7] بنونين : نون

---

(١) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٢) في « ر » : أبو عبيدة .

(٣) وقراءة التخفيف هي قراءة نافع ، وابن عامر ؛ بخلاف عن هشام عنه . ينظر : السبعة (٢٦١) ، النشر (٢/٢٥٩ - ٢٦٠) ، التيسير (١٠٤) .

(٤) سورة الزمر : ٦٤.

(٥) وقراء التشديد هي قراءة الباقين (أي : باستثناء نافع وابن عامر) ينظر : السبعة (٢٦١) ، النشر (٢/٢٥٩ - ٢٦٠) ، التيسير (١٠٤) .

(٦) أي : أتحاجونِّي ، وتأمرونِّي .

(٧) لعل الصواب (يكونا) ، أو التقدير : يكون الفعل منهما .

الفعل[١]، ونون اسم الفاعل[٢]: فلما كُتِبَتَا في المصحف على نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل؛ فثقلوا النون؛ لتكون المتروكة مدغمةً. قال: وإنما كره التثقيل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين؛ وهي الواو والنون المدغمة فحذفوها[٣].

قوله: ﴿وسع ربي كل شيءٍ علمًا﴾ قال قتادة: يعني: ملأ ربي.

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني: من هذه الأوثان ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سُلْطانًا﴾ يعني: حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي: من عبد الله، و[من][٤] عبد الأوثان؟ ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يعني: يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾ يوم القيامة ﴿وهم مهتدون﴾ في الدنيا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ إلى قوله: ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾ يعني: عالمي زمانهم ﴿ واجتبيناهم﴾ (استخلصناهم)[٥] للنبوة.

﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم﴾ يعني: الفهم والعقل ﴿والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾

---

(١) أي: نون الرفع في الأمثلة الخمسة.

(٢) هذا اصطلاحه، ومصطلح النحاة (نون الوقاية) أو (نون العماد) ينظر: البحر (١٦٩/٤)، الدر المصون (١٠٨/٣).

(٣) ينظر: كشف المشكلات (٤١٠/١)، البحر (١٦٩/٤)، إعراب القرآن (٥٦٠/١).

(٤) ليست في الأصل و «ر».

(٥) في «ر»: أخلصناهم.

قال الحسن : يعني : المشركين ﴿ فقد وكلنا بها﴾ بالنبوة ﴿قومًا ليسوا بها بكافرين﴾ يعني : النبيين الذين ذَكَر[١]: داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء المذكورين في الآية .

﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعني : النبيين الذين قصَّ .

﴿فبهداهم اقتده﴾ يقوله لمحمد عليه السلام .

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي : ما عظموه حق عظمته ﴿ إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء﴾ تفسير الحسن : هم اليهود [كانوا][٢] يقولون : هؤلاء قوم أميون ؛ يعنون : النبي عليه السلام وأصحابه (ل ٩٧) فَألْبِسُوا[٣] عليهم ؛ فقالوا : ﴿ ما أنزل الله على بشرٍ من شيء﴾ فقد كانت الأنبياء تجيء من عند الله ، فلم تكن تجيء بالكتب ؛ فمن أين جاء محمد بهذا الكتاب؟! قال الله لمحمد : قل لهم : ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدًى للناس﴾ يعني : لمن اهتدى به ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾ والقراطيس : الكتب التي كتبوا بأيديهم بما حرفوا من التوراة .

﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ يقول : علمتم علمًا ؛ فلم يصر لكم علمًا ؛ لتضييعكم إياه ، ولا لآبائكم ﴿قل الله﴾ الذي أنزل الكتاب ، الآية . وهذا قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب .

﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك﴾ يعني : القرآن ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل .

﴿ولتنذر أم القرى﴾ يعني : ولتنذر أهل مكة ﴿ ومن حولها﴾ يعني : سائر الأرض .

---

(١) في « ر » : ذُكِرُوا .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) أي : أدخلوا عليهم الشك والبطلان بإثارة الشبهات . لسان العرب (لبس) .

﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ قال قتادة[١]: يحافظون على وضوئها ومواقيتها، وركوعها وسجودها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ يقول: لا أحد أظلم منه ﴿أو قال أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ قال الحسن[٢] وقتادة[٢]: نزلتْ في مسيلمة الكذَّاب.

﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت...﴾ الآية.

يحيى: أخبرني بعض الكوفيين عمَّن حدثه، عن أبي أمامة قال: «هذا عند الموت يقبضون [روح الكافر][٣] (ويَعِدُونه)[٤] بالنار، ويُشَدَّدُ عليه، وإن رأيتم أنه يُهَوَّنُ عليه، ويقبضون روح المؤمن، ويَعِدُونه بالجنة ويُهَوَّنُ عليه، وإن رأيتم أنه يُشَدَّدُ عليه».

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ يقول: خلقنا كل إنسان فردًا، ويأتينا يوم القيامة فردًا.

قال محمد: ﴿فرادى﴾ جمع فرْدٍ؛ وكأنه جمع (فَرْدَان)؛ كما قالوا: كَسْلان وكُسَالى[٥].

﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي: ما أعطيناكم ﴿وراء ظهوركم﴾ يعني: في الدنيا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٣٤٦/٤ رقم ٧٦٢٢).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢١٣/٢) والطبري (٢٧٤/٧) وابن أبي حاتم (١٣٤٦/٤ رقم ٧٦٢٥).

(٣) في الأصل: روحه. والمثبت من «ر».

(٤) في «ر»: ويعذبونه.

(٥) قال الفراء: فرادى جمع فَرْد، وفريد، وفَرِد، وفَرْدَان. وقال ابن قتيبة: هو جمع فَرْدَان، كسَكْران وسكارى، وعَجْلان وعُجَالى. وقال قوم: هو جمع فريد كرديف ورُدَافى، وأسير وأُسَارى؛ قاله الراغب الأصفهاني. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (فرد)، الدر المصون (١٢٤/٣).

﴿وما نرى معكم شفعاءكم﴾ يعني: آلهتكم ﴿ الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ أي: أنهم شركاء لله فيكم؛ فعبدتموهم من دون الله ﴿ لقد تقطع بينكم﴾ أي: وَصْلُكم الذي كان يواصل به بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان؛ هذا تفسير من قرأها بالرفع، ومن قرأها بالنصب فالمعنى: لقد تقطع ما بينكم من المواصلة[1].

﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله: ﴿إنَّ الله فالقُ الحب والنوى﴾ قال الحسن: يعني: ينفلق عن النبات.

﴿يخرج الحيَّ من الميت ومخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ أي: فكيف تصرف عقولكم؟! ﴿ فالق الإصباحِ﴾ خالق الإصباح؛ يعني: الصبح حين يضيء وكان الحسن يقرؤها: (الأَصْبَاح) جمع: صُبْح[2].

﴿وجاعِلُ الليلِ[3] سكنًا﴾ يسكن فيه الخلق ﴿والشمس والقمر حسبانًا﴾ قال الكلبي: يعني: حساب منازل الشمس والقمر، كل يوم بمنزل.

قال محمد: القراءة بالنصب: ﴿والشمسَ والقمرَ﴾[4]؛ أي: وجعل الشمس والقمر، ومن

---

(١) قرأ بنصب ﴿بينكم﴾ نافع والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٢٦٣)، والتيسير (١٠٥)، والنشر (٢/٢٦٠). وينظر في توجيه هاتين القراءتين: ابن الشجري (١/٤٦)، (٢/٢٥٧ - ٢٥٩)، البحر (٤/١٨٢ - ١٨٣)، إعراب القرآن (١/٥٦٦)، الدر المصون (٣/١٢٦).

(٢) قرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر (الأَصْبَاح) جمع (صُبْح) وقرأ الجمهور ﴿الإصباح﴾، على كسر الهمزة، وهو المصدر. ينظر: البحر المحيط (٤/١٨٥)، الدر (٣/١٣٢).

(٣) قرأ الكوفيون ﴿جعل﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وبنصب اللام من ﴿الليل﴾ وقرأ الباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض ﴿الليلِ﴾. النشر (٢/٢٦٠) وإتحاف الفضلاء (٢٧٠).

(٤) وهي قراءة الجمهور، وتأويل النصب على المفعولية بتقدير الفعل (جعل) ينظر: البحر (٧/١٥)، الدر المصون (٣/١٣٤).

كلامهم : حَدُّ كل شيءٍ بحُسْبانه ؛ أي : بحسابه .

﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ يعني : التي يُهْتَدَى بها منها .

﴿وهو الذي أنشأكم من نفسٍ واحدةٍ﴾ يعني : آدم ﴿ فمستقر ومستودع﴾ تفسير ابن عباس[١]: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وكان الحسن يقرؤها (فمستقِرٌ) بكسر القاف[٢] ﴿ومستودَعٌ﴾ وتفسيرها : مستقر في [أجله][٣] ومستودَعٌ [في قبره][٤] (ل ٩٨) من يوم يوضع فيه إلى يوم يبعث .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيءٍ﴾ يعني : النبات الذي ينبت ﴿فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكبًا﴾ أي : يركب بعضه بعضًا .

قال محمدٌ : معنى (خضرًا) كمعنى أخضر .

﴿ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعناب﴾ **قال محمدٌ** : المعنى : أخرجنا من الماء خضرًا وجناتٍ .

﴿والزيتونَ والرمانَ﴾ .

قال يحيى : يعني : وأخرجنا الزيتون والرمان ﴿مشتبهًا وغير متشابه﴾ أي : مشتبهًا في

---

(١) رواه الطبري (٢٨٨/٧) وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ رقم ٧٦٨٣، ٧٦٩٢، ٧٦٩٣) والحاكم (٢/ ٣٤٦، ٥٥٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٩/٣ - ٤٠) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ؛ أي بكسر القاف ، والباقون قرءوا بفتحها . أما ﴿مستودع﴾ فالكل قرءوه مفتوح الدال . وقد روى الأعور عن أبي عمرو بن العلاء كسرها . ينظر : البحر (١٨٨/٤ - ١٨٩) ، الدر المصون (١٣٦/٣) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » ، وفي تفسير ابن كثير (٢٩٩/٣) : مستقر في الأرحام .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

طعمه ولونه ، وغير متشابه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ يعني : حين يكون غضًا ﴿وينعه﴾ أي : ونضجه ﴿ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ قال الحسن : يقول : الذي أخرج من هذا الماء هذا النبات وهذا الخضر وهذه الجنات قادرٌ على أن يُحيِيَ الموتى .

قال محمدٌ : القِنْوان : العُذوقُ ، واحدها : قِنْوٌ ، وجمع على لفظ تثنيته ؛ غير أن الحركات تلزم نونه في الجمع ، ومثله : صِنْوٌ وصِنْوانٌ[1].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ يعني : الشياطين ؛ يقول : جعلوا الشياطين شركاء للهِ ؛ لأن الشياطين هي التي دعتْهم إلى عبادة الأوثان ، ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها .

﴿وخلقهم﴾ أي : اللّٰه خلقهم ﴿وخرقوا له﴾ أي : اختلقوا له ﴿ بنين وبنات﴾ .

قال محمد : المعنى : جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون .

﴿بديع السموات والأرض﴾ يعني : ابتدعهما على غير مثال ﴿ أنّى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد؟! ﴿ولم تكن له صاحبة﴾

﴿وهو على كل شيءٍ وكيل﴾ أي : حفيظ لأعمال العباد ﴿ لا تدركه الأبصار﴾ يعني : في الدنيا .

﴿وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ بخلقه فيما أعطاهم ﴿ الخبير﴾ بأعمالهم .

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ

---

(١) وفي (قنوان) لغات : قِنوان بكسر القاف ، وقُنوان بضمها ، وقَنوان بفتحها ، وقُنْيان ، وقِنْيان . وهو من الألفاظ التي يأتي جمعها على لفظ تثنيتها ، وقد أورد السيوطي في المزهر هذه الألفاظ .

ينظر : لسان العرب (قنو) ، المزهر (٢/٨٨) ، البحر (٤/١٨٩ - ١٩٠) ، الدر المصون (٣/١٣٩) .

رَبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني : القرآن ﴿ فمن أبصر﴾ [اهتدى][1] ﴿فلنفسه ومن عمي﴾ عن الهدى ﴿ فعليها﴾ فعلى نفسه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ أعمالكم حتى أجازيكم بها ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست﴾ أي : قرأت وتعلَّمت ، وبعضهم يقرؤها (دارسْتَ)[2]؛ أي : قـارأت أهل الكتابين .

﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ (يقول : ادعهم إلى)[3] لا إله إلا الله ﴿وأعرض عن المشركين﴾ وهي منسوخة ، نسختها القتال[4] ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْوًا بغيرِ علم﴾ .

قال يحيى : وهي تقرأ ﴿عَدْوًا﴾ و﴿ عُدُوًّا﴾[5] وهو من العدوان ، والعدوان : الظلم .

﴿كذلك زينا لكل أمّةٍ﴾ أي : لأهل كل ملّةٍ ﴿ عملهم﴾ .

قال الكلبي : قال المشركون : والله لينتهينَّ محمدٌ عن سَبِّ آلهتنا ، أو لنسُبَّنَّ رَبَّهُ ؛ فنزلت هذه الآية .

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) قرأ ابن عامر (دَرَسَتْ) ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارسْتَ) ، وقرأ الباقون (دَرَسْتَ) .
ينظر : السبعة (٢٦٤) ، التيسير (١٠٥) ، النشر (٢٦١/٢) .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) أي : ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...﴾ التوبة : ٢٩.

(٥) قرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب وقتادة (عُدُوًّا) ، على أنه مصدر للفعل (عدا) وقرأ ابن كثير في رواية - وهي قراءة أهل مكة فيما نقله النحاس - : (عَدُوًّا) بمعنى (أعداء) والباقون (عَدْوًا) ينظر : الدر المصون (١٥٣/٣) .

﴿قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [بمبلغ أيمانهم][١] ﴿لئن جاءتهم آية ليؤمنُنَّ بها﴾ قال الله لنبيه: ﴿ قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم﴾ أي: ما يدريكم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

قال محمدٌ: تقرأ (إنَّها) بكسرِ الألف؛ على الابتداء، وتقرأ (أنَّها) بالفتح[٢]؛ بمعنى: لعلهم، ذكره أبو عبيد[٣].

﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أي: نطبع عليها ﴿كما لم يؤمنوا به أوَّل مرة﴾ يقول: لو جاءتهم الآية لم يؤمنوا؛ كما لم يؤمنوا قبل أن يجيئهم العذاب ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي: يترددون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلَّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قبلاً﴾ يعني: عيانًا ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ قال الحسن: [هذا][٤] حين قالوا: ابْعَثْ لنا مَوْتَانا نسألهم أحقٌّ ما تقول أم باطل؟ ولقولهم: ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة﴾[٥] ولقولهم: ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[٦] يقول: لو فعلنا هذا بهم [حين: يَرَوْنَهَ][٧] (ل٩٩) عيانًا ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ أي: لا يعلمون. وقوله: ﴿ أكثرهم﴾ يعني: من ثبت على الكفر منهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا﴾ قال الحسن: جعل الله أعداء الأنبياء ﴿شياطين الإنس﴾ وهم

---

(١) في الأصل: مع أيمانهم. والمثبت من «ر».

(٢) قرأ العامة (أنها) بفتح الهمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسرها. ينظر: الدر المصون (١٥٤/٣).

(٣) مغني اللبيب (٥١/١).

(٤) في الأصل: هي. والمثبت من «ر».

(٥) سورة الفرقان: ٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٩٢.

(٧) في الأصل: أي يرون. والمثبت من «ر».

المشركون ﴿ والجن﴾ أي : وشياطين الجن ﴿ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾ وهو ما توسوس الشياطين إلى بني آدم مما يصدونَهُمْ به .

قال محمدٌ : زُخرف القول : ما زُيِّنَ منه ومُوِّهَ وحُسِّنَ ، وأصل الزخرف : الذهب[١]، و(غرورًا) مصدرٌ ؛ كأنه قال : يغرون غرورًا[٢].

﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي : لو شاء اللَّه ما أوحى الشياطين إلى الإنس ﴿فذرهم وما يفترون﴾ ثم أُمِرَ بقتالهم بَعْدُ[٣] ﴿ ولتصغى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني : أفئدة المشركين تصغى إلى ما توحي إليها الشياطين ﴿وليرضَوْه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ يعني : وليكتسبوا ما هم مكتسبون .

قال محمدٌ : الاختيار عند القراءة : (ولْيرضوه) (ولْيقترفوا) بتسكين اللاّم ؛ على أن اللامَ لامُ الأمْرِ ؛ والمعنى : التهدد والوعيد[٤].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿أفغير اللَّه أبتغي حكمًا وهو الذي أنزل إليكم الكتابَ مفصّلا﴾ أي : مبينًا ، بيِّنٌ فيه الهدى والضلالة ، والحلال والحرام .

﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ يعني : أهل الدراسة من أهل الكتاب ﴿فلا تكونن من المُمْترين﴾ يعني : الشاكّين أن هذا القرآن من عند اللَّه ، وأنَّ أهل الدراسة

---

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (زخرف) .

(٢) قيل : نصب على أنه حال ، وقيل : على المفعول له . وفيه أقوال نحوية أخرى . ينظر الدر المصون (١٦١/٣) .

(٣) ينظر : الناسخ والمنسوخ (ص٤٦) .

(٤) ينظر في ذلك : البحر (٢٠٨/٤ - ٢٠٩) ، الدر (١٦٣/٣) .

من أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق .

﴿وتمت (كلمات)[١] ربك صدقًا وعدلاً﴾ قال قتادة[٢]: يعني : صدقًا [فيما وعد][٣] وعَدلاً فيما حكم ﴿ لا مبدل لكلماته﴾ فيما وعد .

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ لأن المشركين كانوا يدعونه إلى عبادة الأوثان ﴿إن يتبعون﴾ بعبادتهم الأوثان ﴿إلا الظنّ﴾ يقول : ادَّعَوا أنهم آلهة بظن منهم ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يعني : يكذبون .

قال محمدٌ : أصل (الخرص) : الظن والحَزر ، ومنه قيل للحازر : (خارصٌ)[٤].

﴿إنَّ ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فهو يعلم أنَّ محمدًا على الهدى ، وأنَّ المشركين ضلوا عن سبيله .

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فكلوا مما ذُكِرَ اسْمُ الله عليه﴾ يعني : ما أُدرِكَ ذَكاتُه ؛ وذلك أن مشركي العرب كانوا يأكلون الميتة والدَّمَ والمنخنقة والموقوذة[٥] والمتردِّية والنطيحة وما أكل السبع ؛ فحرَّم الله ذلك كله ، إلا ما أدرك ذكاته .

---

(١) هكذا في الأصل ﴿كلمات﴾ على الجمع ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر ، وقرأ الباقون ﴿كلمة﴾ على الإفراد . ينظر : البحر (٢٠٩/٤) ، الدر (١٦٥/٣) .

(٢) رواه الطبري (٩/٨) وابن أبي حاتم (١٣٧٤/٤ رقم ٧٨٠٧) .

(٣) في الأصل : فيها . والمثبت من « ر » .

(٤) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (خرص) . وفي « ر » : خراص .

(٥) هي التي وُقِذَتْ بالعصا حتى ماتت . لسان العرب (وقذ) .

﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّه عليه﴾ أي: فكلوه، فهو لكم حلالٌ ﴿وقد فصَّل﴾ بيَّن لكم ﴿ما حرَّم عليكم﴾ من الميتة والدم إلى آخر الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ من تلك الأشياء التي حرَّم اللَّه.

﴿وإن كثيرًا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أتاهم من اللَّه، ولا حجة؛ يعني: المشركين ﴿إنَّ ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ يعني: الذين يتعدون أمر اللَّه.

﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ قال الحسن: يعني: علانيته وسرَّه. ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يعني: يكتسبون.

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسْمُ اللَّه عليه وإنه لفسْقٌ﴾ لشركٌ؛ يقول: إنَّ أكل الميتة على الاستحلال شركٌ.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ تفسير مجاهد: قال: كان المشركون يجادلون المسلمين [في][1] الذبيحة؛ فيقولون: أما ما ذبحتم (وقتلتم)[2] فتأكلونه، وأما ما قتل (ل ١٠٠) اللَّه فلا تأكلونه، وأنتم بزعمكم تتبعون أمر اللَّه؟! فأنزل اللَّه: ﴿وإن أطعتموهم﴾ فاستحللتم الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ قال الحسن: يعني: بالإسلام ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الكفر ﴿ليس بخارج منها﴾ أي: هو متحير فيها.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

﴿هل يستويان مثلا﴾[١] أي : أنهما لا يستويان .

قال يحيى : بلغني أنها نزلت في عُمَرَ بن الخطاب ، وأبي جهل بن هشام ، ثم هي عامَّة بعد .

﴿وكذلك جعلنا في كل قريةٍ أكابرَ مجرميها﴾ .

قال محمدٌ : المعني : جعلنا في كل قرية مجرميها أكابِرَ . قال قتادة : ومعنى (أكابر) : جبابرة .

﴿ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم إنما يمكرون بأنفسِهمْ .

قال محمدٌ : المعنى : أنَّ جزاءَ مكرهم راجعٌ عليهم .

﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ يعني : أشركوا ﴿صغارٌ عند الله﴾ أي : ذلَّةٌ ﴿وعذابٌ شديدٌ﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يمكرون﴾ يعني : يشركون .

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿فمن يرد الله أن يهدِيَه يشرح﴾ أي : يوسّع ﴿ صدره للإسلام﴾ ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا﴾ الحرج والضيق معناهما واحدٌ .

﴿كأنما يصَّعَّد في السماء﴾ أي : كأنما يُكلَّف أن يصعدَ إلى السماء ؛ يقول : يثقل عليه ما يُدْعَى إليه من الإيمان .

﴿كذلك يجعل الله الرجْسَ﴾ يعني : رجاسة الكفر ﴿ على الذين لا يؤمنون﴾ .

﴿وهذا صراط ربك مستقيمًا﴾ (يعني : دين ربك مستقيمًا)[٢] ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي : بيناها ﴿لقوم يذكرون﴾ إنما يتذكر المؤمن .

﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا

---

(١) هود : ٢٤.

(٢) سقط من « ر ».

ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ السلام هو الله ، وداره الجنة .

﴿ويوم نحشرهم[1] جميعًا﴾ ثم نقول ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي : كثر من أغويتم وأضللتم ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس﴾ يعني : الذين أضلوا من الإنس ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ منزلكم ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ حكيمٌ في أمره ، عليمٌ بخلقه .

قال محمدٌ : جاء عن ابن عباس أنه قال : هذا الاستثناء لأهل الإيمان .

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا﴾ قال الحسن : المشركون بعضهم أولياء بعض ؛ كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض .

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني : من كفر منهم ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ (يعني : من الإنس)[2] ولم يبعث الله نبيًا من الجن ، ولا من النساء .

﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أنه قد جاءتنا الرسل في الدنيا .

---

(١) قرأ حفص وروح ﴿يحشرهم﴾ بالياء ، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ بالنون . النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٢٧٢) .
(٢) سقط من « ر » .

قال الله : ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا﴾ إذ كانوا فيها ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ في الآخرة ﴿ أنهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول : لم يهلك الله قومًا من الأمم السالفة ؛ حتى بعث إليهم رسولاً .

قال محمدٌ : ومعنى ﴿ذلك أن لم يكن﴾ ذلك لأنه لمْ يكن .

﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي : على قدر أعمالهم .

يحيى : عن إسماعيل بن مسلم ، عن أبي المتوكل الناجي[1] قال : قال رسول الله ﷺ : « الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض ، وإن العبد من أهل الجنة ليرفع (بصره فيلمع له)[2] برقٌ يكاد يخطف بصره ؛ فيقول : ما هذا؟ فيقال : هذا نور أخيك فلان . فيقول : أخي فلان كنَّا في الدنيا نعمل جميعًا ، وقد فضل عليَّ هكذا! فيقال له : إنه كان أفضل منك عملاً ، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى »[3].

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بعذاب الاستئصال ؛ يعني : المشركين ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ ﴿إنما توعدون لآتٍ﴾ (ل ١٠١) يعني : الساعة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بالذين تعجزون الله ، فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم .

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

---

(١) أبو المتوكل الناجي هو علي بن داود ، وقيل : ابن دؤاد ، تابعي ، مات سنة ١٠٢ هـ ، ترجمته في التهذيب (٢٠/٤٢٥ - ٤٢٦) .
(٢) في « ر » : رأسه ، فيرى نورًا لمع له .
(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢١٢ رقم ١٣٦) من طريق يحيى بن سلام به .
ورواه ابن المبارك في الزهد (٣٣ رقم ١٠٠) عن إسماعيل بن مسلم العبدي ، به .

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي : على كفركم ؛ وهذا وعيد .

﴿إني عامِلٌ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة ، وعاقبتها الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي : المشركون .

﴿وجعلوا للّٰه مما ذرأ﴾ مما خلق ﴿من الحرث والأنعام نصيبًا ...﴾ الآية تفسير قتادة[1]: عمد ناسٌ من أهل الضلالة فجزَّءوا من حروثهم ومواشيهم (جزءًا للّٰه)[2]، وجُزءًا لشركائهم - يعني : أوثانهُمْ - وكانوا إذا خالط شيْءٌ مما جزءوا للّٰه شيئًا مما جزَّءوا لشركائهم - تركوه ، وإذا خالط شيْءٌ مما جزءوا لشركائهم شيئًا مما جزءوا للّٰه - ردوه إلى شركائهم ، وإذا أصابتهم السَّنَةُ[3] [استعانوا][4] بما جزَّءوا للّٰه ، ووفروا ما جزَّءوا لشركائهم . قال اللّٰه ﴿ساء ما﴾ بئس ما ﴿يحكمون﴾ .

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ يعني : الشياطين أمروهم بقتل أولادِهم خِيفَةَ العَيْلةِ[5] ﴿ليردوهم﴾ ليُهْلِكوهم ﴿وليلْبسوا عليهم﴾ وليخلطوا عليهم ﴿دينهم﴾ الذي أمرهم اللّٰه به ؛ وهو الإسلام .

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجْر﴾ حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾ وهذا ما كان يأكل الرجال دون النساء ﴿وأنعام حُرِّمتْ ظهورها﴾ وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ؛

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢١٨/١ - ٢١٩) والطبري (٤١/٨) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) أي : الجدب والقحط . ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (سنو) ، (سنه) .

(٤) في « الأصل » : استغاثوا . والمثبت من « ر » .

(٥) أي : الفقر والعوز . لسان العرب (عيل) .

وقد مضى تفسير هذا[1] ﴿وأنعام لا يذكرون اسْمَ اللَّه عليها﴾ هو ما استحلوا من أكل الميتة ﴿افتراءً عليه﴾ على اللَّه ؛ فإنهم زعموا أن اللَّه أمرهم بهذا .

﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ كان ما ولد من تلك الأنعام من ذَكَرٍ يأكله الرجال دون النساء ، وإذا كانت أنثى تُرِكتْ محرَّمة على الرجال والنساء ، وإن كانت ميتةً فهم فيه شركاء يأكلونها جميعًا .

قال محمد : من قرأ (خالصةٌ لذكورنا)[2] فكأنَّهُمْ قالوا : جماعةُ ما في بطون هذه الأنعام من ذكور خالصةٌ لذكورنا ، ويرد [محرَّم][3] على لفظ (ما) لأن ما ذُكِرَ مذكَّر[4].

﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي : بما زعَمُوا أن اللَّه أمرهم به ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا﴾ يعني : سفه الرأي .

﴿بغير علم﴾ أتاهم من اللَّه يأمرهم فيه بقتل أولادهم ؛ وهي الموءودة ؛ كانوا يدفنون بناتهم وهُنَّ أحياء خشية الفاقة[5] ، ويقولون : إن الملائكة بناتُ اللَّه ، واللَّه صاحب بناتٍ ؛ فألحقوا البنات به ﴿وحرَّموا ما رزقهم اللَّه﴾ يعني : ما حرَّموا من الأنعام والحرث ﴿افتراءً على اللَّه﴾ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي : خلق ﴿جناتٍ معروشات وغير معروشات﴾ قال (مجاهد)[6]: العنب منه معروش وغير معروش ﴿والنخل والزرع مختلفًا أكله﴾ منه الجيد ، ومنه الرديء ﴿والزيتون

---

(١) أي : في قوله عز وجل : ﴿ما جعل اللَّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ...﴾ المائدة : ١٠٣ .

(٢) وهي قراءة الجمهور . ينظر : الدر المصون (١٩٦/٣) .

(٣) في الأصل : محرمًا . والمثبت من « ر » .

(٤) وفي ذلك تفصيل واسع ، ينظر الدر المصون (١٩٦/٣) .

(٥) الفاقة : الفقر والحاجة . لسان العرب (فوق) .

(٦) في « ر » : محمد .

والرمان متشابهًا﴾ في المنظر ﴿وغير متشابه﴾ في المطعم ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قال الحسن: يعني: الزكاة المفروضة [قال مجاهد[١]: هو أن يأتوا منه عند حصاده، سوى الزكاة المفروضة][٢].

﴿ولا تسرفوا﴾ لا تحرموا ما حرَّم أهل الجاهلية من الحرث والأنعام.

قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا﴾ يقول: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، تبعًا للكلام الأول: ﴿وهو الذي أنشأ جناتٍ﴾ والحمولة في تفسير الحسن[٣] وقتادة[٣]: الإبل والبقر، والفرش: الغنم.

﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمْرَ الشيطان فيما حرَّم عليهم من الأنعام والحرث.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿ثمانية أزواج﴾ أي: أصناف ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ ذكرًا وأنثى، والواحدُ: زوْجٌ ﴿قل آلذكرين حرَّم﴾ على الاستفهام.

---

(١) رواه الطبري (٨/٥٦).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه عبد الرزاق (١/٢٢٠) والطبري (٨/ ٦٢، ٦٣، ٦٤).

(ل ١٠٢) ﴿أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكر وأنثى ؛ أي : أم كل ذلك حرَّم؟ فإنه لم يحرم منه شيئًا .

﴿نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين﴾ أن اللَّه حرَّم هذا ؛ وهو ما حرموا من الأنعام .

قال : ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من ذكرٍ أو أنثى ؛ أي : أم كل ذلك حرَّم؟ فإنه لم يحرم منه شيئًا .

﴿أم كنتم شهداء إذْ وصاكم اللَّه بهذا﴾ أي : أنكم لم تكونوا شهداء لهذا ، ولم يوصكم اللَّه به ؛ فسألهم النبي ﷺ فسكتوا ولم يجيبوه . وقالوا : يا محمد ، فيم هذا التحريم الذي حرَّمه آباؤنا وآباؤهم قبلهم؟ فقال اللَّه للنبي : ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دمًا مسفوحًا﴾ يعني : سائلاً . فأما دمٌ في عرق أو مخالط لحمًا [فلا][1] ﴿أو لحم خنزير فإنه رجْسٌ أو فسقًا أهلَّ لغير اللَّه به﴾ وهو ما ذبحوا لأصنامهم ؛ فيها تقديم ﴿أو فسقًا أهل لغير اللَّه به﴾ فإنه رجْسٌ ﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ﴾ فأكل من هذه الأشياء على الاضطرار منه ﴿فإن ربك غفورٌ رحيم﴾ . قد مضى تفسير ﴿فمن اضْطُر غير باغٍ ولا عادٍ﴾[2].

﴿وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر﴾ قال قتادة[3]: يعني : البعير والنعامة ﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾ وهو المَبْعَرُ .

قال محمدٌ : الحوايا : المباعر ، واحدها : حاويا وحَوِيَّةٌ[4].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » ، وفي تفسير ابن كثير (٣/٣٤٦) : فلا بأس به .

(٢) عند تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

(٣) رواه الطبري (٨/٧٣) وابن أبي حاتم (٥/١٤١٠ رقم ٨٠٣٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٥٨) لعبد بن حميد .

(٤) وقيل واحدها : حاوياء . ينظر تفصيل الكلام في ذلك من : تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩) ، الدر المصون (٣/٢٠٨) ، لسان العرب (حوى) .

ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لمن تاب من شركه، وقَبِلَ ما أنزل اللَّه ﴿ولا يُرَدُّ بأسُهُ﴾ أي: لا يصرف عذابه ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء اللَّه ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ قال مشركو العرب: لو كره اللَّه ما نحن عليه لحوَّلنا عنه.

﴿هل عندكم من علم﴾ أن الذي أنتم عليه من الشرك أمرتكم به ﴿فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن﴾ أي: هذا منكم ظن ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ تكذبون ﴿قل فللَّه الحجّة البالغة﴾ فقد قامت عليكم ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن اللَّه حرَّم هذا﴾ يعني: ما حرَّموا من الأنعام والحرث ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ وإنما [هو سفه][(١)] ولا يكون ذلك ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ عدلوا به الأصنام فعبدوها.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم﴾ وهذا ما حرَّم عليكم: ﴿ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ **قال محمد**: أي: وأوصاكم بالوالدين حسنًا ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ أي:

---

(١) في الأصل: هذه صفة. والمثبت من «ر».

مخافة الفاقة ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ يعني : الزنا ﴿ما ظهر منها﴾ يعني : الزنا الظاهر ﴿وما بطن﴾ يعني : المُخَالَّة[1] في السِّر ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾ أمركم به .

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ قد مضى تفسير هذا[2].

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا نكلف نفسًا إلا وسْعَها﴾ طاقتها ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ يعني : الشهادة ﴿ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا﴾ يعني : ما كان من الحق .

﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا﴾ يريد : الإسلام ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ﴾ اليهودية والنصرانية ، وما كان من غير ملَّة الإسلام .

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا .

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

﴿ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن﴾ قال قتادة[3]: من أحسن في الدنيا تمت عليه النعمة في الآخرة ﴿وتفصيلا﴾ يعني : تبيينًا ﴿لكل شيء﴾ من الحلال والحرام ، والهدى والضلال .

قال محمدٌ : قوله : ﴿تمامًا على الذي أحسن﴾ معناه : تمامًا من الله على المحسنين ؛ وهو الذي

(١) يقال : خالَّه مُخالَّةً وخِلالاً : أي : صادقه . لسان العرب (خلل) .

(٢) في سورة النساء ، الآيتان : ٢ ، ١٠ .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٢١/١ - ٢٢٢) والطبري (٩١/٨) وابن أبي حاتم (١٤٢٣/٥ رقم ٨١١٢) . وعزاه السيوطي في الدر (٦٢/٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

ذهب إليه قتادة (ل ١٠٣) (وتمامًا) منصوبٌ على معنى التمام[١]، وكذلك (تفصيلاً) أي : للتمام والتفصيل .

﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ﴾ يعني : القرآن ﴿أن تقولوا﴾ يوم القيامة ، لئلا تقولوا يوم القيامة : ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني : اليهود والنصارى ﴿وإن كنا عن دراستهم﴾ [قراءتهم][٢] ﴿لغافلين﴾ .

﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا﴾ أي : يصُدُّون ﴿سوء العذاب﴾ أشده .

﴿هل ينظرون﴾ أي : ما ينظرون ؛ يعني : المشركين ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ بالموت ﴿أو يأتي ربك﴾ وذلك يوم القيامة ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يعني : طلوع الشمس من مغربها ؛ في تفسير العامة ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ طلوع الشمس من مغربها ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾ قال الكلبي : لا تُقْبل التوبةُ يومئذٍ ممن لم يكن مؤمنًا ، ولا ممن كان يدَّعي الإيمان ؛ إذا لم يكن مخلصًا .

يحيى : عن عثمان ، عن نُعَيْم بن عبد الله ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ؛ فإذا رآها الناس آمنوا ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا »[٣].

﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾ كان المشركون ينتظرون بالنبي الموت ، وكان النبي ينتظر بهم العذاب .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

---

(١) أي : منصوب على المصدر . وفيه أوجه إعرابية أخرى . ينظر : إعراب القرآن (١/٥٩٢ - ٥٩٣) ، البحر المحيط (٤/٢٥٦ - ٢٥٧) ، الدر المصون (٣/٢٢٠) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٨٤ رقم ١٠٤) وعنه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦/١٢٦٣ - ١٢٦٤ رقم ٧٠٤) من طريق يحيى بن سلام به .
ورواه البخاري (٨/١٤٧ رقم ٤٦٣٦) ومسلم (١/١٣٧ - ١٣٨ رقم ١٥٧) من طرق عن أبي هريرة .

﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾ أحزابًا. قال قتادة[١]: هم اليهود والنصارى والصابئون وغيرُهُم.

﴿لست منهم في شيءٍ إنما أمرهم إلى اللَّه﴾ **قال محمد**[٢]: قيل: إن هذه الآية نزلت قبل أن يؤمَرَ بقتالهم.

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ هذه في المؤمنين، وكان هذا قبل أن تُنزَّل ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل ...﴾ الآية[٣].

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ (وهذه في المؤمنين أيضًا)[٤] السيئة ها هنا هي الأعمال السيئة ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾.

يحيى: عن أبي أمية، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنةً فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإن همَّ بها ولم يعملها فاكتبوها له واحدةً، وإن عمل سيئة فاكتبوها بواحدة، وإن همَّ بها فتركها من أجلي فاكتبوها بحسنة»[٥].

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا﴾ **قال محمد**: (دينًا) منصوبٌ على

(١) رواه عبد الرزاق (٢٢٢/١) والطبري (١٠٥/٨) وابن أبي حاتم (١٤٣٠/٥ رقم ٨١٥٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٦٩/٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في «ر»: مجاهد.

(٣) سورة البقرة: ٢٦١.

(٤) سقط من «ر».

(٥) رواه البخاري (٤٧٣/١٣ رقم ٧٥٠١) ومسلم (١١٧/١ - ١١٨ رقم ١٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

التفسير[1]، والقيم والمستقيم في معناهما واحدٌ[2].

﴿قل إن صلاتي ونُسُكي﴾ قال قتادة[3]: (نُسُكي) يَعْني : حجِّي وذبحي ﴿ومحياي ومماتي﴾ .

قال محمدٌ : الاختيار عند القراء في (مَحْيَايَ) بفتح الياء ؛ لسكون الألف قبلها ؛ لئلا يجتمع ساكنان ، والأمر في الياء من (مماتي) [واسع][4] في فتحها وتسكينها[5].

﴿قل أغير اللّه أبغي ربًا وهو ربُّ كل شيء﴾ وهذا جوابٌ من اللّه للمشركين ، حيث دعوْا النبي إلى أن يَعْبُدَ ما كان يعبُدُ آباؤه ﴿ ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ الوزرُ : الذنبُ ؛ يقول : لا يحمل أحدٌ ذنْبَ أحدٍ .

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ **قال محمدٌ** : المعنى : سكان الأرض ؛ يخلف بعضكم بعضًا ، واحدُهم : خليفة .

﴿ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ﴾ فيما أعطاكم من الفضائل في [الدنيا][6] ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم .

﴿إن ربك سريع العقاب﴾ إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذبوا رسله ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن تاب من شركه وآمن بربه .



---

(١) وفيه أوجه إعرابية أخرى ، ينظر : إعراب القرآن (١/٥٩٥) ، البحر المحيط (٤/٢٦٢) ، الدر المصون (٣/٢٢٧) .

(٢) ينظر : لسان العرب ، المصباح المنير (قيم) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٣/٧٣) لعبد بن حميد وأبي الشيخ .
ورواه الطبري (٨/١١٢) وابن أبي حاتم (٥/١٤٣٤ رقم ٨١٨١) دون ذكر الحج .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٧٣) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) طمس في الأصل . والمثبت من « ر » .

(٥) قرأ بذلك السَّبْعةُ إلا نافعًا ؛ فقد قرأ بإسكان الياء ؛ أي من (محياي) . وروي عنه الرجوع عن ذلك ، وروي عنه (محياي) بكسر الياء . ينظر : السبعة (٢٧٥ - ٢٧٦) ، التيسير (١٠٨ - ١٠٩) ، النشر (٢/٢٦٧) الدر المصون (٣/ ٢٢٧) .

(٦) في الأصل : الدين . والمثبت من « ر » .

تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَعْرَافِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كلُّها إلا (........)[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾

(ل ١٠٤) قوله : ﴿الٓمٓصٓ﴾ كان الحسن يقول : لا أدري ما تفسير ﴿الٓمٓصٓ﴾ وأشباه ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور ، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون : أسماء السور وفواتحها .

﴿كتابٌ أنزل إليك﴾ يعني : القرآن .

﴿فلا يكنْ في صدرك حرجٌ منه﴾ أي : شك بأنه من عند الله .

قال محمدٌ : أصل الحرج : الضيق ، والشاك في الأمر يضيق به صدرًا ؛ فسمي الشك حرجًا ﴿لتنذر به﴾ من النار ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يذكرون به الآخرة .

﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ يعني : الأوثان ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ يعني : أقلكم المتذكر ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ يعني : ما أهلك من الأمم السالفة حين كذَّبوا رسلهم ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتًا﴾ يعني : ليلاً ﴿أوهم قائلون﴾ يعني : عند القائلة بالنهار ﴿فما كان دعواهم﴾ قولهم ﴿إذ

---

(١) مطموس في الأصل ، وسقط من « ر » .
قال القرطبي في تفسيره (٧/ ٦٠) : وهي مكية إلا ثمان آيات وهي قوله تعالى : ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ إلى قوله : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ .

جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ .

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فلنقصن عليهم﴾ أي : أعمالهم ﴿بعلم﴾ بها ﴿وما كنا غائبين﴾ عن أعمالهم .

﴿والوزن يومئذ الحق﴾ .

يحيى : عن حماد ، عن ثابت البناني ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي قال : « يوضع الميزان يوم القيامة ، ولو وضع في كفته السموات والأرض لوسعتها ؛ فتقول الملائكة : ربنا ما هذا؟ فيقول : أزن به لمن شئت من خلقي . فتقول الملائكة : ربنا ما عبدناك حق عبادتك »[1].

﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ يعني : بعد الماضين ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أقلكم من يؤمن .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٦٥ رقم ٩٣) بإسناده عن يحيى بن سلام به .

ورواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٨ رقم ١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٢٠٦/٢ رقم ٩٥٠) - عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد به .

ورواه الآجري (٢٠٦/٢ رقم ٩٤٩) من طريق معاذ العنبري عن حماد به .

ورواه ابن أبي الدنيا - كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٣٠/٢) - عن أبي نصر التمار عن حماد به .

ورواه الحاكم (٥٨٦/٤) من طريق المسيب بن زهير ، عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن سلمان مرفوعًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (٢١٦ - ٢١٧) : صح عن سلمان ، وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه ، ولكن الموقوف هو المشهور .

وقال في التخويف من النار (ص١٨٥) : قلت : المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله .

قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال مجاهد[١]: يعني: صورناكم في ظهر آدم.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال الحسن: إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنه خلق من نار السَّموم، وإن الملائكة خُلِقوا من النور، وإنَّ اللَّه أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأمر إبليس أيضًا بالسجود له، فجمع المأمورين جميعًا.

﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك...﴾ الآية.

قال محمدٌ: (ألا تسْجُد) معناه: أن تسجد، و(لا) مؤكدة[٢].

﴿قال أنظرني﴾ أخِّرني ﴿إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ فيها إضمار؛ أي: إلى يوم الوقت المعلوم ﴿قال فبما أغويتني﴾ أضللتني ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي: فأصدهم عنه ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ يعني: من قِبَلِ الآخرة؛ فأخبرهم أنَّه لا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار. ﴿ومن خلفهم﴾ يعني: من قبل الدنيا؛ فأزينها في أعينهم، وأخبرهم أنه لا حساب عليهم في الآخرة، فيما صنعوا ﴿وعن أيمانهم﴾ أي: من قبل الخير؛ فأُثبِّطهم[٣] عنه. ﴿وعن شمائلهم﴾ من قِبَلِ المعاصي؛ فآمرهم بها، ﴿ولا تجدُ أكثرهم شاكرين﴾ وكان ذلك ظنًّا منه، فكان الأمر على ما ظنَّ ﴿قال اخرج منها مذءومًا مدحورًا﴾ يعني: مذمومًا مُبعَدًا.

قال محمد: تقول: ذأمْتُ الرجل؛ إذا بالغْتَ في عيبه وذمِّه[٤].

---

(١) رواه الطبري (١٢٧/٨) وابن أبي حاتم (١٤٤٢/٥ رقم ١٢٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٧٩/٣) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

(٢) أي: زائدة للتوكيد. وفيها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (٦٠١/١)، البحر (٢٧٢/٤ - ٢٧٣)، أمالي ابن الشجري (٢٣١/٢).

(٣) يقال: ثبَّطه عن الشيء: عوَّقه وبطَّأ به. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (ثبط).

(٤) لسان العرب (ذأم).

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ويا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة ...﴾ الآية ، قال ابن عباس[١]: الشجرة : السنبلة . وقال قتادة[٢]: هي التين .

وقوله : ﴿فتكونا من الظالمين﴾ أي : لأنفسكما بخطيئتكما ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ وكانا كسيا الظُّفُر .

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا﴾ لئلا تكونا ﴿ملكين﴾ من الملائكة ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون ﴿وقاسمهما﴾ بالله .

قال قتادة[٣]: حلف لهما بالله ، وقال لهما : خلقتُ قبلكما ، وأنا أعلم منكما ؛ فاتبعاني أرشدْكُمَا .

﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بَدَتْ لهما سوءاتُهُمَا﴾ قال محمدٌ : قوله : ﴿فدلاهما بغرور﴾ المعنى : دلاهما في المعصية ؛ بأن غرهما ، والسوءةُ : كنايةٌ عن الفرج .

﴿وطفقا﴾ أي : جعلا ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد[٤]: يعني : [يرقعان][٥]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٤٤٩/٥ رقم ٨٢٨٠) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٤٤٩/٥ رقم ٨٢٨٣) .

(٣) رواه الطبري (١٤١/٨) وابن أبي حاتم (١٤٥١/٥ رقم ٨٢٩٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٨٢/٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٤) رواه الطبري (١٤٢/٨) وابن أبي حاتم (١٤٥٢/٥ رقم ٨٣٠٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٨٢/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم .

(ل ١٠٥) كهيئة الثوب ﴿وناداهما ربهما ...﴾ الآية .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن [كعب][(١)] قال : قال رسول الله ﷺ : « كان آدم رجلاً طوالاً ، كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس ؛ فلما وقع بما وقع به ، بَدتْ له عورته ، وكان لا يراها قبل ذلك ؛ فانطلق هاربًا في الجنة ؛ فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه ؛ فقال لها : أرسِليني ، فقالت : لست بمرسلتك ، فناداه ربه : يا آدم ، أمني تفر؟ قال : يا رب إني أستحييك »[(٢)].

---

(١) طمس في الأصل ، والحديث لأبي بن كعب سيد القراء ﷺ ، وفي إسناد هذا الحديث اختلاف يأتي بيانه .

(٢) اختلف في إسناد هذا الحديث في رفعه ووقفه ، وفي إثبات عُتي بن ضمرة بين الحسن وأبي بن كعب :

فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥٣/٦ رقم ٨٣٠٨) من طريق علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعًا .

ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٢٦٢/٢) وابن عساكر في تاريخه (٤٠٥/٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٥٤٣/٢ - ٥٤٤) من طريق عباد بن العوام ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عتي ، عن أبي بن كعب موقوفًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه الطبري في تفسيره (١٤٣/٨) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب موقوفًا .

ورواه الطبري في تاريخه (١٦٠/١) وابن عساكر (٤٠٤/٧ - ٤٠٥) من طريق الحسن بن ذكوان عن الحسن عن أبي ابن كعب مرفوعًا .

ورواه ابن سعد (١٣٢/١) من طريق إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب موقوفًا .

ورواه الطبري في تفسيره (١٤٢/٨) من طريق حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي مرفوعًا .

ورواه ابن عساكر (٤٠٥/٧) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن الحسن عن أبي مرفوعًا .

ورواه الحاكم (٣٤٥/١) من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن الحسن عن أبي مرفوعًا .

قال ابن كثير في تفسيره (٢٠٦/٢) : رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ مرفوعًا ، والموقوف أصح إسنادًا .

ورواه الإمام أحمد في الزهد (ص٦٣) من طريق شيبان عن قتادة عن الحسن عن أبي مرفوعًا .

قلت : واختلف على شيبان في إسناده أيضًا ، فرواه ابن عساكر (٤٠٤/٧) من طريق محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة عن آدم بن أبي إياس ، عن شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك .

ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢١٥ رقم ٣٠٤) من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن ذكوان ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب مرفوعًا .

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ﴾ تكونون فيها ﴿ومتاعٌ﴾ يعني: متاع الدنيا تستمتعون به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت.

﴿قال فيها﴾ يعني: الأرض ﴿تحيون﴾ أي: تولدون. ﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يوم القيامة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم﴾ يعني: الثياب ﴿وريشًا﴾ يعني: المتاع والمال.

﴿ولباس التقوى﴾ والرفع على معنى كلامٍ مستقبل[1]، ولباس التقوى: العفافُ.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي: لا يضلَّنّكم.

﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال مجاهد[2]: قبيلُه: الجن والشياطين.

﴿وإذا فعلوا فاحشةً﴾ يعني: من الكفر والشرك ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾.

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) أي: الرفع على الاستئناف. وفيه تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (٦٠٦/١ - ٦٠٧)، البحر (٢٨٣/٤)، الدر (٢٥٣/٣).

(٢) رواه الطبري (١٥٣/٨) وابن أبي حاتم (١٤٦٠/٥ رقم ٨٣٥١).

وعزاه السيوطي في الدر (٨٤/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد[١]: يعني : وأقيموا وجوهكم إلى الكعبة حيث صلّيتم ﴿كما بدأكم تعودون﴾ .

يحيى : عن همّام ، عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد الله بن محمد ، عن جابر بن عبد الله ، عن عبد الله بن أنيس قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الله العباد - أو قال : الناس - يوم القيامة حُفَاةً عراةً غُرْلاً بُهْمًا . قال : قلت : ما بُهْمًا؟! قال : ليس معهم شيء »[٢].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٥٥/٨) وابن أبي حاتم (١٤٦٢/٥ رقم ٨٣٦٢) بنحوه.

وعزاه السيوطي في الدر (٨٤/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٩٥/٣) - ومن طريقه ابن حجر في تغليق التعليق (٣٥٥/٥) - والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٨ - ٣٤٩ ورقم ٩٧٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٣٤٧/٢ رقم ٨٥١) والحارث بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٢ رقم ٣٩) - وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥/١ رقم ٥١٤) وفي الآحاد والمثاني (٧٩/٤ - ٨٠ رقم ٢٠٣٤) والحاكم في المستدرك (٤٣٧/٢ - ٤٣٨، ٥٧٤/٤ - ٥٧٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣٨٩/١ - ٣٩٢ رقم ٥٦٥، ٥٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٦/١ - ١٩٧ رقم ١٣١، ٢/ ٢٩ - ٣٠ رقم ٦٠٠) والضياء في المختارة (٢٥/٩ - ٢٦ رقم ١٠) وغيرهم من طرق عن همام به .

ورواه الطبراني في الأوسط (٢٦٥/٨ - ٢٦٦ رقم ٨٥٩٣) من طريق داود بن الوازع ، والخطيب في الرحلة (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد ، كلاهما عن القاسم بن عبد الواحد بنحوه .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال المنذري في الترغيب (٢٠٢/٤) رواه أحمد بإسناد حسن .

وقال ابن حجر في الفتح (٢١٠/١) : إسناد حسن ، وقد اعتضد .

ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٠٤/١ - ١٠٥ رقم ١٥٦) وتمام الرازي في فوائده (٣٦٤/١ - ٣٦٥ رقم ٩٢٨) من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بنحوه .

قال ابن حجر في الفتح (٢٠٩/١) : وإسناده صالح ، وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في الرحلة من طريق أبي الجارود العنسي - وهو بالنون الساكنة - عن جابر قال : بلغني حديث في القصاص ...فذكر الحديث نحوه ، وفي إسناده ضعيف . اهـ

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراةً؛ فأمر الله المسلمين؛ فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد: أمرهم أن يلبسوا الثياب ﴿وكلوا شربوا﴾ يعني: الحلال ﴿ولا تسرفوا﴾ فتُحرمُوا ما أحلَّ الله لكم؛ كما حرَّم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة، وغير ذلك مما حرَّموا ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ يعني: الثياب؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراةً.

﴿والطيبات من الرزق﴾ ما حرَّموا من أنعامهم، وغير ذلك.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقد خالطهم المشركون فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا ﴿خالصة يوم القيامة﴾ دون المشركين.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع[1]، فهو على أنه خبرٌ بعد خبر[2]؛ المعنى: قل هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة. ومن قرأ بالنصب[3]، فعلى الحال[4].

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيِّنها بالأمر والنهي ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله.

﴿قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال الحسن: يَعْني: الزنا سرَّه وعلانيته.

﴿والإثم﴾ يعني: المعاصي ﴿والبغي بغير الحق﴾ يعني: الظلم ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ حُجَّة؛ يعني: أوثانهم التي عبدوا من دون الله.

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علم جاءهم من الله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ

---

(١) وهي قراءة نافع من السبعة. ينظر السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (١/٦٠٩)، الكتاب (١/٢٦٢).

(٣) وهي قراءة الباقين؛ أي السبعة إلا نافعًا. ينظر: السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٤/٢٩١ - ٢٩٢)، الدر المصون (٣/٢٦٠).

كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ولكلِ أمةٍ أجلٌ ...﴾ الآية ، يعني : أن القوم إذا كذَّبوا رسلهم ، فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب ﴿فإنهم لا يستأخرون﴾ عن العذاب ﴿ساعةً ولا يستقدمون﴾ عنه .

﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ قال مجاهد[١]: يعني : ينالهم ما كُتِبَ عليهم .

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني : الملائكة ﴿يتوفَّونهم﴾ قال الحسن : هذه وفاةُ [أهل][٢] النار ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون اللَّه﴾ (ل ١٠٦) يعني : شركاؤكم ﴿قالوا : ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿كافرين﴾ .

﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿قال ادخلوا في أُمم﴾ أي : مع[٣] أمم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا﴾ كل أمةٍ تقوله أخراها لأولاها ﴿فآتهم عذابًا ضعفًا من النار ...﴾ الآية .

قال محمد : أي : عذابًا مضاعفًا ، والضعف في كلام العرب على ضربين : أحدهما : المِثْل ، والآخر : أن يكون في معنى تضعيف الشيء[٤].

وقوله : ﴿ولكن لا تعلمون﴾ أي : أيها المخاطَبُون ما لكل فريق منكم .

---

(١) رواه الطبري (١٦٩/٨) وابن أبي حاتم (١٤٧٣/٥ رقم ٨٤٣٧) بمعناه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩٠/٣) لعبد بن حميد أيضًا .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت الأقرب إلى الصواب والمعنى .

(٣) أي : أن ﴿في﴾ في قوله تعالى : ﴿ادخلوا في أمم﴾ للمعية لا للظرفية . ينظر : الدر المصون (٢٦٦/٣) . وانظر في دلالة (في) على المعية مغنى اللبيب (١٩١/١ - ١٩٢) .

(٤) ينظر لسان العرب (ضعف) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٤٢ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾

﴿إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم﴾ يعني : لأعمالهم ولا لأرواحهم ﴿أبواب السماء﴾ .

يحيى : عن حماد ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن أبي وائل ، عن أبي موسى الأشعري قال : « تخرج روح المؤمن[1] أطيب من ريح المسْكِ ؛ فتصعد به الملائكة الذين توفَّوْه ؛ فتلقاه ملائكة آخرون دون السماء ؛ فيقولون : مَنْ هذا؟ فيقولون : هذا فلانٌ كان يعملُ كَيْتَ وكَيْتَ - لمحاسن عمله - فيقولون : مرحبًا بكم وبه ؛ فيقبضونه فيصْعَدون به من بابه الذي كان يصْعَدُ منه عملهُ (فيشرق)[2] في السمٰوات ؛ حتى ينتهي إلى العرش ، وله بُرْهانٌ كبُرْهان الشَّمْسِ ، وتخرج روح الكافر أنتن من الجيفة ؛ فتصْعَدُ به الملائكة الذين توفَّوه ، فتلقاهُمْ ملائكةٌ آخرون من دون السماء ، فيقولون : مَنْ هذا؟ فيقولون : هذا فلان بن فلان كان يعمل كَيْتَ وكَيْتَ - لمساوئ عمله - فيقولون : لا مرحبًا به ، ردوه »[3].

قال ابن عباسٍ : « فَيُرَدُّ إلى وادٍ يقال له : بَرَهُوت أسفل الثرى من الأرضين السَّبْعِ » . من حديث يحيى بن محمد .

---

(١) زاد بعدها في الأصل : من

(٢) كذا في الأصل ، وفي مصنف ابن أبي شيبة : فيشرق وجهه .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي - كما في كتاب الروح (١٠٤) - عن حماد بن سلمة به .
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٧/٣ - ٢٥٨ رقم ٣، ٢٠٣/٨ رقم ٥) من طريق زائدة عن عاصم به .
ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٤٩/٦ رقم ٢١٦٣) من طريق أبي عوانة عن عاصم به .

وقوله : ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجمل في سم الخيَاط﴾ يعني : ثقْب الإبرة[١]. وسُئِل ابْنُ مسعود[٢] عن الجَمَل . فقال : هو زوج الناقة .

﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ يعني : المشركين ﴿لهم من جهنم مهادٌ﴾ أي : فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ يعني : ما يغشاهم من النار .

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ﴾ يعني : العداوةَ والحسَدَ .

﴿وقالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا﴾ يعنون : الإيمان .

﴿لقد جاءت رسُلُ ربنا بالحق﴾ في الدنيا .

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ونادى أصحابُ الجنّةِ أصحابَ النارِ﴾ وهم مشرفون عليهم ؛ لأن الجنّة في السماء ، والنار في الأرض .

﴿فأذّن مؤذنٌ بينهم ...﴾ الآية . أي : نادى منادٍ .

﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ إذ كانوا في الدنيا ﴿ويبغونها عوجًا﴾ يبغون سبيل الله عوجًا .

﴿وبينهما﴾ بين الجنّةِ والنار ﴿حجابٌ﴾ وهو الأعراف .

﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ يعرفون كلاًّ بسيماهم﴾ تفسير قتادة : يعرفون أهل الجنّة ببياض وجُوهِهِمْ ، وأهل النار بسواد وجوهِهِمْ .

﴿ونادَوا أصحاب الجنّةِ أن سلامٌ عليكم﴾ قال الله : ﴿لم يدخلوها﴾ يعني : أصحاب الأعراف

(١) ويجمع (سَمّ) على (سُمُوم) ، وسينه مُثلَّثة . ينظر لسان العرب (سمم) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٢٩/١) وسعيد بن منصور (١٣٨/٥ - ١٣٩ رقم ٩٤٨) والطبري (١٧٨/٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٤٠/٩ رقم ٨٦٩١، ٨٦٩٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٩٢/٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، وهذا طمع يقين.

قال قتادة[١]: ذُكِرَ لنا أنَّ ابن عباسٍ قال: أصحاب الأعراف قومٌ استَوَتْ حسناتهم وسيئاتهم؛ فلم تفضل حسناتُهم على سيئاتِهِمْ، ولا سيئاتهم على حسناتهم، فَحُبِسُوا هنالك.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: «أصحاب الأعراف هُمْ قوْمٌ غزوْا بغير إذن آبائهم فاسْتُشْهِدُوا، فحُبِسُوا عن الجنّةِ؛ لمعصيتهم آباءهم، وعن النار بشهادتهم»[٢].

يحيى: عن أبي أميّة، عن المتلمس السَّدُوسي، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أُحُدًا جبلٌ يحبُّنا ونُحِبُّه، وإنه يوم القيامَة يُمَثَّلُ بين الجنة والنار يُحْبَسُ عليه أقوامٌ يعرفون كلاًّ بسيماهُمْ هُمْ - إن شاء الله - من أهل الجنة»[٣].

قال محمد: وكلُّ مرتفعٍ عند العرب أعرافٌ[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٢٩/١) والطبري (١٩١/٨)، وانظر الدر المنثور (٩٦/٣).

(٢) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وثقه الشافعي - رحمه الله - ولم أجد الحديث من هذا الوجه، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢١٦/٢) لابن مردويه من طريق سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة.
وعزاه السيوطي في الدر (٩٧/٣) لأبي الشيخ وابن مردويه.
وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلاً، ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٣ - ٩٧) وذكر بعضها ابن كثير في تفسيره (٢١٦/٢) ثم قال: والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث أظنه هو أبو يعقوب القرشي الهاشمي، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، ترجمته في التهذيب (٤٤٢/٢ - ٤٤٤).
وروى البخاري (٩٨/٦ رقم ٢٨٨٩) ومسلم (١٠١١/٢ رقم ١٣٩٣) واللفظ له عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدًا جبل يحبنا ونحبه».
ورواه مسلم (١٠١١/٢ رقم ١٣٩٢) عن أبي حميد الساعدي ﷺ.

(٤) وواحد (الأعراف): (عُرْفٌ)، وهو كل مرتفع من أرض وغيرها، استعارةٌ من عُرْف الديك، وعُرْف الفرس، كأنه عرف بارتفاعه دون الأشياء المنخفضة؛ فإنها مجهولة غالبًا. ينظر: لسان العرب (عرف)، الدر المصون (٢٧٤/٣).

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وأصحاب الأعراف ها هنا ملائكة ﴿رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ (ل ١٠٧) عن عبادة الله .

﴿أهؤلاء﴾ يعنون : أهل الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ ثم انقطع كلام الملائكة ، وقال الله لهم : ﴿ادخلوا الجنة ...﴾ الآية .

﴿ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ يعنون : الطعام .

﴿فاليومَ ننساهم﴾ أي : نتركهم في النار ؛ كما تركوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ فلم يؤمنوا به ؛ أي : في الدنيا ﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ .

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ يعني : بيَّنا فيه الحلال والحرام ، والأمر والنهيَ ، والوعْدَ والوعيدَ والأحكام ﴿ هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ قال قتادة[1]: يعني : الجزاء به في الآخرة .

﴿يومَ يأتي تأويله يقول الذين نسوه﴾ تركوه ﴿من قبلُ﴾ في الدنيا ولم يؤمنوا به ﴿قد جاءت

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٤٩٤/٥ رقم ٨٥٥٧) بمعناه .
وانظر الدر المنثور (٩٩/٣) .

رسلُ ربنا بالحق﴾ إذ كنا في الدنيا ، فآمنوا حيث لم ينفعهم الإيمان ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ألا نُعذَّبَ . ﴿أو نُرَد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعْمل غير الذي كنَّا نَعْمَلُ﴾ .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُغْشِي الليلَ النَّهارَ﴾ أي : بأن الليلَ يأتي على النهار ، فيغطيه ويُذهبه ﴿والنجومَ مسخراتٍ﴾ أي : وخلق النجومَ جاريات مجاريهنَّ .

﴿ادعوا ربّكم تضرعًا وخُفْية﴾ أي : سرًّا ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني : بعد ما بُعِثَ النبي ، واستجيب له ﴿إنّ رحمة اللهِ قريبٌ من المحسنين﴾ .

﴿وهو الذي يرسل الرياح نَشْرًا[1] بين يدى رحمته﴾ أي : يبسطها بين يدي المطر .

قال محمد : القراءة على هذا التفسير (نَشْرًا) بفتح النون ، والمعنى : منتشرة نَشْرًا ، ومن قرأ (نُشرًا)[2] بضم النون ، فهو جمْعُ : (نُشور)[3]؛ وهي التي تنشر السحاب .

﴿حتى إذا أقلّت سحابًا ثقالاً﴾ الثقال : التي فيها الماء ﴿سقناه لِبلَدٍ ميتٍ﴾ يعني : ليس فيه نبات .

---

(١) هكذا وردت في الأصل : (نَشْرًا) وهي قراءة حمزة والكسائي ، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ وروي عنه أنه قرأها (بَشْرًا) بفتح الباء وسكون الشين . ينظر : الدر المصون (٣/٢٨٥) ، السبعة (٢٨٣) ، التيسير (١١٠) ، النشر (٢/٢٧٠) .

(٢) قرأ ﴿نُشُرًا﴾ بضمتين ابن كثير وأبو عمرو ونافع ، وقرأ (نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين ابن عامر . ينظر : السبعة (٢٨٣) ، التيسير (١١٠) ، النشر (٢/٢٧٠) .

(٣) وقيل : جمع (ناشر) كشاهد وشهد ، ونازل ونُزُل . ورد ذلك عن أبي علي الفارسي . ينظر : لسان العرب (نشر) ، كشف المشكلات (١/٤٥٩) .

﴿والبلدُ [الطيب][(١)] يخرج نباته بإذن ربه ...﴾ تفسير الكلبي : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والمنافق ؛ البلدُ الطيب مثَلُ المؤمن يعمل ما عمل من شيءٍ ابتغاءَ وجهِ الله ﴿والذي خبثَ﴾ مثلُ المنافق لا يعطي شيئًا ولا يعمَلهُ ﴿إلا نكدًا﴾ أي : ليست له فيه حِسْبَةٌ ﴿كذلك نُصَرفُ الآيات﴾ نبيِّنُها ﴿لقومٍ يشكرون﴾ يؤمنون .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ...﴾ إلى قوله : ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال الحسن : يقول : أعْلَمُ من الله أنهُ مُهلِكُكم ومُعَذبكم ؛ إن لم تؤمنوا .

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذِكرٌ﴾ أي : وَحْيٌ ﴿من ربكم على رجُلٍ منكم﴾ على لسانِ رجُلٍ منكم ﴿لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون﴾ إن آمنتم ، و(لعلَّ) من الله واجبَةٌ .

﴿إنهم كانوا قومًا عَمِين﴾ عَمُوا عَن الحق .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم

(١) سقط من الأصل .

مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإلى عادٍ﴾ أي : وأرسلنا إلى عادٍ ﴿أخاهم هودًا﴾ أخوهم في النسب ، وليس بأخيهم في الدين .

﴿قال الملأ [الذين كفروا][1] من قومه﴾ يعني : الرؤساء ﴿إنا لنراك في سفاهَةٍ﴾ أيْ : من الرأي ﴿وإنا لنظُنك من الكاذبين﴾ كان تكذيبُهم إيَّاه بالظَّن .

﴿وأنا لكم ناصحٌ﴾ أدعوكُمْ إلى ما ينفعُكم ﴿أمين﴾ على ما جئتُكم به من عند اللَّه .

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يعني : استخلفكم في الأرض بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بصطة﴾ يعني : الأجسامَ والقوةَ التي أعطاهم .

﴿قال قد وقع عليكم من ربكُم رجْسٌ﴾ أي : عذاب .

﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي : أنَّ عذابَ اللَّهِ نازلٌ بكم .

﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ أيْ : أصْلهم .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى

---

(١) سقطت من الأصل.

دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿ولا تمسوها بسوءٍ﴾ أي: لا تعقروها.

﴿وبَوَّأكم في الأرض﴾ أسكنَكُمْ.

﴿ولا تعثوا﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة(١).

﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ يعني: استكبروا.

﴿فأخذتهم الرجفةُ﴾ قال الحسن: تحرَّكت بهم الأرضُ ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا.

قال محمدٌ: الجثوم أصْلهُ في كلام العرب: البُروك على الرُّكَبِ(٢).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿إنَّهم أُناسٌ يتطهَّرون﴾ أي: يتنزَّهون عن أعمالكم، فلا يعملون ما تعملون ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ يعني: من الباقين في عذاب اللهِ.

(ل ١٠٨) ﴿وأمطرْنا عليهم مطرًا﴾ يعني: الحجارةَ التي رُمِيَ بها من كان خارجًا من المدينة في حوائجهم وأسفارهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا

(١) البقرة: ٦٠.
(٢) قال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل. ينظر: لسان العرب (جثم)، الدر المصون (٣/٢٩٦).

نُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِى مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِى دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني: بعد ما بعث إليكم النبي ﴿ولا تقعدوا بكل صراطٍ﴾ طريقٍ. ﴿توعدون﴾ تخوّفون بالقتل ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني: من أُهلِكَ من الأمم السَّالفةِ حين كذَّبوا رسُلهُمْ.

﴿وسِعَ ربُّنا﴾ أي: ملأ ربنا ﴿كل شيءٍ علمًا﴾.

﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا﴾ أي: احْكُمْ.

قال قتادة: وإذا دعا النبي ربَّه أن يحكم بينه وبين قَوْمِهِ، جاءهم العذاب.

﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ يعني: يقيموا.

﴿فكيف آسى﴾ أحزن؛ أي: لا أحزن عليهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿أخذنا أهلها بالبأساء﴾ يعني: الجوع والقحط ﴿والضراء﴾ يعني: الأمراض والشدائدَ ﴿ثم

بدَّلنا مكان السيئة﴾ أي : مكان البأساء والضراء ﴿الحسنة﴾ يعني : الرخاء والعافية . ﴿حتى عفَوْا﴾ أي : كَثُروا ﴿وقالوا قد مَسَّ آباءنا الضراء والسراء﴾ فلم يكن شيء ؛ يعنُون : ما كان يَعِدُ النبيُّ به قومَهُ من العذاب إن لم يؤمنوا .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض﴾ قال قتادة : يقول : لأعطتهم السماءُ قطْرها ، والأرضُ نباتها .

﴿أفأَمِن أهل القرى أن يأتيَهُمْ بأسُنا﴾ عذابنا ﴿بياتًا﴾ يعني : ليْلاً .

وقوله : ﴿ضُحًى﴾ يعني : نهارًا ﴿وهم يلعبون﴾ .

قال محمدٌ : يقال لكلِّ منْ كان في عَمَلٍ لا يجدي وفي ضلال : إنما أنت لاعبٌ ؛ أي : في غير ما يجدي عليك .

﴿أفأمنوا مكر اللَّه﴾ يعني : عذابه .

﴿أو لم نهدِ﴾[1] أي : نبين ، وتقرأ ﴿يهد﴾ يبين اللَّهُ .

﴿للذين يرثون الأرضَ من بعد أهلها﴾ يعني : الذين أُهْلِكُوا من الأمم السَّالفة .

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ

---

(١) هكذا في الأصل بنون العظمة وهي قراءة مجاهد ، وقرأ الجمهور ﴿يهد﴾ . ينظر : البحر المحيط (٣٥٢/٤) ، الدر المصون (٣١٠/٣) .

بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وما وَجدْنا لأكثرهم من عهْدٍ﴾ يعني: الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في صُلْبِ آدَمَ.

﴿فظلموا بها﴾ أي: جحدوا أن تكون من عند الله.

﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ وكان بنو إسرائيل في أيديهم بمنزلة أهل الجزية فينا.

﴿ونزع يَدهُ﴾ أي: أخرجها من جَيْب قميصه.

قال الكلبي: بلغنا أن موسى قال: يا فرعونُ، ما هذه بيدي؟ قال: هي عصى؛ فألقاها موسى، فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ قد ملأت الدار من عِظَمِهَا، ثُمَّ أَهْوَتْ إلى فرعون لتبتلعه، فنادى: يا مُوسى، يا موسى، فأخذ موسى بِذَنَبِهَا؛ فإذا هي عصًى بيده؛ فقال فرعونُ: يا موسى، هلْ من آيةٍ غيرُ هذه؟ قال: نعَمْ. قال: ما هِيَ؟ قال: فأخرج موسى يَدهُ فقال: ما هذه يا فرعونُ؟ قال: هذه يدُك، فأدْخلها موسى في جَيْبه، ثُمَّ أخرجها فإذا هي بيضاءُ للناظرين، أي: تغشى البصر من بياضها.

﴿قالوا أرْجِه وأخاه﴾ أي: أخِّره وأخاه ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ يَحْشُرون السَّحرة؛ فإنما هو ساحِرٌ، وليس سِحْره بالذي يغلب سَحرَتَك.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

﴿قالوا إن لنا لأجرًا﴾ يعنون : العطيّة .

﴿قال نعَمْ وإنكم لمِنَ المقرَّبين﴾ يعْني : في المنزلة .

﴿واسْترهبوهُمْ﴾ أي : أخافوهم .

﴿وجاءوا بسحرٍ عظيم﴾ فخيل إلى موسى أنَّ حبالهم وعصيهم حياتٌ ، فألقى موسى عصاه ؛ فإذا هي أعظم من حياتِهم ، ثم رقوا فازدادَتْ حبالُهُم وعِصيهم عِظَمًا في أعْيُنِ الناسِ ، وجعلت عصا موسى تعظُم وهُمْ يرقون حتى أنفدوا سِحْرهمْ ، فلم يبق منه شيْء ، وعَظُمَتْ عصا موسى حتى سدَّتِ الأُفُق ، ثم فتحت فاها ، فابْتلعَتْ ما ألقوا ، ثم أخذ موسى عصاه بيده ، فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهبت ؛ وذلك قوله : ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾[1] أي : ما يكذبون . ﴿فوقع الحقُّ﴾ فظهر .

قال الكلبي : وقال السَّحرة بعضهم لبعض : لو كان هذا سِحْرًا لبقيت حبالُنا وعصينا .

﴿فأُلقي السحرةُ ساجدين﴾ أي : خروا ؛ فَبُهِت فرعَوْنُ ، وخلى سبيل موسى ولم يعرضْ له .

﴿إنَّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة﴾ (ل١٠٩) قلتم : يا موسى ، اذهبْ فاصنع شيئًا ؛ فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدَّقْنا مقالتك .

﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ أي : لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى .

﴿لأُقطعَنَّ أيديَكُم من خلافٍ﴾ اليَد اليُمْنى ، والرجل اليُسْرَى .

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ

(١) الشعراء : ٤٥.

أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿ويذرك وآلِهَتَكَ﴾ قال الحسنُ : كان فرعونُ يعبُد الأوثانَ .

﴿إن الأرضَ للَّه يورثُها من يشاءُ من عباده﴾ وكان اللَّهُ قد أعلم موسى أنه مهلكٌ فرعَوْنَ وقومَهُ ، وأنه سيورث بني إسرائيل الأرض بعدهم ﴿والعاقبه للمتقين﴾ يريدُ : الجنَّة .

﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ يقوله بنو إسْرائيل لموسى ؛ يعنون : ما كان يصنع بهم فرعون وقوْمُه .

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسنين ونقصٍ من الثمرات﴾ فأجدبت أرضهم ، وهلكت مواشيهم ، ونقصتْ ثمارُهمْ ؛ فقالوا : هذا مما سحرنا به هذا الرجل .

﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ العافية والرخاء ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي : لنا جاءت ، ونحن أحق بها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي : شدة ﴿يطيروا بموسى ومَنْ معَهُ﴾ قالوا : إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه ، قال اللَّه : ﴿ألا إنما طائرُهُمْ عند اللَّه﴾ يعني : عملهم هو محفوظٌ عليهم ؛ حتى يجازيهم به .

قال محمدٌ : المعنى : ألا إنما الشُؤمُ الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة ، لا ما ينالهم به

في الدنيا ؛ وهو معنى قول يحيى .

﴿وقالوا مهما تأتنا به﴾ أي : ما تأتنا به : (مهما) و(ما) بمَعْنًى واحِدٍ[١].

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان ...﴾ الآية .

تفسير قتادة[٢]: الطوفان : الماء أرسله الله عليهم ؛ حتى قاموا فيه قيامًا ، فدَعَوْا موسى ، فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامَّة حروثهم وثمارهم ، فدَعَوا موسى فدعا ربه ، فكشف عنهم ثم عادوا لشر ما بحضرتهم ، فأرسل الله عليهم القُمَّلَ وهو الدّبي[٣]؛ فأكل ما أبقى الجرادُ من حُرُوثِهِمْ ولحسته ، فدَعَوْا موسى فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم ؛ فأرسل الله عليهم الضفادع ؛ حتى ملأ بها فرشَهُمْ وأفنيتهم فدَعَوْا موسى ؛ فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم ؛ فأرسل الله عليهم الدَّمَ فجعلوا لا يغترفون من مائهم إلا دمًا أحْمَر ؛ حتى لقد ذُكِر لنا أن فرعون جمع رجُلَين أحدهما إسْرائيلي والآخر قبْطي على إناءٍ واحد ؛ فكان الذي يلي الإسرائيلي ماءً ، والذي يلي القبطي دمًا ، فدعوا موسى ؛ فدعا ربه فكشف عنهم .

﴿آيات مفصلات﴾ كان العذاب يأتيهمْ ، فيكونون ثمانية أيام بلياليهن بين كل عذابين شهْرٌ .

﴿ولما وقع عليهم الرجْزُ﴾ يعني : العذاب .

﴿إلى أجلٍ هم بالغوه﴾ إلى يَوْم غرَّقهم الله في اليمِّ ﴿إذا هم ينكثون﴾ .

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني : أبناء بني إسرائيل ﴿مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام ؛ في تفسير الحسن[٤].

﴿وتمت كلمةُ ربك الحسنى﴾ يعني : ظهور قوم موسى على فرعون ؛ في تفسير مجاهد[٥]

---

(١) ينظر : الكتاب (٤٣٣/١) ، حروف المعاني (٢٠) ، الجني الداني (٦٠٩ - ٦١٣) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٣٤/١) والطبري (٣٥/٩) .

(٣) والدّبي هو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة . ينظر تفسير ابن كثير (٤٦١/٣) .

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٣٥/١) والطبري (٤٣/٩) وابن أبي حاتم (١٥٥١/٥ رقم ٨٨٩٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢١/٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن عساكر أيضًا .

(٥) رواه الطبري (٤٤/٩) وابن أبي حاتم (١٥٥١/٥ رقم ٨٨٩٨) .

﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعونُ وقومه وما كانوا يعرشون﴾ يَبْنُون .

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿إنَّ هؤلاء مُتبَّرٌ ما هُمْ فيه﴾ أي : مُفْسَد .

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر﴾ وهي : ذو القعْدة وعشرُ ذي الحجة .

قال الكلبي : إن موسى لما قطع البحر بيني إسرائيل ، وغرّق اللَّه آل فرعونَ ، قالت بنو إسرائيل لموسى : يا موسى ، ائتنا بكتابٍ من ربنا كما وعدتنا ، وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا معه ، فلما تجهَّزوا قال اللَّه : يا موسى ، أخبر قومك أنك لن تأتيهم أربعين ليلةً . وذلك حين تمَّتْ بعشْرٍ ، فلما خرج موسى بالسَّبْعين أمرهم أن ينتظرُوه في أسْفل الجبل (ل ١١٠) وصعدَ موسى الجبل ، فكلمه اللَّه أربعين يومًا وأربعين ليلَةً ، وكتب له فيها الألْواح ، ثم إن بني إسرائيل عَدُّوا عشرين يومًا وعشرين ليلَةً ؛ فقالوا : قد أخلفنا موسى الوعْدَ! وجعل لهم السامري العجل ؛ فعَبدوه .

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا ...﴾ الآية ، قال الحسن : لما كلمه ربه ، دخل قلب موسى من السرور

= وعزاه السيوطي في الدر (١٢٤/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

من كلام الله ما لَمْ يَصِلْ إلى قلْبه مثله قط ، فدعتْ موسى نفْسُه إلى أن يسأل ربَّهُ أن يُرِيَهُ نفْسَه ؛ ولو كان فيما عَهِدَ إليه قبل ذلك أنه لا يُرَى ، لم يسأل ربه بما يعلم أنه لا يعطيه إياه .

فقال : ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ فقال الله : ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا﴾ قال قتادة[١]: تفتَّت الجبل بعضُهُ على بعْضٍ .

قال محمد : وقيل : جعله دكًّا ؛ أي : ألصقه بالأرض ؛ يقال : ناقَةٌ دكَّاءُ ؛ إذا لم يكن لها سنامٌ[٢]. وقيل في قوْله : ﴿تجلَّى﴾ أيْ : ظهر ، أو ظهر من أمره ما شاء ﴿وخر موسى صعقًا﴾ أي : سقط ميتًا .

قال محمدٌ : وقيل : (صعقًا) : مغشيًّا عليه ﴿فلما أفاق﴾ يعني : ردَّ الله إليه حياته .

﴿قال سبحانك تبت إليك﴾ أي : من قولي : أنظر إليك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ يعني : المصدِّقين بأنك لا تُرَى في الدنيا .

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿قال يا موسى إني اصطفيتك﴾ اخترتك .

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكل شيءٍ﴾ أي : تبيينًا لكل ما أُمِروا به ، ونهوا عنه .

﴿فخذها بقوة﴾ أي : بجدٍّ ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي : بما أمرهم الله به ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني : فرعون وقومه ؛ وهي مثل قوله : ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾[٣].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) انظر الدر المنثور (٣/١٣٠) .

(٢) لسان العرب (دكك) .

(٣) الشعراء : ٥٩.

كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ قال الحسن : يقول : سأصرفهم عنها ؛ حتى لا يؤمنوا بها ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ يعني : الكفر ﴿يتخذوه سبيلا﴾ أخبر بعلمه فيهم ؛ أنهم لا يؤمنون أبدًا .

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ يعني : حين ذهب للميعاد ﴿من حليهم﴾ من حُلي قوم فرعون ﴿عجلاً جسدًا له خوار﴾ صوت .

قال قتادة : جعل يخور خوار البقرة . وتفسير اتخاذهم العجل مذكورٌ في سورة طه(١).

قال محمدٌ : الجسد في اللغة : هو الذي لا يعقل ولا يميز ، ومعنى الجسد ها هنا : الجثَّة . وتقرأ ﴿من حُلِيِّهم﴾ و﴿حَلْيِهِمْ﴾ ، فالحَلْيُ بفتح الحاء : اسمٌ لما يتحسَّن به من الذهب والفضة ، ومن قرأها بضم الحاء فهو جمع (حَلْي)(٢).

﴿ألم يروْا أنه لا يكلمهم﴾ يعني : العجل .

﴿ولا يهديهم سبيلا﴾ أي : طريقًا ﴿اتخذوه﴾ أي : اتخذوه إلهًا .

﴿وكانوا ظالمين﴾ لأنفسهم ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي : ندموا ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا ...﴾ الآية . قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع ، وطلبوا التوبة ، وأبى اللَّه أن يقبل منهم ، إلا أن يقتلوا أنفسهم ؛ وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة(٣).

---

(١) طه : ٨٨.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء ، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء ، وقرأ الباقون بضمها ، وكلهم كسر اللام وشدد الياء مكسورة سوى يعقوب . ينظر : النشر (٢/٢٧٢) ، البحر المحيط (٤/٣٩١) ، الدر المصون (٣/٣٤٣) .

(٣) البقرة : ٥٤.

قال محمدٌ : يقال للنادم على ما فعل : قدْ سُقِطَ في يده ، وأُسقِطَ في يده[١].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أي : شديد الغضب .

﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم﴾ **قال محمد** : يقال : عجلتُ الأمر إذا سبقته ، وأعجلته : إذا استحثثته[٢].

﴿قال ابن أُم إن القوم استضعفوني﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (ابن أمَّ) بالفتح[٣]، فلكثرة استعمالهم هذا الاسم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلَّة في الحياة﴾ يعني : الجزية ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ الكاذبين الذين زعموا أن العجل إلههُمْ ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي :

---

(١) وهذا ما نقله الفراء والزجاج ، وقال الفراء : سُقِط - أي : الثلاثي - أكثر وأجود . ينظر : لسان العرب (سقط) ، الدر المصون (٣/٣٤٥) .

(٢) ينظر : لسان العرب (عجل) ، الدر المصون (٣/٣٤٧) .

(٣) قرأ الأخوان وأبو بكر وابن عامر بكسر الميم ، والباقون بفتحها . ينظر : السبعة (٢٩٥) ، التيسير (١١٣) النشر (٢/٢٧٢) الدر المصون (٣/٢٤٧) .

سكن ﴿أخذ الألواح وفي نسختها﴾ يعني : الكتاب الذي نُسِخَتْ منه التوراة .

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً ...﴾ الآية .

قال محمد : من كلام العرب : اخترتك (ل ١١١) القوْمَ ؛ أي : من القوم[١].

قال الكلبي : إن السبعين قالوا لموسى حين كلَّمه ربه : يا موسى لنا عليك حق كنا أصحابك ولمْ نختلفْ ، ولمْ نصنع الذي صنع قومنا ؛ فأرنا اللَّه جهرةً كما رأيته ، فقال موسى : لا واللَّه ما رأيته ، ولقد أردته على ذلك فأبى وتجلى للجبل فكان دكًّا وهو أشدُّ مني ، وخررتُ صعقًا ، فلما أفقت سألت اللَّه واعترفت بالخطيئة . فقالوا : إنا لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرةً . فأخذتهم الصاعقة ؛ فاحترقوا من آخرهم ، فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل ، فقال موسى : ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ يعني : أصحاب العجل ﴿إن هي إلا فتنتك ...﴾ إلى آخر الآية ، ثم بعثهم اللَّه من بعد موتهم .

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إنا هدنا إليك﴾ أي : تُبْنا .

﴿ورحمتي وسعتْ كل شيء﴾ يعني : أهلها . لما نزلتْ هذه الآية ، تطاول لها إبليس ، وقال : أنا

---

(١) وهذا ما يعرف في العربية باسم التضمين . ينظر : نتائج الفكر للسهيلي (٢٦٠) .

من ذلك الشيء ، وطمع فيها أهل الكتابين ، فقال الله : ﴿فسأكتبها﴾ يعني : فسأجعلها ﴿للذين يتقون﴾ الشرك ﴿ويؤتون الزكاة﴾ التوحيد .

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ يعني : الشحوم وكل ذي ظفر ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ يعني : الحرام ﴿ويضع عنهم إصْرَهم﴾ ثقلهم ؛ وهو ما كان حرّم عليهم .

﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ يعني : ما كان شدّد عليهم فيه .

﴿وعزّروه﴾ أي : عظّموه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي : عليه ؛ يعني : القرآن .

﴿يؤمن بالله وكلماته﴾ قال الحسن : يعني : وحيه الذي أنزل على محمد .

﴿ومن قوم موسى أمةٌ﴾ أي : جماعة ﴿يهدون بالحق﴾ أي : يدعون إليه ﴿وبه يعدلون﴾ يحكمون .

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا﴾ يعني : بني إسرائيل .

قال محمدٌ : (الأسباط) : القبائل ، واحدها : سِبْطٌ ، والسِّبْط في اللغة : الجماعة الذين يرجعون إلى أبٍ واحد[1].

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر ...﴾ إلى قوله : ﴿بما كانوا

---

(١) وقيل : الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ، والأسباط في ولد إسحاق كالقبائل في ولد إسماعيل . ينظر الدر المصون (٣/٣٥٧) . واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص ٢١٩) والحاوي للفتاوى للسيوطي (١/٣١١) .

يظلمون﴾ وقد فسرنا أمرهم في سورة البقرة[١].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدُون في السبت﴾ أي: يعتدون.

﴿يوم سبتهم شرعًا﴾ أي: شوارع في الماء. ﴿كذلك نبلوهم﴾ أي: نبتليهم.

﴿وإذ قالت أمةٌ منهم ...﴾ الآية.

تفسير الكلبي: القرية: هي (أَيْلَة) وذُكر لنا أنهم كانوا في زمان داود؛ وهو مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السَّنة؛ كهيئة العيد، تأتيهم منه حتى لا يروا الماء، وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبتٍ؛ كما تأتيهم في ذلك الشهر، فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئًا، فعمد رجالٌ من سفهاء تلك المدينة؛ فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها وملَّحُوا وباعوا، ولم تنزل بهم عقوبةٌ فاستبشروا، وقالوا: إنا نرى السبت قد حلَّ، وذهبت حرمته، إنما كان يعاقب به آباؤنا، فعملوا بذلك سنين؛ حتى أَثْرَوْا منه، وتزوَّجوا النساء، واتخذوا الأموال، فمشى إليهم طوائف من صالحيهم؛ فقالوا: يا قوم، انتهكتم حرمة سَبْتِكُمْ، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيكم، فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم العذاب! قالوا: فلم تعظوننا إذ كنتم علمتم أن الله مهلكنا؟! وإن أطعتمونا لتفعلن كالذي فعلنا، فقد فعلنا منذ سنين فما زادنا الله به إلا خيرًا. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله [...][٢] كأنه قد نزل بكم، قالوا ﴿[لم][٣] تعظون

(١) سورة البقرة، آية: ٦٠ وما بعدها.

(٢) كلمة في الأصل لم أستطع قراءتها.

(٣) في الأصل: (فلم).

قومًا الله مهلكهم ...﴾ الآية .

وفي غير تفسير الكلبي : صاروا ثلاث فرق : فرقة اجترأت على المعصية ، وفرقة نهت ، وفرقة كفَّتْ ؛ فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم وقالوا (ل ١١٢) : للذين نهوا : ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرةً إلى ربكم﴾ .

قال محمدٌ : يجوز الرفع في ﴿معذرة﴾ على معنى : موعظتنا إياهم معذرة[1].

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي : تركوا ما وُعِظُوا به . أخذناهم ﴿بعذابٍ بئيس﴾ أي : شديد .

﴿قردةً خاسئين﴾ أي : مُبْعَدِين .

قال قتادة[2]: فصاروا قردةً تعاوى لها أذناب .

قال قتادة : وبلغنا أنه دُخِلَ على ابن عباس ، وبين يديه المصحف ، وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ فقال : قد علمت أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان ، ونجَّى الذين نهوهم ، ولا أدري ما صنع بالذين لمْ ينهوا ولم يواقعوا المعصية .

قال الحسن : وأي نهي يكون أشد من أنَّهُمْ أثبتوا لهم الوعيد ، وخوفوهم العذاب ، فقالوا : ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾ .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وإذ تأذن ربك﴾ قال الحسن : يعني : أعلم ربك ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومُهم﴾

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (١/٦٤٥) ، البحر (٤/٤١٢) . وقراءة الرفع هي لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي . أما قراءة النصب ؛ فهي قراءة حفص عن عاصم . ينظر : السبعة (٢٩٦) ، التيسير (١١٤) النشر (٢/٢٧٢) .

(٢) رواه الطبري (٩/١٠١) .

أي : يُوليهم ﴿ سوء العذاب﴾ أي : شدته .

قال قتادة[١]: فبعث عليهم العرب ، فهم منهم في عذابٍ بالجزية والذل .

﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ قال الحسن : إذا أراد اللّٰه أن يعذب قومًا كان عذابه إياهم أسرع من الطرف .

﴿وإنه لغفورٌ رحيم﴾ لمن تاب وآمن .

﴿وقطعناهم في الأرض﴾ أي : فرقناهم ، قال مجاهد[٢]: يعني : اليهود ﴿منهم الصالحون﴾ يعني : المؤمنين ﴿ومنهم دون ذلك﴾ يعني : كفارًا ﴿وبلوناهم﴾ اختبرناهم ﴿بالحسنات والسيئات﴾ يعني : بالشدة والرخاء ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ قال مجاهد[٣]: الخلْف : النصارى بعد اليهود .

قال محمدٌ : ذكر قطربٌ أنه يقال : خَلْفُ سَوْءٍ ، وخلف صِدْق ، وخَلَفُ سَوْءٍ وخَلَفُ صِدْقٍ بتسكين اللام وفتحها في الحالين[٤]. وأنشد بيت حسان بن ثابت :

لنا القَدَمُ الأولى [عليهم][٥] وخَلْفنا   لأوّلنا في طاعة اللّٰه تابع[٦]

وذكر أبو عبيد : أن الاختيار عند أهل اللغة أن يوضع الخَلْفُ - بتسكين اللام - موضِعَ الذمِّ ، والخَلَفُ - بالفتح - موضع المدح[٧].

﴿يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾

---

(١) رواه الطبري (٩/ ١٠٢، ١٠٣) .

(٢) رواه الطبري (٩/ ١٠٤) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٥ رقم ٨٤٨٠) .

(٣) رواه الطبري (٩/ ١٠٥) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٧ رقم ٨٤٩٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ١٥١) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) وفي ذلك خلاف مشهور بين اللغويين . ينظر لسان العرب (خلف) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من ديوان حسّان بن ثابت (٢٤١) .

(٦) البيت من بحر الطويل . ينظر : ديوان حسان بن ثابت (٢٤١) ، تفسير الطبري (١٣/ ٢٠٩) ، البحر المحيط (٤/ ٤١٥) .

(٧) وهذا قول الفراء أيضًا ، ينظر : لسان العرب (خلف) ، الدر المصون (٣/ ٣٦٦) .

قال مجاهد(١): يعني : ما أشرف لهم في اليوم من حلالٍ أو حرامٍ أخذوه ، ويتمنَّوْن المغفرة ، وإن يجدوا الغد مثله يأخذوه .

﴿ودرسوا ما فيه﴾ يقول : قرءوا ما فيه ، في هذا الكتاب ؛ بخلاف ما يقولون وما يعملون ﴿أفلا يعقلون﴾ ما يدرسون ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ قال مجاهد(٢): يعني : من آمن من اليهود والنصارى .

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ﴾ أي : رفعناه ؛ وقد مضى تفسير رفع الجبل فوقهم في سورة البقرة(٣).

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم(٤)...﴾ إلى قوله : ﴿شهدنا﴾ تفسير ابن عبَّاس(٥) قال : « أهبط اللَّه آدم بالهند ، ثم مسح ظهره ؛ فأخرج منه كل نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ﴿ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا﴾ . فقال للملائكة : اشهدوا . فقالوا : شهدنا . قال الحسن : ثم أعادهم في صلب آدم ﴿أن تقولوا﴾ أي : لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا

---

(١) رواه الطبري (٩/١٠٦) وابن أبي حاتم (٥/١٦٠٧ رقم ٨٤٩٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣/١٥١) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه الطبري (٩/١٠٨) وابن أبي حاتم (٥/١٦٠٩ رقم ٨٥١٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣/١٥٢) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) سورة البقرة : ٩٣.

(٤) هكذا في الأصل ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع ، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر ، وقرأ الباقون ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد ، ينظر : النشر (٢/٢٧٣) ، البحر المحيط (٤/٤٢٠) ، الدر المصون (٣/٣٦٩) .

(٥) انظر تفسير الطبري (٩/١١١) وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦١٣) والدر المنثور (٣/١٥٣ - ١٥٤) .

غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم﴾ وجدناهم على ملّةٍ فاتبعناهم » .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ .

قال مجاهد[1]: هو بلعان بن بعران – وبعضهم يسميه : بلعَم – آتاه الله علمًا فتركه .

﴿فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ أي : كفر .

قال محمدٌ : يقال : أتبعت الرجل إذا لحقْته ، وتبِعته إذا سرت في أثره[2].

﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي : بآياتنا ﴿لكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي : ركن إلى الدنيا ﴿واتَّبع هواه﴾ أي : أبى أن يصحب الهدى .

﴿فمثله كمثل الكلب إن تحملْ عليه﴾ (ل١١٣) أي : تطرده[3] ﴿يلهث أو تتركه يلهث﴾ تفسير الكلبي ، قال : هو ضالٌ على كل حالٍ ؛ وعظته أو تركته .

قال محمد : قيل : ضرب اللهُ مثلاً لتارك أمره أخسَّ مثل ، فقال عز وجل : مَثَله كمثل الكلب لاهثًا – واختصر (لاهثًا) – ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ ولهثانه : اضطراب لِسانِه وصَوته الذي يردد عند ذلك ؛ كأنه مُعيى[4] أو عَطْشان ؛ وإذا كان الكلب بهذه الحال ، فهي أخسُّ أحواله .

﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ **قال محمد** : المعنى : ساء مثلاً مثل القوم[5].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٢٠/٩) .

(٢) وفيه أقوال أخر ، ينظر : لسان العرب (تبع) ، الدر المصون (٣٧٢/٣) .

(٣) يقال : حمل عليه ونحوه : كَرَّ. لسان العرب (حمل) .

(٤) أي : متعب تعبًا شديدًا ، وهو اسم مفعول من الرباعي (أعيا) ينظر لسان العرب (عيى) .

(٥) وفي ذلك استطراد نحوي واسع ، ينظر من : إعراب القرآن (٦٥٢/١) ، المقتضب (١٥٠/٢) ، البحر المحيط (٤٢٥/٤) .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرًا من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الهدى ﴿ولهم أعينٌ لا يبصرون بها﴾ الهدى ﴿ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾ الهدى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ من الأنعام فيما تعبدوا به ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن الآخرة .

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ .

يحيى : عن خداشٍ ، عن محمدِ بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لله تسعةٌ وتسعون اسمًا مائةٌ غير واحدٍ ؛ من أحصاها دخل الجنة »[(١)].

قال محمد : (معنى أحصاها) : حفظها . وقيل : المعنى أقرّ لله بها وتعبد[(٢)].

﴿وذروا[(٣)] الذين يلحدون في أسمائه﴾ أي : يميلون ؛ فسمّوْا مكان الله : اللاّت ، ومكان

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥٠٣/٢) وابن ماجه (١٢٦٩/٢ رقم ٣٨٦٠) من طريق محمد بن عمرو به .
ورواه البخاري (٢١٨/١١ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٢٠٦٢/٤ رقم ٢٦٧٧) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .
ورواه مسلم (٢٠٦٣/٤ رقم ٦/٢٦٧٧) من طريق ابن سيرين وهمام بن منبه عن أبي هريرة .
وقد جمع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني طرق هذا الحديث في جزء ، وقد طبع والحمد لله .

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) قال الخطابي : الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوهًا :
أحدها : أن يعدها حتى يستوفيها ، يريد أنه لا يقتصر على بعضها ، لكن يدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها ؛ فيستوجب الموعود عليها من الثواب .
ثانيها : المراد بالإحصاء الإطاقة ؛ كقوله تعالى : ﴿علم أن لن تحصوه﴾ ومنه حديث « استقيموا ولن تحصوا » أي : لن تبلغوا كنه الاستقامة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها ، فإذا قال : « الرزاق » وثق بالرزق ، وكذا سائر الأسماء .
ثالثها : المراد بالإحصاء : الإحاطة بمعانيها ، من قول العرب : فلان ذو حصاة أي : ذو عقل ومعرفة . انتهى ملخصًا . اهـ
قلت : وراجع باقي هذا البحث في فتح الباري .

(٣) في الأصل : (وذر) على الإفراد .

العزيز : العُزَّى .

﴿وذروا﴾ في هذا الموضع منسوخٌ ، نسخه القتال[(١)].

﴿وممن خلقنا أمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ أي : يحكمون .

قال قتادة : ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : « هذه لكم ، وقد أعطى الله القوم بين أيديكم مثلها »[(٢)]؛ يعني : قوله : ﴿ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ...﴾ إلى قوله : ﴿متين﴾ هو كقوله : ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ...﴾[(٣)] الآية .

ومعنى ﴿أملي لهم﴾ : أطيل لهم ، ومعنى (كيدي متين) : عذابي شديد .

﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ وهذا جوابٌ من الله للمشركين ؛ لقولهم للنبي إنه مجنونٌ[(٤)] يقول : لو تفكروا ، لعلموا أنه ليس بمجنونٍ .

﴿إن هو إلا نذير﴾ ينذر من عذاب الله ﴿مبين﴾ يبين عن الله .

---

(١) هو قول عبد الرحمن بن زيد ، وتعقبه الطبري فقال في تفسيره (١٣٤/٩) : ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ ؛ لأن قوله : ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ ليس بأمر من الله لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم ، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم . اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/٣) : والجمهور على أن هذه الآية محكمة لأنها خارجة مخرج التهديد . اهـ

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣٥/٩) .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٣) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما أيضًا .

(٣) الأنعام : ٤٤.

(٤) والآيات في ذلك كثيرة ؛ منها على سبيل المثال لا الحصر : [الحجر : ٦] ، [الصافات : ٣٦] ، [الذاريات : ٥٢] ...إلخ .

﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات﴾ يعني: ملك السموات والأرض ما أراهم الله من آياته فيهما ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وإلى ما خلق من شيء مما يرونه فيتفكروا، فيعلموا أن الذي خلق السموات والأرض وما بينهما قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيبادروا التوبة قبل الموت ﴿فبأي حديث بعده﴾ بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ يُصَدِّقُون.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها﴾ متى قيامها؟

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: متى يبعثها؛ لأنها جاريةٌ إلى حدٍّ، ويقال: رسا الشيء يرسو؛ إذا ثبت(١).

﴿لا يجليها﴾ لا يظهرها ﴿لوقتها﴾ في وقتها ﴿إلا هو ثقلت في السموات والأرض﴾ قال الحسن: يعني: على السموات والأرض، حتى تشققت لها السموات، وانتثرت النجوم، وذهبت جبال الأرض وبحارها.

﴿لا تأتيكم إلا بغتةً﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نُعَيْم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقوم الساعةُ والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه؛ حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل حتى تقوم الساعة»(٢).

﴿يسألونك كأنك حفيٌّ عنها﴾ تفسير قتادة(٣): قالت قريشٌ: يا محمد، أَسِرَّ إلينا أمْرَ الساعة؛

---

(١) لسان العرب (رسو).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/٧٧٤ رقم ٣٨٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه البخاري (١١/٣٦٠ رقم ٦٥٠٦) ومسلم (٤/٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٤) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٣) رواه عبد الرزاق (١/٢٤٥) والطبري (٩/١٤٠) وابن أبي حاتم (٥/١٦٢٨ رقم ٨٦٢١).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/١٦٣) لعبد بن حميد وابن جرير.

لما بيننا وبينك من القرابة ، فقال الله : ﴿يسألونك كأنك حفيٌّ عنها﴾ هي في هذا التفسير مقدمة يسألونك عنها كأنك حفيٌّ[1].

قال محمد : وقيل : المعنى : كأنك مَعْنِيٌّ بطلب علمها ؛ يقال : حفيتُ بالأمرِ أحفي به حَفَاوَةً ؛ إذا عنيت به[2].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

(ل ١١٤) ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله﴾ أي : إنما ذلك بما شاء الله ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ أي : لو أطلعني على أكثر مما أطْلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده ، ولم يُطْلعني على علم الساعة متى قيامها ﴿وما مسني السوء﴾ هذا جواب لقول المشركين : إنه مجنون ، فقال الله له قُلْ : ﴿وما مسَّني السوء ...﴾ الآية .

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني : آدم ﴿وجعل منها زوجها﴾ يعني : حواء ؛ خلقها من ضلع آدمَ القُصَيْرى اليُسْرَى ﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفًا ...﴾ إلى قوله : ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ تفسير الكلبي : حملت حملاً خفيفًا - يعني : حواء - فمرت به - أي : قامت به وقعدت - ثم أتاها الشيطان في غير صورته ؛ فقال : يا حواء ، ما هذا في بطنك ؟ فقالت : لا أدري . قال : لعله بهيمةٌ من هذه البهائم ، فقالت : ما أدري . فأعرض عنها ؛ حتى إذا أثقلت أتاها ، فقال لها : كيف تجدينك يا حواء؟ قالت : إني لأخاف أن يكون الذي خوَّفتني ، ما أستطيع القيام إذا قعدتُ . قال : أفرأيت إن دعوت الله ، فجعله إنسانًا مثلك أو مثل آدم ، أتُسَمِّينَه بي؟ قالت : نعم ،

(١) المعنى أن (عنها) في الآية مقدمة في التفسير ، والتقدير : يسألونك عنها كأنك حفي .

(٢) ويقال : حَفوْتُ وحَفيْتُ . لسان العرب (حفو) و(حفي) .

فانصرف عنها وقالت لآدَمَ : إن الذي في بطني أخشى أن يكون بهيمَةً من هذه البهائم ، وإني لأجد له ثقلاً ، ولقد خفت أن يكون كما قال ، فلم يكن لآدَمَ ولا لحواء هَمٌّ غيره حتى وضعت ؛ فذلك قوله : ﴿دَعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا﴾ أي : إنسانًا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ كان هذا دعاءهما قبل أن تلد ، فلما ولدت أتاهما إبليس ، فقال : ألا تسمينه بي ؛ كما وعدتني؟ قالت : وما اسمك؟ قال : عبد الحارث ، فسمتهُ عبد الحارث ؛ فمات .

قال الله : ﴿فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال قتادة[1]: فكان شركًا في طاعتهما لإبليس في تسميتهما إياه : عبد الحارث ، ولم يكن شركًا في عبادَةٍ[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٤٥/١) وابن أبي حاتم (١٦٣٤/٥ رقم ٨٦٥١) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٦٦/٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : « عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم » رواه الطبري وقال ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢) : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن ﷺ أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية . اهـ

وروى نحو قول الكلبي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجماعة كثيرة ، وذكره كثير من المفسرين ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢ - ٢٧٦) : وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم » ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام : فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها : ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضًا ، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله : « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله : ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ثم قال فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله : ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ...﴾ الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها ، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن ، والله أعلم . اهـ .

وقال بهذا القول العلامة ابن القيم في « التبيان في أقسام القرآن » (ص١٦٥) .

وقال الشيخ الشنقيطي في « أضواء البيان » (٣٠٥/٢) : في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء ، والقرآن يشهد لأحدهما :

الأول : حواء كانت لا يعيش لها ولد ، فحملت ، فجاءها الشيطان ، فقال لها : سمي هذا الولد عبد الحارث فإنه يعيش .=

ثم انقطعت قصَّة آدم وحواء . ﴿فتعالى اللّٰه عما يشركون﴾ يعني : المشركين من بني آدم .

﴿أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يُخْلَقُون﴾ يعني : الأوثان ؛ كقوله : ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[1] بأيديكم .

﴿ولا يستطيعون لهم نصرًا ...﴾ الآية .

يقول : ولا تنصر الأوثانُ أنفسها ، ولا من عبدها .

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ أخبر بعلمه فيهم .

﴿إن الذين تدعون من دون اللّٰه عبادٌ أمثالكم﴾ أي : مخلوقون ﴿فادْعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ أنَّهم آلهة ﴿ألهم أرجُلٌ ...﴾ إلى قوله : ﴿يسمعون بها﴾ أي : أنَّه ليس لهم شيء من هذا ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ يعني : أوثانكم ﴿ثم كيدون فلا تنظرُون﴾ أي : اجهدوا عليَّ جُهْدَكُم . ﴿إن وليي اللّٰه﴾ .

= والحارث من أسماء الشيطان ، فسمته عبد الحارث فقال تعالى : ﴿فلما أتاهما صالحًا﴾ أي ولدًا إنسانًا ذكرًا جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث ، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع ، وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره .

الوجه الثاني : أن معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحًا كفر به بعد ذلك كثيرٌ من ذريتهما ، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي : بتصويرنا لأبيكم آدم ؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده : ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ ، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده : ﴿فتعالى اللّٰه عما يشركون ، أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون﴾ ، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني أدم ، لا آدم وحواء ، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه ، وممن ذهب إليه الحسن البصري ، واختاره ابن كثير - والعلم عند اللّٰه تعالى .

(١) الصَّافات : ٩٥.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا﴾ أي: سمع قبولٍ ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ يعني: وهم لا يبصرون بقلوبهم.

﴿خذ العفوَ﴾ قال مجاهد[1]: يقول: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسُّسٍ[2].

قال محمد: العفوُ في كلام العرب: ما أُتي بغير كُلْفَةٍ[3].

﴿وأمُرْ بالعرف﴾ بالمعروف ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ يعني: المشركين.

وقوله: ﴿أعرض﴾ منسوخٌ، نسخَهُ القتالُ[4].

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ﴾ قال الحسن: النزغُ: الوسوسة.

---

(١) رواه الطبري (٩/١٥٣) وابن أبي حاتم (٥/١٦٣٧ رقم ٨٦٧٧).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/١٦٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

(٢) في «ر»: تجسُّس بالجيم المعجمة. وهما بمعنى واحد.

(٣) لسان العرب (عفو).

(٤) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٣٠٨) وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة. اهـ
وقال القرطبي في تفسيره (٧/٣٤٧): وقال مجاهد وقتادة هي محكمة. وهو الصحيح. اهـ.
وانظر تفسير الطبري (٩/١٥٤) ونواسخ القرآن(٦٠٤).

قال محمدٌ : وأصل النزغ : الحركة ؛ تقول : قد نزغته ؛ إذا حرَّكته[١].

﴿إن الذين اتقَوْا إذا مسَّهُم طائف من الشيطان تذكروا﴾ قال الحسن : طائفٌ من الطوفان ؛ أي : يطوف عليهم بوساوسه ؛ يأمرهم بالمعصية ﴿فإذا هم مبصرون﴾ أي : تائبون من المعصية ﴿وإخوانهم﴾ يعني : إخوان المشركين من الشياطين ﴿يمدونهم﴾ (ل ١١٥) أي : يزيدونهم ﴿في الغي ثم لا يقصرون﴾ في هلكتهم .

قال محمد : هو من المدد الذي يمدونهم ﴿في الغي﴾ : بأسباب الغي ، يقال : [مددته][٢] بالسلاح ، وأمددته بكذا ؛ لما يمده به . ولبعضهم يذكر الأموات :

نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يَئُوبُ إلينا منهم أحَدُ[٣].

﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ أي : هلا جئت بها من عندك . قال اللَّه : ﴿قل﴾ لهم يا محمد : ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر﴾ يعني : القرآن .

قال محمدٌ : واحد البصائر : بصيرةٌ ؛ وهي كلمةٌ : تتصرَّفُ على وجوه ، وأصلها بيان الشيء وظهورُه[٤].

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ قال الحسن : كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية .

﴿واذكر ربك في نفسك تضرُّعًا وخيفةً﴾ أي : مخافةً منه .

﴿ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾ يعني : العشيات . وهذا حين كانت الصلاة ركعتين غدوةً ، وركعتين عشِيَّة قبل أن تفرض الصلوات الخمس .

﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن اللَّه ، وعن دينه .

﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني : الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ .

---

(١) لسان العرب (نزغ) .

(٢) في الأصل : أمددته - بهمزة التعدية ، والمراد أن (مدّ) و(أمدّ) بمعنى . ينظر : لسان العرب (مدد) .

(٣) البيت من بحر البسيط ولم أجد له نِسْبة . ينظر : ديوان الحماسة (٣٦٩/١) .

(٤) وأطلق على القرآن (بصائر) إما مبالغةً ، وإما لأنه سبب البصائر ، وإما على حذف مضاف ، أي : ذو بصائر . ينظر : لسان العرب (بصر) ، الدر المصون (٣٩١/٣) .

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

قوله : ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للّه والرسول ...﴾ الآية .

قال الكلبي : « بلغنا أنَّ رسول اللّه ﷺ لما صافَّ[1] المشركين يومَ بدْر ، قال - ليحرض الناس على القتال - : إن اللّه وعدني أن يفتح لي بدرًا ، وأن يغنمني عسكرهم ؛ فمن قتل قتيلاً ، فله كذا وكذا من غنيمتهم - إن شاء اللّه . فلما توافدوا أدخل اللّه في قلوب المشركين الرعب فانهزموا ، فأتبعهم سَرَعان[2] من الناس ؛ فقتلوا سبعين ، وغنموا العسكر وما فيه ، وأقام وجوه الناس مع رسول اللّه في مصافِّه ، فلم يشذ عنه منهم أحدٌ ، ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة ، فكلم رسول اللّه ، فقال : يا رسول اللّه ، إنك وعدت من قتل قتيلاً أو أسر أسيرًا من غنيمة القوم الذي وعدتَهم ، وإنا قتلنا سبعين ، وأسرنا سبعين . ثم قام سعدُ بن معاذ ، فقال : يا رسول اللّه ، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ، ولا جُبْنٌ عن العَدُو ، ولكنا خفنا أن نعري صفَّك فتعطف عليك خيل المشركين . فأعرض عنهما رسول اللّه . ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول ، وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول . وقال : يا رسول اللّه ، الأسارى والقتلى كثيرٌ ، والغنيمة قليلة ، وإن تُعْطِ هؤلاء الذي ذكرْت لهم ، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيْء . فنزلت هذه الآية : ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ فقسمه رسول اللّه ﷺ بين المهاجرين والأنصار »[3].

---

(١) أي : وقفوا صفوفًا مستعدِّين للقتال ، ينظر لسان العرب (صفف) .

(٢) سَرَعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ينظر لسان العرب (سرع) .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٥٠ - ٢٥١) ومصنفه (٥/٢٣٩ رقم ٩٤٨٤) عن معمر عن الكلبي بنحوه . وذكره البغوي في تفسيره (٣/٣٢٣) فقال : قال أهل التفسير ...فذكره .

قال قتادة[1]: والأنفال: الغنائم. ومعنى قوله: ﴿لِلَّهِ والرسول﴾ يقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسوله.

قال محمدٌ: واحدُ الأنفال: نَفَلٌ، ومنه قول لبيد:

إنَّ تقوى ربنا خير نَفَلْ وبإذن اللّه رَيْثي وعَجَلْ[2]

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: رقَّت مخافة عذابه ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾ يعني: كلما نزل من القرآن شيء صدقوا به.

﴿لهم درجاتٌ عند ربهم﴾ يعني: في الجنة على قدر أعمالهم.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾

﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ يقول: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى

= ورواه سفيان الثوري في تفسيره (١١٥ رقم ٢٩٥) وعنه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٤٩ - ٢٥٠) ومصنفه (٥/ ٢٣٩ رقم ٩٤٨٣) وإسماعيل بن إسحاق - كما في تفسير القرطبي (٨/٢) - وأبو نعيم في الحلية (٨/١٠٢ - ١٠٣) عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس موصولاً.

وقال أبو نعيم: مشهور من حديث الثوري.

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/١٧٣) لعبد بن حميد وابن مردويه أيضًا.

ووقع في هذه الرواية أن القائل «سعد بن عبادة» بدل «سعد بن معاذ» وقد ساقه البغوي كسياق المؤلف، وفيه «سعد ابن معاذ» كما هنا، والله أعلم.

(١) رواه الطبري (٩/١٦٩).

(٢) البيت من بحر المديد، ينظر: ديوان لبيد (١٣٩)، ومجاز القرآن (١/٢٤٠)، وتفسير الطبري (١٣/٣٦٦).

قتال أهل بدر .

﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق﴾ يعني : في القتال ؛ ومعنى مجادلتهم : أنهم كانوا يريدون العير ، ورسول اللّه يريد ذات الشوكة ؛ هذا تفسير الحسن ﴿بَعْدَ ما تبين﴾ لهم ، قال الحسن : يقول لهم بعد ما أخبرهم اللّه أنهم منصورون .

(ل١١٦) ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ **قال محمد** : كانوا في خروجهم إلى القتال كأنما يساقون إلى الموت ؛ لقلة عددهم وأنهم رجَّالة[١].

وروي أنه إنما كان فيهم فارسان فخافوا .

﴿وإذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ ومعنى الشوكة : السلاح والحرب . قال قتادة[٢]: الطائفتان : إحداهما : أبو سفيان أقبل بالعير من الشام ، والطائفة الأخرى : أبو جهل معه نفير قريش ، فكره المسلمون القتال ، وأحبوا أن يضموا العيرَ ، وأراد اللّه ما أراد[٣] ﴿ويريد اللّه أن يحق الحق بكلماته﴾ يعني : بوعده الذي وعد بالنصر ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ يعني : أصل الكافرين .

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم﴾ مقويكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ يعني : متتابعين ؛ في تفسير قتادة[٤]، وقرأ مجاهد (مُرْدَفين) بفتح الدال[٥]؛ بمعنى : أن اللّه أردف المسلمين ؛ أي : أمدهم .

---

(١) واحدها : (راجل) ؛ وهو الماشي على رجليه ، ويجمع (راجل) أيضًا على (رجال) ، ينظر لسان العرب (رجل) .

(٢) رواه الطبري (١٨٦/٩) وابن أبي حاتم (١٦٦١/٥ رقم ٨٨١٥) .

(٣) هناك حاشية على الأصل غير واضحة .

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٥٥/١) والطبري (١٩١/٩) وابن أبي حاتم (١٦٦٣/٥ رقم ٨٨٢٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٨٥/٣) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٥) وهي قراءة نافع ، أما قراءة الكسر ؛ أي : كسر دال ﴿مردفين﴾ فهي قراءة الباقين ، أي : غير نافع . ينظر : السبعة (٣٠٤) ، التيسير (١١٦) ، النشر (٢٧٥/٢) .

قال محمدٌ : ومن قرأ (مُرْدِفين) بكسر الدَّال ، فهو من قولهم : أَرْدَفْتُ الرجلَ ؛ إذا جئت بعده ؛ ومنه قوْلُ الشاعر :

إذا الجوزاءُ أَرْدفَتِ الثُّريَّا ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا[١]

قوله : ﴿وما جعله اللَّه﴾ يعني : المدد من الملائكة ﴿إلا بشرى ولتطمئن به قلوبُكم﴾ أي : تسكن .

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿إذ يغشيكم النعاسَ أمنةً منه ...﴾ إلى قوله : ﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعبَ﴾ تفسير الكلبي : قال : « بلغنا أن المشركين سبقوا رسول اللَّه إلى ماء بدر ، فقدم رسول اللَّه ، فنزل حِيَالَهُم بينه وبينهم الوادي ، ونزل على غير ماءٍ ؛ فقذف الشيطان في قلوب المؤمنين أمرًا عظيمًا ، فقال : زعمتم أنكم عبادُ اللَّه ، وعلى دينِ اللَّه ؛ وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلُّون مُحْدِثين مُجْنبين ، فأحب اللَّه أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان ، فغشى المؤمنين نعاسًا أمنةً منه ، وأنزل من السماء ماءً ليطهرهم به من الأحداث والجنابة ، ويذهب عنهم رجز الشيطان ؛ ما كان قذفه في قلوبهم ، وليربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام ، وكان بطن الوادي فيه رملةٌ تغيب فيها الأقدام ، فلما مُطِرَ الوادي اشتدت الرمْلةُ فمشي عليها الرجال ، واتَّخذ رسول اللَّه حياضًا على الوادي ، فشرب المسلمون منها ، واسْتَقَوْا ، ثمَّ صَفُّوا ، وأوحى ربك إلى الملائكة ﴿أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ »[٢].

---

(١) البيت من بحر الوافر ، وهو لخزيمة بن مالك بن نهد ، وفاطمة المذكورة في البيت هي فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، أحد القارظين . ينظر : اللسان (ردف) ، تفسير القرطبي (١٣/٢٣٠) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٣) لابن مردويه عن ابن عباس .

﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ قال الحسن : يعني : فاضربوا الأعناقَ ﴿واضربوا منهم كل بنانٍ﴾ يعني : كُلَّ عُضْو ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ قال قتادة : الشقاق : الفِرَاقُ ﴿ذلكم فذوقوه﴾ يعني : القتل ﴿وأن للكافرين﴾ بعد القتل ﴿عذاب النار﴾ في الآخرة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا﴾ **قال محمد** : الزَّحْفُ جماعة يَزْحَفُون[١] إلى عَدُوِّهم بمرَّة[٢] - أي : ينقضُّون - وقد يكون الزَّحْفُ مصْدَرًا من قولك : زحفتُ[٣].

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي : لا تنهزموا ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ قال قتادة[٤]: يعني : يوم بدر ﴿إلا متحرِّفًا لقتال﴾ قال الحسن : يعني يدع مَوْقِفَ مكان لمكانٍ ﴿أو متحيزًا إلى فئة﴾ أي : ينحاز إلى جماعَة ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي : استوجب .

قال محمد : يجوز أن يكون النصبُ في قوله : ﴿إلا متحرفًا لقتال﴾ على الحال[٥]؛ أي : إلا أن يتحرَّف فلان بقتال ، وكذلك ﴿أو متحيزًا﴾ .

ويجوز أن يكون النصْبُ فيهما على الاستثناء[٦]؛ أي : إلا رجلاً متحرفًا ، أو يكون منفردًا لينحاز فيكون مع المقاتلة . يقال : تحيَّزْتُ وتحوَّزتُ ، يعني : انحزتُ[٧].

---

(١) وعليه فالزحف ها هنا تسمية بالمصدر ، وجمعه : زُحُوف . لسان العرب (زحف) .

(٢) أي : مرَّةً واحدة على سبيل الفجاءة .

(٣) يقال : زحفتُ أزحفُ زَحْفًا وزحوفًا وزَحَفَانًا . لسان العرب (زحف) .

(٤) رواه الطبري (٩/٢٠٢) وابن أبي حاتم (٥/١٦٧٠ رقم ٨٨٩١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٨٨) لعبد الرزاق في تفسيره .

(٥) ينظر البحر المحيط (٤/٤٧٥) .

(٦) أي : الاستثناء من المُوَلِّين . وفي هذين الوجهين استطراد نحوي واسع . ينظر : البحر المحيط (٤/٤٧٥) ، الدر المصون (٣/٤٠٨) .

(٧) التحيُّز والتحوُّز هو الانضمام؛ ومنه : حُزتُ الشيء إذا ضممته ، ووزن (متحيِّز) : متفيعل لا متفعِّل؛ لأن أصله : متحيوز . ينظر : لسان العرب (حوز) (حيز) ، الدر المصون (٣/٤٠٨) .

يحيى : عن الحسن بن دينار ، عن [...][1] « أن عمرَ بن الخطاب (ل١١٧) بلغه (قتل أبي عبيدة وأصحابه بالقادسية)[2] قال : يرحم الله أبا عبيدة ؛ لو انحاز إليّ لكنت له فئة »[3].

يحيى : عن الربيع بن صُبَيْح ، عن الحسن قال : « ليس الفرار من الزحف من الكبائر ، إنما كان ذلك يوم بدر »[4].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنه الله رمى﴾ قال الكلبي : « لمّا صافَّ رسول الله المشركين ، دعا بقبضةٍ من حَصْبَاء الوادي وترابه ، فرمى بها في وجوه المشركين ، فملأ الله منها وُجُوهَهُمْ وأعينهم ترابًا ، وقذف في قلوبهم الرعب فانهزموا ، وأتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم » .

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) كذا ، والصواب قتل أبي عبيد وأصحابه قبل القادسية ، وهو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي - والد المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - وكان قتله في موقعة شهيرة تسمى موقعة جسر أبي عبيد ، وكانت قبل القادسية ، انظر تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٤ - ٤٥٩) والكامل لابن الأثير (٢٨٦/٢ - ٢٨٨) وغيرهما ، وترجمة أبي عبيد في أسد الغابة (٢٠٥/٦) .

(٣) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٣٣/٧ رقم٢) (٨/٨ رقم ٦) وابن المبارك في الجهاد (١٧٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٢٠٥/٦) وغيرهم من طريق محمد بن سيرين قال : « لما بلغ عمر ابن الخطاب ﷺ قتل أبي عبيد ، قال : إن كنت له لفئة لو انحاز إلي » .

(٤) رواه البغوي في مسند علي بن الجعد (١١١٨/٢ رقم ٣٢٨٦) والطبري في تفسيره (٢٠٢/٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٠٣٨/٦ رقم ١٩١٤) من طريق الربيع بن صبيح به .

وعزاه السيوطي في الدر (١٨٨/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ .

قلت : ويعارضه قول النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله ، وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

رواه البخاري (٤٦٧/٥ رقم ٢٧٦٦) ومسلم (٩٢/١ رقم ٨٩) عن أبي هريرة ﷺ .

وانظر تفسير القرطبي (٣٨٢/٧ - ٣٨٣) .

﴿وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنًا﴾ ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين .

﴿ذلكم وأنَّ اللَّه مُوهنٌ كَيْدَ[1] الكافرين﴾ أي : مضعف .

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قال الكلبي : بلغنا أن المشركين لما صافوا رسول اللَّه ﷺ يوم بدر قالوا : اللَّهم ربنا أيُّنا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره ، فنصر اللَّه نبيَّه ، وقال : ﴿إن تستفتحوا﴾ يعني : تستنصروا ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ النصر ؛ يعني : أن اللَّه قد نصر نبيه ﴿وإن تنتهوا﴾ يعني : عن قتال محمدٍ .

﴿فهو خير لكم وإن تعودوا نعد﴾ عليكم بالهزيمة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يعني : الحجَّة ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ الهدى ﴿إن شر الدواب﴾ الخلْق ﴿عند اللَّه الصم﴾ عن الهدى فلا يسمعونه ﴿البكم﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿الذين لا يعقلون﴾ الهدى .

﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ هي كقوله : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾[2].

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يريد : القرآن ﴿واعلموا

---

(١) هكذا ضُبطت القراءةُ في الأصل ؛ حيث قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿مُوهِنٌ﴾ بسكون الواو وتخفيف الهاء ، أما قراءة ﴿موهنُ كيدِ﴾ بالإضافة فهي قراءة حفص عن عاصم ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿مُوَهِّنٌ كيدَ الكافرين﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين ، ونصب (كيد) .

ينظر : السبعة (٣٠٤ - ٣٠٥) ، التيسير (١١٦) ، النشر (٢/٢٧٦) .

(٢) الأنعام : ٢٨.

أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم[1]: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته، وبين قلب الكافر وبين طاعته.

﴿واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ أي: أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره. قال الحسن: خاطب بهذا أصحاب النبي عليه السلام.

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مقهورون في أرض «مكة» ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ يعني: كُفَّارَ أهل «مكة».

﴿فآواكم﴾ ضمكم إلى «المدينة» ﴿وأيدكُم﴾ أعانكم على المشركين. ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الحلال من الرزق.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾.

قال السُّدي: نزلت في رجل من أصحاب النبي أشار إلى بني قريظة بيده؛ ألا تنزلوا على الحكم، فكانت خيانةً منه وذنبًا ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها خيانة ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلية، ابتلاكم الله بها لتطيعوه فيما ابتلاكم فيه.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا﴾ قال السدي: يعني: مخرجًا في الدين من الشُّبهة والضلالة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٧/١) والطبري (٢١٥/٩) وزاهر الشحامي في حديث السراج (٦٢/٢ - ٦٣ رقم ٢٢٨). ورواه ابن أبي شيبة وخشيش بن أصرم في الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كما في الدر المنثور (١٩١/٣).

ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ...﴾ الآية ، قال الكلبي : بلغنا أن عصابةً من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بنبي الله ، فدخل معهم إبليس عليه ثيابٌ ، له أظفار في صورة شيخ كبير ، فجلس معهم ، فقالوا : ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ فقال لهم : أنا رجل من أهل « نجد » قدمتُ « مكة » فأحببتُ أن أسمع من حديثكم ، وأقتبس منكم خيرًا ، ورأيت وجوهكم حسنة وريحكم طيبة ؛ فإن أحببتم جلست معكم ، وإذا كرهتم مجلسي (ل١١٨) خرجت . فقال بعضهم لبعض : هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل تهامة ، فلا بأس عليكم [منه][1] تتكلموا بالمكر بنبي الله ، فقال البختري بن هشام - أحد بني أسد ابن عبد العزى - : أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمدًا ، فتجعلوه في بيت ، ثم تسدوا عليه بابه ، وتجعلوا فيه كوة[2] يدخل إليه منها طعامه وشرابه ، ثم تذروه فيه حتى يموت ، فقال القوم : نعم الرأي رأيت . فقال إبليس : بئس الرأي رأيتم ، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو[3] وقد سمع به من حولكم فتحبسونه ، وتطعمونه وتسقونه ، فيوشك الصَّغْو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه فتفسد فيه جماعتكم ، وتسفك فيه دماؤكم . فقالوا : صدق والله . ثم تكلم أبو الأسود - وهو هاشم بن عمير بن ربيعة أحد بني عامر بن لؤي - فقال : أما أنا ، فأرى أن تحملوا محمدًا على بعير ، ثم تخرجوه من أرضكم فيذهب حيث شاء ، ويليه غيركم . فقالوا : نعم الرأي رأيت . فقال إبليس : بئس الرأي رأيتم ، تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم ، واتبعته منكم طائفة ، فتخرجونه إلى غيركم ، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم ، يوشك والله أن يميل بهم عليكم . قالوا : صدق والله . ثم تكلم أبو جهل فقال : أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) الكُوّة والكَوّة : الفتحة أو الخرق في الجدار . والجمع : كُوَّات وكِوَى . ينظر لسان العرب (كوي) .

(٣) أي : يَصْغَى إليه الناس ويستمعون قوله . ينظر لسان العرب (صغو) .

كل بطن من قريش رجلاً ، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفًا فيأتونه [فيضربونه][١] جميعًا فلا يدري قومه من يأخذون به ، وتودي قريش ديته . فقال إبليس : صدق والله هذا الشاب ؛ إن الأمر لكما قال . فاتفقوا على ذلك . فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره ، وأمره بالخروج . فخرج من ليلته إلى المدينة ، فدخل الغار قال الله : ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ .

قال محمد : والمكر من الله : الجزاء والمثوبة ؛ أن يجازيهم جزاء مكرهم .

ومعنى : ﴿ليثبتوك﴾ أي : ليحبسوك ، ومنه يقال : فلان مثبت وجعًا إذا منع من الحركة .

قوله : ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال الكلبي : لما قصَّ رسول الله على قومه شأن القرون الأولى ، قال النضر بن الحارث - أحد بني عبد الدار - : لو شئت لقلت مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين : كذب الأولين وباطلهم .

قال محمد : الأساطير : واحدها : أسطورة[٢].

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ أي : إن كان ما يقول محمد حقًا ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ .

قال محمد : القراءة على نصب : ﴿الحَقَ﴾ على خبر كان[٣]، ودخلت (هو) للتوكيد[٤].

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ قال الحسن : أي : حتى نخرجك من بين أظهرهم .

﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ يقول : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو استغفروا الله لما عذبوا .

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) في الأصل : فيضربوه . والمثبت هو الصواب .

(٢) ويقال في واحدها أيضًا : إسطارٌ ، وإسطارةٌ ، وإسطير ، وإسطيرةٌ ، وأسطورٌ . لسان العرب (سطر) .

(٣) وهي قراءة العامة . وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع (الحق) ينظر : البحر المحيط (٤/٤٨٨) ، الدر المصون (٣/٤١٤) .

(٤) أي : ضمير فصل للتوكيد ، وهو ما يسميه الكوفيون بالعماد . ينظر الكلام عليه من : الكتاب (١/٣٩٤ - ٣٩٥) ، معاني القرآن للفراء (١/٤٠٩ - ٤١٠) .

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾ زعم مشركو العرب أنهم أولياء المسجد الحرام ، فقال الله : ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾ قال الحسن : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق ؛ يقول : يفعلون ذلك مكان الصلاة .

قال مجاهد[1]: وكانوا يفعلونه ليخلطوا على النبي ﷺ الصلاة .

﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني : القتل بالسَّيف قبل عذاب الآخرة ﴿بما كنتم تكفرون﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ...﴾ الآية .

لما هزم رسولُ الله أهل بدر ، رجعوا إلى مكة ، فأخذوا ما جاءت به العير من الشام ، فتجهزوا به لقتال النبي ، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب ، فأوحى الله إلى نبيه : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ...﴾ إلى قوله : (ل١١٩) ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ يعني : نفقة المؤمنين من نفقة الكافرين ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم﴾ معهم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ .

قال محمد : تقول : أرْكُم الشيء رَكْمًا ؛ إذا جعلت بعضه على بعض ، والرُّكَام الاسم[2].

﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا﴾ لقتال محمد ﴿فقد مضت سنة

---

(١) رواه الطبري (٢٤٢/٩) وابن أبي حاتم (١٦٩٦/٥ رقم ٩٠٤٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٩٩/٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (ركم) .

﴿الأولين﴾ بالقتل والاستئصال في قريش يوم بدر ، وفي غيرهم من الأولين ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ شرك ؛ وهذه في مشركي العرب خاصة ﴿ويكون الدين كله للَّه﴾ يعني : الإسلام .

﴿فإن انتهوا﴾ عن كفرهم ﴿فإن اللَّه بما يعملون بصير﴾ .

﴿وإن تولوا﴾ يعني : أبَوْا إلا القتال ﴿فاعلموا أن اللَّه مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ .

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن للَّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قال الحسن : هذا عند القتال ما غنموا من شيءٍ ، فللَّه خمسه يُرفعُ الخمس فيردّه اللَّه على الرسول ، وعلى قرابة الرسول وعلى اليتامى والمساكين وابن السبيل ؛ ذلك لهم على قدر ما يصلحهم ، ليس لذلك وقت . وأربعة أخماس لمن قاتل عليه .

قال محمد : ذكر يحيى في قسمة الخمس اختلافًا ؛ ولهذا موضعه من كتب الفقه .

﴿إن كنتم آمنتم باللَّه وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ قال قتادة[١] ومجاهد[١]: هو يوم بدر فرّق اللَّه فيه بين الحق والباطل ؛ فنصر اللَّه نبيه ، وهزم عدوَّه ﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع المؤمنين ، وجمع المشركين .

﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾ .

قال قتادة[٢]: العدوتان : شفير الوادي ؛ كان المسلمون بأعلاه ، والمشركون بأسفله ﴿والركب أسفل منكم﴾ قال الكلبي : يعني : أبا سفيان والعير ؛ كان أبو سفيان والعير أسفل من الوادي – زعموا بثلاثة أميال – في طريق الساحل لا يعلم المشركون مكان عيرهم ، ولا يعلم أصحاب العير

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/١٠) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/١٠) .

مكان المشركين .

قال محمد : القراءة (أَسْفَلَ) بالنصب[١]؛ على معنى : والركب مكانًا أسفل منكم[٢].

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والمشركون ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً﴾ أي : فيه نصركم ، والنعمة عليكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة﴾ يعني : بعد الحجَّة .

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾ قال الكَلْبي : « إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر ، وأخبره الله بِسَيْرِ المشركين ، أراه المشركين في منامه قليلاً ، فقال رسول الله : أبشروا ؛ فإن الله أراني المشركين في منامي قليلاً »[٣].

﴿ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم﴾ أي : لجَبُنْتُم ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي : اختلفتم في أمر الله ورسوله ﴿ولكن الله سلم﴾ من ذلك .

﴿إنه﴾[٤] إن الله ﴿عليمٌ بذات الصدور﴾ أي : بما فيها ، يقول : من علمه بما في صدوركم قلَّلهم في أعينكم ، وأذهب الخوفَ الذي كان في صدوركم .

---

(١) وهي قراءة العامة . وقرأ زيد بن علي (أسفلُ) بالرفع ؛ وذلك على سبيل الاتساع في الظرف . ينظر : البحر المحيط (٤/ ٥٠٠) ، الدر المصون (٣/٤٢٣) .

(٢) أي أن (أسفل) صفة موصوف محذوف ، وأقيمت صفته مقامه ، فانتصب (أسفل) على الظرف . كشف المشكلات (١/ ٥٠١ - ٥٠٢) .

(٣) لم أقف عليه ، وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ قال أراه الله إياهم في منامه قليلا ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك ، وكان تثبيتًا لهم . كما في الدر المنثور (٣/ ٢٠٥) .

(٤) ليست في الأصل .

﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم﴾ قال الكلبي : إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلاً ؛ فصدقوا رؤيا رسول الله ، وقلَّل الله المسلمين في أعين المشركين ، فاجترأ المؤمنون على المشركين ، واجترأ المشركون على المؤمنين ﴿ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً﴾ أي : فيه نصركم .

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ يعني : من المشركين ﴿فاثبتوا﴾ في صفوفكم . ﴿واذكروا الله كثيرًا﴾ قال قتادة[1]: افترض الله ذكره عند الضراب بالسيوف .

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولا تنازعوا﴾ أي : لا تختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ أي : تَجْبُنُوا . ﴿وتذهب ريحكم﴾ أي : نصركم .

(ل ١٢٠) ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ...﴾ إلى قوله : ﴿والله شديدُ العقاب﴾ قال الكلبي : إن المشركين لما خرجوا من « مكة » إلى بدر أتاهم الخبر وهم بالجُحفة قبل أن يصلوا إلى بدر أن عيرهم قد نجت ، فأراد القوم الرجوع ، فأتاهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشَم ، فقال : يا قوم ، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم ؛ فإنكم كثير ، وعدوكم قليل فتأمن عيركم ، وأنا جارٌ لكم على بني كنانة ، ألا تمروا بحي من بني كنانة إلا أمدكم بالخيل والرجال والسلاح . فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم ، فالتقوا هم والمسلمون ببدر ، فنزلت الملائكة مع المسلمين في صف ، وإبليس في صف المشركين في صورة سراقة بن مالك فلما نظر إبليس إلى الملائكة نكص على عقبيه ، وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده ، فقال : يا سراقة ، على هذه الحال تخذلنا؟! قال : إني أرى ما لا ترون ؛ إني أخاف الله والله شديد العقاب . فقال له

---

(١) رواه الطبري (١٠/١٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٠٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

الحارث : ألا كان هذا القول أمس؟ فلما رأى إبليس أن القوم قد أقبلوا إليهم دفع في صدر الحارث فخرّ ، وانطلق إبليس وانهزم المشركون ، فلما قدموا مكة قالوا : إنما انهزم بالناس سراقةُ ونقض الصف ، فبلغ ذلك سراقة ، فقدم عليهم مكة ، فقال : بلغني أنكم تزعمون أني انهزمت بالناس! فوالذي يحلف به سراقة ، ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم . فجعلوا يذكرونه ؛ أما أتيتنا يوم كذا ، وقلت لنا كذا . فجعل يحلف ، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان .

قال الكلبي : وكان صادقًا في قوله : ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وأما قوله : ﴿إني أخاف اللّه﴾ فكذب .

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي : شك ﴿غر هؤلاء دينُهم﴾ قال الكلبي[١]: بلغنا أن المشركين لما نفروا من « مكة » إلى بدر ، نفر معهم أناسٌ قد كانوا تكلموا بالإسلام ، فلما رأوا قلة المؤمنين ، ارتابوا ونافقوا وقاتلوا مع المشركين ، وقالوا : ﴿غرّ هؤلاء دينُهم﴾ يعنون : المؤمنين .

قال اللّه : ﴿ومن يتوكل على اللّه فإن اللّه عزيزٌ﴾ في نقمته ﴿حكيم﴾ في أمره .

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ﴾ قال الضحاك بن مزاحم : هذا يوم بدر .

﴿كدأب آل فرعون﴾ يعني : كفعل . قال الحسن : فيها إضمار : فعلوا كفعل آل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ من الكُفَّار ﴿فأخذهم اللّه بذنوبهم﴾ .

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٦١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٠٧) لابن المنذر أيضًا .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ذلك بأن اللَّه لم يكُ مغيرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يعني : إذا جحدوا الرسل ، أهلكهم اللَّه .

﴿إن شر الدواب عند اللَّه﴾ يعني : الخلْق عند اللَّه ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ هؤلاء الذين يموتون على كفرهم ﴿الذين عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ .

قال الكلبي : هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول اللَّه ﷺ وكانوا ينقضون العهد ، فأمر اللَّه فيهم بأمره ، فقال : ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ أي : تظفر بهم .

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي : فعظ بهم مَنْ سواهم ﴿لعلهم يذكّرون﴾ يقول : لعلهم يؤمنون ؛ مخافة أن ينزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد ﴿وإما تخافن﴾ أي : تعلمن ﴿من قوم خيانةً﴾ يعني : نقضًا للعهد ﴿فانبذ إليهم على سواء﴾ أي : أعلمهم أنك حرب ، ويكون الكفار كلهم عندك سواء ﴿إن اللَّه لا يحب الخائنين﴾ لا يعينهم إذا نقضوا العهد .

﴿ولا تحسبن[1] الذين كفروا سبقوا﴾ أي : فاتوا . ثم ابتدأ وقال : ﴿إنهم لا يعجزون﴾ لا يفوتون اللَّه حتى لا يقدر عليهم .

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة ﴿يحسبن﴾ بالياء ، وقرأ الباقون ﴿تحسبن﴾ بالتاء . النشر (٢/٢٧٧) وتفسير القرطبي (٨/٣٣) وإتحاف الفضلاء (٢٩٩) .

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦١﴾

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ قال زيد بن أسلم : القُوَّة ها هنا : القتل ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به﴾ أي : تخيفون ﴿عدو الله وعدوكم﴾ .

يحيى : عن [...][1] عن سليمان بن عبد الرحمن (ل ١٢١) الدمشقي ، عن القاسم مولى عبد الرحمن ، عن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رمى العدو بسهم فبلغ سهْمُه ؛ أصاب العدو أو أخطأ - فهو كعتق رقبة »[2].

يحيى : عن المُعَلَّى ، عن عمرو بن عبد الله ، عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ: « من ارتبط فرسًا في سبيل الله ، فهو كالباسط يده بالصدقة »[3].

﴿وآخرين من دونهم﴾ من دون المشركين ؛ يعني : المنافقين ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ .

قال محمد : (وآخرين) عطف على : ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وترهبون به آخرين من دونهم[4].

﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم فاجنح لها﴾ .

قال محمد : السلم ها هنا : الصُّلْحُ ؛ ومنه قول الشاعر :

السّلْمُ تأخذ منها ما رضيت به ... والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ[5]

---

(١) طمس في « الأصل » .

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ٩٤٠ رقم ٢٨١٢) والحاكم (٢/ ٩٦) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٢) من طريق ابن وهب عن عمرو ابن الحارث عن سليمان بن عبد الرحمن به ، أخرجه الحاكم شاهدًا . وللحديث طرق أخرى .

(٣) رواه ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٤) والطبراني في الكبير (٢٢ / ٣٣٩ رقم ٨٤٩) وأبو عوانة (٤/ ٤٤٩ رقم ٧٢٩٤) والحاكم (٢/ ٩١) عن أبي كبشة الأنماري بنحوه ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه الزيادة

ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٩ - ١٨٠) وأبو داود (٤/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٤٠٨٦) والطبراني في الكبير (٦/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٦١٦، ٥٦١٧) والحاكم (٢/ ٩١ - ٩٢) عن سهل ابن الحنظلية بنحوه ، أخرجه الحاكم شاهدًا .

وروى ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المنفق على الخيل كالمتكفف بالصدقة » فسئل معمر : ما المتكفف بالصدقة؟ قال : الذي يعطي بكفيه .

(٤) البحر المحيط (٤/ ٥١٣) ، الدر المصون (٣/ ٤٣٢) .

(٥) البيت لعباس بن مرداس ، وهو من بحر البسيط . ينظر : خزانة الأدب (٤/ ١٨) حاشية يس (٢/ ٢٨٦) ، البحر المحيط (٢/ ١٢٠) .

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ قال الحسن: يعني: المشركين، يقول: إن هم أظهروا لك الإيمان وأسروا الكفر؛ ليخدعوك بذلك؛ لتعطيهم حقوق المؤمنين، وتكف عن دمائهم وأموالهم ﴿فإن حسبك الله هو الذي أيدك﴾ أعانك ﴿بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ يعني: المؤمنين ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم﴾ يعني: أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضًا متعادين؛ فألف الله بين قلوبهم حتى تحابوا، وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام.

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: وحسب من اتبعك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٞ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين﴾ حُثُّهم ﴿على القتال﴾ بما وعد الله الشهداء والمجاهدين.

قال محمد: التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حتى يعلم منه أنه حارضٌ إن تخلّف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك[1].

﴿إن يكن منكم عشرون صابرون ...﴾ إلى قوله: ﴿والله مع الصابرين﴾ قال الحسن[2]:

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حرض).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن - رحمه الله - ورواه البخاري (٨/١٦١ - ١٦٢ رقم ٤٦٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

كان اللَّه قد فرض على المسلمين في هذه الآية أن يصبروا لعشرة أمثالهم ، ثم نسخها ﴿الآن خفف اللَّه عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن اللَّه﴾ فأمر اللَّه المسلمين أن يصبروا لمثليهم ؛ إذا لقوهم فلم يقبض رسول اللَّه ﷺ حتى أظهر اللَّه الدين وأعزَّه ، وصار الجهاد تطوُّعًا .

قال ابن عباس[١]: « فَمَن فرَّ من ثلاثة من المشركين فلمْ يفرَّ ، ومن فرَّ من اثنينْ فقد فرَّ ، ولا ينبغي لرجل من المسلمين أن يفر من رجلين من المشركين » .

﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ...﴾ إلى قوله : ﴿عذاب عظيم﴾ .

قال الكلبي : يقول : ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴿تريدون عرض الدنيا واللَّه يريد الآخرة﴾ كان هذا في أسرى بدر ، يقول : فأخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تثخنوا في الأرض .

قال الحسن : ولم يكن أوحي إلى النبي في ذلك شيء ؛ فاستشار المسلمين ، فأجمعوا رأيهم على قبول الفداء .

قال محمد : الإثخان في الشيء (قوة)[٢] الشيء[٣]، ومعنى يثخن في الأرض أي يتمكن[٤].

﴿لولا كتابٌ من اللَّه سبق﴾ أنكم أنتم الذين تأكلون الغنائم .

﴿لمسكمْ فيما أخذتم عذابٌ عظيم﴾ قال قتادة[٥]: لم تحلَّ الغنيمة إلا لهذه الأمة ؛ كانت تجمع

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٢٢٦/٥ رقم ١٠٠١) وابن المبارك في الجهاد (رقم ٢٣٥) وأحمد بن منيع في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (٢١٤/٦ رقم ٢/٥٧١٥) - والبيهقي في سننه (٧٦/٩) .

وقال البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة (٣٧٦/٨ - ٣٧٧ رقم ٦٤٣٦) : رواه أحمد بن منيع موقوفًا ، ورواته ثقات .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : تقوية .

(٣) وهو مأخوذ من ثَخُن يَثْخُن ثُخُونة وثَخَانة ؛ أي : غَلظ وصَلُب . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (ثخن) .

(٤) ويقال : أثخن في الأرض : بالغ في قتل أعدائه . ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (ثخن) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥ رقم ٩١٦٤) .

وروى الإمام أحمد (٢٥٢/٢) والترمذي (٢٥٣/٥ - ٢٥٤ رقم ٣٠٨٥) والنسائي في الكبرى (٣٥٢/٦ رقم ١١٢٠٩) عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : ولم تحل الغنائم لأحدٍ سود الرءوس من قبلكم ، كانت تنزل نار =

فتنزل عليها النار من السماء فتأكلها .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا﴾ يعني : إسلامًا ﴿يؤتكم خيرًا﴾ (ل١٢٢)[1] أسروا يوم بدر ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ يعني : فقد كفروا بالله من قبل ﴿فأمكن منهم﴾ حتى صاروا أسرى في بدر .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ إلى «المدينة» يعني : المهاجرين ﴿والذين آوَوْا ونصروا﴾ يعني : الأنصار ؛ أوَوْا المهاجرين ، ونصروا الله ورسوله ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ يعني : المهاجرين والأنصار .

﴿والذين آمنوا [ولم يهاجروا][2] ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ يعني : في الدين ﴿حتى

= من السماء فتأكلها» وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وروى البخاري (٦/٢٥٤ رقم ٣١٢٤) ومسلم (٣/١٣٦٦ - ١٣٦٧ رقم ١٧٤٧) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «فلم تحل الغنائم لأحدٍ من قبلنا ، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا» مختصر من حديث طويل واللفظ لمسلم .

(١) طمس في الأصل قدر سطر .

(٢) سقط من الأصل .

يهاجروا﴾ قال قتادة : نزلت هذه الآية ، فتوارث المسلمون بالهجرة زمانًا ، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئًا ، ثم نسخ ذلك في سورة الأحزاب ؛ فقال : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾[١] فخلط الله المسلمين بعضهم ببعض ، وصارت المواريث بالملل[٢].

﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني : الأعراب ﴿فعليكم النصر﴾ لهم ؛ لحرمة الإسلام .

﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني : أهل الموادعة والعهد من مشركي العرب . قال قتادة : نهي المسلمون عن نقض ميثاقهم .

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ نزلت حين أمر النبي بقتال المشركين كافة ، وكان قوم من المشركين بين رسول الله وبين قريش ؛ فإذا أرادهم رسول الله قالوا : ما تريد منا ونحن [...][٣] عنكم وقد نرى ناركم؟ وكان أهل الجاهلية يعظّمون النار ؛ لحرمة قرب الجوار ؛ لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم ، وإذا أرادهم المشركون قالوا : ما تريدون منا ونحن على دينكم؟ فأنزل الله : ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ أي : فألحقوا المشركين بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحدًا .

﴿إلا تفعلوه تكن فتنةٌ﴾ أي : شرك ﴿في الأرض وفسادٌ كبير﴾ لأن الشرك إذا كان في الأرض فهو فسادٌ كبير .

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يعني : من بعد فتح « مكة » وبعد ما انقطعت الهجرة ﴿وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن أبي الزبير ، عن طاوس « أنَّ صفوان بن أمية وسُهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل قدموا المدينة ؛ فقال لهم النبي : ما جاء بكم؟ فقالوا : سمعنا أنه لا إيمان لمن لم

---

(١) الأحزاب : ٦.

(٢) أي المسلمين يرث بعضهم بعضًا فيتوارث الأعراب والمهاجرون ، ولا يتوارث أهل ملتين . وأثر قتاده رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٦٢) والطبري (١٠/ ٥٣، ٥٤) وغيرهما .

(٣) طمس في الأصل .

يهاجر، فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهادٌ ونيّةٌ حسنةٌ. ثم قال لصفوان بن أمية: أقسمت عليك أبا وهْب لترجعَنَّ إلى أباطِيح مكة»[١].

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ **قال محمد**: أي: في فرض الله؛ ذكره بعض المفسرين.

﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

سعيد، عن قتادة؛ أنَّ أبا بكرٍ الصديق قال: «إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال هي فيما جَرَّت الرحم من العصبة».

قال محمدٌ: ﴿أولو الأرحام﴾ واحِدُهُمْ: (ذو) من غير لفظه[٢].



(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/١٣٧ رقم ٢٣٥٢) عن عمرو بن دينار عن طاوس بنحوه.

(٢) حيث إن (أولي) مُلْحقة بجمع المذكر السالم. ويجمع (ذو) على (ذوون). ينظر: شذا العرف (٧١)، لسان العرب (ذو).

تفسير سورة براءة
وهي مدنيةٌ كُلُّها

قال يحيى : وحدَّثني أبو الجرَّاح المهري ، عن عوف ، عن يزيد الفارسي ، عن ابن عباس قال : « قلت لعثمانَ بن عفان : كيف جعلتم الأنفال وهي من المثين مع براءة وهي من الطوال ، ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم اللّه الرحمن الرحيم » فقال : إن رسول اللّه ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات ، وأقل من ذلك وأكثر ؛ فيقول : اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا من موضع كذا وكذا . وإنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئًا ، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابهًا ، فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر : بسم اللّه الرحمن الرحيم »[(١)].

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٥٧، ٦٩) وأبو داود (١/ ٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ٧٨٢، ٧٨٣) والنسائي في الكبرى (٥/ ١٠ رقم ٨٠٠٧) والترمذي (٥/ ٢٥٤ رقم ٣٠٨٦) وابن أبي داود في المصاحف (١١٤ رقم ٩٧) - ومن طريقه الضياء في المختارة (١/ ٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ٣٦٥، ٣٦٦) - وابن حبان (١/ ٢٣٠ - ٢٣١ رقم ٤٣) والحاكم (٢/ ٢٢١، ٣٣٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٢٠١ - ٢٠٢) والبزار في مسنده (٢/ ٨ رقم ٣٤٤) والبيهقي في السنن (٢/ ٤٢) وفي الدلائل (٧/ ١٥٢ - ١٥٣) من طرق عن عوف الأعرابي به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم في الموضع الأول : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال في الموضع الثاني : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول اللّه ﷺ إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم رواه عن رسول اللّه ﷺ إلا عثمان ، ولا روى ابن عباس عن عثمان إلا هذا الحديث .

وقال ابن حجر في موافقة الخُبر الخَبر (١/ ٤٤ - ٤٥) : هذا حديث حسن ، أخرجه أبو داود والترمذي ، وأخرجه ابن حبان ، ورجاله رجال الصحيح إلا يزيد الفارسي ، فإنه بصري مقل ، قال أبو حاتم : لا بأس به . وقد قيل : إنه يزيد بن هرمز الذي أخرج له مسلم ، فإن ثبت ذلك فهو على شرطه ، والله أعلم .

فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾

(ل١٢٣) قوله : ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ يقول لنبي الله وأصحابه : براءة العهد الذي كان بين رسول الله وبين مشركي العرب ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي : اذهبوا ﴿أربعة أشهر﴾ يقوله لأهل العهد من المشركين ﴿واعلموا أنكم غيرُ معجزي الله﴾ سابقي الله حتى لا يقدر عليكم ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ .

﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي : وإعْلامٌ من الله ورسوله .

﴿إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر﴿أنّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله﴾ إن لم يؤمنوا .

تفسير مجاهد[١]: أقبل رسول الله من تبوك حين فرغ منها ؛ فأراد أن يحج ، ثم قال : إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة ، ولا أحبُّ أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعليًا فطافا في الناس بذي المجاز ، وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون فيها ، وبالموْسِم كله ، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة [أشهر][٢] من يوم النحر إلى عشر ليال يمضين من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهْدَ .

وقال قتادة[٣]: إن أبا بكر أُمِّر على الحاج يومئذٍ ، ونادى عليٌّ فيه بالأذان ، وكان عامًا حج فيه المسلمون والمشركون .

وقال الحسن : كان النبي قد أَمَّر أبا بكر أن يؤذن الناس بالبراءة ، فلما مضى دعاه ، فقال : إنه لا يبلغ عَنّي في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي »[٤].

قال محمد : قال بعض العلماء : إنما أمر النبي ﷺ عليًا بذلك دون أبي بكر ؛ لأن العرب كانت

---

(١) رواه الطبري (١٠/٦١ - ٦٢) وابن أبي حاتم (٦/١٧٤٦ رقم ٩٢١٧) .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) رواه الطبري (١٠/٦١) .

(٤) ورد عن أنس وعلي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ، انظر الدر المنثور (٣/٢٢٦ - ٢٢٨) .

جرت عادتهم في عقد عهودها لو نقضتها أن يتولَّى ذلك على القبيلة رجلٌ منها ، فكان جائزًا أن تقول العرب : (إذن عليك)[١] نقض العهود من الرسول ، هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود ؛ فأزاح ﷺ العلَّة ، وكان هذا في سنة تسعٍ من الهجرة ، بعد افتتاح مكة بسنة .

قال محمدٌ : قوله : ﴿براءة﴾ يجوز الرفع فيها على وجهين :

أحدهما : على خبر الابتداء ؛ على معنى هذه الآيات : ﴿براءةٌ من اللَّه ورسوله﴾ .

وعلى الابتداء ، ويكون الخبرُ ﴿إلاَّ الذين عاهدتم﴾[٢].

قوله : ﴿فإن تبتُم﴾ يقول للمشركين : فإن تبتم من الشرك ﴿فهو خيرٌ لكم وإن توليتم﴾ عن اللَّه ورسوله .

﴿فاعلموا أنكم غير معجزي اللَّه وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم﴾ يعني : القتل قبل عذاب الآخرة ، ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد ؛ فقال : ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا﴾ أي : لم يضروكم ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحدًا﴾ من المشركين ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مُدّتِهم﴾ .

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ قال الحسن : رجع إلى قصة أصحاب العهد ، والأشهر الحرم في هذا الموضع : هي الأشهر التي أُجلوا آخر عشر ليالٍ يمضين من شهر ربيع الآخر ، وسماها حرمًا ؛ لأنه نهى عن قتالهم فيها وحرّمَهُ .

﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرْصدٍ﴾ يعني : على كل طريق تأمرون بقتالهم في الحل والحرم وعند البيت .

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣) ، البحر المحيط (٤/٥ - ٦) ، معاني القرآن للفراء (١/٤٢٠) .

قال محمد: قوله: ﴿وخذوهم﴾ معناه: وَأْسِروهم؛ يقال للأسير: أَخِيذٌ، ومعنى ﴿واحصروهم﴾: احبسوهم؛ الحَصْرُ: الحَبْسُ(١).

﴿فإن تابوا﴾ يعني: من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ يعني: أقروا بها ﴿فخلوا سبيلهم﴾.

﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ ليسمع كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فإن أسلم أسلم، وإن أبى أن يسلم فأبلغه ﴿مأمنه﴾ أي: لا تحركه حتى يبلغ مأمنه.

قال الحسن: هي مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهدٌ عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ أي: ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا.

﴿فما استقاموا لكم﴾ على العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ عليه.

﴿إن الله يحب المتقين﴾.

﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ (ل١٢٤) أي: كيف يكون للمشركين عهدٌ عند الله وعند رسوله، وإن يظهروا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة﴾ الإلُّ: الجوار، والذمة: العهد ﴿اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلا﴾ يريد: متاع الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ

---

(١) لسان العرب (أخذ)، (حصر).

أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم ...﴾ إلى قوله : ﴿والله عليمٌ حكيمٌ﴾ تفسير الكلبي : أن رسول الله ﷺ كان وادعَ أهل مكة سنةً ؛ وهو يومئذٍ بالحديبية ، فحبسوه عن البيت ، ثم صالحوه ؛ على أنك ترجع عامك هذا ولا تطأ بلدنا ، ولا تنحر البدن من أرضنا ، وأن نخليها لك عامًا قابلاً ثلاثة أيام ، ولا تأتينا بالسلاح إلا سلاحًا تجعلها في قِرَاب[1] وأنه من صبأ منا إليك فهو إلينا ردٌّ . فصالحهم رسول الله على ذلك ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ، ثم إن حلفاء رسول الله من خُزاعة قاتلوا حلفاء بني أمية من بني كنانة ؛ فأمدَّت بنو أمية حلفاءهم بالسلاح والطعام ، فركب ثلاثون رجلاً من حلفاء رسول الله من خزاعة فيهم بُدَيْل بن ورقاء ، فناشدوا رسول الله الحلف ، فأمر رسول الله ﷺ أن يعين حلفاءه وأنزل الله على نبيه : ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾ : لا عهد لهم ﴿لعلهم ينتهون﴾ .

﴿ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ نكثوا عهدهم ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ قال الحسن : من المدينة ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ فاستحلوا قتال حلفائكم ﴿أتخشونهم﴾ على الاستفهام ؛ فلا تقاتلونهم ﴿فالله أحق﴾ أولى ﴿أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ يعني : إذا كنتم مؤمنين .

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ يعني : القتل ﴿ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾ والقوم المؤمنون الذين شفى الله صدورهم : حلفاء رسول الله من مؤمني خزاعة ، فأصابوا يومئذٍ وهو يوم فتح مكة مِقْيَس بْن صبابة في خمسين رجلاً من قومه

(١) هو غمد السيف ونحوه . والجمع : قُرُب وأَقْرِبة : لسان العرب (قرب) .

﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ ليس بجوابٍ لقوله : ﴿قاتلوهم﴾ ولكنه مستأنف[١].

قوله : ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ .

قال محمد : قد علم الله قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل ، لكنه كان يعلم ذلك غيبًا ؛ فأراد الله العلم الذي يجازي عليه ، وتقوم به الحجة ؛ وهو علم الفعال .

﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ بِطَانةً .

قال محمد : ﴿وليجة﴾ مأخوذة من : الولوج[٢]؛ وهو أن يتخذ رجلٌ من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطًا .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ هذا حين نفي المشركون عن المسجد الحرام .

قال محمد : ﴿شاهدين﴾ حال ؛ المعنى : ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر .

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ...﴾ الآية و﴿عسى﴾ من الله واجبة .

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ قال مجاهد[٣]: أُمِروا بالهجرة ، فقال عباس بن عبد المطلب : أنا أسقي الحاج ، وقال طلحة أخو بني عبد الدار : أنا حاجب الكعبة ؛ فلا نهاجر .

---

(١) ينظر : البحر (١٧/٥) ، الدر المصون (٤٥٢/٣) .
(٢) وتجمع (وليجة) على : (ولائج) ينظر : لسان العرب (ولج) .
(٣) رواه الطبري (٩٨/١٠) وابن أبي حاتم (١٧٧٠/٦ رقم ٧٠٠٧) .

فنزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿إن الله عنده أجرٌ عظيمٌ﴾ وكان هذا قبل فتح مكة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ...﴾ .

﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ قال مجاهد[١]: يعني : فتح مكة .

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ المشركين الذين يموتون على شركهم .

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني : يوم بدر ، والأيام التي نصر الله فيها النبي والمؤمنين .

﴿ويومَ حنين﴾ أي : وفي يوم (ل١٢٥) حنين نصركم الله فيه ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا ...﴾ الآية ، وذلك أن رسول الله لما ذهب إلى حنين بعد فتح مكة ، فلقي بها جمع هوازن وثقيف ، وهم قريبٌ من أربعة آلاف ، ورسول الله - فيما ذكر بعضهم - في اثني عشر ألفًا ، فلما التقوا قال رجلٌ من أصحاب رسول الله : لن نغلب اليوم من قلة . فوجد[٢] رسول الله ﷺ من كلمته وجْدًا شديدًا ، وخرجت هوازن ومعها دُرَيْدُ بن الصِّمة[٣] وهو شيخٌ كبير . فقال دريد : يا

= وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٤٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(١) رواه الطبري (١٠/٩٩) .

(٢) وجد : أي : حزن وغضب . لسان العرب (وجد) .

(٣) هو : دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن ، من المعمرين في الجاهلية ، وقتل مشركًا يوم حنين ، في العام الثامن للهجرة . ينظر : الأعلام (٢/٣٣٩) .

معشر هوازن ، أمعكم من بني كلاب أحدٌ؟ قالوا : لا . قال : أفمن بني كعب أحدٌ؟ قالوا : لا . قال : أفمن بني عامر أحدٌ؟ قالوا : لا . قال : أفمعكم من بني هلال بن عامر أحدٌ؟ قالوا : لا . قال : أما والله أن لو كان خيرًا ما سبقتموهم إليه ؛ فأطيعوني فارجعوا . فَعَصَوْه ، فاقتتلوا فانهزم أصحاب رسول الله[1] قال رسول الله ﷺ : إليَّ عباد الله . وأخذ العباس بثغر بغلةِ[2] رسول الله ، ثم نادى : يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، ويا معشر الأنصار الذين آوَوْا ونصروا ؛ إن هذا رسول الله ﷺ هلُمَّ لكم ، وكان العباسُ رجلاً صَيِّتًا ؛ فأسْمَع الفريقين كليهما فأقبلوا ، فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر الله ورسوله ، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور الله ، فالتقوا عند رسول الله ﷺ فاقتتلوا قتالاً شديدًا ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها﴾ يعني : الملائكة ﴿وعذَّب الذين كفروا﴾ وهو القتل قبل عذاب الآخرة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ أي : قذرٌ .

قال محمدٌ : يقال لكل مستقذرٍ : نجس ، فإذا ذكرت الرِّجْس ، قلت : هو رجس نجسٌ[3].

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ هو العام الذي حج فيه أبو بكر ، ونادى فيه عليٌّ بالأذان .

﴿وإن خفتم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ كان لأهل مكة مَكْسبَةٌ ورفقٌ[4] ممن كان يحج من المشركين ، فلما عُزِلوا عن ذلك اشتد عليهم ، فأعلمهم الله أنه يعوضهم من ذلك .

---

(١) وضع الناسخ بعدها علامة إلحاق ، ولم يظهر بالحاشية شيء .
(٢) الثَّغْر : الفم والأسنان ، والثُّغْرة : نُقْرة النحر . لسان العرب (ثغر) .
(٣) أي : على الإتباع ، وهو مسموع عن العرب .
(٤) أي : انتفاع . لسان العرب (رفق) .

قال محمدٌ : العيلة : الفقر ؛ يقال : عال الرجل يعيل ؛ إذا افتقر[١]، ومنه قول الشاعر :

وما يدري الفقير متى غناه   وما يدري الغني متى يعيل[٢]

قوله عز وجل : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...﴾ الآية ، فأمر بقتال أهل الكتاب ؛ حتى يسلموا ، أو يقروا بالجزية .

قال محمدٌ : قوله : ﴿عن يدٍ﴾ يقال : أعطاه عن يدٍ ، وعن ظهر يدٍ ؛ أي : أعطاه ذلك مبتدئًا غير مكافئ .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ قال الله – عز وجل – : ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : أنه قولٌ بِفَمٍ ؛ أي : لا برهان عليه ، ولا صحة تحته .

﴿يضاهئون﴾ يشابهون ؛ يعني : النصارى ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ يعني : اليهود ؛ أي : ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم ؛ قالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ﴿قاتلهم الله﴾ أي : لعنهم الله .

قال محمد : وقيل : ﴿قاتلهم﴾ بمعنى : قتلهم .

﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يُقْلَبُون عن الحق ويصرفون ؟!

---

(١) عال الرجلُ يَعِيلُ عَيْلاً وعَيْلةً : إذا افتقر . لسان العرب (عيل) .

(٢) البيت لأحيحة بن الجلاح ، وهو من بحر الوافر . ينظر : لسان العرب (عيل) ، البحر المحيط (٤٦٨/٨) .

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم﴾ أي : واتخذوا المسيح ابن مريم ربًّا . ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿عما يشركون﴾ .

﴿يريدون أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم﴾ يعني : ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية ، وما حرَّفوا من كتاب اللَّه - عز وجل - ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ قال ابن عباس : يعني : شرائع الدين كله ، فلم يُقْبَضْ رسول اللَّه ﷺ (ل١٢٦) حتى أظهر اللَّه - عز وجل - ذلك كله .

وفي تفسير الحسن : ﴿ليظهره على الدين كله﴾ : حتى يكون الحاكم على أهل الأديان كلها ؛ فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان ، وحكم على اليهود والنصارى ؛ فأخذ منهم الجزية ، ومن المجوس .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني : ما كانوا يأخذون من الرُّشا في الحكم ، وعلى ما حرَّفوا من كتاب اللَّه - عز وجل .

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ...﴾ إلى قوله : ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يعني : من وجب عليه الإنفاق في سبيل اللَّه .

قال يحيى : وسمعتهم يقولون : نسخت الزكاة كلَّ صدقة كانت قبلها .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « من أدى الزكاة ، فقد أدى حقَّ اللَّه - عز وجل - في ماله ، ومن ازداد فهو خيرٌ له »[(١)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٩ رقم ١٦) وأبو داود في المراسيل (ص١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في سننه (٤/ ٨٤) من طريقين عن الحسن به مرسلاً .

قلت : ورواه سلام بن أبي خبزة - قال النسائي : متروك الحديث - عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن =

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إن عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب اللّه﴾ .

قال الحسن : يعني : في كتاب اللّه الذي تنسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب اللّه ﴿منها أربعةٌ حرم﴾ المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجّة .

﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني : أنه حرَّم على ألسنة أنبيائه هذه الأربعة الأَشْهُر ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ تفسير قتادة : يقول : اعلموا أنَّ الظلم فيهن أعظم خطيئة [ووِزْرًا][1] فيما سواهُنَّ .

﴿وقاتلوا المشركين كافةً﴾ أي : جميعًا ، وهذا حين أمر بقتالهم جميعًا .

﴿إنما النسيء زيادة في الكفر ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي : النسيء : هو المحرم كانوا يسمونه صفر الأول ، وكان الذي يحله للناس جُنَادة بن عوف الكناني كان ينادي بالموسم : إن الصَّفَر الأول حلالٌ ، فيحله للناس ، ويحرم صفَر مكان المحرم ؛ فإذا كان العام المقبل حرَّم المحرَّمَ ، وأَحَلَّ صفر .

ومعنى ﴿ليواطئوا﴾ : ليوافقوا ﴿عدَّة ما حرَّم اللّه﴾ كانوا يقولون : هذه أربعةٌ بمنزلة أربعة .

قال محمدٌ : النسيء في اللغة : التأخير[2]؛ يقول : تأخيرهم المحرم سنة وتحريم غيره سنة ؛ فإذا كان في السنة الأخرى ردوه إلى التحريم فَنَشْؤُهم ذلك زيادة في كفرهم ؛ وهو معنى قول الكلبي .

= عن سمرة عن النبي ﷺ متصلاً .

رواه ابن عدي في الكامل (٣١٢/٤) وقال : لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا .

ثم ذكر لسلام عدة أحاديث ، وقال في آخر ترجمته : ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث ، وعامة ما يرويه ليس يُتابع عليه .

(١) طمس في الأصل . والمثبت من تفسير الطبري (١٢٧/١٠) وابن أبي حاتم (١٧٩٣/٦) .

(٢) يقال : نَسأ يَنْسأ نَسْئًا ومَنْسَأةً لسان العرب (نسأ) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ هي مثل قوله : ﴿أخلد إلى الأرض﴾[1] يعني : الرضا بالدنيا ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا ويستبدل قومًا غيركم﴾ يقول : يهلككم بالعذاب ، ويستبدل قومًا غيركم ﴿ولا تضروه شيئًا﴾ قال مجاهد : إن هذا حين أُمروا بغزوة تبوك في الصَّيف حين طابت الثمار ، واشتهوا الظلَّ ، وشقَّ عليهم الخروج .

﴿إلا تنصروه﴾ يعني : النبي ﷺ ﴿فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا﴾ من مكة ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ وذلك أن قريشًا اجتمعوا في دار الندوة ، فتآمروا بالنبي ، فاجتمع رَأْيُهم على ما قال عدوُّ الله أبو جهل ؛ وقد فسرنا ذلك في سورة الأنفال فأوحى الله - عز وجل - إليه ؛ فخرج هو وأبو بكر ليلاً ؛ حتى انتهى إلى الغار ، فطلبه المشركون فلم يجدوه فطلبوا ، [...][2] وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار فنظر ما به ؛ لئلا يكون فيه سَبُعٌ أو حيَّةٌ يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، ثم دخل رسول الله ﷺ الغار ، وأخذتْ يمامَةٌ فوضعتْ على باب الغار فجعلا يستمعان وقع حوافر دوابِّ المشركين في طلبهما ، فجعل أبو بكر يبكي ، فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال : أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك ؛ فلا يُعْبَدُ الله - عز وجل - بعدك أبدًا . فقال رسول الله ﷺ : ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ وجعل أبو بكر يمسح (ل١٢٧) الدموع عن خده ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ .

قال الحسن : السكينة : الوقار .

---

(١) الأعراف : ١٧٦.

(٢) طمس في الأصل.

قال محمدٌ : وهي من السكون[1]؛ المعنى : أنه ألقى في قلبه ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين إليه .

﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعني : الملائكة عند قتاله المشركين .

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ قال المعنى : شبابًا وشيوخًا .

قال الكلبي : وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ الناس إلى تبوك في حرٍّ شديد ، وعُسْرة من الناس ، فكره بعض الناس الخروج ، وجعلوا يستأذنون في المقام من بين [...][2] ومن ليست به علّة ؛ فيأذن لمن شاء أن يأذن ، وتخلف كثير منهم بغير إذن ؛ فأنزل الله - عز وجل - فقال : ﴿لو كان عرضًا قريبًا﴾ يعني : غنيمة قريبة ﴿وسفرًا قاصدًا﴾ أي : قريبًا ﴿ لاتَّبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ يعني : السَّفر ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا﴾ يعني : لو وجدنا سَعَةً في المال ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ أي : إنما اعتلوا بالكذب .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ يعني : من له عُذْرٌ ﴿وتعلم

---

(١) لسان العرب (سكن) .

(٢) طمس في الأصل .

الكاذبين﴾ أي: من لا عذر له. قال قتادة[1]: لما نزلت هذه الآية: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ اشتدت عليهم، فأنزل الله - عز وجل - بعد ذلك في سورة النور: ﴿فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾[2] فنسخت الآية التي في براءة.

﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فيتخلفوا عنك، ولا عذر لهم ﴿إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ كراهيةً للجهاد ﴿وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكت في الله - عز وجل - وفي دينه ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّةً﴾ يعني: المنافقين.

﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ خروجهم؛ لما يعلم منهم أنهم عيونٌ[3] للمشركين على المؤمنين؛ ولما يمشون بين المؤمنين بالنميمة والفساد ﴿فثبطهم﴾ أي: صرفهم ﴿لو خرجوا فيكم﴾ يقوله للمؤمنين ﴿ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة.

قال محمد: الوضع في اللغة: سرعة السير؛ يقال: وضع البعير وأوضعته[4].

﴿يبغونكم الفتنة﴾ أي: يبغون أن تكونوا مشركين، وأن يظهر عليكم المشركون ﴿وفيكم سمَّاعون لهم﴾ قال الحسن: يعني: المنافقين أنهم عيونٌ للمشركين عليكم يسمعون أخباركم، فيرسلون بها إلى المشركين.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ هو كقوله عز وجل: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾[5] وقد مضى

---

(١) رواه الطبري (١٠/١٤٢) وابن أبي حاتم (٦/١٨٠٥ رقم ١٠٠٧٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٦٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ.

(٢) النور: ٦٢.

(٣) واحدها: عَيْن؛ والمراد: الجاسوس. لسان العرب (عين).

(٤) يقال: وَضَع يَضَعُ وَضْعًا وموضوعًا بمعنى أوضع؛ أي: أسرع في السَّيْر. لسان العرب (وضع).

(٥) الأنفال: ٣٠.

تفسيره ﴿حتى جاء الحق﴾ القرآن ﴿وظهر أمر الله﴾ الإسلام ﴿وهم كارهون﴾ لظهوره .

﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ يا محمد أقم في أهلي ﴿ولا تفتني﴾ تفسير مجاهد : قال : قال رسول الله ﷺ : « اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر نساء الروم . فقال المنافقون : ائذن لنا ولا تفتنَّا بالنساء »[1] قال الله سبحانه : ﴿ألا في الفتنة﴾ يعني : الهَلَكَة ؛ وهو الشرك ﴿سقطوا﴾ أي : وقعوا .

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝٥٤﴾

﴿إن تصبك حسنةٌ﴾ يعني : النصر ﴿تسؤهم﴾ تلك الحسنة .

﴿وإن تصبك مصيبةٌ﴾ أي : نَكْبة من المشركين ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي : أخذنا الوثيقة في مخالفة محمد ، والجلوس عنه ﴿ويتولوا﴾ إلى منازلهم ﴿وهم فرحون﴾ بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة . قال الله - عز وجل - لنبيه محمد : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا﴾ وليُّنا .

﴿قل هل تربصون بنا﴾ تنتظرون بنا ؛ يعني : المنافقين ﴿إلا إحْدَى الحسنيين﴾ أن نظهر على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/١٤٨) عن مجاهد مرسلاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٦٨) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٣ رقم ١١٠٥٢) من طريق جبارة بن المغلس ، عن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولا .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/٣٠) : رواه الطبراني ، وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان ، وهو ضعيف .

المشركين فنقتلهم ونغنمهم ، أو نُقْتَل (ل١٢٨) فندخل الجنة ﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده﴾ يهلكهم به ﴿أو بأيدينا﴾ أي : نستخرج ما في قلوبكم من النفاق ؛ حتى تظهروا الشرك فنقتلكم .

﴿قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا﴾ يعني : مما يفرض عليكم من النفقة في الجهاد ﴿لن يتقبل[1] منكم﴾ .

قال محمد : قوله : ﴿قل أنفقوا﴾ قال بعض النحويين فيه : هذا لَفْظُ أمر ، ومعناه معنى الشرط والخبر[2]؛ أي : يقول : إن أنفقتم طائعين أو مكرهين ، لن يتقبل منكم .

قال : ومثل هذا المعنى من الشعر قول كثير :

أَسِيئِي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[3]

فلم يأمرها بالإساءة ، لكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها .

قوله : ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ وأظهروا الإيمان ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ للإنفاق في سبيل الله .

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ تفسير الحسن : يعني : أنهم ينفقون أموالهم ، ويشخصون أبدانهم يقاتلون أولياءهم المشركين مع أعدائهم المؤمنين ؛ لأنهم يخفون لهم العداوة ؛ فهو تعذيب لهم في الحياة الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي : تذهب .

---

(١) في الأصل (تقبل) وهو تحريف عن الصواب ؛ إذ ليست (تقبل) بقراءة .

(٢) ينظر : البحر (٥/٥٢) ، الدر المصون (٣/٤٧٣) .

(٣) البيت لكُثَيِّر عزَّة ؛ وهو من بحر الطويل . ينظر : ديوانه (١٠١) ، أمالي ابن الشجري (١/٤٩) ، اللسان (حسن) .

﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ فيما أظهروا من الإيمان ﴿وما هم منكم﴾ فيما يسرون من الكفر ﴿ولكنهم قومٌ يفرقون﴾ على دمائهم إن أظهروا الشرك .

﴿لو يجدون ملجأً﴾ يعني : حصنًا يلجئون إليه ﴿أو مغاراتٍ﴾ يعني : غيرانًا[1] ﴿أو مدخلاً﴾ أي : سربًا ﴿لولَّوا إليه﴾ مفارقةً للنبي ولدينه ﴿وهم يجمحون﴾ أي : يسرعون .

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ أي : يعيبك ، ويطعنُ عليك ﴿فإن أعطوا منها رضوا ...﴾ الآية ، قال قتادة : « إنّ رجلاً حديث عهدٍ بأعرابية أتى النبي ﷺ وهو يقسم ذهبًا وفضة ، فقال : يا محمد ، إن كان الله - عز وجل - قد أمرك أن تعدلَ ، فما عدلت منذ اليوم . فقال رسول الله ﷺ : ويلك فمن يعْدل عليك بعدي؟! ثم قال : احْذَروا هذا وأشباهه ؛ فإنَّ في أمتي أشباه هذا ؛ قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم »[2].

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي : أعطاهم من فضله ، يعني : من فضل الله ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ...﴾ الآية . وهي تقرأ أيضًا : (ورسوله) بالنصب[3]؛ أي : يؤتي رسوله .

وفيها إضمار ؛ أي : لكان خيرًا لهم مما أظهروا من النفاق .

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال الحسن[4]: الفقير : القاعد في بيْته لا يسأل وهو محتاج ، والمسكين الذي يسأل ﴿والعاملين عليها﴾ يعني : على الصدقات الذين يَسْعَوْن في جمعها ؛ جعل الله - عز وجل - لهم فيها سَهْمًا ﴿والمؤلفةُ قلوبهم﴾ ناسٌ كان النبي ﷺ يُعطيهم

---

(١) واحدها : غار : وهو كل منخفض من الأرض ، ومثل البيت المنقور في الجبل . لسان العرب (غور) .

(٢) رواه البخاري (٧١٤/٦ - ٧١٥ رقم ٣٦١٠) ومسلم (١٧٠/٢ - ١٧١ رقم ١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري . ورواه مسلم (١٦٩/٢ - ١٧٠ رقم ١٠٦٣) عن جابر بن عبد الله .

(٣) أي : بالنصب على المفعولية ، ولم أجد هذه القراءة . أما قراءة العامة فهي على الرفع (ورسولُه) عطفًا على لفظ الجلالة (الله) .

(٤) رواه الطبري (١٥٨/١٠) .

يتألَّفهم بذلك لكيْ يسلموا ، جعل اللَّه - عز وجل - لهم سهمًا ؛ منهم : أبو سفيان بن حرب ، وعُيَيْنة بْنُ حِصْنٍ ﴿وفي الرقاب﴾ يعني : كل عبدٍ ﴿والغارمين﴾ من كان عليه دَيْنٌ أو غُرْمٌ من غير فسادٍ ﴿وفي سبيل اللَّه﴾ يُحْمَل من ليس له [...](١) يُعْطى منها ﴿وابن السَّبيل﴾ المسافر إذا قُطِعَ به(٢)؛ جعل اللَّه لهؤلاء فيها سهمًا .

قال عليٌ وابن عباس(٣): إنما هو عَلَمٌ جعله اللَّه - عز وجل - ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك .

﴿فريضة من اللَّه﴾ وذلك في جميع الزكاة ﴿واللَّه عليمٌ حكيمٌ﴾ عليمٌ بخلقه ، حكيمٌ في أمره .

قال محمدٌ : ﴿فريضةً﴾ بالنصب على التوكيد(٤)، المعنى : فرض اللَّهُ الصدقاتِ لهؤلاء فريضةً .

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

(ل١٢٩) ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ يعني : المنافقين . قال الحسن : كانوا يقولون : هذا الرجل أُذن ، من شاء صرفه حيث شاء ليست له عزيمة ، فقال اللَّه - عز وجل - لنبيه : ﴿قل أذن خير لكم يؤمن باللَّه﴾ وهي تقرأ (أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ)(٥) أي : هذا الذي تزعمون أنه أذنٌ خير لكم .

قال محمد : المعنى على هذه القراءة : قل من يستمع منكم ويكون قابلاً للعذر خير لكم ﴿يؤمن باللَّه ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدق اللَّه ، ويصدق المؤمنين .

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) وهو مُلازم للبناء للمجهول ، والمراد : عجز عن سفره لأيِّ سبب كان ، وإذا انقطع رجاؤه ، أو انقطع به الطريق ، أو حيل بينه وبين ما يأمله . المعجم الوسيط (قطع) .

(٣) رواه الطبري (١٠/١٦٧) وابن أبي حاتم (٦/١٨١٧ رقم ١٠٣٤٨) .

(٤) أي : مفعول مطلق مؤكِّد للفعل . وقيل : انتصب على الحال من (فريضة) ينظر : الدر المصون (٣/٤٧٦) .

(٥) قرأ الجمهور ﴿أُذُنُ خيرٍ﴾ ، على جر ﴿خير﴾ بالإضافة ، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم ﴿أُذُنٌ﴾ بالتنوين ، و﴿خيرٌ﴾ بالتنوين أيضًا . ينظر : السبعة (٣١٥) ، الحجة (١٧٦) ، إتحاف الفضلاء (٢٤٣) ، الدر المصون (٣/٤٧٧) .

﴿ورحمةً[1] للذين آمنوا منكم﴾ رحمهم الله به ، فأنقذهم من الجاهلية وظلمتها .

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ بالكذب ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ بالصدق من قلوبهم ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ أي : من يعاد الله ورسوله .

﴿فإن[2] له نار جهنم﴾ .

قال محمد : قوله : ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ معناه : من يكون في حدٍّ ، والله ورسوله في حدٍّ ؛ أي : جانب . وتُقرأُ (فأنَّ له) بالفتح والكَسْر فمن كسر فعلى الاستئناف ؛ كما تقول : فإن له نارَ جهنَّم ، ودخلت (إنَّ) مؤكدة . ومن قرأ بالفتح (فأن له) ، فإنما أعادَ (أنَّ) الأولى توكيدًا ؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتُها أوكد[3].

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يحذرُ المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ من النفاق ؛ أي : تبين ؛ ففعل الله - عز وجل - ذلك بهم ، فأخرج أضغانهم ؛ وهو ما كانوا يكنون في صدورهم .

---

(١) هكذا في الأصل بالنصب ، وهي قراءة ابن أبي عَبْلة ، وقرأ الجمهور ﴿ورحمةٌ﴾ بالرفع ، وقرأ حمزة والأعمش ﴿ورحمةٍ﴾ بالجر . ينظر : الكشاف (١٩٩/٢) ، البحر المحيط (٦٣/٥) الدر المصون (٤٧٧/٣) .

(٢) هكذا في الأصل (فإن) بالكَسْر - وهي قراءة أبي عمرو . والجمهور على (فأن) بالفتح ينظر : معاني القرآن للأخفش (٣٣٤/٢) البحر المحيط (٦٥/٥) ، الإملاء للعكبري (٩/٢)الدر المصون (٤٨٠/٣) .

(٣) ينظر : البحر المحيط (٦٥/٥) ، الدر المصون (٤٧٩/٣) .

قال قتادة(١): وكانت هذه السورة « براءة » تسمى: فاضحة المنافقين؛ لأنها أنبأت بمقالتهم وأعمالهم.

﴿قل استهزئوا﴾ بمحمدٍ وأصحابه؛ وهذا وعيدٌ مثل قوله عز وجل: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾(٢).

﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾ ففعل ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما كانوا يكنون في صدورهم.

﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ...﴾ إلى قوله: ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك بينما هو يسير إذا هو برَهْطٍ(٣) أربعةٍ يسيرون بين يديه؛ وهم يضحكون، فنزل جبريل على النبي عليه السلام فأخبره أنهم يستهزئون بالله - تعالى ذِكْره - ورسوله وكتابه. فبعث رسول الله عليه السلام عمار بن ياسر، فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا، واسألهم: مِمَّ يضحكون؟ فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الرَّكْبُ إذا ساروا. فلحقهم عمار، فقال: مِمَّ تضحكون؟ وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فقال عمار (عرفناه)(٤) الله - عز وجل - وبلغ الرسول احترقتم لعنكم الله وكان يسايرهم رجل لم ينههم، وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي: بعد إقراركم ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ فيرجى أن يكون العفوُ من الله - عز وجل - لمن لم يمالئهمْ، ولم ينههُمْ.

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي: بعضهم أولياء بعض ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر بالله سبحانه ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الإيمان بالله ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يعني: لا يبسطونها

---

(١) رواه الطبري (١٠/١٧١) وابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩ رقم ١٠٠٤٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٢٧٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، وليس له واحد من لفظه، ويجمع على: أرهُط وأرهاط وأراهِط وأراهيط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (رهط).

(٤) مشتبهة في الأصل.

بالنفقة في الحق.

﴿نسوا الله﴾ أي: تركوا ذِكْره بالإخلاص من قلوبهم ﴿فنسيهم﴾ فتركهم أن يذكرهم بما يذكر به المؤمنين من الخير ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ يعني به فسق الشرك.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وعد الله المنافقين والمنافقات ...﴾ إلى قوله: ﴿هي حسبهم﴾ **قال محمد**: يقال: حسب فلان ما نزل به؛ أي: ذلك على قدر فعله.

﴿كالذين من قبلكم﴾ يعني: من الكفار ﴿كانوا أشدَّ منكم قوة﴾ **قال محمد**: المعنى: وعدكم الله على الكفر (ل ١٣٠) كما وعد الذين من قبلكم ﴿فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾.

تفسير الكلبي: يقول: فاستمتعتم في الدنيا بنصيبكم من الآخرة، كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم من الآخرة ﴿وخضتم﴾ في الكفر والتكذيب ﴿كالذي خاضوا﴾.

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ...﴾ إلى قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ يقول: بلى قد أتاهم خبرهم فيما أنزل الله - عز وجل - في كتابه ﴿والمؤتفكات﴾ يعني: المنقلبات؛ وهي (قريات)[1] قوم لوط الثلاث؛ رفعها جبريل بجناحه ثم قلبها ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بإهلاكه إياهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بجحودهم وشركهم؛ يحذر هؤلاء ما فُعِلَ بمن قبلهم.

---

(١) هكذا في الأصل. والمراد: قُرَى قوم لوط؛ حيث تجمع القرية على: (قُرى) والقياس: (قِرَاء)، كظَبْية وظِبَاء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (قرى).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكنَ طيبةً في جناتِ عدن﴾ قال الحسن : (عدنٌ) اسم من أسماء الجنة .

قال محمدٌ : العَدْنُ في اللغة : الإقامة ؛ يقال : عدنت بموضع كذا ؛ أي : أقمتُ به[1].

﴿ورضوانٌ من الله أكبر﴾ مما هم فيه من مُلْكِ الجنة .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أُدْخل أهل الجنةِ الجنةَ ، ورأوا ما فيها قال الله - عز وجل - لهم : لكم عندي أفضل من هذا . قالوا : ربنا لا شيء أفضل من الجنة . قال : بلى أحل عليكم رضواني »[2].

قال الحسن : يصل إلى قلوبهم من رضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألذُّ عندهم وأقر لأعينهم من كل شيءٍ أصابوه من لذة الجنة .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ تفسير الحسن[3]: جاهد المنافقين بالسَّيف ، واغلظ على المنافقين بالحدود . قال الحسن : كان أكثر من يصيبُ الحدود يومئذٍ المنافقون .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (عدن) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران ، عند قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية : ١٥.

(٣) رواه الطبري (١٠/١٨٣ - ١٨٤) وابن أبي حاتم (٦/١٨٤١ رقم ١٠٣٠٢) .

﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ قال الحسن : لقي رجلٌ من المنافقين رجلاً من المسلمين ؛ فقال : إن كان ما يقول محمدٌ حقًّا ، فنحن شرٌّ من الحمر! فقال المسلم : أنا أشهد أنه حق ، وأنك شرٌّ من حمارٍ . ثم أخبر بذلك النبي ﷺ فأرسل النبي إلى المنافق ؛ أقلت كذا؟ فحلف بالله ما قاله ، وحلف المسلم لقد قاله ؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾[1] بعد إقرارهم ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ قال مجاهد : هَمَّ المنافق بقتل المؤمن ؛ حيث قال للمنافق : فو الله إن ما يقول محمدٌ كله حقٌّ ، ولأنت شرٌّ من حمار .

﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ يقول : لم ينقموا من الذي جاء به رسول الله ﷺ شيئًا ، إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا ، ولو تمسكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة .

قال محمدٌ : المعنى : أي : ليس ينقمون شيئًا (...)[2] الله - عز وجل - إلا الصنع ، وهذا مما ليس ينقم .

﴿فإن يتوبوا﴾ أي : يرجعوا عن نفاقهم ﴿يك خيرًا لهم وإن يتولوا﴾ عن التوبة ، ويظهروا الشرك ﴿يعذبهم الله عذابًا أليمًا ...﴾ الآية .

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿لنصدَّقنَّ﴾ يعني : الصدقة ﴿ولنكوننَّ من الصالحين﴾ من يطيع الله - عز وجل - ورسوله ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ منعوا حق الله - عز وجل - ﴿وتولوا﴾ عن الصلاح ﴿وهم معرضون﴾ عن أمر الله ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم﴾ لا يتوبون منه ﴿إلى يوم يلقونه﴾ .

---

(١) انظر الدر المنثور (٣/٢٧٩ - ٢٨٢) .

(٢) طمس في الأصل .

﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ ما يتناجون به من النفاق [...][١] إذ ذاك بما أنزل الله - عز وجل - في كتابه، وقامت به الحجةُ عليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٨٠﴾

(ل ١٣١) ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ قال قتادة: «ذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ أحسبه قال: يا رسول الله، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي. فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك، فلمزه[٢] المنافقون، قالوا: ما أعطى هذا إلا سُمْعَةً ورياءً. وأقبل رجلٌ من فقراء المسلمين من الأنصار يقال له: أبو عقيل؛ فقال: يا رسول الله، بتُّ الليلة أجر الجرير[٣] على صاعين[٤] من تمرٍ؛ فأما صاعٌ فأمسكهُ لأهلي، وأمَّا صاعٌ فهذا هو. فقال له نبي الله ﷺ خيرًا، فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيَّيْنِ عن صاع أبي عقيل. فأنزل الله - سبحانه - هذه الآية إلى قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾»[٥].

قال قتادة: «لما نزل في هذه الآية ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ قال رسول الله: «قد خيَّرني ربي، فو الله لأزيدنهم على السبعين. فأنزل الله - عز وجل - في سورة المنافقين: ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم...﴾[٦] الآية»[٧].

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) اللمز: العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (لمز).

(٣) الجرير: الحبل. وأراد أنه كان يستقي الماء بالحبل. لسان العرب (جرر).

(٤) الصاع: ما يكال به، وهو أربعة أمداد. والجمع: أصوع وآصع. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (صوع).

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٣/١ - ٢٨٤) وابن جرير (١٩٥/١٠).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٤/٣): لابن عساكر أيضًا.
ورواه البخاري (٣٣٢/٣ رقم ١٤١٥) ومسلم (٧٠٦/٢ رقم ١٠١٨) عن ابن مسعود ﷺ بنحوه.

(٦) المنافقون: ٦.

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٤/١) وابن جرير (٢٠٠/١٠).
وروى البخاري (٢٧٠/٣ رقم ١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب ﷺ نحوه.

قال محمدٌ : وقوله عز وجل : ﴿والّذين لا يجدون إلا جُهْدَهم﴾ يعني : طاقتهم ؛ الجُهْدُ : الطاقة ، والجَهْد - بفتح الجيم - : المشقةُ ؛ يقال : فعلت ذلك بِجَهْدٍ ؛ أي : بمشقَّة[1]. وقوله - عز وجل - : ﴿سخر الله منهم﴾ أي : جازاهم جزاء السخرية .

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ **قال محمدٌ** : قيل : المعنى : بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ.

﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ قال قتادة[2]: خرج المؤمنون يومئذٍ إلى تبوك في لَهَبانِ الحرّ[3]؛ قال الله - عز وجل - للنبي ﷺ: ﴿قل نار جهنّم أشدُّ حرًا﴾ من نار الدنيا ﴿لو كانوا يفقهون﴾ قال الحسن : يقول : لو كانوا يفقهون لعلموا أنّ نارَ جهنم أشدُّ حرًا من نار الدنيا .

يحيى : عن النضْرِ بن مَعْبَد ، عن أبي قلابة قال : « بينما رسول الله ﷺ في مسيرٍ له في يوم شديد الحَر إذ نزل منزلاً ، فجعل الرجل منهم ينتعلُ ثوبه من شدة حر الأرض ؛ فقال رسول الله ﷺ : ألا أراكم تجزعون من حر الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام! فو الذي نفسي بيده لو أن بابًا من أبواب جهنم فُتِحَ بالمشرق ، ورجلٌ بالمغرب لغلى دماغُهُ حتى يسيل من منخريْه »[4].

﴿فليضحكوا قليلاً﴾ قال قتادة[5]: يعني : في الدنيا ﴿وليبكوا كثيرًا﴾ يعني : في النار .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (جهد) .

(٢) انظر تفسير الطبري (١٠/٢٠١) وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٥٤ رقم ١٠٥٠١) .

(٣) لَهَبَان الحر : اتقاده وشدته ، وكذا اللَّهِيب واللُّهَاب . لسان العرب ، القاموس المحيط (لهب) .

(٤) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ ، والله أعلم .

(٥) رواه الطبري (١٠/٢٠٢) وابن أبي حاتم (٦/١٨٥٥ رقم ١٠٥٠٧) .

يحيى : عن أبي أمية ، عن قتادة ؛ أن أبا موسى الأشعري قال : « إنه يسلط على أهل النار البكاء ؛ فلوْ تُرسَلُ السُّفُن في [...][١] أعينهم لجرت »[٢].

﴿فإن رجعك اللَّه إلى طائفة منهم ...﴾ يقوله للنبي ، إلى قوله : ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ قال الكلبي : يعني : الأشرار .

قال محمدٌ : واحدُ الخالفين : خالِفٌ ؛ يقال للذي هو غيرُ نجيب : فلانٌ خالِفُ أهْلِه ، وخالِفَةُ أهْلِه[٣].

﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدًا﴾ قال قتادة[٤]: ذُكِرَ لنا أنه مات منافقٌ فكفنه نبي اللَّه في قميصه وصلى عليه ودلاَّه في قبره ؛ فأنزل اللَّه - عز وجل - هذه الآية فيه .

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ١١٠) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦١، ٣/ ١٠٣) وغيرهما من طريق قسامة بن زهير عن أبي موسى بنحوه مطولاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٧) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد .
ورواه الحاكم (٤/ ٦٠٥) من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل عن سلام بن مسكين قال : حدَّث أبو بردة عن عبد اللَّه ابن قيس به مرفوعًا .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وروى ابن ماجه (٢/ ١٤٤٦ رقم ٤٣٢٤) وابن المبارك في مسنده (٧٥ رقم ١٢٥) وأبو يعلى (٧/ ١٦١ - ١٦٢ رقم ٤١٣٤) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٠٧) وابن عدي في الكامل (٥/ ٤٠٣) والمحاملي في أماليه (٦ رقم ٩) والبغوي في تفسيره (٤/ ٨٠) وفي شرح السنة (١٥/ ٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٤٤١٨) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا نحوه .
قال العقيلي : هذا يُروى بغير هذا الإسناد بإسنادٍ أيضًا لين .
وقال الحافظ العراقي : رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ، والرقاشي ضعيف . تخريج الإحياء (٦/ ٢٥٧٠ رقم ٤١٨٤) .

(٣) لسان العرب القاموس المحيط (خلف) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٨٨) لأبي الشيخ مطولاً .
وروى البخاري (٣/ ١٦٥ رقم ١٢٦٩) ومسلم (٤/ ٢١٤١ رقم ٢٧٧٤) عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما نحوه .

ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿استئذنك أولو الطول منهم﴾ أي: ذوو[1] الغنى في التخلف عن الجهاد ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ يعني: النساء؛ في تفسير العامة.

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: رضوا بأن يكونوا في تخلُّفِهم عن الجهاد كالنساء، وقد قيل: إن الخوالف جَمْعُ خالفة[2].

﴿وأولئك لهم الخيراتُ﴾ قال الحسن: يعني: النساء الحسان؛ مثل قوله: ﴿فيهن خيراتٌ حسانٌ﴾[3].

قال محمد: وقد قيل: الخيراتُ: الفواضل من كل شيْءٍ؛ وواحدها: خَيْرَة[4].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

(ل١٣٢) ﴿وجاء المعذرون﴾ يعني: المعتذرين ﴿من الأعراب ليؤذن لهم﴾ يعني: في القعود.

قال محمد: يقال: فلان معذِّر؛ أي: معتذر[5]، وأُدغمت التاء في الذال؛ لقرب

---

(١) في الأصل: (ذو). والمثبت هو الصواب.

(٢) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

(٣) الرحمن: ٧٠.

(٤) قال الأخفش تعليقًا على الآية ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: لما وُصِفَ به فقيل: فلان خَيْرٌ أشْبَهَ الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به أفعل - أي: أفعل التفضيل.
ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (خلف).

(٥) في «الأصل»: فمعتذر. والمثبت هو الصواب.

مخرجيهما[١]. ومن كلامهم أيضًا : عذرت الأمر إذ قصّرتَ ، وأعذرت إذا جددت[٢].

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ فيما أكثروا من النفاق ؛ كان هذا في غزوة تبوك .

﴿ليس على الضعفاء﴾ قال السُّدي : يعني : العجزة الذين لا قوّة لهم ﴿ولا على المرضى﴾ يعني : من كان به مرض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ إثمٌ في التخلف عن الغزو ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ إذا كان لهم عذرٌ .

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ثم تردون إلى عالم الغيب﴾ السّرّ ﴿والشهادة﴾ العلانية .

﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ من غزاتكم ﴿لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم﴾ ألا تقتلوهم ما أظهروا الإيمان ، واعتذروا .

﴿يحلفون لكم﴾ بالكذب ﴿لترضوا عنهم﴾ فيما أظهروا من الإيمان والاعتذار ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ لما يظهرون من الإيمان ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يعنيهم لما بطن منهم من النفاق .

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ

(١) ونُقِلت حركة التاء (الفتحة) إلى العين .

(٢) والمعذِّر قد يكون محقًّا ؛ وهو الذي له عُذْر ، وقد يكون غير محقٍّ ؛ وهو المقصِّر يعتذر بغير عذر . لسان العرب مختار الصحاح ، القاموس المحيط (عذر) .

عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا﴾ يعني : أن منافقي الأعراب أشدُّ من منافقي أهل المدينة في نفاقهم وكفرهم ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسوله﴾ قال قتادة[1]: يقولُ : هُمْ أقل علمًا بالسُّنَن .

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد ﴿مغرمًا﴾ يعني : المنافقين ؛ لأنهم ليست لهم نيّةٌ .

قال محمدٌ : قوله ﴿مغرمًا﴾ يعني : غُرمًا وخسرانًا[2].

﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ يعني : أن يهلكَ محمدٌ والمؤمنون ، فيرجع إلى دين مشركي العرب .

﴿عليهم دائرةُ السّوْءِ﴾ يعني : عاقبة السُّوْء .

﴿ومن الأعراب من يؤمن باللَّه واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربَاتٍ عند اللَّه﴾ أي : يتقرّبُ به إلى اللَّه - عز وجل - ﴿وصلوات الرسول﴾ أي : ويتخذ صلوات الرسول أيضًا قربة إلى اللَّه . وصلواتُ الرسول : استغفاره ودعاؤه .

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ قال قتادة[3]: من كان صلّى مع رسول اللَّه ﷺ القِبْلتيْن فهو من السابقين الأولين ﴿وممن حولكم من الأعراب﴾ يعني : حول المدنية ﴿منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾ أي : اجترءوا عليه ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ قد أعلمهم اللَّه

---

(١) رواه الطبري (١١/٤) وابن أبي حاتم (١٨٦٦/٦ رقم ١٠٢٠١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩١/٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) والمَغْرَمُ والغُرْمُ والغَرَامةُ بمعنًى واحدٍ . لسان العرب (غرم) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٨٥/١) والطبري (١١/٧ - ٨) وابن أبي حاتم (١٨٦٨/٦ رقم ١٠٣٠١) .

رسولَه بعد ذلك، وأسرَّهم النبي ﷺ إلى حُذيفة بن اليمان.

﴿سنعذبهم مرَّتين﴾ أما إحْدَاهما: فبالزكاة أن تؤخذ منهم كُرْهًا، وأما الأخرى: فبعذاب القبر ﴿ثم يُردون إلى عذاب عظيم﴾ أي: جهنم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم ...﴾ الآية، تفسير الحسن: هم نفرٌ من المؤمنين كان عرض في هممهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا من بعد ذلك، وأتوا رسول الله ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ وعسى من الله - جل وعز - واجبة.

﴿خذ من أموالهم﴾ أي: اقبلْ ﴿صدقةً تطهرهم﴾ من الذنوب ﴿وتزكيهم بها﴾ وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفَّارة لهم ﴿وصَلِّ عليهم﴾ أي: استغفر لهم ﴿إن صلاتك سكنٌ لهم﴾ يعني: طمأنينة لقلوبهم؛ يقوله الله - عز وجل - للنبي ﷺ.

﴿ألمْ يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذُ الصدقات﴾ أي: يقبلها.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عمَلكم ورسوله والمؤمنون﴾ يعني: بما يطلعهم عليْهِ.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن عثمانَ بن عفان قال: «لو أن رجلاً عمل في جوْف سبعين بيتًا لكساه الله - عز وجل - رداء عمله خيرًا أو شرًّا»[1].

---

(١) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (٧٣) من طريق معبد الجهني عن عثمان ﷺ بنحوه.
ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق أبي قلابة عن عثمان ﷺ بنحوه.
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عثمان.

﴿وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله﴾ هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلفُوا ، ثم تاب الله عليهم في الآية التي في آخر السورة .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

(ل١٣٣) ﴿والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا ...﴾ إلى قوله : ﴿والله عليمٌ حكيمٌ﴾ تفسير الحسن « أن رسول الله ﷺ كان حين غزوة تبوك نزل بين ظهراني الأنصار وبنى مسجد قباءَ - وهو الذي أُسس على التقوى - وكان المنافقون من الأنصار بَنَوْا مسجدًا ؛ فقالوا : نميل به فإن أتانا محمدٌ فيه وإلا لم [...][1] ونخلوا فيه لحوائجنا ونبعث إلى أبي عامر الراهب - لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له : أبو عامر الرَّاهبُ ، وكان رسول الله ﷺ أَسَرَهُ - فيأتينا ؛ فنستشيره في أمورنا ، فلما بنَوْا المسجد ؛ وهو الذي قال الله - عز وجل - : ﴿الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين﴾ أي : بين جماعة المؤمنين ﴿وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني : أبا عامر ، فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي لا يأتيهمْ ولا يأتونه ، فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتيهم ؛ فإنه ليزرّه عليه إذْ أتاه جبريل ، فقال : ﴿لا تقمْ فيه أبدًا﴾ يعني : ذلك المسجد . ﴿لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يوم﴾ يعني : مسجد قُبَاءَ ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ .

= ورواه أبو داود في الزهد (١١٢ رقم ١٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن عثمان .
ورواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١٦) من طريق قتادة عن عثمان .

ورواه أبو داود في الزهد (١١١ رقم ١٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩/٥ رقم ٦٩٤١) من طريق آخر عن عثمان .

وقال البيهقي : هذا هو الصحيح موقوفًا على عثمان ، وقد رفعه بعض الضعفاء .

(١) طمس بالأصل .

قال محمدٌ : قوله ﴿وإرصادًا لمن حارب اللَّه ورسوله﴾ أي : انتظارًا ؛ يقال : أرْصَدْتُ له بالشر ، ورصَدتُه بالمعافاة . وقد قيل : أرْصدتُ له بالخير والشر جميعًا[(١)].

﴿فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا واللَّه يحب المطهرين﴾ .

يحيى : عن همام ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : « لما نزلت : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللَّه يحب المطهرين﴾ قال رسول اللَّه ﷺ : يا معشر الأنصار ، إن اللَّه قد أحسن عليكم الثناء في الطهور ؛ فكيف طهوركم بالماء؟ قالوا : نغسل أثر الخلاء بالماء »[(٢)] من حديث يحيى بن محمد .

قال يحيى : وبلغنا أن رسول اللَّه ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد ، فقال : ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا باللَّه إن أردنا إلا الحُسْنَى ، ﴿واللَّه يشهد إنهم لكاذبون﴾ .

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من اللَّه ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرفٍ هار﴾ يعني : حَرْف جُرف .

﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي : أن الذي أُسِّسَ بنيانُه على تقوى من اللَّه ورضوان خير من الآخر ، قال قتادة : ما تناهى أن وقع في النار ، وذُكر لنا أنهم حفروا فيه بقعةً فرئي منها الدخان .

---

(١) لسان العرب ، القاموس المحيط (رصد) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق همام به .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٨/١) والطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق معمر عن قتادة معضلا ، لم يذكر شهر بن حوشب فيه .

ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق سعيد عن قتادة كذلك .

ورواه عبيد اللَّه بن تمام عن داود بن أبي هند عن شهر عن أبي هريرة ﷺ فوصله .

رواه الدارقطني في الأفراد ، أطراف الغرائب (٢٠٤/٣ رقم ٥١٦٤) وقال الدارقطني : تفرد به عبيد اللَّه بن تمام عن داود ابن أبي هند عنه . اهـ .

وقال في العلل (٣٣٤/٨ رقم ١٦٠٤) : يرويه داود بن أبي هند ، واختلف عنه : فرواه عبيد اللَّه بن تمام عن داود عن شهر عن أبي هريرة . وغيره يرويه عن شهر مرسلاً .

قال سيار أبو الحكم عن شهر عن محمد بن عبد اللَّه بن سلام ، واختلف عنه : فقال فيه سلمة بن رجاء : عن مالك بن مغول عن سيار عن شهر عن محمد بن عبد اللَّه بن سلام عن أبيه عن النبي ﷺ وأرسله غيره . اهـ

وللحديث طرق عن غير واحدٍ من الصحابة والتابعين ، انظر تفسير الطبري (٢٩/١١ - ٣١) والدر المنثور (٣٠١/٣ - ٣٠٢) .

قال محمد: قوله: ﴿على شفا جُرُف﴾ يعني: حرف جُرُفٍ، والجُرُفُ: ما تجرف بالسيول من الأودية[١]؛ يقال: جُرُفٌ هارٍ وهائرٌ؛ إذا كان متصدعًا؛ فإذا سقط قيل: انهار وتَهَوَّر[٢].

﴿وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ يقول: هذا حُكْمُ اللَّه - عز وجل - في هذا، في التوراة والإنجيل والقرآن.

قال محمدٌ: ﴿وعْدًا عليه حقًّا﴾ بالنصْبِ على معنى: فإنَّ لهم الجنة، وعدهم إياها وعْدًا عليه حقًّا[٣].

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ أي: شكًّا. ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ تفسير مجاهد[٤]: يقول: إلا أن يموتوا.

قال يحيى: أخبر أنهم يموتون على النفاق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿التائبون﴾ تابوا من الشرك ﴿العابدون﴾ عبدوا اللَّه مخلصين له ﴿الحامدون﴾ يحمدون اللَّه على كل حال. ﴿السائحون﴾ هم الصائمون.

قال محمدٌ: السائح أصله: الذاهبُ في الأرض[٥]، ومن ساحَ امتنَع من الشهوات، فشبه

---

(١) ويقال: الجرف - بضم الراء وسكونها. لسان العرب (جرف).

(٢) ويقال فيه أيضًا: هوَّر. لسان العرب (هور).

(٣) أي: منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة. ينظر الدر المصون (٣/٥٠٦).

(٤) رواه الطبري (١١/٣٣) وابن أبي حاتم (٦/١٨٨٥ رقم ١٠٠٠٠).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٠٣) لابن أبي شيبة وأبي الشيخ.

(٥) يقال: ساح في الأرض يَسِيحُ سَيْحًا وسُيُوحًا وسِيَاحَةً وسَيَحانًا؛ أي: ذهب. لسان العرب (سيح).

الصائم به ؛ لإمساكه عن الطعام والشراب والنكاح .

﴿الراكعون الساجدون﴾ يقول : هم أهل الصلاة .

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ تفسير قتادة : قال : كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾[(١)] ثم أنزل في هذه الآية : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ...﴾ الآية ، فلا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين ، ولا أن يقول : رب ارحمهما (ل١٣٤) وقوله عز وجل : ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ أي : ماتوا على الكفر ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه ...﴾ الآية .

قال قتادة : ذُكِرَ لنا « أن رجلاً قال لنبي الله ﷺ: إن من آبائنا من كان يحسن الجوارَ ، ويصل الأرحامَ ، ويفك العاني ، ويفي بالذمم ؛ أفلا نستغفر لهم؟ قال : بلى ، فو الله إني لأَستغفرُ لوالِدَيَّ كما استغفر إبراهيم لأبيه . فأنزل الله – سبحانه – : ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مؤعدة وعدها إياه﴾ »[(٢)].

﴿فلما تبينَّ له أنه عدوٌّ لله﴾ أي : مات على شركه ﴿تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواهٌ حليمٌ﴾ قال ابن عباس[(٣)]: الأواه : الموقِنُ . وقال ابن مسعود[(٤)]: هو الدَّعَّاء .

---

(١) الإسراء : ٢٤.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٣/١١) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٩٠/١) والطبري (٤٩/١١) وابن أبي حاتم (١٨٩٦/٦ رقم ١٠٠٦٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٩/٣) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (٤٧/١١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٨/٣) لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ أيضًا .

قال محمد : وذكر أبو عبيد أن هذا التفسير أقرب في المعنى ؛ لأنه من التأوُّه ، وهو من الصوت[١]، منه قول الشاعر :

فأَوْهِ بِذِكْرَاهَا إذا ما ذكرتها ومن بُعْدِ أرْضٍ دونها وسماء[٢]

قال محمدٌ : يقال : (أَوْهِ) بتسكين الواو وكسرِ الهاء ، و(أَوَّهْ) مشَدَّدة[٣]، يقال : آه الرجل يئوهُ إذا قال : أوّه من أمر يشق عليه ، ويقال : تأوّه الرجل ، والمتأوِّه : المتلهف .

﴿وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم ...﴾ الآية .

بلغنا أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ ماتوا قبل أن تفترض الفرائض أو بعضُها ؛ فقال قومٌ من أصحاب النبي ﷺ: مات إخواننا قبل أن تفترض هذه الفرائض ، فما منزلتهم؟ فأنزل الله – عز وجل – هذه الآية ؛ فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان .

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي : في وقت العُسْرةِ ﴿من بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريق منهم﴾ أي : تميل عن الجهاد ؛ فعصمهم الله – عز وجل – من ذلك ؛ فمضوْا مع النبي ﷺ قال قتادة[٤]: أصابَهُمْ في هذه الغزوة جَهْدٌ شديد ، حتى لقد بلغنا أن الرَّجلينْ كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يَمصُّها هذا ، ثم يشرب عليها من الماء ، ثم يمصها الآخر .

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

---

(١) أي : صوت التوجع والشَّكاية . لسان العرب (أوه) ، و(أوي) .

(٢) ويروى : فأوه لذكراها ...وهو من بحر الطويل . ينظر : اللسان (أوي) ، المحتسب (٣٩/١) ، الخصائص (٨٩/٢) ، (٣٨/٣) .

(٣) يقال : أَوْهِ ، وأَوْهُ ، وأَوْهْ ، وآهِ ، وأَوْتاه ، لسان العرب ، مختار الصحاح (أوه) .

(٤) رواه الطبري (٥٥/١١) .

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الذين خُلفوا عن غزوة تبوك؛ وهم الذين أُرْجُوا في الآية الأولى في قوله عز وجل: ﴿وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله﴾[1] وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَارَةُ بن ربيعة.

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت﴾ أي: بسعتها ﴿وظنوا﴾ علموا ﴿أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ بلغنا أن رسول الله ﷺ كان أمرَ الناس ألا يكلموهم ولا يجالسوهم، ثم أرسل إلى أهليهم ألاّ يؤوهُمْ ولا يكلموهم؛ فلما رأوْا ذلك ندموا وجاءوا إلى سواري المسْجِد، فأوثقوا أنفسهم؛ حتى أنزل الله - عز وجل - توبتهم في هذه الآية.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ تفسير بعضهم: خاطب بهذا من لم يهاجرْ، ليهاجروا إلى النبي بالمدينة.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ وهذا في غزوة تبوك ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم﴾ يعني: من خرج منهم.

﴿لا يصيبهم ظمأٌ﴾ عطشٌ ﴿ولا نصبٌ﴾ في أبدانهم ﴿ولا مخمصةٌ﴾ جوع.

﴿ولا يطئون موطئًا يغيظُ الكفارَ ولا ينالون من عدُوٍّ نيلاً إلا كتب لهُمْ به عملٌ صالحٌ﴾.

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي المُصَبِّح قال: «غزونا مع مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم، فسبق الناسَ رجلٌ، ثم نزل يمشي ويقود فرسه، فقال له مالك: يا عبد الله، ألا تركب؟! فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من اغبرّتْ قدماه في سبيل الله ساعة من نهار، فَهُمَا حرامٌ على النار. قال: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذٍ»[2].

---

(١) التوبة: ١٠٦.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/٢٢٥ - ٢٢٦) - ومن طريقه ابن عساكر (٥٦/٤٦٧) - وابن المبارك في الجهاد (٣٣)=

يحيى : عن المسعودي ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عيسى بن طلحة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ل١٣٥) « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخانُ جهنم في منخريْ عبدٍ مسلمٍ أبدًا »(١).

= والبغوي - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٥٦/٤٦٧) - وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به .
ورواه عبد الله بن المبارك في الجهاد (٣٢) من طريق حصين بن حرملة عن أبي المصبح به . وصرح باسم الصحابي ، وهو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
ورواه من طريق ابن المبارك الإمامُ أحمد (٣/٣٦٧) والطيالسي (٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ١٧٧٢) وأبو يعلى (٤/٥٧ - ٥٨ رقم ٢٠٧٥) وابن حبان (١٠/٤٦٣ - ٤٦٤ رقم ٤٦٠٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (١/٣٢٨ - ٣٢٩ رقم ١١٣) والبيهقي في سننه (٩/١٦٢) وابن عساكر في تاريخه (٥٦/٤٦٧ - ٤٦٨) .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٩٧ رقم ٦٦١) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٤٦٣ رقم ٦٠٠٧) من طريق العلاء بن زبر وابن جابر عن أبي المصبح عن مالك بن عبد الله الخثعمي عن النبي ﷺ ، فأصبح من مسند مالك .
ورواه وكيع عن محمد بن عبد الله الشعيثي عن ليث بن المتوكل عن مالك بن عبد الله عن النبي ﷺ .
خرجه الإمام أحمد (٥/٢٢٦) ومن طريقه ابن عساكر (٥٦/٤٦٦) وابن أبي شيبة (٥/٣١٠) عن وكيع .
وقال ابن عساكر : كذا قال ، والصواب متوكل بن الليث ، قلبه وكيع ، ومالك لم يسمع الحديث من رسول الله ﷺ إنما سمعه من رجل من الصحابة غزا معه حين كان يلي المغازي . اهـ
وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٥/٣٢) : كذا رواه وكيع ، والصواب : المتوكل بن الليث ، ومالك لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ ، إنما رواه عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ . وقد ذكرناه في كتاب الجهاد مستقصى . اهـ
وقال ابن حجر في الإصابة (٩/٥٥) : وهذا هو الصواب أن الحديث لجابر بن عبد الله ، وسمعه مالك منه . اهـ

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٥٠٥) وابن المبارك في الجهاد (٣٠) والطيالسي (٣٢١ رقم ٢٤٤٣) وهناد في الزهد (٤٦٥) والنسائي (٦/٣١٩ رقم ٣١٠٨) والترمذي (٤/١٤٧ رقم ١٦٣٣، ٤/٤٨١ رقم ٢٣١١) والحاكم (٤/٢٦٠) والبيهقي في الشعب (٣/٨٩ - ٩٠ رقم ٧٧٩) والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٦٤ رقم ٤١٦٨) وفي تفسيره (٤/١٨٩) وغيرهم من طريق المسعودي به .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وقال البيهقي : رفعه المسعودي ، ووقفه مسعر .
ورواه الحميدي (٢/٤٦٦ رقم ١٠٩١) وابن حبان (١٠/٤٦٧ رقم ٤٦٠٧) من طريق مسعر بن كدام عن محمد بن عبد الرحمن به .
ورواه وكيع في الزهد (١/٢٤٩ - ٢٥٠ رقم ٢٣) عن مسعر والمسعودي به موقوفًا .
ورواه النسائي (٦/٣١٩ رقم ٣١٠٧) وهناد في الزهد (٤٦٦) وابن أبي شيبة (١٣/٣٥١ رقم ١٦٥٥٧) والبيهقي =

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن يزيد ، عن صفوانَ بن عبد اللّه بن صفوان قال : « ذكر لنا أن العمل في سبيل اللّه يضاعفْ؟ كما تضاعف النفقة سبعمائة ضعف » .

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة ...﴾ الآية ، تفسير بعضهم : أن رسول اللّه ﷺ حين رجع من تبوك وقد أنزل اللّه - عز وجل - في المنافقين الذين تخلفوا عنه ما أنزل ، قال المؤمنون : لا واللّه لا يرانا اللّه - عز وجل - متخلّفين عن الغزوة يغزوها رسول اللّه ﷺ أبدًا ولا عن سريّة . فأمر رسول اللّه عليه السلام السرايا أن تخرج فنفر المسلمون من آخرهم ، وتُرك نبي اللّه عليه السلام وحده ، فأنزل اللّه - عز وجل - : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ أي : جميعًا ، ويذروك وحدك بالمدينة ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ليتفقه المقيمون ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ من غَزَاتِهم . أي : يُعَلِّمُ المقيمُ الغازيَ ما نزل بَعْدَه من القرآن .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ...﴾ الآية ، قال الحسن : نزلت قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة .

= في الشعب (٩٠/٣ رقم ٧٨٠) من طريق مسعر به موقوفًا .

ورواه ابن ماجه (٩٢٧/٢ رقم ٢٧٧٤) من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مرفوعًا .

ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٣٣٦/٨ رقم ١٦٠٦) : يرويه محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عنه ، واختلف عنه : فرواه مسعر عنه موقوفًا ، واختلف عن المسعودي فرفعه عنه قوم ، ووقفه وكيع عنه ، وقيل : عن ابن عيينة عن مسعر مرفوعًا ، ولا يثبت . اهـ .

قلت : وللحديث طرق أخر عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره .

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول﴾ يعني : المنافقين ﴿أيكم زادته هذه إيمانًا﴾ يقوله بعضهم لبعض ، قال الله - عز وجل - : ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا﴾ تصديقًا ﴿وهم يستبشرون﴾ بما يجيء من عند الله ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ﴿فزادتهم رجسًا إلى رجسهم﴾ أي : زادهُمْ تكذيبهم بها كفرًا إلى كفرهم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ يقول : إنهم يموتون على الكفر .

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عامٍ مرة أو مرتين﴾ قال الحسن : يعني : يُبتَلون بالجهاد مع رسول الله عليه السلام فيرون نَصْرَ الله - عز وجل - رسوله ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكّرون﴾ .

﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾ يعني : المنافقين ﴿هل يراكم من أحدٍ﴾ من المسلمين ؛ يقوله بعضُهم لبعْضٍ ﴿ثم انصرفوا﴾ قال الحسن : يعني : عزموا على الكفر ﴿صرف الله قلوبَهم﴾ هذا دعاءٌ ﴿بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ لا يرجعون إلى الإيمان .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾ قال السدي : يعني من جِنْسكم ﴿عزيز عليه﴾ أي : شديد عليه ﴿ما عنتم﴾ قال الحسن : يعني : ما ضاق بكم في دينكم ﴿حريص عليكم﴾ أن تؤمنوا ﴿فإن تولوا﴾ عن الله - جل وعز - وعمَّا بعث به رسوله ﴿فقل﴾ يا محمد : ﴿حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ قال قتادة : يقال : إن أحْدثَ القرآن بالله عهدًا هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...﴾ إلى آخر السورة .



تفسير سورة يونس وهي مكّية كلها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسير ﴿الٓرۚ﴾ وأشباه ذلك؛ غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب الحكيم﴾ المحكم.

﴿أكان للناس عجبًا﴾ على الاستفهام ﴿أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس﴾ عذاب الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ إن لم يؤمنوا؛ وهذا جوابٌ من الله - عز وجل - لقول المشركين حين قالوا: ﴿إنَّ هذا لشيءٌ عجاب﴾[1] إنه لشيء عجب.

﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: عملاً صالحًا يثابون عليه الجنة.

قال محمد: يقال: له عندي قدم صدق[2] (ل١٣٦) وقدَمُ سوءٍ، وله في هذا الأمر قدمٌ صالحة وقدَمٌ حسنة وكأنه (...)[3] قال ذو الرمّة[4]:

لكم قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ فَضْلَهَا ... مع الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّتْ على البَحْرِ[5]

أي: ارتفعت.

---

(١) ص: ٥.

(٢) قال الأخفش: هو التقديم كأنه قدَّم خيرًا وكان له فيه تقديم. لسان العرب، مختار الصحاح (قدم).

(٣) طمس في «الأصل».

(٤) هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، من فحول الطبقة الثانية في عصره (٧٧ - ١١٧هـ). ينظر: الأعلام (١٢٤/٥).

(٥) ويروى: لكم قدم لا ينكر الناس أنها ...... إلخ. والبيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٣٦١)، البحر (٥/ ١٢٣)، القرطبي (٣٠٦/٨) ورواه (العالي) بدلاً من (العادي).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿إليه مرجعكم جميعًا﴾ يعني : البعث ﴿وعد الله حقًّا﴾ في المرجع إليه ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي : يحييه ثم يميته ، ثم يبدؤه فيحييه ﴿ليجزي﴾ لكي يجزي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ بالعدل يجزيهم الجنة ﴿والذين كفروا لهم شرابٌ من حميم﴾ وهو الذي قد انتهى حره .

﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدَّره منازل﴾ أي : جعل القمر (...)[1] منازل من النجوم ، وهي : ثمانية وعشرون منزلة في كل شهر (...)[1] يعني : القمر ﴿لتعلموا عدد السنين والحسابَ﴾ بالليل والنهار ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي : إن ذلك يصيرُ إلى المعاد ﴿يفصل الآيات﴾ يبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها ، وما خلق الله في الأرض من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ وهم المؤمنون .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي : لا يخافون البعث ، وهم المشركون ؛ لأنهم لا يقرون بالبعث

---

(١) طمس في «الأصل».

﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ لا يقرون بثواب الآخرة .

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ **قال محمد** : يعني : يكون لهم نورًا يمشون به .

﴿دعواهم فيها﴾ أي : قولهم في الجنة : ﴿سبحانك اللَّهم وتحيتهم فيها سلام﴾ يعني : يحيي بعضهم بعضًا بالسلام ، وتحييهم الملائكة عن اللَّه - عز وجل - بالسلام ﴿وآخر دعواهم﴾ قولهم : ﴿أن الحمد للَّه رب العالمين﴾ أول كلامهم التسبيح ، وآخره الحمد .

يحيى : عن الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إنَّ أهْل الجنة يُلْهَمُون الحمد والتسبيح ، كما يُلْهمون النَّفَس »[1].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولو يعجل اللَّه للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ وهو ما يدعو به الإنسانُ على نفسِه وولده وماله ، ولو استجاب اللَّه - عز وجل - له لأهلكه .

قال محمد : قيل : المعنى : لو عجل اللَّه للناس الشر إذا دعَوْا به على أنفسهم عند الغضب ، وعلى أهليهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير ؛ إذا سألوه إياه ؛ وهو معنى قول يحيى .

﴿وإذا مسَّ الإنسانَ﴾ يعني : المشرك ﴿الضرُّ دعانا لجنبه﴾ أي : وهو مضطجع على جنبه ﴿أو قاعدًا أو قائمًا﴾ يقول : أو دعانا قائمًا أو قاعدًا ﴿فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٤/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٢٨٣٥) عن جابر عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون . قالوا : فما بال الطعام ، قال : جشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » .

مسَّهُ﴾ أي : مر معرضًا عن الله - عز وجل - الذي كشف عنه الضر .

قال محمد : قيل : المعنى - والله أعلم - : مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى ، ومعنى (كأنْ) : كأنه .

﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾ يريد : من أهلك من القرون السالفة ﴿لما ظلموا﴾ لمَّا أشركوا ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ أخبر بعلمه فيهم ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ المشركين .

﴿ثم جعلناكم خلائف﴾ يعني : خلفاء ﴿في الأرض من بعدهم﴾ .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي : لا يؤمنون بالبعث ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ أي : أوْ بَدِّلْ آية الرحمة آية العذاب ، أو بَدِّلْ آية العذاب آية الرحمة .

قال الله - عز وجل - لنبيه ﷺ: ﴿قل ما يكون لي أن أبدلهُ من تلقاء نفسي﴾ أي : من عندي .

﴿قل لو شاء الله ما تلوْتهُ عليكم ولا أدراكم به﴾ أي : ولا أعلمكم به ﴿فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله﴾ من قبل القرآن لا أدعي هذه النبوة .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ أيْ : أن الأوثان تشفع لهم - زعموا - عند الله ؛ ليصلح لهم معايشهم في الدنيا .

(ل١٣٧) [...][1] بالبعث ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ أي : لا يعلم أن [...][1] في الأرض إلهًا غيره ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ من العلو ﴿عما يشركون﴾ .

﴿وما كان الناسُ إلا أمةً واحدة﴾ يعني : على الإسلام ما بين آدم إلى نوح ؛ في تفسير قتادة ﴿فاختلفوا﴾ لما أتتهم الأنبياء ، وكفر بعضهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ تفسير الحسن : يعني : المؤمنين والكافرين لولا أن الله - عز وجل - قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا ؛ فأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النارِ النارَ .

﴿ويقولون لولا﴾ هَلاَّ ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون : الآيات التي كانت الأمم تسألها أنبياءها ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ كقوله : ﴿إنما الآيات عند الله﴾[2] فإذا شاء أنزلها ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي : فستعلمون بمن ينزلُ العذاب .

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وإذا أذقنا الناس﴾ يعني : المشركين ﴿رحمةً﴾ عافية ﴿من بعد ضراء مسّتْهم﴾ يعني : من بعد مرضٍ أو شدة أصابتهم ﴿إذا لهم مكرٌ في آياتنا﴾ قال الحسن : يعني : جحودًا وتكذيبًا لديننا ﴿قل الله أسرع مكرًا﴾ قال الحسن : يعني : عذابًا ﴿إن رسُلَنا﴾ يعني : الحَفَظَةَ ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ يعني : المشركين .

---

(١) طمس في « الأصل » نحو كلمتين .
(٢) الأنعام : ١٠٩ .

﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ في السفن يقول هذا للمشركين ، ثم قال للنبي ﷺ: ﴿وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ أي : شديدة - الآية .

قوله عز وجل : ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي : أنهم مغرقون ﴿دَعوا اللّه ...﴾ الآية ﴿ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ﴾ أي : يكفرون ويعملون بالمعاصي .

قال محمد : أصل البغي : الترامي في الفساد ، ومنه يقال : بغى الجرحُ إذا ترامى إلى فسادٍ ، وبغَت المرأة إذا فجرت[1].

﴿يا أيها الناس﴾ يعني : المشركين ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ يعني : ضرًا عليكم ؛ لأنهم يثابون عليه النار ﴿متاعَ الحياة الدنيا﴾ يقول : إنما بغيكم وكفركُمْ في الدنيا ، ثم ينقطع فترجعون إلى اللّه سبحانه .

قال محمد : الرفع في قوله : ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ جائز على معنى أن يكون خبرًا لقوله : ﴿بغْيُكمْ على أنفسكم﴾[2] المعنى : أن الذي تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ قال بعضهم : يعني : فأخرجت الأرض ألوانًا من النبات ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني : حسنها ﴿وازَّينتْ﴾ يعني : تزيَّنتْ بنباتها من صُفْرةٍ وخُضْرةٍ وحُمْرةٍ .

قال محمد : أصل (الزخرف) : الذهب ، ثم يقال للنَّقْش وللنُّوْر والزينة ، وكل شيءٍ زُين :

---

(١) لسان العرب (بغى) .

(٢) قرأ حفص (متاعَ) بالنصب ، وقرأ الباقون (متاعُ) بالرفع . ينظر : السبعة (٣٢٥) ، النشر (٢/٢٨٣) ، التيسير (١٢١) وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية تنظر من : البحر المحيط (٥/١٤٠) ، الدر المصون (٤/١٩) .

زخرفٌ[١].

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أي: قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا فجعلناها حصيدًا﴾ أي: ذهب ما فيها.

﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ كأن لم يكن ما كان فيها من زرع بالأمس قائمًا.

قال محمدٌ: المعنى: كأن لم تكن عامرة بالأمس، المغاني: المنازل، واحدها مغْنًى تقول: غنيت بالمكان؛ إذا أقمت به[٢].

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول: فالذي أنبتَ هذا الزرع في الأرض الموات، حتى صار زرعًا حسنًا، ثم أهْلكه بعد حسْنِه وبهجته قادر على أن يحيي الموتى، وإنما يقبل ذلك ويعقلُه المتفكرون ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ والسلام هو الله - سبحانه - وداره الجنة.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادةٌ﴾ النظر إلى وجه الله - عز وجل.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عامر بن [سعد][٣] قال: «قرأ أبو بكر الصديق ﷺ هذه الآية - أو قُرِئت عنده - فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ (ل١٣٨) الزيادة هي النظر إلى وجه ربنا عز وجل»[٤].

---

(١) لسان العرب (زخرف).

(٢) ويقال: المغاني: المواضع التي كان بها أهْلُوها. لسان العرب، مختار الصحاح (غنى).

(٣) في «الأصل»: سعيد. وهو خطأ، عامر بن سعد هو البجلي الكوفي روى عن أبي بكر الصديق ﷺ وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ترجمته في التهذيب (١٤/٢٣ - ٢٥) وقد رواه الدارقطني في الرؤية من طريق يحيى بن سلام على الصواب.

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٢٣ رقم ٥٤) بإسناده إلى يحيى بن سلام.

ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ رقم ١٩٥) من طريق يحيى بن سلام به.

ورواه ابن النحاس في كتاب الرؤية (ق٢٥٥ - أ) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

= ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢٥٧/١ رقم ٤٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦/١ رقم ٤٧٤) والطبري في تفسيره (١٠٤/١١) وابن خزيمة في التوحيد (٤٥٠/٢ - ٤٥١ رقم ٢٦٤) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٣، ٢٩٣ رقم ٢٠١) والآجري في الشريعة (١٣/٢ - ١٤ رقم ٦٣١، ٦٣٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٥٨/٣ رقم ٧٨٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٩٥ رقم ٨٤) وغيرهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به .
ورواه عبد الله في السنة (٢٥٦/١ - ٢٥٧ رقم ٤٧٠) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٢) والآجري في الشريعة (١٣/٢ رقم ٦٣٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق .
ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ١٩٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص٦٢) من طريق محمد بن جابر عن أبي إسحاق به .
وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله .
رواه الطبري في تفسيره (١٠٥/١١) وابن خزيمة في التوحيد (٤٥٢/٢ رقم ١٠/٢٦٥) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (١٢٧ رقم ٤٢٠) والدارقطني في الرؤية (٣٠٠ رقم ٢١٤، ٢١٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤٦١/٣ رقم ٧٩٢، ٧٩٣) والدارمي في الرد على الجهمية (١٠٠ - ١٠١ رقم ١٩٤) .
وتابع الثوري عليه شعبة بن الحجاج ، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢٥٧/١ رقم ٤٧٢، ٤٩٧/٢ رقم ١١٤٥) والطبري في تفسيره (١٠٥/١١) .
ورواه شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق ، واختلفت الرواية عنه على ثلاثة أوجه :
الأول : كرواية يونس وإسرائيل ومن معهما ، ذكرها الدارقطني في العلل (٢٨٢/١) .
الثاني : عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر . رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٩ رقم ١٩٠) وفي الرد على المريسي (٧١٣/٢ - ٧١٤) والطبري في تفسيره (١٠٦/١١) والدارقطني في الرؤية (٢٩٢ رقم ١٩٩) .
الثالث : عن شريك عن أبي إسحاق قوله . رواه الطبري في تفسيره (١٠٥/١١) والدارقطني في الرؤية (٣٠٥ - ٣٠٦ رقم ٢٢٣) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣ رقم ٧٩٤) .
ورواه قيس بن الربيع عن أبي إسحاق ، واختلف عنه :
فقيل : عن قيس عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر . كرواية إسرائيل ومن معه .
خرجه الدارقطني في الرؤية (٢٩١ - ٢٩٢ رقم ١٩٨) .
وقيل : عن قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق .
خرجه الطبري في تفسيره (١٠٤/١١ - ١٠٥) والدارقطني في الرؤية (٢٩١ رقم ١٩٧، ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٠٠) .
وتابعه على هذا الوجه أبو الربيع السمان ، خرجه ابن خزيمة في التوحيد (٤٥٣/٢ - ٤٥٤) وقال ابن خزيمة : رواه أبو الربيع أشعث السمان ، وليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه ؛ لسوء حفظه . ثم قال ابن خزيمة : إسرائيل أولى بهذا الإسناد من أبي الربيع .
ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٢٨٢/١ - ٢٨٣ رقم ٧٣) : هو حديث رواه إسرائيل بن =

﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: يغشى ﴿قترٌ﴾ .

قال محمدٌ : القتر أصله : الغبرةُ التي فيها سواد[1].

﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ أي : جزاء الشرك : النارُ ﴿كأنما أغشيت وجوههُمْ قطعًا﴾ جمع : قطعة ﴿من الليل مظلمًا﴾ أي : في حال ظلمته .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم﴾ يعني : المشركين وأوثانهم جميعًا ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾ يعني : الأوثان ﴿فزيلنا بينهم﴾ بالسيئات ، يعني : المشركين على حدة ، والأوثان على حدةٍ ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ الأوثان تقول هذا للمشركين : ما كانت عبادتُكم إيانا عن دعاء كان مِنَّا لكُمْ ، وإنما دعاكم إلى عبادتنا الشيطان .

قال محمد : يجوز النصب في قوله عز وجل : ﴿مكانكم﴾ على الأمر[2]، كأنهم يقال لهم : انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكمْ ؛ وهي كلمة جرت على الوعيد ؛ تقول العرب : (مكانك) تتوعد بذلك .

= يونس وأبوه يونس بن أبي إسحاق وشريك وزكريا بن أبي زائدة ومحمد بن جابر عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر .

وقال بعضهم : عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران ، عن أبي بكر .

وقال الثوري : عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي قوله ، لم يذكر فوقه أحدًا .

والمحفوظ من ذلك قول إسرائيل ومن تابعه : عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر . اهـ .

(١) وواحد القَتَر : قَتَرة . لسان العرب (قتر) .

(٢) ينظر الدر المصون (٤/٢٦ - ٢٧) .

وقوله عز وجل : ﴿فزيلنا بينهم﴾ أي : ميَّزنا ؛ يقال : أزلتُ الشيْء من الشيء أزيلهُ ؛ أي : مِزْتُه منه أميزُه[١].

﴿فكفى باللَّه شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا﴾ لقد كنا ﴿عن عبادتكم لغافلين﴾ قال الحسن : يحشر اللَّه - عز وجل - الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها ، فتخاصم من كان عبدها ﴿هنالك تبلو كل نَفْسٍ ما أسلفت﴾ قال مجاهد[٢]: يعني : تختبر ثواب ما أسلفت في الدنيا . وهي تقرأ على وجه آخر (تتلو)[٣] أي : تتبع .

قال ابن مسعود : هذا في البعث ليس أحدٌ كان يعبد شيئًا من دون اللَّه - عز وجل - إلا وهو مرفوعٌ له ﴿ورُدوا إلى اللَّه مولاهم الحق﴾ ربهم الحق ، والحق اسمٌ من أسماء اللَّه عز وجل .

ثم قال للنبي ﷺ : ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ وهو على الاستفهام ﴿أمَّن يملك السمع والأبصار﴾ أي : يذهبها أو يبقيها . ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ قال مجاهد : يعني : يخرج الناس الأحياء من النطف ، والنطف من الناس الأحياء ، والأنعام مثل ذلك ، والنبات مثل ذلك . وقال الحسن : يعني : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ﴿ومن يدبر الأمر﴾ فيما يحيي ويميت ويقبض ويبسط ﴿فسيقولون اللَّه فقل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون باللَّه - عز وجل - أنَّهُ هو الذي يفعل هذه الأشياء ، ثم لا تتقونه وتعبدون هذه الأوثان من دونه!

﴿فذلكم اللَّه ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضَّلاَل﴾ يعني : أن أوثانكم ضلالٌ وباطلٌ ﴿فأنى تصرفون﴾ فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره؟!

﴿كذلك حقت كلماتُ[٤] ربك﴾ أي : سبق قضاؤه ﴿على الذين فسقوا أنهم﴾ بأنهم ﴿لا يؤمنون﴾ يعني : الذين يلقون اللَّه بشركهم .

---

(١) ويقال : زِلْتُ الشيء من مكانه ؛ لغة في (أزلت) . لسان العرب ، مختار الصحاح (زيل) .

(٢) رواه الطبري (١١٢/١١) وابن أبي حاتم (١٩٤٩/٦ رقم ١٠٣٦٥) بمعناه .

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي . ينظر : السَّبعة (٣٢٥) ، النشر (٢٨٣/٢) ، الحجة (١٨١) .

(٤) هكذا في « الأصل » (كلمات) جمعًا ، وهي قراءة نافع وابن عامر . وقرأ الباقون (كلمة) على الإفراد . ينظر : السبعة (٣٢٦) النشر (٢٦٢/٢) ، الحجة (١٨١) .

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: من يخلق، ثم يميتُ، ثم يحيي؛ أي: أنها لا تقدر على ذلك.

﴿قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عنه؟!

﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي: إلى الدين والهدى؛ أي: أنها لا تفعل ولا تعقل ﴿قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتَّبع أمن لا يهدي إلا أن يُهْدى﴾ أي: أن الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع؛ وهو الله لا إله إلا هو.

قال محمدٌ: قوله عز وجل: ﴿لا يهدي﴾ أي: لا يهتدي؛ فأدغم التاء في الدال[1]. وهي تقرأ أيضًا (يَهْدِي) خفيفة[2]؛ ومعناها: يهتدي؛ يقال: هديتُ الطريق؛ بمعنى: اهتديت[3].

﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ أي: أنكم تقرون بأن الله - عز وجل - هو الخالق والرازق (ل١٣٩) ثم تعبدون الأوثان من دونه!

﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنًّا﴾ أي: يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله تعالى - زعموا - ليصلح لهم معايشهم في الدنيا، وما يفعلون ذلك إلا بالظن.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ

---

(١) لقرب مخرجيهما؛ أي: مخرج التاء والدال، ونقلت حركة التاء (الفتحة) إلى الهاء، ثم كسرت للمناسبة؛ أي: لمناسبة كسرة الدال. الدر المصون (٣١/٤).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢٨٣/٢) الحجة (١٨١).

(٣) وقد ورد (هدى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: معدًّى بنفسه كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ومرةً معدًّى باللام كقوله تعالى: ﴿قل الله يهدي للحق﴾، ومرة معدى بإلى؛ كقوله تعالى: ﴿اهدنا إلى سواء الصراط﴾ لسان العرب، مختار الصحاح (هدى) الدر المصون (٣٠/٤).

﴿ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٨ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣٩ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢﴾

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ يقول : لم يكن أحدٌ يستطيع أن يفتريه ؛ فيأتي به من قبل نفسه ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ من الحلال والحرام ، والأحكام ، والوَعْدِ والوَعيد ﴿لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه .

قال محمدٌ : قوله : ﴿أن يفترى﴾ أي : لأن يفترى[1]، يعني : يُختلق . ومن قرأ (تصديقُ)[2]: هو تصديقٌ[3]، ومن نصب فالمعنى : ولكن كان تصديق الذي بين يديه[4].

﴿أم يقولون﴾ أي : أن محمدًا افترى القرآن على الاستفهام ؛ أي : قد قالوه قال الله - عز وجل - : يا محمد ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ مثل هذا القرآن ﴿وادعوا﴾ يعني : استعينوا ﴿من استطعتم﴾ أي : من أطاعكم ﴿من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أي : لستم بصادقين ، ولا تأتون بسورة مثله .

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي : لم يكن لهم علمٌ بما كذبوا ﴿ولمَّا﴾ أي : ولم يأتهم ﴿تأويله﴾ يعني : الجزاء به ؛ ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به ؛ حيث لا ينفعهم الإيمان ﴿كذلك كذَّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ كان عاقبتهم أن أهلكهم الله - عز وجل - بتكذيبهم رُسُلَهُمْ ، ثم صيَّرهُمْ إلى النار .

﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به﴾ أي : ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن ، ومنهم من لا يؤمن به ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ .

---

(١) الدر المصون (٤/٣٣) .

(٢) يعني : بالرفع .

(٣) أي : فالمعنى : هو تصديق .

(٤) قرأ الجمهور (تصديق) بالنصب ، وقرأ عيسى بن عمر بالرفع . ينظر : إتحاف الفضلاء (٢٤٩) ، البحر (٥/١٥٧) الدر المصون (٤/٣٣) .

وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٥/١٥٧) .

﴿فقل لي عملي ولكم عملكم﴾ أي : ليس عليكم من عملي شيء ، وليس لي من عملكم شيءٌ .

﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ يعني : جماعة يستمعون . ﴿أفأنت تسمع الصُّمَّ ولو كانوا لا يعقلون﴾ وهذا سمع القَبُول .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي : يُقْبل عليك بالنظر . ﴿أفأنت تهدي العُمْي﴾ يعني : عَمَى القلْب ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ كقوله : ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[1].

﴿ويوم نحشرهم[2] كأن لمْ يلبثوا﴾ أي : في الدنيا ﴿إلا ساعة من النهار﴾ في طول ما هم لابثون في النار ﴿يتعارفون بينهم﴾ أي : يعرف بعضهم بعضًا .

قال الحسن : ذُكِرَ لنا أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة مواطن لا يَسْأَلُ فيها أحدٌ أحدًا : إذا وُضعت الموازين ؛ حتى يعْلم أيثقل ميزانه أمْ يخف ، وإذا تطايرت الكتب ؛ حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله ، وعند الصراط ؛ حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز »[3].

---

(١) القصص : ٥٦.

(٢) قرأ حفص ﴿يحشرهم﴾ بالياء ، وقرأ الباقون « نحشرهم » بالنون . النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٣١٣) .

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٦٩ رقم ٩٥) من طريق يحيى بن سلام عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن به .

ورواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٩ رقم ١٣٦١) من طريق حزم بن مهران عن الحسن .

﴿وإما نرينك بعض الذي نَعِدُهم﴾ من العذاب في الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿فإلينا مرجعهُم﴾ .

﴿ولكل أُمةٍ رسولٌ فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ بالعدْل ؛ فإذا جاء رسولهم ؛ يعني : يوم القيامة ، هو كقوله : ﴿وجيء بالنبيين ...﴾[1].

= وقد روي عن الحسن موصولاً :
رواه الإمام أحمد (١٠١/٦) من طريق القاسم بن الفضل ، عن الحسن ، عن عائشة رضي الله عنها .
ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٤٠/٣ رقم ١٣٤٩) وأبو داود (٢٥١/٥ رقم ٤٧٢٢) والحاكم (٥٧٨/٤) من طريق يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن عائشة رضي الله عنها .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة . اهـ .
وقال العراقي : إسناده جيد . تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦) .
ورواه الآجري في الشريعة (٢١٠/٢ رقم ٩٦١) من طريق مؤمل بن إسماعيل ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن عائشة رضي الله عنها .
ورواه البيهقي - كما في النهاية لابن كثير (٢٧/٢) - من طريق يزيد بن زريع عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها .
ورواه الإمام أحمد (١١٠/٦) والآجري (٢٠٩/٢ رقم ٥٥١) من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران و عن القاسم ابن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها .
قال الهيثمي في المجمع (٣٥٩/١٠) : رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
وقال الزبيدي : إسناده ثقات سوى ابن لهيعة .
ورواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقاق من طريق عصام بن طليق - وهو واهٍ - عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها .
قاله الزبيدي ، تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦ - ٢٦٨٤) .
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٠/١٣ رقم ١٦٢٥) عن أبي خالد الأحمر ، عن أبي الفضل ، عن الشعبي ، عن عائشة رضي الله عنها .
ورواه الآجري في الشريعة (٢١١/٢ - ٢١٢ رقم ٩٦٢) ويعقوب بن سفيان في فوائده - كما في تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٨٤) - من طريق علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ﷺ .
قال الزبيدي : وإسناده واهٍ .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٨/٢) عن معمر عن قتادة مرسلًا .
(١) الزمر : ٦٩.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يقوله المشركون لما كان يعدُهُمْ به النبي ﷺ من عذاب الله - عز وجل - إن لم يؤمنوا ، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاءً وتكذيبًا .

﴿قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يديه .

﴿لكل أمةٍ أجلٌ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً﴾ عن عذاب الله إذا نزل بهم ﴿ولا يستقدمون﴾ العذاب قبل أجله .

﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابُه بياتًا﴾ يعني : ليلاً ﴿أو نهارًا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿بياتًا أو نهارًا﴾ منصوبٌ على الوقت[1]، وقوله : ﴿ماذا يستعجل﴾ المعنى : أي شيء ، وقد يجيء بمعنى : ما الذي يستعجل؟

﴿أثم إذا ما وقع﴾ قال السُّدي : يعني : حتى إذا ما نزل العذابُ (ل ١٤٠) ﴿آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي : يقال لهم إذا آمنوا عند نزول العذاب الآن تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان .

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ويستنبئونك﴾ أي : يستخبرونك ﴿أحقٌّ هو﴾ يعنون : القرآن ﴿قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بسابقين فلا يقدر عليكم فيعذبكم .

﴿ولو أنَّ لكل نفسٍ ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضةٍ ﴿لافتدت به﴾ يوم القيامة من عذاب الله - عز وجل .

﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي : دخلوا فيه ﴿وقضي بينهم﴾ أي : فُصِل بينهم ﴿بالقسط﴾ بالعدْل .

---

(١) أي : على ظرف الزمان .

﴿ألا إن وعد الله﴾ الذي وعد في الدنيا ﴿حق﴾ من الوعْد بالجنة، والوعيد بالنار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: المشركين؛ وهم أكثر الناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿وشفاءٌ لما في الصدور﴾ يُذهِبُ ما فيها من الكفر والنفاق، ﴿وهدى﴾ يهتدون به إلى الجنة ﴿وهدى ورحمةٌ للمؤمنين﴾ فأما الكافرون فإنه عليهم عذابٌ.

﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ قال قتادة: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ تفسير بعضهم: فليفرحوا؛ يعني: المؤمنين. ﴿هو خيرٌ مما يجمعون﴾ مما يجمع الكفار.

﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالاً﴾ ما حرَّمُوا من الأنعام ومن زروعهم.

﴿قل آلله أذن لكم﴾ أي: أمركم بما صنعتم من ذلك؟ أي: أنه لم يفعل ﴿أم على الله تفترون﴾ ثم أوعدهم الله على ذلك فقال: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ وهو على الاستفهام؛ يقول: ظنهم أن الله سيعذبهم، وظنهم ذلك في الآخرة يقين منهم؛ وقد كانوا في الدنيا لا يقرون بالبعث؛ فلما صاروا إلى الله - عز وجل - علموا أن الله - عز وجل - سيعذبهم، ثم قال: ﴿إن الله لذو فضْلٍ على الناس﴾ بما ينعمُ عليهم، وبما أرسل إليهم الرسل ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: لا يؤمنون.

﴿وما تكون في شأنٍ﴾ من حوائجك للدنيا ﴿وما تتلو منه من قرآن﴾ خاطب بهذا النبي عليه السلام

﴿ولا تعملون﴾ يعني : العامّة ﴿من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه﴾ يخبرهم أنه شاهدٌ لأعمالهم ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي : يغيب عن ربك ﴿من مثقال ذرة﴾ وزن ذرة ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ حتى لا يعلمه ويعلم موضعه ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ بيِّنٌ عند اللَّه - عز وجل .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ﴾ بالفتح[١] فالمعنى : ما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة ، ولا مثقال أصْغَر من ذلك ولا أكبر ؛ وفتح لأنه لا ينصرفُ[٢]. ومن رفع[٣]، فالمعنى : ما يعزبُ عن ربك مثقالُ ذرة ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر .

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ .

يحيى : عن أميّة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة « أن عبادة بن الصامت سأل نبي اللَّه ﷺ عن هذه الآية ، فقال : هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن ، أو تُرى له »[٤].

---

(١) وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة . ينظر : السبعة (٣٢٨) ، النشر (٢/٢٨٥) ، الحجة (١٨٢) .

(٢) وتفصيل ذلك ينظر من الدر المصون (٤/٤٨) .

(٣) وقراءة الرفع هي قراءة حمزة . ينظر : السبعة (٣٢٨) ، النشر (٢/٢٨٥) الحجة (١٨٢) .

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣١٥، ٣٢١) وابن ماجه (٢/١٢٨٣ رقم ٣٨٩٨) والدارمي في سننه (٢/١٦٥ رقم ٢١٣٦) والطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦) والحاكم (٢/٣٤٠) من طريق يحيى بن أبي كثير به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه الطيالسي (٧٩ رقم ٥٨٣) والترمذي (٤/٤٦٣ رقم ٢٢٧٥) والحاكم (٤/٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤/ ١٨٥ رقم ٤٧٥٣) من طريق يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، نبئت عن عبادة بن الصامت به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/١٣٢) : ظاهر هذا اللفظ الانقطاع ، فكيف يكون على شرط الشيخين أو صححاه في الجملة؟! قال ابن عساكر في أطرافه : وأبو سلمة لم يسمع من عبادة . والعجب من الذهبي كيف أقره على ذلك! اهـ .

وقوله : ﴿وفي الآخرة﴾ يعني : الجنة ﴿لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار .

﴿ولا يحزنك قولهم﴾ يقوله للنبي ﷺ لقول المشركين له : إنَّك مجنونٌ ، وإنك ساحرٌ ، وإنَّك كاذبٌ ، وإنَّك شاعرٌ .

﴿إن العزة لله جميعًا﴾ فينصرك عليهم .

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

= وقال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص٨٤ رقم ١٨) : رجاله ثقات إلا أنه معلول ؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة .

وقال ابن حجر في النكت الظراف (٢٦٣/٤ - ٢٦٤) : أخرجه ابن منده في كتاب الروح من طريق الأوزاعي ، عن يحيى ، حدثني أبو سلمة ، حدثني عبادة . أخرجه عن خيثمة بن سليمان ، عن العباس بن الوليد بن مزيد ، عن أبيه ، عن الأوزاعي . ورجاله كلهم ثقات . اهـ .

قلت : لكن رواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١١) حدثنا العباس بن الوليد به ، وفيه : قال : « سأل عبادةُ بن الصامت رسولَ الله . . . » فأرسله ، والله أعلم .

ورواه الضياء في المختارة (٢٥٩/٨ - ٢٦٠ رقم ٣٥١) من طريق شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، عن عبادة .

ورواه الإمام أحمد (٣٢٤/٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢١٣/١ - ٢١٤ رقم ٤٨٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت .

ورواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤، ١٣٧ - ١٣٨) والطبراني في معجم الشاميين (١١٨/٢ - ١١٩ رقم ١٠٢٥، ١٠٢٦) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (١٣٢/٢ - ١٣٣) - والضياء في المختارة (٢٧٧/٨ - ٢٧٨ رقم ٣٣٩، ٣٤٠) من طريق حميد بن عبد الله عن عبادة .

وللحديث شواهد عن عدة من الصحابة ، انظر : تخريج الكشاف (١٣٢/٢ - ١٣٥) ومختصره الكاف الشاف (٨٤ - ٨٥) والدر المنثور (٣٣٧/٣ - ٣٣٨) .

مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ .

قال محمدٌ : (ألا) افتتاح كلام وتنبيه ؛ أيْ : له من في السموات ومن في الأرض ، يفعل فيهم وبهم ما يشاء .

﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ يقول : إن الذين تعبدون من دون الله ليسوا بشركاء لله تعالى .

﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ يقول : يعبدون أوثانَهُمْ ، ويقولون : إنها تقربهُمْ إلى الله - عز وجل - زلفى ، وما يقولون ذلك بعلم ، إن هو منْهُمْ (ل١٤١) إلا ظن ، وإن هم إلا يكذبون ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني : لتستقروا فيه من النَّصَبِ[1] ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي : منيرًا لتبتغوا فيه معايشكم .

قال محمدٌ : قيل : ﴿مبصرًا﴾ يعني : مبصرًا فيه ؛ كما تقول : ليلٌ نائم ، وإنما يُنَامُ فيه[2].

﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي : ما عندكم من حُجَّة بهذا الذي قلتم ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي : نَعَمْ ، قد قلتم على الله ما لا تعلمون ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ ثم انقطع الكلام ﴿متاعٌ في الدنيا﴾ يقول : الدنيا وما هم فيه متاعٌ يستمتعون به ، ثم ينقطع إذا فارقوا الدنيا .

قال محمدٌ : ﴿متاعٌ﴾ مرفوعٌ على معنى : ذلك متاعٌ في الدنيا[3].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ

---

(١) النَّصَب : التَّعَب . ينظر : لسان العرب (نصب) .

(٢) أي : التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول ، وهذا كثير في اللغة .

(٣) وفيه وجه نحوي آخر ينظر : البحر المحيط (٥/١٧٧ - ١٧٨) .

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ بالدعاءِ إلى الله - عز وجل - ﴿وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي: وأجمعوا شركاءكم ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة﴾ أي: في ستر، ليكن ذلك علانية.

قال محمدٌ: (غمة) مشتقة من: الغمامة التي تَسْتُرُ؛ ومنه قوله: «غُمَّ الْهِلالُ» وقد يجوز أن يكون قوله: (غُمَّة) أي: غمًّا؛ يقال غَمٌّ وغُمَّةٌ[1].

قالت الخنساء[2]:

وذِي كُرْبَةٍ راخى ابنُ عمروٍ خِنَاقَهُ ... وغُـمَّـتُـهُ عن وجـهِه فَتَـجَلَّـتِ[3]

قوله عز وجل: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أي: اجهدوا جُهْدَكم ﴿ولا تنظرون﴾ طرفة عين؛ أي: أنكم لا تقدرون على ذلك؛ وذلك حين قالوا: ﴿لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾[4].

﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فما سألتكم﴾ على ما أدعوكم إليه من هذا الدين أجرًا، فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم إليه.

﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ في السفينة ﴿وجعلناهم خلائف في الأرض﴾ بعد الهالكين.

﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ المشركين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ

(١) لسان العرب (غمم).

(٢) وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث الرياحية السلمية. أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. وتوفيت سنة ٢٤ للهجرة. ينظر الأعلام (٨٦/٢).

(٣) ويروى: ومُختنق .....وغُمّيَّة .....إلخ. وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوان الخنساء (٣٤٠).

(٤) الشعراء: ١١٦.

لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني : اليَدَ والعصا .

﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرٌ هذا﴾ قال اللّه - عز وجل - : ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ .

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا وتحولنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون : أنا وجدناهم عبدة أوثان ، فنحن على دينهم ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي : وتريد أن تكون لك ولهارون الملك والسلطان في الأرض .

قال محمد : إنما سمى الملك كبرياء ؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا ، وأصل الكبرياء : العظمة[1].

﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ **قال محمدٌ** : (ما) بمعنى الذي ؛ أي : الذي جئتم به السِّحْر[2].

﴿ويحق اللّه الحق﴾ الذي جاء به موسى ﴿بكلماته﴾ بوعده الذي وعد موسى يعني : قوله له : ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾[3].

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

---

(١) وكذا الكِبْر . ينظر : لسان العرب (كبر) .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر : البحر المحيط (١٨٣/٥) ، الدر المصون (٤/٥٨ - ٥٩) .

(٣) طه : ٦٨ .

﴿فما آمن لموسى إلا ذريةٌ من قومه﴾ قال مجاهد[١]: يعني: أولاد الذين أرسل إليهم موسَى ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ يعني: أشرافهُمْ ﴿أن يفتنهم﴾ أن يقتلهم فرعون ﴿وإن فرعون لعالٍ في الأرض﴾ أي: لباغ يبغي عليهم ويتعدّى ﴿وإنه لمن المسرفين﴾.

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم باللّٰه﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدَّقوا، ولكنه كلامٌ من كلام العرب؛ تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا؛ وهو يعلم أنه كذلك، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ قال مجاهد[٢]: يقولون: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم؛ فيفتنوا بنا.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصرَ بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ تفسير مجاهد[٣]: أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلي القبلة يصلون فيها [سرًّا، لما][٤] خاف (ل١٤٢) موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة.

﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ هذا دعاءٌ عليهم؛ يقول: ربنا فأضلهم عن سبيلك؛ وذلك حين جاء وقت عذابهم [...][٥] عليهم.

---

(١) رواه الطبري (١١/١٤٩).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٤٠) لابن المنذر وابن أبي شيبة وأبي الشيخ.
(٢) رواه الطبري (١١/١٥٢) وابن أبي حاتم (٦/١٩٧٦ رقم ١٠٥٢٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٤٠) لابن المنذر وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٣) انظر تفسير الطبري (١١/١٥٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٩٧٧ رقم ١٠٥٢٩).
(٤) طمس في الأصل؛ والمثبت من تفسير ابن كثير (٤/٢٢٤).
(٥) طمس في الأصل.

﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ فَمُسِخَتْ دنانيرهم ودراهمُهم وزروعُهم حجارةً ﴿واشدد على قلوبهم﴾ بالضلالة ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاء أيضًا ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ فحيل بينهم وبين أن يؤمنوا .

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا﴾ العَدْوُ : العُدْوان .

قال محمد : قوله : ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي : لحقهم ؛ يقال : أتبعْتُ القوم : لحقتهم ، وتبعتُهم : جئت في إثرهم[١].

﴿حتى إذا أدركه الغرق ...﴾ الآية يقول الله – عز وجل – : ﴿آلآن وقد عصيت﴾ لأنه آمن في حين لا يقبل الله فيه الإيمان ؛ وقد مضتْ سنة الأولين في الذين خلوا من قبل أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب .

﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ تفسير مجاهد[٢]: بجسدك ، فقذفه البحر عريانًا على شاطئ البحر ﴿لتكون لمن خلفك﴾ لمن بعدك ﴿آية﴾ فيَعْلَمُ أنك عبدٌ ذليلٌ قد أهلكك الله – عزّ وجل – وغرَّقك ﴿وإن كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يعني : المشركين لا يتفكّرون فيها ولا ينظرون .

﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبوأ صدق﴾ أي : أنزلناهم منزل صدق ﴿ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ هي كقوله : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم

---

(١) وقال الأخفش : تَبِعَه وأَتْبَعه بمعنًى ؛ مثل : رَدِفَه وأردفه . ومنه قوله تعالى : ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (تبع) .

(٢) رواه الطبري (١١/١٦٥) ورواه ابن أبي حاتم (٦/١٩٨٣ رقم ١٠٥٦٩) مختصرًا .
وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٤٣) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف .

البينات﴾[١].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿فإن كنت في شكٍّ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ يعني: من آمن منهم.

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»[٢].

﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننَّ من الممترين﴾ يعني: الشاكين.

﴿إن الذين حقت عليهم (كلمات)[٣] ربك لا يؤمنون﴾ الآية، هم الذين يلقون الله - عز وجل - بكفرهم.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية آمنتْ فنفعها إيمانها﴾ تفسير قتادة[٤]: يقولون: لم يكن هذا في الأمم؛ لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله - عز وجل - ﴿إلا قوم يونُس لما آمنوا

---

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٩٨) وفي المصنف (٦/١٢٥ - ١٢٦ رقم ١٠٢١١) والطبري في تفسيره (١١/١٦٨) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/١٤٠): وهو معضل.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٨٦ رقم ١٠٥٨٣) عن ابن عباس قال: «لم يشك رسول الله ولم يسأل».

(٣) هكذا بالأصل جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر، أما قراءة الإفراد ﴿كلمة﴾ فهي قراءة باقي السبعة. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢/٢٦٢) التيسير (١٢٢).

(٤) رواه الطبري (١١/١٧١) وابن أبي حاتم (٦/١٩٨٨ رقم ١٠٥٩٨) بمعناه.

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٤٤) لابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ قال قتادة[1]: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بموضع من أرض «الموصل» فلمّا فقدوا نبيَّهُمْ ، قذف الله - عز وجل - في قلوبهم التوبة ، فلبسوا المُسُوحَ[2]، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، فعجُّوا[3] إلى الله أربعين ليلةً ، فلما عرف الله - عز وجل - الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة منهم على ما مضى كشف عنهم العذاب بعد ما نزل عليهم .

قال يحيى : بلغني أنه كان بينهم وبين العذاب أربعةُ أميالٍ .

وقوله : ﴿ومتعناهم إلى حين﴾ يعني : إلى الموت بغير عذاب .

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي : لا تستطيع فعل ذلك إنما يؤمن من يريد اللَّهُ - عز وجل - أن يؤمن .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يعني : رجاسةَ الكفر .

﴿قل انظروا ماذا في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها ، وما فيها من العجائب ﴿والأرض﴾ من بحارها وشجرها وجبالها ؛ ففي هذه آياتٌ وحُجَجٌ عظام ﴿وما تغني الآياتُ والنذرُ عن قوم لا يؤمنون﴾ إذا لم يقبلوها ، ويتفكروا فيها . ﴿فهل ينتظرون إلاَّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ يعني : وقائع الله - عز وجل - في الأمم السَّالفة التي أهلكهم بها حين كذبوا رسُلَهُمْ .

---

(١) رواه الطبري (١٧١/١١) وابن أبي حاتم (١٩٨٨/٦ رقم ١٠٥٩٩) بمعناه.
وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٤/٣) لابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٢) واحدها : المِسْح ؛ وهو ثوب من الشعر غليظ . ويُجمع أيضًا على : أَمْسَاح . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (مسح) .

(٣) العَجّ : رفع الصوت أي : بالذكر والدعاء . لسان العرب (عجج) .

﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي : سينزل بكم ما نزل بهم ؛ أخر الله - عز وجل - عذاب آخر كفار هذه الأمة إلى (ل١٤٣) النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ، ولم يهلكهم حين كذَّبوا النبي بعذاب الاستئصال ، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال ، فلم يبق منهم أحدٌ .

﴿ثم ننجي رُسُلَنا والذين آمنوا﴾ يقول : كنا إذا أهلكنا قومًا أنجينا النبي والمؤمنين ، الآية .

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من ديني﴾ يعني : المشركين ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ...﴾ الآية .

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وأن أقم وجهك ...﴾ أي : وجْهتك إلى قوله عز وجل : ﴿فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين﴾ أي : ولست فاعلاً .

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ يعني : القرآن ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ وهي كقوله عز وجل : ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾[1].

﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم ؛ حتى أجازيكم بها ، إنما أنا منذرٌ أبلغكم رسالة ربي .

﴿واصبر﴾ على ما يقول لك المشركون ﴿حتى يحكم الله﴾ فيأمُرك بالهجرة والجهاد ﴿وهو خير﴾ أفضل ﴿الحاكمين﴾ .



(١) فصلت : ٤٦.

تفسير سورة هود وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾

قوله عز اسمه : ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ أي : هذا كتابٌ ﴿أحكمت آياته﴾ يعني : القرآن ﴿ثم فصلت﴾ بُينت ؛ بيّن فيها حلالهُ وحرامه وطاعته ومعصيته ﴿من لدن﴾ من عند ﴿حكيم﴾ أحكمه بعلمه ﴿خبير﴾ بأعمال العباد .

﴿ألا تعبدوا إلا اللّه إنني لكم منه نذير﴾ يقوله للنبي ﷺ قل : لا تعبدوا إلا اللّه ؛ إنني لكم منه نذير ؛ أنذركُمْ عقابه إن لم تؤمنوا ﴿وبشير﴾ بالجنة لمن آمن .

﴿وأن استغفروا ربكم﴾ من الشرك .

﴿يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى﴾ يعني : الموت ، ولا يهلكهم بالعذاب .

﴿ويؤت كل ذي فضلٍ فضله﴾ كقوله : ﴿ولكل درجاتٌ مما عملوا﴾[1] ﴿وإن تولوا﴾ عن هذا القرآن ، فيكذبوا به ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ .

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ .

قال الحسن : يثنون صدورهم على ما هم عليه من الكفر ؛ ليستخفوا منه بذلك ؛ يظنون أن اللّه – عز وجل – لا يعلم الذي يستخفون به . قال بعضهم : هم المنافقون .

---

(١) الأنعام : ١٣٢، الأحقاف : ١٩.

قال محمد : معنى ﴿يثنون صدورهم﴾ : يطوون ما فيها ويسترونه .

﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ **قال محمد** : معنى ﴿يستغشون ثيابهم﴾ : يستترون بها ؛ يقال : استغشيت ثوبي وتغشيته[1].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ تفسير ابن مسعود[2]: مستقرها : الأرحام ، ومستودَعُها : الأرض التي يموت فيها .

يحيى : عن صاحب له ، عن الحسن بن دينار ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن ابن مسعود قال : « إذا أراد اللَّه - عز وجل - أن يقبض عبدًا بأرضٍ جعل له بها حاجة ؛ فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض : رب هذا ما استودعتني »[3].

---

(١) ويقال : استغشيتُ بثوبي ، وتغشَّيتُ به ؛ متعدِّيًا بحرف الباء . ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (غشى) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٢/٥ رقم ٨٩٥) وعبد الرزاق (٢١٥/١) والطبري (٢/١٢) وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢، ٢٠٣ رقم ١٠٦٨٠، ١٠٦٨٦) .

وعزاه السيوطي في الدر لسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني .

(٣) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٧/٥ رقم٨٩٤) عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد به .

ورواه الدارقطني في العلل (٢٣٩/٥) من طريق يحيى القطان عن إسماعيل به .

ورواه ابن ماجه (١٤٢٤/٢ رقم ٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في السنة (١٧٣/١ رقم ٣٩٢) والبزار في مسنده (٢٧٤/٥ - ٢٧٥ رقم ١٨٨٩) والحاكم في المستدرك (٤١/١) والبيهقي في الشعب (١٧٢/٧ رقم ٩٨٨٩) من طريق عمر بن علي المقدمي عن إسماعيل بن أبي خالد به مرفوعًا .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رفعه إلا عمر بن علي المقدمي .

وقال الحاكم : قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم ، وعمر بن علي المقدمي متفق على إخراجه في الصحيحين ، وقد تابعه محمد بن خالد الوهبي على سنده عن إسماعيل . اهـ .

ثم رواه الحاكم (٤١/١ - ٤٢، ٣٦٧) من طريق محمد بن خالد الوهبي عن إسماعيل بن أبي خالد به ، وقال الحاكم : وقد أسنده هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد . اهـ .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٦/١٠ رقم ١٠٤٠٣) والحاكم (٤٢/١) من طريق موسى بن محمد بن حيان عن ابن مهدي ، عن هشيم به .

وقال الحاكم : فقد أسند هذا الحديث ثلاثة من الثقات عن إسماعيل ووقفه عنه سفيان بن عيينة ، فنحن على ما شرطنا في إخراج الزيادة من الثقة في الوصل والسند . اهـ . =

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم بالأمر والنهي ﴿أيكم أحسن عملا﴾ فيما ابتلاكم به من الأمر والنهي .

قال محمد : المعنى : يختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه ؛ وهو قد علم قبل ذلك أيهم أحسن عملاً .

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ

= وسأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث من طريق محمد بن خالد الوهبي ، فقال أبو حاتم : الكوفيون لا يرفعونه . قال ابن أبي حاتم : هذا الحديث معروف بعمر بن علي بن مقدم ، تفرد به عن إسماعيل بن أبي خالد ، وتابعه على روايته محمد بن خالد الوهبي . علل الحديث (١/٣٦٢ رقم ١٠٧٣) .

ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٥/٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٨٤٨) : يرويه إسماعيل بن أبي خالد ، فرفعه عنه عمرو بن علي المقدمي ومحمد بن خالد الوهبي وهشيم - من رواية موسى بن حيان عن ابن مهدي عنه - وغيره يرويه عن هشيم ولا يرفعه .

وكذلك رواه ابن عيينة ويحيى القطان وغيرهما موقوفًا ، وهو الصواب . اهـ .

وله شاهد عن أبي عزة مرفوعًا : « إن الله - تبارك وتعالى - إذا أراد قبض روح عبدٍ بأرض جعل له فيها - أو قال : بها - حاجة » .

رواه الإمام أحمد (٣/٤٢٩) - واللفظ له - والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٠) والترمذي (٤/٣٩٤ رقم ٢١٤٧) وابن حبان (١٤/١٩ رقم ٦١٥١) والحاكم (١/٤٢) وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ورواته عن آخرهم ثقات .

وألزم الدارقطني الشيخين إخراجه في الإلزامات (ص٨٦) .

وله شاهد ثاني عن مطر بن عكامس رواه الترمذي (٤/٣٩٤ رقم ٢١٤٦) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/٢٢٧) والحاكم (١/ ٤٢، ٣٦٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وله شاهد ثالث عن جندب بن سفيان ، رواه الحاكم (١/٣٦٧) .

ورابع عن عروة بن مضرس ، رواه الحاكم (١/٣٦٧ - ٣٦٨) .

إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿ولئن أخَّرنا عنهم العذاب إلى أمةٍ معدودةٍ﴾ أي : إلى حينٍ معدود .

قال محمدٌ : يقال : إنما سمي الحين أُمَّة ؛ لأنَّ الأُمة من الناس تنقرض في حين[1].

﴿ليقولون ما يحبسهُ﴾ قال الله - عز وجل - : ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ أي : ليس يستطيع أحدٌ أن يصرفه عنهم ﴿وحاق بهم﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني : عذاب الآخرة ؛ في تفسير الكلبي .

﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ يعني : المشرك ﴿منا رحمة﴾ يعني : صحة وسعة في الرزق ﴿ثم نزعناها منه إنه ليئوس﴾ من رحمة الله (ل ١٤٤) أن تصل إليه فيصيبه رخاءٌ بعد شدة ﴿كفورٌ﴾ لنعمة الله تعالى .

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسَّته﴾ أي : عافيناه من تلك الضَّراء التي نزلت به ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ ذهب الضر عني ﴿إنه لفرحٌ﴾ بالدنيا ﴿فخورٌ﴾ يقول : ليست له حِسْبَةٌ[2] عند ضراء ، ولا شكر عند سراء ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ استثنى الله - عز وجل - أهل الإيمان ؛ أي : أنهم لا يفعلون الذي بَيَّنَ من فعل المشركين .

﴿فلعلك تارك بعضَ ما يوحى إليك﴾ خاطب بهذا النبي ؛ فلا تبلغ عني مخافة قومك ﴿وضائق به صدرك أن يقولوا﴾ بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ هلا أنزل عليه مالٌ ؛ فإنه فقير ﴿أو جاء معه ملك﴾ فيخبرنا أنه رسولٌ ﴿إنما أنت نذيرٌ والله على كل شيءٍ وكيل﴾ حفيظٌ لأعمالهم ؛ حتى يجازيهم بها .

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

---

(١) ومنه أيضًا قولُ الله - تعالى - : ﴿وادَّكر بعد أُمَّة﴾ . لسان العرب ، مختار الصحاح (أمم) .

(٢) أي : احتساب الأجر وادِّخاره عند الله ، والصبر عليه . ينظر : لسان العرب القاموس المحيط (حسب) .

﴿أم يقولون افتراه﴾ افترى محمد القرآن : اختلقه ؛ أي : قد قالوا ذلك .

﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ أي : استعينوا من أطاعكم من دون الله .

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ فيأتوا بعشر سورٍ مثله ، ولن يفعلوا ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي : من عند الله .

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني : المشرك لا يؤمن بالآخرة ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني : جزاء حسناتهم ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ لا يُنْقَصُون حسناتهم التي عملوا .

﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ بطل ما عملوا في الدنيا من حسناتٍ في الآخرة ؛ لأنهم جُوزُوا بها في الدنيا .

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي : بيان ويقين ؛ يعني : محمدًا عليه السلام ﴿ويتلوه شاهدٌ منه﴾ تفسير الكلبي : جبريل شاهدٌ من الله - عز وجل - ﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إمامًا ورحمة﴾ يعني : لمن آمن به .

يقول : أفمن كان علي بيِّنة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه ؛ هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؟! أي : أنهما لا يستويان عند الله عز وجل .

قال محمدٌ : يجوز النصب في قوله : ﴿إمامًا ورحمةً﴾ على الحال[1].

﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني : المؤمنين يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ قال قتادة :

---

(١) ينظر : الدر المصون (٨٦/٤) .

يعني: اليهود والنصارى ﴿فالنارُ موعِدُه﴾ ﴿فلا تك في مرية منه﴾ في شكٍّ أنَّ من كفر به؛ فالنارُ موعده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وافتراؤهم على الله – تعالى – أن قالوا إن الله – عز وجل – أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان، وتكذيبهم بمحمدٍ. ﴿أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد﴾ الأنبياء ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ...﴾ الآية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ يسبقونا حتى لا نبعثهم، ثم نعذبهم. ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿يضاعف لهم العذاب﴾ في النار ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ سمع الهدى؛ يعني: سمع قبول إذ كانوا في الدنيا ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الهدى.

﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم ضلت عنهم؛ فلم تغن عنهم شيئًا ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (لا جرم) كلمة وعيد.

قال محمدٌ: جاء عن ابن عباس؛ أنه كان يقول: معناها: حقًّا. وذكر الزجاج عن سيبويه أنه قال: (جرم) معناها: حقّ، ودخلت (لا) للنفي، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك حقّ أن لهم النار[1].

---

(١) قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لابدَّ ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثرت حتى تحوّلت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة (حقًّا) فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم. لسان العرب، مختار الصحاح (جرم).

وأنشد [...][1]

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جرَمتْ فزارة بعدها أن يغضبوا[2]

يقول : [أحقَّت الطَّعنةُ فزارةَ][3] الغضبَ .

قال محمدٌ : وأنشد قطرب[4]: جرمت (فزارةُ بعدها أن يغضبوا)[5].

(ل١٤٥) حق لهم الغضب .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي : أنابوا مخلصين . ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا﴾ أي : لا يستويان مثل الكافر مثل الأعمى والأصم ؛ لأنه أعمى أصم عن الهدى ، والبصير والسميع مثل المؤمن ؛ لأنه أبصر الهدى وسمعه ؛ يقول : فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا ؛ فكذلك لا يستويان عند الله في الدين .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) قطع في الأصل .

(٢) البيت من بحر الكامل . ويُنسب لأبي أسماء بن الضريبة ، وقيل : هو لعطية بن عفيف . ينظر : اللسان (جرم) ، الكتاب (٤٦٩/١) ، المقتضب (٣٥١/٢) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من لسان العرب (جرم) .

(٤) هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي ، أخذ عن سيبويه ، وجماعة من البصريين (ت٢٠٦هـ) . ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (٢١٩/٣) .

(٥) طمس بالأصل . والرواية برفع (فزارة) ينظر : لسان العرب (جرم) ، الكتاب (٤٦٩/١) .

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ سفلتنا ﴿بادي الرأي﴾ أي : فيما يظهر لنا ﴿وما نرى لكم علينا من فضلٍ﴾ في الدين ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ يعنون : نوحًا ومن آمن معه .

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ على بيان ﴿وآتاني رحمةً من عنده﴾ يعني بالرحمة : النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أن تبصروها بقلوبكم وتقبلوها ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ .

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ يعني : على ما أدعوكم إليه من الهدى ﴿مالًا﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المال الذي أسألكموه .

﴿إنْ أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على اللَّه وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم﴾ فيحاسبهم بأعمالهم .

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن اللَّه﴾ أي: خزائن علم اللَّه ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ .

قال محمدٌ : (تزدري) أي : تستقلُّ وتستخسُّ[1].

﴿لن يؤتيهم اللَّه خيرًا﴾ في العاقبة ؛ أي : أنَّه سيؤتيهم بذلك خيرًا ؛ إن كانت قلوبهم صادقةً .

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ

---

(١) ويقال فيه : زَرَى عليه ، وأَزْرَى به ، وازدراه . لسان العرب (زرى) .

ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ مَارَيْتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾ .

﴿إن كان اللّه يريد أن يغويَكُمْ﴾ يضلكم .

قال محمدٌ : (يغويكم) أصله يهلككم ؛ تقول العرب : أغويتُ فلانًا ؛ أي : أهلكته ، ومنه قولهم : غوى الفصيل ؛ إذا فقد اللبن ، فمات[١].

﴿أم يقولون افتراه﴾ إن محمدًا افترى القرآن ﴿قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾ يقول : فعليَّ عملي ، وأنا بريءٌ مما تعملون .

قال محمدٌ : الإجرام : الإقدام على الذنب ؛ وهو مصدر أجرمت[٢].

﴿وأوحي إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال قتادة[٣]: ذلك حين دعا عليهم ؛ فقال : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾[٤].

﴿فلا تبتئس﴾ أي : لا تحزن لهم ﴿بما كانوا يفعلون﴾ .

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحْينا﴾ كما نأمرك بعملها ﴿ولا تخاطبْني﴾ تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أنفسهم بشركهم .

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) لسان العرب (غوى) .

(٢) ويقال منه : جَرَم ، وأَجْرَم ، واجْتَرَم . لسان العرب (جرم) .

(٣) رواه الطبري (١٢/٣٣) وابن أبي حاتم (٦/٢٠٢٤ رقم ١٠٨٢٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٥٤) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٢٩٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) نوح : ٢٦.

﴿ويصنع الفلكَ﴾ السفينة ﴿وكلما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه﴾ عمل نوحٌ الفلك بيده ، فكان يمر عليه الملأ من قومه فيقولون له استهزاءً به : يا نوحُ ، بينما أنت تزعم أنك رسولُ ربِّ العالمين إذ صرْت نجارًا .

﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ **قال محمدٌ** : المعنى : نستجهلكم كما تستجهلون .

قال يحيى : وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه ، فيذهبُ به إلى نوحٍ فيقول : أيْ بُنَيَّ ، لا تطعْ هذا ؛ فإنَّ أبي قدْ ذهب بي إليه وأنا مثلك فقال : أيْ بُنَيَّ لا تطعْ هذا .

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني : عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه عذابٌ مقيمٌ﴾ دائمٌ .

﴿حتى إذا جاء أمْرُنا﴾ يعني : عذابنا ﴿وفار التنور﴾ (التنور) في تفسير الحسن : الباب الذي يجتمع فيه ماءُ السفينة ، ففار منه الماء والسفينة على الأرض ، فكان ذلك علامة لإهلاك القوم .

وقال بعضهم : التنور عين ماء كانت بالجزيرة ، يقال لها : التنور ، وبعضهم يقول : كان التنور في أقصى داره .

سعيدٌ : عن قتادة[١] قال : كان التنورُ أعلى الأرض[٢].

﴿قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين﴾ أي : احمل زوجين اثنين من (ل١٤٦) كل صنف ، الواحدُ : زوجٌ ، والاثنان : زوجان[٣]، فحمل فيها من جميع ما خلق اللَّه - عز وجل - من البهائم والهوام والسباع ودواب البر والطير والشجر ، وشكوْا إلى نوحٍ في السفينة الزبْلَ[٤]؛ فأوحى اللَّه - عز وجل - إلى نوحٍ أن يمسح بيده على ذَنَبِ الفيل ، ففعل فخرج منه خنزيران ، فكانا يأكلان الزبْلَ ، وشكوا إلى اللَّه الفأرة فأوحى اللَّه - عز وجل - إلى الأسد - ألقى في قلبه - فعطس الأسدُ

---

(١) رواه الطبري (٣٩/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٢٩/٦ رقم ١٠٨٦٠) .

(٢) وقال مجاهد والشعبي : كان هذا التنور بالكوفة . وعن ابن عباس : عين بالهند . وعن قتادة : عين بالجزيرة : يقال لها : عين الوردة . تفسير ابن كثير (٢٥٤/٤) .

(٣) ويقال للاثنين أيضًا : هما زوج ؛ كما يقال : هما سِيَّان ، وهما سَوَاء . لسان العرب ، مختار الصحاح (زوج) .

(٤) الزبل هو السِّرْجين . لسان العرب (زبل) .

فخرج من منخريه سنوْران[1]، فكانا يأكلان الفأرة ، وشكوا إلى نوح عَرَامة[2] الأسد ، فدعا عليه نوحٌ فسلط اللَّه - عز وجل - عليه الحُمَّى .

قال الحسن : وكان طول السفينة فيما بلغنا ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعَرْضها ستمائة ذراع .

يحيى : قال بعضهم : وكان رأسها مثل رأس الحمامة ، وذنبها كذنب الديك مطبقة تسير ما بين الماءين : ماء السماء ، وماء الأرض .

قال يحيى : وبلغني أنه كان في السفينة ثلاثة أبواب : بابٌ للسباع والطيْر ، وبابٌ للبهائم ، وبابٌ للناس ، وفصل بين الرجال والنساء : بجسد آدم حمله نوحٌ معه .

قوله عز وجل : ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القوْلُ﴾ الغضب ؛ يعني : ابْنه ﴿ومن آمن﴾ أي : واحملْ من آمن ، قال اللَّه - عز وجل - : ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ قال السُّدي : يعني : ثمانين نفسًا ؛ أربعون رجلاً ، وأربعون امرأةً .

قال قتادة[3]: لمْ ينجُ في السفينة إلا نوحٌ وامرأتُه وثلاثة بنين له : سامٌ وحامٌ ويافث ، ونساؤهم ؛ فجميعهم ثمانيةٌ .

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾

﴿وقال اركبوا فيها بسم اللَّه مجراها ومُرْساها﴾ قال قتادة : قد بيَّنَ اللَّه - عز وجل - كل ما

---

(١) السِّنَّوْر : حيوان أليف ، من رُتْبة اللواحم ، من خير مأكله الفأر ، ومنه أهلي وبري . والجمع : سنانير . ينظر المعجم الوسيط (سنر) .

(٢) عَرُم يَعْرُم عَرَامةً وعُرامًا : شرس واشتد . ولعل ذلك هو المراد في النص ، واللَّه أعلم . لسان العرب (عرم) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٤٢/١٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٠٣١/٦ رقم ١٠٨٧٣) .

تقولون ؛ إذا ركبتُم في البر ، وإذا ركبتم في البحر ؛ إذا ركبتم في البر قلتم : ﴿سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾[١] وإذا ركبتم في البحر قلتم : ﴿بسم اللَّه مجراها ومُرْساها﴾ .

قال محمد : من قرأ : ﴿باسم اللَّه مُجْراهَا ومُرْساها﴾ بضم الميمَيْنِ جميعًا[٢] فمعنى ذلك : باللَّه إجراؤُها ، وباللَّه إِرْساؤها ؛ يقال : جرت السفينة وأجريتُها أنا مَجْرًى وإجراءً في معنًى واحدٍ[٣]، ورسَتْ وأرْسَيْتُها مَرْسًى وإرساءً[٤].

﴿قال لا عاصِمَ اليوم من أمر اللَّه إلا مَنْ رَحِم﴾ يعني : الذين كانوا في السفينة .

قال محمدٌ : ﴿لا عاصِمَ﴾ في معنى : لا معصوم[٥]؛ كما قالوا : ماءٌ [دافق][٦] بمعنى مدفوق .

﴿وغيض الماء﴾ أي : نقص .

قال محمدٌ : يقال : غاض الماءُ يغيض إذا غاب في الأرض[٧].

وقرأ بعضهم (غيض الماء) بإشمام الضم في الغينْ ، ومن قرأ بهذا أراد الأصْلَ فُعِل[٨]، ومن كسر فللياء التي بعد فاء الفعل[٩].

﴿وقضي الأمر﴾ فُرِغَ منه ؛ يعني : هلاك قوم نوح .

﴿واستوت على الجودي﴾ جبل بالجزيرة .

قال قتادة : وبلغني أنّ السفينة لمّا أرادتْ أن تقف ، تطاولت لها الجبال كلُّ جبلٍ منها يحب أن

---

(١) الزخرف : ١٣.

(٢) قرأ الأخوان وحفص (مَجْراها) بفتح الميم ، والباقون بضمها ، وقرأ الجمهور بضم ميم (مُرْساها) ، وقرأ الثقفي وزيد بن علي والأعمش (مَرْساها) بفتح الميم ، وقرأ ابن وثاب والكلبي والجحدري وغيرهم (مُجْريها ومُرْساها) . ينظر : السبعة (٣٣٣) ، النشر (٢/٢٨٩) ، الحجة (١٨٧) .

(٣) جرت السفينةُ جَرْيًا وجَرَيانًا ومَجْرًى ، وأجريتُها مُجْرًى وإجراءً . لسان العرب (جرى) .

(٤) رَسَتْ السفينة رُسُوًّا ومَرْسًى ، وأَرْسيتُها مُرْسًى وإرْساءً . ينظر : لسان العرب (رسو) .

(٥) أي : التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول ، وهذا كثير في الكلام .

(٦) سقط من « الأصل » وأثبته تبعًا لسياق الكلام ، ويدل له ما بعده .

(٧) وإذا قلّ ونضب . لسان العرب (غيض) .

(٨) وهي قراءة الكسائي من السّبْعة . ينظر : التيسير (٧٢) ، النشر (٢/٢٠٨) .

(٩) وهي قراءة السبعة إلا الكسائي . ينظر : التيسير (٧٢) ، النشر (٢/٢٠٨) .

تقف عليه، وتواضع الجودي[١]، فجاءت حتى وقفت عليه، وأبقاها الله - عز وجل - عبرةً وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وبلغني أنها استقلَّتْ بهم في عشر خَلَوْنَ من رجب، وكانت في الماء خمسين ومائة يومًا، واستقرَّتْ بهم على الجودي شهرًا، وأُهْبِطُوا إلى الأرض في عشر خَلَوْن من المحرَّم.

قال قتادة[٢]: وذُكِرَ لنا أنَّ نوحًا عليه السلام بعثَ الغراب لينظر إلى الماء؛ فوجد جيفةً فوقع عليها، فبعث إليه [الحمامة][٣] فأتته بورق زيتون، فأُعطيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجليها.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، وكان [ابنه][٤] يظهر الإيمان ويُسِرُّ الشرك، ونوحٌ لا يعلم؛ في تفسير الحسن. قال الحسن: ولولا ذلك لمْ يناده؛ وهو يعلم أن الله - عز وجل - مغرق الكفار، وأنه قضى أنه إذا نزل العذاب على قومٍ كذَّبوا رسولَهُمْ ثم آمنوا، لم يقبل منهم.

﴿إنه عمل غير صالح﴾ يقول: إن سؤالك إياي ما ليس لك به علمٌ عملٌ غير صالح (ل١٤٧) ﴿فلا تسألنِ ما ليس لك به علم﴾ قال الحسن أي: أنك لمْ تكن تعلم ما يُسِرُّ من النفاق.

يحيى: عن حماد، عن ثابت البُنَاني، عن شهْر بن حَوْشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: «إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح»[٥].

---

(١) هو جَبَلٌ بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام. مختار الصحاح (جود).

(٢) رواه الطبري (١٢/٤٨).

(٣) طمس بالأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٤/٢٥٧).

(٤) طمس بالأصل والمثبت مفهوم من سياق الكلام. وانظر أقوال العلماء في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ تفسير ابن كثير (٤/٢٥٩).

(٥) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠) وسعيد بن منصور في تفسيره (٥/٣٤٨ - ٣٤٩ رقم ١٠٩١) =

﴿قيل يا نوح اهبط بسلامٍ منا﴾ يعني: سلامةً من الغرق.

﴿وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك﴾ يعني: نسول(1) من كان معه في السفينة ﴿وأممٌ

= والطيالسي (٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ١٦٣١) وأبو داود (٣٧١/٤ - ٣٧٢ رقم ٣٩٧٨) وأبو عمر الدوري في قراءات النبي (٦٠، ٦١، ٩٨) من طريق حماد - وهو ابن سلمة - به.

ورواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٢٢) وأبو داود (٣٧٢/٤ رقم ٣٩٧٩) والترمذي (١٧٢/٥ رقم ٢٩٣١، ٢٩٣٢) والطيالسي (٢٢٣ رقم ١٥٩٤) ومسدد وابن أبي شيبة في مسنديهما - كما في إتحاف الخيرة (٢٢٠/٦ رقم ٥٧٣٠) - وأبو يعلى (٤٤٩/١٢ - ٤٥٠ رقم ٧٠٢٠) وأبو عمر الدوري (٦٣) والطبراني في الكبير (٣٣٥/٢٣ رقم ٧٧٤ - ٧٧٨، ٢٣/ ٣٣٨ رقم ٧٨٤) وأبو نعيم في الحلية (٣٠١/٨) وغيرهم من طرق عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.

جعلوه من مسند أم سلمة رضي الله عنها.

قال الترمذي: هذا حديث قد رواه غير واحد عن ثابت البناني نحو هذا، وهو حديث ثابت البناني، ورُوي هذا الحديث أيضًا عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قال: وسمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية.

قال الترمذي: كلا الحديثين عندي واحد، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية، وهي أسماء بنت يزيد، وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا.

وقال صالح بن محمد الحافظ عن شهر بن حوشب: كان رجلاً يتنسك إلا أنه روى أحاديث يتفرد بها لم يشركه فيها أحد مثل حديث ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إنه عَمِلَ غَيْرَ صالحٍ﴾...فشهر يروي عن النبي ﷺ أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره. اهـ تهذيب الكمال (٥٨٥/١٢ - ٥٨٦).

وقال الطبري في تفسيره (٥٣/١٢) معلقًا على هذه القراءة: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين، واعتل في ذلك بخبر رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ كذلك غير صحيح السند، وذلك حديث رُوي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول «عن أم سلمة» ومرة يقول «عن أسماء بنت يزيد» ولا نعلم أبنت يزيد [بريد]، ولا نعلم لشهر سماعًا يصح من أم سلمة اهـ.

ووقع في رواية ابن أبي شيبة - في إتحاف الخيرة (٢٢٠/٦ رقم ٣/٥٧٣٠) - عن وكيع عن هارون عن ثابت عن شهر بن حوشب مرسلًا.

وقد رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٢٢) عن وكيع به مسندًا، وكذا رواه الترمذي (١٧٢/٥ رقم ٢٩٣٢) من طريق وكيع مسندًا، والله أعلم.

ورواه البخاري في تاريخه (٢٨٦/١ - ٢٨٧) والحاكم في المستدرك (٢٤١/٢) من طريق إبراهيم بن الزبرقان، عن أبي روق، عن محمد بن جحادة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها.

قال الذهبي: قلت: إسناده مظلم.

(1) واحدها: نَسْل؛ والمراد به: الولد، ينظر: لسان العرب (نسل).

سنمتعهم﴾ في الدنيا يعني: أممًا من نسول من كان معه في السفينة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾ يقول للنبي ﷺ حين انقضتْ قصة نوحٍ: تلك من أخبار الغيب، يعني: ما قصَّ عليه ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومُك﴾ يعني: قريشًا ﴿من قبل﴾ هذا القرآن ﴿فاصبر﴾ على قولهم: إنك مجنونٌ؛ وغير ذلك مما كانوا يقولونه له.

﴿وإلى عادٍ أخاهم هودًا﴾ يقول: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هودًا، أخوهم في النَّسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ وَحِّدُوا الله ﴿ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ كل من عبد غيرَ الله - سبحانه - فقد افترى الكذب على الله - تعالى - لأنَّ الله - عز وجل - أمر العبادَ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

قال محمدٌ: (غيرُه) مرفوعٌ على معنى: ما لكم إله غيرُه[1].

﴿يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾ أي: يُوَسِّعُ لكم من الرزق، وإنما أرزاق العباد من المطر.

قال محمدٌ: معنى (مدرارًا) المبالغة[2]، ونصبه على الحال[3]؛ كأنه قال: يرسل السماء عليكم دارَّةً.

وذكر بعض المفسرين: أنه كان أصابَهُمْ جَدْبٌ.

---

(١) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤).

(٢) من الفِعْل: دَرَّ؛ بمعنى: كَثُر، (ومِدْرَار) صيغة مُبالغة قياسية على وزن (مِفْعال). لسان العرب (درر).

(٣) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤ - ١٠٧).

﴿ويزد كم قوةً إلى قُوّتكم﴾ قال مجاهد[١]: يعني: شدة إلى شِدَّتكُم أي: في أبدانكم.

﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إن نقول إلا اعتراك﴾ أصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ أي: بجنون؛ لأنَّك عِبْتَها؛ يعنون: أوثانهم ﴿فكيدوني جميعًا﴾ أنتم وأوثانكم - أي: اجْهَدُوا جُهْدكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ طرفة عين؛ إن الله - عز وجل - سيَمْنَعُني منكُم؛ قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي: هي في قبضته وقدرته.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿واتبعوا أمْرَ كل جبارٍ عنيد﴾ أيْ: واتبع بعضهم بعضًا على الكفر، والعنيدُ: المجتنب للهُدَى المعاند له.

قال محمدٌ: العنيدُ أصْلُه في اللغة: الجائر، والعندُ عند العرب: الجانِبُ، فقيل للجائر: عنيدٌ مِنْ هذا؛ لأنه مُجَانِبٌ للقصْدِ[٢].

﴿وأُتبِعُوا﴾ أُلحِقُوا ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به ﴿ويَوْم القيامة﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضًا لعنة؛ يعني: عذاب جهنم ﴿ألا بعدًا لعادٍ قوم هود﴾.

قال محمد: (بُعدًا) نصبٌ على معنى: أبعدهم الله، فبعدوا بُعْدًا[٣]؛ أي: من رحمة الله.

---

(١) رواه الطبري (١٢/٥٨).

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (عند).

(٣) أي: نصب على المصدر المؤكد. ينظر البحر المحيط (٥/٢٣٩).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ يريدُ الخلق الأول خلق آدم ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم عمارَها ﴿إن ربي قريبٌ مجيبٌ﴾ قريبٌ ممن دعاه، مجيب له.

﴿قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا﴾ أي: كُنَّا نرجو ألاَّ تشتم آلهتنا، ولا تعبُدَ غيرها.

﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ من الريبة.

﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ نقصان؛ إن أجبْتُكم إلى ما تدعونني إليه.

﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ **قال محمد**: نصب (آية) على الحال[1]؛ كأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحال.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها ﴿فيأخذكم عذابٌ قريب فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدٌ غير مكذوب﴾ فقالوا له: ما آية ذلك حتى نعلم أنك صادق؟ فقال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مُسْوَدّةً، فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنطوا وتكفنوا، فلما أمسَوْا بقوا في [...][2] ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع.

(١) ينظر تفصيل الكلام في نصبها من البحر المحيط (٥/٢٣٩ - ٢٤٠)، الدر المصون (٤/١١٠).
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

قال: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ﴾ (ل١٤٨) قال السُّدي: يعني: صيحة جبريل عليه السلام ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا.

﴿كأن لمْ يغنوا فيها﴾ أيْ: لمْ يعيشوا.

قال محمدٌ: وقيل كأن لمْ ينزلوا فيها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ولقد جاءتْ رسُلُنا إبراهيم بالبشرى﴾ قال قتادة[1]: بإسحاق ﴿قالوا سلامًا قال سلامٌ﴾.

قال محمدٌ: (سلامًا) منصوبٌ على معنى: سلَّمْنا سلامًا[2]، وأما (سلامٌ) فمرفوعٌ على معنى: أمري سلامٌ[3].

﴿فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ﴾ مشوي ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ أنكرهم ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ أي: أضمر خوفًا إذْ لم يأكلوا ﴿فقالوا لا تخف إنا أُرْسِلْنا إلى قومِ لوطٍ﴾ لنهلكَهُمْ ﴿وامرأته قائمة﴾ يعني: سارة امرأة إبراهيم ﴿فضحكتْ﴾ قال الكلبي: لما رأت سارة فَرَق[4] إبراهيم عجبت من فَرَقِهِ، فضحكت[5] وهي لا تدري من القوم، فبشروها بإسحاق، وقالوا: نرجع إليك عامًا قابلاً، وقد ولدت لإبراهيم غلامًا اسمه: إسحاق، ويكون من وراء إسحاق يعقوب؛ أي: من بعد إسحاق.

---

(١) رواه الطبري (١٢/٧٧).

(٢) أي: منصوب على المصدر (مفعول مطلق). ينظر البحر المحيط (٥/٢٤١)، الدر المصون (٤/١١١).

(٣) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف. ينظر البحر المحيط (٥/٢٤١)، الدر المصون (٤/١١١).

(٤) أي: خَوْف. وفعله: فَرِق من باب طرب. ويقال: رجل فروقةٌ وامرأة فروقةٌ. ينظر لسان العرب (فرق).

(٥) قيل: المعنى: حاضت، وقيل: فزعت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٤/١١٤).

﴿قالت يا ويلتى آألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخًا﴾ وكانت قد قعدت عن الولد ﴿إن هذا لشيءٌ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد﴾ مستحمدٌ إلى خلقه، مجيدٌ كريمٌ.

قال محمدٌ: من قرأ (يعقوبُ) بالرفع[1] فعلى معنى: ويعقوبُ يحدث لها من وراء إسحاق، ومن قرأ: (هذا بعلي شيخًا) فعلى الحال[2]؛ المعنى: انتبهوا له في هذه الحال.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرَّوْعُ﴾ الفَرَقُ ﴿وجاءته البشرى﴾ بإسحاق ﴿يجادلنا في قوم لوطٍ﴾ قال قتادة[3]: وذُكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المؤمنين، أمعذبُوهم أنتم؟ قالوا: لا. حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرأيتم إن كان فيهم عشرةٌ من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا.

﴿إن إبراهيم لحليمٌ أواهٌ منيب﴾ المنيب: المخلص، وقد ذكرنا الأوَّاه قبل هذا[4].

﴿يا إبراهيمُ أعرض عن هذا﴾ قال الكلبي: سألَ إبراهيمُ ربَّه ألاَّ يهلك لوطًا وأهله، وأن يعفوَ عن قوم لوطٍ، فقيل: يا إبراهيم، أعرض عن هذا ﴿إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذابٌ غير مردود﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وقرأ (يعقوبَ) بالفتح ابن عامر، وحمزة وحفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٣٣٨)، النشر (٢/ ٢٩٠)، التيسير (١٢٥) الدر المصون (١١٤/٤).

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٥٩)، المحتسب (٣٢٤/١)، البحر (٢٤٤/٥).

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٠٨/١) والطبري (٧٩/١٢) بمعناه.

(٤) عند تفسير الآية: ١١٤ من سورة التوبة.

لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ولما جاءت رُسُلُنا لوطًا سيء بهم﴾ قال الحسن : ساءه دخولُهم ؛ لما تخوَّف عليهم من قَوْمه ﴿وضاق بهم ذَرْعًا﴾ قال الكلبي : لم يَدْرِ أين ينزلهم . قال : وكان قوم لوطٍ لا يؤون ضيفًا بليلٍ ، وكانوا يعترضون من مرَّ بالطريق نهارًا للفاحشة ، فلما جاءت الملائكة لوطًا حين أمْسَوْا ، كرهَهُمْ ولم يستطعْ دفعَهم ، فقال : ﴿هذا يومٌ عصيبٌ﴾ شديدٌ .

﴿وجاءه قومُهُ يهرعون إليه﴾ أي : يُسْرِعون .

قال محمدٌ : يقال : أُهْرِعَ الرجلُ ؛ أي : أَسْرَع ؛ على لفظ ما لم يسم فاعله[١]. ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ يعني : يأتون الرجال في أدبارهم ؛ وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض ، إنما كانوا يفعلونه بالغرباء ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أَحَلُّ لكم من الرجال ، قال قتادة : أمرهم أن يتزوجوا النساء .

قال محمدٌ : وذكر أبو عبيد عن مجاهد[٢] أنه قال : كل نبي أبو أمته ، وإنما عنى بيناته : نساء أمته .

قال أبو عبيد : وهذا شبيهٌ بما يروى عن قراءة أبي بن كعب : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم »[٣].

﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ الضيف : يقال للواحد وللاثنين ، ولأكثر من ذلك[٤] ﴿أليس منكم رجُلٌ رشيد﴾ .

---

(١) أي : مبني للمجهول . ومصدره : الإهراع . لسان العرب (هرع) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٨٤/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٦٢/٦ رقم ١١٠٦٦) .

(٣) وتنظر هذه القراءة من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٢٣/١٤) .

(٤) وقد يُجمع على : أَضْياف ، وضُيُوف ، وضِيفَان . ويقال للمرأة : ضَيْف وضَيْفة . لسان العرب ، مختار الصحاح (ضيف) .

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ من حاجة ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ أي : إنا نريد أضيافك دون بناتك ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ قال قتادة[١]: يعني : إلى عشيرة قوية (ل ١٤٩) فدافعوه الباب ، وقالت الملائكة : ﴿يا لوط إنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي : سِرْ بهمْ في ظلمة من الليل ﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فقال : لا ؛ بل أَهْلِكوهم الساعة! فقالوا : ﴿إن موعدَهم الصبحُ أليس الصبحُ بقريب﴾ فطمس جبريل ﷺ أعْيُنَهم بأحد جناحيْه ، فبقوا ليلتهم لا يبصرون ﴿فلما جاء أمْرُنا جعلنا عاليها سافلها﴾ قال : فلما كان في السَّحَر ، خرج لوطٌ وأهله ، ورفع جبريل ﷺ أرضهم بجناحه الآخر ، حتى بلغ بها السماء الدنيا ؛ حتى سمعت الملائكة نُبَاحَ كلابهمْ وأصوات دجاجهم ، فقلبها عليهم ، وكان قدْ عُهِدَ إلى لوطٍ ألاَّ يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك ؛ فلما سمعت العجوز - عجوز السوْء - الهدَّة التفتت ، فأصابها ما أصاب قومها ، ثم اتبعت الحجارة من كان خارجًا من مدائنهم ، قال قتادة : كانت ثلاثًا .

قال الحسن : فلم يبعث اللَّه - سبحانه - بعد لوط نبيًا إلا في عزٍّ من قومه ، وكانت امرأة لوطٍ منافقةً ؛ تظهر الإسلام ، وقلبها على الكفر .

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ قال قتادة[٢]: من طين ﴿منضود﴾ أي : بعْضُه على بعضٍ ﴿مسوَّمة عند ربك﴾ قال الحسن : عليها سيما[٣]؛ أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب .

قال : وتلك السيما على الحجر منها مثل الخاتم ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ يقول : وما هي من ظالمي أمتك يا محمدُ ببعيد أن يحصبهم بها[٤].

يحيى : عن همام بن يحيى ، عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إن أكثر ما أتخوف على أمتي عمل قوم لوط »[٥].

---

(١) رواه الطبري (٨٧/١٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٣٠٩/١) والطبري (٩٤/١٢) .

(٣) أي : علامة وسمة . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سوم) .

(٤) بعدها لحق غير واضح في الأصل .

(٥) رواه الإمام أحمد (٢٨٢/٣) والترمذي (٤٨/٤ رقم ١٤٥٧) والحاكم في المستدرك (٣٥٧/٤) والآجري في =

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وإلى مدين﴾ أي : وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيبًا﴾ أخوهم في النسب ، وليس بأخيهم في الدين .

﴿إني أراكم بخير﴾ أي : بخير من الله ؛ يعني : السعة والرزق ، وكانوا أصحاب تطفيف في الكَيْلِ ، ونقصان من الميزان .

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي : لا تظلموا ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسير ﴿ولا تعثوا﴾ في سورة البقرة[1].

= ذم اللواط (٤٦ رقم ١٣) من طريق همام به .

ورواه ابن ماجه (٨٥٦/٢ رقم ٢٥٦٣) وأبو يعلى (٩٧/٤ رقم ٢١٢٨) وابن حبان في المجروحين (٤/٢) والآجري في ذم اللواط (٤٥ رقم ١٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص١٦٩) والمزي في تهذيب الكمال (٣٩٤/٢٣) من طريق القاسم بن عبد الواحد .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب عن جابر .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

ورواه إبراهيم بن رستم عن همام عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عروة عن عائشة بنحوه .

قال الدارقطني في العلل (٤٩/٥ – أ) : ووهم فيه ، والصواب عن همام عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر .

وقال أبو الشيخ في فوائد الأصبهانيين : أخطأ فيه إبراهيم بن رستم . نقله ابن حجر في لسان الميزان (١٤٤/١) .

وقال ابن حجر في اللسان أيضًا : وقد أخطأ إبراهيم في سنده ومتنه جميعًا .

ورواه إبراهيم بن محمد – وهو متروك – عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عروة بن الزبير عن عائشة بنحوه . خرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٥/٧ رقم ١٣٤٩٣) عن إبراهيم به .

(١) عند قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة : ٦٠] .

﴿بقية الله خيرٌ لكم﴾ قال مجاهد[1]: يعني: طاعة الله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم حتى أجازيكم بها.

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿قالوا يا شعيبُ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ يعنون: أوثانهم.

قال الحسن: لم يبعث الله - عز وجل - نبيًّا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة.

قال محمدٌ: المعنى: أدينك يأمرك؛ وهو معنى ما ذهب إليه الحسن.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ أي: أو أن نترك أن نفعل.

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: أنك لست بالحليم الرشيد.

﴿ورزقني منه رزقًا حسنًا﴾ يعني: النبوة.

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ فأفعله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ أي: لا تحملنكم عَداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ بكفركم بي من عذاب الله - عز وجل - ﴿مثل ما أصاب قوم نوح ...﴾ الآية.

قال محمد: (يجرمنكم) أصلُه: يكسبنكم؛ تقول: جرمتُ كذا؛ بمعنى كسبت[2]، وأنشد بعضهم:

طريدُ عشيرةٍ ورهينُ ذَنْبٍ ... بما جَرَمَتْ يدي وجنَى لسَاني[3]

(١) رواه عبد الرزاق (٣١١/١) والطبري (١٠٠/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٧٢/٦ رقم ١١١٣٠).

(٢) ويقال: معنى قوله: ﴿ولا يجرمنكم﴾: أي: لا يحملنكم. لسان العرب مختار الصحاح (جرم).

(٣) ويروى: .....ورهين جُرْمٍ ...إلخ. وهو من بحر الوافر. ويُنْسب للهَيْرُدان السعدي أحد لصوص بني سعد. ينظر لسان العرب (جرم) تفسير القرطبي (٢٩/٩).

قوله عز وجل : ﴿وما قوم لوطٍ منكم ببعيد﴾ يقول : العظة بقوم لوطٍ قريبة منكم ؛ لأن إهلاك قوم لوطٍ كان أقرب الإهلاكات التي عرفوها .

﴿إنّ ربي رحيمٌ﴾ لمن استغفره ، وتاب إليه ﴿ودودٌ﴾ محبٌ لأهل طاعته .

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قالوا يا شعيبُ ما نفقه كثيرًا مما تقول﴾ أي : إنا لا نقبل ، وقد فهموه وقامت عليهم به الحجة ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ قال سفيان : كان أعمى ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ (ل ١٥٠) بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ بعظيم ، وكان من أشرافهم .

﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا﴾ قال قتادة[١]: يقول : أعززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم

قال يحيى : أراه يعني : جعلتموه منكم بظهر .

قال محمدٌ : يقال : ظهرت بحاجة فلانٍ ؛ إذا نبذتها ولم تعبأ بها[٢]، ومنه قول الفرزْدق[٣]:

تميمَ بن زيد لا تكوننّ حاجتي ... بِظَهْرٍ فلا يَعْيَى عليّ جَوَابُهَا[٤]

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣١٢/١) والطبري (٢٠٦/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٧٧/٦ رقم ١١١٧٣) .

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (ظهر) .

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، شاعر من الطبقة الأولى من الإسلاميين ، وصاحب النقائض مع جرير والأخطل (ت١١٠هـ) . الأعلام (٩٣/٨) .

(٤) ديوان الفرزدق (٨٦) . وهو من بحر الطويل . ورواية الديوان هي :

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي ... لديك ولا يعيي عليَّ جوابُها

قوله عز وجل : ﴿إنَّ ربي بما تعملون محيطٌ﴾ خبير ﴿ويا قَوْمِ اعملوا على مكانتكم﴾ أي : على دينكم ﴿إني عاملٌ﴾ على ديني ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ومن هو كاذبٌ وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ كقوله عز وجل : ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾[١] يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم ، جاءهم العذاب ﴿ألا بُعْدًا لمدين كما بعدت ثمود﴾ .

قال محمد : المعنى : أنهم قد بعدوا من رحمة الله - تعالى - ونصب (بُعْدًا) على المصْدَر[٢]؛ يقال : بَعِدَ - بكسر العين - يَبْعَدُ ؛ إذا كان بُعْدَ هَلَكَةٍ ، وبَعُدَ بضم العينْ يَبْعُد بُعْدًا ؛ إذا نأى[٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝٩٨ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝٩٩ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي : بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته ﴿وسلطانٍ مبين﴾ حجَّة بينة .

قال محمدٌ : والسلطان إنما سُمِّيَ سُلْطانًا ؛ لأنه حُجَّة الله - عز وجل - في أرضه .

﴿وما أمر فرعون برشيد يقدمُ قومه يوم القيامة﴾ أي : يقودهم إلى النار ؛ حتى يدخلها هو وقومه .

﴿وأتبعُوا في هذه﴾ يعني : الدنيا ﴿لعنةً﴾ يعني : العذاب الذي عذَّبهم به من الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ أي : وأُتْبِعُوا يوم القيامة لعنة ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال عطاء : ترادفت عليهم من الله - عز وجل - لعنتان : لعنة بعد لعنة ؛ لعنة الدنيا ، ولعنة الآخرة .

قال محمدٌ : وقيل : المعنى : بئس العطاءُ المعطى .

---

(١) الأعراف : ٧١.

(٢) أي : المؤكِّد للفعل . ينظر : البحر المحيط (٢٥٨/٥) .

(٣) حيث أرادت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء ، فقالوا : بُعْد ضد القرب ، وبَعِد ضد السلامة . ينظر : الدر المصون (١٢٧/٤) .

﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم﴾ تراه قد هلك أهله ، ومنها ﴿حصيد﴾ لا ترى له أثرًا .

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ غير تخسير ﴿وذلك يومٌ مشهودٌ﴾ يشهده أهل السماء وأهل الأرض ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ .

يحيى : عن فطر ، عن أبي الطفيل قال : سمعت عبد اللَّه بن مسعود يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن خلق أحدكُمْ يُجْمَعُ في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون أربعين يومًا علقةً ، ثم يكون أربعين يومًا مضغة ، ثم يبعَثُ الملك فيؤمر أن يكتب أربعًا : رزقه وعمله وأجله وأثره ، وشقيًّا أو سعيدًا . والذي لا إله غيره ؛ إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعٌ ؛ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها ، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراعٌ ؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[1].

قوله عز وجل : ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيق﴾ قال قتادة : هذا حين يقول اللَّه - عز وجل - لهم : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[2] فينقطع كلامهم ؛ فما يتكلمون بعدها بكلمة إلا هواء الزفير والشهيق ؛ فشبه أصواتهم بأصوات الحمير ؛ أولها زفير ، وآخرها شهيق .

---

(١) لم أجده من طريق أبي الطفيل ، ورواه البخاري (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٨) ومسلم (٤/ ٣٤٠ رقم ٢٦٤٣) وغيرهم من طريق زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) المؤمنون : ١٠٨.

قال محمدٌ : اختلف القول في الزفير والشهيق : ذُكِرَ عن الخليل[١]؛ أنه قال : الشهيق ردُّ النَّفَس ، والزفير إخراج النفس . وقيل : الزفير صوت المكروب بالأنين ، والشهيق أشد منه ارتفاعًا[٢].

﴿خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض﴾ الجنة في السماء ، والنار في الأرض ؛ وذلك ما لا ينقطع أبدًا ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني : ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم ؛ قال : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا﴾[٣] قال : زمرة تدخل بعد الزمرة .

وفي تفسير السُّدي : ﴿إلا ما شاء ربك﴾ لأهل التوحيد . الذين (ل ١٥١) يدخلون النار ؛ فلا يدومون فيها يُخْرَجُون منها إلى الجنة .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿وأما الذين سعدوا ...﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني : ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم ؛ قال : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا﴾[٤] قال : زمرة تدخل بعد الزمرة .

وفي تفسير السُّدي : ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني : ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار .

﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي : غير مقطوع .

﴿فلا تكُ في مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ يعني : مشركي العرب .

﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ أي : إلا ما كان يَعْبُد آباؤهم من قبل ؛ أي : كانوا يعبدون

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أستاذ سيبويه ، وأشهر علماء العرب على الإطلاق (توفي نحو ١٧٥هـ) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (٣٤١/١) .

(٢) ينظر ذلك بأكثر منه استطرادًا في لسان العرب (زفر) ، (شهق) .

(٣) الزمر : ٧١.

(٤) الزمر : ٧٣.

الأوثان ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب ﴿غير منقوص﴾ .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلِف فيه﴾ أي : آمن به قومٌ وكفر به قومٌ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألاَّ يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا .

﴿لقضي بينهم﴾ أي : لقضى الله بينهم في الدنيا ؛ فأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النارَ ، ولكن أخَّر ذلك إلى يوم القيامة .

﴿وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ يعني : الأولين والآخرين .

قال محمدٌ : ومن قرأ (وإنْ كلاًّ لَمَا) بتخفيف (إنْ ولَمَا)[1] فالمعنى : إنّ كلاًّ ليوفينهم وتكون (ما) صلةً ، ونصب (كلاًّ) بإن ؛ لأنّ من النحويين من يقول في (إن) الخفيفة : أصلها (إنَّ) المشدَّدة ، فإذا أدخل عليها التخفيف نُصِبَ بها على تأويل الأصل[2].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فاستقم كما أمرت﴾ على الإسلام ﴿ومن تاب معك﴾ يعني : المؤمنين الذين تابوا من الشرك ﴿ولا تطغوا﴾ فترجعوا عن الإسلام .

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ قال قتادة[3]: يقول : لا تلحقوا بالشرك ، فتمسكم النار ؛ أي : تدخلوها .

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل﴾ يعني : الصلوات الخمس ؛ أن تقام على وضوئها ومواقيتها

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وفي هذه الآية قراءات كثيرة . ينظر : السبعة (٣٣٩) ، النشر (٢/٢٩٠ - ٢٩١) ، الحجة (١٩٠) ، البحر (٥/٢٦٦) .

(٢) وفي هذا الآية كلام كثير للنحاة لخصها السّمين الحلبي في الدر المصون (٤/١٣٥ - ١٣٦) .

(٣) رواه الطبري (١٢/١٢٧) وابن أبي حاتم (٦/٢٠٩٠ رقم ١١٢٥٩، ١١٢٦٠) بمعناه .

وركوعها وسجودها . وطرفا النهار ؛ في الطرف الأول صلاة الصبح ، وفي الطرف الآخر الظهر والعصر ﴿وزلفًا من الليل﴾ يعني : صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخر ، وزُلَف الليل : أدانيه - يعني : أوائله .

قال محمدٌ : واحدُ الزُّلف : زلفةٌ ؛ يقال : أزْلَفني عندك كذا ؛ أي : أدناني[1]، ونصب ﴿طرفي النهار وزلفًا من الليل﴾ على الظرف ؛ كما تقول : جئت طرفي النهار وأوائل الليل[2].

﴿إن الحسنات﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ يعني : ما دون الكبائر .

يحيى : عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ألا إن الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفَّاراتٌ لما بينهن ؛ ما اجْتُنبت الكبائر »[3].

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون من قبلكم أولو بقية﴾ يعني : طاعة .

﴿ينهون عن الفساد في الأرض إلاَّ قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ يقول : لم يكن ذلك إلا قليلاً ممن أنجينا من المؤمنين .

﴿واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه﴾ يعني : المشركين اتَّبعُوا الدنيا ، وما وسَّع اللَّه - عز وجل - عليهم فيها .

قال محمدٌ : أصل الترفُهِ : السَّعَة في العيش ، والإسراف في التنعيم . المعنى : اتبعوا ما أُعطوا من الأموال وأَثْرَوْه[4]؛ ففتنوا به .

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ

---

(١) وقرّبني . لسان العرب (زلف) .

(٢) أي : ظرف الزمان . والزُّلْفة : أول ساعات الليل ، قاله ثعلب . وقال الأخفش وابن قتيبة : الزُّلَف ساعات الليل وآناؤه ، وكل ساعة منه زُلْفة . فلم يُخصِّصا بأول الليل . ينظر : الدر المصون (٤/١٤٥ - ١٤٦) لسان العرب (زلف) .

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في زوائده (٤٩ رقم ١٠٥) - من طريق أبي الأشهب عن الحسن به .
ورواه الإمام أحمد (٢/٤١٤) والطيالسي في مسنده (٣٢٤ رقم ٢٤٧٠) وابن عبد البر في التمهيد (٤/٤٩ - ٥٠) من طرق عدة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ متصلاً .
ورواه مسلم في صحيحه (١/٢٠٩ رقم ٢٣٣) من طريق عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ومحمد بن سيرين وإسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة ﷺ به .

(٤) مأخوذ من الثَّراء ؛ وهو كثرة المال . لسان العرب (ثرو) .

وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ يعني : الكفار ﴿إلا منْ رحم ربك﴾ وهم المؤمنون ؛ لا يختلفون في البعث كما اختلف الكفار فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي : ولذلك خلق أهل الرحمة ألا يختلفوا .

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي : سبقت ﴿لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني : أهل النار من الجن والإنس .

﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل﴾ من أخبار الرسل ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ [...][1] أن الأنبياء قد لقيت من الأذى ما لقيت .

قال محمدٌ : (كلاًّ) منصوبٌ بـ (نَقُصُّ)[2] المعنى : كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك ، ومعنى تثبيت الفؤاد : تسكينُ القلب (ل١٥٢) من السكون ، ولكن كلما كان الدلالة عليه والبرهان أكبر كان القلب أثبت أبدًا ؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾[3].

﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال الحسن[4]: وجاءك في هذه الدنيا .

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ أي : على كفركم ؛ يخوفهم العذاب ؛ إن ثبتوا على كفرهم ﴿إنا عاملون وانتظروا﴾ ما ينزل من عذاب الله - عز وجل - ﴿إنا منتظرون﴾ .

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي : لا يعلمه إلا هو ﴿وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه﴾ يوم القيامة .

﴿فاعبده وتوكّلْ عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ .

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى ينظر : البحر المحيط (٢٧٤/٥) الدر المصون (١٤٨/٤) .

(٣) البقرة : ٢٦٠.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٠٩٦/٦ رقم ١١٣٠٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٧/٣) لأبي الشيخ .

تفسير سورة يوسف وهي مكيّة كُلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

قوله : ﴿الٓر تلك آيات الكتاب﴾ يعني : هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًا﴾ أي : بلسانٍ عربي ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ما فيه فتؤمنوا ﴿نحن نقص عليك أحسنَ القصص﴾ قال قتادة : من الكتب الماضية ، وأمور اللّه السّالفة في الأمم ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي : بوحينا إليك هذا القرآن ﴿وإن كنت من قبله﴾ أي : من قبل أن ينزل عليك القرآن ﴿لمن الغافلين﴾ كقوله : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾[1] .

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا ...﴾ الآية ، فتأولها يعقوب أنَّ إخوة يوسف - وكانوا أحد عشر رجلاً - وأبويه سيسجدون له .

﴿فيكيدوا لك كيدًا﴾ أي : يحسدونك ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي : يختارك للنبوة ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ قال مجاهد[2]: يعني : تَعْبِير الرؤيا . وقال الحسن : يعني :

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٤/٥) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

عواقب الأمور التي لا تُعْلَمُ إلا بوحي نبوة ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوبَ﴾ وكان الله أَعْلَمَهُ أنه سيُعْطي ولدَ يعقوب كلّهم النبوة .

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾ أي : عبرة لمن كان سائلاً عن حديثهم ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبةٌ﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلالٍ مبين﴾ أي : من الرأي ، ليس يعنون : ضلالة في الدين ﴿مبين﴾ بيِّنٌ ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم﴾ ولم يكونوا يومَ قالوا هذه المقالة أنبياء ﴿وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾ يعنون : تصلح منزلتكم عند أبيكم ؛ في تفسير الحسن .

وقال غيره : يعنون : تتوبون من بعد قتله ﴿قال قائل منهم﴾ هو روبيل ؛ في تفسير قتادة[1] ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب﴾ أي : بعض نواحيها .

قال محمدٌ : كل شيْءٍ غيَّب عنك شيئًا فهو غيابةٌ[2]، وكذلك قرأ يحيى (غيابة الجُبِّ)[3].

---

(١) رواه الطبري (١٥٦/١٢) وابن أبي حاتم (٢١٠٦/٧ رقم ١١٣٥٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٠/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٢) لسان العرب (غيب) .

(٣) وهي قراءة السَّبْعة إلا نافعًا ، فقد قرأ (غيابات) جمعًا . ينظر : السبعة (٣٤٥) ، النشر (٢٩٢/٢) ، الحجة (١٣٣) .

﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي: بعض من يمر في الطريق.

﴿أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب﴾ **قال محمدٌ**: قرأه أَهْلُ المدينة ﴿يرتع﴾ بالياء وكسْر العينْ، ﴿ويلعَبْ﴾ بالياء أيضًا[1]؛ المعنى: كأنهم قالوا: يرعَى ماشيته ويلعب في جمع السَّعة والسرور.

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ إنا إذًا لخاسرون﴾.

قال محمدٌ: يقال: العُصْبة من العشرة إلى الأربعين.

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب﴾ أي: اتفقوا وألقوه في الجب ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ قال قتادة[2]: أتاه وحيُ الله وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم.

﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون﴾ **قال محمدٌ**: (عشاءً) منصوب على الظرف[3].

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ أي: ولو صدقناك.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: (ل١٥٣) ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتُّهمتنا في يوسف؛ لمحبتك فيه، وظننت أنا قد كذبناك.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

---

(١) وهي قراءة نافع وفي هذه الآية قراءات كثيرة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٢)، التيسير (١٢٨)، السبعة (٣٤٥)، البحر (٥/٢٨٥).

(٢) رواه الطبري (١٢/١٦١ - ١٦٢) وابن أبي حاتم (٧/٢١٠٩ رقم ١١٣٧٩).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٠) لابن المنذر وعبد الرزاق وأبي الشيخ أيضًا.

(٣) أي: ظرف الزمان. وقيل: نصب على الحال باعتبار أن (عشاء) جمع (عاشٍ)، مثل (قيام) جمع (قائم) ينظر الدر المصون (٤/١٦٢).

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ لطخوا قميصَهُ بدم سخْلةٍ .

قال محمدٌ : المعنى : دَمٌ مكذوبٌ فيه .

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾ أي : زينت ﴿أمرًا فصبرٌ جميل﴾ أي : ليس فيه جزعٌ .

قال الحسن : وكان يعقوب قد علم بما أعلمه اللَّه أن يوسف حيٌّ ، ولكنه لم يعلم أين هو؟

قال محمدٌ : (صبْرٌ جميل) مرفوعٌ على معنى : فالذي أعتقده : صبرٌ جميل ، ويجوز أن يكون على معنى : (فصبري صبرٌ جميل)[١].

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم﴾ الوارد : الذي يرد الماء ؛ ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ في الجب ؛ وهي بئر بيت المقدس .

قال محمدٌ : يقال : أدليتُ الدّلْوَ ؛ إذا أرسلتها لتملأها ، ودلوتها ؛ إذا أخرجتها[٢].

قال قتادة[٣]: فلما أدلى دلوه تشبَّث بها يوسف ، فقال الذي أدْلى دلوه : (يا بشرايَ)[٤] يقول لصاحبه : ما البشرى؟ قال لهُ صاحبه : ما وراءك؟ أو ما عندك؟ قال : ﴿هذا غلامٌ﴾ فأَخرَجُوه ﴿وأسروه بضاعةً﴾ قال مجاهدٌ[٥]: صاحبُ الدّلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم : إنما اسْتُبْضِعْناه خيفة أن يشركوهُمْ فيه .

﴿وشروه﴾ أي : باعوه ﴿بثمنٍ بخسٍ﴾ أي : حرام لم يكن يحل بيْعُه . ﴿دراهِمَ معدودَةٍ﴾ قال مجاهد[٦]: باعوه باثنين وعشرين درهمًا .

---

(١) ينظر : الدر المصون (١٦٤/٤) .

(٢) لسان العرب (دلو) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٢٠/١) والطبري (١٦٧/١٢) وابن أبي حاتم (٢١١٣/٧ رقم ١١٤٠٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢/٤) لابن المنذر أيضًا .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر . وفيها قراءات كثيرة غير ذلك . ينظر : السبعة (٣٤٧) ، النشر (٢٩٣/٢) ، الحجة (١٩٤) ، البحر (٢٩٠/٥) .

(٥) رواه الطبري (١٦٨/١٢) وابن أبي حاتم (٢١١٤/٧ رقم ١١٤١١) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢/٤) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦) رواه الطبري (١٧٣/١٢) وابن أبي حاتم (٢١١٦/٧ رقم ١١٤٢٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٣/٤) لابن المنذر وأبي الشيخ .

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعني : الذين التقطوه ، وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من الله ؛ فباعوه من ملك مِصْرَ .

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ أي : منزلته ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾ أي : نتبنّاه . قال الله : ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني : أرضَ مصر ، وما أعطاه الله .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ يقال : بلغ عشرين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ يعني : الرسالة .

﴿وقالَتْ هِيْتَ لك﴾ أي : هلُمَّ لك .

وتقرأ : (هَيْتَ لك) بفتح الهاء وتسكين الياء[1].

قال محمدٌ : يقال : هَيْتَ فلانٌ بفلان ؛ إذا صاح به[2].

قال الشاعر :

قد رابني أنّ الكَرِيَّ أسكتا ... لو كان مَعْنِيًا بها لَهَيَّتَا[3]

(١) وهي لأبي عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وفيها قراءات كثيرة أخرى . ينظر : السبعة (٣٤٧) ، النشر (٢/ ٢٩٣) ، البحر (٥/٢٩٤) ، المحتسب (١/٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) لسان العرب (هيت) .

(٣) البيت من الرجز ، وقائله مجهول . ينظر لسان العرب (هيت) ، تفسير القرطبي (٩/١٦٥) .

قوله : ﴿قال معاذ اللَّه إنه ربي﴾ أي : سيدي ، يعني : العزيز ﴿أحسن مثواي﴾ أي : أكرم منزلتي .

قال أبو عبد اللَّه الشامي : أول ما قالت له : يا يوسفُ ما أحسن شعرك! قال : أمَا إنّه أول شيءٍ يَبْلَى مني .

﴿ولقد همتْ به﴾ يعني : ما أرادته حين اضْطجعتْ له ﴿وهمَّ بها﴾ يعني : حلَّ سراويلَه[١] ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال مجاهد : مُثِّل له يعقوبُ فاستحيى منه ، فصرف اللَّه عنه وأذهب كلَّ شهوةٍ كانتْ في مفاصِله[٢].

قال اللَّه : ﴿كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاء...﴾ الآية ، فولَّى هاربًا واتبعتْه ﴿واستبقا الباب﴾ فسبقها إليه ليخرجَ ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي : شقَّته من خلفه . ﴿وألفيا سيدها﴾ أي : زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند الباب .

﴿وشهد شاهِدٌ من أهلها﴾ قال قتادة[٣]: رجل حكيم كان من أهلها ؛ قال : القميص يقضي بينهما ؛ إن كان قُدَّ من قُبُلٍ فصدقتْ وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين .

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/١٤٨ - ١٤٩) في كلامه على نبي اللَّه يوسف عليه السلام : وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة ، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها ، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل ، وقعد منها مقعد الخاتن ، ونحو هذا ، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب ، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم ، كما قالوا في سليمان ما قالوا ، وفي داود ما قالوا ، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيهُ ، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟! والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره .

راجع : مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣٨ - ١٥٠) ، وتفسير القرطبي (٩/ ١٦٥ - ١٦٩) وأضواء البيان (٣/٤٩ - ٦٠) وغيرها .

(٢) قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير ذلك البرهان (٢/٥٧٤) : قال ابن جرير : والصواب أن يقال أنه رأى آية من آيات اللَّه تزجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب ، وجائز أن يكون صورة الملك ، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك ، ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، والصواب أن يطلق كما قال اللَّه تعالى . اهـ وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٣/١٩١) .

(٣) رواه عبد الرزاق (١/٣٢٢) والطبري (١٢/١٩٥) وابن أبي حاتم (٧/٢١٢٩ رقم ١١٥٠٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٧) لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

﴿فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ ثم قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي: لا تذكره: احبسه، وقال لها: ﴿واستغفري لذنبك﴾[1] من زوجك، واستعفيه ألا يعاقبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني: الخطيئة.

قال محمدٌ: يقال: خَطِئ الرجلُ يخطأ خِطئًا؛ إذا تعمَّد الذنب فهو خاطِئ، والخطيئة منه[2]: أخطأ يُخطِئ؛ إذا لمْ يتعمّدْ، والاسْمُ منه: الخطأ[3].

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

(ل١٥٤) ﴿وقال نسوةٌ في المدينة امرأة العزيز﴾ يعني: عز الملك ﴿تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًا﴾ قال مجاهد[4]: أي: دخل حبه في شغافها. قال الكلبي: الشغاف: حجاب القلب ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ قال السُّدي: يعني: في خسرانٍ بين من حُبِّ يوسف.

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أي: بغيبَتِهِنَّ ﴿أرسلت إليهن﴾ وأرادت أن توقعهن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت﴾ أي: أعدَّتْ ﴿لهن متكئًا﴾ قال مجاهد: يعني: مجلسًا وتكأة.

قال يحيى: وهي تقرأ (مُتْكًا) قال بعضهم: هو الأترُج[5].

---

(١) هناك لحق على حاشية الأصل غير واضح.

(٢) أي: الاسم منه: الخطيئة.

(٣) قال الأموي: المخطئ من أراد الصواب، فصار إلى غيره، والخاطئ: من تعمد مالا ينبغي. وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنًى. لسان العرب، مختار الصحاح (خطئ).

(٤) رواه الطبري (١٢/١٩٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٨) لأبي الشيخ أيضًا.

(٥) قال الفراء: واحدة المُتْك: مُتْكة مثل بُسْر وبُسْرة؛ وهو الأُترج. وقال مثل ذلك ابن سيده، وحكاه الأخفش. ينظر لسان العرب (متك) وتُنسب هذه القراءة إلى ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة، وغيرهم. ونسبها صاحب اللسان إلى أبي رجاء العطاردي. ينظر: البحر (٥/٣٠٢)، المحتسب (١/٣٣٩)، معاني القرآن للفراء (٢/٤٢).

قال محمدٌ : (المتّكأ) بالتثقيل : هو ما اتكأت لحديثٍ ، أو طعام ، أو شراب[(١)].

﴿وآتت كل واحدةٍ منهن سكينًا﴾ ليقطعن ويأكلن ، وقالت ليوسف : ﴿اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ أي : أعظمنه أن يكون من البشر . ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي : حززْن لا يعقلن ما يصْنَعْن ﴿وقلن حاش للّه﴾ .

قال مجاهد[(٢)]: يعني : معاذ اللّه ﴿ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك﴾ من ملائكة اللّه ﴿كريمٌ﴾ على اللّهِ .

قال محمدٌ : يقال : حاشَ للّه ، وحاشى للّه - بياء وبغير ياء - ، وأصْله في اللغة : البراءة[(٣)]؛ أي قد برأه اللّه من ذلك ، وانتصب (بشرًا) بخبر (ما) لأن (ما) في لغة أهل الحجاز معناه معنى (ليس) في النفي[(٤)].

﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي : امتنع .

﴿وليكونًا من الصاغرين﴾ أي : من الأذلاء .

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾ قال الحسن : قد كان من النسوة عَوْنٌ لها عليه ﴿أصبُ إليهن﴾ أي : أتابعُهنّ .

قال محمدٌ : المعنى : أمِلْ إليهنَّ مَيْلَ جهلٍ وصبًا ؛ يقال : صبا فلانٌ إلى اللّهْوِ يصْبُو صبًا ؛ إذا مالَ

---

(١) لسان العرب (وكأ) .

(٢) رواه الطبري (٢٠٨/١٢) وابن أبي حاتم (٢١٣٦/٧ رقم ١١٥٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٩/٤) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

(٣) ولا يقال : حاش لك قياسًا عليه ، وإنما يقال : حاشاك ، وحاشى لك . وعدّها النحويون من الأدوات المترددة بين الحرفية والفعلية فإن جرت فهي حرف ، وإن نصبت فهي فعل وهي من أدوات الاستثناء . لسان العرب ، مختار الصحاح (حوش) الدر المصون (١٧٥/٤) .

(٤) أي : ترفع الاسم وتنصب الخبر . ينظر : الدر المصون (١٧٩/٤) .

إليه[١]. قال دريدُ بن الصِّمَّةِ[٢]:

صَبَا ما صَبَا حتى علا الشيبُ رَأْسَه فلما علاهُ قال للباطل ابعدِ[٣]

﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ قال مجاهد[٤]: يعني: قدّ القميص من دُبُر.

﴿ليسجننه حتى حين﴾ قال الكلبي: بَلغنا أنها قالتْ لزوْجها: صدقته وكذّبتني، وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجنْ يوسف، وتُسمع به وتعْذرني؛ فأمر بيوسف يحمل على حمار، ثم ضُرِب بالطبل: هذا يوسفُ العبراني، أراد سيدته على نفسها فطوف به أسواق مصر كلها، ثم أُدخل السجن.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

---

(١) وورد في لسان العرب: صبا يصبو صَبْوةً وصُبُوًّا. لسان العرب (صبو).

(٢) قتل يوم حنين مشركًا، في العام الثامن للهجرة، واختلف المؤرخون في مبلغ سنه. ينظر المعمرون (٢٧ - ٢٨)، تاريخ الطبري (٣/٧٠ - ٧٩).

(٣) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٦٩)، جمهرة اللغة (١/٢٤٥)، المثل السائر لابن الأثير (٢/٢٠٧).

(٤) رواه الطبري (١٢/٢١٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٠) لابن المنذر أيضًا.

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرًا﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (أَعْصِرُ عنبًا)[١].

﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (ثريدًا) أي: قصْعةً من ثريد[٢].

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ قال قتادة[٣]: كان إحسانه - فيما بلغنا - أنه كان يداوي جرْحاهم، ويعزي حزينهم، ورأوا منه إحسانًا فأحبوه على فعله، وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمرًا ساقي الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأس خبزًا خباز الملك على طعامه.

﴿قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ أي: بمجيئه ﴿قبل أن يأتيكما﴾ أي: من قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ أي: بما يطلعني الله عليه ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ يعني: النبوة التي أعطاهم ﴿وعلى الناس﴾ أي: وفضله على الناس؛ يعني: الإسلام ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿يا صاحبي السجن﴾ يعني: الْفتيينْ اللذيْن سُجِنوا معه ﴿أأربابٌ متفرقون﴾ يعني: الأوثان التي تعبدون من دون الله من صغيرٍ وكبير ووسَطٍ ﴿خيرٌ أم الله﴾ أي: أنَّ الله خيرٌ منهم ﴿ما أنزل الله بها من سلطانٍ﴾ من حُجَّة ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيُصْلَب فتأكل الطيرُ من رأسه﴾ (ل١٥٥) قال لساقي الملك: أما أنت فترد على عملك. وقال للخباز: وأما أنت فتُصْلب فتأكل الطيرُ من رأسك.

قال الكلبي: لما عبَّر لهما الرؤيا قال الخباز: يا يوسف، لم أر شيئًا! قال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: كالذي (قلته)[٤] كذلك (يُقْضى)[٥] لكما.

﴿وقال للذي ظنَّ أنه ناجٍ منهما اذكُرني عند ربك﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك - يعني: الملك - ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ يعني: يوسف حين رغب إلى الساقي أن يذكُره عند الملك، وذلك

---

(١) وهي قراءة أبي بن كعب أيضًا. ينظر: البحر (٣٠٨/٥)، المحتسب (٣٤٣/١).

(٢) ينظر: البحر (٣٠٨/٥).

(٣) رواه الطبري (٢١٦/١٢) وابن أبي حاتم (٢١٤٣/٧ رقم ١١٦٠٦).

(٤) في الأصل: قلتها.

(٥) في الأصل: نقص.

بعد ما لبث في السجن خمس سنين يتضرع إلى الله ويدعوه ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال قتادة[١]: لبث في السجن بعد قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ سبع سنين عقوبة لقوله ذلك[٢].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبع عجاف﴾ يعني: سبع بقرات عجاف ﴿وسبع سنبلاتٍ خضرٍ﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات خضر ﴿وأخرى يابسات﴾ أي: وسبعًا يابسات ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام.

قال محمدٌ: الأضغاثُ واحدها: ضِغْثٌ؛ وهي الحزمة من النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروبٌ مختلفة[٣]؛ المعنى: رؤياك أخلاطٌ ليست برؤيا بيّنة، وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل.

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من السجن ﴿وادَّكر بعد أُمة﴾ يقول: ذكر يوسف بعد حين، وكان ابن عباس يقرؤها: (وادَّكر بعد أَمَهٍ)[٤] قال قتادة[٥]: يعني: بعد نسيان: ﴿أنا أنبئكم بتأويله

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٢٣/١) والطبري (٢٢٤/١٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٣/٤) لابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا.

(٢) هذا قول في تفسير الآية، والقول الثاني أن الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عائد على الناجي، قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد، قال ابن كثير في تفسيره (٤٧٩/٢): هذا هو الصواب. اهـ.

ونصر هذا القول وأيده بالبراهين الساطعة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١٢/١٥ - ١١٨) فراجعه فإنه نفيس.

(٣) لسان العرب (ضغث).

(٤) وكذلك قرأ الحسن والضحاك وقتادة وأبو رجاء وغيرهم. ينظر: البحر (٣١٤/٥) المحتسب (٣٤٤/١)، إتحاف الفضلاء (٣٦٥).

(٥) رواه عبد الرزاق (٣٢٤/١) والطبري (٢٢٩/١٢) وابن أبي حاتم (٢١٥٢/٧ رقم ١١٦٥٧).

أرسلون﴾ وفيه إضمار ، فأرسله الملك فأتى يوسف في السجن فقال : ﴿يوسف أيها الصديق﴾ يعني : الصادق ﴿أفتنا في سبع بقرات﴾ أي : أخبرنا عن ﴿سبع بقرات سمان ...﴾ ، الآية ؛ فأجابه يوسف فقال : أما السبعُ البقرات السمانُ ، والسبعُ السنبلات الخضر فهي سبع سنين تُخْصِب ، وأما السبعُ البقراتُ العجاف والسنابل اليابسات فهي سبع سنين مجدبةٌ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أراد : أنه إذا كان في السُّنْبُل كان أبقى له .

قال محمدٌ : الدأبُ : الملازمة للشيءِ والعادة ؛ يقال منه : دأبتُ أدأبُ دأبًا[١].

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ﴾ يعني : سبع سنين مُجْدبة ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ في السنين المخصبات ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ أي : تدخرون .

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ قال قتادة[٢]: يعني : يعصرون العنب والزيتون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فيه يغاث الناس﴾ من جعله من الغَيْثِ فهوَ من قولك : غاث الله البلاد يَغيثُها[٣]، ومن جعله من التلاقي والتدارك فهو من أغثت فلانًا أغيثه إغاثةً[٤].

وقيل أن (يعصرون) معناه : ينجون ، العُصْرةُ في اللغة : النجاة[٥]. قال : فلما أُخبِرَ الملك أن يوسف هو الذي عبَّر الرؤيا قال ائتوني به .

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ

---

(١) دأبت أدْأَبُ دأْبًا ودُءُوبًا . لسان العرب (دأب) .

(٢) رواه الطبري (١٢/٢٣٣) وابن أبي حاتم (٧/٢١٥٥ رقم ١١٦٨١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٥) لأبي الشيخ أيضًا .

(٣) والاسم منه : الغَيْث . لسان العرب (غيث) .

(٤) والاسم منه : الغَوْثُ والغِياث . لسان العرب (غوث) .

(٥) لسان العرب (عصر) .

ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال له يوسف: ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي: سيدك؛ هذا كان كلامهم يومئذٍ ﴿فاسأله ما بال النسوة اللَّاتي قطّعن أيديهن ...﴾ الآية، قال قتادة[1]: أراد ألا يخرجَ حتى يكون له عذرٌ. فأرسل إليهن الملك فدعاهُنَّ ﴿قال ما خطبكن﴾ ما حُجَّتُكُنَّ؟ ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حَاشَ للَّه ما علمنا عليه من سوء﴾ قال السُّدي: أي: من زنا ﴿قالت امرأةُ العزيز الآن حصحص الحق﴾ تبيَّنَ ذلك ﴿ليعلم أني لمْ أخُنْه بالغيب﴾ لما بلغ يوسف ذلك قال: ﴿ذلك ليعلم﴾ العزيز ﴿أني لم أخُنْهُ بالغيب﴾ وكان الملك فوق العزيز ﴿وأنَّ اللَّهَ لا يهدي كيد الخائنين﴾ قال السدي: يعني: لا يصلح عمل الزناة، فلما قال هذا يوسف، قال له جبريل – فيما ذكر من (همهم)[2] – يا يوسف، فما فعلت السراويل؟ فقال يوسف: (ل١٥٦) ﴿وما أبرئُ نفسي ...﴾ الآية[3].

---

(١) رواه الطبري (١٢/٢٣٦).

(٢) كذا في الأصل ولعل المراد (همّه).

(٣) هذا على أن قائل ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ...﴾ هو يوسف ﷺ، وفي الآية قول آخر، أن ذلك من قول امرأة العزيز، قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٢/٤٨١ – ٤٨٢): ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: تقول: الآن تبين الحق وظهر وبرز ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي: في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ تقول: إنما اعترفتُ بهذا على نفسي؛ ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفتُ ليعلم زوجي أني بريئة ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته؛ لأن ﴿النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ أي: إلا من عصمه الله – تعالى – ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية ـ رحمه الله ـ فأفرده بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف ﷺ يقول ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب ...﴾ الآيتين – أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ...﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه. اهـ.

ثم ساقه من تفسير الطبري بإسناده عن ابن عباس، وقال: وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي هذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي، والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك؛ ولم يكن يوسف ﷺ عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك اهـ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إنك اليوم لدينا﴾ عندنا ﴿مكينٌ﴾ في المنزلة ﴿أمينٌ﴾ من الأمانة ، فولاه الملكُ ، وعزل العزيز ﴿قال﴾ يوسف : ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني : أقوات أرض مصر ﴿إني حفيظٌ﴾ لِمَا وليت ﴿عليمٌ﴾ بما يصلحهم من ميرتهم ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني : أرض مِصْرَ ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أي : ينزل . قال السدي : باع منهم قوتهم عامًا بكل ذَهبٍ عندهم ، ثم باعهم عامًا بكل فِضَّةٍ عندهم ، ثم باعهم عامًا بكل نحاسٍ عندهم ، ثم باعهم عامًا بكل رصاصٍ عندهم ، ثم باعهم عامًا بكل حديدٍ عندهم ، ثم باعهم عامًا برقاب أنفسهم ؛ فصارت رقابهم وأموالهم كلها له ﴿ولأجْر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول : ما يُعْطي اللَّه في الآخرة أولياءه خيرٌ من الدنيا .

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهُمْ له منكرون﴾ فأنزلهم وأكرمهم ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ من الميرة[1] ﴿قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم﴾ قال

(١) هو الطعام الذي امتاروه . لسان العرب (مير) .

قتادة[1]: هو بنيامين أخو يوسف من أبيه وأمه ﴿وقال لفتيانه﴾ يعني: غلمانه ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ يقول: إذا رُدَّتْ إليهم بضاعتهم، كان أحرى أن يرجعوا إليَّ ﴿قالوا يا أبانا مُنِعَ منا الكيلُ﴾ فيما نستقبل؛ إن لمْ نأته بأخينا ﴿ونمير أهلنا﴾ إذا أرسلته معنا ﴿ونزدادُ كيلَ بعير﴾ وكان يوسفُ وعدَهُمْ - في تفسير الحسن - إنْ هم جاءوا بأخيهمْ أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن، والبعير - في تفسير مجاهد - : الحمار؛ قال: وهي لغةٌ لبعض العرب ﴿ذلك كيلٌ يسيرٌ﴾ قال السُّدي: يعني: سريعًا لا حبس فيه.

قال الحسن: وقد كان القوم يأتونه للمير، فيحبسون الزمان حتى يُكال لهم.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿إلا أن يحاط بكم﴾ أي: تُغلبُوا عليه.

﴿فلما آتوه موثقهم﴾ عهدَهُمْ ﴿قال اللَّه على ما نقول وكيل﴾ أي: حفيظٌ لهذا العهد.

﴿وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحِدٍ﴾ قال قتادة[2]: خشي على بنيه العينْ، وكانوا ذَوي صورةٍ وجمال.

﴿ما كان يغني عنهم من اللَّه من شيءٍ إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها﴾ يعني قوله: ﴿لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقةٍ﴾.

قال محمدٌ: (إلا حاجة) يعني: لكن حاجة[3]؛ يقول: لو قُدر أن تصيبهم العينْ لأصابتهم وهم مفترقون؛ كما تصيبهم مجتمعين، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

---

(١) رواه الطبري (٨/١٣) وابن أبي حاتم (٢١٦٣/٧ رقم ١١٧٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق (٣٢٥/١) والطبري (١٣/١٣).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩/٤) لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) انظر توجيه النصب لكلمة (حاجة) من الدر المصون (١٩٧/٤)، البحر المحيط (٣٢٥/٥ - ٣٢٦).

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال الحسن: يعني: لما آتيناه من النبوة.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿آوى إليه أخاه﴾ أي: ضمَّهُ ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ قال الحسن: يقول: لا تغتم بما كان من أمرك ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ يعني: الميرة، ووفى لهم الكيل ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ والسقاية: إناءُ الملك الذي كان يُسْقَى فيه؛ وهو الصُّواع، وخرج إخوة يوسف وأخوهم معهم وساروا ﴿[ثم أذّن](١) مؤذنٌ﴾ نادى مُنادٍ.

﴿أيتها العير﴾ يعني: أهل العير ﴿إنكم لسارقون﴾.

﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به زعيمٌ﴾ كفيل.

﴿قالوا جزاؤه من وجد في رَحْله فهو جزاؤه﴾ أي: يؤخذ به عَبْدًا، وكذلك كان الحكم به عندهم؛ أن يؤخذ بسرقته عبدًا يُسْتَخْدَم على قدر سرقته، وكان قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعفي ما أخذ، ثم يُرْسَل؛ فقضوا على أنفسهم بقضاء أرضهم مما صنع الله ليوسف؛ فذاك قوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أيْ: صنعنا له ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ أي: على قضاء ملك مصر [...](٢) القضاء إليه ﴿إلا أن يشاء الله﴾.

---

(١) في الأصل: فأذن.

(٢) طمس في الأصل.

قال محمد : قيل : يعني : إلا بعلّة كادها الله له (ل١٥٧) اعتلَّ بها يوسف .

﴿وفوق كل ذي علمٍ عليم﴾ قال الحسن[١]: أجل والله لفوْق كل ذي علم عليمٌ ؛ حتى ينتهي العلم إلى الذي جاء به وهو الله ، وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه إنما هو شيءٌ قبله عن الله .

﴿قالوا إن يسرقْ فقد سرق أخٌ له من قبل﴾ يعنون : يوسف ، وكان جده أبو أمه يعبد الأوثان ؛ فقالت له أمه : يا يوسف ، اذْهَبْ فخذ القُفَّة التي فيها أوثان أبي ففعل وجاء بها إلى أمه ، فتلك سرقته التي أرادوا ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولمْ يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكانًا﴾ ممَّن قلتم له هذا ، قال قتادة : هذه الكلمة ﴿أنتم شرٌّ مكانًا﴾ هي التي أسرَّ في نفسه ولمْ يبدها لهم وهذا من مقاديم الكلام ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي : إنه كذبٌ .

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ قال الكلبي : إن يوسُفَ كان العزيز بعد العزيز سيده الذي ملكه .

﴿فخُذْ أحدنا مكانه﴾ قال السُّدي : يعني احبسْ أحدنا مكانه .

﴿فلما استيئسوا منه﴾ يئسوا من أن يرد عليهم أخاهم ﴿خلصوا نجيًا﴾ أي : جعلوا يتناجوْن ويتشاورون فيما بينهم في ذلك .

قال محمدٌ : نجيٌ لفظٌ واحدٌ في معنى جميع[٢]؛ المعنى : اعتزلوا متناجين .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٣١/٤) لابن جرير وأبي الشيخ .

(٢) النجيُ على فعيل ، والجمع : الأنجية . قال الأخفش : وقد يكون النجي جماعة كالصَّديق . وقال الفراء : وقد يكون النجيُ والنجوى اسمًا ومصدرًا . لسان العرب ، مختار الصحاح (نجى) .

﴿قال كبيرهُمْ﴾ وهو روبيل ؛ في تفسير قتادة[١]. وقال السُّدي[٢]: يعني : كبيرهم في الرَّأي والعِلْم ، ولمْ يكن أكبرهم في السن .

﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعني : أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ في الرجوع إليه ﴿أو يحكم اللّه لي﴾ بالموت .

﴿وما كنا للغيْب حافظين﴾ .

قال قتادة[٣]: يقول : ما كنا نرى أن يسرق ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية ﴿التي كنا فيها﴾ يعني : أهل مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ أي : أهل العير .

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم﴾ أي : زيَّنت ﴿أمرًا عسى اللّه أن يأتيني بهم جميعًا﴾ يعني : يوسف وأخاه وروبيل .

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وتولّى عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ أي : يا حزنًا ﴿وابيضت عيناه﴾ أي : عمي مَن الحزن ، وقد علم بما أعلمه اللّه بالوحي أن يوسف حيٌّ ، وأنه نبي ، ولكنَّهُ لم يعلم حيث هو ﴿وهو كظيم﴾ قال الكلبي : أي : كميد .

قال محمدٌ : (كظيم) هو مثل كاظم ، والكاظم : المُمسِكُ على حزنه لا يظهره ولا يشكوه[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٢٧/١) والطبري (٧٤/١٣) وابن أبي حاتم (٢١٨١/٧ رقم ١١٨٥٢، ١١٨٥٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٢/٤) لابن أبي حاتم وابن جرير وأبي الشيخ .
(٢) انظر تفسير الطبري (٣٤/١٣) وتفسير ابن أبي حاتم (٢١٨١/٧ رقم ١١٨٥٤) .
(٣) رواه الطبري (٣٦/١٣) وابن أبي حاتم (٢١٨٣/٧ رقم ١١٨٦٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٢/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .
(٤) كظيم : فعيل بمعنى فاعل . لسان العرب (كظم) .

﴿قالوا تالله﴾ قَسَمٌ ﴿تفتأ تذكر يوسف﴾ قال قتادة[1]: يعني لا تزال تذكر يوسف ﴿حتى تكون حرضًا﴾ أي: تبلى ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أي: تموتُ.

قال محمدٌ: يقال: أحرضه الحزن إذا أدَقّه[2].

﴿قال إنما أشكو بثّي﴾ همي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال الحسن: يقول: أعلمُ أن يوسف حيٌّ ﴿يا بني اذهبوا فتحسَّسُوا من يوسف وأخيه﴾ قال السدي: يعني تبحثوا عن خبرهما ﴿ولا تيْئَسُوا من روح الله﴾ يعني: رحمة الله.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾ يعني: رجعوا إلى مِصْرَ، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضُّرُّ﴾ يعني: الحاجة ﴿وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ﴾ أي: قليلة ﴿فأوفِ لنا الكيل﴾ ببضاعتنا ﴿وتصدق علينا﴾ قال قتادة: يعني: تصدق علينا بأخينا.

قوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي: أنَّ ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين ألقوه في الجبِّ أنبياء ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ على الاستفهام ﴿قال أنا يوسف﴾.

﴿قال لا تثريب عليكم اليومَ﴾ قال محمدٌ: لا تَغْيِيرَ، وأصل التثريب: الإفساد[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٢٧/١) والطبري (٤١/١٣).

(٢) أي: أفسده، ويقال: رجل حَرَضٌ. قال أبو عبيدة: هو الذي أذابه الحزن، وهو في معنى (مُحْرَض). والحَرَض واحده وجمعه سواء؛ يقال: رجل حَرَضٌ، ورجال حَرَضٌ لسان العرب، مختار الصحاح (حرض).

(٣) لسان العرب (ثرب).

﴿فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرًا﴾ أي: يرجع.

قال: ولولا أن ذلك علمه من وحي الله، لم يكن له به علم.

﴿ولما فصلت العير﴾ أي: خرجت الرفقة من مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ قال قتادة: وجد ريحهُ حين خرجوا (ل١٥٨) بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخًا ﴿لولا أن تفندون﴾ يقول: لولا أن تقولوا: قد هرم، واختلط عقله؛ فتسفهوني؛ أي: تجهلوني ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ يعْنُون: خسرانك من حبِّ يوسف.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال الحسن: يعني: من فرج الله ونعْمته، وكان الله قد أخبره أنّه حيٌّ.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخّر ذلك إلى السَّحَر.

﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبَوَيْه﴾ قال الحسن: أبُوه وأمُّه التي ولدته.

قال محمدٌ: تقول: آويْتُ فلانًا؛ إذا ضممتَهُ إليك، وأوَيْت - بلا مَدٍّ - إلى فلانٍ إذا انضممت إليه[1].

---

(١) يقال: آوي إيواءً، وأوَى يأوِي أُويًا وإوَاءً. وعن أبي زيد: أواه وأواه، فعل وأفعل بمعنى واحد. لسان العرب، مختار الصحاح (أوى).

﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: على سريره؛ في تفسير قتادة[١] ﴿وخروا له سُجَّدًا﴾ قال قتادة[٢]: وكان السُّجُود تحيةً من كان قبلكم، فأعطى اللَّه هذه الأمة السلام؛ وهو تحيةُ أهلِ الجنة.

﴿وجاء بكم من البدو﴾ وكانوا بأرض كنعان.

﴿توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين﴾ يعني: أهل الجنة، قال قتادة[٣]: لمَّا جمع اللَّهُ شمْله وأقرَّ عينه[٤]، ذكر الآخرة فاشتاق إليها؛ فتمنَّى [الموت][٥] ولمْ يتمنَّه نبي قبله.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني: ما قصَّ على النبي من قِصَّتِهم من أوَّل السورة إلى هذا الموضع ﴿وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ بيوسف.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وما تسألهم عليه من أجرٍ﴾ يعني: على القرآنِ من أجرٍ، فيحملهم على تركه الغُرْم ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الجنة والنار.

﴿وكأين من آية﴾ أي: وكَمْ من علامَةٍ ودليل ﴿في السموات والأرض﴾ أي: في خلق السموات والأرض تدلُّهم على توحيد اللَّه ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي: لا يتَّعظون بها.

﴿وما يؤمِنُ أكثرهم باللَّهِ إلا وهم مشركون﴾ تفسير قتادة[٦]: قال: إيمانهم أنك لا تسأل أحدًا منهم إلاَّ أنباك أنَّ اللَّه ربُّه؛ وهو في ذلك مشركٌ في عبادته.

﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركين ﴿أن تأتيهم غاشيةٌ من عذاب اللَّه﴾ يقول هذا على الاستفهام؛

---

(١) رواه عبد الرزاق (١/٣٢٨) والطبري (١٣/٦٧).

(٢) رواه عبد الرزاق (١/٣٢٨) والطبري (١٣/٦٨) وابن أبي حاتم (٧/٢٢٠٢ رقم ١١٩٩٦).

(٣) رواه الطبري (١٣/٧٣) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٤، ٢٢٠٥ رقم ١٢٠١٦، ١٢٠١٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٤٣) لأحمد في الزهد أيضًا.

(٤) في الأصل: بعينه.

(٥) طمس بالأصل، والسياق يقتضيه.

(٦) رواه عبد الرزاق (١/٣٢٨ - ٣٢٩) والطبري (١٣/٧٨) بمعناه.

أي : بأنهم ليسوا بآمنين ﴿أو تأتيهم الساعةُ بغتةً﴾ فَجْأةً ﴿وهمْ لا يشعرون﴾ أي : غافلون ؛ يعني : الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب .

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿قل هذه سبيلي﴾ أي : ملّتي ﴿أدعو إلى اللّه على بصيرةٍ﴾ على يقين ﴿وسبحان اللّهِ﴾ أمره أن ينزِّه اللّه عما قال المشركون .

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن : لمْ يبعث اللّه نبيًّا من أهل البادية ، ولا من النساء ، ولا من الجن .

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يقول : قد ساروا في الأرض ، فرأوا آثار الذين أهلكهم اللّه من الأمم السالفة حين كذَّبوا رسُلهم ، كان عاقبتهم أن دمَّر اللّه عليهم ، ثم صيّرهم إلى النار ؛ يُحَذرهم أن ينزل بهم ما نزل بالقرون من قبلهم ﴿ولدارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾ خير لهم .

﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ كان الحسنُ يقرؤها بالتثقيل (كُذِّبوا)[١] وتفسيرها : حتى إذا استيئس الرسل ؛ أي : يئس الرسل أن يُجيبهم قومهم لشيءٍ قدْ علموه من قبل اللّه وظنوا ؛ أي : علموا ؛ يعني : الرسل أنهم قد كذبوا ، التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبدًا ، استفتحُوا على قومهم بالدعاء عليهم ؛ فاستجاب لهم فأهلكهم .

وكان ابن عباسٍ يقرؤها (كُذِبوا) خفيفة[٢]، وتفسيرها : حتى إذا استيئس الرسل من قومهم أن

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ، وابن عامر ، ونافع ، وأبي عمرو ؛ من السبعة . ينظر السبعة (٣٥١) ، النشر (٢٩٦/٢) ، الحجة (١٩٩) .
(٢) خفيفة بالبناء للمعلوم . وتروى أيضًا عن مجاهد ، والضحاك ، وحميد وقرأ (كُذِبوا) خفيفة بالبناء للمجهول وهي قراءة الكوفيين من السبعة . ينظر : البحر (٣٥٥/٥) ، المحتسب (٣٥٠/١)الدر المصون (٢١٨/٤ - ٢١٩) .

يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ﴿جاءهم نصرنا﴾ عَذَابُنا .

﴿فنجي من نشاء﴾ يعني : النبي والمؤمنين ﴿ولا يُرَد بأسُنَا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين .

﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني : يوسف وإخوته ﴿عبرة﴾ معتبر ﴿لأولي الألباب﴾ العقول وهم المؤمنون .

﴿ما كان حديثًا يفترى﴾ أي : يُخْتَلق ويصنع ؛ هذا جواب لقول المشركين : (ل١٥٩) ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾[1] أي : كذبٌ اختلقه محمد .

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل﴾ أي : تَبْيِين ﴿كل شيء﴾ من الحلال والحرام والأحكام .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿تصديقَ﴾ بالنصب ، فعلى معنى ما كان حديثًا يفترى ، ولكن كان تصديق الذي بين يديه[2].

﴿وهدًى ورحمةً﴾ يعني : القرآن ﴿لقومٍ يؤمنون﴾ يصدقون .



(١) الفرقان : ٤.

(٢) وهي قراءة الجمهور ، وروي عن حمزة والكسائي القراءة بإشمام الصاد زايًا ، مع النصب أيضًا . ينظر : إتحاف الفضلاء (٢٦٨) ، البحر (٣٥٦/٥) .
وتأويل النصب ينظر من البحر المحيط (٣٥٦/٥) ، الدر المصون (٢٢١/٤) .

تفسير سورة الرعد

وهي مكية كلها إلا آية واحدة وهي ﴿ولا يزال الذين كفروا ...﴾ إلى آخرها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

قوله : ﴿الٓمٓرۚ﴾ قد مضى القول في حروف المعجم فيما تقدّم ﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب﴾ القرآن .

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ تفسير الحسن : فيها تقديم : رفع السموات ترونها بغير عمدٍ . وتفسير ابن عباس(١): لها عمدٌ ، ولكن لا ترونها ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجلٍ مسمى﴾ يعني : القيامة .

وقال بعضهم : يجري مجرًى لا يعدُوه .

وقال **محمد** : ومعنى ﴿سخَّر الشمس والقمر﴾ أي : ذللهما وقصرهما على ما أراد .

﴿يدبر الأمر﴾ يقضي القضاء في خلقه ﴿يفصل الآيات﴾ يبيِّنها ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ يعني : البعث ؛ إذا سمعتموها في القرآن .

﴿وهو الذي مدَّ الأرض﴾ أي : بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني : الجبال ﴿وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها﴾ أي : خلق فيها ﴿زوجين اثنين﴾ أي : صنفَيْن .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٣١/١) والطبري (٩٤/١٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤٩/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر .

قال محمدٌ : قيل : إنه يعني : نوعينْ : حلوًا وحامضًا ، والزوج عند أهل اللغة : الواحد الذي له قرين .

﴿يغشي الليل النهار﴾ أي : يلبس الليل النهار فيذهبه﴿إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾

﴿وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ﴾ تفسير مجاهد : هي الأرضُ العذبة الطيبة تكون مجاورةً أرضًا سبخةً مالحة[1] ﴿وجناتٌ من أعنابٍ وزرْعٌ ونخيل صنوانٌ وغير صنوان﴾ الصِّنوانُ من النخيل : النخلتان أو الثلاث من النخلات يكون أصلها واحدًا[2] ﴿تسقى[3] بماء واحدٍ﴾ يعني : ماء السماء ؛ في تفسير مجاهد ﴿ونفضل بعضها على بعضٍ في الأكل﴾ قال مجاهد : يقول : بعضها أطيب من بعض .

قال محمدٌ : الأُكُلُ : كل ما يؤكل ، والأَكْل مصدرُ أكلتُ[4].

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن الذي صنع هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى .

﴿وإن تعجب فعجبٌ قولهم ...﴾ الآية ، تفسير الحسن[5]: إن تعجبْ يا محمد من تكذيبهم إياك ، فتكذيبهم بالبعث أعجب ، وقولهم : ﴿أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد﴾ فقولهم ذلك عجبٌ .

---

(١) الأفصح (مِلْحة) قال صاحب مختار الصحاح : ولا يقال : (مالح) إلا في لغةٍ رديئةٍ . مختار الصحاح ، لسان العرب (ملح) .

(٢) والواحدة : صنو ، والاثنان : صِنْوانِ ، والجمع : صِنْوَانٌ . لسان العرب (صنو) .

(٣) قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث . النشر (٢/٢٩٧) .

(٤) والمصدر أيضًا : مأكلاً . لسان العرب (أكل) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٤/٥١) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ بالعذاب ؛ وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاءٌ ﴿قبل الحسنة﴾ يعني : قبل العافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثُلات﴾ يعني : وقائع الله في الأمم السالفة ﴿وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظلمهم﴾ إذا تابوا إليه ﴿وإنَّ ربك لشديد العقاب﴾ لمن أقام على شركه .

﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾ قال الله : ﴿إنما أنت منذر﴾ ولست من أن تأتيهم بآيةٍ في شيءٍ ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ أي : داع يدعوهم إلى الله ؛ في تفسير قتادة .

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ تفسير الحسن : قال : الغيضوضة أن تلد لأقل من تسعة أشهر ﴿وما تزداد﴾ يعني : أن تلد لأكثر من تسعة أشهر ، الغيضوضة : النقصان(١).

﴿وكل شيءٍ عنده بمقدار﴾ أي : بقدر ﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية ﴿الكبير﴾ يعني : العظيم ﴿المتعال﴾ عما قال المشركون ﴿سواءٌ منكم من أسرَّ القول ومن جهر به﴾ يقول : ذلك عند الله سواءٌ سره وعلانيته ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي : يظله الليل ﴿وساربٌ بالنهار﴾ أي : ظاهر ، يقول : ذلك (ل ١٦٠) كله عند الله سواء .

قال محمدٌ : قيل : ﴿ساربٌ﴾ معناه : ظاهرٌ(٢) وأنشد بعضهم لشاعرٍ يخاطب امرأةً :

---

(١) لسان العرب (غيض) .

(٢) يقال : سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا : ظهر . لسان العرب (سرب) .

أَنَّى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ... وتَقَرُّبُ الأَحْلامِ غَيْرُ قَرِيبِ[1]

يقول: لم تكوني ممّن يبرُزُ ويظهر للناس، فكيف تخطيت البعد إلينا في سُراك؟! وقيل: معنى﴿سارب﴾: ذاهب في حوائجه[2]؛ ومن هذا قول القائل:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبُ[3]

أي: ذاهب.

﴿له معقبات﴾ لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات: ملائكة ﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللَّه﴾ أي: بأمر اللَّه، قال الحسن: هم أربعة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار.

قال محمدٌ: معنى﴿معقبات﴾: أن يأتي بعضهم بِعَقِبِ بعض، وشُدِّدت لتكثير الفعل[4].

﴿إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ المعنى: أن اللَّه إذا بعث إلى قومٍ رسولاً فكذبوه، أهلكهم اللَّه ﴿وإذا أراد اللَّه بقوم سوءًا﴾ يعني: عذابًا ﴿فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ﴾ يمنعهم من عذاب اللَّه.

قال محمدٌ: ﴿والٍ﴾ أي: وليٌّ يتولاهم دون اللَّه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ قال قتادة[5]: خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرَّته[6]، وطمعًا للمقيم

---

(١) البيت من بحر الكامل؛ وهو لقيس بن الخطيم. ينظر: تفسير القرطبي (٩/٢٩٠)، اللسان (سرب).

(٢) ويقال: ذاهب على وجهه في الأرض. مختار الصحاح(سرب).

(٣) البيت للأخنس بن شهاب التغلبي ينظر: المفضليات (٢٠٨)، شرح ديوان الحماسة (٢/٧٢٨)، اللسان (سرب).

(٤) قال صاحب مختار الصحاح: هم ملائكة الليل والنهار؛ لأنهم يتعاقبون. وإنما أُنِّث لكثرة ذلك منهم؛ كعلاَّمة ونسَّابة. مختار الصحاح (عقب).

(٥) رواه عبد الرزاق (١/٣٣٣) والطبري (١٣/١٢٣) بمعناه.

(٦) المعرَّة: المساءة والمكروه. لسان العرب (عرر).

يرجو بركته ويطمع في رزق الله . والبرق ضوءٌ خلقه الله عَلَمًا للمطر ؛ في تفسير الحسن ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ قال مجاهد[١]: هي التي فيها الماءُ ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ أي : والملائكة يسبحون أيضًا بحمده من خيفته .

قال الكلبي : هو ملك اسمُه : الرعْدُ ، والصوتُ الذي يُسمعُ تسْبِيحُه ؛ يؤلّف به السّحابَ بعْضَه إلى بعضٍ ، ثم يسوقه حيث أُمِرَ .

قال يحيى : وسمعت بعضهم يقول : البرق لمحة يلمحها إلى الأرض الملك الذي يزجر السحاب .

﴿ويرسلُ الصواعقَ﴾ وهي نارٌ تقع من السحاب ؛ في تفسير السُّدي .

قال يحيى : وقال بعضهم : إن الملك يزجر السحاب بسوطٍ من نار ، فربَّما انقطع السوط ؛ فهو الصاعقة .

﴿فيصيب بها من يشاء﴾ قال عبد الله بن أبي زكريا : بلغني أنه من سمع الرعدَ ؛ فقال : سبحان ربي وبحمده ، لمْ تصِبْه صاعقةٌ .

﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني : المشركين يجادلون نبي الله ؛ أي : يخاصمونه في عبادتهم الأوثان دون الله ﴿وهو شديد المحال﴾ قال مجاهد[٢]: يعني : القوة .

قال محمدٌ : يقال : ماحَلْتُه مِحَالاً إذا قَاوَيْتَهُ ؛ حتى يتبينَّ لك أيكما أشد[٣].

وقد قيل: المحَال[٤]: الحيلة ؛ ومن هذا قول ذي الرُّمَّة [٥]:

ولَبْس بين أَقْوَام وكلٌ أعدَّ له الشَّغازبَ والمحَالا[٦]

---

(١) رواه الطبري (١٢٤/١٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥٧/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ أيضًا .

(٢) رواه الطبري (١٢٧/١٣) .

(٣) ويقال : ماحلته مِحَالاً ومُمَاحلة . لسان العرب (محل) .

(٤) بفتح الميم أي ميم (المَحَال) ، والمراد : الحذق وجودة النظر ، والقدرة على التصرف في الأمور وفتح ميم (المَحَال) إحدى القراءات . ينظر : لسان العرب (حول) .

(٥) وهو غيلان بن عقبة العدوي (ت١٢٤هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١٢٤/٥) .

(٦) ويروى : .....فكلٌ ....إلخ . والبيت من بحر الوافر . ينظر ديوان ذي الرمة (٤٤٥) . وفي اللسان والصحاح (شغزب) : (أقوامي) بدل (أقوام) . وينظر : الجمهرة (٣١٠/٣) وتاج العروس (شغزب) (١٥١/٣) .

يعني: الكيد والمكر.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿له دعوة الحق﴾ هي لا إله إلا الله ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ هذا مثل الذي يعبد الأوثان رجاء الخير في عبادتها هو كالذي يرفع بيده الإناء إلى فيه يرجو به الحياة، فمات قبل أن يصل إلى فيه؛ فكذلك المشركون حيث رجوْا منفعة آلهتهم ضلَّتْ عنهم ﴿وما دُعاءُ الكافرين﴾ آلهتهم ﴿إلا في ضلال﴾.

﴿ولله يسجد من في السموات والأرض ...﴾ الآية، تفسير الحسن: قال: ولله يسجد من في السموات، ثم انقطع الكلام، فقال: والأرض - أي: ومن في الأرض ﴿طوعًا وكرهًا﴾ أي: طائعًا وكارهًا، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «والله، لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعًا كمن دخله كَرْهًا».

قال الحسن: وليس يدخل في الكُرْهِ من وُلِدَ في الإسلام[1].

﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ الآصال: العشيُّ، تفسير السدي: إذا سجد (...)[2] الأشياء سجد ظلُّه معه.

(ل ١٦١) ﴿قل من رب السموات والأرض قل الله﴾ فإذا أقروا بذلك فقل: ﴿أفتخذتم من دونه أولياء﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا﴾ وهذا استفهام على معرفةٍ؛ أي: قد فعلتم.

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى،

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والله تعالى أعلم.

(٢) طمس في الأصل.

والمؤمن أبْصَر الإيمان ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ على الاستفهام ؛ أي : أن ذلك لا يستوي .

﴿أم جعلوا للَّه شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ تفسير الحسن : يقول : هل يدعون أن تلك الأوثان خلقت مع اللَّه شيئًا ؛ فلم يدروا أي الخالِقَيْن يعبدون ؛ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على اللَّه يوم القيامة؟ أي : أنهم لا يدعون ذلك ، وأنهم يقرون أن اللَّه خلق كل شيء ، فكيف عبدوا هذه الأوثان من دون اللَّه؟! ثم قال اللَّه : ﴿قل اللَّه خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ .

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ الكبير بقدره ، والصغير بقدره ﴿فاحتمل السيل زبدًا رابيًا﴾ يعني : عاليًا فوق الماء ، إلى قوله : ﴿كذلك يضرب اللَّه الأمثال﴾ هذه أمثال ضربها اللَّه للمؤمن والكافر ، فأما قوله : ﴿ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ فإنه يعني : الذهب والفضّة ؛ إذا أُذيبا فَعَلا خبثهما ؛ وهو الزَّبَدُ ، وخلص خالصهما تحت ذلك الزبد ﴿أو متاع﴾ أي : وابتغاء متاع ما يُستمتع به ﴿زبدٌ مثله﴾ أي : مثل زبد الماء ، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّيَ ذلك أيضًا ؛ فخلص خالصُه ، وعلا خبثُه ؛ وهو زبدُه ﴿فأما الزَّبَدُ﴾ زبدُ الماء ، وزبد الحلي ، وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿فيذهب جفاءً﴾ يعني : لا يُنْتَفَع به ؛ فهذا مثل عمل الكافر ؛ لا ينتفع به في الآخرة ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ فَيُنْتَفَع بالماء ينبت عليه الزرع والمرعى ، وينتفع بذلك الحلي والمتاع ؛ فهذا مثل عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة .

قال محمدٌ : الجفاء في اللغة : هو ما رمى به الوادي إلى جنباته ؛ يقال : جفأ الوادي غثاءهُ ،

وجفأْتُ الرجل إذا صَرَعته[1]، وموضع ﴿جفاء﴾ نصب على الحال[2]، ومعنى ﴿يضرب اللّه الأمثال﴾ يَصِفُها ويبيِّنها .

قوله تعالى : ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ قال قتادة : يعني : الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ يعني : الكفار ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب﴾ شدته ﴿ومأواهم جهنم﴾ منزلهم جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ القرار .

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ عنه ؛ أي : أنهما لا يستويان ؛ يعني : المؤمن والكافر ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ العقول ؛ وهم المؤمنون ﴿الذين يوفون بعهد اللّه ولا ينقضون الميثاق﴾ الذي أخذ عليهم في صلب آدم ؛ حيث قال : ﴿ألست بربكم﴾[3]؛ يقول : أوفوا بذلك الميثاق ﴿والذين يصلون ما أمر اللّه به أن يوصل﴾ تفسير ابن عباس : الذي أمر اللّه به أن يوصل : الإيمان بالنبيين كلهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني : الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ يعني : الزكاة المفروضة ؛ في تفسير الحسن ﴿سرًّا وعلانية﴾ يُستحَبُّ أن تعطى الزكاة علانية ، والتطوع سرًّا ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يقول : يدفعون بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ يعني : دار الآخرة ، والعقبى : الثواب ؛ وهو الجنة ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ أي : من آمن ﴿سلامٌ عليكم﴾ وهذه تحية أهل الجنة .

قال محمدٌ : المعنى : يقولون : سلامٌ عليكم ؛ فأضمر القول ؛ إذ في الكلام ما يدل عليه .

---

(١) يقال : جفأ يَجْفأ جَفْئًا . لسان العرب(جفأ) .

(٢) البحر المحيط (٥/٣٨٠) .

(٣) الأعراف : ١٧٢.

﴿بما صبرتم﴾ في الدنيا .

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي : يوسع عليه ﴿ويقدر﴾ أي : يضيق ﴿وفرحوا﴾ أي : رضوا ﴿بالحياة الدنيا﴾ (ل ١٦٢) يعني : المشركين ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاعٌ﴾ قال مجاهد : أي : يستمتع به ، ثم يذهب ويقول الكافرون : ﴿لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾ أي : هلاَّ ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من تاب وأخلص ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي : تسكن ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .

قال محمدٌ : (ألا) حرف تنبيه وابتداء[1]، والقلوب ها هنا قلوب المؤمنين ؛ المعنى : إذا ذُكرَ اللَّه بوحدانيته ، آمنوا به غير شاكين .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿طوبى لهم﴾ قال عبد الله بن عبيد بن عُمير : طوبى شجرة في الجنة ، أصلها في دار محمد ﷺ ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغُصنٌ منها في تلك الدار ﴿وحسن مآب﴾ مرجع ، يعني : الجنة .

---

(١) ينظر - بتوسُّع - في دلالة (ألا) المخفَّفة على التنبيه ، مغني اللبيب (١/ ٨٠ - ٨١) .

﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أممٌ﴾ أي : كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمة ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ كانوا يقولون : أما اللَّه فنعرفه ، وأما الرحمن فلا نعرفه ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ يعني : التوبة .

﴿ولو أنّ قرآنًا سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ تفسير قتادة[١]: ذكر لنا أن قريشًا قالت لنبي اللَّه ﷺ : إن سَرَّك أن نتبعك فَسَيِّر لنا جبال تهامة ، وزد لنا في حرمنا ؛ حتى نتخذ قطائع نحترف فيها ، أو أحْيِ لنا فلانًا وفلانًا وفلانًا - لأناس ماتوا في الجاهلية - فأنزل اللَّه هذه الآية ، يقول : لو فُعل هذا بقرآن غير قرآنكم فعل بقرآنكم .

قال محمدٌ : اختصر جواب (لو) ؛ إذ كان في الكلام ما يدل عليه[٢].

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء اللَّه لهدى الناس جميعًا﴾ أي : ألم يعرف؟

قال محمدٌ : قيل : إنها لغةٌ للنَّخع (ييأس) بمعنى : يعرف[٣] قال الشاعر :

أقولُ لهُمْ بالشِّعب إذْ يأْسِرُونني ألم تيْأَسُوا أنّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[٤]

أي : ألم تعلموا .

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ هي السرايا سرايا رسول اللَّه ﷺ يصيبهم اللَّه منها بعذاب ﴿أو تحل﴾ أنت يا محمد ﴿قريبًا من دارهم حتى يأتي وعد اللَّه﴾ يعني : فتح مكة ؛ في تفسير مجاهد[٥] وقتادة[٦].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (١/٣٣٦ - ٣٣٧) والطبري (١٣/١٥٢) .

(٢) الدر المصون (٢/٢٤٢ - ٢٤٣) وفيه استطراد واسع .

(٣) وقال القاسم بن مَعْن - وهو من ثقات الكوفيين - : هي لغة هوازن . وقال ابن الكلبي : هي لغة حيٍّ من النخع . ينظر الدر المصون(٤/٢٤٣) .

(٤) ويروى : أقول لهم بالشِّعب إذ يَيْسِرُونني : . . . . . .إلخ . وهو من البحر الطويل ، وقائله : سحيم بن وثيل الرياحي ، ونُسب لابنه جابر بن سحيم . ينظر : لسان العرب (يس) ، البحر (٥/٣٩٢) ، والمحتسب (١/٣٥٧) .

(٥) رواه الطبري (١٣/١٥٧) .

(٦) رواه عبد الرزاق (١/٣٣٧) والطبري (١٣/١٥٧) .

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فأمليت﴾ أطلت ﴿للذين كفروا﴾ أي : لم أعذِّبهم عند استهزائهم بأنبيائهم ، ولكن أخَّرتهم حتى بلغ الوقت . ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ أي : كان شديدًا ﴿أفمن هو قائم على كل نفسٍ بما كسبت﴾ تفسير قتادة[١]: ذلكم الله .

قال محمدٌ : المعنى : الله هو القائم على كل نفسٍ بما كسبت ؛ يأخذها بما جنتْ ، ويثيبُها بما أحسنت ؛ على ما سبق في علمه .

﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يقول : هل يستوي الذي هو قائمٌ على كل نفس وهذه الأوثان التي يعبدونها؟! ﴿قل سموهم﴾ وقال في آية أخرى : ﴿إن هي ألا أسماء سميتموها﴾[٢] ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي : قد فعلتم ، ولا يعلم أن فيها إلهًا معه ، ويعلم أنه ليس معه إلهٌ في الأرض ولا في السماء .

﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني : أم بظن من القول ؛ في تفسير مجاهد[٣] ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قولهم ﴿وصَدُّوا عن السبيل﴾ عن سبيل الهدى .

﴿لهم عذابٌ في الحياة الدنيا﴾ يعني : مشركي العرب بالسيف يوم بدر ، ولآخر كفار هذه الأمة بالنَّفخة الأولى ﴿ولعذاب الآخرة﴾ النار ﴿أشق﴾ من عذاب الدنيا .

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٣٧/١) والطبري (١٥٩/١٣) .

(٢) النجم : ٢٣.

(٣) رواه الطبري (١٦٠/١٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٧٣/٤) لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿مثل الجنة﴾ أي : صفتها ﴿التي وعد المتقون﴾ ﴿أكلها﴾ ثمرها ﴿دائمٌ﴾ أي : لا ينفد ﴿وظلها﴾ .

قال محمدٌ : (مثل الجنةِ) مرفوعٌ بالابتداء[1].

﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ يعني : الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ .

﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ تفسير قتادة[2]: هم أصحاب النبي ﷺ ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ الأحزاب ها هنا : اليهود والنصارى ؛ ينكرون (ل ١٦٣) بعض القرآن ، ويقرون ببعضه بما وافقهم .

﴿وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا﴾ يعني : القرآن .

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني : المشركين حتى لا تبلغ عن الله الرسالة .

﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ يغنيك من عذابه ؛ إن فعلت ، ولست بفاعلٍ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية﴾ نزلت حين قالت اليهود : لو كان محمدٌ رسولاً ، لكان له همٌّ غير النساء والتماس الولد ﴿وما كان لرسولٍ أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتابٌ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ تفسير بعضهم : يُكْتَب كل ما يقول ؛ فإذا كان كل يوم اثنين وخميس ، مُحي عنه ما لم يكن خيرًا أو شرًّا ، وأُثْبِتَ ما سوى ذلك ﴿وعنده

---

(١) ينظر البحر المحيط (٥/٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٢) رواه الطبري (١٣/١٦٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٧٤) لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ أيضًا .

أم الكتاب﴾ يعني : اللوح المحفوظ ، وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله .

﴿وإما نرينك بعضَ الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ تفسير الحسن : أن الله أخبر محمدًا أن له في أمته نقْمَةً ، ولم يخبره ، أفي حياته تكون أمْ بعد موته؟ وفيها إضمار ﴿فإنا منهم منتقمون﴾[1].

﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أن تبلغهُمْ ، ولست تستطيع أن تكرههم على الإيمان ، إنما يؤمن من شاء الله أن يؤمن ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة ، ثم أمره بقتالهم .

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن : أفلا يرون أن رسول الله ﷺ كلما بعث إلى أرض ظهر عليها وغلب أهلها ؛ يقول : ننقصها بذلك أرضًا فأرضًا .

قال محمدٌ : المعنى : كأنه ينقص المشركين مما في أيديهم .

﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ أي : لإرادته .

قال محمدٌ : أصل التعقيب في اللغة : الكَرُّ والرجوع[2]، فكأنه قال : لا راجع يرد حكمه .

﴿وهو سريع الحساب﴾يعني : العذاب ؛ إذا أراد أن يعذب قومًا من الذين كذبوا رسلهم كان عذابه إياهم أسرع من الطرف ؛ يخوف بهذا المشركين .

﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني : من قبل مشركي هذه الأمة ﴿فلله المكر جميعًا﴾ فمكر بهم ، أهلكَهُمْ أحسن ما كانوا في دنياهم فعالاً ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ أي : تعمل ﴿وسيعلم (الكفار)[3] لمن عقبى الدار﴾ لمن الجنة ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾

قل يا محمد : ﴿كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال عبد الله بن سلام : فيَّ نزلت : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ .

قال محمدٌ : ﴿قل كفى بالله شهيدًا﴾ المعنى : كفى الله شهيدًا ، و(شهيدًا) منصوبٌ على التمييز[4].

---

(١) الزخرف : ٤١.

(٢) لسان العرب (عقب) .

(٣) في الأصل : الكافر .

(٤) ينظر : البحر المحيط (٥/٤٠٠ - ٤٠١) .

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية كلها إلا آيتين: قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة الله كفرًا ...﴾ إلى قوله: ﴿القرار﴾[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾

قوله: ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك؛ يعني: القرآن ﴿لتخرج الناس﴾ من أراد الله أن يهديه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم ﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزيز﴾ في ملكه ونقمته ﴿الحميد﴾ استحمد إلى خلقه، واستوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿الذين يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لا يقرون بالآخرة ﴿ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا﴾ يبغون السبيل عوجًا؛ يعني: الشرك.

قال محمدٌ: (السبيل) يذكر ويؤنث[٢]، وكذلك (الطريق) فأما الزقاق فمذكَّر. ونصب (عوجًا) على الحال[٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ

(١) الآيتان: (٢٨، ٢٩).
(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سبل).
(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى: البحر (٥/٤٠٤)، الكشّاف (٢/٣٦٦).

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه﴾ قال قتادة[1]: يعني: بلغة قومه ﴿ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ بعد البيان.

﴿وذكرهم بأيام الله﴾ تفسير الكلبي: يذكرهم بنعم الله عليهم، ويذكرهم (ل ١٦٤) كيف أهلك قوم نوحٍ وعادًا وثمود وغيرهم، يقول: ذكرهم هذا وهذا ﴿إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾ وهو المؤمن.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿وإذْ تأذنُ ربكم﴾ أي: أعلمكم ﴿لئن شكرتم﴾ آمنتم ﴿لأزيدنكم﴾ في النعم ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ في الآخرة.

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ أي: خبرهم.

﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ أي: لا يعلم كيف أهلكهم الله إلا الله.

﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي: عضوا على أناملهم غيظًا على الأنبياء؛ كقوله: ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[2].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

---

(١) رواه الطبري (١٣/١٨١).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٧٩) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) آل عمران: ١١٩.

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿قالت رسلهم﴾ أي : قالت لهم رسلهم : ﴿أفي الله شكٌّ فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ؛ أي : أنه ليس فيه شكٌّ ، وأنتم تقرون أنه خالق السّموات والأرض ، فكيف تعبدون غيره؟! ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي : ليغفر لكم ذنوبكم ؛ إن آمنتم ﴿ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى﴾ يعني : إلى آجالهم بغير عذاب ؛ فلا يكون موتهم بالعذاب .

﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾ أي : لا يوحى إليكم .

﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ بحجة بيّنة ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة ؛ فيوحي إليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يعنون : سبل الهدى ﴿ولنَصْبِرنَّ على ما آذيتمونا﴾ يعنون : قولهم للأنبياء : إنكم سحرةٌ ، وإنكم كاذبون .

﴿فأوحى إليهم ربهم لنُهلكن الظالمين﴾ وهذا حيث أذن الله للرسل فدعَوْا عليهم ؛ فاستجاب لهم ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ أي : من بعد إهلاكهم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ يعني : المقام بين يدي الله للحساب .

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿واستفتحوا﴾ يعني : الرسل ؛ أي : دعوا على قومهم ، حين استيقنوا أنهم لا يؤمنون .

قال محمدٌ : معنى (استفتحوا) : سألوا الله أن يفتح لهم ؛ أي : ينصرهم ، وكل نصر هو فتح ؛ وهو معنى قول يحيى .

﴿وخاب﴾ أي : خسر ﴿كلُّ جبارٍ عنيد﴾ الجبار : المتكبر ، والعنيد : المجانب للقصدِ .

﴿من ورائه جهنم﴾ أي : من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا ﴿جهنم﴾ أي : عذاب جهنم . وقد قيل : (من ورائه) أي : من أمامه .

﴿ويسقى من ماء صديد﴾ الصديدُ : ما يسيل من جلود أهل النار من القيْح والدَّم ﴿يتجرّعه ولا يكاد يسيغه﴾ من كراهيته له ، وهو يسيغه لابُدَّ له منه ، فتتقطَّع أمعاؤه .

قال محمدٌ : معنى (يسيغه) : يبتلعُه .

﴿ويأتيه الموتُ من كل مكان﴾ وهي النار ، ولكن الله قضى عليهم ألاّ يموتوا ؛ هذا تفسير الحسن .

﴿ومن ورائه عذابٌ غليظ﴾ كقوله : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾[1].

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّتْ به الرياح[2] في يوم عاصفٍ﴾ يعني : مما عملوا من حسن على سيءٍ في الآخرة ، قد جوزوا به في الدنيا ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي : يصيرُ الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يستأصلكم بالعذاب ﴿ويأت بخلق جديد﴾أي : آخرين ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي : لا يشقُّ عليه .

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) النبأ : ٣٠.

(٢) هكذا في الأصل : ﴿الرياح﴾ ؛ وهي قراءة نافع ، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾ . ينظر : النشر (٢/٢٢٣) ، التيسير (١٧٨) .

أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وبرزوا لله جميعًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء: ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ لدعائكم إيانا إلى الشرك.

قال محمدٌ: (تَبَعًا) جمْعُ تابع[1]، وجائز أن يكون مصدرًا سُمِّي به؛ أي: كنا ذوي تبع[2].

﴿سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصٍ﴾ أي: مهْربٍ، ولا معزل عن العذاب.

﴿وقال الشيطان لما قضى الأمرُ﴾ أي: فُصلَ بين العباد؛ فاستبان أهل الجنة من أهل النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ أي: وعدهم الجنة على التمسك بدينه ﴿ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ﴾ أسترهبكم به﴿إلا أن دعوتكم﴾ بالوسوسة ﴿فاستجبتم لي﴾.

﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم من عذاب الله (ل١٦٥) ﴿وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ أي: في الدنيا - يكفر بأن يكون شريكًا.

يحيى: عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن دُخَيْن الحجري، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين، وفرغ من القضاء بينهم قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا، فمن يشْفع لنا إلى ربنا؟ قالوا: انطلقوا بنا إلى آدم؛ فإنه أبونا وخلقه الله بيده وكلَّمهُ، فيأتونه فيكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح؛ فيأتون نوحًا فيدلهم على إبراهيم، ثمّ يأتون إبراهيم فيدلّهم على موسى، ثم يأتون موسى فيدلهم على عيسى، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمي؛ فيأتونني فيأذن الله لي أن أقوم إليه؛ فيفور من مجلسي أطيبُ ريح شمَّها أحدٌ حتى آتي ربي؛ فَيُشَفِّعُني ويجعل لي نورًا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون: (هذا)[3] وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟! ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه؛ فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم؛ فقُم فاشفع أنت لنا فإنك أنت أضللتنا!

(١) ويجمع (تابع) أيضًا على: تُبَّع وتُبَّاع وتَبَعَة. لسان العرب (تبع).
(٢) ينظر: إعراب القرآن (١٨٢/٢)، البحر (٤١٦/٥).
(٣) هكذا بالأصل، ولعلها محرفة عن (قد) والله أعلم.

فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح شمّها أحدٌ ، ثم (يُعظّم لجهنم)[١]، ثم يقول عند ذلك : ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ...﴾ الآية»[٢].

﴿تحيتهم فيها سلام﴾ يقول : يسلم أهل الجنة بعضُهم على بعضٍ ، وتحييهم الملائكة أيضًا عن الله بالسلام ؛ حين تأتيهم من عند الله بالكرامةِ والهديّة .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾ هي لا إله إلا الله ﴿كشجرةٍ طيبة﴾ وهي النخلة ؛ وهي مثل المؤمن ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها في السماء﴾ أي : رأسُها الذي تكون فيه الثمرة ﴿تؤتي أكلها﴾ ثمرتها ﴿كل حين بإذن ربها﴾ أي : بأمره . تفسير الحسن : يقول : إن المؤمن لا يزال منه كلامٌ طيبٌ وعملٌ صالحٌ ؛ كما تؤتي هذه الشجرة أكلها في كل حين .

قال يحيى : (والحينُ) في تفسير بعضهم : السَّنة ، وهي تؤكل شتاءً وصيفًا .

قال محمدٌ : (الحين) في اللغة : اسمُ وقْتٍ من أوقات الزمان يُستعملُ فيما طال وقصر[٣].

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ الشرك ﴿كشجرةٍ خبيثة﴾ يعني : الحَنْظلة ﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ أي : قطعت من أعلى الأرض ﴿ما لها من قرار﴾ أي : ليس لأصلها ثباتٌ في الأرض ؛ فذلك مثل

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (١١١ رقم ٣٧٤) والطبري في تفسيره (٢٠١/١٣) والدارمي (٤٢١/٢ - ٤٢٢ رقم ٢٨٠٤) والطبراني في الكبير (٣٢٠/١٧ - ٣٢١ رقم٨٨٧) والبغوي في تفسيره (٣٤٥/٤ - ٣٤٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد به .

قال الهيثمي في المجمع (٣٧٦/١٠) : رواه الطبراني ، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وهو ضعيف .

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٤/٤) عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر ، وقال : بسندٍ ضعيف .

(٣) ويجمع على أحيان وأحايين . لسان العرب (حين) .

عمل الكافر ، ليس لعمله الحسن أصلٌ ثابت يُجزى به في الآخرة .

﴿يثبت اللّٰه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ تفسير ابن عباس[١]: قال : « إنَّ المؤمن إذا وُضِع في قبره ، ورجع عنه أصحابه أتاه ملكٌ فأجْلَسَهُ ، ثم يقول له : من ربك؟ فيقول : اللّٰه . ثم يقول : فما دينك؟ فيقول : الإسلام . ثم يقول : فمن نبيُّك؟ فيقول : محمدٌ . فيقال له : صدقت . ثم يفتح له بابٌ إلى النار ، فيقال له : انظرْ هذه النار التي لو أنَّك كنت كذَّبْت صِرت إليها ؛ قد أعاذك اللّٰه منها ، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له : انظر هذه الجنة . ويُعْرَضُ عليه منزله فيها ثم يُوسّع له قبرُه ، فلا يزال يأتيه من ريح الجنة وبردها حتى تأتيه الساعة . وإن الكافر إذا وضع في قبره ، ورجع عنه أصحابه أتاه ملكٌ فأجلسه ، فقال له : من ربك؟ فيقول : لا أدري . ثم يقول له : ما دينك؟ فيقول : لا أدري . ثم يقول : من نبيك؟ فيقول له : لا أدري . فيقول له : لا دريْتَ . ثم يفتحُ له بابٌ إلى الجنة فينظر إليها ، ثم يقال له : هذه الجنة التي لو كنت آمنت باللّٰه ورسوله صرت إليْها ، لن تراها أبدًا . ثم يُفْتح له بابٌ إلى النار ، فيقال له : هذه النار التي أنت صائر إليها . ثمّ يضيّق عليه قبره ، ثم يضربُ ضربة لو أصابت جبلاً (ل١٦٦) (...)[٢] فيصيح عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ إلا الثقلين . قال : فهو قوله : ﴿يثبت اللّٰه الذين آمنوا ...﴾ الآية » .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة اللّٰه كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها﴾ هم المشركون من أهل بدْر ، جعلوا مكان نِعَم اللّٰه عليهم الكفر ، وأخرجوا قومهم إلى قتال النبي ببدر ؛ فقتلهم اللّٰه فحلوا في النار . والبوارُ : الفساد ؛ أي : أن النار تفسد أجسادهم .

---

(١) روى ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في عذاب القبر عن ابن عباس معناه ، كما في الدر المنثور (٨٩/٤) .
(٢) طمس في الأصل

قال محمدٌ : نصب (جهنم) بدلاً من قوله : (دار البوار)[١]، والبوار أصله : الهلاك[٢].

﴿وجعلوا لله أندادًا﴾ يعني : آلهتهم التي عدلوها بالله ؛ فجعلوها آلهةً ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ أي : عن سبيل الهدى .

﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ يعني : الصلوات الخمس ؛ يحافظون عليها ﴿وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ يعني : الزكاة الواجبة .

﴿من قبل أن يأتي يومٌ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿لا بيعٌ فيه﴾ أي : لا يتبايعون فيه ﴿ولا خلالٌ﴾ أي : تنقطع فيه كل خلَّةٍ إلا خلة المؤمنين .

قال محمدٌ : الخلال مصدرٌ ؛ يقال : خاللْتُ فلانًا ؛ أي : صادقته خلالاً ومُخالَّةً ، والاسمُ : الخلَّة[٣].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبيْن﴾ أي : يجريان إلى يوم القيامة ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يختلفان عليكم ﴿وآتاكم﴾ أعطاكم ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي : وما لم تسألوه ؛ هذا تفسير الحسن يقول : كل ما أعطاكم هو منه مما سألتم ، ومما لم تسألوا ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ .

يحيى : عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، عن[٤] أبي الدّرداء قال : « من لم ير نعمة الله عليه إلا

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى لتوجيه نَصبه . ينظر : البحر (٤٢٤/٥) ، مجمع البيان (٣١٣/٣) .

(٢) يقال : بار الشيء يَبُور بَوَارًا وبَوْرًا ؛ أي : هلك . لسان العرب (بور) .

(٣) ويقال : (خالَّه) بالإدغام و(خالله) بفك الإدغام .

وسميت الصداقة : (خُلَّة) لأنها تخللت القلب ، فصارت خلاله ؛ أي : في باطنه . ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (خلل) .

(٤) زاد بعدها في الأصل : ابن . وهي زيادة مقحمة ، وأبو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس ، حكيم هذه الأمة ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٣٥/٢ - ٣٥٣) وغيره .

في مطعمه ومشربه، فقد قل علمه وحضر عذابه»[1] من حديث يحيى بن محمد.

﴿إن الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفارٌ﴾ بنعم ربه حين أشرك، وقد أجرى عليه هذه النعم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنًا﴾ يعني: مكة ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾.

قال محمدٌ: أهل الحجاز يقولون: جنّبني فلانٌ شرّه، وأهل نجد يقولون: أجنبني وجنبني؛ أي: جعلني جانبًا منه[2].

﴿رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس﴾ يعني: الأصنام أضللن كثيرًا من الناس؛ يقول: ضلَّ المشركون بعبادتها؛ من غير أن تكون دعتْ هي إلى عبادة أنفسها ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني﴾ فعبد الأوثان، ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿فإنك غفورٌ رحيم﴾.

﴿ربنا إني أسكنتُ من ذُريتي﴾ يعني: إسماعيل ﴿بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة﴾ أي: إنما أسكنتُهم مكة، ليعبدوك ﴿فاجعل أفئدة﴾ أي: قلوبًا ﴿من الناس تهوي إليهم﴾ تنزع إلى الحج، في تفسير الحسن. قال ابنُ عباس: «ولو كان قال: فاجعل أفئدة الناس

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٦٦) والبيهقي في الشعب (١١٣/٤رقم٤٤٦٧) من طريق الحسن عن أبي الدرداء به.

ورواه ابن المبارك في الزهد (١٣٤رقم٣٩٧) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٤، ١٣٨/٢٢) - عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قوله.

(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (جنب).

تهوي إليهم ، لحجَّه اليهود والنصارى وكل أحدٍ » .

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ تفسير ابن عباس : « إن إبراهيم جاء بهاجر وإسماعيل ؛ فوضعهما بمكة عند زمزم ، فلما قَفَا[1] نادتْهُ هاجر : يا إبراهيم ؛ فالتفت إليها فقالت : من أمرك أن تضعني وابني بأرض ليس بها ضرْعٌ ولا زرعٌ ولا أنيسٌ؟! قال : ربي . قالت : إذن لن يضيعنا . فلما قفا إبراهيم ، قال : ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن...﴾ أي : من الحزن ، الآية .

﴿رب اجعلني مقيم الصّلاة ومن ذريتي﴾ أي : واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة .

﴿ربنا اغفر لي ولوالديّ﴾ تفسير الحسن : دعا لأبيه أن يحوله الله من الكفر إلى الإيمان ، ولم يغفر له ؛ فلمّا مات كافرًا تبرأ منه ، وعرف أنه قد هلك .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ يعني : المشركين .

﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إلى إجابة (الداعي)[2] حين يدعوهم من قبورهم ﴿مهطعين﴾ أي : مسرعين إلى (نحو)[3] الدعوة (ل١٦٧) حين يدعوهم إلى بيت المقدس .

قال محمدٌ : (مهطعين) منصوبٌ على الحال[4].

و﴿مقنعي رءوسهم﴾ أي : رافعيها ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم﴾ أي : يديمون النظر .

قال محمدٌ : (طرفهم) يعني : نظرهم ، وأصل الكلمة من قولهم : طرفَ الرّجلُ يَطْرِفُ طَرْفًا ؛ إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر ؛ فسمي النظر طرْفًا ؛ لأنه به يكون[5]. ومنه قول الشاعر يذكر سهيلاً - النجم في السماء ، وشَبَّه اضطرابه بطرف العين .

---

(١) أي : رجع ذاهبًا . لسان العرب (قفى) .

(٢) في الأصل (الداع) بحذف الياء .

(٣) مشتبهة في الأصل .

(٤) ينظر : البحر (٤٣٥/٥ - ٤٣٦) ، الدر المصون (٢٧٧/٤) .

(٥) ويطلق الطَّرف على الواحد وغيره ، وقد يثنَّى ويجمع . لسان العرب (طرف) .

أراقبُ لمحًا من سُهَيْلٍ كأنه ... إذا ما بدا في دجنةِ الليل يطرفُ[١]

قوله عز وجل : ﴿وأفئدتهم هواء﴾ بين الصَّدر والحلق ؛ فلا تخرج من الحلق ، ولا ترجع إلى الصدر ؛ يعني : قلوب الكفار ؛ هذا تفسير السُّدي .

قال محمد : وجاء عن ابن عباس : (هواءٌ) أي : خالية من كل خير ، وقال أبو عبيدة : وكذلك كل شيءٍ أجوف خاوٍ ، فهو عند العرب هواء[٢].

وأنشد غيره :

كأنَّ الرَّحل منها فوق صَعلٍ ... من الظِّلْمان جُؤْجُؤُه هَواءُ[٣]

يقول : ليس لعظمه مخٌّ .

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

قوله : ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ أي : أنذرهم ذلك اليوم .

﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك﴾ سألوا الرجعة إلى الدنيا ؛ حتى يؤمنوا .

قال الله : ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ أي : في الدنيا ﴿ما لكم من زوال﴾ من الدنيا إلى الآخرة . ثم انقطع الكلام ، ثم قال للذين بعث فيهم محمدٌ : ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بشركهم ؛ يعني : من أهلك من الأمم السابقة ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ كيف أهلكناهم ؛ يخوفهم بذلك ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ يعني : وصفنا لكم عذاب الأمم الخالية ؛ يخوف كفار مكَّة .

﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم﴾ أي : محفوظٌ لهم ؛ حتى يجازيهم به ﴿وإن كان

---

(١) البيت من بحر الطويل ، وهو لجران العود . ينظر : البيان والتبيين (٥٧٨/١) ، أدب الكاتب (٧٣/١) .

(٢) ويقال : قلب هواء ؛ أي : فارغ ؛ للواحد والجمع . لسان العرب (هوى) .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى ؛ وهو من بحر الوافر . ينظر : البحر المحيط (٤٣٠/٥) ، روح المعاني (٢٤٦/١٣) .

مكرهم لتزول منه الجبال﴾ وهي في مصحف ابن مسعود : (وما كان مكرهم لتزول منه الجبالُ)[١] تفسير الكلبي : قال : « إن نمرُوذ الذي بنى الصّرْحَ ببابل ، أراد أن يعلم علم السماء ؛ فعمد إلى تابوتٍ فجعل فيه غلامًا ، ثم عمد إلى نسورٍ أربعةٍ فأجاعها ، ثم ربط كل نسرٍ بقائمة من قوائم التابوت ، ثم رفع لهما لحمًا في أعلى التابوت ، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى ، فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها ، ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللُّجة ، فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض وإنما هو الهواء ، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها ، فلما رأى ذلك صوَّبَ اللحم فتصوبت النسور ، فيقال - واللّه أعلم - : إنه مرَّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمرًا من اللّه ، فكاد يزول من مكانه ؛ فذلك قوله : ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ »[٢].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فلا تحسبن اللّه مخلف وعده رسله﴾ ما وعدهم من النصر في الدنيا . ﴿إنّ اللّه عزيزٌ﴾ في نقمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه بعذابه .

﴿يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات﴾ **قال محمدٌ** : أي : وتبدل السمواتُ .

﴿وبرزوا للّه﴾ حفاةً عراةً ﴿الواحد القهار﴾ قهر عباده بالموت وبما شاء .

قال محمدٌ : ومعنى تبديل السّموات : تكوير شمسها ، وخسوف قمرها ، وانتثار كواكبها ، وانفطارها ، وانشقاقها .

---

(١) ينظر البحر (٤٣٨/٥) ، الكشاف (٣٨٣/٢) ، ووردت القراءة في الأصل : (وإن كاد) ، وهي ليست قراءة ابن مسعود ؛ إنما تنسب لعمر وعليّ وأُبَيّ وغيرهم . وقرأ عليّ وأُبَيّ وعمر أيضًا (وأن كان) بفتح همزة (أن) . ينظر : الفخر الرازي (١٤٥/١٩) المحتسب (٣٦٥/١) .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/١) عن معمر عن الكلبي .

يحيى : عن يونس بن[1] أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تبدل الأرضُ بأرض بيضاء ؛ كأنها فضة لم يعمل فيها خطيئة ، ولم يسفك فيها محجمة دمٍ حرامٍ »[2].

﴿وترى المجرمين﴾ المشركين ﴿يومئذٍ مقرنين في الأصفاد﴾ يعني : السلاسل (يقرن كل إنسان (ل١٦٨) وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة .

قال محمدٌ : واحد الأصفاد : صفدٌ[3] يقال : صَفَدتُ الرجل ؛ إذا جعلته في صفدٍ ، وأَصْفَدتُه

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب « عن يونس عن أبي إسحاق » فإن الحديث معروف من رواية « أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود » كما سيأتي بيانه ، والله أعلم .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/١) والطبري في تفسيره (٢٤٩/١٣ - ٢٥٠) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٥رقم٩٠٠١) وأبو الشيخ في العظمة (١٠٩٩/٣ - ١١٠٠رقم٥٩٨) والحاكم في المستدرك (٥٧٠/٤) وغيرهم من عدة طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قوله .
قال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧) : وإسناده جيد .
وقال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/١١) : ورجاله رجال الصحيح ، وهو موقوف .
ورواه الحاكم (٥٧٠/٤) من طريق هبيرة بن يريم عن ابن مسعود .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسنادين جميعًا على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٥رقم٣٨٨) والطبري في تفسيره (٢٥٠/١٣) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا .
قال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/١١) : ورجاله موثقون أيضًا .
ورواه البزار (٢٤٦/٥ - ٢٤٧رقم ١٨٥٩) والطبراني في الكبير (١٦١/١٠ رقم ١٠٣٢٣) وفي الأوسط (١٦٤/٧ رقم٧١٦٧) وابن عدي في الكامل (٣٤٢/٢ - ٣٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٥٣، ٣٤٨) من طريق جرير بن أيوب البجلي عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعًا .
قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أبي إسحاق عن عمرو عن عبد الله مرفوعًا إلا جرير بن أيوب ، وجرير ليس بالقوي .
وقال الطبراني : لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا جرير بن أيوب ، تفرد به أبو عتاب .
وقال أبو نعيم : لم يروه عن أبي إسحاق مرفوعًا إلا جرير ، ورواه أبو الأحوص وإسرائيل وزكرياء بن أبي زائدة موقوفًا على عبد الله .
وقال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه جرير بن أيوب البجلي ، وهو متروك .

(٣) تكرر في الأصل .

إذا أعطيته عطاءً[١].

﴿سرابيلهم من قطران﴾ أي : قُمصهم ، والقطرانُ : هو الذي يُطلى به الإبلُ ، وقال مجاهد : ﴿سرابيلهم من قطران﴾ أي : من صُفرٍ[٢] حار قد انتهى حره ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ هو كقوله : ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾[٣] أي : يجرُّ على وجهه في النار ﴿ ليجزي اللَّه كل نفسٍ ما كسبت﴾ ما عملت ﴿إن اللَّه سريع الحساب﴾ .

يحيى : سمعت بعض الكوفيين يقول : يقضَى بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا .

﴿هذا بلاغٌ للناس﴾ للمؤمنين ؛ يعني : القرآن يبلغهم إلى الجنة ﴿ولِيُنْذَروا به وليعلموا أنما هو إلهٌ واحدٌ﴾ ليس له شريك ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ وهم المؤمنون .



(١) لسان العرب (صفد) .

(٢) أي : نحاس أصفر . لسان العرب (صفر) .

(٣) الزمر : ٢٤.

تفسير سورة الحجر وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾

قوله : ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ بيِّنٌ ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ .

يحيى : عن عثمان ، عن حمّاد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « يقول أهْلُ النار لمن دخلها من أهل التوحيد : قد كان هؤلاء مسلمين ، فما أغنى عنهم؟! قال : فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة ، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين »[1].

﴿ذرهم يأكلوا﴾ يعني : المشركين ، يأكلوا ﴿ويتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿ويُلْهِهِمُ الأمَلُ﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ يوم القيامة ؛ وهذا وعيدٌ ، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ، ثم أمر بقتالهم ، ولا يذرهم حتى يُسْلموا أو يُقتلوا ؛ يعني : مشركي العرب .

﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلومٌ﴾ يعني : الوقت الذي يهلكون فيه ؛ يعني : من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسلَهم ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني : الأمم الخالية أجلها وقت العذاب ﴿وما يستأخرون﴾ عنه .

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني : القرآن ؛ فيما تدَّعي ﴿إنك لمجنون﴾ يعنون : محمدًا ﴿لو ما﴾ أي : لولا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ حتى تشهد أنك رسول الله ﴿إن كنت من

---

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٨١ رقم ١٠٢) بإسناده عن يحيى بن سلام به .
ورُوي عن عدة من الصحابة موقوفًا ومرفوعًا ، انظر : تفسير الطبري (٢/١٤ - ٥) والدر المنثور (١٠٤/٤ - ١٠٥) .

الصادقين﴾ فنصدقك . قال الله : ﴿ما ننزل الملائكة﴾ حتى تعاينونهم[1] ﴿إلا بالحق﴾ يعني : بعذابهم واستئصالهم ﴿وما كانوا إذن منظرين﴾ طرفة عينٍ بعد نزول الملائكة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝﴾

﴿إنا نحن نزّلنا الذكر﴾ يعني : القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ حفظه الله من إبليس أن يزيد فيه شيئًا ، أو ينقص منه .

﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ أي : في قرنٍ ؛ يعني : قوم نوح وسائر الأمم ﴿وما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه﴾ نسلك التكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾ يعني : المشركين .

قال محمدٌ : تقول : سلكتُ فلانًا في الطريق وأسلكتُه بمعنى واحدٍ[2].

﴿لا يؤمنون به﴾ يعني : القرآن ﴿وقد خلت سنةُ الأوَّلين﴾ يعني : وقائع الله في الأمم الخالية التي أهلكهم بها - يخوف المشركين بذلك .

﴿ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا﴾ أي : ساروا ﴿فيه يعرجُون﴾ أي : يختلفون بين السماء والأرض ، يعني : الملائكة[3] ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ أي : سُدَّت ﴿بل نحن قومٌ مسحورون﴾ كقوله : ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾[4].

قال محمدٌ : من قرأ (سُكِّرت) بالتثقيل ، فهو من سَكَّرتُ البصر إذا سددته ، ويقال للسَّدِّ : السَّكْرُ . ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخففةً[5]، فالمعنى : تحيَّرت أبْصَارنا وسكنتْ عن النظر ؛ تقول العرب :

---

(١) هكذا في الأصل ، وهو خلاف الجادة ، والصواب : حتى تعاينوهم .

(٢) وأيضًا سَلَّكْته . لسان العرب (سلك) .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) القمر : ٢.

(٥) قرأ بالتثقيل منها للمفعول السَّبعةُ إلا ابن كثير ؛ فقد قرأ بالتخفيف .

شَكِرَتِ الريحُ تَشكَرُ إذا سكنت[١] (...)[٢]

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

(ل١٦٩) ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجًا﴾ يعني: نجومًا؛ في تفسير ابن عباس وقتادة[٣] ﴿وزيناها﴾ زينا السماء بالنجوم ﴿للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ملعون رجمه الله باللعنة؛ في تفسير الحسن ﴿إلا من استرق السَّمْعَ﴾ فإنها لم تُحفظ منه إن تسمع الخبر من أخبار السماء، ولا تسمع من الوحي شيئًا. ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ مضيءٌ.

﴿والأرض مددناها﴾ يعني: بسطناها ﴿وألقينا﴾ أي: جعلنا ﴿فيها رواسي﴾ وهي الجبال ﴿وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون﴾ أي: مقدور بقدر؛ في تفسير مجاهد[٤].

قال محمدٌ: معنى قول مجاهد: أي: جرى على وزنٍ من قدر الله لا يجاوز ما قدَّره الله عليه.

﴿وجعلنا لكم فيها﴾ في الأرض ﴿معايش﴾ يعني: ما أخرج الله لهم فيها، ومِمَّا عمل بنو آدم ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أي: جعلنا لكم، ولمن لستُمْ له برازقين فيها معايش؛ يعني: البهائم وغيرها من الخلق ممن لا يمونه بنو آدم. ﴿وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه﴾ يعني: المطر؛ وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر.

= ينظر: السبعة (٣٦٦)، النشر (٢/٣٠١)، التيسير (١٣٥).

(١) ينظر لسان العرب (سكر).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) رواه الطبري (١٤/١٤).

(٤) رواه الطبري (١٤/١٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٠٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ يعني : للسَّحاب ؛ في تفسير قتادة[١].

قال محمدٌ : المعنى : أنها تضرب السحاب حتى تمطر ، وواحدة اللواقح من الرياح : لاقحٌ ؛ بمعنى : أنها ذات لقح[٢]، كقوله : ﴿في عيشة راضية﴾[٣] أي : ذات رضًا .

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ أي : بحافظين ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ أي : نخلق ﴿ونميت ونحن الوارثون﴾ يموت الخلق ، واللّٰه الوارث الباقي بعد خلقه .

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ تفسير قتادة[٤]: يعني : آدم ، ومن مضى من ذريته ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ من بقي في أصْلية الرجال .

﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ يحشر الخلق يوم القيامة ﴿إنه حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال﴾ قال قتادة[٥]: يعني : التراب اليابس الذي يسمع له صلْصَلةٌ ﴿من حمإٍ مسنون﴾ يعني : المتغير الرائحة .

قال محمدٌ : الحمأُ جمع : حمأة[٦]، ويقال لليابس من الطين الذي لم تُصِبه نارٌ : صلصالٌ[٧]؛ فإذا مسَّته النار فهو فخَّار[٨].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٤٦/١) والطبري (٢١/١٤) .

(٢) لسان العرب (لقح) .

(٣) الحاقة : ٢١، والقارعة : ٧.

(٤) رواه عبد الرزاق (٣٤٨/١) والطبري (٢٤/١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٠٩/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر .

(٥) رواه عبد الرزاق (٣٤٨/١ - ٣٤٩) والطبري (٢٧/١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١١٠/٤) لابن أبي حاتم .

(٦) والحمَأُ والحمْأةُ بمعنى . لسان العرب (حمأ) .

(٧) لسان العرب (صلصل) .

(٨) لسان العرب (فخر) .

﴿والجان﴾ يعني: إبليس؛ في تفسير قتادة[1] ﴿خلقناه من قبلُ﴾ أي: من قبل آدم ﴿من نار السموم﴾ يعني: سموم جهنم.

قال محمدٌ: والسَّمومُ من صفات جهنّم وهو شدة حرها، والجان منصوب بفعل مضمرٍ[2]؛ المعنى: وخلقنا الجان خلقْناهُ.

قوله عز وجل: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ تفسير ابن عباسٍ: «لو لم يكن إبليس من الملائكة، لم يؤمر بالسجود».

قال الحسن: أمره الله بالسجود كما أمر الملائكة؛ فأبى أن يسجد معهم، وكان خلق إبليس من نارٍ، وخلق الملائكة من نورٍ.

قال محمدٌ: (إلا إبليس) منصوبٌ باستثناء ليس من الأول[3]؛ كما قال عز وجل: ﴿فإنهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين﴾[4] المعنى: لكن إبليس أبى أن يكون هذا على مذهب من قال: إن إبليس لم يكن من الملائكة.

وقيل: إنّ إبليس كان اسمُه: عزازيل، وإنّ الله لما لعنه وغضب عليه أبلس من رحمته؛ أي: يئس؛ فسماه: إبليس.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٤/٣٠).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١١٠) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر أيضًا.

(٢) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر البحر: (٥/٤٥٣)، الدر المصون (٤/٢٩٦).

(٣) البحر المحيط (٥/٤٥٣).

(٤) الشعراء: ٧٧.

﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الحساب ؛ يعني : يوم القيامة ، وعليه اللعنة أيضًا يوم القيامة أبدًا .

﴿قال فإنك من المنظرين﴾ المؤخَّرين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني : النفخة الأولى التي يموت بها كل حي ، وأراد عدو الله أن يؤخره إلى النفخة الآخرة التي يُبعث بها الخلق .

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ يزين لهم الدنيا في أمرهم بها ، ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ؛ يوسوس ذلك إليهم ﴿ولأغوينهم﴾ لأُضلنَّهم ﴿أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الموحِّدين .

﴿قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيم﴾ (ل١٧٠) تفسير مجاهد : يعني : أن الله هو الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي : لا تستطيع أن تضل من هدى الله ﴿إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعني : الغاوين ﴿لها سبعة أبواب﴾ بعضها تحت بعضٍ مطبقة ؛ الباب الأعلى جهنم ، ثمَّ سقر ، ثم لظى ، ثم الحُطمةُ ، ثم السعير ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، وجهنم والنار يقدُمان الأسماء[١] ﴿لكل باب منهم جزءٌ مقسوم﴾ .

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إن المتقين في جناتٍ وعيون﴾ العيون : الأنهار ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ وذلك حين تلقاهم الملائكة ؛ تقول لهم : ﴿سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٢] آمنين من الموت .

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾ يعني : ما كان بينهم في الدنيا من الحسد والضغائن ﴿إخوانًا على سُررٍ متقابلين﴾ قال بعضهم : هذا إذا زار بعضهم بعضًا .

قال محمدٌ : (إخوانًا) منصوبٌ على الحال[٣].

---

(١) وقال ابن جُريج : سبعة أبواب : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . قال ابن رجب في التخويف من النار (ص٥٩) : خرجه ابن أبي الدنيا وغيره .

(٢) الزمر : ٧٣.

(٣) ينظر : إعراب القرآن (١٩٦/٢) ، والبحر (٤٥٧/٥) .

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ لا أغفرَ منه ولا أرْحَمَ ؛ يغفر للمؤمنين ويرحمهم ويدخلهم الجنة ﴿وأن عذابي﴾ يعني : النار ﴿هو العذاب الأليم﴾ الموجع .

﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجلون﴾ أي : خائفون .

قال محمدٌ : (سلامًا) منصوبٌ على المصدر ؛ كأنّه قال : فسلموا سلامًا[1].

﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ عَجِبَ من كبره وكبر امرأته ﴿فبم تبشرون﴾ .

قال محمدٌ : الأصل في (تبشرون) : تبشرونني ؛ فحُذفت أحد النونين ؛ لاستثقال جمعهما[2] هذا فيمن قرأها بكسر النون[3].

﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانتين﴾ الآيسين ﴿قال فما خطبكم﴾ ما أمركم؟ .

﴿إلا آل لوط﴾ يعني : أهله المؤمنين ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ يعني : الباقين في عذاب الله .

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

(١) أي : منصوب على المفعول المطلق . إعراب القرآن (٢/١٩٧) ، البحر (٥/٤٥٨) .

(٢) وقيل : الأصل : (تبشروني) فحذف الياء ، واجتزأ بالكسرة ، وحذف نون الرفع ؛ لاجتماع النونين . كشف المشكلات (٢/٦٦٧) .

(٣) وهي قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالفتح ، وشدد النون : ابن كثير ، وخففها الباقون . السبعة (٣٦٧) ، التيسير (١٣٦) ، النشر (٢/٣٠٢) .

وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ يعني : الملائكة ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ نكرهُم ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ يشكون ، من العذاب ؛ كانوا يقولون : لا نُعذب ؛ حين كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ﴿وأتيناك بالحق﴾يعني : بعذابهم .

﴿فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل﴾ أي : في طائفةٍ من الليل ؛ والسُّرَى لا يكون إلا ليلاً .

قال محمدٌ : ويقال منه : أَسْرَى وسَرَى[١].

﴿واتبع أدبارهم﴾ أي : كن آخرهم ﴿ولا يلتفت منكم أحدٌ﴾ لا ينظر وراءه إلى المدينة .

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي : أعلمناه ﴿أنَّ دابر هؤلاء﴾ أصلهم ﴿مقطوع مصبحين﴾ .

قال محمدٌ : (مصبحين) نصبٌ على الحال[٢].

﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ بأضياف لوطٍ ؛ لما يريدون من عمل السوء ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ ﴿ قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ أي : أن تضيف أحدًا ولا تنزله ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أمرهم بتزويج النساء ﴿إن كنتم فاعلين﴾ متزوِّجين .

﴿لعمرُك﴾ قسمٌ ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ يعني : ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يتحيرون .

قال محمدٌ : العَمْرُ والعُمُرُ عند أهل اللغة بمعنى واحدٍ ؛ فإذا استعمل في القسم فتح أوّلهُ ؛ لكثرة استعمالهم له ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ[٣].

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ قال السُّدي : صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ حين أشرقت الشمسُ ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد مضى تفسيرُه[٤].

---

(١) ومنه أيضًا : سَارَى واشترَى بمعنًى . لسان العرب (سرى) .

(٢) إعراب القرآن (٢٠١/٢) ، البحر (٤٦١/٥) .

(٣) لسان العرب (عمر) .

(٤) في سورة هود ، الآية : ٨٢.

﴿إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾ قال سفيان: يعني: للمتفرسين.

قال محمدٌ: معنى التفرس: الاستدلال بصحة النظر؛ يقال: توسمت في فلان الخير، وتفرَّسته؛ أي: تبيَّنته[1].

﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ يعني: قرية قوم لوط؛ أي: هي طريق واضح.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٨١ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝٨٣ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٤﴾

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ يعني: الذين بعث إليهم شعيب (...)[2] والأيكة (...)[2] كانوا أصحاب (...)[2] كان عامَّة شجرهم (ل١٧١) المُقْلُ؛ وهو الدَّومُ، فسلط الله عليهم الحرّ سبعة أيام فكان لا يأتيهم منه شيءٌ، فبعث الله عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتمسون الرَّوْحَ، فجعلها الله نارًا فاضطرمت عليهم.

قال محمدٌ: قرأ نافعٌ: (الأيكة)[3] وكذلك قرأ التي في «قاف»[4] وقرأ التي في «الشعراء»[5] وفي «ص»[6]: (لَيْكَةَ) بغير ألف ولام ولم يصرفهما[7] فيما ذكره أبو عُبيد، وقال: وجدنا في بعض التفاسير: أن (لَيْكَةَ) اسمُ القرية التي كانوا فيها، و(الأيكةُ)[8]: البلادُ كلها.

---

(١) لسان العرب (فرس)، (وسم).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) أي: أن نافعًا قرأ (الأيكة): (ليكة)؛ فالتي في الحجر قرأها نافع وحده، والتي في الشعراء وص وقاف قرأها نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر السبعة (٣٦٨، ٤٧٣).

(٤) ق: ١٤.

(٥) الشعراء: ١٧٦.

(٦) ص: ١٣.

(٧) للعلمية والتأنيث. الدر المصون (٣٠٦/٤) والمراد (ليكة) كما في «الشعراء» و«ص».

(٨) قال صاحب مختار الصحاح: فمن قرأ: (أصحاب الأيكة) فهي الغيضة، ومن قرأ: (أصحاب ليكة) فهي اسم القرية. وقيل: هما مثل بكّة ومكة.
ينظر مختار الصحاح (أيك).

﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ يقول : وإن منزل قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق واضح .

قال محمدٌ : قيل للطريق : إمام ؛ لأنه يؤتم به ؛ أي : يهتدى به[1].

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني : ثمود قوم صالح ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين﴾ .

قال محمدٌ : الحجرُ اسمُ وادٍ ، وأصلُ النحتِ : القطع والنجر[2].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي : للبعث ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهذا منسوخٌ بالقتال .

﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني﴾ تفسير قتادة[3]: هي فاتحة الكتاب ؛ وهي سبع آياتٍ ؛ وإنما سميت المثاني ؛ لأنهن يثنين في كل ركعة .

قال محمدٌ : قيل : المعنى – والله أعلم – : ولقد آتيناك سبعًا مثاني ، وتكون (من) صلةً ؛ كما قال الله – عز وجل – : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[4] المعنى : اجتنبوا الأوثان ، لا أنَّ بعضها رجسٌ .

﴿والقرآن العظيم﴾ أي : وآتيناك القرآن العظيم .

---

(١) وجمعه : أئمة . لسان العرب (أمم) .

(٢) لسان العرب (نحت) .

(٣) رواه الطبري (٥٦/١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١١٧/٤) لابن الضريس أيضًا .

(٤) الحج : ٣٠.

﴿لا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ أصنافًا ؛ يعني : الأغنياء ؛ في تفسير مجاهد[1] ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني : المشركين إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي : ألِنه لمن آمن بك ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي : أنذر الناس النار ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال الحسن : يقول : أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين ، يعني : أهل الكتابين الذي اقتسموه ، فجعلوه كتبًا بعد إذ كان كتابًا ، وحرّفوه فجعلوه كالأعضاء .

قال محمدٌ : المعنى : آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه ، وتقول العرب : عضّيت الشيء؛ إذا وزعته ، وعضّيت الذبيحة ؛ إذا قطعتها أعضاء ، والعضة : القطعة منها ، والجميع : عضون في حال الرّفع ، وعِضِين في حال النصب والخفض[2]. قال رؤبة[3]: -

وليس دين الله بالمعضّى[4]

قوله : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر﴾ قال الكلبي : يعني : أظهر ما أُمرت به .

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال الكلبي : هُمْ خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث .

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني بقولهم أنك ساحرٌ ، وأنك شاعرٌ ، وأنك كاهنٌ ، وأنك مجنون ، وأنك كاذبٌ ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يعني : الموت .

---

(١) رواه الطبري (٦١/١٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (١١٨/٤) لابن المنذر أيضًا .
(٢) وذلك لأنه مُلحق بجمع المذكّر السالم . لسان العرب (عضو) .
(٣) هو رؤبة بن العجاج راجز مشهور مات سنة ١٤٥ . ينظر ترجمته من الشعر والشعراء (٥٩١/٢) ، الأغاني (٣١٢/٢٠) .
(٤) البيت من الرجز . ينظر : ديوان رؤبة (٨١) ، مجاز القرآن (٣٥٥/١) ، اللسان (عضو) .

تفسير سورة النحل

وهي من أولها إلى صدر هذه الآية : ﴿والذين هاجروا في الله ...﴾[١] مكّي ، وسائرها مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

قوله : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ تفسير الحسن : هذا جوابٌ من الله لقول المشركين للنبي ﷺ : ﴿ائتنا بعذاب الله﴾[٢]، ولقولهم : ﴿عجل لنا قطنا﴾[٣] وأشباه ذلك ؛ فقال الله : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أي : أن العذاب آتٍ قريب ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع عما يقول المشركون من الإشراك به ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ (في تفسير السدي)[٤] ﴿من أمره﴾ أي : بأمره .

قال محمدٌ : (سمى (ل١٧٢) الوحي روحًا لأن به)[٥] حياة من الجهل .

﴿على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾ بأن أنذروا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أن تعبدوا معي إلهًا .

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ للبعث والحساب ، والجنة والنار ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾

---

(١) النحل : ٤١.

(٢) العنكبوت : ٢٩.

(٣) ص : ١٦.

(٤) هكذا بالأصل . ولعل هناك كلامًا ساقطًا .

(٥) مشتبهة في الأصل ولعلها كما أثبته ، والله أعلم .

يعني : المشرك ؛ في تفسير الحسن ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ بَيِّنُ الخصومة .

﴿والأنعام خلقها لكم﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم .

قال محمدٌ : نصب (الأنعام) على فعل مضمر[١]؛ المعنى : وخلق الأنعام لكم .

﴿فيها دفءٌ﴾ يعني : ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ومنافع في ظهورها ؛ هذه الإبل والبقر وألبانها في جماعتها .

﴿ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون﴾ أي : حين تروح عليكم راجعة من الرّعي ﴿وحين تسرحون﴾ بها إلى الرعي ؛ هذا تفسير الحسن .

قال محمدٌ : راحت الماشية وأرَحْتُها ، وسَرَحَتْ وسرَحْتُهَا ؛ الرواح : بالعشي[٢]، والسُّروح : بالغُدُوّ[٣]. ومعنى [لكم فيها جمال][٤] أي : إذا قيل : هذا مال فلان .

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني : الإبل والبقر ﴿إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ يقول : لولا أنها تحمل أثقالكم إلى البلد الذي تريدونه ، لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم ﴿إن ربكم لرءوف رحيم﴾ يقول : فبرأفة الله ورحمته سخَّر لكم هذه الأنعام ، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم .

﴿والخيل﴾ يقول : وخلق الخيل ﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينةً﴾ في ركوبها ؛ تفسير قتادة : خلقها الله للركوب وللزينة ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء كلها مما لم يُذكَر لكم .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) أي : نصب على الاشتغال . الدر المصون (٣١٢/٤) .

(٢) أي : من زوال الشمس إلى الليل . لسان العرب (روح) .

(٣) أي : ما بين الفجر إلى طلوع الشمس . لسان العرب (سرح) و(غدو) .

(٤) سقطت من الأصل ، ويقتضيها سياق الآية .

يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ يعني : طريق الهدى ؛ كقوله : ﴿إن علينا للهدى﴾[1] ﴿ومنها﴾ أي : وعنها ؛ يعني : السبيل ﴿جائرٌ﴾ وهو الكافر جار عن سبيل الهدى ﴿ومنه شجرٌ فيه تسيمون﴾ أي : ترعون أنعامكم .

قال محمدٌ : تقول : أَسَمْتُ ماشيتي فسامت ؛ أي : رعيتها فرعتْ[2].

﴿ينبت لكم به﴾ أي : بذلك الماء ﴿الزرع والزيتون ...﴾ الآية ، يقول : فالذي يُنبِتُ من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادرٌ على أن يحيي الأموات .

﴿وما ذرأ لكم﴾ خلق ﴿في الأرض مختلفًا ألوانه﴾ تفسير قتادة[3]: يعني : من الدواب والشجر والثمار .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي : خلق ﴿لتأكلوا منه لحمًا طريًا﴾ يعني : الحيتان ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعني : اللؤلؤ ﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ يعني : شقها الماء في وقت جريها .

---

(١) الليل : ١٢.

(٢) لسان العرب (سوم) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٥٣/١ - ٣٥٤) والطبري (٨٧/١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٦/٤) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال محمدٌ : يقال : مخرت السفينة الماء ؛ إذا شقَّته[1].

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني : طلب التجارة في السفن .

﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني : الجبال ﴿أن تميد بكم﴾ لئلا تميد ؛ أي : تتحرك ﴿وأنهارًا﴾ أي : وجعل فيها أنهارًا ﴿وسبلاً﴾ طرقًا ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق ﴿وعلامات﴾ جعلها في الطرق تعرفونها بها ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ يعني : جماعة النجوم التي يهتدى بها .

﴿أفمن يخلق﴾ يعني : نفسه ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني : الأوثان هل يستويان؟ أي : لا يستوي اللَّه والأوثان ﴿أفلا تذكرون﴾ يقوله للمشركين .

﴿والذين تدعون[2] من دون اللَّه﴾ يعني : الأوثان ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون﴾ أي : يصنعون بالأيدي .

﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون﴾ متى يبعثون .

قال قتادة : تحشر الأوثان بأعيانها ؛ فتخاصم عابديها عند اللَّه ؛ أنها لم تدعهم إلى عبادتها ، وإنما كان دعاهم إلى ذلك الشياطين .

﴿وإذا قيل لهم﴾ إذا قال المؤمنون للمشركين : ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ أي : كذبُ الأوَّلين وباطلُهم ؛ وارتفعت[3] لأنها حكاية على معنى قالوا : إنه أساطير الأولين[4] ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي : آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ يعني الذين قالوا : أساطير الأولين

---

(١) مخرت السفينة الماء مَخْرًا ومُخورًا . لسان العرب (مخر) .

(٢) قرأ العامة : ﴿تدعون﴾ بالخطاب ، وقرأ عاصم ﴿يدعون﴾ بالغيب . النشر (٣٠٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٥٠) .

(٣) أي : الأساطير .

(٤) أي : ارتفعت على الخبرية ، وحذف المبتدإ . ينظر : إعراب القرآن (٢٠٨/٢) البحر (٤٨٤/٥) .

(ل١٧٣) ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ أي : بئس ما يحملون .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما داعٍ دعا إلى هدى فاتُّبع عليه ، فله مثل أجر من اتبعه ، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، وأيما داعٍ دعا إلى ضلالةٍ فاتُّبع عليها فعليه مثل وزر من اتبعه ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا »[1].

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى اللّٰه بنيانهم من القواعد﴾ يعني : الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة رجفت بهم الأرض ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقطت سقوف منازلهم عليهم .

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أي : تعادون فيهم ، وعداوتهم للّٰه : عبادتهم الأوثان من دونه ، ومعنى (شركائي) أي : الذين زعمتم أنهم شركائي .

﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ يعني : العذاب على الكافرين ؛ وهذا الكلام يوم القيامة .

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تفسير الحسن : وفاةٌ إلى النار ؛ أي : حَشْرٌ ﴿فألقوا السلم﴾ قال الحسن : يعني : أعطوا الإسلام واستسلموا ؛ فلم يقبل منهم ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قال الحسن : إن في القيامة مواطن ، فمنها موطن يقرون فيه بأعمالهم الخبيثة ، ومنها موطن ينكرون فيه ، ومنها موطن يختم على أفواههم ، وتتكلم أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلا ، كما في الدر المنثور (٥/١٥٥) .
وسيأتي من سورة العنكبوت عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ موصولاً .
ورواه الطبري في تفسيره (١٤/٩٦) عن الربيع بن أنس مرسلاً .
وروى مسلم (٤/٣٦٤رقم٢٦٧٤) عن أبي هريرة ﷺ نحوه .

ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا﴾ أي أنزل خيرًا . ثم انقطع الكلام ، ثم قال : ﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ الجنة ﴿ولدار الآخرة خيرٌ﴾ من الدنيا ﴿ولنعم دار المتقين جنات عُدنٍ يدخلونها﴾ .

قال محمدٌ : (جناتُ عدنٍ) مرفوعةٌ بإضمار (هي)[1].

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ تقبض أرواحهم ﴿طيبين﴾ يعني : أحياءً وأمواتًا ﴿يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ .

يحيى : عن حيوة بن شريح قال : إن الملائكة تأتي وليَّ الله عند الموت فتقول : السلام عليك يا وليَّ الله ، اللهُ يقرأ عليك السلام . وتبشره بالجنة .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ تفسير الحسن : يقول : هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بعذابهم ؛ يعني : مشركي العرب ، أو يأتي أمر ربك ؛ يعني : النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة الدَّائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة . قال :

(١) أي : على الخبرية ، مع حذف المبتدإ . وفي ذلك تفصيل نحوي واسع . ينظر الدر المصون (٣٢٤/٤) .

﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ يعني: النفخة الأولى؛ كما كذّب مشركو العرب، فأهلكناهم بالعذاب ...الآية.

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ ثواب ما عملوا ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: ثواب ما كانوا به يستهزئون بآيات الله وبالرسل.

﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ وهو ما حرّموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة وغير ذلك؛ فقال الله جوابًا لقولهم: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾.

﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولا﴾ يعني: ممن أهلك بالعذاب ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ والطاغوت: الشيطان؛ هو دعاهم إلى عبادة الأوثان ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم، ثم صيَّرهم إلى النار.

﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل﴾ كقوله: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾[1].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ قال: ﴿بلى وعدًا عليه حقًّا﴾ ليبعثهم.

قال محمدٌ: (وعدًا) مصدرٌ[2]؛ والمعنى: وعد بالبعث وعدًا.

﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ أي: ما كانوا يختلفون في الدنيا؛ يعني: المؤمنين والكافرين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم في الدنيا: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾[3].

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له﴾ قبل أن يكون (ل١٧٤) ﴿كن فيكون﴾.

---

(١) الأعراف: ١٨٦.
(٢) أي: مصدر مؤكد. الدر المصون (٣٢٦/٤).
(٣) النحل: ٣٨.

قال محمدٌ : (فيكون) بالرفع على معنى : فهو يكون[١].

﴿والذين هاجروا في الله﴾ إلى المدينة ﴿من بعد ما ظلموا﴾ من بعد ما ظلمهم المشركون ، وأخرجوا من ديارهم من مكة﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ يعني : المدينة ؛ في تفسير قتادة[٢] ﴿ولأجر الآخرة﴾ الجنة ﴿أكبر﴾من الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن الجنة خيرٌ من الدنيا . ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال الحسن : وهم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ يقوله للمشركين ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر : عبد الله بن سلام ، وأصحابه الذين أسلموا ؛ في تفسير السدي .

﴿بالبينات والزبر﴾ يعني : الكتب .

قال يحيى : فيها تقديمٌ : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً نوحي[٣] إليهم .

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن .

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ يعني : الشرك ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي : في أسفارهم في غير قرار ﴿فما هم بمعجزين﴾ بسابقين ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ تفسير الكلبي[٤]: يعني : على تنقُّص ؛ أي : يبتليهم بالجهد

---

(١) تقدم الكلام عليه في سورة (البقرة الآية : ١١٧) .

(٢) انظر الدر المنثور (١٣٢/٤) .

(٣) في الأصل : يوحى . وهو تصحيف .

(٤) انظر تفسير عبد الرزاق (٣٥٦/١) .

حتى يرقوا ويقل عددهم .

قال محمدٌ : يقال : تخوَّفته الدُّهور ؛ أي : تنقَّصته[١].

قال بعض الشعراء - يصف ناقةً - وأن السير نقص سنامها بعد تمكُّنه واكتنازه :

تخوف السير منها تامكًا قَرِدًا ... كما تخوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[٢]

النَّبْعُ : العُودُ الذي يُعمل منه السهام والقِسيُّ .

قوله : ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ أي : إن تابوا وأصلحوا .

﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ﴾ أي : يرجع ﴿ظلاله﴾ يعني : ظل كل شيء ﴿عن اليمين والشمائل﴾ تفسير الحسن : ربما كان الفيء عن اليمين ، وربما كان عن الشمال ﴿سجدًا لله وهم داخرون﴾ صاغرون .

قال محمدٌ : يقال : دخر لله ؛ أي : خضع[٣]، و(سجَّدًا) منصوبٌ على الحال[٤].

﴿ولله يسجد ما في السموات﴾ يعني : الملائكة ﴿وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ؛ يعني : الملائكة .

قال محمدٌ : قيل في قوله : (والملائكة) أي : تسجد ملائكة الأرض .

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي : لا تعبدوا مع الله غيره ﴿إنما هو إلهٌ واحدٌ فإياي

---

(١) و(تخوَّف) مطاوع (خوَّف) . لسان العرب (خوف) .

(٢) ويروى : (تخوف الرجل .. إلخ) . والبيت من بحر البسيط . وهو لأبي كبير الهذلي . ينظر البحر المحيط (٥/٤٩٥) ونسبه صاحب لسان العرب لابن عقيل (خوف) ، ولذي الرمة (سفن) . وانظر روح المعاني (١٤/١٥٢) .

(٣) لسان العرب (دخر) .

(٤) حال من قوله تعالى : (ظلاله) ، وهو جمع (ساجد) ينظر الدر المصون (٤/٣٣٢) .

فارهبون﴾ فخافون(١).

﴿وله الدين واصبًا﴾ أي : دائمًا ﴿أفغير الله تتقون﴾ تعبدون ؛ يقول هذا للمشركين على الاستفهام ؛ أي : قد فعلتم ، فعبدتم الأوثان من دونه .

﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسّكم الضر﴾ المرض والشدائد ﴿فإليه تجأرون﴾ تصرخون ؛ أي : تدعونه ولا تدعوا الأوثان .

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف تعلمون﴾ هذا وعيدٌ .

﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا﴾ يعني : آلهتهم ؛ أي : يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع الله شيئًا ، ولا أمات ولا أحيا ولا رزق معه شيئًا ﴿نصيبًا مما رزقناهم﴾ يعني : قوله : ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾(٢) قال الله - عز وجل - : ﴿تالله﴾ قسمٌ يقسم بنفسه ﴿لتسئلن عما كنتم تفترون﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : تسألون عن ذلك - سؤال توبيخ - حتى تعترفوا به على أنفسكم ، وتلزموا أنفسكم الحجة .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ويجعلون لله البنات﴾ كان مشركو العرب يقولون : إن الملائكة بنات الله . قال الله : ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه عما قالوا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أي : ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ؛ يعني : الغلمان ﴿وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا﴾ أي : متغيرًا ﴿وهو كظيم﴾ أي : كظيمٌ

(١) وحذف ياء (فخافون) والأصل : (فخافوني) على سبيل المشاكلة ، أي : لقوله تعالى : ﴿فارهبون﴾ .
(٢) الأنعام : ١٣٦.

على الغيظ والحزن .

(ل١٧٥) **قال محمدٌ** : وأصل الكظم : الحبسُ[١].

﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ يقول : يتفكر كيف يصنع بما بشِّر به ؛ أيمسكه على هوانٍ – يعني : الابنة – أم يدفنها حيَّةً حتى تموت مخافة الفاقة ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ وهذا مثلٌ ضربه الله لهم في قولهم : الملائكة بنات الله .

ثم قال : ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى﴾ يقول : ولله الإخلاص والتوحيد ؛ في تفسير قتادة[٢].

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ أي : لحبس المطر ؛ فأهلك حيوان الأرض ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يؤخر المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى الساعة ؛ لأن كفار آخر هذه الأمة أخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ بعذاب الله ﴿لا يستأخرون ...﴾ عنه عن العذاب ، الآية

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يجعلون له البنات ، ويكرهونها لأنفسهم ﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ يعني : البنين ؛ في تفسير السدي ﴿لا جرم﴾ كلمةُ وعيد ؛ وقد مضى تفسيرها[٣] ﴿أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ قرأها الحسن بتسكين الفاء وفتح الراء[٤] – وكأن

(١) يقال منه : كَظَمَ يكْظِم كَظْمًا فهو كاظم وكظيم . لسان العرب (كظم) .
(٢) رواه الطبري (١٢٥/١٤) .
(٣) في سورة هود ، الآية : ٢٢.
(٤) وهي قراءة السبعة إلا نافعًا . ينظر : السبعة (٣٧٤) ، التيسير (١٣٨) ، الدر المصون (٣٣٩/٤) .

تفسيرها : مُعْجَلون إلى النار[١]، وقرأ بعضهم (مُفَرّطون) بفتح الفاء وتشديد الراء[٢]؛ وصفهم بالتفريط .

قال محمدٌ : وقراءة نافع ﴿مُفْرِطُون﴾ بتسكين الفاء وكسر الراء[٣]؛ وهو من الإفراط في معصية الله .

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾ يقول : فيه هدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (ورحمةً) بالنصب ، فالمعنى : ما أنزلناه عليك إلا للبيان والهداية والرحمة[٤].

﴿والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يعني : الأرض التي ليس فيها نبات ؛ فيحييها بالمطر ؛ فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نباتٌ ﴿إن في ذلك لآيةً لقوم يسمعون﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبتت - قادرٌ على أن يحيي الموتى .

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ يقول : في هذا اللبن الذي أخرجه الله من بين فرث ودم آية لقوم يعقلون ؛ فيعلمون أن الذي أخرجه قادرٌ على أن يحيي الموتى .

قال محمدٌ : يقال : سقيته وأَسْقَيْته بمعنى واحدٍ[٥]. و(الأنعام) لفظه لفظُ جميع ، وهو اسمُ الجنسِ يذكر ويؤنث[٦]، والفرث : ما في الكرش[٧]، والسائغ : السَّهْلُ في الشرب[٨].

---

(١) وهو قول قتادة أيضًا ، واختاره الزجاج وابن قتيبة وغيرهما . ينظر : تفسير ابن كثير (٤٩٨/٤) البحر (٥٠٦/٥) ، مجمع التفاسير (٦١٤/٣) .

(٢) بكسر الراء المشدّدة وفتحها وهي قراءة أبي جعفر ، ينظر : البحر (٥٠٦/٥) ، الإعراب للنحاس (٢١٥/٢) .

(٣) ينظر : السبعة (٣٧٤) ، التيسير (١٣٨) ، الدر المصون (٣٣٩/٤) .

(٤) أي : انتصب مفعولاً لأجله . ينظر الدر المصون (٣٤٠/٤) .

(٥) وأيضًا : (سَاقَيْتُهُ) بنفس المعنى . لسان العرب (سقى) .

(٦) ويقال : واحده : (النَّعَم) ، ويجمع أيضًا على (أناعيم) . لسان العرب (نعم) .

(٧) ويُسمى أيضًا : (الفُرَاثة) ، ويجمع على : (فُرُوث) . لسان العرب (فرث) .

(٨) ويقال : ماء سائغ ، وسَيِّغ . لسان العرب (سيغ) .

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا﴾ أي : وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا . تفسير مجاهد[1]: السُّكرُ : الخمرُ قبل تحريمها ، والرزق الحسن : الطعام .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أي: ألهمها ﴿ومما يعرشون﴾ أي: يبنون ﴿فاسلكي سُبُل ربك﴾ يعني : طرق ربك التي جعل لك ﴿ذللا﴾ قال مجاهدٌ : يعني : ذللت لها السبل لا يتوعَّرُ عليها مكان ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ يعني : العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ أي: دواءٌ .

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا﴾ يقول : يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئًا .

﴿والله فضل بعضكم على بعض ...﴾ الآية ، يقول : هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه وأهله وماله شركاء سواء ؛ أي : أنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم ؛ فالله أحق ألا يشرك به أحدٌ من خلقه .

﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ على الاستفهام ؛ أي : قد فعلوا ذلك .

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني : نساءً ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾

---

(١) رواه الطبري (١٣٦/١٤) .

تفسير الحسن[١]: الحفدة: الخدمُ؛ يعني بذلك: ولده وولد ولده؛ يقال: إنهم بنون وخدم.

قال محمدٌ: وأصل الحفد[٢]: الخدمة والعمل، ومنه يقال في القنوت: (ل١٧٦) «وإليك نسعى ونحفد»[٣] أي: نعمل بطاعتك.

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل: إبليس ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ هو كقوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾[٤].

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ولا يستطيعون﴾ يعني: الأوثان التي يعبدون؛ هو كقوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا﴾[٥].

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيي ولا تميت ولا ترزق بالله الذي يحيي ويميت ويرزق، ويفعل ما يريد.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

﴿ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء﴾ تفسير قتادة[٦]: هذا مثل ضربه الله للكافر؛ رزقه الله مالاً فلم يقدم منه خيرًا، ولم يعمل فيه بطاعة ﴿ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه﴾ وهذا مثل المؤمن أعطاه الله رزقًا حلالاً طيبًا، فعمل فيه بطاعته وأخذه بشكرٍ، هل يستويان مثلاً،

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٥٨/١) والطبري (١٤٥/١٤).

(٢) حَفَد يَحْفِدُ حَفَدانًا: أسرع في العمل. لسان العرب (حفد).

(٣) هو في قنوت عمر بن الخطاب ﷺ، انظر مسند الفاروق (١٦٨/١ - ١٦٩).

(٤) إبراهيم: ٢٨.

(٥) الفرقان: ٣.

(٦) رواه الطبري (١٤٩/١٤).

وعزاه السيوطي في الدر (١٣٩/٤) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم أيضًا.

أي : أنهما لا يستويان ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون .

﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾أي : لا يتكلم ؛ يعني : الوثن ﴿لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه﴾ على وليه الذي يتولاه ويعبده ؛ أي : أنه عمله بيده وينفق عليه كسبَهُ ﴿ أينما يوجهه﴾ هذا العابد له ؛ يعني : دعاءه إياه ﴿لا يأت بخير هل يستوي﴾ هذا الوثن ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ وهو الله ﴿ وهو على صراط مستقيم﴾ هو مثل قوله : ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾[1].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي : يعلم غيب السموات وغيب الأرض ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ بل هو أقرب من لمح البصر ، ولمح البصر أنه يلمح السماء ؛ وهي على مسيرة خمسمائة عام .

قال محمدٌ : قيل : إن الساعة اسمٌ لإماتة الخلق وإحيائهم ؛ فأعلم جلَّ وعزَّ أنَّ البعث والإحياء في سرعة القدرة على الإتيان بهما كلمح البصر أو هو أقرب ؛ ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ، والله أعلم .

﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء﴾ كبد السماء ﴿ما يمسكهن إلا الله﴾ يبين قدرته للمشركين ؛ يقول : هل تصنع آلهتكم شيئًا؟!

﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ يعني : من الشعر والصوف ﴿بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يعني : في سفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ يعني : قرارُكُمْ في غير سفر ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا﴾ قال الأعمش : الأثاث : المالُ يستمتع

---

(١) هود : ٥٦.

به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت .

قال محمدٌ : وواحد الأثاث : أثاثةٌ[1]؛ يقال : قد أثَّ الرجلُ يئِثُّ أثًّا ؛ إذا صار ذا أثاثٍ ، والأثاثُ : متاع البيت ؛ عند أهل اللغة[2].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا﴾ قال قتادة[3]: يعني : من الشجر وغيرها ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانًا﴾ يعني : الغيران التي تكون في الجبال تكِنُّ من الحر والبرد ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ يعني : من القطن والكتان والصوف ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني : دروع الحديد تقي القتال .

﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ لكي تسلموا ؛ يقول : إن أسلمتم تمَّت عليكم النعمة بالجنة ، وإن لم تسلموا لم تتم عليكم النعمة ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي : ليس عليك أن تهديهم ، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم .

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ يقول : يعرفون ويقرون أن الله خلقهم ، وخلق السموات والأرض ، وأنه هو الرزاق ، ثم ينكرون ذلك بتكذيبهم ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ يعني : جماعتهم .

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا﴾ يعني : نبيًّا يشهد عليهم (ل١٧٧) أنه قد بلغهم ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ هي مواطن : لا يؤذن لهم في موطن في الكلام ، ويؤذن لهم في موطن .

﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ أي : دخلوا فيه ؛ يعني : المشركين ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ سألوا الله أن يؤخرهم ، فيردهم إلى الدنيا حتى يتوبوا ؛ فلم يؤخرهم .

---

(١) ويجمع الأثاث على : الأُثُث .

(٢) يقال : أثَّ يئِثُّ أثًّا وأُثوثًا وأثاثًا وأثاثةً ، فهو أثٌّ وأثيثٌ ، والجمع : إثاث . لسان العرب (أثث) .

(٣) رواه الطبري (١٤/١٥٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٤١) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ يعني: شياطينهم الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ قالوا هذا؛ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿فألقوا إليهم القول﴾ ألقى بنو آدم إلى شياطينهم القول؛ أي: حدثوهم؛ فقالوا لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ أي: أنكم كذبتمونا في الدنيا وغررتمونا ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ أي: استسلموا وآمنوا بالله، وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾.

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ تفسير ابن مسعود[1]: حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال.

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم﴾ يعني: نبيهم؛ هو شاهد عليهم ﴿وجئنا بك﴾ يا محمدُ ﴿شهيدًا على هؤلاء﴾ يعني: أمته ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ يعني: ما بيّن فيه من الحلال والحرام، وكل ما أنزل الله فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ

---

(١) رواه الطبري (١٤/١٦٠) وأبو يعلى (٥/٦٥ - ٦٦ رقم ٢٦٥٩) والحاكم (٤/٥٩٣ - ٥٩٤).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال البوصيري في الإتحاف (٨/٢١٧): رواه أبو يعلى موقوفًا بسند صحيح.
وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٤١) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد بن السري وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في البعث والنشور أيضًا.

مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ يعني: حق القرابة.

قال الحسن: حق الرَّحِم ألا تحرمها ولا تهجرها ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ أي: يبغي بعضهم على بعض.

يحيى: عن خداش، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجْدَر أن يُعَجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخرُ له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[١].

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ يعني: تشديدها وتغليظها ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا﴾ ينهاهم عن نكث العهد؛ يقول: فيكون مثلكم إن نكثتم العهد مثل التي نقضت غزلها من بعد ما أبرمته، والمرأة التي ضرِبَت مثلاً كانت تغزل الشَّعرَ؛ فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

قال محمدٌ: (أَنكَاثًا) منصوبٌ؛ لأنه في معنى المصدر[٢]، وواحد الأنكاث: نكثٌ[٣].

﴿دخلاً بينكم﴾ أي: خيانة وغدرًا ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي: أكثر؛ يقول: فتنقضوا عهد الله لقومٍ هم أكثر من قوم.

قال مجاهد[٤]: كانوا يحالفون قومًا فيجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضوا حلف هؤلاء ويحالفون

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٦، ٣٨) وابن المبارك في المسند (٩رقم١٥) والطيالسي (١١٨رقم٨٨٠) ووكيع في الزهد (٢٤٣، ٤٢٩) وهناد في الزهد (١٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣رقم ٢٩، ٣٦رقم٦٧) وأبو داود (٥/ ٣١٤رقم٤٨٦٦) والترمذي (٤/٥٧٣رقم٢٥١١) وابن ماجة (٢/١٤٠٨رقم٤٢١١) والبزار في مسنده (٩/ ١٢٨رقم٣٦٧٨) وابن حبان (٢/٢٠٠ - ٢٠١رقم ٤٥٥، ٤٥٦) والحاكم (٢/ ٣٥٦، ٤/١٦٣) وغيرهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه عن النبي ﷺ إلا أبو بكرة، وله عن أبي بكرة طرق، وعيينة حدَّث عنه شعبة وغيره، بصري معروف.

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٢٢)، البحر (٥/٥٣٠ - ٥٣١).

(٣) يقال: حَبْلٌ نِكْثٌ وأَنْكَاثٌ؛ أي: منكوث. لسان العرب (نكث).

(٤) رواه الطبري (١٤/١٦٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٤٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

الذين هم أعز، فنهوا عن ذلك.

﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي: يختبركم ﴿وليبيننّ لكم﴾ يوم القيامة ﴿ما كنتم فيه تختلفون﴾ من الكفر والإيمان.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني: على ملة الإسلام.

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ تفسير الحسن: يقول: لا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ تزل إلى الكفر بعد ما كانت على الإيمان ﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ يعني: اليمين الكاذبة ﴿ثمنًا قليلاً﴾ من الدنيا.

﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ تفسير وهب بن منبه: يعني: القناعة.

﴿فإذا قرأت القرآن ...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سُنَّة في غير الصلاة؛ إذا أراد أن يقرأ.

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ هو كقوله: ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾[1].

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ أي: يطيعونه من غير أن يستطيع أن يكرههم ﴿والذين هم به مشركون﴾ أي: بالله مشركون.

---

(١) الزمر: ٣٧، ووردت في الأصل: (ومن يهد الله فلا مضل له).

قال محمد(ل ١٧٨)قيل: المعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ تفسير الحسن: كانت الآية إذا نزلت؛ فعمل بها وفيها شدة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمدٌ أصحابه بالأمر؛ فإذا اشتد عليهم صرفه إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند الله لكان أمرًا واحدًا، وما اختلف ولكنه من قِبَلِ محمدٍ قال الله: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ فأخبر أنه نزل به جبريل من عند الله، وأن محمدًا لم يفتر منه شيئًا.

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: مشركي العرب ﴿إنما يعلمه بشر﴾ يعنون: عبدًا لابن الحضرمي، وكان روميًّا صاحب كتاب - في تفسير قتادة - اسْمُه: حَبْرٌ.

وقال بعضهم: هو عداسُ غلام عتبة بن ربيعة.

قال الله: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾أي: يميلون إليه ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾فأكذبهم.

﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله﴾ هؤلاء الذين لا يريد الله أن يهديهم يلقونه بكفرهم.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ

فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾أي : راضٍ به ؛ نزلت في عمّار ابن ياسر وأصحابه ؛ أخذهم المشركون ، ووقفوهم على الكفر بالله ورسوله ، فخافوا منهم ؛ فأعطوهم ذلك بأفواههم .

﴿وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يعني : الذين يلقون الله بكفرهم .

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾تفسير الحسن : هم قومٌ كانوا بمكة ، فعرضت لهم فتنةٌ ؛ فارتدوا عن الإسلام وشكوا في نبي الله ، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله بالمدينة ، ثم جاهدوا معه وصبروا .

﴿ولكن من شرح بالكفر صدرًا﴾ **قال محمدٌ** : يعني : فتح له بالقبول صدره .

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ تفسير الحسن : إن كل نفسٍ توقف بين يدي الله للحساب ، ليس يسألها عن عملها إلا الله ﴿ثم توفى كل نفس ما عملت﴾ أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء قد استوفاها في الدنيا ، وأما سيئاته فيُوَفَّاها في الآخرة يُجازى بها النار ، وأما المؤمن فهو الذي يوفى الحسنات في الآخرة ، وأما سيئاته فإن منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلاء والعقوبة ، ومنهم من يبقى عليه من سيئاته ، فيفعل الله فيه ما يشاء .

﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ...﴾ إلى قوله : ﴿وهم ظالمون﴾ القرية : مكة ، والرسول : محمدٌ ؛ كفروا بأنعم الله ؛ فكذبوا رسوله ولم يشكروا . وقوله : ﴿فأذاقها الله لباس

الجوع والخوف﴾ يعني : الجوع الذي عُذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر ، ثم عذبهم اللّه بالسيف يوم بدر ، وأما الخوف : فبعد ما خرج النبي ﷺ عنهم .

﴿فكلوا مما رزقكم اللّه حلالاً طيبًا﴾ يعني : ما أحل من الرزق .

﴿وما أهل لغير اللّه به﴾ يعني : ذبائح المشركين ، ثم أحل ذبائح أهل الكتاب ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ قد مضى تفسيره .

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ؛ يعني : ما حرموا من الأنعام والحرث ، وما استحلوا من أكل الميتة .

﴿متاع قليل﴾ أي : أن الذي هم فيه من الدنيا ذاهبٌ ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ في الآخرة ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم﴾ بكفرهم ﴿ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني : ما قص في سورة الأنعام ما حرَّم عليهم بقوله : ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر ...﴾[1] الآية .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها﴾ (ل١٧٩) من بعد تلك الجهالة ؛ إذا تابوا منها ﴿لغفور رحيم﴾ فكلُّ ذنبٍ عمله العبد فهو منه جهلٌ .

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ والأُمَّة : السيد في الخير الذي يُعلِّم الخير ﴿قانتًا﴾ مطيعًا ﴿حنيفًا﴾ أي : مخلصًا .

(١) الأنعام : ١٤٦.

﴿اجتباه﴾ اختاره ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ .

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ كقوله : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾[١] فليس من أهل دين إلا وهم يتولَّوْنَهُ ويرضونه .

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ تفسير قتادة[٢]: استحله بعضهم ، وحرَّمه بعضهم ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة ، ويدخل الكافرين النار .

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ دين ربك ﴿بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ يعني : القرآن ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ يأمرهم بما أمرهم الله به ، وينهاهم عما نهاهم الله عنه .

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ تفسير ابن عباس : قال : « لما كان يوم أحد مثَّل المشركون بحمزة ، وقطعوا مذاكره ، فلما رآه النبي ﷺ جزع عليه جزعًا شديدًا ، فأمر به فغطي ببردة كانت عليه ، فمدها على وجهه ورأسه ، وجعل على رجليه إذخِرًا[٣]، ثم قال : لأمثلن بثلاثين من قريش . فأنزل الله : ﴿وإن عاقبتم ...﴾ إلى قوله : ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المُثْلَةِ »[٤].

---

(١) العنكبوت : ٢٧.

(٢) رواه الطبري (١٤/١٩٤) .

(٣) هو حشيشة طيبة الرائحة تسقَّف بها البيوت فوق الخشب ، وهمزتها زائدة . ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٣) .

(٤) رواه العقيلي في الضعفاء (١/٢٤٠ - ٢٤١) والدارقطني في سننه (٤/١١٨ رقم ٤٧) والواحدي في أسباب النزول (ص٢١٠) من طريق إسماعيل بن عياش ، عن عبد الملك بن أبي غنية أو غيره ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مجاهد ، =

﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ؛ يعني : المشركين ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي : لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك ؛ فإن اللّٰه معك و﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ .



= عن ابن عباس رضي الله عنهما .
قال العقيلي : قال أبو عبد الرحمن - يعني : عبد اللّٰه بن الإمام أحمد - فحدثت أبي ، فقال : هذا من حديث الحسن بن عمارة ، ليس من حديث ابن أبي غنية ، هو اتقى للّٰه من أن يحدث مثل هذا . اهـ .
وقال الدارقطني : لم يروه غير إسماعيل بن عياش ، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين . اهـ .
ورواه الإمام أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة مثله سواء . التعليق المغني على سنن الدارقطني (١١٨/٤) .
ورواه الطبراني في الكبير (٦٢/١١ - ٦٣ رقم ١١٠٥١) من طريق أحمد بن أيوب بن راشد ، عن عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي والحكم بن عتيبة ، عن مقسم ومجاهد ، عن ابن عباس .
قال الهيثمي في المجمع (١٢٠/٦) : وفيه أحمد بن أيوب بن راشد ، وهو ضعيف .
ورواه الدارقطني (١١٦/٤ رقم ٤٢) من طريق عبد العزيز بن عمران ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس . وقال الدارقطني : عبد العزيز بن عمران ضعيف . اهـ
ورواه الطحاوي في شرح المعاني (١٨٣/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣) والواحدي في أسباب النزول (ص٢١١) من طريق يحيى الحماني ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى وعن الحكم ، عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما .
وله شاهد عن أبي هريرة ، أشرت إلى من خرجه في تخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٢١١/٣) .

تفسير سورة سبحان ، وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾

قوله : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ يعني : محمدًا ﷺ ﴿ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ يعني : بيت المقدس .

﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني : ما أراه الله ليلة أسري به .

قال محمدٌ : معنى (أسري به) أي : سيّره ؛ ولا يكون السُّرى إلا ليلاً ، وفيه لغتان : سرى وأَسْرَى[1].

يحيى : [عن حماد][2] عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا عند البيت ؛ إذ أُتيت فشُق النحر فاستخرج القلب ، فغُسل بماء زمزم ، ثمّ أعيد مكانه ، ثم أتيت بدابة أبيض ، يقال له : البُراق ؛ فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين ، يقع خطوه عند منتهى طرفه ، فَحُمِلْتُ عليه ، فسار بي نحو بيت المقدس فإذا مناد ينادي عن يمين الطريق : يا محمد ، على رِسْلِك اسْلُكْ[3]، يا محمد ، على رسلك اسلك ، فمضيت ولم أعرج عليه ، ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق : يا محمد ، على رسلك اسْلُكْ ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك[4]، فمضيت ولم

---

(١) يقال : سرى يَسري سُرًى ومَسْرًى . ولغة أهل الحجاز (أسرى) وجاء القرآن باللغتين جميعًا كما في قوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ ، وبقوله : ﴿والليل إذا يسر﴾ . لسان العرب ، مختار الصحاح (سرى) .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة البقرة ؛ فقد أورد المؤلف هناك هذا الحديث مختصرًا ، والله أعلم .

(٣) كذا ضبطت في الأصل ، وفي مصادر التخريج : أسألك .

(٤) كذا في الأصل ، تكررت هذه الجملة أربع مرات ، ولعل الرابعة زائدة ، والله أعلم .

أعرج عليه ، ثم إذا أنا بامرأةٍ على قارعة الطريق - أحسبه قال : حسناء - (حملاً)[1] عليها من كل الحلي والزينة ، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول : يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، فمضيت ولم أعرج عليها ، حتى انتهيت إلى بيت المقدس ، فأوثقت الدابة بالحلقة التي توثق بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناءين : إناء من لبن ، وإناءٍ من خمر ، فتناولت اللبن ، فقال : أصبت الفطرة ، ثم قال لي جبريل : يا محمد ، ما رأيت في رحلتك هذه؟ قال : سمعت مناديًا ينادي عن يمين الطريق : يا محمد ، على رسلك اسلك (ل ١٨٠) يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك . قال : فما صنعت ؟ قلت : مضيت ولم أعرج عليه . قال : ذاك داعية اليهود ؛ أما إنك لو عرَّجتَ عليه ، لتهودت أمتك . قلت : ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق : يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك . قال : فما صنعت؟ قال : مضيتُ ولم أعرج عليه . قال : ذاك داعية النصارى ؛ أما إنك لو عرجت عليه لتنصَّرت أمتك . قلت : ثم إذا أنا بامرأة - أحسبه قال : حسناء - (حملاً)[3] عليها من كل الحلي والزينة ، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول : يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك ، يا محمد ، على رسلك اسلك . قال : فما صنعت؟ قلت : مضيت ولم أعرج عليها . قال : تلك الدنيا ؛ أما إنك لو عرَّجت عليها لمِلْتَ إلى الدنيا . ثم أُتينا بالمعراج ؛ فإذا أحسن ما خلق الله ، فقعدنا فيه ، فعرج بنا حتى انتهينا إلى سماء الدنيا ، وعليها ملكٌ يقال له : إسماعيل ، جُنْدُه سبعون ألف ملك ، جند كل ملك سبعون ألف ملك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[2]. فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أو قَدْ بُعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولَنِعْمَ المجيء جاء . ففتح لنا فأتيت على آدم ، فقلت : يا جبريل ، من هذا؟ قال : هذا أبوك آدم . فرَحب بي ، ودعا لي بخير . قال : وإذا الأرواح تعرض عليه ؛ فإذا مرّ به روح مؤمن ، قال : روح طيب وريح طيبة ، [وإذا][3] مرّ به روح كافر قال : روح

(١) هكذا في الأصل ، ولعل صوابها : تحمل أو حاملة . والله أعلم .

(٢) المدثر : ٣١.

(٣) في الأصل : (فإذا) .

خبيث وريحٌ خبيثة! قال : ثم مضيتُ فإذا أنا بأخاوين[1] عليها لحومٌ منتنة ، وأخاوين عليها لحومٌ طيبة ، وإذا رجالٌ ينهشون اللحوم المنتنة ، ويدعون اللحوم الطيبة . فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟! قال : هؤلاء الزُّناة ؛ يدعون الحلال ويتبعون الحرام . قال : ثم مضيت فإذا برجالٍ تُفَكُّ أَلحيتُهُمْ ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار ، فيقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل؟! قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ، ثم تلا هذه الآية : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا﴾[2]؛ ثم مضيت فإذا أنا بقومٍ يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها[3] ولهم جؤارٌ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟! قال : هؤلاء الهمَّازون اللمَّازون . ثم تلا هذه الآية : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾[4] وإذا أنا بنسوةٍ معلقاتٍ بثُديهنَّ - وأحسبه قال : وإذا حيَّاتٌ وعقاربُ تنهشُهُنَّ - فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الظُّؤْرَة[5] يقتلن أولادهنَّ . قال : ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمعٌ إلى النار يعرضون عليها غدُوًّا وعشيًا ؛ فإذا رأوها قالوا : ربنا لا تقومن الساعة ؛ لما يرون من عذاب الله ، وإذا أنا برجال بطونهم ، كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم وبطونهم ، يأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثردًا ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟! قال : هؤلاء أكلةُ الربا . ثم تلا هذه الآية : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾[6] ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أَوَ قَدْ بُعِثَ إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، وإنه لنعم المجيء جاء . ففتح لنا ؛ فإذا أنا بابني الخالة : (ل١٨١) يحيى وعيسى ، فرحبا بي

---

(١) واحدها : خِوان - بالكسر - وهو الذي يؤكل عليه مُعرَّب ، والضم لغة فيه ؛ نقلها الفارابي . قال : والكسر أفصح . ويجمع أيضًا على : أَخْونة ، وخون . لسان العرب ، مختار الصحاح (خون) .

(٢) النساء : ١٠.

(٣) أي : يدفعونها في أفواههم ، ويلقمونها إياهم ، يقال : ضفزت البعير إذا علفته الضفائز ، وهي اللقم الكبار ، الواحدة : ضفيزة . النهاية (٣/٩٤) .

(٤) الحجرات : ١٢.

(٥) جمع ظِئر ، وهي المرضعة غير ولدها ، ويطلق على زوجها أيضًا ، أي على المذكر والمؤنث ، ويجمع أيضًا على أَظْؤُر وأَظْآر .

(٦) البقرة : ٢٧٥.

ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أوقد بعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا ؛ فإذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أُعطي شطر الحُسن . قال : فرحّب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أو قد بُعث [إليه][1] قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء . ففتح لنا ؛ فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أو قد بعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون وإذا بلحيته شطران : شطر أبيض وشطر أسود ، فقلت : من هذا يا جبريل؟! قال : هذا المحبَّب في قومه ، وأكثر من رأيت تبعًا . قال : فرحَّب بي ودعا لي بخير . قال : ثم عُرِجَ بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : أو قد بعث إليه؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا ؛ فإذا أنا بموسى ، وإذا هو رجلٌ أشعر . فقلت : من هذا يا جبريل؟! قال : هذا أخوك موسى . قال : فرحّب بي ودعا لي بخير ، قال : فمضيت ، فسمعت موسى يقول : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على اللّه ، وهذا أكرم على اللّه مني . ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد؟ قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء ، ففتح لنا فأتيت على إبراهيم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور - ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة - قلت : من هذا يا جبريل؟! قال : هذا أبوك إبراهيم . فسلمت عليه ؛ فرحب بي ودعا لي بخير . وإذا أمتي عنده شطران : شطرٌ عليهم ثيابٌ بيض ، وشطر عليهم ثيابٌ رُمْدٌ ؛ فدخل أصحاب الثياب البيض ، واحتبس الآخرون . فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟! فقال : هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحًا وعملاً سيئًا ، وكل على خير ، ثم قيل : هذه منزلتك ومنزلة أمتك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه

---

(١) في الأصل : عليه .

وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[1] قال: ثم انتهينا إلى السّدرة المنتهى؛ فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو غُطِّيت بها هذه الأمة لغطتهم، ثم انفجر من تحتها السلسبيل، ثم انفجر من السلسبيل نهران: نهر الرحمة، ونهر الكوثر، فاغتسلت من نهر الرحمة فغفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى إنه ليجري في الجنة؛ فإذا طيرها كالبخت؟ قال: ونظرت إلى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. قال: ثم نظرت إلى النار، (فإذا)[2] عذاب ربي لشديد لا تقوم له الحجارة ولا الحديد، قال: ثم رجعت إلى السدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشى، ووقع على كل ورقة ملك، وأيدها الله بأيده، وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فرجعت إلى موسى، فقال: ماذا فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاةً. فقال: (ل١٨٢) ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. فرجعت إلى ربي فقلت: أي ربي حُط عن أمتي؛ فإن أمتي لا تطيق ذلك، فحطَّ عني خمسًا. قال: فرجعت إلى موسى فقال لي: ما فرض عليك ربك؟ قلت: حط عني خمسًا. فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. قال: فرجعت إلى ربي فحطَّ عني خمسًا. قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وموسى حتى قال: يا محمد، لا تبديل؛ إنه لا يبدَّل القول لدي، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ لكلِّ صلاة عشرٌ، فتلك خمسون صلاة. قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. قلت: قد راجعته حتى استحييت»[3].

---

(١) آل عمران: ٦٨.

(٢) في الأصل: (فإذا إن).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١/١٤٧ - ١٥٠رقم١٤٦) - عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٦٥ - ٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/١١ - ١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٠ - ٣٩٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٥٠٩ - ٥١٦) - والبغوي في تفسيره (١/٣٤١) والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٣/٩) - من طرق عن أبي هارون العبدي.

وضعفه البيهقي، وقال المنذري في الترغيب (٣/٩): رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي هارون العبدي، واسمه: عمارة بن جوين، وهو واهٍ.

=

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾

قوله : ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ يعني : لمن آمن به ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ يعني : ربًّا ؛ في تفسير بعضهم ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي : يا ذرية ؛ لذلك انتصب[1].

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي : أعلمناهم ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا﴾ يعني : لَتَقْهَرُنَّ قهرًا شديدًا ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني : أولى العقوبتين ﴿بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قال قتادة[2]: عوقب القوم على علوهم وفسادهم ،

= وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦) : هذا حديث غريب عجيب ، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا .

وذكر ابن كثير في تفسيره (١٣/٣)أن فيه غرابة ونكارةً ، وأن أبا هارون العبدي اسمه : عمارة بن جوين ، مضعف عند الأئمة .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١٥٠/١) : هذا حديث مداره على أبي هارون العبدي ، وهو ضعيف .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٨/٤) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا .

وروى الطبراني في المعجم الصغير (٧٠/٢) وأبو الشيخ في العظمة (٨٦١/٣برقم٤٠٢) من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد « أن النبي ﷺ حين عرج به قال : إن في السماء لملكًا يقال : له إسماعيل ، على سبعين ألف ملك ، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك » فقط .

قال الهيثمي في المجمع (٨١/١) : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه أبو هارون ، واسمه عمارة بن جوين ، وهو ضعيف جدًّا .

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من : البحر (٢/٦ - ٣) ، الدر المصون (٣٧٠/٤) .

(٢) رواه الطبري (٢٨/١٥) .

فَبُعِثَ عليهم في الأولى جالوت الخزري ، فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار .

قال محمد : معنى (جاسوا) : طافوا ؛ الجَوْسُ طلب الشيء باستقصاء[1].

﴿وكان وعدًا مفعولًا﴾ كائنًا ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾ أي : عددًا ؛ ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت .

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني : آخر العقوبتين ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ وهي تقرأ (لِيَسُوءَ) أي : ليسوءَ اللَّه وجوهكم[2] ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني : بيت المقدس ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا﴾ أي : وليفسدوا ما غلبوا عليه إفسادًا ؛ يقال : إن إفسادهم الثاني : قتل يحيى بن زكريا ، فبعث اللَّه عليهم بختنصر ، عدا به عليهم ؛ فخرَّب بيت المقدس ، وسبى وقتل منهم سبعين ألفًا .

﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ قال قتادة : فعاد اللَّه بعائدته[3] قال : ﴿وإن عدتم عدنا﴾ عليكم بالعقوبة ، قال الحسن : (أعاده)[4] عليهم بمحمد ؛ فأذلَّهم بالجزية .

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا﴾ قال قتادة[5]: يعني : سجنًا .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي﴾ أي : يدعو ﴿للتي هي أقوم﴾ أي : أصوب .

﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يقول : يدعو بالشر على نفسه وعلى ولده وماله ؛ كما

---

(١) يقال : جاس يجوس جوسًا ، ومثله : اجتاس . لسان العرب (جوس) .

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحمزة وأبي بكر عن عاصم ، وانفرد أبو زرعة في (الحجَّة) بذكر الكسائي . ينظر : السبعة (٣٧٨) ، والنشر (٣٠٦/٢) الحجة لأبي زرعة (٣٩٧) ، الدر المصون (٣٧٣/٤) .

(٣) العائدة : العطف والمنفعة ؛ يقال : فلان ذو صفح وعائدة ؛ أي : ذو عفو وتعطُّف . لسان العرب ، مختار الصحاح (عود) .

(٤) في الأصل : (عاده) ، والمراد : أعاد العذاب والعقوبة .

(٥) رواه الطبري (٤٥/١٥) .

يدعو بالخير ؛ ولو استجاب الله له لأهلكه .

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ يقال : محيَ من ضوء القمر من مائة جزء تسعة وتسعون جزءًا وبقي جزءٌ واحد ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أي : منيرة ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ يعني : بالنهار ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ تفسير الحسن : فصلنا الليل من النهار ، وفصلنا النهار من الليل ، والشمس من القمر ، والقمر من الشمس .

قال محمدٌ : (كل)[1] منصوب بمعنى : وفصلنا كل شيءٍ فصلناه[2].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال الحسن[3]: يعني : عمله .

قال محمدٌ : المعنى : ألزمناه حظَّه من الخير والشر ، وإنما قيل للحظ من الخير والشر : طائر ؛ لقول العرب : جرى له طائر باليُمْنِ ، وجرى بالشر ، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان : قد لزم عنقه ، وهذا لك في عنقي حتى أخرج منه ؛ (ل١٨٣)فخاطبهم الله بما يستعملونه .

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ قال قتادة[4]: سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا في الدنيا .

قال محمدٌ : (حسيبًا) تمييزٌ[5]؛ وهو في قول بعضهم بمعنى : محاسب[6].

---

(١) في الأصل : (كلاً) والصواب ما أثبتناه ؛ لأن التعليق على قوله تعالى : ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ .

(٢) ينظر : البحر المحيط (١٤/٦) ، الدر المصون (٣٧٦/٤) .

(٣) انظر تفسير عبد الرزاق (٣٧٤/١) .

(٤) رواه الطبري (٥٣/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٨٥/٤) لابن أبي حاتم أيضًا .

(٥) ينظر : البحر (١٥/٦) ، الدر المصون (٣٧٧/٤) .

(٦) أي : فعيل بمعنى فاعل ، وهذا كثير في الكلام .

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول : لا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ .

قال محمدٌ : وأصل الوزر : الحملُ ، وكذلك الإثم وزرٌ ؛ لأنه ثقلٌ على صاحبه[١].

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ تفسير الحسن : لا يعذب قومًا بالاستئصال حتى يحتج عليهم بالرسل .

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ تفسير قتادة[٢]: أكثرنا جبابرتها ، وكان الحسن يقرؤها : (آمَرْنا)[٣] وهو من الكثرة أيضًا . قال قتادة : (أمَرنا) مخففة على تقدير : فعلنا ، وقراءة الحسن (آمَرْنا) ممدودة الألف .

قال يحيى : وكان ابن عباس يقرؤها (أمَّرْنا) بالتثقيل من قِبَل الإمارة[٤].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا ، لا يؤمن بالآخرة ﴿عجلنا له ...﴾ إلى قوله : ﴿مدحورًا﴾ أي : مبعدًا من رحمة الله ﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء ...﴾ يعني : المؤمنين والمشركين إلى قوله : ﴿محظورًا﴾ أي : ممنوعًا .

قال محمدٌ : (كلاً) منصوب بـ(نُمِدُّ) و(هؤلاء) بدل من (كل) المعنى : نمد هؤلاء وهؤلاء .

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ .

---

(١) ينظر : لسان العرب (وزر) .

(٢) رواه الطبري (١٥/٥٣) .

(٣) قرأ العامة (أَمَرْنا) بالقصر والتخفيف . وقرأ (آمَرْنا) بالمد علي بن أبي طالب وابن أبي إسحاق وأبو رجاء وغيرهم ، ورويت هذه القراءة عن نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم من السبعة .
ينظر : السبعة (٣٧٩) ، والنشر (٢/٣٠٦) ، الدر المصون (٤/٣٧٩) .

(٤) وهي قراءة علي أيضًا وأبي عثمان النهدي ، ورويت عن عاصم وأبي عمرو من السبعة . ينظر : السبعة (٣٧٩) الدر المصون (٤/٣٧٩) .

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا﴾ في نقمة الله ﴿مخذولا﴾ في عذاب الله .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ أي : وأمر بالوالدين إحسانًا ؛ يعني : برًّا ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ تفسير الحسن : يقول : إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما ، فوليت منهما ما وليا منك في صغرك فوجدت منهما ريحًا تؤذيك ؛ فلا تقل لهما : أفٍّ .

قال محمدٌ : وقيل : المعنى : لا تقل لهما ما فيه أدنى تبرُّم .

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تغلظ لهما القول ﴿وقل لهما قولاً كريمًا﴾ أي : لينًا سهلاً ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي : لا تمتنع من شيءٍ أحباه ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾ هذا إذا كانا مسلمين ، وإذا كانا كافرين فلا تقل : رب ارحمهما .

يحيى : عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحولٍ ؛ « أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهله فكان فيما أوصاه : أطع والديك ، وإن أمراك أن تخرج من مالك كله ؛ فافعل »[1].

---

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (٤٦٢رقم١٥٩٤) وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (١٢/٣ ؛ رقم٣٠٠٢/٣) - والبيهقي في سننه (٣٠٤/٧) وغيرهم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن أم أيمن رضي الله عنها .
وقال البيهقي : في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن .
ورواه الطبراني في الأوسط (٥٨/٨رقم٧٩٥٦) عن معاذ بن جبل .
قال المنذري في الترغيب (٣٨٣/١) : رواه الطبراني في الأوسط ، ولا بأس بإسناده في المتابعات .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠٥/١) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عمرو بن واقد ، ضعفه البخاري وجماعة ، وقال الصوري : كان صدوقًا .

يحيى: عن المعلى، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن محمد بن المنكدر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدًا[1] فواحدٌ، ومن أصبح مسخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومَن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدًا فواحد؛ وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه»[2].

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من بر الوالدين ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الأَوَّاب: الراجع عن ذنبه.

﴿وآت ذا القربى حقه﴾ يعني: ما أمر الله به من صلة القرابة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ نزلت

= وقال ابن كثير في تفسيره (١٨٨/٢): وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ: أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل» ولكن في إسناديهما ضعف، والله أعلم.

(١) أي: وإن كان أحد الأبوين.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٣٥/١١رقم٢٠١٢٨) عن معمر عن أبان عن سعد بن مسعود أو غيره عن ابن عباس به.

ورواه هناد في الزهد (٤٨٥/٢ - ٤٨٦ رقم ٩٩٣) من طريق أبي سنان سعيد بن سنان عن رجل عن ابن عباس به.

ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٦/٦رقم٧٩١٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٣٦٥/٣٣) من طريق عبد الله ابن يحيى السرخسي عن سعيد بن يعقوب الطالقاني عن عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن عطاء عن ابن عباس.

قال العراقي في تخريج الإحياء (٢٣٦/٢): رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، ولا يصح. اهـ.

وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٣٧٣/٤) في ترجمة عبد الله بن يحيى السرخسي، وقال: رجاله ثقات أثبات غير هذا الرجل؛ فهو آفته. اهـ.

ورواه أبو خيثمة زهير بن حرب عن شبابة عن المغيرة بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس به.

وسئل عنه أبو زرعة فقال: المغيرة لم يسمع من عطاء شيئًا، وهو مرسل. علل الحديث لابن أبي حاتم (٢/ ٢١١رقم٢١٢٣).

ورواه الدولابي في الكنى (٢٨٣/٢رقم٢٧٢٥) من طريق مكبر - رجل من أهل الشام - عن الوضين بن عطاء عن يزيد ابن مرثد عن ابن عباس مرفوعًا مختصرًا.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (١٥رقم٧) والبيهقي في الشعب (٢٠٦/٦رقم٧٩١٦) من طريق سليمان التيمي عن سعد القيسي عن ابن عباس موقوفًا.

ورواه الدارقطني في الأفراد - أطرف الأفراد (٨٤/٣رقم٢٠١٥).

قبل أن تسمى الأصناف الذين تجب لهم الزكاة ﴿ولا تبذِّر تبذيرًا﴾ يقول : لا تنفق في غير حق ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ يعني أنفقوا له ومن [أنفق][1] لغير الله لا يقبله الله ، وإنما هو لشيطان .

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ يعني : انتظار رزق الله ﴿فقل لهم قولاً ميسورًا﴾ يعني : أن يقول للسائل : يرزقنا الله وإياك ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال الحسن : يقول : لا تكن [بخيلاً منوعًا][2] فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عُنُقه (ل١٨٤) ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ فتنفق في غير برّ ﴿فتقعد ملومًا﴾ في عباد الله لا تستطيع أن [تسع][3] الناس ﴿محسورًا﴾ أي : قد ذهب ما في يدك .

قال محمدٌ : المحسور والحسير الذي قد بالغ في التعب والإعياء ؛ المعنى : تحسرك العطية وتقطعك[4].

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي : يضيق ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ يعني : الموءودة

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . لعلها سقطت من الأصل .

(٢) طمس في الأصل . والمثبت من تفسير ابن كثير (٦٧/٥) .

(٣) في الأصل : (توسع) .

(٤) وهو من الفعل : حَسَر يَحْسَر حسارة ؛ أي : كلَّ : فهو حسير . لسان العرب (حسر) .

﴿خشية إملاق﴾ يعني : الفاقة[١] ﴿إن قتلهم كان خِطْأً﴾ ذنبًا ﴿كبيرًا﴾ .

﴿ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا﴾ يعني : القود[٢]، إلا أن يعفو الولي أو يرضى بالدية إن أعطيها ﴿فلا يسرف في القتل﴾ أي : لا يقتل غير قاتله ﴿إنه كان منصورًا﴾ أي : ينصره السلطان حتى يُقيدَهُ منه . ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ يعني : أن يوفر ماله حتى إذا بلغ أشده دُفِعَ إليه ماله إن آنس منه الرشد .

قال قتادة[٣]: لما نزلت هذه الآية ، اشتدت عليهم ، فكانوا لا يخالطونهم في مطعم ولا نحوه ؛ فأنزل الله بعد ذلك : ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[٤] في الدين .

﴿وأوفوا بالعهد﴾ يعني : ما عاهدوا عليه فيما وافق الحق ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ يُسأل عنه الذين أعطوه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير﴾ إذا أوفيتم الكيل ، وأقمتم الوزن ﴿وأحسن تأويلاً﴾ يعني : عاقبة الآخرة . ومعنى (القسطاس) : العدل[٥].

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ...﴾ الآية ، تفسير الحسن : لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك ؛ فتقول : إني رأيت هذا يفعل كذا ، وسمعت هذا يقول كذا ؛ لما لم تسمع ولم تر .

قال محمدٌ : أصل الكلمة من قولك : قَفَوْتُ الأَثَرَ أَقْفُوه قَفْوًا ؛ إذا اتّبعْتَه[٦] فمعنى الآية : لا تتبعنَّ لسانك من القول ما ليس لك به علم ؛ وهو الذي أراد الحسن .

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ يُسأل السمع عما سمع ، والبصر عما أبصر ، والقلب عما عزم عليه .

---

(١) أي : الفقر والحاجة . لسان العرب (فوق) .
(٢) القود : القصاص . لسان العرب (قود) .
(٣) رواه عبد الرزاق (١/٣٧٧ - ٣٧٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٠٠) لابن جرير .
وعزاه السيوطي في الدر (١/٢٦٥) لعبد بن حميد وابن الأنباري والنحاس .
(٤) البقرة : ٢٢٠.
(٥) والقسطاس بضم القاف وكسرها . وقيل : معناه : الميزان . لسان العرب (قسط) .
(٦) لسان العرب (قفو) .

قال محمدٌ : كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم ، ومن الموات فلفظه (أولئك)[1].

﴿ولا تمش في الأرض﴾ يعني : على الأرض ﴿مرحًا﴾ كما يمشي المشركون .

قال محمدٌ : أصل المرح : حركة الأَشِرِ والبَطِرِ[2].

﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بقدمك إذا مشيت ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً كل ذلك كان سيئه﴾ أي : خطيئته ﴿عند ربك مكروهًا﴾ .

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿ولا تجعل مع اللَّه إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا﴾ أي : ملومًا في نقمة اللَّه مُبعدًا عن الجنة في النار .

﴿أفأصفاكم﴾ أي : خصَّكم ﴿ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا﴾ على الاستفهام ؛ أي : لم يفعل ذلك ؛ لقولهم أن الملائكة بنات اللَّه .

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا﴾ أي : بينا لهم ، وأخبرناهم أنا أهلكنا القرون الأولى فلا ينزل بهم ما نزل بالأمم السابقة قبلهم من عذاب اللَّه ﴿وما يزيدهم﴾ ذلك ﴿إلا نفورًا﴾ يعني : تركًا لأمر اللَّه .

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وتقرأ بالياء والتاء[3] ﴿إذًا لابتغوا﴾ يعني : الآلهة ﴿إلى ذي العرش سبيلاً﴾ قال قتادة : يقول : إذًا لعرفوا فضله عليهم ، ولابتغوا ما يقربهم إليه .

---

(١) أي : يشار بها إلى العقلاء وغيرهم ، وفي ذلك المعنى اللغوي تفصيل واسع . ينظر الدر المصون (٣٩٠/٤) .

(٢) وهو أيضًا : العجب والاختيال . لسان العرب (مرح) .

(٣) قرأ ابن كثير وحفص بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء . ينظر : السبعة(٣٨١) ، والنشر (٣٠٧/٢) ، التيسير (١٤٠) الدر المصون (٣٩٤/٤) .

﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يقولون علوًّا كبيرًا﴾ .

﴿يسبح[١] له السموات السبع﴾ يعني : ومن فيهن ﴿والأرض ومن فيهن﴾ من المؤمنين ومن يسبح له من الخلق ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ كان الحسن[٢] يقول : إن الجبل يسبح ؛ فإذا قطع منه شيء لم يسبح المقطوع ويسبح الأصل ، وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح ، وتسبح هي ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا﴾ عن خلقه فلا يعجل (ل١٨٥) كَعَجَلَةِ بعضهم على بعض (غفورًا) لهم إذا تابوا وراجعوا أنفسهم .

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا﴾ **قال محمد** : قيل : إن تأويل الحجاب : منع الله إياهم من النبي ﷺ و(مستورًا) في معنى (ساتر)[٣].

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا﴾ الوَقْرُ : ثِقَلُ السمع[٤] ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أنه لا إله إلا هو ﴿ولوا على أدبارهم نفورًا﴾ أي : أعرضوا عنه .

﴿وإذ هم نجوى﴾ أي : يتناجون في أمر النبي ﷺ ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورًا﴾ أي : يقول ذلك المشركون للمؤمنين ، وتقرأ : (يتبعون) بالياء[٥].

---

(١) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو الطيب عن التمار عن رويس بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث . النشر (٢/٣٠٧) ، إتحاف الفضلاء (٣٥٨) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٠٣) إلى ابن أبي حاتم بمعناه .

(٣) أي : جاء اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل ؛ كما يجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول ؛ مثل (ماء دافق) بمعنى : مدفوق ، وهذا كثير في اللغة .

(٤) يقال : وقرت أُذُنه تَقِرُ وَقْرًا ؛ أي : ثقلت أو صمّت . لسان العرب (وقر) .

(٥) لم أقف على هذه القراءة بالياء ويراجع لها البحر المحيط والمحتسب والدر المصون .

قال محمدٌ : ومعنى (مسحورًا) في قول بعضهم : مخدوعًا[١].

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا﴾ بقولهم ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ قال مجاهد : يعني : مخرجًا ﴿وقالوا أئذا كنا عظامًا ورفاتًا﴾ أي : ترابًا ﴿أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا﴾ على الاستفهام ؛ أي : لا نُبْعَث .

قال محمدٌ : أصل (الرفات) : ما ترفّت ؛ أي : تفتّت[٢].

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾ لما قالوا : ﴿أئذا كنا عظامًا ورفاتًا ...﴾ الآية .

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم﴾ يعني : الموت ؛ يقول : إذًا لأمتُّكم ، ثم بعثتكم يوم القيامة ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ خلقًا جديدًا ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أي : يحركونها تكذيبًا واستهزاءً ﴿ويقولون متى هو﴾ يعنون : البعث ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ و(عسى) من اللَّه واجبةٌ ، وكل ما هو آتٍ قريب .

﴿يوم يدعوكم﴾ من قبوركم ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قال قتادة[٣]: يعني : بمعرفته وطاعته ، والاستجابة : خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصُّور ﴿وتظنون﴾ في الآخرة ﴿إن لبثتم﴾

---

(١) يقال : سَحَر فلانًا بالشيء سَحْرًا ؛ أي : خدعه ، فهو مسحور . لسان العرب (سحر) .

(٢) الرُّفات : هو الحُطام والفُتات من كل ما تكسّر واندقّ . لسان العرب ، المعجم الوسيط (رفت) .

(٣) رواه الطبري (١٥/١٠١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/١٠٧) لابن أبي حاتم أيضًا .

في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ تصاغرت الدنيا عندهم .

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ هو أن يأمروهم بما أمرهم الله به ، وينهوهم عما نهاهم الله عنه ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي : يفسد ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا مبينًا﴾ بيِّنٌ العداوة .

﴿ربكم أعلم بكم﴾ يعني : بأعمالكم ؛ خاطب بهذا المشركين ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ أي : يتُب عليكم ، فيمُنُّ عليكم بالإسلام ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ فبإقامتكم على الشرك ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ أي : حفيظًا لأعمالهم حتى يجازيهم بها .

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ تفسير الحسن : قال : كلَّم بعضهم ، واتخذ بعضهم خليلاً ، وأعطى بعضهم إحياء الموتى ﴿وآتينا داود زبورًا﴾ اسم الكتاب الذي أُعطاهُ : الزبور . قال قتادة : كنّا نُحدّثُ أنه دعاءٌ علمه الله داود وتحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرامٌ ، ولا فرائض ولا حدود .

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ يعني : الأوثان ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ أن يحول ذلك الضُّرّ إلى غيره أهون منه .

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ يعني : القُرْبةَ ، تفسير ابن مسعود[1]: قال :

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٧٩/١) والطبري (١٠٤/١٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٠٩/٤) لابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والبيهقي في الدلائل .

نزلت في نَفَرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجِنِّيون ولم يعلم بذلك النَّفر من العرب، قال اللَّه: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يعني: الجنِّيين الذي يعبدون هؤلاء ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ...﴾ الآية.

قال محمدٌ: (أيهم أقرب) (أيهم) رفعٌ بالابتداء، والخبر (أقرب)[1] المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، وينظرون أيهم أقرب إليه؛ أي: بالأعمال الصالحة أقرب إليه يتوسَّلون به.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ (ل١٨٦) يخوفهم بالعذاب ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي: مكتوبًا.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ إلى قومك يا محمد؛ وذلك أنهم سألوا الآيات ﴿إلا أن كذَّب بها الأولون﴾ وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكناهم؛ فلذلك لم نرسل إليهم بالآيات؛ لأنّ آخر كفار هذه الأمة أُخروا إلى النفخة.

قال قتادة: «إن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًّا وسرّك أن نؤمن؛ فحول لنا الصَّفا ذهبًا! فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيتَ بقومك. قال: لا؛ بل أَستأْني بقومي»[2].

قال محمدٌ: قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (أن) الأولى نصبٌ و (أن) الثانية رفعٌ[3]؛ المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: بينة ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلموا أنفسهم بعقرها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾ يخوفهم بالآية؛ فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا عذَّبهم.

﴿وإذ قلنا لك﴾ أوحينا إليك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ يعني: أهل مكة؛ أي: يعصمك منهم؛

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر من البحر المحيط (٦/٥٢) الدر المصون (٤/٤٠١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٨)

ورواه الإمام أحمد (١/٢٥٨) والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٨٠ رقم ١١٢٩٠) والطبري في تفسيره (١٥/١٠٨) والحاكم (٢/٣٦٢) والبيهقي في الدلائل (٢/٢٧١) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) ينظر تفصيل ذلك من تفسير الطبري (١٥/١٠٨)، البحر المحيط (٦/٥٣)، الدر المصون (٤/٤٠٢).

فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة .

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني : ما أراه الله ليلة أسرى به ، وليس برؤيا المنام ، ولكن بالمعاينة ﴿إلا فتنة للناس﴾ للمشركين لما أخبرهم النبي ﷺ بمسيره إلى بيت المقدس ، ورجوعه في ليلة كذَّب بذلك المشركون ؛ فافتتنوا لذلك ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يقول : وما جعلنا أيضًا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس . قال الحسن[1] ومجاهد : هي شجرة الزقوم ؛ لما نزلت دعا أبو جهل بتمرٍ وزُبدٍ ؛ فقال : تعالوا تزقموا ؛ فما نعلم الزقوم إلا هذا!

قال الحسن : وقوله : ﴿الملعونة في القرآن﴾ أي : أن أكلتها ملعونون في القرآن قال : ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الزّقوم ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿إلا طغيانًا كبيرًا﴾ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ أي : من طين – على الاستفهام – أي : لا أسجد له . ثم ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ وأمرتني بالسجود له ﴿لئن أخرتني[2] إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ تفسير الحسن : لأهلكنَّهم بالإضلال ﴿إلا قليلا﴾ يعني : المؤمنين .

قال الحسن : وهذا القول ظنٌّ منه ؛ حيث وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا أي : صبرًا ، قال : بنو هذا في الضعف مثله .

قال محمدٌ : تقول العرب : قد احتنكت السَّنَةُ أموالهم ؛ إذا استأصلتها ، واحتنك فلانٌ ما عند

(١) انظر تفسير الطبري (١١٣/١٥ - ١١٤) .

(٢) أثبت الياء في الوصل المدنيان وأبو عمرو ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب . النشر (٣٠٩/٢) إتحاف الفضلاء (٣٥٩) .

فلان من العلم ؛ إذا استقصاه[١].

وقوله : ﴿أرأيتك﴾ هو في معنى : أخبرني ، والجواب محذوف ، المعنى : أخبرني من هذا الذي كرمت عليَّ ؛ لم كرّمته عليَّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فحذف هذا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه[٢].

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورًا﴾ قال مجاهد[٣]: يعني : وافرًا[٤]:

قال محمدٌ : يقال : وَفَرْتُ عليه ماله أَفِرُه فهو موفور ؛ أي : مُوَفَّر[٥]، ومن هذا قولُ زُهَيْرٍ[٦]: -

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرْهُ ومن لا يتّق الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٧]

قوله : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ تفسير الحسن : هو الدُّف والمزمارُ .

قال محمدٌ : ومعنى (استفزز) : استخف[٨].

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال مجاهد[٩]: كلُّ راكب في معصية الله فهو من خيل إبليس ، وكل ماشٍ في معصية الله فهو من رجل إبليس ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ تفسير مجاهد[١٠]: (في الأموال) يعني : ما كان من مال بغير طاعة الله ، و(الأولاد) (ل١٨٧) يعني : أولاد الزنا ﴿وعدهم﴾ بالأماني ؛ فإنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وهذا وعيد من الله للشيطان كقول

(١) لسان العرب (حنك) .

(٢) ينظر ذلك من الدر المصون (٤/٤٠٣ - ٤٠٤) ، الكتاب (١/٢٣٩) ، البحر المحيط (٦/٤٤ - ٤٥) .

(٣) رواه الطبري (١٥/١١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢١٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٤) أي : التعبير باسم المفعول وإرادة اسم الفاعل . وقد سبق الكلام على مثل هذا .

(٥) يقال : وَفَرْتُ لفلان المال والمتاع أَفِرُه وَفْرًا وفِرَةً : كثرتُه ووسعتُه . لسان العرب (وفر) .

(٦) هو زهير بن أبي سلمى حكيم الشعراء في الجاهلية توفي (١٣ق هـ) . ينظر الأعلام (٣/٥٢) .

(٧) البيت من بحر الطويل ينظر ديوانه ، البحر المحيط (٦/٥٨) ، روح المعاني (١٥/١١٠) .

(٨) ومعنى (استفز) أيضًا : أثار وأزعج . المعجم الوسيط (فزز) .

(٩) رواه الطبري (١٥/ ١١٨، ١١٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢١٢) لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(١٠) رواه الطبري (١٥/١١٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢١٢) لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

الرجل لصاحبه : اذهب فاجهد عليَّ جُهْدَك ، وليس على وجه الأمر له به[1]. قال : ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾ .

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿إن عبادي﴾ يعني : من يلقى الله مؤمنًا ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أن تضلهم ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي : حِرزًا ومانعًا لعباده المؤمنين .

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ أي : يجريها ﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يعني : طلب التجارة في البحر ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك ، والرحمةُ للكافر في هذا رحمةُ الدنيا .

﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني : الأهوال ﴿في البحر ضل من تدعون﴾يعني : ما تعبدون ﴿إلا إياه﴾ يقول : إلا إياه تدعون كقوله : ﴿بل إياه تدعون﴾[2] تعلمون أنه لا ينجيكم من الغرق إلا هو ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الذي نجاكم ، ورجعتم إلى شرككم ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ يعني : المشرك .

﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ كما خسف بقوم لوطٍ وبقارون ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ قال قتادة[3]: أي : حجارة من السماء يحصبكم بها كما فعل بقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ أي : منيعًا ولا نصيرًا ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي : مرّة

(١) أي أن الأمر في قوله تعالى : (وعِدْهم) ليس على بابه من الأمر الحقيقي ؛ بل هو خارج عنه لغرض الوعيد والتهديد ، وهذا من مباحث علوم البلاغة . ينظر في الكلام عليه مفتاح العلوم للسكاكي ، تلخيص المفتاح للقزويني ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي باب الأساليب الإنشائية .

(٢) الأنعام : ٤١ .

(٣) رواه الطبري (١٢٣/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٣/٤) لابن أبي حاتم أيضًا .

أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفًا من الريح﴾ يعني : الريح الشديدة ﴿فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا﴾ أي : أحدًا يتبعنا بذلك فينتصر لكم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي : فضَّلنا بني آدم على البهائم والسباع والهوام ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ يعني : طيبات الطعام والشراب ؛ فجعل رزقهم أطيب من رزق الدواب والطير والجنّ .

﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ تفسير قتادة[١] ومجاهد[٢]: أي : بنبيِّهم .

قال محمدٌ : يجوز أن يكون نصب (يوم) على معنى : اذكر يوم ندعو كل أُناسٍ[٣].

﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ أي : قدر فتيل ، والفتيلُ : الذي يكون في بطن النواة[٤].

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ تفسير قتادة[٥]: يقول : من كان في هذه الدنيا أعمى عمَّا عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه ، فيعلم أن له معادًا ، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى ﴿وأضل

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٨٢/١) والطبري (١٢٦/١٥) .

(٢) رواه الطبري (١٢٦/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٤/٤) لابن المنذر أيضًا .

(٣) ينظر تفصيل ذلك من البحر (٦٢/٦) ، الدر المصون (٤٠٨/٤) .

(٤) لسان العرب (فتل) .

(٥) رواه الطبري (١٢٨/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٤/٤) لأبي الشيخ في العظمة بمعناه .

سبيلا﴾ أي : طريقًا .

قال محمدٌ : وهذا من عمى القلب ؛ أي : هو في الآخرة أشد عمىً وأضل سبيلاً ؛ لأنه لا يجد طريقًا إلى الهداية .

﴿وإن كادوا﴾ أي : قد كادوا ﴿ليفتنونك﴾ أي : يستزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني : القرآن ﴿لتفتري علينا غيره وإذًا لاتخذوك خليلاً﴾ لو فعلت ذلك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ عصمناك ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً إذًا لأذقناك﴾ لو فعلت ﴿ضعف الحياة﴾ أي : عذاب الدنيا ﴿وضعف الممات﴾ أي : عذاب الآخرة .

قال محمدٌ : المعنى : ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات . قال قتادة[1]: ذكر لنا أن قومًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة يكلمونه ويُفخمونه ، وكان في قولهم أن قالوا : يا محمدُ ، إنك تأتي بشيءٍ لا يأتي به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا ...فما زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم - يلين لهم - ثم إن الله عصمه من ذلك .

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ يعني بالأرض : مكة ﴿ليخرجوك منها﴾ أي : يخرجونك منها بالقتل ؛ في تفسير الحسن ﴿وإذًا لا يلبثون خلفك[2] إلا قليلاً﴾ يعني : بعدك حتى يستأصلهم بالعذاب لو قتلوك ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أنهم إذا قتلوا نبيهم ، أهلكهم الله بالعذاب .

قال محمدٌ : يجوز أن يكون نصب (ل١٨٨) (سُنة) بمعنى : أنا (سننتُ) السُّنة فيمن أرسلنا قبلك[3].

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

---

(١) انظر تفسير عبد الرزاق (٣٨٣/١) .

(٢) هكذا في الأصل ؛ وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص ﴿خلافك﴾ . ينظر : السبعة (٣٨٣) النشر (٣٠٨/٢) ، التيسير (١٤١) الدر المصون (٤١١/٤) .

(٣) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٦٧/٦ - ٦٨) الدر المصون (٤١٢/٤) .

﴿أقم الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: لزوالها في كبد السماء؛ يعني: صلاة الظهر والعصر ﴿إلى غسق الليل﴾ يعني: اجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بُدُوِّ الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل، وظلمته إذا غاب الشفق ﴿وقرآن الفجر﴾ وهي صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال محمد: قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ المعنى: وأقمْ قرآن الفجر.

﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ يعني: عطيّة من الله لك.

قال محمد: يقال: تهجَّد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام[1].

﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ وعسى من الله واجبة، والمقام المحمود: الشفاعة.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن صِلَةَ بن زُفَرَ، عن حذيفة بن اليمان قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحدٍ حفاة عراة؛ كما خلقوا يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حتى يلجمهم العرق، ولا تكلم نفسٌ إلا بإذنه. قال: فأول من يُدعى محمد ﷺ: يا محمد، فيقول: لبيك وسَعْدَيْك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والسعيد من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت. ثم يقال له: اشْفَعْ. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله»[2].

---

(١) هذا الفعل من الأضداد. ينظر: لسان العرب (هجد).

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٧٦ رقم ٩٩) بإسناده عن يحيى بن سلام به.

ورواه الطيالسي (٥٤رقم٤١٤) والنسائي في الكبرى (٣٨١/٦رقم ١١٢٩٤) وابن جرير في تفسيره (١٤٥/١٥) ومسدد ومحمد بن يحيى بن أبي عمر وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٢٢٩/٦ - ٢٣٠رقم ٥٧٥٠) - والبزار (٧/ ٣٢٩رقم ٢٩٢٦) والحارث بن أبي أسامة - زوائده (٣٣٨ رقم١١٣٦) - والحاكم (٣٦٣/٢ - ٣٦٤) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢٨٦/٢) - وأبو نعيم في الحلية (٢٧٨/١) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وقال أبو نعيم: رفعه عن أبي إسحاق جماعة.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٧٧/١٠): رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح.

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٣٨٧/٨): رواته ثقات.

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ يعني: المدينة حين هاجر إليها؛ أمره الله بهذا الدعاء ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ أي: إلى قتال أهل بَدْر، وقد كان أعلمه الله أنه سيقاتل المشركين ببدر، ويظهره عليهم.

قال محمد: من قرأ ﴿مُدْخل﴾ بضم الميم[١]، فهو مصدر أَدْخلته مُدْخلاً[٢]، ومن قرأ: (مَدْخل)[٣] بنصب الميم[٤]، فهو على أدخلته فدخل مَدْخل صدق[٥]. وكذلك شرح (مُخْرج) مثله[٦] ﴿واجعل لي من لدنك﴾ من عندك ﴿سلطانًا نصيرًا﴾ أي: حجَّة بيِّنة؛ في تفسير مجاهد.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ

= وعزاه السيوطي في الدر (٢١٧/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٧٦/٢ رقم ٧٨٩) من طريق عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعًا.

ورواه الطبراني في الأوسط (٩/٢ رقم ١٠٥٨) والحاكم (٥٧٣/٤) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعًا أيضًا.

وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه مسلم شاهدًا. المستدرك نسخة المكتبة الأزهرية الخطية (٤/ق ٢٥٥ - ب) وسقط هذا الكلام من المستدرك المطبوع.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٧٧/١٠): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

(١) وهي قراءة العامة ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤١٥/٤).

(٢) أي: مصدر ميمي، وليس المراد: المصدر القياسي الذي هو (إدخال).

(٣) في الأصل: مدخلاً. وهو مخالف لنص الآية.

(٤) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي حيوة وغيرهم. ينظر: البحر (٧٣/٦)، إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤١٥/٤).

(٥) ينظر لسان العرب (دخل).

(٦) أي: بقراءة ضم الميم وفتحها. ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤١٥/٤).

كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿وقل جاء الحق﴾ وهو القرآن ﴿وزهق الباطل﴾ وهو إبليس ؛ هذا تفسير قتادة[1] ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ الزهوق : الداحضُ الذاهب .

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا﴾ كلما جاء من القرآن شيء كذَّبوا به ، فازدادوا فيه خسارًا إلى خسارهم .

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يعني : المشرك ؛ أي : أعطيناه السلامة والعافية ﴿أعْرَضَ﴾ عن الله وعن عبادته ﴿ونأى بجانبه﴾ تباعد عن الله مستغنيًا عنه ﴿وإذا مسه الشر ﴾ الأمراض والشدائد ﴿كان يئوسًا﴾ أي : يئس أن يفرج ذلك عنه ، لأنه ليست له نيّةٌ ولا حِسْبَةٌ .

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال قتادة : يعني : على ناحيته ؛ لذا يقوى المؤمن على إيمانه ، والكافر على كفره[2].

﴿ويسألونك عن الروح﴾ تفسير الكلبي : إن المشركين بعثوا رسلاً إلى المدينة ، فقالوا لهم : سَلُوا اليهود عن محمد ، وصِفُوا لهم نعْته وقوله ، ثم ائتونا فأخبرونا . فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرضٍ قد اجتمعوا فيها - لعيدٍ لهم - فسألوهم عن محمد ، ونعتوا لهم نعته ، فقال لهم حَبْرٌ من أحبار اليهود : إنّ هذا لنعتُ النبي الذي يُتحدَّث أن الله باعثه في هذه الأرض . فقالت له رسُل قريش : إنه فقير عائلٌ يتيمٌ لم يتبعْه من قومه من أهل الرأي أحدٌ ، ولا من ذوي الأسنان[3] فضحك الحبْرُ وقال : كذلك نجده . قالت له رسُلُ قريش : إنه يقول قولاً عظيمًا ؛ يدعو إلى الرحمن باليمامة الساحر الكذاب - يعنون : مسيلمة - فقالت لهم اليهود : اذْهَبُوا (ل١٨٩) فسلوا صاحبكم عن خلالٍ ثلاثٍ ؛ فإن الذي باليمامة قد عجز عنهن هما اثنان من

---

(١) رواه عبد الرزاق (١/٣٨٩) والطبري (١٥/١٥٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢١٩) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٢) وفي تفسير ابن كثير (٥/١١١) عند تفسير هذه الآية : قال ابن عباس : على ناحيته . وقال مجاهد : على حدته وطبيعته . وقال قتادة : على نيته . وقال ابن زيد : دينه .

(٣) أي : المقدمون في أقوامهم .

الثلاث ؛ فإنه لا يعلمهما إلا نبي ، فإن أخبركم بهما فقد صدق ، وأما الثالثة فلا يجترئ عليها أحدٌ . فقالت لهم رسُلُ قريش : أخبرونا بهن . فقالت لهم اليهود : سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم - وقَصُّوا عليهم قصتهم - وسلوه عن ذي القرنين - وحدِّثوهم بأمره - وسلوه عن الروح ، فإن أخبركم فيه بشيءٍ ، فهو كاذبٌ . فرجعت رسل قريش إليهم ، فأخبروهم بذلك ، فأرسلوا إلى نبي اللّه فلقيهم فقالوا : يا ابن عبد المطلب ، إنّا سائلوك عن خلالٍ ثلاثٍ ، فإن أخبرتنا بهن فأنت صادق ، وإلا فلا تذكرن آلهتنا بشيءٍ . فقال لهم رسول اللّه ﷺ : وما هن؟ قالوا : أخبرنا عن أصحاب الكهف ؛ فإنا قد أخبرنا عنهم بآية بينة ، وأخبرنا عن ذي القرنين ؛ فإنا قد أخبرنا عنه بأمر بين ، وأخبرنا عن الروح . فقال رسول اللّه : أنظروني حتى أنظر ما يحدث إلي فيه ربي؟ قالوا : فإنا ناظروك فيه ثلاثًا . فمكث رسول اللّه ثلاثة أيام لا يأتيه جبريل ، ثم أتاه جبريل ، فاستبشر به النبي ﷺ وقال : يا جبريل ، قد رأيت ما سأل عنه قومي ثم لم تأتني! قال له جبريل : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا﴾[1] فإذا شاء ربك أرسلني إليك . ثم قال له جبريل : إن اللّه قال : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[2]: ثم قال له : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ...﴾[3] فذكر قصتهم ، وقال : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين ...﴾[4] فذكر قصَّته ، ثم لقي رسول اللّه قريشًا في آخر اليوم الثالث ، فقالوا : ما أحدث إليك ربك في الذي سألناك عنه؟ فقصّه عليهم فعجبوا ، وغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه .

قال قتادة[5]: وقوله : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ يعني به : اليهود ؛ أي : أنهم لم يحيطوا بعلمه .

قال يحيى : وبلغني عن بعض التابعين ؛ أنه قال : الروح خلق من خلق اللّه لهم أيدٍ وأرجلٍ .

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ يعني : القرآن حتى لا يبقى منه شيء ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾ أي : وليًا يمنعك من ذلك . ﴿إلا رحمة من ربك ...﴾ فيها إضمارٌ يقول : وإنما

---

(١) مريم : ٦٤.
(٢) الإسراء : ٨٥.
(٣) الكهف : ٩ - ٢٦.
(٤) الكهف : ٨٣ - ٩٨.
(٥) رواه الطبري (١٥/١٥٧) .

أنزلناه عليك رحمة من ربك ، الآية .

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ أي : عوينًا[١].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿ولقد صرفنا للناس﴾ أي : ضربنا لهم ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾ .

﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا﴾ أي : عَيْنًا ببلدنا هذا ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها﴾ خلال تلك الجنة ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا﴾ قطعًا ؛ في تفسير قتادة[٢] ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ أي : عيانًا ؛ في تفسير قتادة[٣].

قال محمدٌ : (قبيلاً) مأخوذ من المقابلة[٤].

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي : من ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء ولن نؤمن لرقيك﴾ لصعودك أيضًا ؛ فإن السَّحرة قد تفعل ذلك ، فتأخذ بأعين الناس حتى تبدِّل ﴿حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه﴾ إلى كل إنسان بعينه ، من الله إلى فلان ابن فلان وفلان ابن فلان وفلان ابن فلان أن آمنوا بمحمد ؛ فإنه رسولي .

---

(١) المراد : مُعينًا ، فهي فعيل بمعنى فاعل . ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (عون) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٣٨٩/١) والطبري (١٦١/١٥) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٨٩/١) والطبري (١٦٢/١٥) .

(٤) وقيل : القبيل هو الكفيل والضامن ، وقيل : الجماعة . وقيل غير ذلك . ينظر لسان العرب (قبل) .

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولاً﴾ أي : هل كانت الرسل تأتي فيما مضى بكتاب من الله إلى كل إنسان بعينه؟! أنتم أهون على الله من أن يفعل بكم هذا .

﴿وما منع الناس﴾ يعني : المشركين ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولاً﴾ (ل ١٩٠) على الاستفهام ؛ أي : لم يبعث الله بشرًا رسولاً ، فلو كان من الملائكة لآمنا به .

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي : قد اطمأنت بهم الدار فهي مسكنهم ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولاً﴾ ولكن فيها بشرٌ ؛ فأرسلنا إليهم بشرًا مثلهم .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

﴿قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم﴾ **قال محمد** : المعنى : كفى الله شهيدًا ، والنصب يجوز في قوله : (شهيدًا) على نوعين : إن شئت على التمييز ؛ كفى الله من الشهداء ، وإن شئت على الحال ؛ كفى الله في حال الشهادة[١].

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ موضع (أن) نصبٌ وقوله : ﴿إلا أن قالوا﴾ موضعُ (أن) رفعٌ ، المعنى : ما منعهم من الإيمان إلا قولهم[٢].

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي : يمنعونهم من عذاب الله ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ قال السدي : يعني : نسوقهم بعد الحساب إلى النار ﴿على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا﴾ أما (عميًا) فعموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئًا وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ، و(بكمًا) : خرسًا ؛ انقطع كلامهم حين قال : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[٣] و(صُمًّا) : أذهب الزفير والشَّهيقُ بسمعهم ؛ فلا يسمعون معه شيئًا ، وقال في آية أخرى : ﴿وهم فيها لا

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٢٦١) ، الكتاب (١/ ١٧، ١٩) ، شرح المفصَّل لابن يعيش (١٠/١٠٥) .
(٢) وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٤/٤٢٠) ، البحر المحيط (٦/٦٧ - ٦٨) .
(٣) المؤمنون : ١٠٨.

يسمعون﴾[١].

﴿كلما خبت زدناهم سعيرًا﴾ تفسير مجاهد[٢]: كلما طفئت أُسعرت .

قال محمدٌ : خبت النار تخبو خُبُوًّا ؛ إذا سكن لهبها[٣]، فإن سكن اللَّهب ولم يطفأ الجمر ، قيل : خمدت تخمد خمودًا[٤]، وإن طفئت ولم يبق منها شيءٌ قيل : همدت تهمد همودًا[٥].

وقوله : ﴿زدناهم سعيرًا﴾ أي : نارًا تسعر تتلهّب .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السمٰوات والأرض﴾ وهم يقرون أنه خلق السمٰوات والأرض ﴿قادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾ يعني : البعث ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ لا شك فيه ؛ يعني : القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفورًا﴾ بالقيامة .

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ تفسير السدي : يعني : مفاتيح الرزق ﴿إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ خشية الفاقة ﴿وكان الإنسان قتورًا﴾ بخيلاً - يخبر أنهم بخلاء ؛ يعني : المشركين .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

---

(١) الأنبياء : ١٠٠ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٢٢٤/٤) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) يقال : خبت النار تخبو خَبْوًا وخُبُوًّا : سكنت . لسان العرب (خبو) .

(٤) لسان العرب ، مختار الصحاح (خمد) .

(٥) لسان العرب ، مختار الصحاح (همد) .

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾[1].

﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ يقول ذلك للنبي ﷺ ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورًا﴾ **قال محمد** يعني: مخدوعًا؛ في تفسير بعضهم.

﴿قال لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات؛ يقول هذا لفرعون ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ يعني: حججًا. مقرأ العامة: ﴿لقد علمتَ﴾ بفتح التاء؛ يعني: فرعون[2]؛ كقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا﴾[3] ﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا﴾ أي: مُهْلَكًا.

﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ يعني: أرض مصر؛ أي: يخرجهم منها بالقتل ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا﴾ يعني: بني إسرائيل وفرعون وقومه، (لفيفًا) جميعًا.

قال محمدٌ: اللفيف معناه في اللغة: الجماعات من قبائل شتى[4].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ تنذر الناس.

---

(١) الأعراف: ١٣٠.

(٢) وقرأ الكسائي (علمتُ) بضم التاء، ينظر الدر المصون (٤/٤٢٥).

(٣) النمل: ١٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (لفف).

﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي : طول ، ومن قرأها بالتخفيف[١]، فالمعنى : فرق فيه بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، ومن قرأها بالتثقيل[٢]، فالمعنى : فرّقه الله ؛ فأنزله يومًا بعد يوم ، وشهرًا بعد شهر ، وعامًا بعد عامٍ منجمًا يقرُّ به قلبك .

قال محمدٌ : قوله (قرآنًا) منصوبٌ بفعل مضمر ؛ المعنى : وفرقناه قرآنًا[٣].

(ل ١٩١) ﴿قل آمنوا به﴾ يعني : القرآن يقوله للمشركين ﴿أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل القرآن ؛ يعني : المؤمنين من أهل الكتاب ﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للأذقان﴾ للوجوه ؛ في تفسير قتادة[٤] ﴿سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ أي : قد كان .

قال محمدٌ : المعنى : كان وعد ربنا مفعولاً ، ودخلت (إن) واللام للتوكيد[٥].

و(يخرون للأذقان) يعني : الوجوه .

﴿يبكون ويزيدهم﴾ يعني : القرآن ﴿خشوعًا﴾ والخشوع : الخوف الثابت في القلب .

قال محمدٌ : (الأذقان) واحدها : ذقَنٌ ؛ وهو مجمع اللَّحْيينِ ؛ وهو عضوٌ من أعضاء الوجه[٦]، و(سجدًا) منصوبٌ على الحال[٧].

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ (...)[٨].

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعو﴾ يقول : أيّ الاسمين دعوتموه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي : أنه هو الله وهو الرحمن .

---

(١) أي : (فَرَقْنَاه) وهي قراءة الجمهور . الدر المصون (٤/٤٢٦) .

(٢) أي : (فرّقناه) وهي قراءة ابن محيصن ، وأُبيّ ، وعلي ، وابن عباس ، وغيرهم . ينظر : البحر (٦/٨٧) ، المحتسب (٢/ ٢٣) ، إتحاف الفضلاء (٢٨٧) .

(٣) وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من معاني القرآن للفراء (٢/١٣٢) إعراب القرآن (٢/٢٦٣) ، البحر (٦/٨٧) .

(٤) رواه عبد الرزاق (١/٣٩٢) والطبري (١٥/١٨٠) .

(٥) معاني القرآن للزجاج (٢/١٦٠) ، كشف المشكلات (٢/٧٣٧) .

(٦) لسان العرب ، مختار الصحاح (ذقن) .

(٧) ينظر : الدر المصون (٤/٤٢٨) ، البحر (٦/٨٨) .

(٨) طمس في الأصل .

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ تفسير ابن عباس[١]: يقول : هذا في الصلاة المكتوبة لا تجعلها كلها سرًا ، ولا تجعلها كلها جهرًا ، وابتغ بين ذلك سبيلاً .

قال يحيى : في تفسير الكلبي «أن رسول الله ﷺ إذ هو بمكة كان يجتمع إليه أصحابه ؛ فإذا صلى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فآذوه ، وإن خفض صوته لم يُسمع من خلفه ، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلاً»[٢].

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا﴾ يتكثَّر به من القلَّة ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ خلق معه شيئًا ﴿ولم يكن له وليٌّ من الذل﴾ يتعزز به ﴿وكبره تكبيرًا﴾ أي : عظمه تعظيمًا .



(١) عزاه السيوطي في الدر (٢٢٩/٤) لابن أبي حاتم .

(٢) رواه البخاري (٢٥٧/٨ رقم ٤٧٢٢) ومسلم (٣٢٩/١ رقم ٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

تفسير سورة الكهف، وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو الحميد ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ يقول: لا عوج فيه ولا اختلاف ﴿لينذر بأسًا شديدًا من لدنه﴾ أي: بعذاب شديد من لدنه؛ أي: من عنده ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا﴾ عند الله في الجنة ﴿ماكثين فيه أبدًا﴾.

﴿ما لهم به من علم﴾ أن لله ولدًا ﴿ولا لآبائهم﴾ الذين كانوا في الشرك ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ (كلمةً) بالنصب[1]، وكان الحسن يقرؤها (كلمةٌ) بالرفع[2]؛ وتفسيرها: كبرت تلك الكلمة كلمة أن قالوا أنّ لله ولدًا.

قال محمدٌ: ومن قرأها بالنصب، فهو على التمييز؛ بمعنى: كبرت مقالتهم: اتخذ الله ولدًا كلمةً[3].

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٢٦٥)، البيان (٢/١٠٠)، معاني القرآن للفراء (٢/١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير في رواية القواس عنه. ينظر: البحر (٦/٩٧)، المحتسب (٢/٢٤)، الدر المصون (٤/٤٣٣).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٨٨)، البحر (٦/٩٧)وينظر في توجيه هاتين القراءتين البحر (٦/٩٧)، الدر المصون (٤/٤٣٣).

﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفًا﴾ أي: حزنًا عليهم.

قال محمدٌ: (أسفًا) منصوبٌ مصدرٌ في موضع الحال[١].

﴿لنبلوهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ أي: أطوع لله.

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ ما على الأرض ﴿صعيدًا جرزًا﴾ قال قتادة[٢]: الجُرُز: التي ليس فيها شجرٌ ولا نبات.

قال محمدٌ: يقال: أرض جرز، وأراضون أجراز[٣]، والصعيد عند العرب: المستوي[٤].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿أم حسبت﴾ أي: أفحسبت ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا﴾ تفسير قتادة[٥]: يقول: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك، والكهف: كهف الجبل، والرقيم: الوادي الذي فيه الكهف ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي: رزقًا.

---

(١) ينظر الدر المصون (٤/٤٣٤).

(٢) روى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم نحوه. كما في الدر المنثور (٤/٢٣٣).

(٣) يقال: جُرُزٌ، وجُرْزٌ وجَرَزٌ بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (جرز).

(٤) والصعيد: التراب. وقال ثعلب: هو وجه الأرض. لسان العرب. مختار الصحاح (صعد).

(٥) رواه الطبري (١٥/١٩٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٣٣ - ٢٣٤) لابن أبي حاتم.

﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : أرشدنا إلى ما يقرب منك .

قال يحيى : كانوا قومًا قد آمنوا ، وفروا بدينهم من قومهم ، وكان قومهم على الكفر ، وخشوا على أنفسهم القتل .

قال : ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا﴾ .

قال محمدٌ : (...)[١] و(عددًا) منصوبٌ (ل١٩٢)على المصدر[٢]؛ أي : تُعَدُّ عدًّا .

﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا﴾ **قال محمدٌ** : (أمدًا) منصوبٌ على التمييز ؛ المعنى : لنعلم أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد[٣]، وقوله : ﴿ثم بعثناهم﴾ يعني : من نومهم ، وكل شيءٍ ساكن حرّكته للتصرُّف فقد بعثته .

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي : خبرهم .

﴿وزدناهم هدى﴾ يعني : إيمانًا .

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ بالإيمان . **قال محمدٌ** : المعنى : ألهمناهم الصبر ، وثبتنا قلوبهم .

﴿لقد قلنا إذًا شططًا﴾ قال قتادة : يعنون : جورًا .

﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿يأتون عليهم بسلطان بين﴾ بحجة بينة ؛ بأن الله أمرهم بعبادتهم ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ أي : لا أحد أظلم منه .

﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾ قال قتادة[٤]: هي في مصحف ابن مسعود (وما يعبدون من دون الله)[٥] وهذا تفسيرها ﴿فَأْوُوا إلى الكهف﴾ أي : فانتهوا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي : يبسط لكم من رزقه ؛ في تفسير السدي .

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) ينظر : البحر (١٠٢/٦) ، معاني القرآن للفراء (١٣٥/٢) ، تفسير القرطبي (٣٦٣/١٠) .

(٣) وفيه أقوال أخر . ينظر : الدر المصون (٤٣٧/٤) .

(٤) رواه الطبري (٢٠٩/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٣٨/٤) لابن أبي حاتم أيضًا .

(٥) وقرأ أيضًا عبد الله بن مسعود : (وما يعبدون من دوننا) ينظر البحر (١٠٦/٦) ، الطبري (١٣٨/١٥) .

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزّاور﴾ أي: تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تتركهم ﴿ذات الشمال﴾ قال الحسن[١]: يقول: لا تدخل الشمس كهفهم ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: في فضاء من الكهف.

قال محمدٌ: (تزّاور) الأصل فيه: (تتزاور) فأُدغمت التاء في الزاي[٢]، و(تقرضهم) أصل القرض: القطع والتفرقة[٣]، والقراءة (تقرِضهم) بكسر الراء[٤] وفيه لغةٌ أخرى (تقرُضهم) بالضم[٥].

﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا﴾ أي: صاحبًا يُرْشِدُه.

قال محمدٌ: (المهتد) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير ياء[٦]، ووقعت في الأعراف بالياء[٧]، وحذف الياء جائزٌ في الأسماء، ولا يجوز في الأفعال[٨].

---

(١) رواه الطبري (١٥/٢١٢).

(٢) ينظر: مجمع البيان (٣/٤٥٥)، البيان (٢/١٠٢).

(٣) وقوله تعالى: ﴿تقرضهم ذات الشمال﴾؛ أي: تُخَلِّفهم شمالاً وتُجاوزهم وتَقْطعهم وتتركهم عن شمالها. مختار الصحاح (قرض).

(٤) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/٤٤٢).

(٥) أي: بضم الراء وليست هذه قراءةً قرآنية، إنما هي لغةٌ في (تقرضهم) ينظر لسان العرب (قرض).

(٦) وأثبت الياء وصلا المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحالين يعقوب، ووردت عن ابن شنبوذ عن قنبل. النشر (٢/٣١٦) وإتحاف الفضلاء (٣٦٤).

(٧) الأعراف: ١٧٨.

(٨) ينظر: مجمع البيان (٣/٤٥٥) البيان (٢/١٠٢).

﴿وتحسبهم أيقاظًا﴾ أي: مفتحة أعينهم ﴿وهم رقود﴾.

قال محمدٌ: الأيقاظ: المنتبهون، والرقود: النيامُ.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال قتادة[1]: في رقدتهم الأولى قبل أن يموتوا.

قال أبو عياض: لهم في كل عام تقليبتان ﴿وكلبهم باسط ذراعيه [بالوصيد][2]﴾ أي: بفناء الكهف ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا﴾.

قال محمدٌ: (فرارًا) منصوبٌ على المصدر؛ لأن معنى وليت: فررتَ[3]، و(رعبًا) منصوبٌ على التمييز[4].

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار، قال: فنظروا فإذا هو قد بقي من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، ثم إنهم شكوا؛ فردوا ذلك إلى الله فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ أي: بدراهمكم ﴿إلى المدينة﴾ وكانت معهم دراهم ﴿فلينظر أيها أزكى طعامًا﴾ تفسير سعيد بن جبير[5]: أيها أحلُّ.

قال يحيى: وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله.

﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن﴾ يعلمن ﴿بكم أحدًا إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ الكفر ﴿ولن تفلحوا إذًا أبدًا﴾ إن فعلتم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ

---

(١) رواه الطبري (١٥/٢١٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٣٨) لابن أبي حاتم.

(٢) سقط من الأصل، والصواب إثباته؛ لأنه مشروحٌ بعدُ.

(٣) لسان العرب (ولي).

(٤) ينظر: البحر (٦/١٠٩)، التبيان (٨٤١)، مجمع البيان(٣/٤٥٥).

(٥) رواه عبد الرزاق (١/٤٠٠) والطبري (١٥/٢٢٣).

عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان الذي أحياهم اللَّه فيه ﴿ليعلموا أن وعد اللَّه حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ يعني: قومهم؛ كانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام، ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعثُ الناس في أجسادهم - وهؤلاء المؤمنون كان الملك منهم - وقال بعضهم: تُبعث الأرواح بغير أجساد؛ فبعث اللَّه أصحاب الكهف (ل١٩٣) يُرَوْن أنها تلك الأمة الذين فروا منهم. [ودخل][1] المدينة وهي مدينة بالروم يقال لها: قبسوسُ[2]، وأخرج الدراهم؛ ليشتري بها الطعام، فاستُنكرت الدراهم، وأخذ فذهب به إلى ملك المدينة؛ فإذا الدراهم دراهم الملك الذي فروا منه؛ فقالوا: هذا رجل وجد كنزًا، فلما خاف على نفسه أن يعذب أطلع على أصحابه، فقال لهم الملك: قد بيَّن اللَّه لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس ليُبْعَثون في أجسامهم، فركب الملك والناس معه؛ حتى أتوا إلى الكهف وتقدَّمهم الرجل حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتوا؛ لأنه قد كانت أتت عليهم آجالهم، فقال القوم: كيف نصنع بهؤلاء؟! ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا﴾.

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ رؤساؤهمُ وأشرافهم ﴿لنتخذن عليهم مسجدًا﴾.

قال اللَّه: ﴿سيقولون﴾ سيقول أهل الكتاب: ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب﴾ قال: السدي: يعني: رميًا بقول الظن.

قال محمدٌ: المعنى يقولون ذلك ظنًّا بغير يقين. قال زُهيْر:

وما الحربُ إلا ما علمتُمْ وذُقْتُم وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ[3]

---

(١) في الأصل: دخل - بدون الواو -، وأثبتها لربط السياق.

(٢) وفي تفسير ابن كثير (١٤٢/٥): يقال لها: دقسوس. ولم أجد قبسوس ولا دقسوس في معجم البلدان ولا في معجم ما استعجم، واللَّه أعلم.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو من معلَّقة زهير المشهورة. ينظر: خزانة الأدب (٣٤٥/٣)، حاشية يس (٦٢/٢)، تفسير القرطبي (٣٨٣/١٠).

قوله : ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال قتادة[١]: إلا قليلٌ من الناس ، وذكر لنا أنّ ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم .

قال : ﴿فلا تمار فيهم﴾ يقول الله للنبي : فلا تمار أهل الكتاب في أصحاب الكهف ﴿إلا مراء ظاهرًا﴾ أي : إلا بما أخبرتك ؛ في تفسير الحسن .

قال محمدٌ : المعنى : أفْتِ في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك .

﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم أحدًا﴾ من اليهود .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾ يقول : إلا أن تستثني .

قال محمدٌ : المعنى : إلا أن تقول : إن شاء الله ؛ فأضمر القول ؛ ذكره أبو عبيد .

وقوله : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ .

قال يحيى : « بلغنا أن اليهود لمَّا سألت رسول الله عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم عنها غدًا . ولم يستثن ؛ فأنزل الله هذه الآية »[٢].

قال الحسن : أمر ألا يقول لشيءٍ في الغيب : إني فاعلٌ ذلك غدًا ، دون أن يستثني : إلا أن يشاء الله ، وأُمِرَ أن يستثني إذا ذكر ؛ فكان الحسن يقول : إذا حلف الرجل على شيءٍ وهو ذاكرٌ

---

(١) رواه الطبري (١٥/٢٢٦) وفيه قول ابن عباس .

وقول ابن عباس رواه عبد الرزاق (٢/٤٠٠) وعزاه السيوطي في الدر للفريابي وابن سعد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٩ - ٢٧١) من طريق ابن إسحاق عن رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وهو في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق (١/٣٢٠ - ٣٢٢) بغير إسناد .

للاستثناء، ولم يستثن فلا ثُنْيَا له، وإن حلف على شيءٍ وهو ناسٍ للاستثناء فله ثُنْيَاه ما دام في مجلسه ذلك تكلَّمَ أو لم يتكلَّم.

﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا﴾ **قال محمدٌ**: قيل: المعنى: عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشدِ، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة، فقال: ﴿سنين﴾.

قال محمدٌ: (سنين) عطفٌ على ثلاثمائة؛ وهذا العطف يسميه النَّحْوِيون: عطف البيان والتوكيد[1].

قوله: ﴿وازدادوا تسعًا﴾ أي: تسع سنين. تفسير قتادة[2]: قال: هذا قول أهل الكتاب، رجع إلى أول الكلام ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم﴾ ويقولون: ﴿لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعًا﴾. قال قتادة[2]: فردّ الله على نبيه فقال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾ أي: يعلم غيب السموات والأرض ﴿أبصر به وأسمع﴾ يقول: ما أبصره وما أسمعه!

قوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ولا يشرك في حكمه أحدًا﴾ أي: ولا يشرك الله في حكمه أحدًا.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) إعراب القرآن (٢/٢٧١)، البحر(٦/١١٦ - ١١٧)، مجمع التفاسير (٤/١٠١)، معاني القرآن للفراء (٢/١٣٨).
(٢) رواه الطبري (١٥/٢٣٠).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٤٠) لابن أبي حاتم.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا يغير في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا ﴿ولن تجد من دونه ملتحدًا﴾ (ل١٩٤) قال قتادة[1]: يعني [موئلاً][2] قال: ملتحدًا؛ أي: نصيرًا؛ يقال: لحدت وألحدت بمعنى: عدلت[3].

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال قتادة: هما الصلاتان: صلاة الفجر، وصلاة العصر، وبعدهما فرضت الصلوات قبل خروج النبي من مكة إلى المدينة بسنة ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ مَحْقَرةً لهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾.

قال محمدٌ: ومعنى (لا تعدُ): لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم.

قال يحيى: نزلت في سلمان الفارسي وصُهيب وخبَّاب بن الأرَت وسالم مولى أبي حذيفة؛ قال المشركون للنبي ﷺ: إن أردت أن نجالسك فاطْرُدْ عنَّا هؤلاء القوم.

يحيى: عن أشعث، عن يعلى بن عطاء، عن (عمرو)[4] بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حَطْمِ السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحًا[5]»[6].

---

(١) رواه الطبري (١٥/٢٣٣).

(٢) طمس بالأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١٥/٢٣٣).

(٣) لسان العرب (لحد).

(٤) كذا في الأصل، والحديث معروف من رواية بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو. أو عن بشر بن عاصم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ذكره البخاري في تاريخه (٢/٧٧) في ترجمة بشر بن عاصم، والله أعلم.

(٥) أي: كثيرًا؛ يقال: سحَّ يسُحُّ سحًّا. لسان العرب (سحح).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٧٢رقم ٥، ٨/٢٣٥رقم ٢) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٣٩٤ رقم ١١١٦) من طريق هشيم عن يعلى بن عطاء موقوفًا.

قال البخاري في التاريخ (٢/٧٧) بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قوله في الذكر، قاله هشيم أخبرنا يعلى بن عطاء.

يحيى : عن الربيع بن صبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : « لأن أجالس أقوامًا يذكرون الله بعد صلاة الصبح ؛ حتى تطلع الشمس أحب إلي من كل ما تطلع عليه الشمس ، ولأن أجالس أقوامًا يذكرون الله بعد صلاة العصر ؛ حتى تغيب الشمس أحبّ إلي من [أن](١) أعتق ثمانية من ولد إسماعيل »(٢).

قوله : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ يعني : شهوته ﴿وكان أمره فرطًا﴾ يعني : تضييعًا ﴿وقل الحق من ربكم﴾ قال قتادة(٣): يعني : القرآن .

قال محمدٌ : المعنى : وقل الذي آتيتكم به الحق من ربكم .

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيدٌ ؛ أي : من آمن دخل الجنة ، ومن كفر دخل النار .

قوله : ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ يعني : سورها ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ تفسير زيد بن

= وقال كثير بن هشام : حدثنا أبو الربيع السمان عن يعلى بن عطاء عن بشر بن عاصم عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ذكر الله بالغداة والعشي أفضل » اهـ .

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٥٣٤) عن الحسن بن علي العدوي ، عن خراش ، عن أنس بن مالك .

وقال ابن عدي : وخراش هذا مجهول ليس بمعروف ، وما أعلم حدث عنه ثقة أو صدوق إلا الضعفاء ...فإذا لم يُعرف الرجل وكان مجهولا كان حديثه مثله ، والعدوي هذا كنا نتهمه بوضع الحديث ، وهو ظاهر في الكذب . اهـ .

وقال العراقي في تخريج الإحياء(١/٣٥١) : رويناه من حديث أنس بسند ضعيف ، وهو معروف من قول ابن عمر - كذا - كما رواه ابن عبد البر في التمهيد .

(١) ليست في الأصل .

(٢) رواه الطيالسي (٢٨١رقم ٢١٠٤) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/٣٧٣ رقم ٦٠٤٣/٣) - والحارث ابن أبي أسامة في مسنده - زوائد (٣١٤ رقم ١٠٥٣، ١٠٥٤) - وأبو يعلى في مسنده (٧/١٢٨ - ١٢٩ رقم ٤٠٨٧، ٧/١٥٤ رقم ٤١٢٥، ٤١٢٦)وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١٦ - ٣١٧ رقم ٦٧٠)والطبراني في الدعاء(٥٢٥ رقم ١٨٧٩) والبيهقي في السنن (٨/ ٣٨، ٧٩) وفي الشعب (١/٤٠٩ رقم ٥٦٠)وابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٧ - ٩)من طريق يزيد الرقاشي به .

قال ابن حزم في المحلى (١٠/٣٩٤) : يزيد الرقاشي ضعيف لا يحتج به .

وقال النووي في الأذكار : روينا في كتاب ابن السني بإسناد ضعيف .

وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٨) : ورجاله ثقات إلا الرقاشي ، وهو يزيد بن أبان ؛ فقد ضعفوه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤/٢٤٢) لابن ابن أبي حاتم .

أسلم : كَعَكَرِ[1] الزيْت .

قال محمدٌ : ما أذيب من الذهب والفضة ، والصُفر والرصاص وما أشبه ذلك فهو عند أهل اللغة : مُهْل[2].

﴿يشوي الوجوه﴾ أي : يحرقها إذا أهوى ليشربه ﴿بئس الشراب وساءت مرتفقًا﴾ أي : منزلاً ومأوى ؛ وهذا وعيدٌ لمن كفر .

قال محمدٌ : (مرتفقًا) منصوبٌ على التمييز[3].

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ .

يحيى : عن ابن لهيعة ؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إن الرجل من أهل الجنة لو بدا إسْوَاره لغلب على ضوء الشمس »[4].

---

(١) العَكَرُ : هو دُرْدِيُّ الزيت . لسان العرب ، مختار الصحاح (عكر) .

(٢) وقال أبو عمرو : المهل : دردي الزيت . قال : والمهل أيضًا : القيح والصديد . لسان العرب ، مختار الصحاح (مهل) .

(٣) ينظر : البحر المحيط (١٢١/٦) ، الدر المصون (٤٥١/٤) .

(٤) كذا ورد هذا الحديث في الأصل عن ابن لهيعة معضلا .

ورواه الإمام أحمد (١/ ١٦٩، ١٧١) والترمذي (٥٨٥/٤ رقم ٢٥٣٨) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (١٢٦ رقم ٤١٦) والبزار في مسنده (٣١٥/٣ رقم ١١٠٩) والدورقي في مسند سعد (٢٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٣/٢ رقم ٢١٠، ١١١/٢ رقم٢٦٦) والبغوي في شرح السنة (٢١٤/١٥ رقم ٤٣٧٧)والضياء في المختارة (٣/ ٢٠٢ رقم ١٠٠٣) والمزي في تهذيب الكمال (٤٠٨/٨ - ٤٠٩)من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود ابن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال : عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ .

وقال البغوي : هذا حديث غريب .

وتابع ابن لهيعة عليه الليث ؛ قال الدارقطني في العلل (٣٣٥/٤ - ٣٣٦ رقم ٦٠٨) لما سئل عن هذا الحديث : يرويه يزيد بن أبي حبيب ، واختلف عنه .

فرواه الليث عن يزيد عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده . وخالفه يحيى بن أيوب ؛ فرواه [عن] يزيد بن أبي حبيب عن عمر بن سعد . والأول أصح . اهـ

ولذا قال الضياء في المختارة : وما كتبت هذا الحديث من حديث ابن لهيعة إلا لقول الدارقطني : إن الليث قد رواه عن يزيد بن أبي حبيب . =

وقال سعيد بن المسيب : ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة : إسْوارٌ من ذهب ، وإسْوارٌ من فضة ، وإسْوارٌ من لؤلؤ .

﴿ويلبسون ثيابًا من سندس وإستبرقٍ﴾ وهما نوعان من الحرير .

قال محمد : قيل : إن السندس رقيقُ الديباج ، والإستبرق ثخينه .

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ تفسير ابن عباس[(١)]: الأرائك : السُّرُرُ عليها الحجال[(٢)].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٣٨ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠﴾

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعنابٍ وحففناهما بنخل﴾ .

قال محمد : يقول : جعلنا النخل مطبقًا بهما . وقوله : ﴿مثلاً رجلين﴾ نصبهما على معنى المفعول[(٣)]؛ أي : اضرب لهم رجلين مثلاً .

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أطعمت ثمرتها ﴿ولمْ تظلم منه شيئًا﴾ أي : تنقص .

قال محمدٌ : قال : (آتتْ) ولمْ يقل : (آتتا) ؛ لأنَّ المعنى كل واحدة منهما آتت أكلها[(٤)].

= ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٢٠٨/٦) والبزار في مسنده (٣١٥/٣ رقم١١٠٩) من طريق يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمر ، عن سعد .

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢٤٤/٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) واحدها : حَجَلةٌ ؛ وهي بيتٌ يزيَّن بالثِّياب والأسِرَّة والسُّتور . لسان العرب ، مختار الصحاح (حجل) .

(٣) ينظر الدر المصون (٤٥٤/٤) .

(٤) ينظر البحر المحيط (١٢٣/٦ - ١٢٤) ، والدر المصون (٤٥٤/٤) .

﴿وفجرنا خلالهما نهرًا﴾ أي: بينهما ﴿وكان له ثمرٌ﴾ أي: أصلٌ ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا﴾ يعني: رجالاً وناصرًا.

قال يحيى: كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً؛ فاقتسماه فأصاب كل واحدٍ منهما أربعة آلافِ دينار، فأما أحدهما فكان مؤمنًا فأنفق في طاعة الله وقدمه لنفسه، وأما الآخر فكان كافرًا اتخذ الأرضين والضياع والدور والرقيق (...)[1] فاحتاج المؤمن ولمْ يبق في يده شيء فجاء إلى أخيه يزوره، ويتعرّضُ لمعروفه، فقال أخوه: وأين ما ورثْتَ؟ قال: أقرضْتُهُ(ل١٩٥) ربي وقدَّمته لنفسي؛ فقال له أخوه: لكني اتخذتُ به لنفسي ولولدي؛ ما قد رأيت.

قال الله: ﴿ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه﴾ يعني: بشركه ﴿قال ما أظن﴾ أي: ما أوقن ﴿أن تبيد هذه أبدًا﴾ أي: تفنى، تفسير الحسن: ليس يعني: أنها لا تفْنى فتذهب، ولكنه يعني: أنه يعيش فيها حتى يأكلها حياته﴿وما أظن﴾ أي: وما أوقن أن ﴿الساعة قائمة﴾ يجحد بالبعث ﴿ولئن رُدِدْت إلى ربي لأجدنَّ خيرًا منها﴾ أي: من جنَّتي ﴿منقلبًا﴾ في الآخرة إن كانت آخرة. قال: ﴿ودخل جنته﴾ وقال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ كانت جنةً فيها نهر، فهي جنَّةٌ وهي جنتان ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره ...﴾ إلى قوله: ﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا﴾.

قال محمدٌ: (لكنا) كتبت - فيما ذكر أبو عُبَيْد - بالألف في المصحف الذي يقال: هو مصحف عثمان[2]. قال: وقرأها غيرُ واحدٍ مشدَّدة على حذف الألف إذا وصلوا[3]، وأصْلُها فيما أرى (لاكنْ أنا) فالتقت النونان فأدغمتا؛ فإذا وُصِلت القراءة حذفت الألف، وثبتت في الوقف[4]،

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) قراءة إثبات الألف وصلا ووقفًا هي لابن عامر، ونافع في رواية عنه. ينظر السبعة (٣٩١)، النشر (٢/٣١١)، تفسير القرطبي (١٠/٤٠٥).

(٣) أي قراءة (لكنْ) بغير ألف وصلا ووقفًا وعُزيت هذه القراءة للكسائي، ولأبي عمرو أيضًا. ينظر: البحر(٦/ ١٢٨)، القرطبي (١٠/٤٠٤) وابن مجاهد يقول في كتاب السبعة (٣٩١): لم يختلف في الوقف أنه بالألف، وإنما اختلف في الوصل. اهـ. وقال ابن الجزري في النشر (٢/٣١١): ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعًا للرسم. اهـ.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٤٤)، إعراب القرآن (٢/٢٧٥ - ٢٧٦)، البحر (٦/١٢٧ - ١٢٨).

وهذا كقولك : أن[١] فعلت ذلك ، فالألف محذوفة ، فإذا سكت عليها قُلتَ : أنا - بإثبات الألف .

قال محمد : وذكر الزَّجاج أنّ من أثبت الألف في الوصل كما يثبتها في الوقف - فهو على لغة من قال : أنا فعلت ، قال : وإثباتها في الوصْل شاذٌّ[٢].

﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي : فهلا إذ دخَلْت جنتك ﴿قلت ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه﴾ ثم قال : ﴿إنْ ترني[٣] أنا أقل منك مالاً وولدًا فعسى ربي أن يؤتينِ﴾ في الآخرة ﴿خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانًا من السماء﴾ قال السُّدي : يعني : نارًا من السماء .

قال محمدٌ : وقيل : ﴿حسبانًا من السماء﴾ أي : مرامي ، واحدتها : حُسْبَانة[٤]. ومن قرأ : (أقلَّ) بالنصب[٥] فهو مفعول ثانٍ لـ(ترى) ، ودخلت (أنا) للتوكيد[٦].

قال : ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾ تفسير الحسن : يعني : ترابًا لا نبات فيه .

قال محمد : (الصعيد) : المستوي ، ويُسمَّى وجْهُ الأرض : صعيدًا ، ولذلك يقال للتراب : صعيد[٧]؛ لأنه وجْهُ الأرض[٨]، و(الزَّلق) : الذي تزِلُّ عليه الأقدام .

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ

---

(١) أي : (أنا) ، وحذفت الألف وصلاً .

(٢) ينظر : معاني القرآن للزجاج (١٦٩/٢ - ١٧٠) ، الخصائص (٣٣٣/٢) ، (٩٢/٣) ، شرح المفصل لابن يعيش (٦٢/٨ ، ٦٤) .

(٣) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب . النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٧) .

(٤) لسان العرب (حسب) .

(٥) وهي قراءة الجمهور ، وقرأ عيسى بن عمر (أقلُّ) بالرفع . ينظر : الدر المصون (٤٥٨/٤) .

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء (١٤٥/٢) ، إعراب القرآن (٢٧٦/٢) ، البحر (١٢٩/٦) .

(٧) في الأصل : صعيدًا .

(٨) وهو قول ثعلب . ينظر مختار الصحاح (صعد) .

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أو يصبح﴾ يعني : أو يصير ﴿ماؤها غورًا﴾ أي : ذاهبًا قد غار في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلبًا﴾ .

قال محمدٌ : (غورًا) مصدرٌ وضع موضع الاسم ، يقال : ماءٌ غورٌ ، ومياهٌ غوْرٌ[1].

﴿وأحيط بثمره﴾ من الليل .

قال محمدٌ : معنى (أُحيط) : أُهلِك .

﴿فأصبح﴾ من الغد ﴿يقلب كفَّيه﴾ قال الحسن : يقول : يضرب إحداهما على الأخرى ندامة ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾ .

قال محمدٌ : معنى (خاويةٌ على عروشها)أي : خرابٌ على سقفها ، والأصل في ذلك : أن يسقط السقفُ ثم تسقط الحيطان عليها .

﴿ويقول﴾ في الآخرة ﴿يا ليتني لم أشرك بربي﴾ في الدنيا ﴿أحدًا﴾ .

﴿ولم تكن له فئةٌ﴾ أي : عشيرة ﴿ينصرونه من دون اللّه﴾ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فئةٌ ينصرونه﴾ ولم يقل : تنصُره[2]؛ المعنى : ولم يكن له أقوامٌ ينصرونه .

﴿هنالك الولاية للّه الحق﴾ تقرأ برفع (الحق) وبجره[3]، فمن قرأها بالرفع فيقول : هنالك الولاية الحقُّ للّه ، ومن قرأها بالجر يقول : للّه الحقِّ ، والحق اسم من أسماء اللّه ؛ المعنى : هنالك يتولَّى اللّهَ كُلُّ عبدٍ لا يبقى أحدٌ يومئذٍ إلا تولَّى اللّهَ ، فلا يقبل ذلك من المشركين .

---

(١) قيل : ماء غور ؛ أي : غائر . وصف بالمصدر ؛ كدرهم ضرب . لسان العرب ، مختار الصحاح (غور) .

(٢) لأن معنى (فئة) : طائفة ؛ فهي واحد في اللفظ ، جمع في المعنى . والجمع : فئات ، وفئون . لسان العرب ، مختار الصحاح (فيء) ، (فأي) .

(٣) قرأ السبعة إلا أبا عمرو ، والكسائي بالجر ، أما أبو عمرو و الكسائي فقد قرآ بالرفع . ينظر : السبعة (٣٩٢) ، النشر (٣١١/٢) .

قال يحيى: قال السُّدي: الولاية بالفتح.

قال محمدٌ: وقرأها حمزة والكسائي بكسر الواو، ذكره أبو عُبيْدٍ[١].

قوله: ﴿هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا﴾ أي: عاقبةً.

قال محمدٌ: (ثوابًا وعقبًا) منصوبان على التمييز[٢].

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾.

قال محمدٌ: يعني: اندفع في النبات، فأخذ النبات زخرفَهُ.

﴿فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾ فأخبر أن الدنيا ذاهبةٌ زائلة؛ كما ذهب ذلك النبات بعد بهجته وزينته.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات﴾ هي في تفسير الحسن: [الفرائض][٣] ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملاً﴾ يقول: هي جزاء ما قدموه في الدنيا (ل١٩٦) أي يثابوه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزةً﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا عُمُد.

قال محمدٌ: يجوز النصب في قوله: (ويوم نسيِّر)[٤] على معنى: واذكر يوم نُسير الجبال.

---

(١) قال ابن السكِّيت: الولاية – بالكسر –: السلطان، والولاية – بالفتح والكسر – النصرة. وقال سيبويه: الولاية – بالفتح –: المصدر، وبالكسر: الاسم. وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ بالكسر. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٢/٢٧٧)، التيسير (١٤٣).

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٧٨)، البحر (٦/١٣١)، التبيان (٨٤٩).

(٣) مشتبهة بالأصل؛ وانظر تفسير ابن كثير (٥/١٥٧).

(٤) ينظر البحر المحيط (٦/١٣٤)، الدر المصون (٤/٤٦١).

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾ يقال: أحضروا؛ فلم يغب منهم أحدٌ.

قال محمدٌ: يقال: غادرت كذا وغدَرْته؛ أي: خلَّفتُه[١].

﴿وعُرضوا على ربك صفًّا﴾ (أي: صفوفًا)[٢] ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرّة﴾ أي: حُفاة عُراة غُرْلاً، يعني: غُلْفًا غير مُختَتِنين.

يحيى: عن الأزهر بن عبد الله الأزدي «أن رسول الله لما قرأ هذه الآية قالت عائشة: يا سوءتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله: الناس يومئذٍ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض؛ إن أول من يُكسى إبراهيم خليل الله»[٣] من حديث يحيى بن محمد.

﴿بل زعمتم﴾ يقول للمشركين ﴿أن لن نجعل لكم موعدًا﴾ يعني: أن لن تُبعثوا.

﴿ووضع الكتاب﴾ يعني: ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا ﴿فترى المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿مشفقين﴾ أي: خائفين ﴿مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا﴾ في كتبهم ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ قال الحسن[٤]: وهو أول الجن؛ كما أنّ آدم من الإنس؛ وهو أول الإنس. وتفسير قتادة[٥]: كان من الجن

---

(١) لسان العرب (غدر).

(٢) مكرر في الأصل.

(٣) روى البخاري (٣٨٥/١١ رقم٦٥٢٧) ومسلم (٢١٩٤/٤ رقم٢٨٥٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

وروى البخاري (٣٨٥/١١ رقم ٦٥٢٦) ومسلم (٢١٩٤/٤ رقم ٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة: إبراهيم الخليل».

(٤) رواه الطبري (٢٦٠/١٥) وأبو الشيخ في العظمة (١٦٨١/٥ رقم ١١٢٩).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٥٠/٤) لابن جرير وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) رواه عبد الرزاق (٤٠٤/١) والطبري (٢٦٠/١٥).

قَبِيلٌ[١] من الملائكة ؛ يقال لهم : الجن ، وكان[٢] على خزانة السماء الدنيا[٣] ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي : عصى أمره .

قال محمدٌ : الفسوق أصله : الخروجُ ؛ تقول العرب : فسقت الرُّطَبة ؛ إذا خرجت من قشرها[٤] .

﴿أفتتخذونه وذريته﴾ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك ﴿أولياء من دوني﴾ .

﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ أي : بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم طاعة إبليس .

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن

= وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٥٠) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(١) القبيل : الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى ، ويطلق على الأتباع . لسان العرب ، مختار الصحاح(قبل) .

(٢) أي : إبليس .

(٣) الظاهر أن هذا الأثر من الإسرائيليات ، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨٩/٣) بعض الآثار في معناه ثم قال : وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة . اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا في تفسير الآية (٨٨/٣) : ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ أي خانه أصله ؛ فإنه خُلق من مارج من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وُصف لكم» فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة ، ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أي على أنه خُلق من نار كما قال ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم - عليه السلام - أصل البشر . رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه . اهـ .

(٤) قال ابن الأعرابي : لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم : فاسق . قال : وهذا عجب ، وهو كلام عربي . لسان العرب ، مختار الصحاح (فسق) .

تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ وذلك أن المشركين قالوا : إن الملائكة بنات اللّه ؛ أي : ما أشهدتهم شيئًا من ذلك ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدًا﴾ أي : أعوانًا ﴿وجعلنا بينهم﴾ يعني : وصلهم الذي كان في الدنيا ﴿مَوْبقًا﴾ أي : مَهْلكًا ؛ في تفسير بعضهم .

قال محمدٌ : يقال : وبق الرّجل يوبَق وَبَقًا ، وأوْبقه اللّه ؛ أي : أهلكه[1].

﴿ورأى المجرمون﴾ المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي : علموا ﴿أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا﴾ أي : معْدِلاً إلى غيرها .

﴿ولقد صرفنا﴾ أي : ضربنا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : ولقد بيّنا للناس من كل مثل يحتاجون إليه .

﴿وكان الإنسان﴾ يعني : الكافر ﴿أكثر شيءٍ جدلاً﴾ .

قال محمد : هو كقوله : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ .

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ من شركهم ﴿إلا أن تأتيهم سُنَّةُ الأولين﴾ يعني : ما عذّب اللّه به الأمم السالفة ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ عيانًا .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحضوا به الحقّ﴾ أي : ليُذهبُوه - فيما يظنون - ولا يقدرون على ذلك .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) هذا الفعل فيه لغات : وَبق يَبِق وبوقًا ، ويقال : وَبَق يَبِق وبوقًا ، ويقال : وَبِق يَوْبَق وَبَقًا ؛ كله بمعنى . لسان العرب ، مختار الصحاح (وبق) .

﴿ومن أظلم ممن ذكِّر بآيات ربه فأعرض عنها﴾ أي : لم يؤمن بها ؛ أي : لا أحد أظلم منه .

﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرًا﴾ وهو الصمم عن الهدى ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا﴾ يعني : الذين يموتون على شركهم .

﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ يعني : لمن آمن .

﴿بل لهم موعدٌ لن يجدوا من دونه موئلا﴾ قال الحسن : ملجأ .

قال محمدٌ : يقال : وأل فلان إلى كذا ؛ إذا لجأ ، ويقال : لا وألتْ نفسك ؛ أي : لا نجت ، وفلان موائل ؛ أي : [مُبَادر][1] لينجُوَ ، ومن هذا قول الشاعر :

[لا واءلت نفسك خليتها للعامريين ولم تُكْلَمِ][2]

(ل١٩٧) قوله : ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي : أشركوا وجحدوا رسلهم ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي : لعذابهم ﴿موعدًا﴾ أجلاً ووقتًا .

قال محمدٌ : من قرأ : (لِمُهْلَكهم) بضم الميم وفتح اللام[3] - فهو مصدر أهْلكه إهلاكًا ومُهْلَكًا[4]. ومن قرأ : (لمَهْلِكِهم) بنصب الميم واللام[5]؛ أراد هلكوا مَهْلَكًا[6].

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي : لا أزول ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ يعني : حيث التقيا . قال قتادة[7]: يعني : بحر فارس والروم ﴿أو أمضي حقبًا﴾ الحقب :

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من لسان العرب (وأل) .

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل ، واستدركته من تفسير الطبري (١٥/٢٦٦) وتفسير القرطبي (١١/٨) وهو يناسب المعنى المتقدم . ينظر لسان العرب(وأل) .

(٣) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا . ينظر : التيسير (١٤٤) النشر (٢/٣١١) الدر المصون (٤/٤٦٧) .

(٤) (إهلاكًا) مصدر قياسي ، و(مُهْلكًا) مصدر ميمي .

(٥) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه ، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام . ينظر إتحاف الفضلاء (٢٩٢) ، السبعة (٣٩٣) الدر المصون (٤/٤٦٧) .

(٦) يقال : هَلَكَ الشيء يهْلِكُ هَلاكًا وهُلُوكًا ومَهْلِكًا بفتح اللام وكسرها وضمها . لسان العرب (هلك) .

(٧) رواه عبد الرزاق (١/٤٠٥) والطبري (١٥/٢٧١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٥٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

سبعون سنة ، وقيل : ثمانون[1].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله﴾ يعني : الحوت ﴿في البحر سربًا﴾ .

قال محمدٌ : سربًا يعني : مذهبًا ومسلكًا ؛ وهو مصدرٌ[2]؛ المعنى : نسيا حوتهما ؛ فجعل الحوت طريقه في البحر ، ثمَّ بيَّن كيف ذلك ؛ فكأنَّه قال : سرب يَسْرُبُ سَرَبًا[3].

قال يحيى : ذُكر لنا أن موسى لما قطع البحر وأنجاه اللَّه من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم ، فقال : أنتم اليوم خيرُ أهل الأرض وأعلمهم ، قد أهلك اللَّه عدوكم ، وأقطعكم البحر ، وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلاً هو أعلم منك ، فانطلق هو وفتاه يوشع يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة في مكتل[4] لهما ، وقيل لهما : إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلاً عالمًا يقال له : خَضِرٌ .

---

(١) وقيل غير ذلك ، تنظر هذه الأقوال من ابن كثير (١٧٠/٥) ، الدر المصون (٤٦٩/٤) .

(٢) أي : مصدر وضع موضع الاسم .

(٣) وقيل : سَرَب يَسْرُب سُرُوبًا . وقيل : السَّرَب بيتٌ في الأرض . لسان العرب ، مختار الصحاح (سرب) .

(٤) هو شِبْه الزَّنْبيل يَسَعُ خمسة عشر صاعًا . مختار الصحاح (كتل) .

قال يحيى : وذكر بعضهم أن موسى وفتاه لمَّا أويا إلى الصخرة على ساحل البحر ، باتا فيها ، وكان عندها عينُ ماءٍ ؛ فأكلا نصف الحوت وبقي نصفه ، فأدنى فتاه المكتل من العين ، فأصاب الماء الحوت ، فعاد فانسرب ، ودخل في البحر ، ومضى موسى وفتاه ﴿فلما جاوزوا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا﴾ أي : شدة ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبًا﴾ موسى تعجب من أثر الحوت في البحر ﴿قال ذلك ما كنا نبغي﴾[1] أي : ذلك حيث أُمِرْتُ أن أجد خَضِرًا . ﴿فارتدا على آثارهما قصصًا﴾ أي : رجعا حتى أتيا الصخرة .

قال محمدٌ : المعنى : رجعا في الطريق الذي سلكاه ، يقُصَّان الأثر قصصًا .

قال : فاتَّبعا الأثر في البحر ، وكان الحوت حيث مرَّ جعل يضرب بذنبه يمينًا وشمالاً في البحر ، فجعل كل شيءٍ يضربه الحوت بذنبه ييْبَسُ ، فصار كهيئة طريق في البحر ، فاتَّبعا أثره ، حتى إذا خرجا إلى جزيرة فإذا هما بالخضر في روضةٍ يصلي ، فأتياه من خلفه ، فسلم عليه موسى ، فأنكر الخضر التسليم في ذلك الموضع ، فرفع رأسه فإذا هو بموسى فعرفه . فقال : وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل ، فقال موسى : وما يدريك أني نَبِيُّ بني إسرائيل؟ قال : أدْراني بذلك الذي أدراك بي ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا قال إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾ .

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾ موسى : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا﴾ أي : عظيمًا من المنكر ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾ وكان موسى ينكر الظلم ، قال له موسى : ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ يعني : ذهب مني ذكره ﴿ولا ترهقني من أمري عسرًا﴾ .

قال محمدٌ : (ترهقني) معناه : تُعَنِّتني[2]؛ أي : عاملني باليُسْر لا بالعُسْر . ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قال أقتلت نفسًا (زاكيةً)[3]﴾ أي : لمْ تُذْنِبْ ﴿بغير نفسٍ لقد جئت شيئًا نكرًا﴾ .

---

(١) أثبت الياء وصلاً المدنيان وأبو عمرو والكسائي ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب ، وقرأ الباقون بغير ياء . النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٩) .

(٢) وقيل : أرهقه عُسْرًا : كلَّفه إياه ، يقال : لا ترهقني لا أرهقك الله ، أي : لا تعسرني لا أعسرك الله . مختار الصحاح (رهق) .

(٣) هكذا في الأصل : زاكيةً . وهي قراءة نافع وابن كثير ، وأبي عمرو . ينظر : السبعة (٣٩٥) ، النشر (٣١٣/٢) ، التيسير (١٤٤) .

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض﴾ أي: يسقط (...)[1].

قال محمد: الجدار (...)[1] (ل١٩٨) يكون هذا على التشبيه، ومثل هذا مستفيضٌ في كلام العرب وأشعارها؛ قال الرّاعي:

في مَهْمَهٍ قلقت به هاماتُها ... قلق الفُئُوس إذا أَرَدْن نُصُولاً[2]

قوله: ﴿قال لو شئت﴾ موسى قاله ﴿لاتخذت عليه أجرًا﴾ أي: ما يكفينا اليوم ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾.

قال محمدٌ: المعنى: هذا فراق اتصالنا.

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم﴾ أي: أمامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصبًا﴾ وهي في بعض القراءة (كل سفينة صالحة)[3]. **قال محمدٌ**: يكون

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر ديوان الراعي (٢٢٢)، والطبري (١٥/١٨٧)، والقرطبي (١١/٢٦) والشطر الأول مطموس من الأصل، وأثبته من ديوانه.

(٣) وهي قراءة أبيّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير. ينظر: البحر (٦/١٥٤)، القرطبي (١١/٣٤).

« وراء » بمعنى : بعْد[١]، وهو قوله ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾[٢] ومنه قول النابغة :

حَلَفْتُ فلمْ أتْرُكْ لنفسك رِيبةً وليس وَرَاءَ اللّهِ للمرءِ مَذْهَبُ[٣]

أي : ليس بعد مذاهب اللّه للمَرْءِ مذهبٌ .

وتكون بمعنى : أمام[٤]؛ ومن هذا قول القائل :

أتُـوعِـدُنـي وَرَاءَ بَـنِـي رِيَـاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ عَنِّي[٥]

يريد أمام[٦] بني رياحٍ .

قوله : ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ قال قتادة[٧]: وفي بعض القراءة : (فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين)[٨].

﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا﴾ .

قال محمدٌ : ومعنى يرهقهما : أي : يحملهما على الرَّهق وهو الجهل[٩].

﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاةً﴾ في التقوى ﴿وأقرب رحمًا﴾ أي : برًّا ؛ في تفسير الحسن .

---

(١) وراء يكون بمعنى (خلْف) ، وبمعنى (قدَّام) ، وهو من الأضداد . لسان العرب ، ومختار الصحاح (ورى) .

(٢) إبراهيم : ١٧ .

(٣) البيت من بحر الطويل ، ينظر ديوانه (٥٥) ، القرطبي (٨/٢٦٦) .

(٤) ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (ورى) .

(٥) البيت لجرير ، وهو من بحر الوافر ، ينظر : خزانة الأدب (٧/٨) وفيه : لتقصرن يـداك دوني .
وقال صاحب الخزانة : ورياح - بكسر الراء بعدها مثناة تحتية - هو رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٦) وقال البغدادي في خزانته (٨/٨) : ووراء بمعنى خلف .

(٧) رواه الطبري (١٦/٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٦١) لعبد الرزاق وابن المنذر ، وفيه أنها قراءة أُبي بن كعب ﷺ .
وقال السيوطي في الدر (٤/٢٦١) : أخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري عن ابن عباس أنه كان يقرأ (وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين) .

(٨) وهي قراءة ابن العباس وأبيّ . ووردت القراءة في الأصل معكوسة أي : (وكان أبواه مؤمنين وكان كافرًا) وهذه ليست قراءة . ينظر البحر (٦/ ١٥٤، ١٥٥)

(٩) يقال : أرهقه طغيانًا ؛ أي : أغشاه إياه . مختار الصحاح (رهق) .

قال محمدٌ : الرُّحْمُ في اللغة : العطفُ والرحمة[١].

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ قال الحسن وقتادة[٢]: أي : مالٌ ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ...﴾ إلى قوله : ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي : إنّما فعلته عن أمر الله ﴿ذلك تأويل﴾ تفسير ﴿ما لم تسطع عليه صبرًا﴾ .

قال محمدٌ : الأشدُّ يختلف ؛ فأشدّ الغلامِ أن يشتد خلقُه ويتناهى في النبات[٣]؛ يقال : ذلك ثماني عشرة سنة[٤] وأشُدُّ الرجُلِ : الاكتهالُ ، وأن يشتد رأيه وعقله وذلك ثلاثون سنة ، ويقال : ثمان وثلاثون سنة[٥].

ونصبت (رحمةً) أي : فعلنا ذلك رحمةً[٦]، ويجوز أن يكون على المصدر بمعنى رحمهما بذلك رحمة[٧].

قال يحيى : بلغني أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائرًا ؛ فطار إلى المشرق ثم طار إلى المغرب ، ثم طار نحو السماء ثم هبط إلى البحر ، فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران ، فقال الخضر لموسى : أتعلم ما يقول هذا الطائر؟ يقول : ورب المشرق ورب المغرب ، ورب السماء السابعة ، ورب الأرض السابعة ، ما علمُك يا خضرُ وعلم موسى في علم الله إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر .

وذُكِر لنا أن نبي الله قال : «إنما سُمِّيَ الخَضر ؛ لأنه قعد على قَرْدَدٍ[٨] بيضاء فاهتزتْ به خضراء» .

---

(١) وهو الرُّحُم أيضًا ، لسان العرب (رحم) .

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق (١/٤٠٧) .

(٣) أي : في النمو والقوة .

(٤) وفي مختار الصحاح (شدد) : ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين . أي : بلوغ الأشد في هذه السن .

(٥) لسان العرب ، مختار الصحاح (شدد) .

(٦) أي : النصب على المفعول لأجله ، وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من الدر المصون (٤/٤٧٩) .

(٧) أي : النصب على المفعول المطلق ينظر الدر المصون (٤/٤٧٩) .

(٨) وهو الموضع المرتفع من الأرض ، ويقال للأرض المستوية أيضًا : قردد . النهاية (قرد) .
قلت : والمشهور «على فروة بيضاء» كما رواه البخاري (٦/٤٩٩ رقم ٣٤٠٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، والفروة : الأرض اليابسة ، وقيل : الهشيم اليابس من النبات . النهاية (فروة) .

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

قال : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا﴾ يعني : خبرًا ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سببًا﴾ قال قتادة[١] : يعني : علمه الذي أُعطِيَ ؛ بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها ﴿فأتبع سببًا﴾ قال قتادة[٢] : يعني منازل الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي تقرأ : (حامية)[٣] قال ابن أبي مُلَيْكة : اختلف ابن عباسٍ وعمرو بن العاص ؛ فقال ابن عباس : (حمئة)[٤] وقال عمرو بن العاص : (حامية) ، فجعلا بينهما كعبًا الحَبْر ؛ فقال كعبٌ : نجدها في التوراة : تغرب في ماءٍ وطين ؛ كما قال ابن عباسٍ .

يحيى : ومن قرأ : (حامية) فالمعنى : أي : ذات حَمأة ؛ تقول : حَمِئت البئر فهي حمِئَة[٥] إذا صارت [فيها الحمأة فتكدرت وتغيَّر رائحتها][٦] .

(ل١٩٩) ﴿ووجد عندها قومًا قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ يعني : القتل ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنًا﴾ يعني : العفو ، في تفسير السُّدي ، قال : فحكَّموه فحكم بينهم ﴿قال أما من ظلم﴾

---

(١) انظر تفسير الطبري (٩/١٦) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٤٠٧/١) والطبري (١٠/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٧٢/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم من السبعة ، ووردت القراءة في الأصل (حامئة) بالهمزة ، ينظر السبعة (٣٩٨) ، النشر (٣١٤/٢) ، التيسير (١٤٥) .

(٤) وهي قراءة باقي السبعة . ينظر المراجع السابقة .

(٥) حَمِئَتْ تَحْمَأُ حَمَئًا ، وهو حَمِئٌ ، وهي حَمِئَةٌ . لسان العرب (حمأ) .

(٦) ما بين المعقوفين مطموس من الأصل ، والمثبت من لسان العرب والمعجم الوسيط (حمأ) .

يعني : من أشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ يعني : القتل ﴿ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا﴾ عظيمًا في الآخرة ﴿وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى﴾ تفسير مجاهد : الحسنى هي : لا إله إلا الله ، والجزاء : الجنة .

وقال السدي : فله جزاءً الحسنى ؛ يعني : العفو .

قال محمدٌ : لم يبين يحيى كيف كانت قراءة السدي والذي يدل عليه تفسيره أنه كان يقرؤها : (فله جزاءً)[1] بالنصب والتنوين ، وكذلك قرأها غير واحدٍ ؛ المعنى : فله الحسنى جزاء على التقديم والتأخير ، و(جزاءً) مصدر في موضع الحال ؛ فله الحسنى مجزيًا بها جزاءً[2].

﴿وسنقول له من أمرنا يُسرًا﴾ أي : معروفًا .

﴿ثم أتبع سببًا﴾ يعني : طرُق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا﴾ قال قتادة[3]: ذكر لنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يستقر عليهم البناء ، وأنهم يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معايشهم وحروثهم ﴿قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا﴾ أي : هكذا كان ما قصّ من أمر ذي القرنين ﴿ثم أتبع سببًا﴾ طرق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ قال قتادة[4]: هما جبلان ﴿وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً﴾ يعني : كلام غيرهم ، وهي تقرأ على وجهٍ آخر : ﴿لا يكادون يُفْقِهون قولاً﴾[5] أي : لا يفقه أحدٌ كلامهم .

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ، وقرأ الباقون : (جزاءُ الحسنى) بالرفع دون تنوين . ينظر السبعة (٣٩٨) ، النشر (٣١٥/٢) الدر المصون (٤٨٠/٤) .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء (١٥٩/٢) ، إعراب القرآن (٢٩٢/٢) ، مجمع البيان (٤٩١/٣) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٤١٢/١) والطبري (١٤/١٦) .

(٤) رواه عبد الرزاق (٤١٢/١ - ٤١٣) والطبري (١٦/١٦) .

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة بضم الياء وكسر القاف ، وقرأ الباقون (يَفْقَهُون) بفتح الياء والقاف . ينظر : السبعة (٣٩٩) ، النشر (٣١٥/٢) .

ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّىۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي : قاتلون الناس في الأرض ؛ يعني : أرض الإسلام ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ أي : جُعْلاً[١]. ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا قال ما مكني فيه ربي خيرٌ﴾ من جُعلِكم.

قال محمدٌ : من قرأ (مكَّنِّي)[٢] فالمعنى : مكنني ، إلا أنه أدغم النون في النون ؛ لاجتماع النونين ، ومن قرأ (مكَّنَني)[٣] بإظهار النونين ، فذلك جائزٌ ؛ لأنهما من كلمتين : الأولى من الفعل ، والثانية تدخل مع الاسم المضمر[٤].

﴿فأعينوني بقوة﴾ يعني : عددًا من الرجال ﴿أجعل بينكم وبينهم ردمًا﴾ .

قال محمدٌ : الرَّدمُ في اللغة : أكثر من السَّد ؛ لأنَّ الرَّدمَ ما جعل بعضه على بعض ؛ يقال : ثوب مُرَدَّم ؛ إذا كان قد رُقع رُقعَة فوق رقعة[٥]، ويقال لكل ما كان مسدودًا خِلْقَةً : سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ بالفتح ، وقد قيل : إنهما لغتان بمعنًى واحدٍ : سُدٌّ ، وسَدٌّ ؛ بالفتح والضم[٦].

﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصَّدفيْن﴾ يعني : رأس الجبلين ؛ في تفسير مجاهد[٧]؛ أي : سَدَّ ما بيْنهما ﴿قال انفخوا﴾ أي : على الحديد ﴿ حتى إذا جعله نارًا ﴾ يعني : أحماه بالنار ﴿قال آتوني﴾ أعطوني ﴿أفرغ عليه قطرًا﴾ فيها تقديم : أعطوني[٨] قطرًا أفرغ عليه ، والقِطْر :

---

(١) وهو ما جعل للإنسان من شيء على فعل . وكذا الجِعَالة والجَعِيلة . لسان العرب ، مختار الصحاح (جعل) .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير . ينظر : الحجة (٢٣٢) ، النشر (٣١٥/٢) .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وحده . ينظر السبعة (٤٠٠) ، التيسير (١٤٦) .

(٤) ينظر الدر المصون (٤٨٢/٤) .

(٥) لسان العرب ، القاموس المحيط (ردم) .

(٦) وقيل : السُّد - بالفتح والضم - : الجبل والحاجز . وقال بعضهم : السُّد - بالضم - : ما كان من خلق الله ، وبالفتح : ما كان من عمل بني آدم . لسان العرب ، مختار الصحاح (سدد) .

(٧) رواه الطبري (٢٥/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٧٦/٤) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) أي : والتقدير : أعطوني ....إلخ .

النحاسُ[1]؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه النحاسَ.

قال محمدٌ: الملاطُ: هو الطين الذي يُجْعل في البناء ما بين كل صفَّين[2].

﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أي: يظهروا عليه من فوقه ﴿وما استطاعوا له نقبًا﴾ من أسفله ﴿قال هذا رحمةٌ من ربي فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني: خروجهم ﴿جعله﴾ يعني: السُّدَّ ﴿دكًّا﴾[3] قال قتادة: أي: يتعفر بعضه على بعض، وتقرأ على وجهٍ آخر: «دكَّاء»[4] ممدودة؛ أي: جعله أرضًا مستوية.

يحيى: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن يَأْجُوج ومأجوج يخرقونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (ل٢٠٠) قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا؛ فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدَّتُهُمْ وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاعَ الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا - إن شاء الله - فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيخرقونه، فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعَلَوْنا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفًا[5] في أقفائهم فيقتلهم بها»[6].

---

(١) لسان العرب، مختار الصحاح (قطر).

(٢) وفي المعجم الوسيط: يُجْعل بين كل لبنتين أو آجُرَّتين أو حجرين. ينظر: المعجم الوسيط (ملط).

(٣) هكذا في «الأصل» دكًا. وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي وعاصمًا ينظر: السبعة (٤٠٢). التيسير (١٤٦).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم. ينظر: النشر (٢/٢٧١) الحجة (١٦٣، ٢٣٣).

(٥) النَّغَفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفرده: نَغَفَةٌ: لسان العرب، مختار الصحاح (نغف).

(٦) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦/١٢٠٥ - ١٢٠٦ رقم ٦٦٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى ابن سلام به.

ورواه الإمام أحمد (٢/٥١٠ - ٥١١) وابن ماجه (٢/١٣٦٤ - ١٣٦٥ رقم ٤٠٨٠) والطبري في تفسيره (١٦/٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة.

ورواه الإمام أحمد (٢/٥١١) والترمذي (٥/٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٣١٥٣) وابن حبان (١٥/٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٦٨٢٩) والحاكم (٤/٤٨٨) من طريق قتادة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا.

قال يحيى : وسُئِلَ علي بن أبي طالب عن ذي القرنين ؛ فقال : كان عبدًا صالحًا دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه ، فضربوه على قرنه فقتلوه ، فأحياه الله ، ثم دعا قومه أيضًا ، فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه الله ، فَسُمِّي : ذا القرنين[1].

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني : يوم يخرجون من السُّد ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا﴾ والصور : قرن ينفخ فيه صاحب الصور .

= وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين ، ولم يخرجاه .

وقال ابن كثير في تفسيره (١٠٨/٣) : وإسناده جيد قوي ، ولكن متنه في رفعه نكارة ؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته ، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار ... ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار ؛ فإنه كان كثيرًا ما كان يجالسه ويحدثه ، فحدث به أبو هريرة ؛ فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، والله أعلم . ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ، ومن نكارة هذا المرفوع ؛ قول الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن أمها أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان : أربع نسوة - قالت : « استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا . وحلق ، قلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث » هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري . اهـ .

وقال ابن حجر في الفتح (١١٦/١٣) : ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس ، وقد رواه بعضهم عنه فأدخل بينهما واسطة ، أخرجه ابن مردويه ، لكن وقع التصريح في رواية سليمان التيمي عن قتادة بأن أبا رافع حدثه ، وهو في صحيح ابن حبان ، وأخرجه ابن ماجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : « حدث أبو رافع » وله طريق آخر عن أبي هريرة ، أخرجه عبد بن حميد من طريق عاصم عن أبي صالح عنه ، لكنه موقوف . اهـ .

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢٦٤/٤) لابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه .

﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ كانت على أعينهم غشاوة الكفر ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعًا﴾ أي : لا يسمعون الهدى بقلوبهم .

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يعني : من عبد الملائكة ، يقول : أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك؟ أي : لا يتولَّونهم ؛ وليس بهذا أمرتهم ، إنما أمرتهم أن يعبدوني لا يشركون بي شيئًا ﴿إنا أعتدنا﴾ أعددنا ﴿جهنم للكافرين نزلاً﴾ أي : منزلاً .

قال محمدٌ : يقال : أعتدت لفلان كذا ؛ أي : اتخذته عتادًا له ، والعتاد أصله : ما اتخذ ليمكث فيه .

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ هم أهل الكتاب .

﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا﴾ هي مثل قوله : ﴿ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جناتُ الفردوس نزلاً﴾ .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة قال : « الفردوس جبلٌ في الجنة تنفجر منه أنهار الجنة »[2].

﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾ أي : تحولاً .

قال محمدٌ : يقال : قد حال من مكانه حِوَلاً[3].

---

(١) المؤمنون : ١٠٣.

(٢) روى البخاري (٦/ ١٤ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال : وفوقه عرش الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنة » .

(٣) يقال : حال يحول حِوَلاً - أي : تحوّل . وقيل : الحِوَل مصدر ، وقيل : هو اسم بمعنى التنقُّل من موضع إلى موضع . لسان العرب ، مختار الصحاح (حول) .

﴿قل لو كان البحر مدادًا﴾ القلم يستمد منه للكتاب[1] ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لعلم ربي ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ أي: آخر مثله من باب المدد[2].

قال محمدٌ: (مددًا) منصوب على التمييز[3].

﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحد﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: ما أنت إلا بشرٌ مثلنا. فقال الله: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي: يخاف البعث ﴿فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ أي: يخلص له العمل.

يحيى: عن الفرات بن سلمان، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس، أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إني رجلٌ أقف المواقف أُريدُ وجه الله، وأُحب أن يُرى مكاني! فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئًا، فنزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه ...﴾ إلى آخرها»[4].



---

(١) أي: للكتابة. يقال: كتب يكتُب كَتْبًا وكتابًا وكتابةً. لسان العرب (كتب).

(٢) أي: العون والمساعدة. قال أبو زيد: مددنا القوم: صِرْنا مَدَدًا لهم، أما المداد فهو النِّقْس؛ أي: الحبر اللازم للكتابة. لسان العرب، مختار الصحاح (مدد).

(٣) ينظر البحر المحيط (١٦٩/٦)، الدر المصون (٤٨٧/٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤١٤/١) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (١١٢/٣) - من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٠/٤): لابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني والحاكم أيضًا.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

تفسير سورة مريم وهي مكية كُلُّهَا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ ﴾

قوله: ﴿كهيعص﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أنّ قومًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال يحيى: [ثم ابتدأ][1] الكلام فقال: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقول: ذكره لزكريا رحمة منه له ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًّا﴾ (ل ٢٠١) أي: سرًّا ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ أي: ضعف ﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾ .

قال محمدٌ: (شيبًا) منصوب على التمييز[2].

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيًّا﴾ أي: لم أزل بدعائي إياك سعيدًا ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني: العصبة الذين [يرثوني][3] ﴿من ورائي﴾ من بعدي؛ فأراد أن يكون من صُلْبه من

---

(١) في الأصل: غير أنه بدأ. والمثبت من «ر».

(٢) إعراب القرآن (٣٠١/٢)، مجمع البيان (٥٠٣/٣)، البحر (١٧٣/٦).

(٣) في الأصل: يرثونه. والمثبت من «ر».

يرث ماله ؛ في تفسير قتادة ﴿وكانت امرأتي عاقرًا﴾ أي : لم تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿وليًّا﴾ يعني : ولدًا ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي : يرث ملكهم وسلطانهم ؛ كانت امرأة زكريا من ولد يعقوب ليس يعني : يعقوب الأكبر ؛ يعقوب دونه .

قال محمدٌ : من قرأ (يرثني ويرث) بالرفع[١] جعله كالنعت للوليّ ؛ المعنى : هب لي الذي يرثني .

ومن قرأها بالجزم[٢] (يرثْني ويرثْ من آل) فعلى جواب الأمر .

﴿اسمه يحيى﴾ قال قتادة[٣]: أحياه الله بالإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سميًّا﴾ قال قتادة[٤]: أي : لم يُسمَّ أحدٌ قبله يحيى ﴿قال رب أنَّى يكون لي غلامٌ﴾ من أين يكون لي ولد ﴿وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾ أي : (يُبْسًا)[٥].

قال محمدٌ : يقال لكل شيءٍ قد يبس : عتا يَعْتُو عُتيًا[٦]، وعُتُوًّا .

﴿قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين﴾ قال له الملك : ﴿كذلك قال ربك هو علي هينٌ﴾ أعطيك هذا الولد ؛ وهو كلام موصولٌ أخبر به الملك عن الله ﴿قال﴾ زكريا : ﴿رب اجعل لي آية﴾ علامة ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا﴾ يعني : صحيحًا لا يمنعك الكلام مرضٌ . قال قتادة[٧]: إنما عوقب ؛ لأنه سأل الآية بعد ما (شافهته الملائكة)[٨] وبشرته بيحيى ، فَأُخِذَ عليه لسانه[٩]، فجعل لا يبين الكلام ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ يعني : المسجد ﴿فأوحى إليهم﴾

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو والكسائي . ينظر : السبعة (٤٠٧) ، التيسير (١٤٨) ، النشر (٣١٧/٢) .

(٢) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي . ينظر المراجع السابقة .

(٣) رواه الطبري (٤٩/١٦) .

(٤) رواه الطبري (٥٠/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٥/٤) لعبد الرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد .

(٥) في « ر » : يأسًا .

(٦) بضمّ العين وكسرها لغتان . لسان العرب ، مختار الصحاح (عتو) .

(٧) رواه الطبري (٥٢/١٦) .

(٨) سقط من « ر » .

(٩) أي : أُمْسِك .

أشار إليهم ﴿أن سبحوا بُكرة وعشيًّا﴾ أي : صلوا لله بالغداة والعشي .

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ أي : بجدٍّ ومواظبة ﴿وآتيناه الحكم صبيًّا﴾ يعني : الفهم والعقل .

قال يحيى : بلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان : يا يحيى تعال نلعب . فيقول : ليس للعب خُلقْنا!

﴿وحنانًا من لدنَّا﴾ أي : أعطيناه رحمة من عندنا .

قال محمدٌ : الحنان أصله : العَطْفُ والرحمة ؛ ومنه قول الشاعر :

فقالت حَنَانٌ ما أتى بك ها هنا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أنت بالحَيِّ عَارِفُ[1]؟

قوله : (حنانٌ) ؛ أي : أمرنا حنانٌ : عطفٌ ورحمةٌ[2].

﴿وزكاة﴾ قال قتادة[3]: الزكاة : العمل الصالح ﴿وكان تقيًّا﴾ .

يحيى : عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أصاب ذَنبًا أوْ همَّ به ، غير يحْيى بن زكريا لمْ يُصِبْ ذَنْبًا ، ولمْ يَهمَّ به »[4].

﴿وبرًّا بوالديْه﴾ أي : مطيعًا لهما ﴿ولم يكنْ جبارًا عصيًّا﴾ أي : مستكبرًا عن عبادة اللَّه

---

(١) البيت من بحر الطَّويل ، وهو لمنذر بن درهم الكلبي . ينظر تخريجه في الكتاب (٣٢٠/١) ، المقتضب (٢٢٥/٣) ، شرح المفصل لابن يعيش (١١٨/١) ، همع الهوامع (١٨٩/١) ، لسان العرب ، تهذيب اللغة (حنن) .

(٢) أي : مرفوع على الخبرية ، والمبتدأ محذوف .

(٣) رواه الطبري (٥٧/١٦) .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥/٢) عن معمر عن قتادة عن الحسن مرفوعًا .

ورواه الحاكم في المستدرك (٥٩١/٢) والبيهقي في السنن (١٨٦/١٠) وابن عساكر في تاريخه (١٩٣/٦٤ - ١٩٤) من طريق حبيب بن الشهيد ويونس بن عبيد وحميد عن الحسن .

وللحديث طرق عن عدة من الصحابة موصولاً مرفوعًا وموقوفًا ، وعن عدة من التابعين مرسلاً ، وأسانيدها فيها مقال ، انظر : تاريخ دمشق (١٧٣/٦٤ - ١٧٤، ١٩٢ - ١٩٥) والدر المنثور (٢٤/٢ - ٢٥) وتخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٧٩/٣ - ٢٨٠) فقد ذكرت طرقًا منها هناك ، والله أعلم .

﴿وسلامٌ عليه يوم ولد﴾ يعني: حين ولد ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾ يوم القيامة.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿واذكُر في الكتاب﴾ يقول للنبي: اقرأ عليهم أمْرَ مريم ﴿إذ انتبذت﴾ يعني: إذ انفردت ﴿من أهلها مكانًا شرقيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿تقيًّا﴾ كان زكريا كفل مريم، وكانت أختها تحته، وكانت تكون في المحراب، فلما أدركت، كانت إذا حاضتْ أخرجها إلى منزله إلى أختها، وإذا طهرت رجعت إلى المحراب، فطهرت مرة، فلما فرغت من غُسْلها قعدت في مشرفة[1] في ناحية الدار، وعلَّقت عليها (ثوبًا)[2] سُتْرةً؛ فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع في صورة آدمي، فلما رأته قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا﴾ قال الحسن: تقول: إن كنت تقيًّا للّه فاجْتنبني ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهَب[3] لك غلامًا زكيًّا﴾ أي: صالحًا ﴿قالت أنى يكون﴾ من أين يكون ﴿لي غلامٌ ولَمْ يمسسني بشرٌ﴾ أي: يجامعني زوجٌ ﴿ولم أكُ بغيًّا﴾ (ل٢٠٢) أي: زانية ﴿قال كذلك قال ربك هو عليَّ هينٌ﴾ أن أخلقه ﴿ولنجعله آية للنَّاس ورحمةً منا﴾ أي: لمن قبل دينه ﴿وكان أمرًا مقضيًّا﴾ يعني: كان عيسى أمرًا من الله مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه يكون. فأخذ جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه، فصار إلى بطْنها، فحملت. قال الحسن: حملته تسعة أشهر في بطنها ﴿فانتبذت به مكانًا قصيًّا﴾ أي: انفردت به في مكان شاسع ﴿فأجاءها المخاض﴾ قال مجاهد:

---

(١) أي: شُرْفة.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا بالأصل، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش، واختلفت الرواية عن قالون. وقرأ الباقون (لأهب). ينظر: النشر (٢/٣١٧).

يعني : ألجأها .

قال محمدٌ : وأصل الكلمة من : المجيء ؛ يقال : (جاءت بي)[١] الحاجة إليك ، وأَجَاءَتْني الحاجةُ إليك[٢]؛ قال زُهَيْر[٣]:

وجارٍ سارَ مُعْتَمِدًا عليكم أَجَاءَتْهُ المخافةُ والرَّجَاءُ[٤]

والمخاض : دُنو الولادة ، يقال : مُخِضَتِ المرأةُ ومَخِضَتْ[٥].

﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسْيًا منسيًّا﴾ قال قتادة : تعني شيئًا لا يُعْرَف ، ولا يُذْكر ؛ قالت هذا مما خَشِيَتْ من الفضيحة .

قال محمدٌ : النِّسْيُ في كلام العرب أَصْلُه الشَّيءُ الحقير ؛ الذي إذا أُلْقي نُسِيَ غَفْلَةً عنه[٦].

﴿فناداها من تحتها﴾ قال قتادة : كنا نُحَدَّثُ أنه جبريل .

قال يحيى : وقال بعضهم : ﴿فناداها مَنْ تحتها﴾ يعني : عيسى .

قال محمدٌ : لم يبين لنا [يحيى][٧] كيف القراءة في قوله : (من تحتها) وذكر أبو عبيْدٍ : أنها تقرأ (مِنْ تحتِها) بكسر الميم والتاء التي بعد الحاء ، وتقرأ أيضًا بفتحهما[٨]؛ فمن قرأ بالكسْر ؛ فتأويلها : أن جبريل ناداها ، ومن قرأها بالفتح فتأويلها : عيسى هو الذي ناداها[٩].

---

(١) في « ر » : جئت في الحاجة إليك .

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (جيء) .

(٣) هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة الشاعر المشهور من المعمرين ، مات عن مائة وعشرين عامًا ، تنظر ترجمته في المعمرين لأبي حاتم السجستاني (٨٣) ، الشعر والشعراء (١٣٧) .

(٤) البيت من بحر الوافر ، وهو لزهير بن أبي سلمى ، ينظر ديوانه ، شرح ديوان الحماسة (١/٣٠٢) ، مجاز القرآن (٢/٤) ، البحر (٦/١٨٢) .

(٥) مخضت المرأة مَخَاضًا فهي ماخض . لسان العرب (مخض) .

(٦) وقيل : النِّسْيُ : ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها . لسان العرب ، مختار الصحاح (نسي) .

(٧) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٨) قرأ الأخوان ونافع وحفص عن عاصم بكسر الميم والتاء ، وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء . ينظر : البحر المحيط (٦/١٦٩) ، الدر المصون (٤/٤٩٩) والنشر (٢/٣١٨) .

(٩) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٤/٤٩٩) .

﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ السَّرِيُّ : الجدْوَلُ ، وهو النّهرُ الصغير[١] ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رُطَبًا جنيًّا﴾ أي : حين اجتُنِيَ ، وكان الجذع يابسًا .

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فكُلي واشربي وقري عينًا﴾ .

قال محمدٌ : يقال : قررتُ به عينًا أقَرُّ - بفتح القاف - في المستقبل[٢] قُرورًا ، وقررتُ في المكان أقِرُّ بكسر القاف[٣]، و(عينًا) منصوب على التمييز[٤].

﴿فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صوْمًا﴾ أي : صمْتًا ﴿فلن أكلم اليوم إنسيًّا﴾ أذن لها في هذا الكلام ، وكانت آية جعلها الله لها يومئذ .

قال محمدٌ : يقال للممسك عن الطعام أو الكلام : صائِمٌ[٥].

﴿لقد جئت شيئًا فريًّا﴾ أي : عظيمًا .

---

(١) لسان العرب ، مختار الصحاح (سرى) .

(٢) أي : في الفعل المضارع .

(٣) يقال : قَرِرْتُ به عينًا أقَرّ ، وقَرِرْتُ به عينًا أَقَرّ قُرّةً وقُرورًا . ويقال : قَرِرت في المكان وبالمكان أقَرّ قرارًا . وقَرَرْتُ أيضًا أقِرّ قَرارًا وقُرورًا . لسان العرب ، مختار الصحاح (قرر) .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء (١٦٦/٢) ، إعراب القرآن (٣١١/٢) ، مجمع البيان (٥١٠/٣) .

(٥) قال أبو عبيدة : كل مُمْسِك عن طعام أو كلام أو سَيْر فهو صائم . لسان العرب ، مختار الصحاح (صوم) .

قال محمدٌ : يقال : فلانٌ يفري الفريَّ إذا عمل عملاً أو قال قولاً فبالغ فيه ؛ كان في خير أو شرٍّ[١]، وأنشد بعضهم :

ألا رُبَّ من يدعو صديقًا ولو ترى مَقَالَتَهُ بالغيب سَاءَكَ مَا يَفْرِي[٢]

قوله : ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ﴾ أي : ما كان زانيًا . قال قتادة[٣]: ليس بهارون أخي موسى ، ولكنه هارون آخر كان يسمّى هارون الصالح المحبَّب في عشيرته ، المعنى : يا شبيهة هارون في عبادته وفضله .

﴿فأشارت إليه﴾ بيدها قال قتادة[٤]: أَمَرتْهم بكلامه ﴿قالوا كيف نكلم من كان﴾ أي : من هو ﴿في المهد صبيًّا﴾ والمهد : الحِجْر ؛ في تفسير قتادة[٥].

﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ يقول : جعلني معلِّمًا مؤدِّبًا ﴿ولم يجعلني جبارًا﴾ أي : مستكبرًا عن عبادة الله ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت ...﴾ الآية ، ولمْ يتكلم بعد ذلك بشيءٍ حتى بلغ مبلغ الغلمان ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ قال الحسن : الحق : هو الله .

قال محمدٌ : من قرأ (قولُ) بالرفع[٦]؛ فالمعنى : هو قول الحق[٧].

﴿الذي فيه يمترون﴾ قال قتادة[٨]: امترت فيه اليهود والنصارى ؛ أمّا اليهود ؛ فزعموا أنه ساحرٌ

---

(١) يقال : فَرَى يَفْرِي فَرْيًا والاسم : الفِرْيَة ، لسان العرب ، مختار الصحاح (فرى) .

(٢) البيت من بحر الطويل . ينظر البيان والتبيين (٥٨٩/١) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٧/٢ - ٨) والطبري (٧٧/١٦) .

وروى مسلم في صحيحه (١٦٨٥/٣ رقم ٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرءون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك ، فقال : «إنهم كانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» .

(٤) رواه الطبري (٧٩/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٧/٤) لابن أبي حاتم .

(٥) رواه الطبري (٧٩/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٧/٤) لابن أبي حاتم .

(٦) وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، والكسائي . ينظر : الدر المصون (٥٠٥/٤) ، السبعة (٤٠٩) ، التيسير (١٤٩) ، النشر (٣١٨/٢) .

(٧) وينظر توجيه الرفع من البحر (١٨٩/٦) ، مجمع البيان (٥١٣/٣) .

(٨) رواه الطبري (٨٣/١٦) .

كذابٌ ، وأمَّا النصارى فزعموا أنه ابن اللَّه وثالث ثلاثة [وإله](١) ﴿ما كان للَّه أن يتخذ من ولدٍ سبحانه﴾ (ل٢٠٣) ينزه نفسه عما يقولون ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [يعني : عيسى](٣) كان في عِلْمِه أن يكون من غير أبٍ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿أن يتخذ من ولد﴾ المعنى : أن يتخذ ولدًا ومِنْ مؤكدة(٢).

﴿وإنّ اللَّه ربي وربكم ...﴾ الآية ، هذا قول عيسى لهم ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني : النصارى ؛ فتجادلوا في عيسى ؛ فقالت فرقةٌ : هو ابن اللَّه ، وقالت فرقةٌ : إنّ اللَّه هو المسيح ابن مريم ، وقالت فرقةٌ : اللَّه إلهٌ ، وعيسى إلهٌ ، ومريم إله .

قال اللَّه : ﴿فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ وذلك يوم القيامة يقول : ما أسمعهم يومئذٍ وما أبصرهم ؛ سمعوا حين لمْ ينفعْهم السَّمْعُ ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وأنذرهم يوم الحسْرة إذ قضى الأمر﴾ يعني : إذ وجب العذاب فوقع بأهل النار .

يحيى : عن صاحبٍ له ، عن سفيان(٣)، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد اللَّه بن مسعود ؛ أنه ذكر حديثًا في البعْث ؛ قال : « فليس من نفسٍ إلا وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة وبيْتٍ في النار . قال : وهو يوم الحسرة ، فيرى أهلُ النار البيت الذي في الجنة ، قال : ثم يقال لهم : لو عملْتُم ؛ فتأخذهم الحَسْرةُ ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، قال :

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٣١٥/٢) ، مجمع البيان (٥١٣/٣) ، البيان (١٢٦/٢) .

(٣) في « ر » : سعيد . والحديث معروف من رواية سفيان كما سيأتي .

فيقال لهم: لولا أن منَّ الله عليكم »[1].

﴿وهمْ في غفْلةٍ﴾ في الدنيا؛ وهذا كلام مستقبلٌ ﴿وهم لا يؤمنون﴾.

﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿وإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة.

[2]﴿واذْكُرْ في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اقرأه عليهم ﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبُد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ يعني: الأصنام ﴿يا أبت لا تعبدُ الشيطان﴾ أي: إن عبادة الوثن عبادةُ الشيطان.

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا﴾ أيْ: إذا نزل بك العذابُ لم تقبل توبتك، ومَا لم ينزل بك فتوبتك مقبولة إن تُبتَ.

قال محمدٌ: (يا أبت) الوقف عليه بالهاء: (يا أبَهْ) الهاء عوضٌ من ياء الإضافة[3].

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أن تعبدها ﴿لئن لمْ تنته﴾ عن شتمها وذمِّها ﴿لأرجمنك﴾ أي: بالحجارة فلأقتُلنك بها. وقال السدي[4]: معنى (لأرجمنّك): لأشتمنك.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٧٥/٨ - ٦٧٧ رقم ١٨٣) عن ابن نمير، ورواه العقيلي في الضعفاء (٣١٤/٢ - ٣١٦) من طريق أبي نعيم، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٩٦/٤ - ٤٩٨) من طريق الحسين بن حفص؛ ثلاثتهم عن سفيان به في حديث طويل.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال العقيلي: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في حديث الناس. حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي كوفي، سمع ابن مسعود، سمع منه سلمة بن كهيل في الشفاعة، ولا يتابع على حديثه.

(٢) من أول هنا سقط من «ر».

(٣) ويقال: يا أبَتِ ويا أبَتَ لُغتان، ومن فتح أراد النُّدبة فحذف. لسان العرب، مختار الصحاح (أبو).

(٤) رواه الطبري (٩١/١٦).

قال محمدٌ : تقول العرب : فلانٌ يرمي فلانًا ، وفلانٌ يرجم فلانًا ؛ بمعنًى واحدٍ ؛ يريدون الشتم(١).

﴿واهجرني مليًّا﴾ يعني : طويلاً ﴿قال سلام عليك﴾ إبراهيم يقوله ، قال الحسن : هذه كلمة حِلْم ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا﴾ . قال الكلبي : يعني : رحيمًا ، وقال بعضُهم : لطيفًا .

قال محمدٌ : حَفِيَ فلانٌ بفلان حِفوةً وحِفَاوةً ؛ إذا برَّه وألطفه(٢).

﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾ أي : عسى أن أسْعَد به ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب ...﴾ إلى قوله : ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾ أي : رفيعًا ؛ يعني : الثناء عليهم من بعدهم .

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أيمن الجبل ﴿وقرَّبناه نجيًّا﴾ يعني : حين كلمه .

قال محمدٌ : (نجيًّا) يعني : مناجيًا(٣).

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا﴾ جعله اللَّه له وزيرًا ، وأشركه معه في الرسالة(٤).

﴿إنه كان صادق الوعد﴾ .

يحيى : عن أبان العطار « أن إسماعيل وعد رجلاً موعدًا ؛ فجاء للموعد فلم يجد الرجل ، فأقام في ذلك الموضع حَوْلاً ينتظره » .

---

(١) يقال : رَجَمه يَرْجُمه رَجْمًا ، فهو رجيم ومرجوم . لسان العرب (رجم) .

(٢) يقال : حَفِي - بالكسر - حِفْوة وحِفْية وحِفَاية وحَفَاء فهو حافٍ ؛ أي : صار يمشي بلا خُفٍّ ولا نعل .
ويقال : حَفِي - بالكسر - حَفَاوة فهو حَفِيٌّ ؛ أي : بالغ في إكرامه وإلطافه . لسان العرب ، مختار الصحاح (حفي) .

(٣) أي : فعيل بمعنى فاعل . والجمع : أَنْجية . قال الأخفش : وقد يكون النجي جماعة كالصَّديق ؛ قال اللَّه ﴿خلصوا نجيًّا﴾ وقال الفراء : وقد يكون النجي اسمًا ومصدرًا . لسان العرب ، مختار الصحاح (نجو) .

(٤) نهاية السقط من « ر » .

﴿وكان عند ربه مرضيًّا﴾ أي: قد رضي عنه [إذ ابتلاه بالذبح][(1)].

﴿ورفعناه مكانًا عليًّا﴾ قال مجاهد: لم يمتْ إدريس، بل رفع كما رُفع عيسى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ بالنبوة ﴿من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾ وكان إدريس من ولد آدم قبل نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح قال: ﴿ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل﴾ وهو يعقوب ﴿وممن هدينا﴾ للإيمان ﴿واجتبينا﴾ للنبوة؛ يعني: اخترنا ﴿إذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خروا سُجَّدًا وبكيًّا﴾ جمع: (باكٍ)[(2)] (ل٢٠٤) ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ قال قتادة: يعني: اليهود ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ تفسير ابن مسعود[(3)] (غيًّا): وادٍ في جهنم، وقد مضى تفسير (الخلف) في سورة الأعراف[(4)] ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾ ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ الغيب: الآخرة؛ في قول الحسن المعنى: وعدهم في الدنيا الجنة في الآخرة.

قال محمدٌ: وتقرأ: (جناتُ) بالرفع[(5)] على معنى: هي جناتُ عدْنٍ ﴿إنه كان وعْدُه مأتيًّا﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (بكى) وفي «ر»: بكَّاء.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤/٣٠٥) للفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث من طرق.

(٤) الأعراف: ١٦٩.

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢/٣٢٠)، مجمع البيان (٣/٥٢٠)، البحر (٦/٢٠١).

قال محمدٌ : يعني : آتيًا ؛ وهو مفعولٌ من الإتيان ؛ في معنى فاعل[١].

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي : باطلاً ﴿إلا سلامًا﴾ أي : إلا خيرًا ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا﴾ أي : وفي كل ساعةٍ ؛ في تفسير قتادة ، والبُكْرة والعشيُّ ساعتان من الساعات ، وليس ثَمَّ ليلٌ[٢]. وقال مجاهدٌ[٣]: ليس فيها بكرة ولا عَشيٌّ ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ تفسير قتادة : قال : « هذا قول جبريل حين احتبس عن النبي عليه السلام في بعض الوحي ؛ فقال له نبي اللَّه : ما جئت حتى اشتقت إليك ؛ فقال جبريل : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾ »[٤] يعني : من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا ؛ أي : إذا كنا في الآخرة . ﴿وما بين ذلك﴾ قال الكلبي : يعني : البرزخ ؛ ما بين النَّفْختين .

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿هل تعلمُ له سميًّا﴾ أي : مِثْلاً ؛ أي : أنك لا تعْلمُه ، و(سميًّا) هو من : المُسَامَاة[٥] ﴿ويقول الإنسان أئِذا ما مت لسوف أخرج حيًّا﴾ هو المشرك يكذب بالبعْث . قال اللَّه ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا﴾ فالذي خلقه ، ولم يك شيئًا قادرٌ على أن يبعثه يوم القيامة ، ثم

---

(١) وهو قول الفراء . ينظر : معاني القرآن للفراء (١٧٠/٢) ، مجمع البيان (٥٢٠/٣) .

(٢) والمراد بذلك الدار الآخرة في جنات عدن .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٣٠٥/٤) لعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (١٠٤/١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به .

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠/٢) والطبري (١٠٣/١٦) من طريق معمر عن قتادة نحوه .

وروى البخاري (٣٥٢/٦ رقم ٣٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال : فنزلت : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ...﴾ الآية » .

(٥) ينظر : مجمع البيان (٥٢٠/٣) ، البيان (١٢٩/٢) ، البحر (٢٠٤/٦) ، لسان العرب (سمو) .

أقسم بنفسه ؛ فقال : ﴿فو ربك لنحشرنهم﴾ يعني : المشركين ﴿والشياطين﴾ الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا﴾ قال قتادة : يعني : على ركبهم .

قال محمدٌ : (جثيًا) جمع (جاثٍ)[١]، وهو نَصْبٌ على الحال[٢].

﴿ثم لننزعن من كل شيعةٍ﴾ يعني : من كل أمة ﴿أيهم أشدُ على الرحمن عتيًا﴾ .

قال محمدٌ : (أيهم) بالرفع ، وهي أكثر القراءة ؛ على معنى : الذين يقال لهم : أيهم أشدُ[٣].
قيل : المعنى - والله أعلم - : فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيًا ، ثم الذي يليه ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًا﴾ يعني : الذين يَصْلَوْنها ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا﴾ .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعودٍ في قوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال : « الصراط على جهنم مثل حدِّ السَّيف ، والملائكة معهم كَلاَلِيبُ من حديد كلما وقع رجلٌ اختطفوه ؛ فيمر الصف الأول كالبرق ، والثاني كالريح ، والثالث كأجْوَدِ الخيل ، والرابع كأجود البهائم ، والملائكة يقولون : اللَّهم سلِّمْ سلِّمْ »[٤].

وتفسير الحسن : ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها ، فيجعلها الله على المؤمنين بردًا وسلامًا ؛ كما جعلها على إبراهيم .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) لسان العرب (جثو) .

(٢) ينظر الدر المصون (٤/٥١٦) .

(٣) ينظر : البيان (٢/١٣٠ - ١٣١) ، البحر (٦/٢٠٨) ، مجمع البيان (٣/٥٢٢ - ٥٢٣) .

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٧٠ رقم ٩٦) بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه الطبري في تفسيره (١٦/١١٠) وآدم بن أبي إياس في تفسيره - كما في التخويف من النار (ص١٩٧) - والحاكم في المستدرك (٢/٣٧٥ - ٣٧٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٠٨) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
وروي هذا الحديث عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ، انظر التخويف من النار (١٩٦ - ١٩٧) والدر المنثور (٤/٣٠٨) .

ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُّ الفريقين﴾ نحن أو أنتم؟ ﴿خيرٌ مقامًا وأحسن نديًّا﴾ المقام: المسكن، والنَّدِيُّ: المجلس.

قال قتادة[1]: رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة، فقالوا لهم ذلك.

قال اللّٰه: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثًا﴾ أي: متاعًا ﴿ورئيًا﴾ أي: منظرًا؛ في قراءة من قرأها مهموزة، ومن قرأها بغير همزٍ (وريًّا)[2] فهو من قِبَل الرِّوَاء[3]، وإنما عيش الناس بالمطر تُنْبِتُ زروعهم، وتعيش ماشيتهم[4] (﴿قل من كان في الضلالة﴾ هذا الذي يموت على ضلالته ﴿فليمدد له الرحمن مدًّا﴾ هذا دعاءٌ أمرَ اللّٰه النبي أن يدعُوَ به؛ (ل ٢٠٥) المعنى: فأمدَّ له الرحمن مدًّا.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني: إما العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، أو العذاب الأكبر؛ لم يبعث اللّٰه نبيًّا إلا وهو يحذِّر أمته عذاب اللّٰه في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

قال محمدٌ: (العذاب) و(السَّاعة) منصوبان على معنى البدل[5] من [ما][6] يوعدون؛ المعنى: إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعة، قال: فيسلمون عند ذلك.

﴿من هو شرٌّ مكانًا﴾ أهم المؤمنون ﴿وأضعف جندًا﴾ في النصرة والمَنَعَة؛ أي: ليس لهم أحدٌ يمنعهم من عذاب اللّٰه ﴿ويزيد اللّٰه الذين اهتدوا هدى﴾ يعني: يزيدهم إيمانًا ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال الحسن: هي الفرائض ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا﴾ جزاءً في الآخرة ﴿وخيرٌ مردًّا﴾ يعني: خيرٌ عاقبة من أعمال الكفار.

---

(١) رواه الطبري (١٦/١١٦).

(٢) ترك الهمز قالون عن نافع وابن عامر. السبعة (٤١١ - ٤١٢) التيسير (١٤٩).

(٣) وقيل: بل هو من الرِّي ضد العطش. الدر المصون (٤/٥٢٠).

(٤) من هنا بدأ سقط آخر من «ر».

(٥) ينظر: البحر (٦/٢١٢)، إعراب القرآن (٢/٣٢٦)، مجمع البيان (٣/٥٢٥).

(٦) في «الأصل»: مما.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولدًا﴾ أي : في الآخرة ﴿أطّلع الغيب﴾ على الاستفهام ؛ أي : علم ما فيه ؛ أي : لمْ يطّلعْ ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ أيْ : لم يفعَلْ ، والعهْدُ : التوحيدُ ؛ في تفسير بعضهم .

﴿كلاً سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدًّا﴾ هو كقوله : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾[١].

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي : نرثه ماله وولده الذي قال ﴿ويأتينا فردًا﴾ لا شيء معه .

يحيى : عن صاحب له ، عن الأعمش ، عن أبي الضّحى ، عن مسروق ، عن خبّاب بن الأرتّ قال : « كنت قَيْنًا[٢] في الجاهلية ، فعملت للعاص بن وائل حتى اجتمعت لي عنده دراهم ؛ فأتيته أتقاضاه فقال : واللّه لا أقضيك حتى تكفر بمحمدٍ ، فقلت : واللّه لا أكفر بمحمدٍ ؛ حتى تموت ثم تبعث . قال : وإني لمبعوثٌ؟! قلت : نعم . قال : فسيكون لي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأقضيك . فأتيت النبي ﷺ فأنزل اللّه هذه الآية إلى قوله : ﴿ويأتينا فردًا﴾ »[٣].

﴿واتخذوا من دون اللّه آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ هو كقوله : ﴿واتخذوا من دون اللّه آلهة لعلهم ينصرون﴾[٤] وإنما يرجون منفعة أوْثانهم في الدنيا ، لا يقرون بالآخرة .

---

(١) النبأ : ٣٠ .

(٢) القَين هو الحدّاد ، وهو أيضًا : العَبْد . والجمع : قُيُون : لسان العرب (قين) .

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/٤ رقم ٢٠٩١) ، ومسلم (٢١٥٣/٤ رقم ٢٧٩٥) من طريق الأعمش به .

(٤) يس : ٧٤ .

قال الله : ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ في الآخرة ﴿ويكونون عليهم ضدًّا﴾ [قرناء في النار][(١)] المعنى : يلعنُ بعضهم بعضًا ، ويتبرأ بعضهم من بعض ؛ في تفسير قتادة[(٢)].

﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا﴾ قال قتادة[(٣)]: يعني : تزعجهم إزعاجًا في معصية الله .

﴿فلا تعجل عليهم﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إنما نَعُدُّ لهم عدًّا﴾ يعني : الأجل . قال سعيد بن جبير : كتب في أول الصحيفة أجلُه ، ثم يكتب أسفل من ذلك ذَهَبَ يوم كذا ، وذهب يوم كذا ؛ حتى يأتي على أجله[(٤)].

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ .

يحيى : بلغني عن جُوَيبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن الحارث ، عن علي « أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : هل يكون الوافدُ إلا الرَّاكب؟ فقال : والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استُقْبِلوا بنُوقٍ بيض لها أجنحة عليها رحائل الذهب ، كل خطوة منها مدّ البصر »[(٥)].

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من ابن كثير (٥/٢٥٧) .

(٢) رواه الطبري (١٦/١٢٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣١٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٢) والطبري (١٦/١٢٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣١٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) نهاية السقط من « ر » .

(٥) جويبر بن سعيد متروك ؛ وقد اختلف عليه فيه :

فرواه عمرو بن هاشم الجنبي عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس « سأل عليّ بن أبي طالب رسولَ الله ﷺ . . . فذكره .

خرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢٤٥) .

ورواه إسماعيل بن زياد عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي .

خرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٨ رقم ٢٨١) .

ورواه العقيلي في الضعفاء (١/٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان ، عن أبيه ، عن الضحاك ، عن الحارث ، عن علي .

وقال العقيلي : حديث غير محفوظ .

قال محمدٌ : الوفد في كلام العرب : الرُّكبان المكرمون ، واحدهم : وافدٌ[(١)].

﴿ونسوق المجرمين﴾ يعني : المشركين ﴿إلى جهنم وردًا﴾ أي : عطاشًا .

قال محمدٌ : ﴿وِرْدًا﴾ أصْلُه في اللغة : الجماعة يردون الماء[(٢)].

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال بعضهم العهد : التَّوحيد .

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

= ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥) وفي زوائد فضائل الصحابة رقم (١٢٢٨) وهناد في الزهد (٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١١٩) والطبري في التفسير (١٦/١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - والحاكم في المستدرك (٢/٣٧٧) وابن مردويه والواحدي في تفسيريهما - كما في تخريج الكشاف (٢/٣٣٨) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٩ - ١٣٠ رقم ٢٨١) والبيهقي في الشعب (٢/٢١٢ رقم ٣٥٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي موقوفًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان ، وضعفوه .

ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث عن عباد بن يعقوب الرواجني ، عن محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق به مرفوعًا .

ثم قال : لم يرفعه عن ابن فضيل إلا عباد . اهـ تخريج الكشاف (٢/٣٣٩) .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - عن أبي معاذ البصري عن علي مرفوعًا مطولاً .

قال ابن كثير : وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا عن علي ... فذكره ثم قال : هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا ، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه ، وهو أشبه بالصحة ، والله أعلم .

(١) ويُجْمع الوَفْد على : أَوْفَاد ، ووُفُود . لسان العرب (وفد) .

(٢) وهو ضدُّ الصَّدَر . مختار الصحاح (ورد) .

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾ قال (مجاهد)[1]: يعني: عظيمًا ﴿يكاد[2] السموات يتفطرن منه﴾ أي: يتشققن منه ﴿وتنشقُّ الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾ أي: سقوطًا ﴿أَن دَعَوْا﴾ بأن دعوا ﴿للرحمن ولدًا﴾ قال قتادة: بلغنا أن كعْبًا قال: غضبت الملائكة، وسُعِّرت جهنم حين قالوا ما قالوا.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا﴾ قال قتادة[3]: يعني: في قلوب أهل الإيمان.

(ل٢٠٦) يحيى: عن مندل بن علي، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللّٰه ﷺ: «إنّ اللّٰه إذا أحبّ عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه. قال: فينادي جبريل: (يا أهل السماء)[4] إن اللّٰه يحب فلانًا؛ فأحبوه. قال: ثم يُوضع له القبول - يعني: المودة - في الأرض»[5] قال سُهَيْل: وأحْسبُه ذكر البغض مثل ذلك.

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالجنة ﴿وتنذر به﴾ بالنار ﴿قومًا لُدًّا﴾ أي: ذوي لَدَدٍ وخصومَةٍ؛ يعني: قريشًا ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿من قرن هل تحسُّ منهم من أحدٍ﴾ أي: هل ترى ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ يعني: صوتًا؟ أي: إنك لا ترى منهم أحدًا، ولا تسمع لهم صوتًا.

قال محمدٌ: الرِّكْزُ في اللغة: الصَّوْتُ الخفيّ[6].

---

(١) في «ر»: محمد.

(٢) قرأ نافع والكسائي ﴿يكاد﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿تكاد﴾ بالتاء على التأنيث. النشر (٣١٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٨٠).

(٣) رواه الطبري (١٣٣/١٦).

(٤) في «ر»: في أهل السموات.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣٠/٤ - ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٧) من طريق سهيل بن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٤٦٩/١٣ رقم ٧٤٨٥) من طريق عبد اللّٰه بن دينار عن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٣٥٠/٦ رقم ٣٢٠٩، ٤٧٦/١٠ رقم ٦٦٤٠) من طريق نافع عن أبي هريرة.

(٦) لسان العرب، مختار الصحاح (ركز).

تفسير سورة طه وهي مكّيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ④ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⑤ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ⑥ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ⑦ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ⑧﴾

قوله : ﴿طه﴾ قال الحسن[1]: يعني : يا رجُلُ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي : إنه شقيٌّ ﴿إلا تذكرةً لمن يخشى﴾ يقول : إنما (أنزله)[2] تذكرةً لمن يخشى اللَّه ، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة ﴿تنزيلا﴾ (أي : أنزّله تنزيلاً)[3] ﴿ممَّن خلق الأرض والسموات العلى﴾ يعني : نفْسَهُ .

قال محمدٌ : (العلى) جمع : العُليَا ؛ يقال : سماءٌ عُلْيا ، وسموات عُلاً[4].

﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال أبو رجاء العُطَاردي : الثرى : الأرض التي تحت الماء التي يستقر عليها ؛ فهو يعلم ما تحت ذلك الثَّرى ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السّر وأخفى﴾ قال قتادة[5]: السِّرُّ : ما حدثت به نفْسَك ، وأخفى منه : ما هو كائن مِمَّا لم تحدث به نفْسك .

﴿له الأسماء الحسنى﴾ للَّه تسعةٌ وتسعون اسمًا .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٥/٢) والطبري (١٣٦/١٦) .

(٢) في « ر » : أنزلناه .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) لسان العرب (علو) ، الدر المصون (٧/٥) .

(٥) رواه عبد الرزاق (١٥/٢) والطبري (١٤٠/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣١٨/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي : قد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى نارًا﴾ أي : عند نفسه (وإنما كانت نورًا)[1] ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا﴾ أي : رأيت ﴿لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدًى﴾ يعني : هُدَاة يهدونه الطريق .

قال محمدٌ : القَبَسُ : ما أخذته في رأس عودٍ من النار ، أو في رأس فَتِيلة[2].

قال : ﴿فلما أتاها﴾ أي : النار التي ظنها نارًا ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ .

قال محمدٌ : تقرأ : (أني) بالفتح والكَسْر[3]؛ الفتح على معنى : نودي بأني ، والكسْر بمعنى : نودي : يا موسى ، فقال اللّه له : ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ قال قتادة[4]: كانتا من جلد حمارٍ ميت فخلعهما ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس : المبارك ، وطوى : اسْمُ الوادي .

قال محمدٌ : القراءة عند أهل المدينة بضم أوله بغير تنوين[5].

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) وهي الذُبالة . مختار الصحاح (فتل) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء ؛ أي : بأني ، وقرأ الباقون بالكسر . ينظر : النشر (٢/٣١٩ - ٣٢٠) ، الدر المصون (٥/٩) .

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/١٥) والطبري (١٦/١٤٤) .

(٥) قرأ الكوفيون وابن عامر (طُوًى) بضم الطاء والتنوين ، والباقون بضمها من غير تنوين ، وروي عن الحسن والأعمش بكسر الطاء منونًا ، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منونة . ينظر النشر (٢/٣١٩) الإتحاف (٣٦٥) ، البحر (٦/ ٢٣١) ، الدر المصون (٥/٩) .

تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

﴿وأنا اخترتك﴾ أي: لرسالتي ولكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ في تفسير مجاهد[١]: إذا صلَّى العبد ذكر الله ﴿إن الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال قتادة[٢]: هي في قراءة أُبي: (أكاد أخفيها من نفسي)[٣] ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ يقول: إنما تجيء الساعة لتجزى كل نفس بما تعمل.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾.

﴿فتردى﴾ أي: تهلك.

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ سأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ قال قتادة[٤]: كان يَخْبط[٥] بها ورق الشجر.

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ قال قتادة[٦]: يعني: حَوَائج.

قال محمدٌ: واحد المآرب: مَأْرُبة، ومأْرَبَة أيضًا[٧].

﴿فألقاها فإذا هي حيَّة تسعى﴾ أي: تزحف على بَطْنها بِسُرْعَةٍ.

﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: هيئتها الأولى؛ يعني: عصا ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٤٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٢) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٤٩).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٣) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر البحر (٦/٢٣٣)، الدر المصون (٥/١١).

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أي: يضرب. لسان العرب (خبط).

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) ونقل الفارابي: (مَأْرِبَة) أيضًا بالكَسْر، وبابه طرب. ينظر مختار الصحاح (أرب).

قال مجاهد[١]: أمَره أن يدخل كفَّه تحت عضده (ل٢٠٧) ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال قتادة[٢]: يعني: من غير برص[٣].

قال الحسن[٤]: أخرجها – والله – كأنها مصباح، فعلم موسى أن قد لقي ربَّهُ.

﴿آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ كانت اليد أكبر من العصا.

قال محمدٌ: (آيةً) بالنَّصب على معنى: نريك آيةً أخرى[٥].

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ دعا أن يشرح صدره للإيمان.

﴿ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾ ففعل الله به ذلك، وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون وهو صغير فهمَّ بقتله، وقال: هذا عدوٌّ لي! فقالت له امرأته: إن هذا صغيرٌ لا يعقل؛ فإن أردت أن تعلم ذلك، فادعُ بتمرةٍ وجمرةٍ، فاعرضهما عليه، فأُتي بتمرةٍ وجمرةٍ فعرضهما عليه، فتناول الجمرة فألقاها في فيه، فمنها كانت [تلك][٦] العُقْدة في لسانه.

قال محمدٌ: يعني بالعقدة: رُتَّة[٧].

﴿واجعل لي وزيرًا من أهلي﴾ أيْ: عونًا من أهلي ﴿هارون أخي اشدُدْ به أزري﴾ أي: ظهري.

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٥٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٨).

(٣) هو بياض يصيب الجلد. المعجم الوسيط (برص).

(٤) رواه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٤/٣٢٤).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢/٣٣٦)، مجمع البيان (٧/٤)، البيان (٢/١٤١).

(٦) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٧) الرُّتَّة – بضم الراء –: العُجمة في الكلام، ورجل ألَتّ بيِّن الرَّتَت، وفي لسانه رُتَّة؛ أي: عجمة. لسان العرب، مختار الصحاح (رتت).

قال محمدٌ : يقال : أزرت فلانًا على الأمر ؛ أي : قويْته عليه ، فأما وازرته : فصرت له وزيرًا[١].

﴿وأشركه في أمري﴾ دعاء من موسى لربه أن يشركه في أمره .

﴿قال قد أوتيت سؤلك﴾ أي : ما سألت ﴿يا موسى﴾ .

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فذكَّره النعمة الأولى - يعني : قوله : ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ شيء قذف في قلبها أُلْهِمَتْهُ ، وليس بوحي نبوة ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أي : اجعليه ﴿فاقذفيه في اليم﴾ في البحر ﴿فليُلْقِه اليم بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له﴾ يعني : فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ قال قتادة : ألقى اللَّه عليه محبَّةً منهُ ، فأحبوه حين رأوه ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي : ولتُغذَّى بمرأى مني .

﴿هل أدلكم على من يكْفُله﴾ أي : يضمُّه . قالوا : نعم . فجاءت بأمه ، فقَبِلَ ثديها .

﴿وقتلت نفسًا﴾ يعني : القبطي الذي كان قتله خطأً ﴿فنجيناك من الغم﴾ قال الحسن : يعني : من الخوف ؛ فلم يصل إليك القومُ ، وغفرنا لك ذلك الذنب ﴿وفتنَّاك فتونًا﴾ أي : ابتليناك ابتلاءً ؛ الابتلاء والاختبار بمعنى واحدٍ ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ أقام بِمَدْيَن عشرين سنة ﴿ثم جئت

(١) الأَزْر : القوة ، والوِزْر : الثِّقْل ، ومنه الوزير ؛ لأنه يحمل عنه وِزْره ؛ أي : ثقله . لسان العرب ، مختار الصحاح (أزر) ، (وزر) .

على قدر يا موسى﴾ أي: على موعد؛ في تفسير مجاهد[١].

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ اخترتك.

﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أي: لا تضعفا في الدعاء إليَّ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ سمعتُ بعض الكوفيين يقول في تفسير ذلك: كَنِّياه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ قال السُّدي: الألف ها هنا صلة[٢] يقول: لعله يتذكَّر ويخشى.

قال محمدٌ: (لعلَّ) في اللغة معناها: الترجِّي والطمعُ[٣]، فالمعنى: اذهبا على رجائكما وطَمَعِكُمَا؛ وقد علم الله - عز وجل - أنه لا يتذكَّر ولا يخشى.

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل علينا عقوبة منه ﴿أو أن يطغى﴾ فيقتلنا ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ يقول: ليس بالذي يصل إلى قتلكما.

﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾ كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾.

قال يحيى: كان النبي ﷺ إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»[٤].

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ قال الكلبي: أعطاه

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٦٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٣٠) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) يريد: أن (أو) بمعنى الواو في معنى الجمع، وانظر في دلالتها على معنى الواو - مغني اللبيب (١/٧٥).

(٣) أصل (لعل) في اللغة أنها كلمة شكٍّ، وأصلها: (علَّ)، واللام في أولها زائدة، وانظر في الكلام عليها مغني اللبيب (١/٣١٥ - ٣١٨).

(٤) رواه البخاري (١/٤٢ - ٤٤ رقم ٧) ومسلم (٤/١٣٩٣ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب ؓ في حديث هرقل الطويل.

شكله ، أعطى الرجل المرأة ، والجمل الناقة ، والذكر الأنثى ﴿ثم هدى﴾ عرَّفه كيف يأتيها ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ المعنى : دعاه موسى إلى الإيمان بالبعث ، فقال له فرعون : فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تُبْعَثْ ﴿قال علمها عند ربي في كتابٍ لا يضلُّ ربي ولا ينسى﴾ لا يضله (ل٢٠٨) فيذهب ، ولا ينسى ما فيه ؛ هذا تفسير الحسن .

قال محمدٌ : من قرأ (يَضِل) بفتح الياء[١]، فهو من قولك : ضللت الشيء أضلهُ ؛ إذا جعلته في مكان لمْ تدرِ أين هو[٢].

ومن قرأ (يُضِل) بضم الياء[٣]، فهو من قولك : أَضْللتُ الشيء ، ومعنى أضللته : أضعْتُه[٤].

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدًا﴾ أي : بساطًا ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ أي : جعل لكم فيها طُرُقًا ﴿وأنزل من السَّماء ماءً فأخرجْنا به أزواجًا﴾ أصْنافًا ﴿من نباتٍ شتى﴾ أي : مختلف ، فالذي ينبت هذه الأزواجَ الشَّتَّى قادرٌ على أن يبعثكم بعد الموت .

﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى﴾ العقول .

قال محمد : واحد النهى : نُهْيَة ، يقال : فلانٌ ذو نُهْيَةٍ ؛ أي : ذو عقلٍ ينتهي به عن القبائح[٥].

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟

---

(١) وهي قراءة العامة .

(٢) يقال : ضَلِلْتُ الشيءَ أَضِلُّه ضَلالاً وضَلالَة ؛ وهي لغة أهل العالية ، أما لغة أهل نجد ، وهي الفصيحة : ضَلَلْتُ أَضِلُّ . مختار الصحاح (ضلل) ومعاني الفراء (١٨١/٢) .

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة والجحدري وغيرهم . ينظر : الإتحاف (٣٦٧) مختصر ابن خالويه (٨٧) ، الدر المصون (٢٧/٥) .

(٤) وقال ابن السكيت : أَضْلَلْت بعيري ؛ إذا ذهب منك ، وضَلَلْت المسجد والدار ؛ إذا لم تعرف موضعهما . لسان العرب ، مختار الصحاح (ضلل) وينظر الإملاء (١٢٢/١) .

(٥) وسمي العقل نُهْيَة ؛ لأنه ينهى عن القبيح . لسان العرب ، مختار الصحاح (نهى) .

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ يعني : التسعَ .

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى﴾ قال مجاهد[1]: يعني : منصفًا .

قال محمدٌ : يعني : يكون النصفُ فيما بين المكانينْ .

﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يعني : يوم عيد كان لهم يجتمعون فيه ﴿ضحى فتولى فرعون فجمع كيده﴾ يعني : ما جمع من سَحَرة ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ أي : يستأصلكم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي : تناظروا ؛ يعني : السَّحرة ﴿وأسروا النجوى﴾ أخفوا الكلام ، قالت السحرة : إن كان هذا الرجل ساحرًا ؛ فإنا سنغلبه ، وإن يك من السماء كما زعم فله أمْرٌ .

﴿إن هذان لساحران﴾ يعني : موسى وهارون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿هذان﴾ بالرفع ؛ ذكر أبو عبيْدة أنها لُغَةٌ لكِنانة ؛ يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصْب على لفظٍ واحدٍ ، ولأهْل العربيَّة فيه كلام كثير ، واختلافٌ يطول ذكره ، غير الذي ذكر أبو عبيْدة[2].

﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي : بعيْشكم الأمثل ؛ يعني : بني إسرائيل ، وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ؛ يأخذون منهم الخَراج ويستعبدونهم ﴿فأجمعوا كيْدكم﴾ أي : سحركم ، يقوله بعضهم لبعضٍ ﴿ثم ائتوا صفًّا﴾ أي : تعالوا جميعًا ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٧/٢) والطبري (١٧٦/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٢٢/٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوى واسع ، يشمل القراءات القرآنية وتوجيهها . ينظر : إعراب القرآن (٣٤٣/٢) ، البحر (٢٥٥/٦) ، الخصائص (٦٥/٣) ، الهمع (١٣٣/١) .

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ أي: أنها حياتٌ تسعى ﴿فأوجس في نفسه﴾ أضمَر.

﴿تلقَّف[1] ما صنعوا﴾ أي: تبتلعُه بفيها.

﴿إنما صنعوا﴾ أي: أن الذي صنعوا ﴿كيدُ ساحرٍ ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ حيث كان.

﴿إنه لكبيركم﴾ في السحر؛ أيْ: عالمكم ﴿فلأُقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ولتعلمن أيُّنا﴾ يعني: أنا أو موسى ﴿أشدُّ عذابًا وأبقى﴾.

﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا﴾ أي: وعلى الذي خلقنا.

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال السُّدي يقول: افعَلْ في أمرنا ما أنت فاعل، إنما تفعل في هذه الحياة الدنيا ﴿والله خيرٌ﴾ منك يا فرعون ﴿وأبقى﴾.

﴿إنه من يأتِ ربه مجرمًا﴾ أي: مشركًا ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾.

﴿ومن يأته مومنًا ...﴾ إلى قوله: ﴿من تزكى﴾ أي: من آمن.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا

---

(١) وهي قراءة العامة؛ أي: بفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ حفص وحده بإسكان اللام وفتح القاف. ينظر السبعة (٤٢٠)، التيسير (١٥٢)، النشر (٢/٣٢١).

تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا﴾ قال الحسن : أتاه جبريل على فرس ؛ فأمره فضرب البحر بعصاه ، فصار طريقًا يبسًا .

قال محمدٌ : يعني : ذا يبَسٍ .

قال يحيى : بلغني أنه صار اثني عشر طريقًا ، لكل سبطٍ[١] طريقٌ .

﴿لا تخاف دركًا﴾ أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ الغرق أمامك ﴿فأتبعهم فرعون بجنُوده﴾ **قال محمدٌ** : يعني : لحقهم ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يقول : فغرقوا .

﴿وواعدناكم﴾ يعني : مواعدته لموسى ﴿جانب الطور الأيمن﴾ يعني : أيمن الجبل ﴿ونزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى﴾ وقد مضى تفسيره[٢].

﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي : لا تعصوا اللّه في رفع المنِّ والسَّلْوى ، وكانوا أمروا ألا يأخذوا منه لغدٍ ، وقد مضى تفسير هذا[١] ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي : (ل٢٠٩) فيجب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ في النار .

---

(١) السِّبط واحد الأسباط ؛ وهم ولد الولد . والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب . مختار الصحاح (سبط) .
(٢) البقرة : ٥٧، الأعراف : ١٦٠.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾ مضى بالعمل الصالح حتى يموت .

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم : يعني : السبعين الذين اختارهم ؛ فذهبوا معه للميعاد ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ أي : ينتظرونني بالذي آتيهمْ به ، وليس يعني أنهم يتبعونه .

﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي : ابتليناهم .

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أي : حزينًا شديد الحزن مع غضبه على ما صنع قومه من بعده ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾ في الآخرة على التمسُّك بدينه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ يعني : الموعد ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ...﴾ أي : بطاقتنا إلى قوله : ﴿فنسي﴾ .

قال يحيى : كان وعدهم موسى أربعين ليلة ، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة ، فقالوا : هذه أربعون ، فقد أخلفنا موسى الوعد ، وكانوا استعـاروا مـن آل فرعون حُليًا لهم [أظنه][١] ليوم العيد ، وكانوا قد أمروا أن يسري بهم ليلاً ، فكره القوم أن يردُّوا العواري[٢] على آل فرعون ، فيفطنوا لهم ، فأسروا من الليل والعواري معهم ؛ وهي الأوزار التي قالوا : ﴿حُمِّلْنا أوزارًا﴾ أي : أثقالاً ، فقال لهم السامري بعد ما مضت عشرون يومًا وعشرون ليلة : إنما ابتُليتم بهذا الحلي فهاتوه . وألقى ما معه من الحُليّ ، وألقى القوم ما معهم ، فصاغه عجلاً ، ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فجعل يخور خُوَار[٣] البقرة ؛ فقال عدو الله : ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي : نسي موسى ، المعنى : أن موسى طلب هذا ولكنه (نسيه)[٤] وخالفه في طريق آخر ؛ قال الله : ﴿أفلا يرون ألا يرجعُ إليهم قولاً﴾ يعني : العجل .

قال محمدٌ : من قرأ (ألا يرجعُ) بالرفع[٥]، فالمعنى : أنه لا يرجعُ ﴿ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا﴾ .

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) واحدها : عاريَة : وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك . المعجم الوسيط (عور) .

(٣) الخوار : الصِّياح . لسان العرب (خور) .

(٤) في « ر » : نُبِّه .

(٥) وهي قراءة العامة ، وقرأ أبو حيوة بنصب (يرجع) . ينظر البحر (٦/٢٦٩) ، الدر المصون (٥/٤٨) .

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي : من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني : العجل ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿قالوا لن نبرح﴾ أي : لن نَزَالَ ﴿عليه عاكفين﴾ نعبده ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ .

﴿قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولمْ ترقبْ قولي﴾ أي : ولم تنتظر ميعادي ، وقد استخلفتك فيهم .

قال محمدٌ : من قرأ (يا ابن أُمَّ) بفتح الميم[1] وموضعها جرٌّ فإنما ذلك ؛ لأن (ابن وأُمّ) جُعِلا شيئًا واحدًا ، وبُنِيا على الفتح مثل خمسة عشر[2].

﴿قال﴾ ثم أقبل موسى على السَّامري ؛ فقال له : ﴿فما خطبك﴾ أي : ما حُجَّتك ﴿يا سامري قال بصُرْتُ بما لمْ يبصُروا به﴾ يعني : بني إسرائيل ، وكان الذي رأى : فرس جبريل .

قال محمدٌ : يقول أهل اللغة : بَصُرَ الرجلُ يَبْصُر ؛ إذا صار عليمًا بالشيء ، وأبْصر يُبْصِر ؛ إذا نظر[3].

---

(١) تقدم تخريج هذه القراءة في (الأعراف : ١٥٠) .

(٢) ينظر البحر (٢٧٣/٦) ، الدر المصون (٤٩/٥) .

(٣) بَصُر يَبْصُر بُصْرًا ؛ أي : عَلم ، فهو بصير . وأَبْصَر يُبْصِر إبْصارًا ؛ أي : رأى فهو مُبْصِر . لسان العرب ، مختار الصحاح (بصر) .

﴿فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول﴾ يعني : من تحت حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أي : ألقيتها في العجل ؛ يعني : حين صاغه ، وكان صائغًا ﴿وكذلك سوَّلت لي نفسي﴾ أي : وقع في نفسي أني إذا ألقيتها في العجل خَارَ[١]. قال قتادة : وكان السَّامري من عظماء بني إسرائيل ، من قبيلة يقال لها : سامرة ، ولكن نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ﴿قال﴾ له موسى : ﴿فاذهب فإن لك في الحياة﴾ (يعني : حياة الدنيا ﴿أن تقول لا مساس﴾ يعني : لا تخالط الناس ، ولا يخالطونك)[٢] فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة ، والسامرة صِنفٌ من اليهود .

قال قتادة : يقال : السامرة حتى الآن بأرض الشام ، يقولون : لا مساس[٣].

قوله : ﴿وإن لك موعدًا لن تخلفه﴾ يعني : يوم القيامة فيجزيك الله فيه بأسوإ عملك ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه﴾ أي : صِرْت عليه ﴿عاكفًا﴾ على عبادته (ل ٢١٠) ﴿لنحرقنه ثم لننسفنَّه﴾ .

محمدٌ : النَّسْف : التَّذْرية[٤].

قال الكلبي : ذبحه موسى ، ثم أحْرقه بالنار ، ثم ذراه في البحر .

﴿وسع كل شيءٍ﴾ قال قتادة : ملأ ربي كل شيءٍ ﴿علمًا﴾ يقول : لا يكون شيْءٍ إلا بعلم الله .

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿كذلك نقصُّ عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي : من أخبار ما قد مضى ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ يعني : القرآنَ ﴿من أعرض عنه﴾ عن القرآن لم يؤمن به ﴿فإنه

(١) أي : صاح . لسان العرب (خور) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقيل : المعنى : لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ . مختار الصحاح : (مسس) .

(٤) لسان العرب (نسف) .

يحمل يوم القيامة وِزْرًا﴾ ثقلاً ؛ يعني : الإثم ﴿خالدين فيه﴾ أي : في ثواب ذلك الوزر ؛ وهي النار ﴿وساء لهم﴾ أي : وبئس لهم ﴿يوم القيامة حملا﴾ يعني : ما يحملون على ظهورهم من الوِزْر .

قال محمد : (حملاً) منصوبٌ على التمييز[1]؛ المعنى : ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامة حِمْلاً ، وسمى (الوِزْر حملاً)[2]؛ لأنّ صاحبَه يحمل به ثقلاً[3].

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ والصور : قرنٌ ينفخ فيه صاحبُ الصور ؛ فينطلق كل روح إلى جسده ، تُجْعل الأرواح كلها في الصور ؛ فإذا نُفِخَ فيه خرجت الأرواحُ مثل النحل كل روح إلى جسده ﴿ونحشر المجرمين﴾ المشركين ؛ هذا حشرٌ إلى النار ﴿يومئذٍ زرقًا﴾ أي : مسودَّة وجوهُهم ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي : يتسارُّون ﴿إن لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا عشرًا﴾ يقللون لبثهم في الدنيا .

قال محمدٌ : الخُفوتُ أصْلُه في اللغة : السُّكُون ؛ يقال : خفت الكلامُ وخفت الدعاء ؛ إذا سكن[4].

﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي : أعقلهم .

قال محمدٌ : يعني : أعْقلهم عند نفسه ، وأعْلمهم بما يقول .

﴿إن لبثتم﴾ أي : ما لبثتم ﴿إلا يومًا﴾ قال قتادة : هي مواطن ، قالوا : إلا عشرًا ، وإلا يومًا ، وقالوا : ﴿لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾[5] وقال : ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾[6] يحلف المجرمون ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ أي : في الدنيا ، وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ، وقلتها في طول الآخرة .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا

---

(١) ينظر : البحر (٢٧٨/٦) ، الإملاء (١٢٧/٢) ، الدر المصون (٥٤/٥) .

(٢) في « ر » : الإثم وزرًا .

(٣) ومنه سمي الوزير ؛ لأنه يَحْمل عنه وِزْره ؛ أي : ثقله . مختار الصحاح (وزر) .

(٤) خَفَتَ الصوتُ يَخْفِتُ خُفُوتًا ، أي : سكن ، ومنه المُخَافتة ، والتخافُت . والخَفْت : إسرار المَنْطِق . مختار الصحاح (خفت) .

(٥) المؤمنون : ١١٣.

(٦) الروم : ٥٥.

وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا﴾ أي : يذريها تذرية من أصولها ، تصير الجبال كالهباء[1] المنثور . ﴿فيذرها﴾ يعني : الأرض ﴿قاعًا صفصفًا﴾ القاع : الذي لا أثر عليه ، والصَّفصف : المستوية التي ليس عليها نباتٌ ﴿لا ترى فيها عوجًا﴾ قال ابن عباس[2]: العوج : الوادي ﴿ولا أمتًا﴾ قال مجاهد[3]: يعني : ارتفاعًا ﴿يومئذٍ يتبعون الداعي﴾ صاحب الصور ؛ أي : يسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم ﴿لا عوج له﴾ أي : لا يتعوَّجون عن إجابته يمينًا ولا شمالاً ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي : سكنتْ ﴿فلا تسمع إلا هَمْسًا﴾ قال الحسن[4]: يعني صوت الأقدام .

قال محمدٌ : الهَمْسُ في اللغة : الشيء الخفي[5].

﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ يعني : التوحيد .

﴿يعلَمُ ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ؛ أي : إذا صاروا في الآخرة ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ أي : ويعلم ما لا يحيطون به علمًا ؛ أي : ما لا يعلمون ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ أي : ذلَّت ، والقيُّوم : القائم على كل نفسٍ .

---

(١) الهباء : دُقاق التراب . وقيل : هو الشيء المنبثُّ الذي تراه في البيت من ضوء الشمس . لسان العرب ، مختار الصحاح (هبو) .

(٢) رواه الطبري (١٦/٢١٢) .

(٣) رواه الطبري (١٦/٢١٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٣٨) لعبد بن حميد .

(٤) رواه الطبري (١٦/٢١٤) .

(٥) وهَمْسُ الأقدام أخفَى ما يكون من صوت القَدَم ، وبابه : ضرب . لسان العرب ، مختار الصحاح (همس) .

قال محمدٌ : يقال : عنا يَعْنُو ؛ إذا خضع[١].

﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ أي : شركًا .

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظلمًا﴾ يعني : أن يُزاد عليه في سيئاته ﴿ولا هضمًا﴾ أن ينقص من حسناته .

﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي : بيّنا ؛ من يعمل كذا فله كذا ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا﴾ تفسير السدي : المعنى : لعلهم يتقون ، ويُحدث لهم ذكرًا ؛ الألف ها هنا صلة[٢].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أي : لا تَتْلُه ؛ حتى نتمه لك ؛ كان النبي إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويُدْئِبُ[٣] فيه نفسه ؛ مخافة أن ينسى .

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ يعني : ما أُمِرَ به : ألاَّ يأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ يعني : فترك

---

(١) عَنَا يَعْنُو عُنُوًّا : خضع وذلّ ، وهو عانٍ ، وهم عُناة ، وهُنَّ عَوَانٍ . مختار الصحاح ، القاموس المحيط (عنو) .
(٢) يريد أن (أو) في قوله تعالى : ﴿أو يحدث﴾ بمعنى الواو ؛ وينظر في دلالة (أو) على معنى الواو - مغني اللبيب (١/٧٥) .
(٣) أي : يجدُّ ويتعب . لسان العرب (دأب) .

ما أُبِرَ به . ﴿ولمْ نجدْ له عزمًا﴾ أي : صبرًا .

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ في الدنيا ، يعني : الكدّ فيها ﴿إنّ لك ألا تجوع فيها﴾ يعني : في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ كانا كُسِيا الظُّفر ﴿وأنك لا تظمأُ فيها﴾ أي : لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي : لا تصيبك شَمْسٌ .

قال محمدٌ : يقال : ضَحِيَ الرجل يَضْحَى ؛ إذا برز إلى الضحى ، وهو حرُّ الشمس[1].

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (ل ٢١١) يعني : جعلا يرقعانه كهَيْئة الثوب .

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ولم يبلُغ بمعصيته الكفر ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾ من ذلك الذنب ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي : مات على الهدى .

﴿فمن اتبع هداي﴾ يعني : رُسُلي وكتبي ﴿فلا يضل﴾ (في الدنيا)[2] ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ فلم يؤمن ﴿فإن له معيشةً ضنكًا﴾ .

يحيى : عن عبد اللّٰه بن عرادة ، عن محمد بن عَمْرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : قال رسولُ اللّٰه ﷺ : «﴿معيشةً ضنكًا﴾ » يعني : عذاب القبر »[3].

قال محمدٌ : أصل الضَّنْك في اللغة : الضيق والشدة ، يقال : ضَنُك عيْشُهُ ضَنْكًا ، وضَنَكًا ، وقالوا : ﴿معيشة ضنكًا﴾ أي : شديدة[4].

---

(١) ضَحِيَ للشمس يَضْحَى ، وضَحَى يَضْحَى ضَحَاءً أي : برز لها . لسان العرب (ضحى) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) هذا مرسل ، وعبد اللّٰه بن عرادة ضعفه البخاري وغيره ، وقد خالفه حماد بن سلمة فرواه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موصولاً ، خرجه الطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار مسند عمر (٥٠٥/٢ رقم ٧٢٧) وابن حبان (٣٨٨/٧ - ٣٨٩ رقم ٣١١٩) والحاكم في المستدرك (٣٨١/١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٩ رقم ٥٧، ٥٨) وقال الحاكم : صحيح . كما في إتحاف المهرة (١٨٣/١٦/١ رقم ٢٠٦١٠) .

وروي من طرق عن حماد بن سلمة وغيره ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مطولاً مرفوعًا وموقوفًا . خرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٦٧/٣ - ٥٦٩ رقم ٦٧٠٣) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣ - ٢١٦) وفي تهذيب الآثار (٥٠٦/٢ - ٥٠٧ رقم ٧٢٨، ٧٢٩) وابن حبان (٣٨٠/٧ - ٣٨٢ رقم ٣١١٣) والحاكم (٣٧٩/١ - ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١ - ٦٢ رقم ٦٧) وغيرهم .

وقال ابن كثير في تفسيره (١٧٤/٣) : إسناد جيد .

(٤) ينظر لسان العرب (ضنك) .

يحيى : عن أبي أمَيَّة ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمْرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب « أن رسول اللَّه ﷺ اتبع جنازة رجل من الأنصار ؛ فلما انتهى إلى قبره وجده لمْ يُلْحَدْ ؛ فجَلسَ وجَلسْنا حَوْلَهُ كأنما على رءوسنا الطيْرُ وبيده عودٌ وهو ينكت به في الأرض ، ثم رفع رأسَهُ فقال : اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر - قالها ثلاثًا - إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا أتته ملائكةٌ وجوهُهُم كالشمس بحَنُوطه وكفنه ، فجلسوا بالمكان الذي يراهم (منه)[1]؛ فإذا خرج روحه صلى عليه كل مَلَكٍ بين السماء والأرض ؛ وكل مَلَك في السموات ، وفتحت أبوابُ السماء كل باب منها يُعْجبه أن يصعد روحُه منه ، فينتهي المَلَكُ إلى ربه ، فيقول : يا رب ، هذا رُوح عبْدك ، فيصلي عليه اللَّه وملائكته ، ويقول : ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددت له من الكرامة ؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم وفيها نعيدكم . فيُرَدّ إليه روحه حين[2] يوضع في قبره ، فإنه ليَسْمَع قرع نعالِكُمْ حين تنصرفون عنه ، فيقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : اللَّه ربي ، والإسلام ديني ، ومحمدٌ نبيي . فينتهرانه انتهارًا شديدًا ، ثم يقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : اللَّه ربي ، والإسلام ديني ، ومحمدٌ نبيي . فيناديه منادٍ : ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[3] فيأتيه عملُه في صورةٍ حسنة وريح طيبة ، فيقول : أبشرْ (بجنات)[4] فيها نعيمٌ مقيم ؛ فقد كنت سريعًا في طاعة اللَّه بطيئًا عن معصية اللَّه . فيقول : وأنت بشّرك اللَّه بخيرٍ فمثلُ وجهك يبشر بالخيْر ، ومن أنت؟ فيقول : أنا عملك الحسن . ثم يفتح له بابٌ من أبواب النار ، فيقال له : كان هذا منزلك فأبدلك اللَّه خيرًا منه . ثم يفتح له في جانب قبره فيرى منزله في الجنة ، فينظر إلى ما أعدَّ اللَّه له من الكرامة فيقول : يا رب ، متى تقومُ السّاعة كي أرجع إلى أهلي ومالي؟! فيوسع عليه في قبره ويرقد . وأما الكافر فإذا كان في قُبُلٍ من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، أتته ملائكةٌ (سودُ الوجوه)[5] بسرابيل من قطرانٍ ، ومقطَّعات من نارٍ ، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه ، فينزعُ روحه - كما ينتزع

---

(١) في « ر » : فيه .

(٢) في « ر » : حتى .

(٣) إبراهيم : ٢٧.

(٤) في « ر » : حياة .

(٥) سقط من « ر » .

السَّفُّود[1] الكثير شعبه من الصوف المبتلّ - من عروقه وقلبه؛ فإذا خرج روحُه لعنه كل مَلَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السموات، وغلقت أبواب السموات دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه، فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا رب هذا روحُ عبْدك فلان لا تقبله أرضٌ ولا سماء! فيلعنه اللَّه وملائكته، فيقول: ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددتُ له من الهوان؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم، وفيها أعيدكم. فَتُرَدُّ[2] إليه روحُه حين يوضع في قبره، وإنه ليَسْمَعُ قرع نعالكم حينَ تنصرفون (ل٢١٢) عنه، (فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمدٌ نبيي)[3]. فينتهرانه انتهارًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: لا دريْت. ويأتيه عملُه في صورة قبيحة وريح منتنة، فيقول: أبشر بعذاب مقيم. فيقول: وأنت فبشرك اللَّه بشرٍّ فمثلُ وجهك يبشِّر بالشر. ومن أنت؟! فيقول: أنا عملك الخبيث. ثم يفتح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: كان هذا منزلك لو أطعْت اللَّه، ثم يفتح له منزله من النار، فينظر إلى ما أعده اللَّه له من الهوان، ويقيَّض له أصمُّ أعمى، في يده مرزبَّةٌ[4] لو توضع على جبلٍ لصار رُفاتًا[5]، فيضربه ضَرْبةً فيصير رفاتًا، ثمّ يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقليْن، وينادي منادٍ أن أَفْرِشوه لَوْحَيْنِ من النار، فَيُفْرِش له لَوْحَين من نار، ويضيق عليه قبره؛ حتى تختلف أضلاعه»[6].

---

(١) هي الحديدة التي يُشْوى بها اللحم. لسان العرب، مختار الصحاح (سفد).

(٢) في «ر»: فيرد اللَّه.

(٣) كذا وقعت هذه العبارة في الأصل و «ر» والمعروف في رواية هذا الحديث أن الكافر لا يهتدي لجوابٍ، وهو الذي يشهد له ظاهر القرآن الكريم، واللَّه تعالى أعلم.

(٤) ويقال فيها أيضًا: الإرزَبَّة؛ وهي التي يُكْسَر بها المَدَر. وقال صاحب مختار الصحاح: فإن قلتها بالميم - أي: المرزبة - خففت الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (رزب).

(٥) أي: حطامًا؛ تقول: رُفتَ الشيء - على ما لم يُسمَّ فاعله - فهو مرفوت. مختار الصحاح (رفت).

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٩٥ - ٢٩٦) وعبد الرزاق في المصنف (٣/٥٨٠ - ٥٨٢ رقم ٦٧٣٧) وعبد اللَّه ابن أحمد في زوائد المسند (٤/٢٩٦) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٥ رقم ١٧٦) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/٤٥٩) - والطبري في تفسيره (١٣/٢١٥) وفي تهذيب الآثار (٢/٤٩٧ - ٥٠٠ رقم ٧٢٢) والحاكم في المستدرك (١/٣٩) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠ رقم ٢٣، ٢٤) من طريق يونس بن خباب به. ورواه الإمام أحمد (٤/٢٨٧ - ٢٨٨) والطيالسي (١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٥٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٣٨٠ - ٣٨٢) وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩) وأبو داود (٥/٢٥٠ - ٢٥١ رقم ٤٧٢٠ - ٤٧٢١) والمروزي في =

= زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ - ٤٣٣ رقم ١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (٥٨ رقم ١١٠) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩١/٢ - ٤٩٧ رقم ٧١٨ - ٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٣/١ - ٢٧٤ رقم ١٧٥) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والآجري في الشريعة (١٩٠/٢ - ١٩٢ رقم ٩١٩ - ٩٢١) وابن منده في الإيمان (٩٦٢/٢ - ٩٦٤ رقم ١٠٦٤) وفي التوحيد (٢٧٨/٣ رقم ٨٥٠) والحاكم في المستدرك (٣٧/١ - ٣٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١١٣٥/٦ - ١١٣٧ رقم ٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٣١٦/٢ - ٣١٩ رقم ٣٩٠) وفي عذاب القبر (٣٧ - ٣٩ رقم ٢٠، ٢١، ٤٠ - ٤١ رقم ٢٥ - ٢٧، ٥٠ - ٥٢ رقم ٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو به .

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٥٠٠/٢ - ٥٠١ رقم ٧٢٣) وأبو عبد الله بن منده في كتاب الروح - كما في الروح لابن القيم (ص٤٦) - والبيهقي في الشعب (٣٢١/٢ - ٣٢٢ رقم ٣٩١) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء .

ورواه ابن منده من طريق مجاهد عن البراء . كما في كتاب الروح لابن القيم (ص٤٧) .

وقال ابن منده : هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء ، وكذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو ، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به ، وزاذان أخرج عنه مسلم ، وهو ثابت على رسم الجماعة ، وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة ﷺ اهـ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ؛ فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو ، وزاذان أبي عمر الكندي ، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ، ولم يخرجاه بطوله . اهـ .

وقال أبو نعيم الأصبهاني : وأما حديث البراء ؛ رواه المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء ، فحديث مشهور ؛ رواه عن المنهال الجم الغفير ، ورواه عن البراء : عديُّ بن ثابت ومحمدُ بن عقبة وغيرهما ، ورواه عن زاذان عطاءُ بن السائب . قال : وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته . انتهى ، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص٢٦٨) .

وقال البيهقي في الشعب : هذا حديث صحيح الإسناد .

وقال البيهقي في إثبات عذاب القبر (ص٣٩) : هذا حديث كبير صحيح الإسناد .

وقال المنذري في الترغيب (٣٦٩/٤) : هذا الحديث حديث حسن ، ورواته محتج بهم في الصحيح كما تقدم ، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء . كذا قال أبو موسى الأصبهاني ـ رحمه الله ـ والمنهال روى له البخاري حديثًا واحدًا ، وقال ابن معين : المنهال ثقة . وقال أحمد العجلي : كوفي ثقة . وقال أحمد بن حنبل : تركه شعبة على عمد . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : أبو بشر أحب إلي من المنهال ، وزاذان ثقة مشهور ألانه بعضهم ، وروى له مسلم حديثين في صحيحه . اهـ .

وقال القرطبي في التذكرة (ص١١٩) : وهو حديث صحيح له طرق كثيرة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٩٠/٤) : وهو حديث حسن ثابت .

وقال الذهبي في العلو (٥١٩/١) : إسناده صالح .

قوله : ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن حجته ﴿قال رب لم حشرتني أعمى﴾ عن الحجة ؛ في تفسير قتادة ﴿وقد كنت بصيرًا﴾ عالمًا بحجتي في الدنيا؟! وإنما علمه ذلك عند نفسه ؛ أنه كان يحاجُّ في الدنيا جاحدًا لما جاءه من الله . قال الله : ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾ في الدنيا ﴿فنسيتها﴾ أي : فتركتها لمْ تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي : تُترك في النار ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ على نفسه بالشرك[1] ﴿ولعذاب الآخرة أشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي : لا ينقطع أبدًا .

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال الحسن : يعني : نبين لهم ؛ مُقْرأةً بالنون[2] ﴿كم أهلكنا قبلهم من

= وأعله ابن حزم في المحلى (٢٢/١) وابن حبان في صحيحه (٣٨٧/٧) ورد قولهما ابن القيم في تهذيب السنن (١٣/ ٩٠ - ٩٣) وفي الروح (ص٤٦) وقال في الروح : فالحديث صحيح لا شك فيه ، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان ، منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد .

وقال ابن القيم في الروح (ص٤٨) : هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه ، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر ، وقول أبي محمد : لم يروه غير زاذان . فوهم منه ؛ بل رواه عن البراء غير زاذان ، ورواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم ، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد ، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره ، وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين : ثقة . وقال حميد بن هلال - وقد سُئل عنه - : هو ثقة ؛ لا تسأل عن مثل هؤلاء . وقال ابن عدي : أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة . اهـ .

وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٦) : وهو صحيح ، صححه جماعة من الحفاظ .

وقال الهيثمي في المجمع (٥٠/٣) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) في « ر » : فأشرك .

(٢) وهي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما ، كما في تفسير القرطبي (٢٦٠/١١) .

القرون﴾ يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا ﴿يمشون في مساكنهم﴾ تمشي هذه الأمة في مساكنهم ؛ يعني : من مضى ﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى﴾ العقول ، وهم المؤمنون .

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ ألا يعذب كفار آخر هذه الأمة إلا بالنَّفْخة ﴿لكان لزامًا﴾ أي : لأُلزِموا عقوبة كفرهم فأُهلِكوا جميعًا ؛ لجحودهم ما جاء به النبي ﷺ ﴿وأجلٌ مسمى﴾ فيها تقديمٌ وتأخير : ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا .

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أنك ساحر ، وأنك شاعرٌ ، وأنك مجنون ، وأنك كاهن ، وأنك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ قال قتادة[١]: يعني : صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ الظهر والعصر ﴿ومن آناء الليل﴾ يعني : ساعات الليل ﴿فسبح﴾ يعني : المغرب والعشاء . [**قال محمد** :][٢] واحد الآناء إنى[٣] ﴿وأطراف النهار﴾ قال الحسن : يعني : التطوع ﴿لعلك ترضى﴾ أي : لكي ترضى في الآخرة ثواب عملك .

﴿ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا﴾ أصنافًا منهم ؛ يعني : الأغنياء .

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني : زينة ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي : نختبرهم ؛ أمره أن يزهد في الدنيا .

قال محمدٌ : (زهْرة) منصوبٌ بمعنى : جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة[٤].

﴿ورزق ربك﴾ في الجنَّة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿وأبقى﴾ يقول : لا نفاد له ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أهله : أُمَّته ﴿لا نسألك رزقًا﴾ أن ترزق نفسك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي : لأهل التقوى ، والعاقبة : الجنة .

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ

---

(١) رواه الطبري (١٦/٢٣٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٤٣) لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) قال الأخفش : واحدها : إِنًى ؛ مثل : مِعًى . وقيل : واحدها : إِنْوٌ وإِنْيٌ ؛ يقال : مضى من الليل : إِنْوان ، وإِنْيان . ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (أنى) .

(٤) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى . ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٦٢) ، البحر (٦/٢٩١) ، البيان (٢/١٥٥) .

وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلاّ ﴿يأتينا بآيةٍ من ربه﴾ قال الله : ﴿أو لمْ تأتهم بينةُ﴾ **قال محمدٌ** : يعني : آيات ﴿ما في الصحف الأولى﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذابٍ من قبله﴾ يعني : من قبل القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا﴾ هلاّ ﴿أرسلت إلينا رسولاً﴾ .

﴿قل كل متربصٌ﴾ نحن وأنتم ؛ كان المشركون يتربَّصون بالنبي أن يموت ، وكان النبي يتربَّص بهم أن يجيئهم العذاب ﴿فستعلمون من أصحاب الصِّراط السوي﴾ يعني : الطريق المعتدل ﴿ومن اهتدى﴾ أي : فستعلمون أنّ النبي والمؤمنين كانوا على [الصراط السوي ، وأنهم ماتوا على الهدى][١].



(١) سقطت من الأصل . والمثبت من « ر » .

(ل٢١٣) تفسير سورة الأنبياء
وهي مكّيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ① مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ③ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ⑤﴾

قوله : ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ أي : أن ذلك قريب .

يحيى : عن خداش ، عن أبي عامر ، عن أبي عمران الجوني قال : قال رسولُ اللّه ﷺ : « حين بُعِثَ إليَّ بُعِثَ إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدَّم رِجلاً وأخَّر رجلاً ، ينتظر متى يؤمر ينفخ ؛ ألا فاتقوا النفخة »[1].

﴿وهم في غفلةٍ﴾ يعني : المشركين عن الآخرة ﴿معرضون﴾ عن القرآن ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ﴾ يعني : القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يسمعونه بآذانهم ، ولا تقبله قلوبهم ﴿لاهيةً قلوبهم﴾ أي : غافلة[2].

قال محمدٌ : المعنى : استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم .

﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أشركوا ؛ يقول بعضهم لبعضٍ ، وأسروا ذلك فيما بينهم ﴿هل

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٧٦٤/٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ١٢٨٢/٦ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .

(٢) في « ر » : في غفلة .

هذا﴾ يعنون: محمدًا ﴿إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر﴾ يعنون: القرآن؛ أي: تصدقون به ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحرٌ.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا[١].

﴿قل[٢] ربي يعلم القول﴾ السرّ ﴿في السماء والأرض﴾.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام؛ يعنون: القرآن ﴿بل افتراه﴾ يعنون: محمدًا ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون﴾ كما جاء موسى وعيسى؛ فيما يزعم محمدٌ.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهُمْ يؤمنون﴾ أي: أن القوم إذا كذَّبوا رسلهم، وسألوه الآية فجاءتهم ولمْ يؤمنوا - أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية؛ أي: لا يؤمنون إن جاءتهم.

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ قال قتادة[٣]: يعني: من آمن من أهل التوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم لا يعلمون ﴿وما جعلناهم جسدًا﴾ يعني: النبيّين ﴿لا يأكلون الطعام﴾ أي: ولكن جعلناهم جسدًا يأكلون الطعام؛ قال هذا لقول المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾[٤].

---

(١) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (٢/٣٦٦)، مجمع البيان (٤/٣٨)، البحر (٦/٢٩٦)، الكتاب (١/٢٣٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿قال﴾ بألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ بغير ألف على الأمر. النشر (٢/٣٢٣) وإتحاف الفضلاء (٣٩١).

(٣) رواه الطبري (١٧/٥).

(٤) سورة الفرقان: ٧.

﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا لا يموتون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿جسدًا﴾ هو واحدٌ يُنْبِئ عن جماعة[١]؛ المعنى : وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجسادٍ لا تأكل الطعام ولا تموت ؛ فنجعله كذلك .

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ كانت الرسل تحذر قومها عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لمْ يؤمنوا ، فلما لم يؤمنوا صدق الله رسله الوعْدَ ، فأنزل العذاب على قومهم .

قال : ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني : النبي[٢] والمؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين .

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا﴾ القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ فيه شرفكم - يعني : قريشًا - لمن آمن به ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين .

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾

(﴿وكمْ قصمنا﴾ أهلكنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾مشركة)[٣] يعني : أهلها ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا .

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا ؛ يعني : قبل أن يهلكوا ﴿إذا هم منها﴾ من القرية ﴿يركضون﴾ يفرون ، قال الله : ﴿لا تركضوا﴾ لا تفروا . ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ أي : إلى دنياكم التي أُترفتم فيها ﴿ومساكنكم لعلكم تُسْألون﴾ من دنياكم شيئًا ؛ أي : لا تقدرون على ذلك ، ولا يكون ذلك ؛ يقال لهم هذا استهزاءً بهمْ .

﴿قالوا يا ويلنا﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿إنا كنا ظالمين﴾ قال الله : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي : فما زال ذلك قولهم ؛ يعني : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .

---

(١) لسان العرب (جسد) .

(٢) في حاشية الأصل : (النبيين) .

(٣) سقط من « ر » .

﴿حتى جعلناهم حصيدًا خامدين﴾ أي : قد هلكوا وسكنوا .

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي : إنما خلقناهما (ل٢١٤) للبعث والحساب ، والجنة والنار ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوًا﴾ قال الحسن[١]: اللَّهو [المرأة][٢] بلسان اليمن ﴿لاتَّخذناه من لدنا﴾ أي : من عندنا ﴿إن كنا فاعلين﴾ أي : وما كنا فاعلين وذلك أن المشركين قالوا : إنَّ الملائكة بنات اللَّه ﴿بل نقذف بالحق﴾ بالقرآن ﴿على الباطل﴾ يعني : (الشرك)[٣] ﴿فيَدْمغه فإذا هو زاهق﴾ ذاهبٌ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فيدْمغُه﴾ أي : يكسره ، وأصل هذا إصابةُ الرأس والدماغ بالضرب ، وهو مقتلٌ[٤].

﴿ولكم الويْل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ قال قتادة : لقولهم : إنَّ الملائكة بنات اللَّه .

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٠) وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٦/٣) لابن أبي حاتم .

وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ قال النساء . كما في الدر المنثور (٣٤٦/٣) .

(٢) طمس في الأصل والمثبت من « ر » ، وينظر تفسير ابن كثير (٣٢٩/٥) .

(٣) في « ر » : المشركين .

(٤) يقال : دَمَغَه - من باب قطع - : شجَّه حتى بلغت الشَّجة الدِّماغ ، واسمها : الدَّامغة ؛ وهي عاشرة الشِّجاج . لسان العرب ، مختار الصحاح (دمغ) . وفي « ر » : مقتول .

﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ يعني : الملائكة . ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ أي : يعيون[١].

﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ أي : يُحْيُون الموتى (هذا على الاستفهام ؛ أي : أنهم قد اتخذوا آلهة لا يحيون الموتى)[٢].

قال محمدٌ : يقال : أنشر اللَّه الموتى فنشروا[٣].

﴿لو كان فيهما﴾ يعني : في السموات والأرض ﴿آلهة إلا اللَّه﴾ غير اللَّه ﴿لفسدتا﴾ لهلكتا ﴿فسبحان اللَّه رب العرش﴾ ينزِّه نَفْسَهُ ﴿عما يصفون﴾ يقولون : ﴿لا يُسْأل عما يفعل﴾ بعباده ﴿وهمْ يُسْألون﴾ والعباد يسألهم اللَّه عن أعمالهم ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ على الاستفهام ؛ أي : قد فعلوا ، وهذا[٤] الاستفهام وأشباهُهُ استفهام على معرفة .

﴿قل هاتوا برهانكم﴾ يعني : حجتكم على ما تقولون : إن اللَّه أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة ؛ أي : ليست عندهم بذلك حجَّةٌ .

﴿هذا ذكر من معي﴾ قال قتادة[٥]: يعني : القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ يعني : أخبار الأمم السالفة وأعمالهم ؛ ليس فيها اتخاذ آلهة دون اللَّه ﴿بل أكثرهم﴾ يعني : جماعتهم ﴿لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن الحق .

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾ قال قتادة[٦]: قالت اليهود : إن اللَّه صاهر إلى الجن ، فكانت من بينهم الملائكة . قال اللَّه : ﴿سبحانه﴾ ينزِّه نفسه عما قالوا ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾ يعني : الملائكة هم كرامٌ على اللَّه ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فيقولون شيئًا لم يقبلوه عن اللَّه ﴿يعلم ما بين أيديهم وما

---

(١) أي : يتعبون ويملُّون . ينظر لسان العرب (عي) ، وابن كثير (٣٢٩/٥) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وفي مختار الصحاح(نشر) : أَنْشرهم اللَّه تعالى فَنَشَرُوا هم .

(٤) زاد بعدها في الأصل : على . وهي زيادة مقحمة .

(٥) رواه الطبري (١٥/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) رواه عبد الرزاق (٢٣/٢) والطبري (٦٦/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

خلفهم﴾ تفسير السُّدي : يعني : يعلم ما كان قبل خلق الملائكة ، وما كان بعد خلقهم ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أي : لمن رضي .

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه ...﴾ الآية ، قال قتادة[١]: هذه في إبليس خاصّة لمّا دعا إلى عبادة نفْسه ، وقال الحسن : ومن يقل ذلك منهم إن قاله ، ولا يقوله أحدٌ منهم ؛ وكان يقول : إن إبليس لمْ يكن منهم .

﴿أو لمْ ير الذين كفروا أن السمٰوات والأرض كانتا رتقًا﴾ [قال السدي : أو لم يعلم][٢] قال الحسن : يعني : مُلتزقتينْ إحداهما على الأخرى ﴿ففتقناهما﴾ يقول : فوضع الأرض ، ورفع السماء .

قال محمدٌ : قوله : ﴿كانتا رتقًا﴾ لأن السمٰوات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد ، وكذلك الأرض[٣]، ومعنى (رتقًا) أي : شيئًا واحدًا ملتحمًا[٤]؛ وهو معنى قول الحسن .

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٧) وابن أبي حاتم (٨/٢٤٥٠ رقم ١٣٦٣٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) وتجمع (السماء) على : سَمٰوات ، وأَسْمِيَة ؛ وهي تذكّر وتؤنّث . أما الأرض فهي مؤنّثة ، وهي اسم جنْس ، وكان حق الواحدة منها أن يقال : أرْضَة ، ولكنهم لم يقولوا . وتجمع على : أرَضات وأرَضُون ، وأرْضُون ، وأُرُوض ، وآراض . لسان العرب ، مختار الصحاح (أرض ، وسمو) .

(٤) الرَّتْق : ضد الفَتْق ، والرّتْق مصدر قولك : امرأة رَتْقاء ؛ وهي التي لا يُستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها . لسان العرب ، مختار الصحاح (رتق) وفي « ر » : شيئًا واحدًا ملتئمًا .

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي : أن كل شيء حي فإنما خلق من الماء .

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ يعني : الجبال ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تحرَّك بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجًا سبلاً﴾ يعني : أعلامًا طرقًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا الطرق ﴿وجعلنا السماء سقفًا﴾ على من تحتها ﴿محفوظًا﴾ يعني : من كل شيطانٍ رجيم . ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ أي : لا يتفكرون فيما يرون ؛ فيعرفون أنَّ لهم معادًا فيؤمنون .

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلكٍ يسبحون﴾ أي : يَجْرُون ، تفسير الحسن : إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فَلْكة المغزل[1] تدور فيها ، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تَجْرِ .

﴿أفإين متَّ فهم الخالدون﴾ على (ل٢١٥) الاستفهام : أفهم الخالدون؟ أي : لا يخلدون .

﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ يعني : الشدة والرخاء ﴿فتنةً﴾ أي : اختبارًا .

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ يقوله للنبيِّ ﴿إن يتخذُونك إلا هزوًا أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي : يعيبها ويشتمها ، يقوله بعضهم لبعضٍ . قال الله : ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ .

﴿خلق الإنسان من عجلٍ﴾ تفسير مجاهد : خلق عَجُولاً .

قال الله : ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي ﷺ من العذاب استهزاءً منهم وتكذيبًا .

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا قول المشركين للنبي ؛ متى هذا الذي تعدنا به

---

(١) القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه ، وتُثبت الصّنارة من فوقها ، وعود المغزل من تحتها . ينظر المعجم الوسيط (فلك) .

من أمر القيامة؟! قال الله : ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ...﴾ الآية (وفيها تقديم ؛ أي : أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار)[1] ﴿ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ لو يعلم الذين كفروا ﴿بل تأتيهم بغتةً﴾ يعني : القيامة ﴿فتبهتُهُم﴾ أي : تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردَّها ولا هم ينظرون﴾ يؤخَّرون .

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ولقد استهزئ برسلٍ من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي : كذَّبوهم واستهزءوا بهم ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ يعني : العذاب الذي كانوا يكذبون به .

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي : هُمْ من الرحمن ؛ في تفسير قتادة ؛ كقوله : ﴿يحفظونه من أمر الله﴾[2] أي : هم من أمر الله ، وهم ملائكة حَفَظَة لبني آدم ولأعمالهم ، وقد مضى تفسيره[3].

﴿أمْ لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا﴾ أي : قد اتخذوا آلهة لا تمنعهم من دوننا .

قال الحسن : يعني : لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم ، وكان يقول : إنما تُعذَّب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام ، ولا تُعذَّب الأصنام .

﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ يقول : لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذِّبها ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال الكلبي : يقول : ولا مَنْ عبدها منا يُجارُون .

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ يعني : قريشًا ﴿وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمدٌ ﷺ ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن : أفلا يرون أن

---

(١) سقط من «ر».

(٢) الرعد : ١١.

(٣) عند تفسير سورة الرعد ، الآية : ١١.

رسول الله كلما بعث إلى أرض ظهر عليها ؛ أي : ينقصها بالظهور عليها أرضًا فأرضًا ﴿أفهم الغالبون﴾ أي : ليسوا بالغالبين ، ولكن رسول الله هو الغالب .

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ بالقرآن ، أنذركم به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة - يعني : المشركين ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ يعني : النداء ﴿إذا ما ينذرون﴾ والصم ها هنا : الكفار[1]؛ صموا عن الهدى ﴿ولئن مسَّتْهم نفحةٌ من عذاب ربك﴾ قال قتادة[2]: يعني : عقوبة .

قال يحيى : يعني : النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة .

﴿ونضع الموازين القسط﴾ (يعني : العدل)[3] ﴿ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئًا﴾ لا تنقص من ثواب عملها ﴿وإن كان مثقال حبةٍ﴾ أي : وزن حبةٍ ﴿من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ قال الحسن : لا يعلم حساب مثاقيل الذَّر والخردل إلا الله ، ولا يحاسب العباد إلا هو .

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ يعني : التوارة ؛ وفُرْقانها أنه فرق فيها حلالها وحرامها .

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي : يذكر الرجل منهم ذَنْبه في الخَلاء ؛ فيستغفر الله منه .

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون من شرِّ ذلك اليوم وهم المؤمنون .

﴿وهذا ذكرٌ مباركٌ﴾ يعني : القرآن .

﴿أفأنتم له منكرون﴾ يعني : المشركين على الاستفهام ؛ يعني : قد أنكرتموه .

---

(١) في « ر » : الكفر .

(٢) رواه الطبري (٣٣/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥١/٤) لابن المنذر أيضًا .

(٣) سقط من « ر » .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝﴾

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ يعني: النبوة ﴿وكنا به عالمين﴾ أنه سيبلغ عن الله الرسالة.

﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني: الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ (ل ٢١٦) مقيمون على عبادتها.

﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعني: المستهزئين.

﴿الذي فطرهُنّ﴾ خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه ربكم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم ...﴾ الآية.

قال قتادة[1]: [نرى][2] أنه قال ذلك حيث لا يسمعون استدعاه قومه إلى عيدٍ لهم؛ فأبى وقال: ﴿إني سقيم﴾ اعتلَّ لهم بذلك، ثم قال لما ولَّوا: ﴿تالله لأكيدن أصنامكم ...﴾ الآية.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝﴾

﴿فجعلهم جذاذًا﴾ أي: قطعًا؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقأ أعينها، ونجر وجوهها ﴿إلا كبيرًا

---

(١) رواه الطبري (١٧/٣٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) في الأصل: يريد. والمثبت من «ر».

لهم﴾ للآلهة ؛ يعني : أعظمها في أنفسهم ، ثم أوثق الفأس في [يد][(١)] كبير تلك الأصنام ؛ كادَهُمْ بذلك ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي : يبصرون فيؤمنون .

فلما رجعوا رأوْا ما صُنِع بأصنامهم ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي : يعيبهم ﴿يقال له إبراهيم﴾ .

قال محمدٌ : (إبراهيم) رفعٌ بمعنى يقال له : يا إبراهيمُ ، أو المعروف به إبراهيم[(٢)].

﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ أنّه كسرها ، قال قتادة[(٣)]: كرهوا أن يأخذوه إلا ببينة ، فجاءوا به فقالوا : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ .

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال قتادة[(٤)]: وهي هذه المكيدة ﴿ثم نُكسوا على رءوسهم﴾ أي : خزايا قد حجَّهم ؛ فقالوا : ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ .

﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللّه﴾ .

قال محمدٌ : (أفٍّ) معناه : التغليظ في القول والتبرُّم ، وقيل : إن أصلها النَّتْنُ ؛ فكأنه قال : نتنًا لكُمْ[(٥)].

﴿قالوا حرقوه ...﴾ الآية ، قال الحسن : فجمعوا الحطب زمانًا ، ثم جاءوا بإبراهيم ، فألقوه في تلك النار .

قال يحيى : بلغني أنهم رمَوْا به في المنجنيق ؛ فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق .

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » ..

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى تنظر من : الإملاء (١٣٤/٢) البحر (٣٢٤/٦) ، الهمع (١٥٧/١) ، الدر المصون (٩٦/٥) .

(٣) رواه الطبري (٤٠/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٢/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (٤١/١٧) .

(٥) قال صاحب مختار الصحاح : يقال : أُفًّا له ، وأُفَّةً ؛ أي : قَذَرًا له . وفيه ست لغات : أفَّ ، أفِّ ، أفُّ ، أفٍّ ، أفًا ، أفٌّ . مختار الصحاح (أفف) .

وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا﴾ تفسير السدي: سلامة من حر النار، ومن بَرْدها. قال قتادة[١]: إن كعْبًا قال: ما انتفع بها يومئذٍ أحدٌ من الناس، وما أحرقَتْ منه إلا وَثَاقه[٢].

﴿وأرادوا به كيدًا﴾ يعني: حرقَهُمْ إياه ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ في النار خسروا أنفسهم وخسروا الجنة ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركْنا فيها﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿للعالمين﴾ قال السدي: يعني: جميع العالمين ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال الحسن: أي: عطيّةً.

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ قال قتادة[٣]: أي يُهتدى بهم في أمر الله.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ يعني: النبوة ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث ﴿إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين﴾ مشركين.

﴿ونوحًا إذ نادى من قبل﴾ وهذا حين أُمر بالدعاء على قومه ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ قال قتادة: نُجِّي مع نوحٍ: امرأته وثلاثة بنين له ونساءُهُمْ؛ وجميعُهم ثمانية ﴿من الكرب العظيم﴾ يعني: الغرق.

قال محمدٌ: (نوحًا) منصوبٌ على معنى: اذكر نوحًا، وكذلك داود وسليمان[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٢٤ - ٢٥) والطبري (١٧/٤٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥٤) لعبد بن حميد أيضًا.
(٢) هو القَيْد، وفيه لغة أخرى الوِثاق بكسر الواو. لسان العرب، المعجم الوسيط (وثق).
(٣) رواه الطبري (١٧/٤٩).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.
(٤) ينظر: الإملاء (٢/١٣٥)، الدر المصون (٥/١٠٠)، الكتاب (٢/١٧٠).

﴿ونصرناه﴾ يعني : نوحًا ﴿من القوم﴾ يعني : على القوم ؛ في تفسير السدي .

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشَتْ فيه﴾ أيْ : وقعتْ فيه ﴿غنمُ القوم﴾ النَّفشُ بالليل[١].

قال الكلبي : إن أصحاب الحرث استعْدَوْا على أصحاب الغنم ، فنظر داود ثمن الحرث ، فإذا هو قريب من ثمن الغنم ، فقضى بالغنم لأهل الحرث فمروا بسليمان فقال : كيف قضى فيكم (نبيُّ اللَّه)[٢]؟ فأخبروه ، قال لهم . [نعم][٣] ما قضى ، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما ، فدخل أصحاب الغنم على داود ؛ فأخبروه فأرْسل إلى سليمان ، فقدم عليه لما حدثتني كيف رأيت فيما قضيْتُ؟ قال : تدفع الغنم إلى أهل الحرث ، فينتفعون بلبنها وسمنها وأصْوافها عامهم هذا ، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم فإذا (بلغ)[٤] مِثْلَهُ حين أُفسد قبضوا غنمهم ؛ فقال له داود : نِعْم الرأي رأيت[٥].

(ل٢١٧) ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كانت جميع الجبال وجميع الطير تسبح مع داود بالغداة والعشي ، ويفقه تسبيحها ﴿وكنا فاعلين﴾ أي : قد فعلنا ذلك .

قال محمدٌ : يجوز نصب (الطير) من جهتيْنْ : إحداهما على معنى : وسخرنا الطير ، والأُخرى

---

(١) قال صاحب مختار الصحاح : ولا يكون النَّفْش إلا بالليل ، والهَمَل يكون ليلاً ونهارًا . وقيل : نفشت الإبل والغنم ؛ أي : رعت ليلاً بلا راعٍ . مختار الصحاح (نفش) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) في « ر » : كان .

(٥) في « ر » : نعم ما قضيت .

على معنى: يسبحن مع الطير[١].

﴿وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم﴾ يعني: دروع الحرب ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ يعني: القتال.

قال قتادة[٢]: كانت قبل داود صفائح، وأول من صنع هذه الحلق وسمَّرها[٣]: داود.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿ليحصنكم﴾ بالياء والتاء؛ فمن قرأ بالياء فالمعنى: ليحصنكم اللَّبوس، ومن قرأ بالتاء[٤] فكأنه على الصنعة؛ لأنها أنثى.

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ لا تؤذيه ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني: أرض الشام.

﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك﴾ (سوى ذلك)[٥] الغوص، وكانوا يغوصون في البحر فيخرجون له اللؤلؤ، وقال في آية أخرى: ﴿كل بناء وغواص﴾[٦].

﴿وكنا لهم حافظين﴾ حفظهم الله عليه ألا يذهبوا ويتركوه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الضُر﴾ المرض ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ قال الحسن: إن أيوب لم يبلغه شيءٌ يقوله الناسُ كان أشدَّ عليه من قولهم: لو كان نبيًّا ما ابتُلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللَّهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في

---

(١) ينظر الدر المصون (١٠٢/٥).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٧/٢) والطبري (٥٤/١٧ - ٥٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٨/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) شدُّها بالمسمار وثبَّته بدقة فيها. لسان العرب، المعجم الوسيط (سمر).

(٤) قرأ بالياء: ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو، وقرأ بالتاء عاصم وابن عامر. وفيها قراءات أخرى غير هاتين.

ينظر: السبعة (٤٣٠)، التيسير (١٥٥)، البحر (٣٣٢/٦).

(٥) سقط من «ر».

(٦) ص: ٣٧.

السر مثلها؛ فاكشف ما بي من ضرٍّ وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله له، فوقع ساجدًا، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه ﴿[وآتيناه][1] أهله ومثلهم معهم﴾ هذا مفسّر في سورة «ص»[2] ﴿رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: أن الذي كان ممن ابْتُلِيَ به أيُّوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن الله أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاءً للعابدين[3] بعده.

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكِفْل﴾ تفسير قتادة[4]: أن ذا الكفل لم يكن نبيًّا، ولكنه كان عبدًا صالحًا تكفل بعمل رجلٍ صالحٍ عند موته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة؛ فأحسن الله عليه الثناء.

وتفسير مجاهد[5]: أنه تكفَّل لنبي أن يقوم في قومه بعده بالعدل.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وذا النون﴾ يعني: يونس، قال قتادة وغيره: النون: الحوت.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ منصوبٌ على معنى: واذكر[6]، وكذلك قوله: ﴿وذا النون﴾.

---

(١) في الأصل و «ر». ﴿ووهبنا له﴾ وهذا نص آية ص: ٤٣.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ص آية: ٤٣.

(٣) في «ر»: للعالمين.

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/٢٧).

(٥) رواه الطبري (١٧/٧٤).

(٦) انظر الدر المصون (٥/١٠٤).

﴿إذ ذهب مغاضبًا﴾ [لقومه][1]: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قال قتادة[2]: يعني : أن لن نعاقبه بما صنع .

قال محمدٌ : أصل الكلمة : الضيق ؛ كقوله : ﴿فقدر عليه رزقه﴾[3] أي : ضيِّق ، ومن هذا قولهم : فلانٌ مقدَّر عليه ومُقتَّر[4].

﴿فنادى في الظلمات﴾ يعني : في ظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت ...﴾ الآية .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك ، عن أبيه ، عن جده سعدٍ ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « دعوةُ ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ ربَّه قط في شيءٍ إلا استجاب له »[5].

---

(١) في الأصل : لقوله . والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري (٧٨/١٧) .

(٣) الفجر : ١٦.

(٤) لسان العرب ، مختار الصحاح (قدر) .

(٥) رواه الإمام أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٤٩٥/٥ رقم ٣٥٠٥) والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩٢) وأبو يعلى (١١٠/٢ - ١١١ رقم ٧٧٢) والبزار (٢٥/٤ رقم ١١٨٦) والطبراني في الدعاء (٥٦ رقم ١٢٤) والحاكم في المستدرك (٥٠٥/١، ٣٨٢/٢ - ٣٨٣) والبيهقي في الشعب (٥٢١/٢ - ٥٢٢ رقم ٦١١) والضياء في المختارة (٢٣٣/٣ - ٢٣٥ رقم ١٠٤٠ - ١٠٤٢) وفي العدة للكرب والشدة (٥١ رقم ٢٠) من طريق يونس بن أبي إسحاق به .

وقال الترمذي : وقد روى غير واحدٍ هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد ، ولم يذكر فيه عن أبيه ، وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق فقالوا : عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد ، وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث عن أبيه ، وربما لم يذكره .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن محمد بن سعد إلا من رواية إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده . ولا يُروى عن النبي ﷺ إلا من رواية سعد عنه ، وقد رُوي عن سعدٍ من وجهين .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه النسائي (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩١) والحاكم (٥٠٥/١) من طريق عبيد بن محمد عن محمد بن مهاجر عن إبراهيم بن سعد به .

ورواه أبو يعلى (٦٥/٢ رقم ٧٠٧) والبزار (٣٦٣/٣ - ٣٦٤ رقم ١١٦٣) وابن عدي في الكامل (٢٠٦/٧) =

وتفسير قصة يونس (مذكور)[١] في سورة الصَّافات[٢].

﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قال قتادة[٣]: كانت عاقرًا ؛ فجعلها الله وَلُودًا ﴿ووهبنا له﴾ منها ﴿يحيى﴾ .

﴿ويدعوننا رغبًا﴾ أي : طمعًا ﴿وَرَهَبًا﴾ أي : خوفًا .

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ جيْبَ درعها عن الفواحش ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ تناول جبريل بأُصْبُعِه جيبها فنفخ فيه ؛ فسار إلى بطنها فحملت ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني : أنها ولدته من غير رجل .

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ قال قتادة[٤]: أي : دينكم دينًا واحدًا .

= والحاكم (٢/٥٨٤) من طريق أبي خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب ابن سعد عن أبيه بنحوه .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا عن سعد عنه ، وقد روي عن سعد من وجه آخر ، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن كثير بن زيد إلا أبو خالد الأحمر ، ولا روى المطلب عن أبيه - كذا - إلا هذا الحديث .

ورواه الحاكم (١/٥٠٥ - ٥٠٦) من طريق أحمد بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن محمد بن يزيد عن سعيد ابن المسيب عن سعد ﷺ بنحوه .

ورواه الطبري في تفسيره (١٧/٨٢) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد ﷺ بنحوه .

ورواه أبو يعلى في معجمه (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٦ رقم ٣٤٣) وابن عدي (٦/٢٥٧) والضياء في العدة للكرب والشدة (٤٧ رقم ١٨) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن سعد عن سعد ﷺ .

وقال ابن عدي : عمرو بن الحصين مظلم الحديث .

(١) في الأصل : مذكورة .

(٢) الصافات : ١٣٩ - ١٤٨.

(٣) رواه الطبري (١٧/٨٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٦٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٤/٣٦٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿أمتُكم﴾ بالرفع ، ونصب (أمةً واحدةً)[١] - فأمتكم رفعٌ خبر (هذه) ، ونصب (أُمّةً) لمجيء النكرة بعد تمام الكلام ؛ هذا قول أبي عبيدة[٢].

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني : أهل الكتاب ؛ أي : فرقوا دينهم الذي أمروا به ، يعني : الإسلام [فدخلوا في][٣] غيره .

﴿فلا كفران لسعيه﴾ لعمله ﴿وإنا له كاتبون﴾ نحسب حسناته (ل٢١٨) حتى يُجْزَى بها الجنة .

قال محمدٌ : تقول العرب : غفرانك لاكفرانك ؛ المعنى : لا نجحد[٤].

﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها﴾ أي : واجب عليها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال الحسن : [المعنى][٥]أنهم لا يتوبون ، ولا يرجعون عن كفرهم .

وتقرأ أيضًا ﴿وحِرْم[٦] على قرية﴾.

قال محمدٌ : حِرْم وحرامٌ عند أهل اللغة بمعنًى واحدٍ ؛ أي : واجبٌ[٧]. قال الشاعر :

فإن حرامًا لا أرى الدهر باكيًا   على شَجوه إلا بكيتُ على عمرِو[٨]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو في رواية عنه ؛ فقد قرأ (أمةٌ واحدةٌ) على الرفع . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣١٢) ، البحر (٣٣٧/٦) ، المحتسب (٦٥/٢) ، تفسير القرطبي (٣٣٨/١١ - ٣٣٩) .

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع . ينظر : الدر المصون (١٠٧/٥) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) الكُفْران والكُفْر ضد الشُّكر : جحود النعمة . لسان العرب ، مختار الصحاح (كفر) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) بكسر الحاء وإسكان الراء ، من غير ألف ، وهذه قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي ، ينظر السبعة (٤٣١) ، النشر (٣٢٤/٢) ، إتحاف الفضلاء (٣٩٤) ، تفسير القرطبي (٣٤٠/١١) .

(٧) ينظر في ذلك كلام ابن منظور ؛ فقد استوفى هذه القراءة ، ومعناها اللغوي لسان العرب (حرم) ، وينظر حاشية تفسير ابن كثير (٣٦٦/٥) .

(٨) البيت لعبد الرحمن بن جُمانة المحاربي شاعر جاهلي ، وهو من بحر الطويل .
وورد في الأصل : (فإن حرامك ....إلخ) وهو غير مستقيم الوزن . ينظر لسان العرب (حرم) .

ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله : ﴿حتى إذا فتحت﴾ أي : أُرسلَتْ ﴿يأجوج ومأجوج وهم من كل حدَبٍ ينسلون﴾ قال قتادة[١] : يعني : من كل أكمة[٢] يخرجون .

قال محمدٌ : النَّسلانُ في اللغة : مقاربَةُ الخَطْوِ مع الإسراع[٣].

﴿واقترب الوَعْدُ الحق﴾ يعني : النفخة الآخرة ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفروا﴾ إلى إجابة الداعي .

﴿يا ويلنا﴾ يقولون : يا ويلنا ﴿قد كنا في غفلةٍ من هذا﴾ يعنون : تكذيبهم بالساعة ﴿بل كُنَّا ظالمين﴾ لأنفسنا ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ قال الحسن : يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ؛ لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين ﴿حصبُ جهنم﴾ أي : يُرْمَى بهم فيها .

قال محمدٌ : ﴿حصبُ جهنم﴾ ما ألقي فيها ؛ تقول : حصَبْتُ فلانًا حَصْبًا بتسكين الصاد ؛ أي : رميته ، وما رميت فهو حَصَبٌ[٤].

﴿أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ (يعني : الشياطين)[٥] ﴿وكل فيها خالدون﴾ العابدون والمعبودون ﴿لهم فيها زفيرٌ﴾ قد مضى تفسير الزفير والشهيق[٦] ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٧/٢) والطبري (٩١/١٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٨/٤) لابن المنذر أيضًا .
(٢) الأكمة : التل ، والمراد المكان المرتفع ، والجمع : أكَم وإكام وآكام . المعجم الوسيط (أكم) وفي « ر » : أكنة .
والمراد : مَن كل مكان خفي يسترهم .
(٣) وهو أيضًا النَّسَل والنَّسْل بمعنى العَدْوِ . لسان العرب ، القاموس المحيط (نسل) .
(٤) لسان العرب (حصب) .
(٥) سقط من « ر » .
(٦) في تفسير سورة هود عند الآية : ١٠٦.

قال ابن مسعود[١]: إذا بقي في النار من يُخَلَّدُ فيها جُعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أُخر، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر؛ فلا يرون أن أحدًا يعذب في النار غيرهم. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يعني: الجنة ﴿أولئك عنها﴾ (يعني: النار)[٢] ﴿مُبْعَدون﴾ قال الكلبي: قام رسولُ اللَّه ﷺ مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حَصَبُ جهنم﴾ فوجَدَ منها أهل مكة وَجْدًا شديدًا[٣]، فقال ابن الزِّبَعْرَى: يا محمدُ؛ أرأيت الآية التي قرأت آنفًا أفينا وفي آلهتنا خاصة، أمْ في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خَصَمْتُكَ والكعبة؛ قد عَلِمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفةً من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول اللَّه، وضحكت قريش ولجُّوا؛ فأنزل اللَّه جواب قولهم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعني: عُزَيْرًا وعيسى والملائكة ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ يعني: صوتها إلى قوله: ﴿الفزعُ الأكبر﴾ قال الحسن: يعني: النفخة الآخرة ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبِشَارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾.

﴿يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب[٤]﴾ قال قتادة: يعني: كطي الصحيفة فيها الكتاب

---

(١) رواه الطبري (١٧/٩٥).
ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٤ رقم ٧٢) بإسناده عن يحيى بن سلام قال وبلغني عن ابن مسعود فذكره.
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٧٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة النار والطبراني والبيهقي في البعث.

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: حزنًا شديدًا. لسان العرب (وجد).

(٤) هكذا في الأصل و«ر»: (للكتاب) وهي قراءة: ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون ﴿للكتب﴾ على الجمع ينظر: السبعة (٤٣١)، النشر (٢/٣٢٥)، التيسير (١٥٥)، إتحاف الفضلاء (٣٩٥).

﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده﴾ قال الكَلْبي : إذا أراد أن يبعث الموتى ، عاد الناس كلهم نُطَفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا ، ثم ينفخ فيهم الروح ، فكذلك بدأهم .

وقال ابن مسعود : يرسل اللّه ماءً من تحت العرش منيًّا كمني الرجال فتنبت به جُشمَانهم ولحمانهم ؛ كما تنبت الأرض من الثَّرَى .

﴿وعدًا علينا﴾ (يعني : البدء)[1] ﴿إنا كنا فاعلين﴾ أي : نحن فاعلون .

قال محمدٌ : (وعدًا) منصوبٌ على المصدر ؛ بمعنى : وعدناهم [هذا][2] وعدًا[3].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ولقد كتبنا في الزَّبُور﴾ قال مجاهد : يعني : الكتب : التوراة والإنجيل والقرآن ﴿من بعد الذكر﴾ يعني : اللوح المحفوظ ﴿أن الأرض﴾ يعني : أرض الجنة ﴿يرثها عبادي الصَّالحون إن في هذا﴾ يعني : القرآن ﴿لبلاغًا﴾ إلى الجنَّة ﴿لقوم عابدين﴾ الذين يصلون [الصلوات الخمس][4] ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (ل٢١٩) تفسير سعيد بن جبير قال : من آمن باللّه ورسوله تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر باللّه ورسوله عُوفِي مما عذِّبت به الأمم ؛ وله في الآخرة عذابُ النار .

قال يحيى : [إلا أن][5] تفسير الناس أن اللّه أخَّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى ، ثم يكون هلاكُهم بعد هذا .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) وقد سبق الكلام على مثله آنفًا ؛ فلا حاجة لتكراره .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) طمس في الأصل والمثبت من « ر » .

﴿فقل آذنتكم على سواءٍ﴾ قال الحسن : يقول : من كذب بي فهو عندي سواء ؛ أيْ : جهادكم كلكم عندي سواء .

قال محمدٌ : ومعنى (آذنتكم) : أعلمتكم[١].

﴿وإن أدري أقريبٌ أمْ بعيدٌ ما توعدون﴾ يعني : الساعة ﴿وإن أدري لعله فتنةٌ لكم﴾ تفسير الحسن يقول : وإن أدْري لعل ما أنتم عليه من السَّعة والرخاء وهو منقطعٌ زائل ﴿فتنة﴾ بليَّة لكُمْ ﴿ومتاعٌ﴾ تستمتعون به ؛ يعني : المشركين ﴿إلى حينٍ﴾ قال قتادة : يعني : إلى الموت .

قال محمدٌ : ومعنى (وإن أدري) : وما أدري[٢].

﴿قل[٣] رب احكم بالحق﴾ قال الحسن : أمره الله أن يدعُوَ أن ينصُرَ أوليَاءه على أعدائه ، فنصره الله عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ أي : تكذبُون .



(١) وآذَن وتأذَّن بمعنى مثل أيْقَن وتيقَّن . مختار الصحاح (أذن) .

(٢) حيث تأتي (إن) المكسورة المخفَّفة بمعنى (ما) في النفي . انظر مغني اللبيب (١/٣٠) .

(٣) قرأ حفص ﴿قال﴾ بالألف على الخبر ، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر من غير ألف . النشر (٢/٣٢٥) وإتحاف الفضلاء (٣٩٥) .

تفسير سورة الحجّ

وهي مدنية كلها إلا أربع آيات مكّيات : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...﴾ إلى قوله : ﴿عذاب يوم عقيم﴾[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (٢) ﴾

قوله : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم﴾ يعني : النفخة الآخرة ﴿يوم ترونها تذهل﴾ أي : تُعْرِضُ ﴿كل مرضعةٍ عما أرضعت ...﴾ الآية .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : « بينا رسولُ اللّه في مسيرٍ له قد فرّق بين أصحابه السَّيْرُ ؛ إذْ رفع صوته فقال : ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ ...﴾ حتى انتهى إلى قوْله : ﴿ولكنَّ عذاب اللّه شديدٌ﴾ فلما سمعوا صوت نبيهم اعْصوصبوا[2] به . فقال : هل تدرون أي يومٍ ذاكم؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : ذاكُم يوم يقول اللّه لآدمَ : يا آدمُ ، قُمْ ابْعَثْ بعْث النار . فيقول : يا رب وما بعث النار؟ قال : من كلِ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنسانًا إلى النار وواحدٌ إلى الجنة . فلما سمعوا ما قال نبيُّهم أُبْلسوا[3] حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة ، فلما رأى ذلك في وجوههم ، قال : اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالرَّقْمة[4] في ذراع الدابة ، أو كالشَّامة[5] في جنب

(١) الآيات من (٥٢ إلى ٥٥) .

(٢) أي : اجتمعوا وصاروا عصابةً واحدةً . النهاية في غريب الحديث (٣/٢٤٦) .

(٣) أي : أسكتوا وتحيروا . لسان العرب (بلس) .

(٤) الرقمة : هنة ناتئة تشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل . المعجم الوسيط (رقم) .

(٥) هي العلامة في البدن يخالف لونها لون سائره . المعجم الوسيط (شيم) .

البعير، وإنكم مع خليقتين[١] ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك - يعني: ومن كفر - من بني إبليس، وتُكَمَّلُ العِدَّة من المنافقين»[٢].

---

(١) أي: مخلوقين.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس (٤٠٢/١ رقم ٧١٠) من طريق عوف عن الحسن بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥) والحميدي (٣٦٧/٢ رقم ٨٣١) والطيالسي (١١٢ رقم ٨٣٥) والترمذي (٥/ ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣١٦٨، ٣١٦٩) والنسائي في الكبرى (٤١٠/٦ رقم ١١٣٤٠) والطبري في تفسيره (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار (٤٠٠/١ - ٤٠٢ رقم ٧٠٧، ٧٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٤٤/١٨ رقم ٣٠٦) والحاكم في المستدرك (٢٨/١ - ٢٩، ٢/ ٢٣٣ - ٢٣٤، ٣٨٥، ٥٦٧/٤) من طريق الحسن عن عمران بن حصين بنحوه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بطوله، والذي عندي أنهما قد تحرجا من ذلك خشية الإرسال، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس.

ورواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٤٠٢/١ رقم ٧٠٩) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) - والطبراني في الكبير (٢١٨/١٨ رقم٥٤٦) من طريق العلاء بن زياد العدوي عن عمران ابن حصين.

ورواه الطبري (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٣٩٩/٢ رقم ٧٠٦) من طريق قتادة عن صاحب له عن عمران.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١/٢) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٧) وأبو يعلى (٥/ ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٣١٢٢) والطبري في تفسيره (١١٢/١٧) وابن خزيمة في الأهوال من صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢٥٤/٢) - وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) - وابن حبان (٣٥٢/١٦ رقم ٧٣٥٤) والحاكم (١/ ٢٩، ٤/ ٥٦٦ - ٥٦٧) من طريق معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ.

وقال الحاكم: هو صحيح على شرطهما جميعًا، ولم يخرجاه ولا واحد منهما.

وقال في الموضع الثاني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ثم أسند الحاكم عن محمد بن يحيى الذهلي الإمام قوله: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن المحفوظ عندنا حديث قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢١٩/٨ رقم ٧٨٢٣): رواه أبو يعلى الموصلي بسند صحيح، وأحمد بن حنبل والحاكم وصححه.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) والبزار - كشف الأستار (١٨٣/٤ - ١٨٤ رقم ٣٤٩٧) - والطبري في تهذيب الآثار (٣٩٦/١ رقم ١٦) والحاكم في المستدرك (٥٦٨/٤) من طريق هلال بن =

قال محمدٌ : ومعنى قوله : ﴿وترى الناس سُكَارى﴾ أي : ترى أنت أيها الإنسان الناس سُكَارى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ يعني : المشرك يلحدُ في الله ، فيجعل معه إلهًا بغير علم أتاه من الله ﴿ويتبع كل شيطانٍ مريد﴾ أي : جريء على المعصية ، والشياطين هي التي أمرتهم .

﴿كُتِبَ عليه﴾ أي : قُضي على الشيطان ﴿أنه من تولاّه﴾ اتبعه ﴿فأنه يضله﴾ .

قال محمدٌ : (أنه من تولاّه) (أنه) في مَوْضعِ رفْع ، (فأنه يضله) عطفٌ عليه ، وموضعه رفعٌ أيضًا ، وحقيقته أنها مكررة على جهة التوكيد ؛ المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله[1].

= خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبري : وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح لعلتين : إحداهما : أنه خبر لا يُعرف له مخرج عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ يصح إلا من هذا الوجه ، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب التثبت فيه .

والثانية : أنه من نقل عكرمة عن ابن عباس ، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب التثبت فيه من أجله . اهـ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ، ولم يخرجاه .

وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٤/١٠) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب ، وهو ثقة .

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣٧٨/٢) - من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٤٠٤/١ - ٤٠٥ رقم ٧١٤) عن عمر بن الخطاب ﷺ .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٧/٤) لابن مردويه عن أبي موسى ﷺ بنحوه .

وروى البخاري (٤٤٠/٦ رقم ٣٣٤٨) ومسلم (٢٠١/١ - ٢٠٢ رقم ٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري ﷺ نحوه مختصرًا .

وروى البخاري (١١/ ٥٣٣ رقم ٦٦٤٢) ومسلم (٢٠٠/١ - ٢٠١ رقم ٢٢١) عن ابن مسعود ﷺ نحوه مختصرًا .

وروى البخاري (١١/ ٣٨٥ رقم ٦٥٢٩) عن أبي هريرة ﷺ نحوه مختصرًا أيضًا .

وروى الإمام أحمد (٤٤١/٦) عن أبي الدرداء ﷺ نحوه مختصرًا أيضًا .

(١) ينظر : إعراب القرآن (٣٨٩/٢) ، مجمع البيان (٧٠/٤) ، البحر (٣٥١/٦) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾

﴿يا أيها الناسُ إن كنتم في ريب﴾ أي: في شكٍّ ﴿من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ وهذا خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني: نسل آدم ﴿ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلقة﴾ تفسير مجاهد[1]: هما جميعًا: السقط[2] مخلق وغير مخلق.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿مخلَّقة وغير مخلَّقة﴾ أي: من الخلق من تتم مضغتُه بخلق الأعضاء، ومنهم من لا يتم اللَّه خَلْقَهُ.

﴿لنبينَّ لكم﴾ أي: خلقكم ﴿ونقر في الأرحام﴾ أرحام النساء ﴿ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ (ل ٢٢٠) يعني: منتهى الولادة.

قال محمد: تقرأ بالرفع على القطع[3] [مما قبله][4].

يحيى: عن صاحبٍ له، عن الأعمش عن [أبي وائل][5] عن عبد اللَّه بن مسعودٍ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إن خلق أحدكم يُجْمَع في بطن أُمِّه نطفة أربعين يومًا، ثم يكون علقةً أربعين

---

(١) رواه الطبري (١١٧/١٧) وابن أبي حاتم (٢٤٧٥/٨ رقم ١٣٧٨٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٩/٤): لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) السقط - بكسر السين وضمها وفتحها ثلاث لغات - هو ما يسقط من الولد قبل تمامه. لسان العرب (سقط).

(٣) هكذا في الأصل، و «ر» ولعل المراد بالرفع على القطع؛ أي بالرفع على الخبرية، والتقدير: (ما نشاء إلى أجل هو مسمى). ولم أجد هذه القراءة وكل ما قيل في قراء هذا الحرف هو قراءة (مسمى) بالإمالة وقفًا، وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: الغيث للصفاقسي (٣٩٥) وإن كان المراد بالرفع على القطع قراءة نقرُّ، فهي قراءة العامة، والرفع لأنه مستأنف، وليس علة لما قبله فينصب نسقًا على ما تقدم. ينظر الدر المصون (١٢٥/٥). واللَّه أعلم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

يومًا ، ثم يكون مضغة أربعين يومًا ، ثم يؤمر الملك - أو قال : يأتي الملك - فيؤمر أن يكتب أربعًا : رزقه وعمله وأثره وشقيًا أو سعيدًا »[١].

﴿ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾ يعني : الاحتلام .

﴿ومنكم من يتوفَّى﴾ وفيها إضمارٌ ؛ أي : يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر﴾ يعني : الهرم ﴿لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئًا﴾ أي : يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعلم شيئًا .

قال محمدٌ : (طفلاً) في معنى : أطفال[٢]؛ كأن المعنى : يخرج كل واحدٍ منكم طفلاً .

وقوله : (لكي لا) هو بمعنى حتى لا[٣].

﴿وترى الأرض هامدةً﴾ قال قتادة[٤]: يعني : (غبراء)[٥] مُتَهَشِّمَةً .

قال محمدٌ : هامدة حقيقتها جافة ، ومن ذلك : همودُ النار إذا طُفِئَتْ فذهبتْ ، وهو معنى قول قتادة .

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربت﴾ وفيها تقديم ، وربت للنبات ؛ أي : انتفختْ ، واهتزّتْ بالنبات ؛ إذا أنبتت ﴿وأنبتت من كل زوجٍ﴾ أي : من كل لونٍ ﴿بهيج﴾ أي : حسن .

قال محمدٌ : (بهيج) في معنى باهج ؛ تقول العرب : امرأة ذات خلق باهج[٦].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ

---

(١) لم أجده من هذا الطريق ، ورواه البخاري (٤٨٦/١١ رقم ٦٥٩٤) ومسلم (٢٠٣٦/٤ رقم ٢٦٤٣) من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) الطفل : المولود ، والجمع أطفال ، وقد يكون واحدًا وجمعًا ؛ مثل الجُنب . مختار الصحاح (طفل) .

(٣) ينظر : الدر المصون (١٢٦/٥ - ١٢٧) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٣٧٩/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) في « ر » : غبر .

(٦) أي : فعيل بمعنى فاعل ، ويقال : بهيج ، وبَهِج . لسان العرب (بهج) .

مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذلك بأن اللّه هو الحق وأنه يحيي الموتى ...﴾ الآية ، يقول : إن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى .

﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ولا هدًى﴾ أتاه من اللّه ﴿ولا كتابٍ منير﴾ مضيء لعبادة الأوثان ﴿ثاني عطفه﴾ أي : عنقه . تفسير مجاهد : يقول : هو معرضٌ عن اللّه .

قال محمدٌ : (ثاني) منصوبٌ على الحال ؛ المعنى : لاويًا عنقَهُ[١]؛ وهذا مما يوصف به المتكبِّر .

﴿له في الدنيا خزيٌ﴾ يعني : القتل ، قال الكلبي : نزلت في النَّضْر بن الحارث ؛ فقتل يوم بدر .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ومن الناس من يعبد اللّه على حرف﴾ تفسير مجاهد[٢] وقتادة[٣]: على شكٍّ .

﴿فإن أصابه خيرٌ اطمأن به﴾ أي : رضي ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ أي : ترك ما كان عليه ، هو المنافق ؛ إن رأى في الإسلام رخاءً وطمأنينة طابتْ نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء ، وقال : أنا منكم وأنا معكم ، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بليّة لم يصبر على مصيبتها ، وانقلب على

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٣٩١/٢) ، مجمع البيان (٧٢/٤) ، البحر (٣٥٤/٦) .

(٢) رواه الطبري (١٢٣/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٠/٤) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه عبد الرزاق (٣٣/٢) والطبري (١٢٣/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٠/٤) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم .

وجهه كافرًا، وترك ما كان عليه.

﴿يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعُه﴾ يعني: الوثن ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾.

﴿يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه﴾ يعني: الوثن أيضًا؛ يعني: أنه ينفق عليه وهو كَلٌّ عليه ﴿لبئس المولى﴾ يعني: الوثن ﴿ولبئس العشير﴾.

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ يعني: المنافق؛ أي: أنه أيس من أن ينصُرَ اللهُ محمدًا، لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة: الجنة ﴿فليمدد بسبب﴾ أي: بحبلٍ ﴿إلى السماء﴾ يقول: فليعلِّق حبلاً من السماء؛ يعني: سقف البيت ثم لُيقطع ليختنق حتى يموت ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي: فعله ﴿ما يغيظ﴾ أي: أن ذلك لا يذهب غيظه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آياتٍ بينات﴾ أي: بيَّن فيه الحلال والحرام.

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ تهودوا ﴿والصابئين﴾ وهم قومٌ يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور ﴿والنصارى والمجوس﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنيران ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه﴾ في الدنيا فيُدخل المؤمنين الجنة، ويُدخل [جميع هؤلاء النار على ما أعدّ لكل قوم.

﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ يعني: جميع أهل السماء يسجدون وبعض أهل الأرض. كان الحسن لا يعودّ السجود إلا من المسلمين][1] ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ كلها ﴿والجبال﴾ [كلها][1] ﴿والشجر﴾ [كله][1] ﴿والدواب﴾ كلها ثم رجع

(١) طمس في الأصل في آخر اللوحة (٢٢٠) وأول اللوحة (٢٢١) والمثبت من «ر».

إلى صفة الإنسان، فاستثنى فيه، فقال ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ من لم يؤمن.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ تفسير قتادة[1]: اختصم المسلمون وأهل الكتاب؛ فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خيرٌ منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبيُّنا خاتم النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج[2] الله أهل الإسلام؛ فقال: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثيابٌ من نار ...﴾ إلى آخر الآية. وقال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ...﴾ الآية، وقال: ﴿خصمان﴾: أهل الكتاب خصمٌ، والمؤمنون خصمٌ، ثم قال: اختصموا[3] يعني: الجميع.

﴿يُصَبُّ من فوق رءوسهم الحميم﴾ وهو الحار الشديد الحر.

﴿يصهر به﴾ أي: يذاب به ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ أي: وتحرق به الجلود ﴿ولهم مقامع من

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٣٨٣/٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أي: فَضَّلهم وأظهرهم. لسان العرب (فلج).

(٣) ولفظ (الخصم) يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والجمع؛ لأنه في الأصل: مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه، فيقول: خَصْمان وخُصُوم.

وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (١٣٤/٥).

حديد﴾ من نار ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها﴾ قال الحسن : ترفعهم بلهبها ؛ فإذا كانوا في أعلاها قمعتْهم الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهْوون فيها سبعين خريفًا .

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا ...﴾ إلى قوله : ﴿من أساور من ذهبٍ ولؤلؤًا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿لؤلؤًا﴾ بالنصب[1] فالمعنى : ويحلون لؤلؤًا[2].

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ هو لا إله إلا الله ﴿وهدوا﴾ أي : في الدنيا ﴿إلى صراط الحميد﴾ وهو الله .

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام﴾ أي : ويصدون عن المسجد الحرام ﴿الذي جعلناه للناس﴾ (قبلةً)[3] ﴿سواء العاكف فيه﴾ يعني : أهل مكة ﴿والبادي﴾[4] يعني : من ينتابه من سائر الناس للحج والعمرة ؛ يقول : هم سواءٌ في حرمه ومساكنه وحقوقه .

قال محمدٌ : (سواءٌ) القراءة فيه بالرفع ؛ على الابتداء[5].

﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم﴾ أي : بشركٍ ، والإلحاد : الميل ، المعنى : ومن يرد أن يعبد غير الله فيه .

قال محمدٌ : ﴿بإلحادٍ﴾ الباءُ فيه زائدة[6].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) وهي قراءة نافع وعاصم ، وقرأ باقي السبعة بالجر . ينظر : السبعة (٤٣٥) ، البحر (٣٦١/٦) ، التيسير (١٥٦) ، النشر (٣٢٦/٢) .

(٢) أي : بالنصب على المفعولية . البحر (٣٦١/٦) .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وورش ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب . النشر (٣٢٧/٢) .

(٥) وهي قراءة السبعة إلا حفصًا ؛ فقد قرأها ﴿سواءً﴾ بالنصب . ينظر : السبعة (٤٣٥) ، التيسير (١٥٧) ، النشر (٢/ ٣٢٦) ، إتحاف الفضلاء (٣٩٨) ، تفسير القرطبي (٣٤/١٢) .

(٦) ينظر : إعراب القرآن (٣٩٦/٢) ، البحر (٣٦٢/٦) ، مجمع البيان (٧٩/٤) .

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: أعلمناه.

﴿وطهر بيتي﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين﴾ قال قتادة: يعني بالقائمين: أهل مكة ﴿والركع السجود﴾ هم الذين يصلون إليه.

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ أي: مُشاةً ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي: وركبانًا على ضُمَّر[1] من طول السَّفَر ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ بعيد.

قال محمد: (رجالاً) جمع راجل، مثل صاحب وصحاب[2]، وقال (يأتين) على معنى جماعة الإبل[3].

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم النبي عليه السلام عند البيت؛ فأذَّن في الناس بالحج، فسمع أهل المشرق وأهل المغرب»[4].

وفي تفسير قتادة: أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتًا فحجوه.

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يعني: الأجر في الآخرة، والتجارة في الموسم ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر.

---

(١) واحدها: ضامر وضامرة؛ وهي الناقة قليلة اللحم الرقيقة. ويجمع أيضًا على: ضوامر. لسان العرب (ضمر).

(٢) والراجل: ضد الفارس، ويُجمع على رَجْل، ورجَّالة ورُجَّال ورِجَال. لسان العرب (رجل).

(٣) ينظر البحر (٣٦٤/٦)، البيان (١٧٤/٢)، إعراب القرآن (٣٩٩/٢).

(٤) روى الطبري (١٤٤/١٧) من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه.

[﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني : إذا نحر وذبح .

قال محمد : وقيل : إن الأيام المعلومات : يوم النحر](١)، ويومان بعده .

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال الحسن : ولا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل ، وإن شاء لم يأكل منها وتصدَّق بها .

قال محمدٌ : البائس الذي نالَهُ بؤس ، وهو [شديد](١) الفقر يقال : قد بؤس الرجل وبئس إذا صار ذا بؤس ؛ أي : شدة(٢).

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ تفسير الحسن : التفث : تقشف الإحرام ، وبرميهم الجمرة يوم النحر يحل لهم [كل شيء .

قال محمد : معنى تقشف الإحرام : كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل](٣) (ل ٢٢٢) قص الشارب وتقليم الأظفار [ونتف الإبطين ، وحلق العانة](٤) وغير ذلك مما نهي عنه المحرم من الطيب وغيره .

﴿وليوفوا نذورهم﴾ تفسير مجاهد(٥): ما نذر الإنسان على نفسه من شيءٍ يكونُ في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ تفسير قتادة(٦): أعتقه اللَّه من الجبابرة ؛ كمْ من جبار صار إليه يريد أن يهدمه ؛ فحال اللَّه بينه وبينه ﴿ومن يعظم حرمات اللَّه﴾ تفسير مجاهد(٧): الحرمات : مكّة والحج والعمرة ، وما نهى اللَّه عنه من معاصيه كلها ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ في سورة المائدة وقد مضى تفسيره(٨).

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) يقال : بَؤُس الرجلُ فهو بَئِيس ، وبَئِس فهو بائس ؛ اشتدت حاجته . لسان العرب (بئس) .

(٣) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل والمثبت من « ر » .

(٥) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٥٠ ، ١٥١) .

(٦) انظر تفسير الطبري (١٧/١٥١) .

(٧) رواه الطبري (١٧/١٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٩٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) المائدة : ٣.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يقول : اجتنبوا الأوثان ؛ فإنها رجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني : الشرك ﴿حنفاء للّه﴾ أي : مخلصين .

﴿ومن يشرك باللّه ...﴾ الآية ، قال الحسن : شبه اللّه أعمال المشركين بالذي يخر من السماء ؛ فتخطفه الطير ، فلا يصل إلى الأرض ﴿أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد ، فيذهب فلا يوجد له أصلٌ ، ولا يرى له أثر . يقول : ليست لأعمال المشركين عند اللّه قرارٌ لهم به عنده خير في الآخرة .

﴿ذلك ومن يعظم شعائر اللّه﴾ تفسير مجاهد[1]: يعني : استعظام البُدْن ، واستسمانها .

﴿لكم فيها منافع إلى أجَلٍ مسمى﴾ تفسير ابن عباس قال : الأجل المسمى : إلى أن تُقَلَّد وتُشْعر ﴿ثم محلها﴾ إذا قلدت وأُشْعِرتْ ﴿إلى البيت العتيق﴾ .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولكل أُمّة﴾ (ولكل قوم)[2] ﴿جعلنا منسكًا﴾ قال قتادة : يعني : حجًا وذبحًا .

﴿وبشر المخبتين﴾ يعني : الخاشعين .

قال محمدٌ : واشتقاق الكلمة من : الخبْت ؛ وهو المكان المنخفض من الأرض[3].

﴿الذين إذا ذُكر اللّه وجلت قلوبهم﴾ أي : خافت ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني : المفروضة ﴿ومما

---

(١) رواه الطبري (١٥٦/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٩٤/٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقيل : هو المتّسع من بطون الأرض ، ومنه أُخِذ الإخبات ، وهو الخشوع . القاموس المحيط (خبت) .

رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة المفروضة .

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر اللّه لكم فيها خيرٌ﴾ أي : أَجْر في نحرها ، والصدقة منها يتقربون بها إلى اللّه .

قال محمدٌ : من قرأ (البدن) بالنصب[١] فعلى فعل مضمر ؛ المعنى : وجعلنا البدن[٢].

﴿فاذكروا اسم اللّه عليها صواف﴾ تفسير مجاهد[٣] يعني : معقلة قيامًا . وهي في قراءة ابن مسعودٍ (صوافن)[٤].

قال محمدٌ : من قرأ (صوافّ) مشدّدة[٥]؛ فالمعنى : صُفَّتْ قوائمها ، والنصب فيها على الحال ، ولا تنوَّن ؛ لأنها لا تنصرف[٦] ومن قرأ (صوافن) فالصافن : الذي يقوم على ثلاث ؛ يقال : صفن الفرس ؛ إذا رفعَ إحْدَى رجليه ؛ فقام على طرف الحافر ، والبعيرُ إذا أرادوا نحره تُعقل إحْدَى يدْيه فهو الصافن والجميع : صوافن[٧]. وقُرِئت (صوافي) بالياء والفتح بغير تنوين[٨]، وتفسيره : خوالصُ[٩]؛ أي : خالصة للّه لا يشرك باللّه - جلَّ وعزَّ - في التّسْمِية على نحرها أحدٌ . وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولمْ يلخصها هذا التلخيص .

قال : ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي : أسقطت للموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال

---

(١) وهي قراءة الجمهور . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣١٥) ، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢) ، جامع القرطبي (٦٠/١٢) .

(٢) أي : بالنصب على المفعولية . البحر (٣٦٩/٦) .

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٦٤/١٧) .

(٤) وهي أيضًا قراءة ابن عمر وابن عباس وقتادة وغيرهم . ينظر : المحتسب (٨١/٢) ، البحر (٣٦٩/٦) ، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢) .

(٥) وهي قراءة الجمهور .

(٦) ينظر : لسان العرب (صفف) ، البحر (٣٦٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٠٣/٢) ، مجمع البيان (٨٦/٤) ، والدر المصون (١٤٩/٥ - ١٥٠) .

(٧) وقيل : هو القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . مختار الصحاح (صفن) .

(٨) أي وفتح الياء ، وهي قراءة الحسن ، وأبي موسى الأشعري ومجاهد ، وغيرهم . ينظر : البحر (٣٦٩/٦) ، المحتسب (٨١/٢) ، الإملاء (٧٩/٢) .

(٩) يقال : أصفاه الود : أخلصه له ، وصافاه وتصافيا : تخالصا . لسان العرب (صفو) .

الحسن[١]: القانِعُ: السَّائل، والمعتر: الذي يتعرَّضُ ويقبل إن أُعْطي شيئًا.

قال محمدٌ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ من السؤال، وقَنِع يَقْنَع من الرضا[٢] والمُعْتَرُّ: الذي يعتريك؛ أي: يُلِمُّ لتُعْطِيَهُ ولا يسألُ[٣].

﴿لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها﴾ يقول: لا يصعد إلى اللَّه لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

﴿لكن يناله التقوى منكم﴾ يصْعَدُ إليه؛ يعني: ممَّن آمن.

﴿لتكبروا اللَّه على ما هداكم﴾ السُّنَّةُ إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم اللَّه واللَّه أكبر[٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿إن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا﴾ تفسير الحسن: يدافع عنهم، فيعصمهم من الشيطان [في دينهم][٥] ﴿إن اللَّه لا يحب كل خوان كفور﴾.

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ قال قتادة: هم [أصحاب نبي اللَّه، أذن لهم بالقتال؛ بعد ما أخرجهم المشركون، وشددوا عليهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال محمد: ﴿أذن][٦] (ل٢٢٣) للذين يقاتلون﴾ أن يقاتلوا. وقيل: إنها أول آية نزلت في (الجهاد)[٧].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٦٨، ١٦٩).

(٢) قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: سأل وتذلَّل فهو قانع وقَنِيعٌ، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَة: رضي بالقسمة فهو قَنِع وقَنُوع. لسان العرب (قنع).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (عرر).

(٤) رواها البخاري (١٠/ ٢٠ رقم ٥٥٥٨) ومسلم (٣/ ١٥٥٦ - ١٥٥٧ رقم ١٩٦٦) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٧) في «ر»: القتال.

﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا اللّه﴾ أي: أنهم أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا اللّه ﴿ولولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعضٍ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ قال قتادة[1]: الصوامعُ (للصَّابئين)[2]، والبِيَعُ للنصارى؛ يعني: الكنائس، والصلوات لليهود، ومساجد؛ يعني: مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم اللّه كثيرًا﴾ يعني: المساجد ﴿ولينصرن اللّه من ينصره﴾ أي: من ينصر دينه. معنى (وصلوات) أي: بيوت صلواتٍ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ يعني: أصحاب النبي ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف﴾ بعبادة اللّه ﴿ونهوا عن المنكر﴾ عن عبادة الأوثان.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فأمليت للكافرين﴾ أي: لم أهلكهم عند تكذيبهم رسلهم حتى جاء الوقت الذي أردتُ أن أهلكهم فيه ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب حين جاء الوقتُ ﴿فكيف كان نكيري[3]﴾ أي: عقابي، أي: كان شديدًا – يحذِّر بذلك المشركين.

﴿فكأين من قرية﴾ أي: فكمْ من قرية ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ يعني: أهلكنا أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ سُقُفها، فصار أعلاها أسفلها ﴿وبئر معطّلة﴾ [أي: قد باد أهلها][4] ﴿وقصر مشيد﴾ قال الكلبي: أي: حصين.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٣٩) والطبرى (١٧/ ١٧٦، ١٧٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٤٠٠) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في «ر»: للنصارى.

(٣) أثبت الياء في الوصل ورش، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفًا، وقرأ الباقون بغير ياء. النشر (٢/٣٢٧).

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمدٌ: يقال: هو ما بُني بالشِّيد، وهو الجص[1]. وقيل: معنى (مشيد) مَطُول[2].

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ يعني: المشركين ﴿فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾ أي: لو صاروا فتفكروا فحذروا ما نزل بإخوانهم من الكفار، فيتوبون لو كانت لهم قلوبٌ يعقلون بها ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: إنما أُوتُوا من قِبَل قلوبهم.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاءٌ بأنه لا يكون ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ تفسير الحسن: يعني: هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يومٌ من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي: كذبوا ﴿معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يُعجزوننا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم؛ هذا تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: (معاجزين): مبطئين للناس عن الإيمان.

قال محمدٌ: لم يبيِّن يحيى قراءة مجاهد، والقراءة على تفسيره: (معجِّزين) مثقَّلة[3].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ

---

(١) وقيل: الشِّيدُ: هو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط. مختار الصحاح (شيد).

(٢) قيل: المَشِيد - بالتخفيف -: المعمول بالشِّيد، والمُشَيَّد - بالتثقيل -: المُطَوَّل. وقال الكسائي: المَشِيد للواحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وقصر مشيد﴾، والمُشَيَّد للجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿في بروج مشيَّدة﴾ لسان العرب، مختار الصحاح (شيد).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٣٩) النشر (٢/٣٢٧)، التيسير (١٥٨)، إتحاف الفضلاء (٤٠٠).

فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنّى﴾ أي : تلا ؛ في تفسير قتادة . قال قتادة[١]: بينا رسول اللّه يصلي عند المقام إذ نعس ، فألقى الشيطان على لسانه كلمةً ؛ فتكلم بها فتعلّقها المشركون عليه ؛ فإنه قرأ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فألقى الشيطان على لسانه ونعس : (فإن شفاعتها هي المُرْتجى وإنها لمن الغرانيق العلى) فحفظها المشركون ، وأخبرهم الشيطان أن نبيَّ اللّه قد قرأها فزلَّتْ ألسنتهم بها ، وأنزل اللّه : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى ...﴾ الآية[٢].

قال محمدٌ : قيل : إن (تمنى) بمعنى تلا[٣] وأنشد [بعضهم][٤]:

تَمَنَّى كتابَ اللّهِ آخِرَ ليلةٍ   تمنِّي داود الزَّبور على رِسْلِ[٥]

قوله : ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ يعني : المشركين ﴿وإن الظالمين﴾ المشركين ﴿لفي شقاقٍ﴾ أي : فراق ﴿بعيد﴾ عن الحق ﴿وليعلم الذي أوتوا العلم﴾ يعني : المؤمنين .

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٩١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤٠٣/٤) لابن أبي حاتم .

(٢) قصة الغرانيق قصة مشهورة وفيها نكارة ظاهرة ، وقد أنكرها كثير من أهل العلم ، وقد توسع في تفسير هذه الآية الشيخ الشنقيطي في « أضواء البيان » (٧٢٧/٥ - ٧٣٥) توسعًا حميدًا فراجعه فإنه نفيس ، وللشيخ الألباني - رحمه الله - « نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق » .

(٣) وبمعنى (قرأ) . لسان العرب (منى) .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) البيت من بحر الطويل ، وهو غير منسوب لأحد في اللسان (منى) ، وينظر : شواهد القرطبي (٦/٢) ، وشواهد الزمخشري (٩٩/٤) منسوبًا إلى حسان بن ثابت ، ولم أجده في ديوانه .

﴿أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾ أي: يصدقوا به قوله: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تخشع ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ [أي: شك؛ يعني: من القرآن][1] ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ [يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين][2] (ل ٢٢٤) بدين أبي جهل و[أصحابه][2] ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي: عذاب يوم بدر.

قال محمدٌ: [أصل العقم][3] في الولادة؛ يقال: امرأة عقيم، ورجل عقيم إذا كان لا يولد له، وريحٌ عقيم التي لا تأتي [بسحاب فتمطر][4].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا﴾ في سبيل الله بعد الهجرة [﴿أو ماتوا﴾ على فروجهم بعد الهجرة][5] ﴿ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: أصل العقيم، والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، وفي لسان العرب (عقم): ريح عقيم التي لا تأتي بمطر.

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عُوقب به ثم بُغي عليه﴾ يعني: مشركي العرب أنهم عوقبوا؛ فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه وبغيهم عليهم ﴿لينصرنه الله﴾ النصر في الدنيا: الظهور[1] على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة.

﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾ أي: بالنَّبات إذا أنبتت، وليس يعني من ليلتها ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب على خلقه أن يحمدوه ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ يعني: لئلا تقع ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من النطف ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث ﴿لكل أمةٍ جعلنا منسكًا﴾ أي: حجًّا وذبحًا ﴿هم ناسكوه فلا ينازعنّك في الأمر﴾ أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الذي أنت عليه يقوله للنبي عليه السلام.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي: هيِّنٌ حين كتبه ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ يعني: حجة لعبادتهم ﴿وما ليس لهم به علمٌ﴾ أن الأوثان خلقت مع الله شيئًا، ولا رزقت شيئًا ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي: يكادون يقتلون أنبياءهم ﴿قل أفأنبئكم بشرٍّ من

(١) في «ر»: الظُّفر.

ذلكم﴾ بشرٌ من قتل أنبيائهم ﴿النار﴾ هي شرٌ مما صنعوا[١] (بأنبيائهم ؛ يعني : من قتلهم إياهُمْ .

قال محمدٌ : من قرأ (النار) بالرفع[٢]، فعلى معنى : هي النارُ .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يا أيها الناسُ ضربَ مثلٌ﴾ أي : وُصِفَ ﴿فاستمعوا له﴾ يعني : المشركين ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني : الأوثان ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه﴾ .

إن الذباب يقع على تلك الأوثان فينقر أعينها ووجوهها فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها .

وسمعتُ بعضهم يقول : إنهم كانوا يطلونها بخلوق[٣]. قال الله : ﴿ضعف الطالب﴾ يعني : الوثن ﴿والمطلوب﴾ يعني : الذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي : ما عظموه حق عظمته ؛ بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها الذباب الضَّعيف لمْ تستطع أن تمتنع منه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا إذا كانوا في الآخرة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

---

(١) من هنا بدأ سقط من نسخة « ر » حتى الآية : ٢ من سورة المؤمنون .

(٢) وهي قراءة الجمهور . ينظر البحر (٣٨٩/٦) القرطبي (٩٦/١٢) .

(٣) الخَلُوق : ضَرْب من الطِّيب . لسان العرب (خلق) .

﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهاده﴾ هي مثل قوله : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[1] وهما منسوختان ؛ نسختهما الآية التي في التغابُن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2].

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي : من ضيق .

﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ يقول الله : سمَّاكم المسلمين من قبل ؛ أي : من قبل هذا القرآن في الكتب كلها وفي الذكر ، ﴿وفي هذا﴾ القرآن .

قال محمدٌ : (ملة أبيكم) المعنى : اتبعوا ملَّة أبيكم[3].

﴿ليكون الرسول شهيدًا عليكم﴾ بأنه قد بلغ ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بأن الرسل قد بلَّغت قومها .

﴿واعتصموا بالله﴾ أي : بدين الله ﴿هو مولاكم﴾ وليُّكم ﴿فنعم المولى﴾ الولي ﴿ونعم النصير﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين .



---

(١) آل عمران : ١٠٢.

(٢) التغابن : ١٦. وذهب قوم إلى أن الآية محكمة غير منسوخة . انظر تفسير القرطبي (٩٩/١٢) ونواسخ القرآن (٤٦٦ - ٤٦٧) .

(٣) أي : بالنصب على المفعولية . ينظر : إعراب القرآن (٤١١/٢ - ٤١٢) ، مجمع البيان (٩٦/٤) ، البحر (٣٩١/٦) ، معاني القرآن للفراء (٢٣١/٢) .

تفسير سورة المؤمنين
وهي مكيَّة كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

(ل ٢٢٥) قوله : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ يعني : بالله [...][١] .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة : قال : ذُكِرَ لنا أن كعبًا قال : « إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون »[٢].

قوله : ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ .

يحيى : عن خداش ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين قال)[٣]: « كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت هذه الآية ، فغضوا أبصارهم ، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده »[٤].

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٣/٢) – ومن طريقه الطبري في تفسيره (١/١٨) - عن معمر عن قتادة عن كعب .
وقد روي مرفوعًا ، وقد أشرت إلى بعض طرقه في تخريج أحاديث تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٢١٤، ٣/٤٦٥) .

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة « ر » ، والذي بدأ من الآية (٧٢) من سورة الحج .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق الحجاج الصواف عن ابن سيرين بنحوه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو : الباطل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ يعني : يؤدون الزكاة المفروضة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ من الزنا .

﴿إلا على أزواجهم﴾ يتزوَّج أربعًا - إن شاء - ولا يحل له ما فوق ذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يطأ بملك يمينه كمْ شاء ﴿فإنهم غيرُ ملومين﴾ أي : لا لَوْم عليهم فيما أُحل لهم ﴿فمنْ ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يعني : الزناة ؛ يتعدَّوْن الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقول : يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد ﴿والذين همْ على صلواتهم﴾ [يعني : الصلوات الخمس][(1)] ﴿يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿أولئك هم الوارثون﴾ ليس من أحدٍ إلا وقد أعدَّ اللَّه له منزلاً وأهْلاً في الجنة ؛ فإن أطاع اللَّه صار إلى ما أعدَّ اللَّه له ، وإن عصى اللَّه صرف اللَّه ذلك المنزل عنه ؛ فأعطاه المؤمن مع ما أعدّ اللَّه للمؤمنين ، فورَّث

= ورواه أبو داود في المراسيل (٩٦رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٢/١٨) والبيهقي في السنن (٢٨٣/٢) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين قال : « كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام في الصلاة نظر هكذا وهكذا ، فلما نزلت : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ نظر هكذا - ببصره نحو الأرض » .

قال البيهقي : وروي ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس عن ابن عون عن ابن سيرين موصولا . والصحيح هو المرسل .

ثم رواه البيهقي موصولا من هذا الطريق .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) وسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٢٨٣/٢) - من طريق إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد « نبئت أن رسول اللَّه . . . » بنحوه .

وقال البيهقي : هذا هو المحفوظ مرسل ، وقد روي عن إسماعيل بن إبراهيم - هو ابن علية - موصولا ، ورواه حماد بن زيد عن أيوب مرسلا ، وهذا هو المحفوظ .

ورواه من هذا الطريق موصولا : الحاكم (٣٩٣/٢) والبيهقي (٢٨٣/٢) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣١) .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد ؛ فقد قيل عنه مرسلاً ، ولم يخرجاه .

ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق خالد عن ابن سيرين مرسلا نحوه .

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٤٠/٤ رقم ٤٠٨٢) من طريق حيرة الإسكندراني ، عن ابن وهب ، عن جرير بن حازم ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة .

وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا جرير ، ولا عن جرير إلا ابن وهب ، تفرد به حيرة .

قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٣٣٨/٤) : خرجه الطبراني من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة ، والمرسل أصح .

ومال ابن التركماني في الجوهر النقي (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) لتصحيح الموصول .

(1) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

المؤمنين تلك المنازل والأزواج ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة قال : الفردوس جبل في الجنة تتفجَّرُ منه أنهار الجنة .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين﴾ خلق الله آدم من طين (ثم جعل نَسْلَه بعدُ من سلالةٍ من ماءٍ مهين ؛ يعني : النطفة)[١] ﴿ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ يعني : الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة﴾ يكون في بطن أمه نطفةً أربعين ليلة ، ثم يكون علقة أربعين ليلة ، ثم يكون مضغة أربعين ليلة ﴿فخلقنا المضغة عظامًا﴾ يعني : جماعة العظام .

قال محمدٌ : (علقة) واحدةُ : العلق ؛ وهو الدم[٢]، و(المضغة) : اللحمة الصغيرة سميت بذلك ؛ لأنها بقدر ما يمضغ[٣].

﴿ثم أنشأناه خلقًا آخر﴾ يعني : ذكرًا أو أنثى ؛ في تفسير الحسن ﴿فتبارك الله﴾ هو من باب البركة ﴿أحسن الخالقين﴾ إن العباد قد يخلقون ، ويُشبهون بخلق الله ، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح .

يحيى : عن الربيع بن صُبَيْح[٤]، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ : « المصوِّرون يعذَّبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتُمْ »[٥] من حديث يحيى بن محمدٍ .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) أي : الدم الغليظ . لسان العرب (علق) .

(٣) لسان العرب (مضغ) .

(٤) كذا في الأصل مقيدًا بضم الصاد ، وتكرر كذلك في مواضع ، وجاء في « ر » في مواضع مقيدًا بفتح الصاد وقد ضبطه عبد الغني الأزدي في المؤتلف (ص ٨١) بالفتح . انظر حاشية الإكمال (١٦٦/٥) .

(٥) روى البخاري (٣٩٦/١٠ رقم ٥٩٥١) ومسلم (١٦٦٩/٣ - ١٦٧٠ رقم ٢١٠٨) عن عبد الله بن عمر أن =

يحيى : عن أبي أُميّة بن يعلى الثقفي ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : « قال الله : من أظلم ممن يخلق كخلْقي[١]، فليخْلقوا ذُبابًا أو ذرّةً أو بعوضةً »[٢].

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ تفسير مجاهد[٣]: يعني : سبعَ سمٰوات بعضها فوق بعضٍ .

قال محمدٌ : (طرائق) جمع : طريقة ؛ يقال : طارقت الشيء ؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض ، ومنه قولهم . ريشٌ طراقٌ[٤].

﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني : أن ننزل عليهم ما يخيبهم ، وما يصلحهم من هذا المطر ؛ في تفسير الحسن .

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ﴾ تفسير الكلبي : يعني : الأنهار والعيون والآبار . ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي : أنبتنا ﴿جناتٍ من نخيل ...﴾ الآية ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ و[هي الزيتونة][٥]، والطور [الجبل][٣] و﴿شَجَرَةً﴾ معطوف (ل٢٢٦) على قوله : ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾[٦].

= رسول الله ﷺ قال : «إن الذين يصنعون هذه الصور يُعذّبون يوم القيامة ، يُقال لهم أحيوا ما خلقتم» .
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ وقد جمع أحاديث الباب الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - في مصنف سماه «إعلان النكير على المفتونين بالتصوير» فراجعه فإنه فريد في بابه .

(١) في « ر » : فمن ادعى بخلق كخلقي .

(٢) رواه البخاري (١٠/٣٩٨ رقم ٥٩٥٣) ومسلم (١٦٧١/٣ رقم ٢١١١) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة بنحوه .
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩، ٤٥١، ٥٢٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه .
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم ، والله أعلم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦/٥) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لسان العرب ، القاموس المحيط (طرق) .

(٥) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) ينظر : مجمع البيان (١٠٢/٤) ، البحر (٤٠١/٦) ، البيان (١٨٢/٢) .

قوله : ﴿تنبتُ بالدهن﴾ قال مجاهد[١]: يعني : تثمر به .

قال محمد : يقال : نبت الشجر وأنبت في معنًى واحد[٢].

﴿وصبغ للآكلين﴾ أي : يأتدمون به ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ (لحجة)[٣] ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ يعني : اللَّبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني : ما ينتفع به من ظهورها وغير ذلك .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي : بالرسالة .

﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ أنّ رجلاً ادَّعى النبوة ﴿إن هو إلا رجل به جنةٌ﴾ أي : جُنُونٌ ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي : حتى يموت ؛ في تفسير بعضهم .

﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قد مضى تفسيره في سورة هود[٤].

﴿وأهلك﴾ أي : واحمل فيها أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ يعني : الغضب ﴿ولا تخاطبني﴾ أي : لا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أشركوا .

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٩/٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) لسان العرب (نبت) .

(٣) في « ر » : يعني لآية .

(٤) عنـد تفسير قوله تعالى : ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ هود : ٤٠ .

أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركًا﴾ قال هذا لنوحٍ حين نزل من السفينة .

قال محمدٌ : تقرأ ﴿مُنْزَلا﴾ و﴿مَنْزِلا﴾[١]؛ فالمَنْزِل : اسمٌ لما نَزَلْت فيه[٢]، والمُنْزَلُ : المصدرُ ؛ بمعنى الإنزال[٣].

﴿إن في ذلك﴾ في أمر قوم نوحٍ وغرقهم ﴿لآيات﴾ لمن بعدهم .

﴿وإن كنا لمبتلين﴾ يعني : ما أُرسل به الرسل من عبادته ، ومعنى الابتلاء : الاختبار .

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ يقول : وسَّعنا عليهم في الرزق ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ تباعد البعثَ في أنْفُس القوم .

قال محمدٌ : من كلام العرب : هيهات لما قلت ؛ يعنون : بُعْدًا لقولك ، ويقال : أيْهات ؛ بمعنى : هيهات[٤].

﴿عما قليل ليُصبحُنَّ نادمين﴾ يعني : عن قليل والميم صِلةٌ ، في تفسير السدي .

---

(١) قرأ السّبعة إلا أبا بكر عن عاصم (مُنزلاً) بضم الميم ، وقرأ أبو بكر عن عاصم (مَنزلا) بفتحها . ينظر : السبعة (٤٤٥) ، التيسير (١٥٩) ، البحر (٦/٤٠٢) .

(٢) أي : اسم مكان من الفعل (نزل) ينظر : الدر المصون (٥/١٨٠ - ١٨١) ، لسان العرب (نزل) .

(٣) أي : مصدر ميمي . ينظر : الدر المصون (٥/١٨٠ - ١٨١) .

(٤) وهي مبنيّةٌ على الفتح دائمًا ، والبعض يكسرونها على كل حال . ينظر لسان العرب (هيه) ، مختار الصحاح (أيه ، هيه) .

قال محمدٌ : هي صلة زائدة ؛ بمعنى التوكيد .

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ يعني : العذاب ؛ في تفسير الحسن ﴿فجعلناهم غُثاءً﴾ يعني : مثل النبات إذا تهشَّم بعد إذ كان أخضر .

قال محمدٌ : الغُثَاء في اللغة : هو ما علا السَّيْل من ورق الشجر(١).

المعنى : جعلناهم هَلْكى كالغثاء ؛ لأن الغثاء يتفرَّقُ ويذهبُ .

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ما تسبق من أمةٍ أجلها﴾ يعني : الوقت الذي يهلكها فيه ﴿وما يستأخرون﴾ عن الوقت ساعة ، ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ قال قتادة : يعني : تباعًا ؛ بعضهم على إثر بعضٍ .

قال محمدٌ : وهو من التواتر ، وقيل : الأصل في تترى : وَتْرَى ؛ فقلبت الواو تاءً ؛ كما قلبوها في التخمة والتكلان(٢).

﴿كل ما جاء أمة رسولها كذَّبوه فأتبعنا بعضَهم بعضًا﴾ يعني : العذاب الذي [أهلكناهم](٣) به أُمّة بعد أُمّةٍ ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدَهُمْ .

﴿وكانوا قومًا عالين﴾ أي : مستكبرين في الأرض على الناس ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلِنا

---

(١) ويقال فيه أيضًا : الغُثَّاء - بالتشديد . ينظر لسان العرب (غثو) .

(٢) و(تترى) فيها لغتان : تُنوَّن ، ولا تُنوَّن ، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنث ، وهو أجود . ومن نونها جعل ألفها ملحقة . ينظر : لسان العرب (وتر) ، (وخم - وكل) ، البحر (٤٠٧/٦) ، إعراب القرآن (٤١٩/٢) .

(٣) في الأصل : جاءهم . والمثبت من « ر » .

وقومهما لنا عابدون﴾ وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ، ووضعوا عليهم الجزية ، وليس يعني : أنهم يعبدوننا .

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ عبرةً خُلِقَ لا والدَ له ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ﴾ قال قتادة[١]: الرَّبْوَة ها هنا : بيت المقدس . قال يحيى : ذكر لنا أن كعْبًا كان يقول : هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

قال محمدٌ : كل ما ارتفع وزاد فقد رَبَا[٢].

﴿ذات قرارٍ﴾ قال ابن المسيب : ذات جِنَان[٣] ﴿ومعينٍ﴾ قال عكرمة : المعين : الظَّاهر .

قال محمدٌ : هو على هذا التفسير مفعولٌ من العينْ ، والأصل فيه : مَعْيُون[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله : ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [يعني : الحلال من الرزق][٥] ﴿واعملوا صالحاً ...﴾ الآية .

قال محمد : خاطب [بهذا النبيَّ ، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع ، وتضمن (ل٢٢٧) هذا][٦] الخطابُ إلى الرسل جميعًا ؛ كذا أُمِروا .

﴿وإن هذه أمتكم أمةً واحدة﴾ أي : ملَّةً واحدة ؛ يعني : الإسلام .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٤٥) والطبري (٢٧/١٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠ - ١١) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن عساكر .

(٢) وتُسَمَّى أيضًا : الرَّابية ، والرُّباوة ، أما الربوة فهي بضم الراء وفتحها وكسرها . مختار الصحاح (ربو) .

(٣) بكسر الجيم ، وواحدها : جَنَّة ، أما الجَنان بفتح الجيم فهو الفؤاد . ينظر لسان العرب (جنن) . وفي « ر » : ذات منازل .

(٤) يقال : حفر حتى عان ، من باب باع ؛ أي : بلغ العيون ، والماء معين ، ومعيون ، وأعينت الماء : مثله . لسان العرب ، مختار الصحاح (عين) .

(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال محمد : من قرأ : ﴿وأنَّ هذه﴾ بفتح الألف فالمعنى : لأن هذه أمتكم[١].

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني : دينهم الذي أمر الله به ﴿زبُرًا﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿زُبرًا﴾ بفتح الباء ورفعها ؛ فمن قرأها بالفتح[٢] فالمعنى : قطعًا ، ومن قرأها بالرفع[٣] فالمعنى : كُتبًا ، يقول : فرقوا كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه ، وكتبوه على ما حرّفوا ﴿كل حزبٍ﴾ أي : قوم منهم ﴿بما لديهم﴾ بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿فرحون﴾ أي : راضون ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ أي : غفلتهم ﴿حتى حين﴾ يعني : إلى آجالهم . وهي منسوخة بالقتال .

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ﴾ أي : نعطيهم من مالٍ ﴿وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾ أي : ليس لذلك نمدهم بالمال والبنين ﴿بل لا يشعرون﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مُسَارعَةً لهم في الخيرات ، وأنهم يصيرون إلى النار ؛ يعني : المشركين .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ ممدودة[٤] ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي : خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ تفسير الحسن قال : كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ، ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم .

---

(١) قرأ بفتح الهمزة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ الباقون بكسرها ، وخفف ابن عامر وحده النون ، فقرأ (أن) وشددها الباقون . ينظر السبعة (٤٤٦) ، التيسير (١٥٩) .

(٢) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو ، في رواية عنه . ينظر : الحجة (٢٥٧) ، جامع القرطبي (١٢/١٣٠) ، الإملاء (٢/٨٢) .

(٣) وهي قراءة الباقين . ينظر المراجع السابقة .

(٤) وهي قراءة الجمهور . وقُرئت (أَتَوْا) بالقصر ، ورُوِيَ ذلك عن : عائشة ، وابن عباس ، وقتادة ؛ وغيرهم . ينظر البحر (٦/٤١٠) ، المحتسب (٢/٩٥) ، القرطبي (١٢/١٣٢) .

قال محمدٌ : ومعنى أنهم إلى ربهم راجعون : أنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى ربهم .

﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ قال الحسن : يعني : فيما افترض اللَّه عليهم ﴿وهم لها سابقون﴾ أي : وهم بالخيرات سابقون .

﴿ولا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ إلا طاقتها ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتابٌ ينطق بالحق﴾ يريد : الكتاب الأوَّل .

﴿بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا﴾ قال قتادة[١]: يعني : في غفلةٍ مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ يقول : لهم أعمال لم يعملوها سيعملونها .

قال محمدٌ : المعنى على هذا التفسير : أن اللَّه أعلم أنّهم سيعملون أعمالاً تُبْعِدُ من اللَّه غير الأعمال التي ذُكِروا بها .

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ يعني : أبا جهلٍ وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر ﴿إذا هم يجأرون﴾ قال الحسن : يصرخون إلى اللَّهِ بالتَّوْبة فلا تُقبل منهم .

﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي : تستأخرون عن الإيمان باللَّه ﴿مستكبرين به﴾ أي : بالحرم ﴿سامرًا تهجرون﴾ أي : تتكلمون بهجر القول[٢] ومنكره .

قال قتادة[٣]: يعني بهذا : أهل مكة ؛ كان سامرهم لا يخاف شيئًا ؛ كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ؛ فلا نُقْرب - لما أعطاهم اللَّه من الأمن ، وهم مع ذلك يتكلمون بالشرك والبهتان .

والقراءة على تفسير قتادة : بضم التاء وكسر الجيم[٤]. وكان الحسن يقرؤها : (تَهْجُرون) بنصب التاء ورفع الجيم[٥]؛ وتأويلها : الصَّدُّ والهُجْران . يقول : قد بلغ من أمانكم أن سامركم [يسْمُر][٦]

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) الهُجْر من القول : الفاحش الرديء . لسان العرب (هجر) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٤٧/٢) والطبري (٤٠/١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٤/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٤) وهي قراءة نافع . ينظر : البحر (٤١٣/٦) ، السبعة (٤٤٦) ، النشر (٣٢٩/٢) .

(٥) وهي قراءة الباقين . ينظر المراجع السابقة .

(٦) في الأصل : يسمرنا . ولعله انتقال نَظَرٍ بما بعده ، والمثبت من « ر » .

بالبطحاء ؛ يعني : سمر الليل ، والعرب يقتل بعضها بعضًا ، ويَسْبي بعضها بعضًا ، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي .

قال محمدٌ : يقال : هذا سامر الحي ؛ يراد المتحدثون منهم ليلاً[١].

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ۝٧٤﴾

﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني : القرآن ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي : لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين .

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ يعني : محمدًا ﴿فهم له منكرون﴾ بل يعرفون وجهه ونسبه ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ يعني : جماعة من لم يؤمن منهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ يعني : أهواء المشركين ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ تفسير الحسن يقول : لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على إهلاك السموات والأرض ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي : بشرفهم ؛ هو شرف لمن آمن به ﴿فهم عن ذكرهم﴾ [عن شرفهم][٢] ﴿معرضون﴾ .

﴿أم تسألهم خرجًا﴾ [أي : أجرًا على ما جئتهم به ، لأنك لا تسألهم أجرًا ﴿فخراج ربك﴾][٢] (ل٢٢٨) يعني : ثوابهم في الآخرة خير من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجرًا ﴿وهو خير الرازقين﴾ وقد يجعل الله رزق العباد بعضهم من بعض يُرْزق هذا على يدي هذا يرزق الله إياهم ﴿وهو خير الرازقين﴾ يعني : أفضلهم .

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي : تاركون له .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم

---

(١) مأخوذ من السَّمَر والمُسَامرة . ويُطلق السَّامر على الواحد والجماعة . لسان العرب (سمر) .

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍّ﴾ نزلت في أهل مكّة ؛ وذلك حين أُخِذوا بالجوع سبع سنين ؛ حتى أكلوا الميتة والعظام وأجهدُوا ؛ حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانًا ، وهو قوله : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾(١) نزلت هذه الآية قبل أن يؤخذوا بالجوع ، ثم أُخذوا به ، فقال الله (وهم في ذلك الجوع : ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضُرٍّ للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يتردَّدون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني : ذلك الجوع في السَّبْع السنين)(٢) ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرّعون﴾ يقول : لم يؤمنوا ، وقد سألوا أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا ، فقالوا : ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾(٣) وهو ذلك الجوع ﴿إنا مؤمنون﴾(٣) فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذابٍ شديد﴾ يعني : يوم بدرٍ قُتلوا بالسَّيْف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يئسوا من كل خير .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ أي : خلق .

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أقلُّكم من يشكر ؛ أي : يؤمن .

---

(١) الدخان : ١٠.

(٢) وقع تقديم وتأخير في «ر» .

(٣) الدخان : ١٢.

﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يذكرهم نعمته عليهم - يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ثم أخبر بذلك القول؛ فقال: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا ...﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كَذِبُ الأولين وباطلهم؛ فأمر اللَّه نبيَّه أن يقول لهم: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ وقال: ﴿سيقولون لِلَّه﴾ أي: فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتؤمنوا، وأنتم تقرون أن الأرض ومن فيها للَّه ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لِلَّه﴾ فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون أن اللَّه خالق هذه الأشياء وربها، وقدْ كان مشركو العرب يقرون بهذا.

قال محمدٌ: قراءة يحيى (سيقولون اللَّهُ) وهي قراءة أهل البصرة - فيما ذكر أبو عُبَيْد[1]. قال: وعامة القراء يقرءونها: (سيقولون للَّه)[2].

قال: وكان الكسائي[3] يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلانٍ؛ بمعنى: هي لفلان[4].

﴿قل من بيده ملكوت كل شيءٍ﴾ أي: ملك كل شيءٍ ﴿وهو يجير﴾ من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: من أراد أن يعذبه لمْ يستطع أحدٌ منعه ﴿سيقولون لِلَّه﴾.

قال محمدٌ: واختلف القراء أيضًا في قوله: ﴿سيقولون للَّه﴾ وهي في التأويل مثل التي قبلها.

﴿فأنى تسحرون﴾ أي: فكيف تسحرون عقولكم؟ فشبههم بقوم مسحورين.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: كيف تُخْدعون وتُصْرَفون عن هذا؟!

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو من السبعة. ينظر: البحر (٦/٤١٨)، السبعة (٤٤٧)، النشر (٢/٣٢٩).

(٢) وهي قراءة الباقين. ينظر المراجع السابقة.

(٣) في «ر»: الكلبي.

(٤) الرب في اللغة: المالك، ولا يقال في غير اللَّه - تعالى - إلا بالإضافة، وأطلق الرب في الجاهلية على الملك. لسان العرب (ربب).

فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ وهي تقرأ: (بل أتَيْتَهم)[1] يقوله للنبي ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق﴾ يقول: لو كان معه آلهةٌ إذًا لذهب كل إله بما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعضٍ﴾ يقول: لطلب بعْضُهم مُلك بعضٍ حتى يَعْلُوَ عليه؛ كما يفعل ملوك الدنيا.

﴿عالمُ[2] الغيب والشهادة﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا: ما لمْ [يَجِئْ من غيب الآخرة، والشهادة: ما أعلم به العباد. قل يا محمد: ﴿فتعالى عما يشركون﴾][3] (ل٢٢٩) ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ تفسيره: أي: [لا تهلكني][4] معهم إن أرَيْتني ما يوعدون ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ تفسير السُّدِّي: يقول: ادفع بالعفو والصفح القولَ القبيحَ؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم[5].

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وهو الجنون ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فأطيع الشيطان فأُهْلَكَ؛ أمره الله أن يدعُوَ بهذا.

قال محمدٌ: وقيل: (همزاتُ الشياطين): نَخْسُها وطعْنُها بالوسوسة؛ حتى تشغل عن أمر اللهِ. والقراءة (ربِّ) بكسر الباء[6] [وحذف الياء][7]؛ حذفت الياء للنداء؛ المعنى: أعوذ بك يا رب،

---

(١) بفتح التاء الثانية، وهي قراءة ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن خالويه في مختصره (٩٨) إلى أبي حيوة، وأبي البرهسم، وابن قطيب. ينظر: البحر (٤١٨/٦)، الكشاف (٤٠/٣).

(٢) بضم الميم وهي قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون ﴿عالمِ﴾ بكسر الميم. النشر (٣٢٩/٢)، إتحاف الفضلاء (٤٠٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من: «ر».

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من: «ر».

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (٦٧).

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها قراءات أخرى.

(٧) طمس في الاصل، والمثبت من: «ر».

وإثبات الياء جائزٌ .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون﴾ قال الحسن : ليس أحدٌ من خلق اللهِ ، ليس لله بولي إلا وهو يسأل الرَّجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلم به وإن كان أخرس لم يتكلم في الدنيا بحرفٍ قط ؛ وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار ، سأل الرجعة ولا يسمعه من يليه ﴿لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ يعني : فيما ضيَّعتُ . قال الله : لست براجعٍ إلى الدنيا ، ثم قال : ﴿كلا إنها كلمةٌ هو قائلها﴾ يعني : هذه الكلمة : ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ .

﴿ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ قال السُّدي : البرزخ : ما بين النفختين .

قال محمدٌ : وكل شيءٍ بين شيئيْنِ فهو بَرْزَخ[1].

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قد مضى تفسيره[2] ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ تفسير الحسن : يقول : فلا أنساب بينهم يتعاطفون عليها ؛ كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا ، ولا يتساءلون عليها أن يحمل بعضُهم عن بعضٍ ؛ كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهمْ ؛ كقول الرجل : أسألك بالله وبالرَّحم .

﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ .

يحيى : عن صاحبٍ له ، عن يحيى بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ: « شفته السفلى ساقطةٌ على صدره ، والعليا قالصةٌ[3] قد غطَّتْ وجهَه »[4].

---

(١) وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . مختار الصحاح (برزخ) .

(٢) الأنعام : ٧٣، الكهف : ٩٩، وطه : ١٠٢.

(٣) أي : مرتفعة ، وقيل : شفة قالصة ؛ أي : ناقصة . لسان العرب (قلص) . وفي « ر » : قائمة .

(٤) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ التي كُتبت علينا ﴿ربنا أخرجنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمون﴾ فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يَرُدُّ عليهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾ أي: اصْغروا؛ في تفسير الحسن. قال: فوالله ما تكلم القوم بعدها بكلمةٍ، وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال محمدٌ: معنى ﴿اخسَئُوا﴾ في اللغة: تباعدوا، ويقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسَؤُه؛ إذا زجرته ليتباعد[1].

﴿وأنت خير الراحمين﴾ يعني: أفضل من رحم، وقد يجعل الله الرحمة في قلب من يشاء؛ وذلك من رحمة الله.

﴿فاتخذتموهم سخريًّا﴾ كانوا يسخرون بأصحاب الأنبياء، ويضحكون منهم.

= وروى ابن المبارك في الزهد (٨٤ رقم ٢٩٢) عن سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته حتى تضرب سرته».

ورواه الإمام أحمد (٣/٨٨) والترمذي (٤/٦١٠ رقم ٢٥٨٧، ٥/٣٠٧ رقم ٣١٧٦) وأبو يعلى (٢/٥١٦ رقم ١٣٦٧) والحاكم (٢/ ٢٤٦، ٣٩٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨٢) والبغوي في تفسيره (٥/٤٣٠) وفي شرح السنة (١٥/ ١٥١ - ١٥٢ رقم ٤٤١٦) وغيرهم من طريق ابن المبارك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح من إسناد المصريين، ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: تفرد به أبو شجاع عن أبي السمح.

وقال البغوي: هذا حديث حسن غريب.

(١) خسأت الكلب: طردته، من باب قطع، وخسأ هو بنفسه من باب خضع. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (خسأ).

قال محمدٌ : الأجودُ في قراءة (اتخذتموهم) إدْغام الذال في التاء[١]؛ لقرب المخرجَيْنِ في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت . وتقرأ : (سخْريًا) بالضم والكسْر في معنى الاستهزاء[٢]، وقد قال بعْضُ أهل اللغة : ما كان من الاستهزاء فهو بالكَسْر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم[٣].

﴿حتى أنسوكمْ ذكري﴾ ليس يعني : أن أصحاب الأنبياء أَنْسَوْهُمْ ذكر الله؛ فأمروهم ألاّ يذكروه، ولكن جحودهم واستهزاؤهم، وضَحِكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر الله .

﴿إني جزيتُهم اليَوْم بما صبروا﴾ في الدنيا ﴿أنهم﴾ بأنهم ﴿هم الفائزون﴾ الناجون من النار، وتقرأ بالكسْر ﴿إنهم﴾[٤].

قال محمد : ومن كسر فالمعنى : أني جزيتهم بما صبروا، ثم أخبر فقال : إنهم هم الفائزون .

﴿قال كم لبثتم﴾ يقوله لهم في الآخرة ﴿في الأرض عدد سنين﴾ أي : كم عددُ السنين التي لبثتم في الأرض [يريد بذلك أن يعلمهم قلة][٥] (ل٢٣٠) بقائهم في الدنيا [فتصاغرت الدنيا][٥] عندهم ﴿قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ﴿فاسأل العادين﴾ قال قتادة[٦]: يعني : الحُسَّاب الذين كانوا يحسبون آجالنا . مثل قوله : ﴿إنما نعد لهم عدًّا﴾[٧] وهي آجالهم ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي : أن لُبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في النار كان قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يقول : لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار .

قال محمدٌ : (عددَ) منصوبٌ بِكَمْ[٨]، وقوله : ﴿إن لبثتم﴾ معناه : ما لبثتم .

---

(١) قراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا . ينظر النشر (٢/١٥ - ١٦)، إتحاف الفضلاء (٣٢٠) .

(٢) قرأ بالضم : نافع، وحمزة، والكسائي، وقرأ بالكسر الباقون . ينظر البحر (٦/٤٢٣)، السبعة (٤٤٨)، النشر (٢/ ٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٣) ينظر لسان العرب (سخر) .

(٤) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع . ينظر : البحر (٦/٤٢٣) السبعة (٤٤٩)، النشر (٢/٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٥) طمس في الأصل والمثبت من : « ر » .

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٤٩) والطبري (١٨/٦٣) وابن أبي حاتم (٨/٢٥١١ رقم ١٤٠٦٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) مريم : ٨٤.

(٨) ينظر : البحر (٦/٤٢٤)، مجمع البيان (٤/١٣٠)، إعراب القرآن (٢/٤٣٠) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ أي : لغير بَعْثٍ ولا حساب ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وهو على الاستفهام ؛ أي : قد حسبتم ذلك ؛ ولم نَخْلقكم عبثًا ، إنما خلقناكم للبعث والحساب ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ على الله . وبعضهم يقرؤها بالرفع[١] يقول : اللهُ الكريمُ .

﴿ومن يدعُ مع الله إلهًا آخر لا برهان له به﴾ أي : لا حُجَّة له بذلك ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ يعني : فإنما جزاؤه عند ربه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ وهي تقرأ : (إنه) بالكسر[٢] على معنى : فإنما حسابه عند ربه أن يدخله النار ، ثم قال : ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ .

قال محمدٌ : ومن قرأها بالفتح[٣]، فالمعنى : بأنه .

﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين﴾ يعني : وأنت أفضلُ من يرحم ؛ أمر الله النبي ﷺ بهذا الدعاء .



(١) رُويت عن ابن كثير من السبعة . ينظر إتحاف الفضلاء (٣٢١) ، البحر (٤٢٤/٦) ، جامع القرطبي (١٥٧/١٢) .
(٢) وهي قراءة العامة . ينظر : الإملاء (٨٣/٢) ، الكشاف (٤٥/٣) ، البحر (٤٢٥/٦) ، المحتسب (٩٨/٢) .
(٣) ورويت هذه القراءة عن الحسن وقتادة . ينظر المراجع السابقة .

تفسير سُوْرَةِ النّور وهي مدنيّة كلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

قوله : ﴿سورة أنزلناها﴾ (أي : هذه سورة أنزلناها)[١] ﴿وفرضناها﴾ يعني : ما فرض في هذه السورة ، وحُدَّ فيها من حدوده ، وتقرأ : (فرَّضناها) بالتثقيل[٢]؛ يعني : بيّناها ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بينات لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكَّروا ﴿الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ هذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين ؛ فإن كانا محصنين رُجما .

قال محمدٌ : من قرأ (الزانيةُ) بالرفع فتأويله الابتداء[٣].

قال الحسنُ : والرجم في مصحف أُبيّ بن كعب ، وهو في مصحفنا أيضًا في سورة المائدة في قوله : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾[٤]حيث رجم رسول الله اليهوديين حين ارتفعوا إليه[٥].

---

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة . ينظر السبعة (٤٥٢) النشر (٢/٣٣٠) التيسير (١٦١) .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وغيرهما بالنصب . ينظر : البحر (٦/٤٢٧) ، المحتسب (٢/١٠٠) ، الإملاء (٢/٨٣) .

(٤) المائدة : (٤٤) .

(٥) رواه البخاري (٣/٢٣٧رقم ١٣٢٩) ومسلم (٣/١٣٢٦ - ١٣٢٧ رقم ١٦٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما .
ورواه مسلم (٣/١٣٢٧رقم ١٧٠٠) عن البراء بن عازب ﷺ .
ورواه مسلم (٣/١٣٢٨رقم ١٧٠١)عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
وفي الباب عن عدة من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين .

يحيى : عن المعلى ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال : « قال لي أبي بن كعب : يا زرُّ ، كم تقرءون سورة الأحزاب؟ قلت : ثلاثًا وسبعين آية . قال : قط؟ قلت : قط . قال : فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة ، وإن فيها لآية الرَّجم . قلت : وما آية الرجم يا أبا المنذر؟ قال : « إذا زنى الشيخ والشَّيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم »[1].

---

(١) رواه الطيالسي (٧٣رقم ٥٤٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٥رقم ٥٩٩٠، ٧/٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ١٣٣٦٣) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧رقم ٢/٥٧٩٢) - وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٢) والنسائي في الكبرى (٤/٢٧١ - ٢٧٢رقم ٧١٥٠) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٢ - ٨٧٤ رقم ١٢٢٦ - ١٢٣١) وابن حبان (١١/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٤٤٢٨، ٤٤٢٩) والحاكم (٢/ ٤١٥، ٤/٣٥٩) والبيهقي في السنن (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٤ - ٢٣٥) والضياء في المختارة (٣/٣٧٠ - ٣٧١ رقم ١٦٦٤ - ١٦٦٦) وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤) من طرق عن عاصم ابن أبي النجود به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن حزم : هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٨١) : وهذا إسناد حسن .

وقال ابن حجر في الموافقة : هذا حديث حسن .

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة . فقال عمر : لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت : أكتبنيها - فكأنه كره ذلك قال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا لم يُحصن جُلد ، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رُجم » .

رواه الإمام أحمد (٥/١٨٣) والطيالسي - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧ رقم ٥٧٩٣) - والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧٠ رقم ٧١٤٥) والدارمي (٢/٢٣٤ رقم ٢٣٢٣) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٠ رقم ٣٧) والحاكم (٤/ ٣٦٠) والبيهقي في الكبرى (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٥) وغيرهم .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن حزم : هذا إسناد جيد .

وقال الطبري : هذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه توهنه ولا سبب يضعفه ؛ لعدالة من بيننا وبين رسول الله ﷺ من نقله ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح ، لعلل :

إحداهما : أن هذا الحديث لا يعرف له مخرج عن عمر عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ ، إلا من هذا الوجه .

والثانية : أن قتادة من أهل التدليس ، ولا يحتج عندهم من حديث المدلس في الدين إلا بما قال فيه « سمعت » أو « حدثنا » وما أشبه ذلك ، وليس ذلك كذلك في هذا الخبر .

والثالثة : أن فيه مما أنزل من القرآن الذي كان يُقرأ ، ولو كان ذلك كذلك لكان موجودًا في مصاحف المسلمين ، وفي عدم ذلك في مصاحفهم الدليل الواضح على وهائه . اهـ

المسعودي : عن القاسم بن عبد الرحمن «أن عمر بن الخطاب حمدَ الله ثم قال : أمّا بعد ؛ فإن هذا القرآن نزل على رسول الله فكنا نقرأ : «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ» ، وآية الرجم ، وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قومٌ يقولون : لا رجمَ! وإن رسول الله قد رجم ورجمنا ؛ والله لولا أن يقول الناس : إن عمر زاد في كتاب الله لأثبتُّها ، ولقد نزلت وكتبناها»(١).

= وقد أفاض الطبري في بيان ما تضمنه هذا الحديث من الأحكام في تهذيب الآثار (٢/٨٧٥ - ٨٨٠) وكان فيما قال رحمه الله : أما خبر زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في أمره برجم الشيخ والشيخة «فارجموهما ألبتة إذا زنيا» فإن معناه : فارجموهما ألبتة إذا كانا قد أحصنا . فإن قالوا : وما البرهان على أن ذلك كذلك ، وليس ذلك موجودًا في الخبر؟ قيل : البرهان على أن ذلك كذلك إجماع الجميع من أهل العلم - قديمهم وحديثهم - على أن حكم الشيخ والشيخة إذا زنيا قبل الإحصان الجلد دون الرجم ، وفي إجماع جميعهم على ذلك أوضح البيان على أن معنى ما ذكرنا عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في الشيخ هو ما قلناه دون غيره .

وأما قول عمر : «لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت : أكتبنيها - وكأنه كره ذلك» ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل كسائر آي القرآن ؛ لأنه لو كان من القرآن لم يمتنع ﷺ من إكتابه عمر ذلك ، كما لم يمتنع من إكتاب من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه ، وفي إخبار عمر عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك ؛ الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله - تعالى ذكره - فإنه من غير القرآن الذي يُتلى ويسطر في المصاحف . اهـ

وروى الإمام مالك في الموطأ (٢/٦٢٨ - ٦٢٩ رقم ١٠) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال : «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ، أن يقول قائل : لا نجد حدين في كتاب الله! فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا ، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس : زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله - تعالى - لكتبتها : «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» فإنا قد قرأناها» .

قال مالك : قوله الشيخ والشيخة يعني : الثيب والثيبة .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٩٣) : هذا حديث مسند صحيح .

وذهب إلى أن هذا الحديث يستند من وجوه صحاح ثابتة من حديث ابن عباس عن عمر .

وقال نحوه في الاستذكار (٢٤/٦٨) وقال ابن حجر في الموافقة : هذا حديث حسن صحيح .

وروى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٥٠ رقم ٨٦٧) والحاكم (٤/٣٥٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٠٣) عن العجماء رضي الله عنها قالت : «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة» .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة .

وجوّد إسناده ابن كثير في تحفة الطالب (٣٨٤) وحسّنه ابن حجر في الموافقة (٢/٣٠٤) .

(١) رواه البخاري (١٢/١٤٠ رقم ٦٨٢٩) ومسلم (٣/١٣١٧ رقم ١٦٩١) من طريق عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب بنحوه .

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ في حكم الله ، قال قتادة : يعني : أن يجلد الجلد الشديد .

يحيى : عن الخضر بن مرّة ، عن يحيى بن أبي كثير « أن رسول الله ﷺ أتاه رجلٌ فقال : أصبت حدًّا ؛ فأقمهُ عليّ! فدعا بسوط ، فأُتي بسوط شديد . فقال : سوط دون هذا . فأُتي بسوط منكسر العجز ، فقال : فوق هذا . فأُتي بسوط بين السوطين فأمر به فجلد [جلدًا بين الجلدين] »[1].

﴿وليشهد عذابهما﴾ أي : جلدهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ يقال : (ل٢٣١) الطائفة رجل فصاعدًا .

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية ...﴾ الآية ، تفسير بعضهم يقول : نزلت في كل زانٍ وزانية ، ثم نُسِخت .

يحيى : عن نصر بن طريف قال : قال سعيد بن المسيب : « نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[2] »[3].

[﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ يريد لا يحل للمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا ، ولا عبدة الأصنام ، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركًا من عبدة الأصنام ، ولا مشهورًا بالزنا][4].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٩/٧ رقم ١٣٥١٥) ومن طريقه ابن حزم في المحلى (١٧١/١١) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير به . وما بين المعكوفين مطموس في الأصل و « ر » .

(٢) النور (٣٢) .

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٢١ رقم ٧١٢) وعبد الرزاق في تفسيره (٥١/٢) والطبري في تفسيره (١٤/١٨ - ١٥) والبيهقي في السنن (١٥٤/٧) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٦٩ - ٤٧٠)من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب .

ورواه ابن أبي حاتم (٢٥٨١/٨ رقم ١٤٤٤٤) من طريق أبي جعفر الرازي عن قتادة عن سعيد بن المسيب .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢/٥) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيدة وابن المنذر .

(٤) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿والذين يرمون﴾ أي: يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعني: الحرائر المسلمات ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يجيئون جميعًا يشهدون عليها بالزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ يجلد بالسوط ضربًا بين ضربين، وكذلك من قذف حرًّا مسلمًا. ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ العاصون، وليس بفسق الشرك؛ وهي من الكبائر ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك...﴾ الآية، تفسير الحسن وسعيد بن المسيب قالا[1]: توبته فيما بينه وبين الله ولا شهادة له.

﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ إلى قوله: ﴿ والخامسة أَنْ غضِبَ اللَّهُ[2] عليها إن كان من الصادقين﴾ **قال يحيى**: هذا إذا ارتفعا إلى الإمام، وثبت على قذفها؛ قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله إني لصادق، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين، وتقول هي أربع مرات: أشهد بالله إنه لكاذب - تعني زوجها - ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليَّ إن كان من الصادقين.

قال محمدٌ: من قرأ (أربعَ) بالنصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات[3] وهي تقرأ بالرفع على خبر الابتداء[4]؛ المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأُ حدَّ القذف أربع شهادات.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ تفسير السُّدي: يقول: لولا فضل[5] الله عليكم ونعمته

---

(١) رواه الطبري (١٨/٧٩).

وعزاه السيوطي (٥/٢٣) لعبد بن حميد.

(٢) قرأ نافع بإسكان النون مخففة، وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده، وقرأ باقي السبعة بتشديد النون ونصب ﴿غضب﴾ مضافًا إلى لفظ الجلالة. النشر (٢/٣٣٠ - ٣٣١) وإتحاف الفضلاء (٤٠٩).

(٣) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم. ينظر السبعة (٤٥٢)، البحر (٦/٤٣٤)، النشر (٢/٢٣٠).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٥) في «ر»: لولا ما منَّ.

لأهلك الكاذب من المتلاعنين ﴿وأن الله توابٌ حكيم﴾ توّاب على من تاب من ذنبه ، حكيمٌ في أمره .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ﴾ جماعة ﴿منكم﴾ تفسير قتادة : قال : هذا كان في شأن عائشة ، وما أُذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ ، فأخذ الناس في الرحيل ، وانقطعت قلادةٌ لها ؛ فطلبتها في المنزل ومضى الناس ، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك ، ثم أقبل فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره ، وإذا هو بعائشة فجاء ببعيره وولَّاها ظهره حتى ركبت ، ثم قادها فجاء وقد نزل الناس ، فتكلم في ذلك قومٌ فاتَّهموها[1].

قال يحيى : « بلغني أن عبد الله بن أبي ابن سلول وحسان بن ثابت ومسطحًا وحمنة بنت جحش هم الذين تكلموا في ذلك ، ثم شاع ذلك في الناس ؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحدٍ [منهم][2] الحدَّ »[3].

---

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٣٧، ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها مطولاً .

(٢) في «الأصل» : منهما . والمثبت من «ر» .

(٣) روى الإمام أحمد (٦/٣٥) وأبو داود (٥/١١٨ رقم ٤٤٦٩) والترمذي (٥/٣١٤ رقم ٣١٨١) والنسائي في الكبرى (٤/٣٢٥ رقم ٧٣٥١) وابن ماجه (٢/٨٥٧ رقم ٢٥٦٧) وغيرهم عن عائشة قالت : « لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك ، وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربهم حدهم » .

وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

ورواه أبو داود (٥/١١٨ رقم ٤٤٧٠) عن عمرة مرسلاً ، فسمي حسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ، وقال النفيلي : ويقولون : المرأة حمنة بنت جحش .

﴿لا تحسبوه﴾ يعني : عائشة وصفوان ﴿شرًا لكم﴾ يعني : ما قيل فيهما ﴿بل هو خير لكم لكل امرئ منهم﴾ يعني : الذين قالوا ما قالوا ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما أشاع ﴿والذي تولى كبره﴾ يعني : بدأ به منهم ﴿له عذاب عظيم﴾ قال بعضهم : هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ﴿له عذاب عظيم﴾ جهنم .

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي : بإخوانهم ﴿خيرًا وقالوا هذا إفك﴾ كذبٌ ﴿مبين﴾ بيِّنٌ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته [في الدنيا والآخرة][1] لمسّكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم﴾ فيها تقديم ؛ يقول : ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم في الدنيا والآخرة ، والإفاضة فيه كان إذا لقي الرجُل الرجل ، فيقول : أما بلغك ما قيل من أمر عائشة وصفوان ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ يعني : يرويه بعضكم عن بعض .

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي : كذبٌ .

(ل٢٣٢) ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعني : أن تنتشر[2] ﴿في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾ وهم المنافقون ؛ كانوا يحبون ذلك ، ليعيبوا به النبي عليه السلام ، ويغيظوه ، وعذاب الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة وما ينفقون في الغزو كرهًا ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي : لأهلككم ؛ فاستأصلكم ؛ يعني : الذين قالوا ما قالوا ، وليس يعني بالفضل وبالرحمة : عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم ، وقد ذكر بعد هذه الآية أنه في النار . قال : ﴿وأن الله رءوف رحيم﴾ بالمؤمنين .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ

---

(١) سقط من الأصل .

(٢) في « ر » : أن يظهر الزنا .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ فإن الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ .

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ أي : ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني : الغني ﴿أن يؤتوا أولي القربى ...﴾ الآية ، تفسير قتادة : قال : « أنزلت في أبي بكر الصديق ومِسطح ، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة ، وكان يتيمًا في حِجره ، وكان ممَّن أذاع على عائشة ما أُذيع ؛ فلما أنزل الله براءتها وعُذْرها تألَّى[١] أبو بكر ألَّا يوليه خيرًا أبدًا ، فأنزل الله هذه الآية ، وذكر لنا أن نبي الله دعا أبا بكر فتلاها عليه ، ثم قال : ألا تحب أن يعفو الله عنك؟ قال : بلى . قال : فاعف وتجاوز . فقال أبو بكر : لا جرم ، والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه إياه قبل اليوم »[٢].

﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ يعني : العفائف ﴿الغافلات﴾ يعني : أنهن لم يفعلن ما قذفن به ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ...﴾ إلى قوله : ﴿بما كانوا يعملون﴾ .

قال يحيى : بلغني أنه يعني بذلك : عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة .

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ تفسير السدي : يعني : حسابهم العدل .

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ [تفسير قتادة[٣]: الخبيثات من القول والعمل

---

(١) أي : حلف ، ومثله : أتَلَّى ، وآلَى بمعنى حلف ، مأخوذ من الأَلِيَّة ، وهو اليمين . لسان العرب (ألو) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/١٥٠ رقم ٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (٩٩/٧) : وإسناده جيد .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه الطبري (١٠٨/١٨) وابن أبي حاتم (٢٥٦١/٨ رقم ١٤٣١١) .

للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل][1] ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ مثل ذلك؛ وهذا في قصة عائشة ﴿أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ حتى تستأذنوا؛ في تفسير قتادة[2]. وفيها تقديم وتأخير: حتى تسلموا [وتستأنسوا][3].

قال محمدٌ: الاستئناس في اللغة معناه: الاستعلام؛ تقول: استأنستُ فما رأيت أحدًا؛ أي: استعلمت وتعرَّفت[4]. قال النابغة:

كأن رَحْلي وقد زال النهار بنا   بذي الجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ[5]

يعني: ثورًا أبصر شيئًا فخافه فهو فزع[6].

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سئل جابر بن عبد الله أيستأذن الرجل على والدته وإن كانت عجوزًا، أو على أخته؟! قال: نعم».

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب؛ أن عليًّا قال: «يستأذن الرجل على كل امرأةٍ إلا على امرأته».

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ

= وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٠) لعبد بن حميد وابن جرير والطبراني.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه الطبري (١٨/١١٠).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٣) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) في الأصل: وتستأذنوا.

(٤) ويقال فيه: استأنس وتأنّس. لسان العرب (أنس)

(٥) البيت من بحر البسيط، ينظر ديوان النابغة (١٧)، الخصائص(٢/٢٦٦)، شرح المفصل لابن يعيش (٦/١٦).

(٦) انظر خزانة الأدب (٣/١٨٧ - ١٨٨).

لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها أحدًا﴾ يعني : البيوت المسكونة ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ قال قتادة : لا تقف على باب قوم قد ردُّوك عن بابهم ؛ فإن للناس حاجاتٍ ولهم أشغال ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة﴾ يعني : الفنادق ﴿فيها متاع لكم﴾ قال السُّدي : يعني : منافع لكم من الحر والبرد ؛ فليس عليه (أن يستأذن)[1] فيها ؛ لأنه ليس لها أهل يسكنونها .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ يعني : يغضون أبصارهم عن جميع المعاصي ، (مِنْ) ها هنا صلةٌ زائدةٌ[2].

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي ، عن أبيه قال : « سألت رسول الله ﷺ عن النظر فجأة ، فقال : اصرف بصرك »[3].

---

(١) في « ر » : إذن .

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى ، تنظر من الدر المصون (٢١٦/٥) .

(٣) هكذا وقع هذا الإسناد في الأصل و « ر » : « عن يونس بن عبيد عن أبي زرعة » والحديث معروف برواية « يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة » ، وقوله هنا : « عن أبيه » يعني جده جريرًا جعله أبًا تجاوزًا ، والله أعلم . والحديث رواه الطيالسي في مسنده (٩٣ رقم ٦٧٢) - ومن طريقه الخطيب في الموضح (٣٢١/٢ - ٣٢٢) - عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن سعيد الأصلع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير .
قال أبو حاتم الرازي : هذا خطأ ، إنما هو يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن =

قوله : ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحلُّ لهم .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن من النظر ﴿ويحفظن فروجهن﴾ مما لا يحل لهن وهذا في الأحرار والمماليك (ل٢٣٣) ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهذا في الحرائر . تفسير ابن عباس[١] وقتادة[٢]: ما ظهر منها : هو الكحل والخاتم . وتفسير ابن مسعود[٣] والحسن[٤]: هي الثياب .

= جرير عن النبي ﷺ . علل ابن أبي حاتم (٣٤٤/٢ - ٣٤٥ رقم ٢٥٥٨) .

ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦١) ومسلم (١٦٩٩/٣ رقم ٢١٥٩) ووكيع في الزهد (٤٨١) وهناد في الزهد (١٤١٧) وابن أبي شيبة (٣٢٤/٤) وأبو داود (٤٩/٣ رقم ٢١٤١) والترمذي (٩٣/٥ - ٩٤ رقم ٢٧٧٦) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٩٠ رقم ٩٢٣٣) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٦٧/٤) - والطحاوي في شرح المعاني (١٥/٣) وفي شرح المشكل (١٢٤/٥ - ١٢٦ رقم ١٨٦٨ - ١٨٧١) وابن حبان (٣٨٣/١٢ رقم ٥٥٧١) والطبراني في المعجم الكبير (٣٣٧/٢ رقم ٢٤٠٤ - ٢٤٠٦، ٢٤٠٨) والحاكم (٣٩٦/٢) والبيهقي في السنن (٧/ ٨٩ - ٩٠) وغيرهم من طرق عن يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن جرير به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وقد أخرجه مسلم .

وقال الدارقطني بعد أن ذكر اختلافًا في هذا الحديث في علله (٤/ق١٠٤ - أ) : والصحيح حديث الثوري ومن تابعه عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير . اهـ

ورواه الطبراني في الكبير (٣٣٧/٢ رقم ٢٤٠٧) عن المقدام بن داود عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن يونس ابن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبيه « أن جريرًا سأل . . . » فزاد في إسناده « عن أبيه » .

ورواه الطبراني في الكبير (٣٣٧/٢ رقم ٢٤٠٣) وتمام في الفوائد (٧٣٩) من طريق أشعث بن سوار عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن جرير .

ورواه مصعب بن المقدام عن الثوري عن يونس عن الحسن عن جرير . خرجه الدارقطني في العلل (٤/ق١٠٤ - ب) وخطأه .

(١) رواه الطبري (١١٨/١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤٥/٥) لسعيد بن منصور وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي .

(٢) رواه عبد الرزاق (٥٦/٢) والطبري (١١٨/١٨) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٥٦/٢) والطبري (١١٧/١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤٥/٥) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه .

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٥٧٤/٨ رقم ١٤٤٠٠) .

قال يحيى : وهذه في الحرائر ، وأما الإماء فقد حدَّثنا سعيد وعثمان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن عمر بن الخطاب رأى أمَةً عليها قناعٌ ، فضربها بالدرّة - في حديث سعيد . وقال عثمان : فتناولها بالدرّة - وقال : اكشفي عن رأسك . وقال سعيد : ولا تشبهي بالحرائر »[١].

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ تسدل الخمار على جيبها تستر به نحرها ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ وهذه الزينة الباطنة ﴿إلا لبعولتهن﴾ يعني : أزواجَهُنّ إلى قوله : ﴿أو نسائهن﴾ يعني : المسلمات يرين منها ما يرى ذو المحرم ، ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسيّة ﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة﴾ يعني : الحاجة إلى النساء ، تفسير قتادة[٢]: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ، ولا يغار عليه الرجل .

قال محمدٌ : من قرأ (غير) بالخفض[٣]، فعلى أنه صفة للتابعين[٤]؛ المعنى : لكل تابع غير أولي الإربة ، ومن نصب (غير)[٥] فعلى الحال[٦]؛ المعنى : أو التابعين لا مريدين النساء في هذه الحال .

قال يحيى : فهذه ثلاثُ حُرمٍ بعضها أعظم من بعض ، منهن الزوج الذي يحل له كل شيءٍ [منها][٧] فهذه حرمَةٌ ليست لغيره .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٣٦/٢ رقم ٥٠٦٤) عن معمر عن قتادة .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣٠/٢ - ٢٣١) من طريق شعبة عن قتادة .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق الزهري عن أنس .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق المختار بن فلفل عن أنس بنحوه .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) عن أبي قلابة قال : « كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تقنع . قال : قال عمر : إنما القناع للحرائر ؛ لكيلا يؤذين » .
ورواه عبد الرزاق (١٣٦/٣ رقم ٥٠٦٢) والبيهقي (٢٣٦/٢ - ٢٣٧) من طريق صفية بنت أبي عبيد عن عمر مطولا .
وقال البيهقي : والآثار عن عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك صحيحة ، وإنها تدل على أن رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المهنة ليس بعورة .

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢٥٧٨/٨ رقم ١٤٤٢٧) .

(٣) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وعاصم . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، السبعة (٤٥٥) ، النشر (٣٣٢/٢) .

(٤) أو على البدل . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٣٩/٢) معاني القرآن للفراء (٢٥٠/٢) .

(٥) وهي قراءة ابن عامر وعاصم كما تقدم .

(٦) أو الاستثناء . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٣٩/٢) .

(٧) من « ر » .

ومنهن الأبُ ، والابنُ ، والأخ ، والعم ، والخال ، وابن الأخ ، وابن الأخت ، والرضاع في هذا بمنزلة النسب ؛ فلا يحل لهؤلاء - في تفسير الحسن - أن ينظروا إلى الشَّعر والصدر والساق وأشباه ذلك . وقال ابن عباس[1]: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والخلخالين .

وحرمةٌ ثالثة فيهم أبو الزوج ، وابن الزوج ، والتابع غير أولي الإربة ومملوك المرأة ؛ لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق وخمار صفيق بغير جلبابٍ .

قوله : ﴿أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال قتادة[2]: يعني : من لم يبلغ الحُلم ولا النكاح .

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة[3]: كانت المرأة تضرب برجليها إذا مرّت بالمجلس ليُسمع قعقعة الخلخالين ، فنهين عن ذلك .

﴿وتوبوا إلى اللَّه جميعًا﴾ من ذنوبكم ﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة .

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ يعني : كل امرأة ليس لها زوج .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/١٢٠) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٨) لعبد بن حميد .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٨) لعبد بن حميد .

قال محمدٌ : يقال : امرأة أيمٌ ، ورجلٌ أيمٌ[١]، ورجلٌ أرملٌ ، وامرأةٌ أرملةٌ[٢].

﴿والصالحين من عبادكم﴾ يعني : المملوكين المسلمين ﴿وإمائكم﴾ المسلمات ، وهذه رخصةٌ وليس على الرجل بواجب أن يُزَوِّج أمته وعبده ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم اللَّه من فضله﴾ .

يحيى : عن عبد العزيز بن أبي روَّاد ؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « اطلبوا الغنى في هذه الآية : ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم اللَّه من فضله﴾ »[٣][٤].

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ؛ أن عمر بن الخطاب كان يقول : « ما رأيت مثل رجلٍ لم يلتمس الغنى في الباءة ، واللَّه يقول : ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم اللَّه من فضله﴾ »[٥].

﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا﴾ تفسير الحسن[٦]: إن علمتم عندهم مالاً . وقال قتادة : إن علمتم عندهم صدقًا ووفاءً وأمانةً .

قوله : ﴿وآتوهم من مال اللَّه الذي آتاكم﴾ قال قتادة : أن يترك لهم طائفة من مكسبته ﴿ولا تكرهو فتياتكم على البغاء إن أردن تحصُّنًا﴾ [البغاء : الزنا][٧] ﴿تحصنًا﴾ أي : عفة وإسلامًا .

وبلغنا عن الزهري قال : نزلت في أمةٍ كانت لعبد اللَّه بن أبي ابن سلول كان يكرهها على رجلٍ من قريش يريدها لنفسه رجاء أن تلد منه ، فيفدي ولده ، فذلك (ل٢٣٤) الغرض الذي كان ابن أبي [ابن][٨] سلول يبتغي ﴿ومن يكرههن فإن اللَّه من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ وكذلك هي في حرف ابن مسعود ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني : القرآن ﴿ومثلاً من الذين خلوا من

---

(١) الأيم : الذي لا زوج له من الرجال والنساء ، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرًا كانت أو ثيبًا . مختار الصحاح (أيم) .

(٢) لسان العرب (رمل) .

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المعضل ، وله طرق أخرى بنحوه ، انظر تخريج الكشاف (٢/٤٤٣ - ٤٤٤) .

(٤) سقط من « ر » .

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/١٧٣ رقم ١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة به .

ورواه أيضًا (٦/١٧٠ - ١٧١ رقم ١٠٣٨٥) عن هشام بن حسان عن الحسن عن عمر ﷺ .

(٦) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٥٨٤ رقم ١٤٤٩٣) .

(٧) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٨) سقط من الأصل و «ر» .

قبلكم﴾ يعني : أخبار الأمم السابقة .

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿الله نور السموات والأرض﴾ يعني : بنوره يهتدي من في السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿كمشكاة﴾ تفسير ابن عمر[1] قال : المشكاة : الكُوَّة[2] في البيت التي ليست بنافذة ﴿فيها مصباح﴾ يعني : السِّراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني : القنديل ﴿الزجاجةُ كأنها كوكب دريٌّ﴾ أي : منير ضخم .

قال محمدٌ : من قرأ (دُرِّيٌّ) بلا همزٍ ، فهو منسوبٌ إلى الدُّر[3]، ومن قرأ (دِرِّيء) بالهمز وكسر الدال[4]؛ فهو من النجوم الدراري[5].

قوله : ﴿يُوقَدُ﴾ يعني : المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية﴾ قال قتادة[6]: يعني : لا يفيء عليها ظلُّ شرقٍ ولا غربٍ هي ضاحية للشمس ، وهي أصفى الزيت وأعذبه قال بعضهم : هي في سفح جبلٍ ﴿يكاد زيتها﴾ يعني : الزجاجة ﴿يضيء ولو لم تمسسه نارٌ﴾ وهذا مثل قلب المؤمن ، يكاد يعرف الحق من قبل أن يتبينّ له فيما يذهب إليه من موافقة الحق فيما أُمر به ، وفيما يذهب إليه من كراهيته ما يُنهى عنه ﴿نورٌ على نورٍ﴾ قال مجاهد : نور الزجاجة ونور الزَّيت ونور المصباح ؛ فكذلك قلب المؤمن إذا تبينَّ له الحق صار نورًا على نورٍ .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٥/٥٤) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) في حاشية الأصل : الفتحة . وفي لسان العرب : الكوة : ثقب البيت ، وهي بفتح الكاف وضمها ، والجمع كِوَاء بالمد والقصر . لسان العرب (كوى) .

(٣) واحدها : دُرّة ؛ وهي اللؤلؤة ، وتجمع أيضًا على دُرّات ، ودُرر . لسان العرب (درر) .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو ، والكسائي . ينظر السبعة (٤٥٦) البحر (٦/٤٥٦) ، النشر (٢/٣٣٢) .

(٥) وواحدها : (دُرِّي) ؛ وهو الثاقب المضيء . لسان العرب (درر) .

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٦٠) .

﴿في بيوتٍ أذن الله أن ترفع﴾ تفسير مجاهد[١]: أن تُبنَى ؛ يعني : المساجد .

يحيى : عن مندل بن علي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « من بنى مسجدًا لله ولو مثل مفحص قطاة بُني له بيتٌ في الجنة »[٢].

---

(١) رواه الطبري (١٤٤/١٨) وابن أبي حاتم (٢٦٠٥/٨ رقم ١٤٦٣٣) .

(٢) تابع مندل بن علي عليه جماعةٌ :

منهم : قطبة بن عبد العزيز ، عند ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١٧٢/١ رقم ٥/٣٦٢) - وأبي يعلى - كما في المطالب العالية (١٧٢/١ رقم ٨/٣٦٢) - والطبراني في الصغير (١٣٨/٢) وابن حبان في صحيحه (٤٩٠/٤ رقم ١٦١٠) وأبي نعيم في الحلية (٢١٧/٤) والبيهقي في السنن (٤٣٧/٢) .

ومنهم : أبو بكر بن عياش ، عند البزار (٤١٢/٩ رقم ٤٠١٧) وأبي يعلى - كما في إتحاف الخيرة (١٢/٢ رقم ٩٣٨/ ٧) - والطحاوي في المشكل (٢١٠/٤ رقم ١٥٥٠) والروياني - كما في المطالب (١٧١/١ رقم ٣/٣٦٢) - والبيهقي (٤٣٧/٢) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩١/١ رقم ٤٧٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش .

وقال أحمد بن يونس : ما رفعه أحد من أصحاب الأعمش غير أبي بكر . قال أحمد : فقيل لأبي بكر : إنه لم يرفعه غيرك! قال : سمعته من الأعمش وهو شاب .

ومنهم : يعلى بن عبيد ، من رواية أخيه محمد بن عبيد عنه ، عند ابن حبان (٤٩١/٤ رقم ١٦١١) والطحاوي في المشكل (٢١١/٤ رقم ١٥٥٢) .

قال الدارقطني في الأفراد : غريب من حديث الأعمش مرفوعًا إلى النبي ﷺ وغريب من حديث يعلى بن عبيد عنه ، تفرد به أخوه محمد ، وعنه محمد بن حرب . أطراف الغرائب (٥٤/٥) .

ومنهم : سفيان الثوري ، من رواية سلم بن جنادة عن وكيع عنه ، عند البزار (٤١٢/٩ رقم ٤٠١٦) .

قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن سفيان مرفوعًا إلا سلم بن جنادة عن وكيع ، ولا نعلم أن سلم بن جنادة توبع على هذا الحديث ، وإنما يعرف هذا الحديث مرفوعًا من حديث أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش ، ورواه يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز .

وقال الدارقطني : غريب من حديث الثوري عن الأعمش عنه مرفوعًا ، وغريب من حديث وكيع عنه ، تفرد به أبو السائب سلم بن جنادة . أطراف الغرائب (٥٤/٥) .

ورواه مؤمل عن سفيان الثوري عن الأعمش مرفوعًا ، عند الطحاوي في المشكل (٢٠٩/٤ رقم ١٥٤٩) .

ومنهم : شريك من رواية علي بن حكيم عنه ، عند الطحاوي في المشكل (٢١٠/٤ رقم ١٥٥١) .

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان : هكذا رواه عدة من أصحاب شريك فلم يرفعوه ، والصحيح عن أبي ذر من حديث شريك موقوف . قال أبو حاتم : ورواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش ورفعه ، ونفس الحديث موقوف ، وهو أصح . قال ابن أبي حاتم : وحدثني أبي قال : حدثنا حماد بن زاذان قال : سمعت ابن مهدي قال : حديث الأعمش « من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة » ليس من صحيح حديث الأعمش . علل ابن أبي حاتم (٩٧/١ رقم ٢٦١) . =

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ الغدوُّ : صلاة الصبح ، والآصال : العشي : الظهر والعصر ، وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء ، وجميع الصلوات الخمس .

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ﴾ التجارة : الجالبُ [للمتاع][1] والبيع : الذي يبيع على يديه ﴿عن ذكر الله﴾ ذكر الله في هذا الموضع : الأذان ؛ كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة ﴿وإقام الصلاة﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿وإيتاء الزكاة﴾ يعني : المفروضة ﴿يخافون يومًا تتقلَّب فيه القلوب والأبصار﴾ يعني : قلوب الكفار وأبصارهم ، وتقلب القلوب : أن القلوب

= ومنهم : سفيان بن عيينة من رواية مؤمل بن إسماعيل عنه ، عند الطبراني في المعجم الصغير (٢/١٢٠) .

وقال الطبراني : لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل .

وخالفهم جماعة كثيرة فأوقفوه ، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٣٠٩ - ٣١٠) عن أبي معاوية ، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣٦٢) - عن عيسى بن يونس وجرير وأبي معاوية ، ورواه الطيالسي في مسنده (٦٢ رقم ٤٦١) عن قيس بن الربيع ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢١٧) من طريق الفريابي وأبي حذيفة النهدي عن الثوري ، ورواه البيهقي (٢/٤٣٧) من طريق يعلى بن عبيد ، كلهم عن الأعمش به موقوفًا .

ورواه الحكم بن عتيبة عن يزيد بن شريك عن أبي ذر ﷺ موقوفًا ، خرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣٦٢/٣) - والطحاوي في المشكل (٤/٢١٢) .

ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/١٧٣ رقم ٣٦٢/٤) - عن المعتمر بن سليمان ، عن حجاج عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي مرسلًا .

وبسط الدارقطني في العلل (٦/٢٧٤ - ٢٧٦ رقم ١١٣٤) الاختلاف فيه ، ثم قال : والموقوف أشبههما بالصواب . اهـ

قلت : وهذا المتن متواتر ؛ قال ابن حجر في المطالب (١/١٧٢) : وقد جمعت طرقه في جزءٍ كبير ، كتبت فيه عن نيف وثلاثين صحابيًا .

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

انتُزِعَت من أماكنها، فغصَّت بها الحناجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج، وأما تقلُّب الأبصار فالزُّرقُ بعد الكحلِ، والعمى بعد البصر ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ (ثواب ما عملوا)[1] يجزيهم به الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فأهل الجنة أبدًا في مزيد ﴿والله يرزق من يشاء بغير حسابٍ﴾ تفسير بعضهم: يقول: لا يحاسبهم أبدًا بما أعطاهم الله.

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ قال مجاهد: وهو القاعُ القرقرة[2] ﴿يحسبه الظمآن﴾ العطشان ﴿ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا﴾ والعطشان مثل الكافر، والسراب (مثل عمله؛ يحسب أنه يُغني عنه شيئًا حتى يأتيه الموت؛ فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا)[3] إلا كما ينفع السراب العطشان.

قال محمدٌ: القيعة والقاع عند أهل اللغة: ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبات[4] - وهو الذي أراد مجاهدٌ - فالذي (يصير)[5] فيه نصف النهار يرى كأن فيه ماءً يجري، وذلك هو السراب.

قوله: ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ يعني: ثواب عمله، وهو النار يوم القيامة ﴿والله سريع الحساب﴾ أي: قد جاء الحساب ﴿أو كظلماتٍ في بحر لجي﴾ أي: عميق[6] (ل٢٣٥) ﴿يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض﴾ يعني: ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، هذا مثل الكافر؛ يقول: قلبه مظلم في صدرٍ مظلم في جسدٍ مظلم ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدَّة الظلمة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى

---

(١) سقط من «ر».
(٢) أي: المنخفض اللين، وقيل: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. لسان العرب (قرق).
(٣) سقط من «ر».
(٤) ويجمع على: أقوع، وأقواع، وقيعان. وقيل: القيعة مثل القاع، وبعضهم يقول: هو جمع (قاعة). مختار الصحاح (قوع).
(٥) كذا في الأصل و «ر».
(٦) يقال: غمره الماء؛ أي: علاه، والغَمْر: الكثير منه، والغُمَر: الشدائد. لسان العرب (غمر).

سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ألم تر أن اللَّه يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾ بأجنحتها ﴿كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ تفسير مجاهد[1]: الصلاة للمؤمنين، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق.

﴿ألم تر أن اللَّه يُزجي﴾ أي: ينشئ ﴿سحابًا ثمَّ يؤلف بينه﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ثم يجعله ركامًا﴾ بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السَّحاب ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ﴾ ينزل من تلك الجبال التي هي من بَرَدٍ[2] ﴿فيصيب به من يشاء﴾ فيُهلِك الزرع ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ يصرف ذلك البرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: ضوء برقه.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٨/١٥٢) وابن أبي حاتم (٨/٢٦١٦ رقم ١٤٧٠٢) وأبو الشيخ في العظمة (٥/١٧٣ رقم ١٢١٣). وعزاه السيوطي في الدر (٥/٥٨ - ٥٩) لابن أبي شيبة وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٢) البَرَدُ: حبُّ الغمام، ويقال: سحاب برِد؛ أي: صار ذا بَرَدٍ، وسحابة بردة أيضًا. لسان العرب (برد).

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ كقوله: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[1] هو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه.

﴿والله خلق كل دابة من ماءٍ﴾ يعني: النطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ الحيّة ﴿ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك.

﴿ويقولون آمنا بالله ...﴾ إلى قوله: ﴿معرضون﴾ يعني: المنافقين يظهرون الإيمان، ويسرون الشرك ﴿وإن يكن لهم الحق ...﴾ الآية، تفسير الحسن[2] قال: كان الرجل يكون له على الرجل الحق على عهد النبي؛ فإذا قال له: انطلق معي إلى النّبي، فإن عرف أن الحق له ذهب معه، وإن عرف أنه يطلب باطلاً أبى أن يأتي النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وإذا دعوا إلى الله ...﴾ إلى قوله: ﴿مذعنين﴾ أي: سراعًا ﴿أفي قلوبهم مرضٌ﴾ وهو الشرك ﴿أم ارتابوا﴾ شكّوا في الله وفي رسوله؛ قاله على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك ﴿أم يخافون أن يحيف الله﴾ أي: يجور الله ﴿عليهم ورسوله﴾ أي: قد خافوا ذلك ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ويتقه﴾ فيما بقي ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أي: الناجون.

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: المنافقين ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾ إلى الجهاد، قال الله: ﴿قل لا تقسموا﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿طاعةٌ معروفةٌ إن الله خبيرٌ بما تعملون﴾ أي: طاعة معروفة خيرٌ مما تسرون من النفاق، وهذا من الإضمار.

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

---

(١) الحج: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، والحديد: ٦.

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٢٢/٨ رقم ١٤٧٤٠).

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يعني : المنافقين ، ثم قال : ﴿فإن تولوا﴾ يعني : فإن أعرضتم عنهما ﴿فإنما عليه﴾ يعني : الرسول ﴿ماحُمِّل﴾ من البلاغ ﴿وعليكم ما حمّلتم﴾ من طاعته ﴿وإن تطيعوه﴾ يعني : النبي ﷺ ﴿تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ كقوله : ﴿وما جعلناك عليهم حفيظًا﴾[1] تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها .

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿وليُمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ أي : سينصرهم بالإسلام ؛ حتى يظهرهم على الدين كله ؛ فيكونوا الحكام على أهل الأديان[2].

يحيى : عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن [سليم][3] بن عامر الكلاعي قال : سمعت المقداد بن الأسود يقول : سمعت رسول الله يقول : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر[4] ولا وَبَر[5]، إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعزِّ عزيز أو ذُلِّ ذليل ؛ إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وإما يذلهم[6] فيدينون لها »[7] من حديث يحيى بن محمد .

---

(١) الأنعام : ١٠٧ .

(٢) في « ر » : الأوثان .

(٣) تشبه أن تكون في الأصل و « ر » : سليمان . والمثبت هو الصواب ، سليم بن عامر الكلاعي هو أبو يحيى الحمصي ، ترجمته في تهذيب الكمال (١١/٣٤٤ - ٣٤٦) والحديث حديثه وسيأتي من رواه من طريقه ،.والاختلاف عليه فيه ، وسيأتي على الصواب في تفسير سورة الصف ، الآية : ٩.

(٤) واحدها : مدرة ؛ وهي القرية المبنية بالطين واللبن . وأهل المدر : سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام . ينظر لسان العرب (مدر) .

(٥) وأهل الوبر : هم أهل البادية ؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر ، وهو الصوف . لسان العرب (وبر) .

(٦) في « ر » : يضلهم .

(٧) رواه الإمام أحمد (٦/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥١) والطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٦٠١) وفي مسند الشاميين (١/٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ٥٧٢) وابن حبان في صحيحه (١٥/٩١ - ٩٢ رقم ٦٦٩٩) والحاكم في المستدرك (٤/٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨١ - ٩٨٢ رقم ١٠٨٤) والبيهقي في السنن (٩/١٨١) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/٢١٩ رقم ٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر عن المقداد به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وخالف صفوانُ بن عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ؛ فرواه عن سليم بن عامر عن تميم الداري .

﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت][1] يعني: فسق الشرك (ل٢٣٦) ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ أي: لا تحسبنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنحاسبهم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ

= خرجه الإمام أحمد (١٠٣/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (١٥٠/٢) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣١) والطحاوي في مشكل الآثار (٤٥٨/١٥ - ٤٥٩ رقم ٦١٥٥) والطبراني في مسند الشاميين (٧٩/٢ - ٨٠ رقم ٩٥١) والحاكم (٤٣٠/٤ - ٤٣١) وابن منده في الإيمان (٩٨٢/٢ رقم ١٠٨٥) والبيهقي (١٨١/٩).

وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وتابع معاويةُ بن صالح صفوان عليه.

خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨/٢ رقم ١٢٨٠).

وله شاهد يرويه أبو فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني. خرجه الحاكم (٤٨٨/١ - ٤٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠، ١٢٣/٦ - ١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث رواته مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد ابن سنان.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة تفرد به أبو فروة.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣٧/٤٠) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن أبي فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة الخشني.

قال البخاري في تاريخه الكبير (٤٣٦/٦) عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة، روى عنه عروة بن رويم الشامي، في صحة خبره نظر. اهـ

وقال ابن عساكر: روى إبراهيم بن سعيد الجوهري هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأموي عن أبي فروة عن عقبة بن يريم الدمشقي. اهـ

قلت: رواه الحاكم (١٥٥/٣) من طريق البغوي عن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، ثنا عقبة بن رويم، قال سمعت أبا ثعلبة الخشني به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي فقال: قلت: يزيد بن سنان هو الرهاوي، ضعفه أحمد وغيره، وعقبة نكرة، لا يُعرف. اهـ

وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة، وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير.

(١) طمس في حاشية الأصل، والمثبت من «ر».

عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ هم المملوكون من الرجال [والنساء][١] الذين يخدمون الرجل في بيته ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني : الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئًا ﴿ثلاث مراتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهو نصف النهار عند القائلة[٢] ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين يحسنون الوصف أن يدخلوا إلا بإذن ، إلا ألا يكون للرجل إلى أهله حاجة ، ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله الحاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد ؛ فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهن﴾ من بعد هذه الثلاث ساعات ، أن تدخلوا بغير إذن ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي : يطوف بعضكم على بعض ؛ أي : يدخلون بغير إذن .

قال محمدٌ : (طوافون) مرفوع بمعنى : هم طوافون عليكم بعضكم على بعض ؛ أي : يطوف بعضكم على بعض[٣].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني : من احتلم ﴿كذلك﴾ أي : هكذا ﴿يبيِّنُ اللّٰه لكم آياته واللّٰه عليمٌ﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ أي : قد كبرن عن ذلك ولا يردنه ﴿فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابهن غير متبرجاتٍ بزينة﴾

---

(١) في الأصل : والإماء . والمثبت من « ر » .

(٢) القائلة : الظهيرة ، والقيلولة : النوم الظهيرة ، ويقال : قيلولة ، ومَقِيل . لسان العرب (قيل) .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٤٥٣/٢) ، مجمع البيان (١٩٩/٢) ، البحر (٤٧٢/٦) .

يعني : غير متزينة ولا متشوِّفة[١].

قال قتادة[٢]: رخص للتي لا تحيض ، ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها ، وأما التي قد قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحدّ فلا ﴿وأن يستعففن﴾ يعني : اللاتي لا يرجون نكاحًا عن ترك الجلباب ﴿خيرٌ لهن﴾ .

قال محمدٌ : القواعد واحدتها : قاعدٌ بلا هاء ؛ ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكِبَر[٣]، كما قالوا : امرأةٌ حاملٌ بلا هاءٍ ليدل بحذف الهاء على أنه حمْلُ حبلٍ ، وقالوا في غير ذلك : قاعدةٌ في بيتها ، وحاملةٌ على ظهرها[٤].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ تفسير قتادة[٥] قال : منعت البيوت زمانًا كان الرجل لا يتضيّف أحدًا ولا يأكل في بيت غيره تأثُّمًا من ذلك .

قال يحيى : بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[٦] قال قتادة : فكان أول من رخص الله له الأعمى والأعرج والمريض ، ثم رخص الله

---

(١) أي : مُتزيِّنة ، ومُتطلِّعة . لسان العرب (شوف) .

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٠ رقم ١٤٨٣٤) .

(٣) أي : القعود عن الولد والحيض . أما القعود الذي هو من القيام ؛ فالمفرد : قاعدة ، والجمع : قاعدات . لسان العرب (قعد) .

(٤) ينظر لسان العرب (حمل) .

(٥) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٤ رقم ١٤٨٦١) .

(٦) النساء : ٢٩.

لعَامة المؤمنين ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم .. ﴾ إلى قوله : ﴿أو صديقكم﴾ فقوله : ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قال بعضهم : هم المملوكون الذين هم خزنةٌ على بيوت مواليهم . وقوله : ﴿صديقكم﴾ قيل للحسن : الرجل يدخل على الرجل - يعني : صديقه - فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت ؛ فيأكل منه؟ فقال : كُلْ من طعام أخيك .

قال يحيى : لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن ، فرأيت أن النبي ﷺ إنما قال : « أنت ومالك لأبيك »[١] من هذه الآية .

قال محمدٌ : وقيل في قوله : ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ : أنه أراد من أموال نسائكم ومن ضيعة[٢] منازلكم والله أعلم .

﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا﴾ تفسير قتادة[٣]: قال : كان بنو كنانة يرى أحدهم أن محرّمًا عليه أن يأكل [وحده][٤] في [الجاهلية][٤] حتى إن كان الرجل ليسوق [الذود الحفل][٤] وهو جائع حتى يجد من (ل٢٣٧) يؤاكله ويشاربه ، وكان الرجل يتخذ الخيال إلى جنبه إذا لم يجد من يؤاكل ويشارب ، فأنزل الله هذه الآية .

---

(١) روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعمر بن الخطاب وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ .
أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فرواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤) وأبو داود (٤/١٩١ رقم ٣٥٢٤) وابن ماجه (٢/٧٦٩ رقم ٢٢٩٢) وابن الجارود في المنتقى (٩٩٥) والطحاوي في شرح المعاني (٤/١٥٨) والبيهقي في السنن (٧/٤٨٠) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .
وأما حديث عائشة رضي الله عنها فرواه ابن حبان في صحيحه (٢/١٤٢ رقم ٤١٠) قال ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ق٢٨٢ - ب) هذا الحديث مروي من طرق أصحها طريق عائشة .
قلت : باقي أحاديث الباب الكلام عليها مستفيض ، انظر البدر المنير (٥/ق٢٨٢ - ٢٨٤) ونصب الراية (٣/٣٣٧ - ٣٣٩) وغيرهما .

(٢) وفي مختار الصحاح (ضيع) : قال الأزهري : الضيعة عند الحاضرة : النخل والكرم والأرض ، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة .

(٣) رواه الطبري (١٨/١٧٢) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٩ رقم ١٤٨٨٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦٤) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) ما بين المعقوفات مطموس في الأصل ، وأثبته من « ر » .

﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم﴾ أي : يسلم بعضكم على بعض ، وإذا دخل الرجل بيته سلّم عليهم ، وإذا دخل بيتًا لا أحد فيه فليقل : سلامٌ علينا وعلى عباد اللّه الصالحين .

قال قتادة[1]: حُدِّثنا أن الملائكة تردُّ عليه ، وإذا دخل على قوم سلم عليهم ، وإذا خرج من عندهم سلم وإن مرَّ بهم أو لقيهم سلم عليهم ، وإن كان رجلًا واحدًا سلم عليه وإذا دخل المسجد قال : بسم اللّه سلامٌ على رسول اللّه ، اللّهم اغفر لي ذنبي ؛ وافتح لي باب رحمتك ، فإن كان مسجدًا كثير الأهل سلم عليهم يسمعُ نفسه ، وإن كانوا قليلاً أسمعهم التسليم وإن لم يكن فيه أحدٌ قال : السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، السلام علينا من ربنا .

يحيى : عن الخليل بن مرَّة ، أن ابن مسعودٍ قال : « إن السلام اسمٌ من أسماء اللّه وضعه في الأرض ؛ فأفشوه بينكم ، فإن المرء المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه (كانت له عليهم فضيلة درجة ؛ فإنه ذكرهم السلام ، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه)[2] من هو خير منهم وأطيب : الملائكة »[3].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٥١/٨ رقم ١٤٩٠٢) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٤ رقم ١٠٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٨/٨ رقم ٥٧٩٦) وابن عبد البر في التمهيد (٢٩٢/٥ - ٢٩٣) والخطيب في الموضح (٤٠٩/١ - ٤١٠) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٧٩) من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ موقوفًا .

ورواه البزار (١٧٤/٥ - ١٧٥ رقم ١٧٧٠) والطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩٢) وابن حبان في روضة العقلاء (ص٧٤) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٠) من طريق ورقاء بن عمر اليشكري عن الأعمش به مرفوعًا .

وضعفه البيهقي من هذا الوجه .

ورواه البزار (١٧٤/٥ - ١٧٥ رقم ١٧٧١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٢) من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن الأعمش به مرفوعًا .

ورواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ - ٤٣٣ رقم ٨٧٨١، ٨٧٨٣) من طريق أيوب بن جابر عن الأعمش به مرفوعًا .

وضعفه البيهقي من هذا الوجه أيضًا .

وقال البزار : وهذا الحديث قد رواه غير واحد موقوفًا ، وأسنده ورقاء وشريك وأيوب بن جابر .

وقال الدارقطني في العلل (٧٦/٥) : والموقوف أصح .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا الرسول ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ أي: مخلصين غير منافقين ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ وذكر قتادة: أنها نسخت الآية في براءة ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[1] وهي عنده في الجهاد؛ فرخص الله للمؤمنين أن يستأذنوا إذا كان لهم عذرٌ.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ قال مجاهدٌ[2]: أمرهم أن يدعوه: يا رسول الله؛ في لينٍ وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا﴾ يعني: المنافقين؛ يلوذ بعضهم ببعضٍ استتارًا من النبي حتى يذهبوا.

قال محمدٌ: اللواذ مصدر: لاوذتُ (فعل اثنين)[3] ولو كان مصدرًا للذتُ لكان لياذًا[4].

= وقال ابن حجر في الفتح (١١/١٥): أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، وطريق الموقوف أقوى.

(١) التوبة: ٤٣، وينظر الناسخ والمنسوخ ص ٥٢.

(٢) رواه الطبري (١٨/١٧٧) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٥٥ رقم ١٤٩٢٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦٦) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في «ر»: على اثنين.

(٤) يقال: لاذ يلوذ لوْذًا ولِياذًا. ولاوَذ: مُلاوَذة، ولِواذًا. لسان العرب (لوذ).

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ عن أمر اللّٰه ، يعني : المنافقين ﴿أن تصيبهم فتنةٌ﴾ بليَّةٌ ﴿أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾ أن يستخرج اللّٰه ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه شركًا ؛ فيصيبهم بذلك القتل ﴿ألا إن للّٰه ما في السمٰوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ يعني : المنافقين ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يرجع إليه المنافقون يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من النفاق والكفر ﴿واللّٰه بكل شيءٍ عليم﴾ .



تفسير سورة الفرقان وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾

قوله: ﴿تبارك﴾ [هو من][1] البركة.

قال محمد: ومعنى البركة عند أهل اللغة: الكثرة في كل ذي خير[2].

﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن، وفرقانه: حلاله وحرامه.

قال محمد: وقيل: سمي فرقانًا؛ لأنه فرّق بين الحق والباطل، وهو معنى قول يحيى.

﴿على عبده﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ يعني: الإنس والجن ﴿نذيرًا﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿واتخذوا من دونه﴾ من دون الله ﴿آلهة﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون﴾ أي: يصنعونها بأيديهم كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[3] ﴿ولا يملكون لأنفسم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرًا ولا نفعًا ...﴾ الآية.

﴿إنْ هذا﴾ يعنون: القرآن ﴿إلا أفك﴾ كذبٌ ﴿افتراه﴾ اختلقه؛ يعنون: محمدًا ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال الكلبي: يعنون عبد ابن الحضرمي وعدّاسًا غلام عُتْبة. قال: ﴿فقد جاءوا ظلمًا﴾

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (برك).
(٣) الصافات: ٩٥.

أي : شركًا ﴿وزورًا﴾ كذبًا .

(ل٢٣٨) **قال محمدٌ** : نصب (ظلمًا وزورًا) على معنى : فقد جاءوا بظلم وبزور ، فلما سقطت الباء عُدِّي الفعل فنصب[1].

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي : أحاديث الأولين ﴿اكتتبها﴾ محمد من عبد ابن الحضرمي وعدَّاس ﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا﴾ .

قال محمدٌ : (أساطير) خبر ابتداء محذوف ؛ المعنى : وقالوا : الذي جاء به أساطير الأولين[2]، وواحد الأساطير : أُسطورة[3].

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ فيما يدعي ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا﴾ يصدِّقه بمقالته ﴿أو يلقى إليه كنزٌ﴾ فإنه فقير ﴿أو تكون له جنةٌ يأكل منها﴾ .

قال محمدٌ : تأويل هذا الاستفهام[4] ونُصِبَ (فيكون) على الجواب بالفاء[5]، ولا يجوز النصب في ﴿تكون له﴾ لأنه عطف على الاستفهام[6]؛ المعنى : لولا أنزل إليه ملكٌ أو يلقى إليه كنزٌ أو تكون له جنة .

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٢٤٢) ، البحر المحيط (٦/٤٨١)

(٢) ينظر : البحر (٦/٤٨٢) ، مجمع البيان (٤/١٦١) .

(٣) الأساطير : الأباطيل . الواحدة : أسطورة ، وإسطارة . لسان العرب (سطر) .

(٤) أي : أن تأويل هذه الآية يكون على الاستفهام .

(٥) أي : نصب بعد فاء السببية .

(٦) أي : أنه مرفوع ؛ لأنه ليس معطوفًا على (فيكون) المنصوب . ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٤٥٨)، البحر (٦/٤٨٣) .

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني : قولهم : إن هذا إلا إفكٌ افتراه ، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ وقولهم : ﴿مال هذا الرسول ...﴾ إلى قوله : ﴿مسحورًا﴾ .

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا﴾ يعني : مخرجًا من الأمثال التي ضربوا لك ؛ في تفسير مجاهد(١).

﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ وإنما قالوا : هي جنةٌ واحدةٌ ﴿ويجعل لك قصورًا﴾ مشيَّدة في الدنيا ، وهذا على مقرإ من لم يرفعها ، ومن قرأها بالرفع ؛ فالمعنى : وسيجعل لك قصورًا في الآخرة(٢).

قال محمدٌ : من قرأ بالجزم ، فهو على جواب الجزاء ؛ المعنى : إن يشأ يجعل لك جنات ، ويجعل لك قصورًا في الآخرة(٣).

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ مسيرة خمسمائة سنة(٤) ﴿سمعوا لها تغيظًا﴾ عليهم ﴿وزفيرًا﴾ صوتًا ﴿وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين﴾ تفسير قتادة(٥): ذُكر لنا أنَّ عبد اللَّه بن عمرو كان يقول : «إن جهنم لتُضَيَّق على الكافر ؛ كضيق الزُّج(٦) على الرمح» .

---

(١) رواه الطبري (١٨/١٨٥) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٥ رقم ١٤٩٨٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦٩) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو بكر ، وقرأ الباقون بالجزم . ينظر السبعة (٤٦٢) ، التيسير (١٦٣) ، النشر (٢/ ٣٣٣) .

(٣) ينظر تفصيل ذلك نحويًا من إعراب القرآن (٢/٤٥٩) ، البحر (٦/٤٨٤) ، مجمع البيان (٤/١٥٩ - ١٦٠) .

(٤) في «ر» : مائة سنة .

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٨ رقم ١٥٠٠٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧٠) لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح والجمع : زِجَجة ، وزِجاج . لسان العرب (زجج) .

ومعنى (مقرنين) : يقرن هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلةٍ واحدة ، يلعن كل واحدٍ منهما صاحبه ، ويتبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿دَعوا هنالك ثبورًا﴾ يعني : ويلًا وهلاكًا .

قال محمدٌ : (ثبورًا) نصب على المصدر ؛ كأنهم قالوا : ثُبِرْنا ثبورًا[١].

﴿لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا﴾ .

قال محمدٌ : (ثبورًا) للقليل والكثير على لفظ الواحد ؛ لأنه مصدرٌ[٢].

﴿أذلك خيرٌ أم جنة الخلد﴾ قاله على الاستفهام ؛ أي : أن جنة الخلد خيرٌ من ذلك .

﴿كان على ربك وعدًا مسئولًا﴾ سأل المؤمنون الله الجنة ؛ فأعطاهم إياها .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ على الاستفهام ، وقد علم أنهم لم يضلوهم . قال مجاهد[٣]: يقوله لعيسى وعزير والملائكة ﴿أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك﴾ ينزهون الله عن ذلك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي : لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذابٍ ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى تركوا الذكر لمَّا جاءهم في الدنيا ﴿وكانوا قومًا بورًا﴾ أي : هلكًا .

---

(١) ينظر : الدر المصون (٢٤٦/٥) .

(٢) لسان العرب (ثبر) .

(٣) رواه الطبري (١٨٩/١٨) وابن أبي حاتم (٢٦٧٢/٨ رقم ١٥٠٢٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧١/٥) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال محمدٌ : يقال : رجلٌ بورٌ ، وقومٌ بورٌ ؛ لا يجمع ولا يثنَّى . هذا الاختيار فيه[١]، وأصل البائر : الفاسد ؛ يقال : أرضٌ بائرة ؛ أي : متروكة من أن يزرع فيها شيء ، وبارت الأيم : إذا لم يُرغَبْ فيها[٢].

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أنهم آلهةٌ ﴿فما يستطيعون[٣] صرفًا ولا نصرًا﴾ لا تستطيع لهم آلهتهم صرفًا للعذاب ولا نصرًا .

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ وهذا جوابٌ للمشركين (ل٢٣٩) حين قالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ تفسير بعضهم : يعني : الأنبياء وقومهم ﴿أتصبرون﴾ يعني : الرسل على ما يقول لهم قومهم .

قال محمدٌ : في هذا إضمارٌ : أتصبرون اصبروا ؛ كذلك قال ابن عباس .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يعني : لا يخشون البعث ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فيشهدوا أنك رسول الله ﴿أو نرى ربنا﴾ معاينةً ؛ فيخبرنا أنك رسول الله قال الله : ﴿لقد استكبروا في أنفسهم ...﴾ الآية .

﴿يوم يرون الملائكة﴾ وهذا عند الموت ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ للمشركين بالجنة

---

(١) وقيل : (بور) جمع (بائر) مثل حائل وحول . وقيل : إنه لغة لا جمع لبائر ، كما يقال : أنت بشر ، وأنتم بشر . لسان العرب (بور) .

(٢) ينظر لسان العرب (بور) .

(٣) قرأ حفص بالخطاب ﴿تستطيعون﴾ وقرأ الباقون بالغيب ﴿يستطيعون﴾ . النشر في القراءات العشر (٣٣٤/٢) .

﴿ويقولون حجرًا محجورًا﴾ تفسير قتادة[١]: حرامًا محرمًا على الكافرين البشرى يومئذ بالجنة .

قال محمدٌ : (يوم يرون) منصوبٌ على معنى : يقولون يوم يرون الملائكة[٢]، ثم أخبر فقال : ﴿لا بشرى ...﴾ الآية ، وإنما قيل للحرام : حجرٌ[٣]؛ لأنه حجر عليه بالتحريم ، ثم يقال : حجرت حجرًا ، واسم ما حجْرْت عليه حجر .

﴿وقدمنا﴾ أي : عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ أي : حسنٍ ﴿فجعلناه هباءً منثورًا﴾ في الآخرة . تفسير مجاهد[٤]: هو الشعاع الذي يخرج من الكُوَّة .

قال محمدٌ : واحد الهباء : هباءةٌ ، والهبَاء : المنبثُّ ما سطع من سنابك الخيل ، وهو من الهبوةُ والهَبْوة : الغبار[٥].

﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا﴾ من مستقر المشركين ﴿وأحسن مقيلًا﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ هذا بعد البعث فتراها واهية متشقِّقة كقوله : ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابًا﴾[٦] ويكون الغمام سُترةً بين السماء والأرض ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ مع الرحمن ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يقول : تخضع الملائكة يومئذ لملك الله ، والجبابرة لجبروت الله .

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَـقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًـا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ

---

(١) رواه عبد الرزاق (٦٧/٢) والطبري (٢/١٩) وابن أبي حاتم (٢٦٧٨/٨ رقم ١٥٠٦٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧٢/٥) لعبد بن حميد وابن جرير .
(٢) ينظر إعراب القرآن (٤٦٢/٢ - ٤٦٣) ، البحر (٤٩٢/٦) .
(٣) الحجر - بكسر الحاء وضمها وفتحها - الحرام . والكسر أفصح . لسان العرب (حجر) .
(٤) رواه الطبري (٤/١٩) وابن أبي حاتم (٢٦٧٩/٨ رقم ١٥٠٧١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧٣/٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .
(٥) وقيل : الهباء : دقاق التراب ، والهبوة : الغبرة . لسان العرب (هبو) .
(٦) النبأ : ١٩.

جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿ويوم يعض الظالم﴾ يعني: أُبيّ بن خلف ﴿على يديه﴾ أي: يأكلها ندامةً.

قال مجاهد: كـان أُبيُّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي مُعَيْطٍ عن ذلك، فهو قول أبي بن خلف في الآخرة.

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾ يعني: محمدًا ﴿سبيلًا﴾ إلى الله باتِّباعه ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا﴾ يعني: عقبة بن أبي معيط ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ قال الله: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي﴾ يعني: من لم يؤمن به ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾ تفسير مجاهد[1]: يقول: يهجرون بالقول فيه.

قال محمدٌ: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهُجرِ، والهُجر: الهذيان وما لا ينتفع به من القول؛ يقال: فلان يهْجُر في منامه؛ أي: يهذي[2].

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين﴾ يعني: المشركين يعزِّي نبيه ﴿وكفى بربك هاديًا﴾ إلى دينه ﴿ونصيرًا﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلاَّ ﴿نُزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي: كما نزل على موسى وعلى عيسى، قال الله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا﴾ يعني: وبيَّناه تَبيينًا. قال قتادة: نزل في ثلاث وعشرين سنة..

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ

---

(١) رواه الطبري (٩/١٩) وابن أبي حاتم (٢٦٨٧/٨ رقم ١٥١١٧).
وعزاه السيوطي في الدر (٧٦/٥) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) والهجر بفتح الهاء وضمها: الهذيان. وبضم الهاء: الاسم من الإهجار، وهو الخنى والإفحاش في المنطق. لسان العرب، القاموس المحيط (هجر).

ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ يعني: المشركين فيما كانوا يحاجُّونه به ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ تبيينًا.

﴿أولئك شرٌّ مكانًا﴾ من أهل الجنة ﴿وأضل سبيلًا﴾ طريقًا في الدنيا؛ لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة.

﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرًا﴾ أي: عونًا وعضُدًا وشريكًا في الرسالة.

﴿فدمَّرناهم﴾ أي: فكذبوهما فدمرناهم ﴿تدميرًا﴾ أهلكناهم إهلاكًا ﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿لمَّا كذبوا الرسل﴾ يعني: نوحًا.

﴿وعادًا وثمودًا﴾[1] أي: وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وأصحاب الرَّسِّ﴾ قال مجاهد[2]: الرسُّ بئر كان عليها ناسٌ[3].

قال يحيى: وبلغني أن الذي أرسل إليهم شعيبٌ [وأنه][4] أرسل إلى أهل مدين، وإلى [أهل][4] الرّس جميعًا.

﴿وقرونًا بين ذلك كثيرًا﴾ أي: وأهلكنا قرونًا يعني: أممًا. قال قتادة[5]: القرن: سبعون سنة[6] ﴿وكلاًّ﴾ يعني: من ذكر ممن مضى (ل٢٤٠) ﴿ضربنا به الأمثال﴾ أي: خوفناهم العذاب ﴿وكلاًّ تبرنا﴾ أهلكنا ﴿تتبيرًا﴾ إهلاكًا بتكذيبهم رسلهم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿ثمودَ﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقون ﴿ثمودًا﴾ بالتنوين. النشر (٢/٢٨٩ - ٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٤١٧).

(٢) رواه الطبري (١٩/١٤) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٩٥ رقم ١٥١٧٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧٧) للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) والرس في اللغة: هو البئر المطوية بالحجارة. لسان العرب (رسس).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥/٧٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: غير ذلك. مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد أتوا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿على القرية التي أُمطرت مطر السوء﴾ يعني: قرية قوم لوطٍ، ومطر السوء: الحجارة التي رُمِي بها من السماء من كان خارجًا من المدينة، وأهل السفر منهم قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم؛ أي: بلى قد أتوا عليها ورأوها.

﴿بل كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿نشورًا﴾ بعثًا ولا حسابًا.

﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ على عبادتها، قال الله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ إذ يرون العذاب في الآخرة ﴿من أضل سبيلًا﴾ أي: من كان أضل سبيلًا في الدنيا؛ أي: سيعلمون أنهم كانوا أضل سبيلًا من محمد ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

قال محمدٌ: يقول: يتبع هواه ويدع الحق؛ فهو له كالإله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلًا﴾ حفيظًا تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به؛ أي: أنك لست بربٍّ، إنما أنت نذير.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ فيما يعبدونه ﴿بل هم أضل سبيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقًا ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل﴾ مدُّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكنًا﴾ أي: دائمًا لا يزول ﴿ثم جعلنا الشمس

عليه﴾ أي : على الظلّ ﴿دليلًا﴾ أي : تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه [كله][1] ﴿ثم قبضناه﴾ يعني : الظل ﴿إلينا قبضًا يسيرًا﴾ أي : يسيرًا علينا ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا﴾ يعني : سكنًا يسكن فيه الخلق ﴿والنوم سُباتًا﴾ يسبت النائم حتى لا يعقل .

قال محمدٌ : أصل السَّبْتِ : الراحة[2].

﴿وجعل النهار نشورًا﴾ ينشر فيه الخلق لمعايشهم وحوائجهم ﴿وهو الذي أرسل الرياح نُشُرًا[3] بين يدي رحمته﴾ يعني : المطر .

قال محمدٌ : (نُشُرًا) بالضم جمع : نَشُور ؛ مثل : رسُول ورُسُل[4].

﴿وأنزلنا من السماء ماءً﴾ يعني : المطر ﴿طهورًا﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة ﴿لنحيي به بلدةً ميتًا﴾ يعني : اليابس التي لا نبات فيها .

قال محمدٌ : (ميتًا) ولفظ (البلدة) مؤنث ؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد[5].

﴿ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾

قال محمدٌ : (أناسي) جمع إنسي ؛ مثل : كرسي وكراسي[6].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من « ر » .

(٢) وكذلك الشُّبات، ويجمع السَّبت على سُبوت، وأَسْبُت . لسان العرب(سبت) .

(٣) هكذا في الأصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، ويؤيد هذه القراءة (نُشُرا) بضم النون والشين ما ورد بعدها من قول محمد . ويحتمل أن تكون القراءة (نشْرا) بضم النون وإسكان الشين ؛ لأن رسول يجمع على رُسُل ورُسْل ؛ بضم السين وإسكانها، وهذه قراءة ابن عامر . وكذلك القول في آية الأعراف : ٥٧.

(٤) ومفرد(نشر) : نَشُر وناشر ؛ مثل شاهد وشهد وشهود . ينظر لسان العرب (نشر) .

(٥) الدر المصون (٢٥٧/٥) وقد تقدم مثل هذا .

(٦) والإنسيّ نِسبة إلى الإنس، وهو أيضًا واحد الإنس . لسان العرب (أنس) .

مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي: قسمناه؛ يعني: المطر؛ مرّة لهذه البلدة، ومرّة لبلدةٍ أخرى ﴿ليذكروا﴾ بهذا المطر؛ فيعلموا أن الذي أنزل من المطر الذي يعيش به الخلق، وينبت به النبات في الأرض اليابسة - قادر على أن يحيي الموتى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورًا﴾ قال سفيان الثوري: يقولون: مُطِرنا بنوء كذا.

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا﴾ رسولاً ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ينهونك عنه من طاعة الله ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن، وهذا الجهاد باللسان من قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي: أفاض أحدهما في الآخر ﴿هذا عذب فرات﴾ أي: حلوٌ ﴿وهذا ملح أجاجٌ﴾ أي: مُرٌّ ﴿وجعل بينهما برزخًا﴾ أي: حاجزًا لا يرى؛ لا يغلب المالح على العذب، ولا العذب على المالح. ﴿وحجرًا محجورًا﴾ حرامًا محرمًا أن يغلب أحدهما على الآخر[1].

﴿وهو الذي خلق من الماء بشرًا﴾ خلق من النطفة إنسانًا ﴿فجعله نسبًا وصهرًا﴾.

قال محمدٌ: يعني: قرابة النسب وقرابة النكاح.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيرًا﴾ أي: عوينًا؛ يقول: يظاهر الشيطان على ترك أمر ربه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ يقول: إنما جئتكم

(١) الحجر - بضم الحاء وفتحها وكسرها - : الحرام، والكسر أفصح. لسان العرب (حجر).

بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلاً بطاعته ﴿الرحمن فاسأل به خبيرًا﴾ أي : خبيرًا [بالعباد][١].

قال محمدٌ : من قرأ (الرحمنُ) بالرفع[٢] فعلى الابتداء[٣] [والخبر ﴿فاسأل به﴾ .

﴿و]إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا﴾ أي : زادهم قولهم اسجدوا للرحمن][٤] (ل ٢٤١) نفورًا عن القرآن .

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾ [أي : نجومًا ؛ يعني : نفسه جلّ وعزّ][٤] ﴿وجعل فيها سراجًا﴾ يعني : الشمس ﴿وقمرًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا﴾ تفسير الحسن[٥]: يقول : من عجز في الليل كان له في النهار مستعتب ، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعتب .

قال محمدٌ : قوله : ﴿خلفة﴾ يعني : يخلف هذا هذا ، ومثله قول زهير :

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلفَةً   وأطْلاؤُها يَنْهضْنَ من كلِّ مَجْثم[٦]

الريم : ولد الظبي ، وجمعه : آرامٌ[٧]، يقول : إذا ذهب فوجٌ جاء فوجٌ .

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ تفسير الحسن : مدح الله المؤمنين وذم المشركين ؛ فقال : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ أي : حلمًا ، يعني : المؤمنين ،

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) وهي قراءة العامة ، وقرأ زيد بن علي بالجر . ينظر : البحر (٥٠٨/٦) ، الكشاف (٩٨/٣) .

(٣) ينظر : البحر (٥٠٨/٦) ، مجمع البيان (٢٠٧/٢) ، الدر المصون (٢٦٠/٥) .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٨٢/٥) لعبد بن حميد .

(٦) البيت من بحر الطويل . ينظر ديوان زهير (١٠٣) .

(٧) وأيضًا أرْآم . لسان العرب (رأم) .

وأنتم أيها المشركون لستم بحُلَماء، والهوْن في كلام العرب: اللين والسكينة[١].

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ تفسير مجاهد[٢] قالوا: سدادًا ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾ يعني: يصلون، وأنتم أيها المشركون لا تصلون.

قال يحيى: بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين، فهو من الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا.

﴿إنَّ عذابها كان غرامًا﴾ أي: لزامًا.

قال محمدٌ: الغرام في اللغة: أشدُّ العذاب، ومنه قولهم: فلان مغرمٌ بالنساء؛ أي: مهلكٌ بهن[٣].

﴿إنها ساءت مستقرًا ومقامًا﴾ أي: بئس المستقر هي والمنزل.

قال محمدٌ: (مستقرًا ومقامًا) منصوبان على التميز؛ المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام[٤].

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ تفسير قتادة[٥]: الإسراف: النفقة في معصية اللَّه، والإقتار: الإمساك عن حق اللَّه.

﴿وكان بين ذلك قوامًا﴾ وهذه نفقة الرجل على أهله.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾

﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع اللَّه إلهًا آخر﴾ قال الحسن: خاف قومٌ أن يؤخذوا

---

(١) لسان العرب (هون).

(٢) رواه الطبري (٣٥/١٩) وابن أبي حاتم (٢٧٢٢/٨ رقم ١٥٣٥٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٨٣/٥) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) لسان العرب (غرم).

(٤) ينظر: الدر المصون (٢٦٣/٥)، البحر (٥١٤/٦).

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٨٤/٥) لعبد بن حميد.

بما عملوا في الجاهلية؛ فأتوا رسول اللَّه وذكروا الفواحش، وقالوا: قد قتلنا وفعلنا؛ فأنزل اللَّه ﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق﴾ يعني: بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون﴾ يعني: بعد إسلامهم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ قال قتادة[1]: يعني: نكالاً ﴿يضاعف له العذاب﴾.

قال محمدٌ: تأويل الأثام في اللغة: المجازاة على الشيء، يقال: قد لقي أثام ذلك؛ أي جزاء ذلك، ومن قرأ ﴿يضاعف له العذاب﴾ بالجزم فلأن مضاعفة العذاب لقي الأثام. ومن قرأ: (يضاعفُ)[2] بالرفع فعلى معنى التفسير؛ كأن قائلاً قال: ما لقي الأثام، فقيل: يضاعف للآثم العذاب.

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا﴾ [قال قتادة[3]: ﴿إلا من تاب﴾ أي: رجع من ذنبه ﴿وآمن﴾ بربه ﴿وعمل عملاً صالحًا﴾][4] فيما بينه وبين اللَّه ﴿فأولئك يبدل اللَّه سيئاتهم حسنات﴾ فأمَّا التبديل في الدنيا: فطاعة اللَّه بعد عصيانه، وذكر اللَّه بعد نسيانه.

﴿ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى اللَّه متابًا﴾ أي: يقبل توبته إذا تاب قبل الموت.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الشرك ﴿وإذا مروا باللغو﴾ الباطل وهو ما فيه المشركون ﴿مروا كرامًا﴾ أي: ليسوا من أهله ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يعني: القرآن ﴿لم يخروا عليها صُمًّا

---

(١) رواه الطبري (١٩/٤٥).

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء، وقرأ الباقون بجزمها. النشر (٢/٣٣٤)، وإتحاف الفضلاء (٤١٨ - ٤١٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٧٣٢ رقم ١٥٤٢١).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٨٧) لعبد بن حميد.

(٤) سقط من «الأصل» والمثبت من «ر».

وعميانًا﴾ أي: لم يصمُّوا عنها، ولم يعمَوْا عنها.

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي: يرونهم مطيعين لله ﴿واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ يؤتم بنا في الخير. ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ كقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾[1]. ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلامًا﴾ التحية: السلام.

﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ ما يفعل بكم ﴿ربي لولا دعاؤكم﴾ لولا توحيدكم ﴿فقد كذبتم﴾ يعني: المشركين ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ أي: أخذًا بالعذاب يعدهم يوم بدر؛ فألزمهم الله يوم بدر عقوبة كفرهم وتكذيبهم فعذبهم بالسَّيف.



(١) سبأ: ٣٧.

(ل٢٤٢) تفسير سورة طسم الشعراء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

قوله: ﴿طسم﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسيرها، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون فيها: أسماء السور وفواتحها ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البيِّن ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؛ أي: فلا تفعل ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾ يعني: فصارت أعناقهم ﴿لها خاضعين﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية، فهذا جوابٌ لقولهم.

قال محمدٌ: (فظلت) معناه: فتظل أعناقهم؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل؛ تقول: إن تأتني أكرمتك؛ معناه: أكرمك[1].

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ يعني: القرآن ﴿من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ يقول: كلما نزل من القرآن شيءٌ جحدوا به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ في الآخرة ﴿أنباء﴾ أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ في الدنيا؛ يقول: فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يعني: من كل صنف حسن؛ فالواحد منه زوجٌ ﴿إن في ذلك لآية﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج في الأرض قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وما كان أكثرهم

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٦ - ٢٧٧)، البحر (٧/٥ - ٦) مجمع البيان (٤/١٨٤).

مؤمنين﴾ يعني : من مضى من الأمم ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الرحيم﴾ بخلقه ، فأما المؤمن فتتم عليه الرحمة في الآخرة ، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا ، فليس له إلا رحمة الدنيا ؛ فهي زائلةٌ عنه .

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري﴾ ولا ينشرح بتبليغ الرسالة فشجعني ؛ حتى أبلغها . ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي كانت فيه . يقرأ بالرفع : (ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني) ، وبالنصب : (ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني)[1] أي : إني أخاف أن يكذبون ، وأخاف أن يضيق صدري ولا ينطلق لساني .

قال محمدٌ : ومن قرأهما بالرفع فعلى الابتداء[2].

﴿فأرسل إلى هارون﴾ [كقوله][3] ﴿وأشركه في أمري﴾ ﴿ولهم عليَّ ذنبٌ﴾ أي : ولهم عندي ؛ يعني : القبطي الذي قتله خطأً حيث وكزه ، قال اللّٰه : ﴿كلا﴾ أي : ليسوا بالذين يصلون إلى قتلك ؛ حتى تبلغ عني الرسالة ، ثم استأنف الكلام فقال : ﴿فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ يقوله لموسى وهارون ، وهي كلمةٌ من كلام العرب ، يقول الرجل للرجل : من كان رسولك إلى فلانٍ؟ فيقول : فلانٌ ، وفلانٌ ، وفلانٌ .

قال محمدٌ : الرسول قد يكون بمعنى الجميع ؛ وإلى هذا ذهب يحيى ، وقد يكون أيضًا بمعنى الرسالة[4]؛ ومنه قول الشاعر :

---

(١) قرأ العامة بالرفع ، وقرأ بالنصب يعقوب والأعرج وطلحة وغيرهم . ينظر البحر (٧/٧) ، النشر (٢/٣٣٥) ، الإملاء (٢/٩٠) .

(٢) البحر (٧/٧ - ٨) ، مجمع البيان (٤/١٨٦) ، القرطبي (١٣/٩٢) .

(٣) من « ر » ، والآية من سورة طه ، رقم : ٣٢.

(٤) ينظر لسان العرب (رسل) .

لقد كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فُهت عندهم ... بسوءٍ ولا أرسَلْتهم بِرسُولِ[١]

أي : برسالة ؛ فمن تأول : (إنَّا رسولُ) على معنى : رسالة ، يقول : المعنى : إنا ذَوَا رسالةِ رب العالمين .

﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فلا تمنعهم من الإيمان ، ولا تأخذ منهم الجزية ﴿قال ألم نربك فينا وليدًا﴾ أي : عندنا صغيرًا .

قال ابن عباس : لمَّا دخل موسى على فرعون عرفه عدوُّ الله ، فقال : ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين لم تدَّع هذه النبوة .

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني : وقتلت النفس التي قتلت .

قال محمدٌ : الأجود في القراءة والأكثر : (وفعلت فعلتك) بفتح الفاء[٢]؛ لأنه يريد : قتلت النفس قتْلتك ؛ على مذهب المرَّة الواحدة[٣].

﴿وأنت من الكافرين﴾ يعني : لنعمتنا ، أي : إنا ربَّيناك صغيرًا ، وأحسنًا إليك ﴿قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين﴾ (ل٢٤٣) تفسير قتادة[٤]: يعني : من الجاهلين ، وكذلك هي في بعض القراءة[٥].

﴿فوهب لي ربي حكمًا﴾ يعني : النبوة ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل﴾ موسى يقوله لفرعون ، أراد : ألاّ يسوغ عدو الله ما امتن به عليه ؛ يقول : أَتَمُنُّ عليَّ بأن

---

(١) البيت من بحر الطويل ، وهو لكثير عزة . ويروى ...(ما بُحت) ...إلخ . بدل (ما فهت) . ويروى (بسرّ) بدل (بسوء) . ينظر ديوانه (١١٠) ، واللسان (رسل) وروي فيه (بليلى) بدل (بسر) ، وفي الديوان (برسيل) مكان (برسول) .

(٢) وهي قراءة العامة ، وقرأ الشعبي بكسر الفاء . ينظر : البحر (١٠/٧) ، المحتسب (١٢٧/٢) ، الجامع للقرطبي (٩٤/١٣) .

(٣) أي : اسم المرة . ينظر الدر المصون (٢٧٠/٥) .

(٤) رواه الطبري (٦٧/١٩) وابن أبي حاتم (٢٧٥٥/٨ رقم ١٥٥٦٥) .

(٥) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس . ينظر البحر (١١/٧) معاني القرآن للفراء (٢٧٩/٢) ، جامع القرطبي (٩٥/١٣) .

اتخذت قومي عبيدًا وكانوا أحرارًا، وأخذت أموالهم فأنفقت عليّ مَنها وربّيتني بها، فأنا أحقُّ بأموال قومي منك.

قال محمدٌ: قوله: ﴿عبّدت﴾ يقال منه: عبْدٌ معبَّدٌ ومُستعْبَدٌ، وعبّدتُ الغلام وأعْبَدته؛ أي: اتخذته عبدًا[١]. وقال حاتم[٢]:

إذَا كَانَ بَعْضُ المَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ ... فَإنِّي بِحَمْدِ اللهِ مَالِي مُعَبَّدُ[٣]

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

---

(١) لسان العرب (عبد).

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي شاعر جاهلي، فارسي جواد، يضرب به المثل في الجود، توفي حوالي (٤٦ق هـ) ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٥١/٢)

(٣) ينظر: ديوانه (ص١٤)، والأغاني (٣٨٧/١٧).

قوله : ﴿قال﴾ فرعون ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾ فيما يدَّعي ﴿لمجنون﴾ .

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين ...﴾ إلى قوله : ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ قد مضى تفسير قصتهم في سورة الأعراف[١] .

﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿لا ضَيْرَ﴾ وهو من : ضاره يضوره ويضيره ؛ بمعنى : ضرَّه ؛ أي : لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا[٢].

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ بأن كُنَّا ﴿أول المؤمنين﴾ من السَّحرة .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي : يتبعكم فرعون وقومه ﴿إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون﴾ أي : هم قليلٌ في كثير .

قال محمدٌ : معنى ﴿شرذمة﴾ : طائفة ، وأصل الكلمة : القِلَّة[٣].

قال قتادة[٤]: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع موسى بهم البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل .

قال الحسن : سوى الحشم . وكان مُقَدِّمةُ فرعون ألف ألف حصان ، ومائتي ألف حصان

---

(١) الأعراف : ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) لسان العرب (ضور) .

(٣) أي الجماعة القليلة ، والجمع : شراذم . لسان العرب (شرذم) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥/٩٢) لعبد بن حميد .

﴿وإنهم لنا لغائظون وإنَّا لجميع حَذِرون[١]﴾ وتقرأ: ﴿حاذِرُون﴾.

قال محمدٌ: والحاذر عند أهل اللغة: المستَعِدُّ، والحَذِرُ: المتيقِّظُ[٢].

﴿فأخرجناهم من جناتٍ وعيون وكنوزٍ﴾ أي: أموال ﴿ومقام كريم﴾ منزل حسن ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ رجعوا إلى مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه؛ في تفسير الحسن ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ يعني: حين أشرقت الشمْسُ؛ رجع إلى أوَّل القصة.

قال محمدٌ: معنى ﴿أتبعوهم﴾: لحقوهم[٣]، ويقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في الشروق؛ كما يقال: أمسينا وأصبحنا: دخلنا في المساء والصباح، ويقال: شَرَقَتْ الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت وصَفَت[٤].

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال﴾ موسى ﴿كلاَّ إن معي ربي سيهدين﴾ إلى الطريق ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ جاءه جبريل على فرسٍ، فأمره أن يضرب البحر بعصاه؛ فضربه ﴿فانفلق﴾ البحر ﴿فكان كل فرقٍ كالطود العظيم﴾ والطَّوْدُ: الجبل[٥].

قال قتادة: صار اثني عشر طريقًا لكل سِبْطٍ طريقٌ، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطير ينظر بعضهم إلى بعضٍ ﴿وأزلفنا ثَمَّ الآخرين﴾ قال قتادة[٦]: يقول: أَدْنَيْنا فرعون وجنوده إلى البحر. قال قتادة[٧]: يقال: أزلفني كذا؛ أي: أدناني منه[٨] ﴿إن في ذلك لآيةً﴾ لعبرة لمن اعتبر

---

(١) بغير ألف وهي قراءة ابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وابن كثير. وقرأ الباقون (حاذرون).
ينظر: السبعة (٤٧١)، النشر (٢/٢٣٥)، التيسير (١٦٥).

(٢) ويقال أيضًا: رجل حَذُر وحاذورة؛ أي: متيقظ. لسان العرب (حذر).

(٣) لسان العرب (تبع).

(٤) ينظر ذلك كله من لسان العرب (شرق).

(٥) أي: الجبل العظيم الذاهب صُعُدًا في الجو، ويشبه به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ، والجمع: أطواد، وطِوَدَة. لسان العرب (طود).

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٧٤) والطبري (١٩/٨١) وابن أبي حاتم (٨/٢٧٧٤ رقم ١٥٦٨٠).

(٧) في «ر»: محمد. ولعله الصواب، والله أعلم.

(٨) ينظر لسان العرب (زلف).

وحذر أن ينزل به ما نزل بهم .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿فنظل لها عاكفين﴾ أي : نصير مقيمين على عبادتها .

﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾ أي : أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين﴾ أي : إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأوَّلين ؛ فإنه ليس لي بعدوٍّ ؛ هذا تفسير الحسن ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يعني : الذي خلقني وهداني ﴿والذي أطمع﴾ وهذا طمع يقين ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ يعني : قوله : ﴿إني سقيمٌ﴾[1] وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[2] وقوله لسارة : إن سألوك فقولي أنك أختي ﴿يوم الدين﴾ يريد : يدين اللَّهُ الناسَ فيه بأعمالهم (ل٢٤٤) أي : يجازيهم ﴿رب هب لي حكمًا﴾ أي : ثبتني على النبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ يعني أهل الجنَّة .

﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ

---

(١) الصافات : ٨٩.

(٢) الأنبياء : ٦٣.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين﴾ فليس من أهل دينٍ إلا وهم يتولَّونه ويحبُّونه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وهو اسمٌ من أسماء الجنة .

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال هذا في حياة أبيه ، وكان في طمع من أن يؤمن ، فلما تبيَّنَ له أنه من أهل النار لم يدعُ له ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك .

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي : أُدنيت ﴿وبُرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للغاوين﴾ للمشركين .

﴿(وقيل لهم)[1] أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة من عبدوا من دون الله ﴿هل ينصرونكم﴾ يعني : هل يمنعونكم من عذاب الله؟ ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون .

﴿فكُبكبوا فيها﴾ أي : قذفوا فيها ؛ يعني : المشركين ﴿هم والغاوون﴾ يعني : الشياطين .

قال محمدٌ : ﴿فكبكبوا﴾ أصله : كُببُوا ؛ من قولك : كببْت الإناء ، فأبدل من الباء الوُسْطي كافًا ؛ استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات[2].

﴿قالوا﴾ قال المشركون للشياطين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ وخصومتهم تبرُّؤُ بعضهم من بعض ، ولعْن بعضهم بعضًا ﴿تالله إن كنا﴾ في الدنيا . أي : لقد كنا في الدنيا ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بيِّنٌ .

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ أي : نتخذكم آلهة ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ يعني : الشياطين ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا اليوم عند الله ﴿ولا صديق حميم﴾ قريب القرابة ، فيحمل عنا ؛ كما كان يحمل الحميم عن حميمه في الدنيا ؛ قالوا هذا حين شُفِع للمذنبين من المؤمنين ؛ فأخرجوا منها ﴿فلو أن لنا كَرَّة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ .

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل .

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٢٨٠) .

وَأَطِيعُونِ ﴿١١١﴾ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ يعني: نوحًا ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أخوهم في النَّسَبِ، وليس بأخيهم في الدين.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على ما جئتكم به من الهدى أجرًا.

﴿إن أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾.

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ يعني: السَّفلة ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي: بما يعملون، إنما نقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علمٌ.

﴿قالوا لئن لمْ تنته يا نوحُ لتكونن من المرجومين﴾ قال قتادة[1]: يعني: بالحجارة فلنقتلنَّك بها.

﴿فافتح بيني وبينهم فتحًا﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاءً؛ وهذا حين أُمِرَ بالدعاء عليهم، فاسْتُجيب له فأهلكهم الله.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٧٨٩/٨ رقم ١٥٧٧٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٩٩/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿أتبنون﴾ على الاستفهام ؛ أي : قد فعلتم ﴿بكل ريع﴾ بكل فجٍّ ﴿آية﴾ أي : علمًا ﴿تعبثون﴾ أي : تلعبون .

قال محمدٌ : الريعُ : الارتفاعُ من الأرض[1].

قال الشماخُ[2]:

سقى دار سُعْدَى حيثُ شطَّ بها النوى فأنعم منها كل ريع وفَدْفَد[3]

قوله : ﴿وتتخذون مصانع﴾ يعني : القصور ؛ ويقال : مصانع (للماء)[4] ﴿لعلكم تخلدون﴾ في الدنيا ؛ أي : لا تخلدون فيها ، وفي بعض القراءة (كأنكم خالدون)[5].

﴿وإذا بطشتم﴾ بالمؤمنين ﴿بطشتم جبارين﴾ يعني : قتَّالين بغير حق .

﴿إن هذا إلا خُلُق الأوَّلين﴾ يقول : خُلُقهم الكذب ، وتقرأ : ﴿إن هذا إلا (خَلْق[6] الأوَّلين﴾ أي : هكذا كان الخَلْق قبلنا ونحن مثلهم ، عاشوا ما عاشوا ، ثم ماتوا ولا بعث عليهم ولا حساب .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ

---

(١) وقيل : المرتفع من الأرض . والجمع : رُيُوع وأرْياع ، ورِياع . ينظر : لسان العرب (ربع) .

(٢) هو الشماخ بن ضرار الذبياني من طبقة النابغة ، كان من أرجز الناس على البديهة (ق٢٢هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١٧٥/٣) .

(٣) لم أجده في ديوان الشماخ ، والبيت من بحر الطويل .

(٤) في « ر » : مصانع لها .

(٥) هي ليست منسوبة إلى قارئ فيما وقفت عليه من مصادر ، ينظر : البحر (٣٢/٧) ، جامع القرطبي (١٢٤/١٣) .

(٦) (خَلْق) بفتح الخاء وإسكان اللام ، وهي قراءة أبي عمرو ، وابن كثير ، والكسائي . ينظر : السبعة (٤٧٢) ، التيسير (١٦٦) ، النشر (٣٣٥/٢) .

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿أتتركون فيما ها هنا آمنين﴾ على الاستفهام ؛ أي : لا تتركون فيه .

﴿ونخل طلعها هضيم﴾ هشيمٌ ؛ أي : إذا مُسَّ تهشم للينه[1]؛ هذا تفسير مجاهد[2] ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ قال مجاهد[3]: يعني : شرهين وهو من شَرَهِ النَّفْس .

﴿إنما أنت من المسحَّرين﴾ تفسير الحسن[4] ومجاهد[5]: يعني : من المسحورين .

قال محمدٌ : كأنه فُعِل ذلك به مرّة بعد مرة ، ولذلك شُدِّد[6].

﴿ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ قالوا له : إن كنت صادقًا فأخرجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً ، وكانت صخرة يحلبون عليها اللَّبَن في سنتهم ؛ فدعا الله فتصدَّعت الصّخرة (ل٢٤٥) فخرجت منها ناقة عُشَراء فنتجت فصيلاً .

قال محمدٌ : (عُشراء) يعني : حاملاً قريبة الولادة[7].

﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم﴾ كانت تشرب الماء يومًا ويشربونه يومًا ؛ حتى إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم ، وكان سبب عقرهم إياها : كانت تضر بمواشيهم كانت المواشي إذا رأتها هربت منها ؛ فإذا كان الصَّيْف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه ، وهبطت مواشيهم إلى بطن الوادي في جدْبه

---

(١) لسان العرب (هضم) .

(٢) رواه الطبري (١٩/ ٩٩، ١٠٠) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٢ رقم ١٥٨٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠٠) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه الطبري (١٩/١٠١) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٢ رقم ١٥٨٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠١) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (١٩/١٠٢) .

(٥) رواه الطبري (١٩/١٠٢) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٤ رقم ١٥٨٦٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠١) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) يقال : سحَّر فلانًا : أي : سحره مرةً بعد مرة حتى تخبَّل عقله . لسان العرب (سحر) .

(٧) وقيل : العُشَراء : ما مضى على حملها عشرة أشهر . والجمع : عِشار . لسان العرب (عشر) .

وحرّه، وإذا كان الشتاء شتَّت الناقة في بطن الوادي في دفئه وخصبه، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جذْبه وبرْده؛ حتى أضرّ ذلك بمواشيهم للأمر الذي أراد الله، فبينما قوم منهم يومًا يشربون الخمْر، ففني الماء الذي يمْزُجون به، فبعثوا رجلاً؛ ليأتيهم بالماء، وكان يوم شِرْب الناقة فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء! ثم بعثوا آخر؛ فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؛ فقد أضرّتْ بنا وبمواشينا؟! فانبعث أَشْقَاها فقتلها، وتصايحوا وقالوا: عليكم الفصيل[1]. وصعِدَ الفصيلُ الجبلَ فقال لهم صالح: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾[2].

قال قتادة: ذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع[3] والأكْسِية واطَّلَوْا[4]، وقال لهم: آية ذلك أن تصْفرَّ وجوهُكم في اليوم الأول، وتحمرَّ في الثاني، وتسْوَدَّ في اليوم الثالث. فلما كان في اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة، فقال: يا رب، أمي! يا رب، أمي! يا رب، أُمي! فأرسل الله عليهم العذابَ عند ذلك.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

قوله: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: أقبال[5] النساء ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي: مجاوزون لأمر الله ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا؛ أي:

---

(١) المراد: ولد الناقة. لسان العرب (فصل).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) واحدها: نطع - بفتح النون وكسرها، وبإسكان الطاء وفتحها وكسرها؛ لغات فيه - وهو بساط من الجلد، وهو أيضًا نوع من الأكسية ويجمع على: أنطاع ونُطوع وأَنْطُع. لسان العرب (نطع).

(٤) أي: ادهنوا. لسان العرب (طلى).

(٥) أي: فروجهن، الواحد: قُبُل. لسان العرب (قبل).

نقتلك ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ يعني: المبغضين.

﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب الله.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين﴾ والأيكة: الغيضةُ[1].

قال محمدٌ: قراءة أهل المدينة في هذه السورة، وفي سورة «ص»[2] بغير ألف، وقد ذكرت ما قاله أبو عبيد[3] في الفرق، بين ليكة والأيكة في سورة الحجر[4].

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يعني: المنتقصين لحقوق الناس ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ يعني: العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي: لا تنقصوهم الذي لهم، وكانوا أصحاب نقصان في الميزان ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسيره[5].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأوّلين﴾ يعني: الخليقة.

---

(١) وهي الشجر الكثير الملتف، والجمع: أيْك. لسان العرب (أيك).

(٢) ص: ١٣.

(٣) كذا في الأصل وفيما تقدم في تفسير سورة الحجر، وفي «ر» هنا: أبو عبيدة.

(٤) عند تفسير الآية ٧٨ وقد ذكر الآلوسي (١١٧/١٩) أن أبا عبيدة قال: وجدنا في بعض كتب التفسير أن (ليكة) اسم للقرية، و(الأيكة) البلاد كلها كمكة وبكة. وقد قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة)، وقرأ الباقون: (الأيكة). ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٣٣٦/٢) وقد سبق التعليق على هذه القراءة.

(٥) البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥.

﴿فأسقِطْ علينا كسفًا من السماء﴾ أي : قطعًا .

﴿فأخذهم عذابُ يوم الظُّلَّة﴾ قال قتادة : كانوا أهل غيضةٍ وشجر ، وكان أكثر شجرهم الدّوم[١] ، فسلط اللّه عليهم الحرّ سبعة أيام ، فكان لا يكنُّهم[٢] ظلٌّ ، ولا ينفعهم منه شيءٌ ، فبعث اللّه عليهم سحابة فلجئوا تحتها يلتمسون الرَّوْح ؛ فجعلها اللّه عليهم عذابًا ، جعل تلك السحابة نارًا ، فاضطرمت عليهم ، فأهلكهم بذلك .

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني : القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ يعني : جبريل ﴿على قلبك﴾ يا محمدُ .

﴿وإنه لفي زُبر الأولين﴾ كتُب الأولين ؛ يقول : نعت محمدٍ وأُمّته في كتبهم ؛ يعني : التوراة والإنجيل ﴿أو لمْ يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ يعني : من آمن منهم ؛ أيْ : قد كان لهم في إيمانهم به آية .

(يكن) تقرأ بالتاء والياء[٣]. فمن قرأها بالتاء ، قال : (آيةٌ) بالرفع ؛ أي : قد كانت لهم آية ، ومن جعلها عملاً في باب كان[٤].

قال محمدٌ : من قرأ : (آية) بالنصْب ، جعلها عملاً لكان ، والاسمُ (أن يعلمه) (ل٢٤٦) ومن

---

(١) وهو شجر عظام من الفصيلة النخيلية ، ويعرف بالمُقْل والأَبْلم ، وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر . المعجم الوسيط (دوم) .

(٢) لا يسترهم ولا يحفظهم . المعجم الوسيط (كنن) .

(٣) قرأ بالتاء ورفع (آية) : ابن عامر ، وقرأ الباقون بالياء ونصب (آية) . ينظر : السبعة (٤٧٣) ، النشر (٢/٣٣٦) ، التيسير (١٦٦) ، البحر (٧/٤١) .

(٤) ينظر التفصيل النحوي لذلك من إعراب القرآن (٢/٥٠١) ، البحر (٧/٤١) ، مجمع البيان (٤/٢٠٣) .

قرأ ﴿آيةٌ﴾ بالرفع جعلها اسمًا لكان و (أن يعلمه) خبرها وعملها ، وهذا الذي أراد يحيى .

﴿ولو نزَّلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول : لو أنزلناه بلسانٍ أعجمي إذًا لم يفقهوه .

قال محمدٌ : الأعجمين جمعُ أعجم ، والأنثى عجماء ؛ يقال : رجُلٌ أعْجَم ؛ إذا كانت في لسانه عُجْمَةٌ ، وإن كان عربي اللسان[1]، ورجلٌ أعجمي إذا كان من العَجَم وإن كان فصيح اللسان[2].

﴿كذلك سلكْناه﴾ أي : سلكنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ المشركين ﴿لا يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿حتى يَرَوا العذاب الأليم﴾ يعني : قيام الساعة ﴿فيقولوا﴾ عند ذلك : ﴿هل نحن منظرون﴾ أي : مردودون إلى الدنيا فنؤمن ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي : قد استعجلوا به .

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني : العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتَّعون﴾ .

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ أي : إلا من بعد الحجّة والرُّسل والإعْذار ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ أي : ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البيِّنة والحُجَّة .

قال محمدٌ : ﴿ذكرى﴾ قد تكون نَصْبًا وتكون رفْعًا ، فالنَّصْبُ على المصْدر على معنى : ﴿إلا لها منذرون﴾ ؛ أي : مذكرون ذِكْرًا ، والرفع على معنى : إنذارُنا ذكرى ؛ أي : تذكرةٌ[3]؛ يقالُ : ذكرتُه ذكْرى بألف التأنيث ، وذِكْرًا وتذكيرًا وتَذْكِرةً[4].

---

(١) في « ر » : عربي النسب .

(٢) ينظر لسان العرب (عجم) ، وكشف المشكلات (٩٩٨/٢) .

(٣) ينظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٤٤/٧ - ٤٥) ، الدر المصون (٢٩١/٥) .

(٤) إنما يقال : ذَكَرتُه ذِكرى وذِكْرًا وذُكْرًا وتَذْكارًا . ويقال : ذكَّرته تذكيرًا وتذكرة . لسان العرب ، القاموس المحيط (ذ ك ر) .

﴿وما تنزلت به﴾ يعني: القرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به؛ أي: لا يستطيعون ذلك.

﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ وكانوا من قبل أن يبعث النبي يستمعون أخبارًا من [أخبار][1] السماء، فأما الوحي فلمْ يكونوا يقدرون على أن يسمعوه؛ فلما بُعِث النبي ﷺ مُنعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون فيها، إلا ما يسترق أحدهم فيُرمى بالشهاب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ تفسير الكلبي: «أن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصّفَا وقريشٌ في المسجد، ثم نادى: يا صباحاه[2]! ففزع الناس فخرجوا، فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟! فقال: يا آل غالب. قالوا: هذه غالبٌ عندك. ثم نادى يا آل لؤي. ثم نادى يا آل مُرَّةَ. ثم نادى يا آل كعْب. ثم نادى يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين انظروا ماذا يريد، فقال له أبو لهب: هؤلاء عشيرتك قد حضروا فما تريد؟ فقال رسول الله: أرأيتم لو أنذرتكم أنَّ جيشًا يصبحونكم أَصَدَّقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبًا، إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله. فقال أبو لهب: تبًا لك[3]! فأنزل الله ﴿تبَّتْ يدا أبي لهب﴾ فتفرقت عنه قريش وقالوا: مجنونٌ يَهْذِي من أمِّ رأسه»[4].

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ كقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾[5].

قال محمدٌ: من كلام العرب: اخفضْ جناحك؛ يعني: ألن جناحك[6].

---

(١) من «ر».

(٢) هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح؛ فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو. وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال؛ فإذا عاد النهار عاودوه، فكأنه يريد بقولة: يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح، فتأهبوا للقتال. ينظر لسان العرب (صبح)، النهاية في غريب الحديث (٣/٧).

(٣) أي: خُسْرانًا وهَلاكًا. لسان العرب (تبب).

(٤) روى البخاري (٨/٣٦٠ رقم ٤٧٧٠) ومسلم (١/٢٠٢ رقم ٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه. وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﵃، انظر الدر المنثور (٥/١٠٤ - ١٠٦).

(٥) آل عمران: ١٥٩.

(٦) وتواضع لهم. لسان العرب (خفض).

﴿فإن عصوْك﴾ يعني : المشركين ﴿فقل إني بريءٌ مما تعملون﴾ .

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ في الصلاة وَحْدَك ﴿وتقلُّبك في الساجدين﴾ يعني : في صلاة الجماعة ؛ في تفسير بعضهم .

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ ألا أنبئكم ﴿على من تنزّل الشياطين تنزل على كل أفّاكٍ أثيم﴾ يعني : الكهنة .

﴿يلقون السمع﴾ كانت الشياطين تصعد إلى السماء تستمع ، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم ، فتحدث الكهنة بما تنزلت به الشياطين ، وتخلط به الكهنةُ كذبًا كثيرًا ، فيحدثون به الناس ، وأمَّا ما كان من سمع السماء ، فيكون حقًّا ، و [أما][1] ما [كان][1] خلطوا به من الكذب يكونُ كذبًا ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يعني : جماعتهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ يعني : الشياطين ﴿ألمْ تر أنهم في كل وادٍ﴾ أي : من أودية الكذب ﴿يهيمون﴾ .

قال محمدٌ : يعني : يذهبون .

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال قتادة[2]: (ل٢٤٧) يعني : يمدح قومًا بباطلٍ ، ويذم قومًا بباطل ، ثم استثنى فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .

قال قتادة : استثنى الله الشعراء من المؤمنين ؛ منهم : حسان بن ثابت[3]، وعبد الله بن رواحة[4]

---

(١) من « ر » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (١٠٩/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) هو شاعر الرسول ﷺ ، أسلم بعد الهجرة ، وعمّر بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي نحو سنة ٥٤ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء (٥١٢/٢) طبقات فحول الشعراء (٣١٥) .

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن رواحة ، الصحابي الفارس الشاعر أنصاري خزرجي ، من المسلمين الأوائل . استشهد سنة ٨هـ . ينظر الجرح والتعديل (٥٠/٥) حلية الأولياء (١١٨/١) ، العبر للذهبي (٩/١) تهذيب التهذيب (١٤٠/٣) .

وكعب بن مالك[١] ﴿وانتصروا من بعد ما ظُلِموا﴾ أي: انتصروا بالكلام؛ يعني: [هَجَوْا][٢] عن نبي اللَّه من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ أشركوا من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ من بيْن يدَي اللَّه يوْم القيامة؛ أي: أنهم سينقلبون من بين يديه إلى النار.

قال محمدٌ: ﴿أي﴾ بالنصْب؛ لأنها من أسماء الاستفهام، لا يعمل فيها ما قبلها[٣].



(١) وهو الأنصاري الخزرجي، أحد شعراء الرسول ﷺ ومن السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، ومن الثلاثة المخلفين في تبوك الذين تاب اللَّه عليهم وشهد مع رسول اللَّه أكثر الوقائع. ينظر: شذرات الذهب (٥٦/١)، العبر (٥٦/١)، تهذيب التهذيب (٥٩٦/٤).

(٢) في الأصل (هاجوا)، وهو تحريف عن الصواب.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٥٠٦/٢)، البحر (٤٩/٧ - ٥٠)، مجمع البيان (٢٠٧/٤)، البيان (٢١٧/٢).

تفسير سورة النّمل وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ① هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ⑥﴾

قوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتابٍ مبين﴾ بيِّن ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ يهتدون به، ويبشّرون بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخَمْس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿وإنك لتُلقَّى القرآن﴾ أي: لتأخذه ﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه؛ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ⑦ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ⑧ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ⑨ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ⑩ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑪ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ⑫ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑬﴾

﴿إذ قال موسى لأهله﴾.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله.

﴿إني آنست نارًا﴾ أي: أبصرت ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ الطريق وكان على غير طريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلكم تصطلون﴾ لكي تصطلوا.

قال محمدٌ : كلُّ ذي نور فهو شهاب في اللغة[١]، والقبس : النار تُقتبس ؛ تقول : قبَسْتُ النار قَبْسًا ، واسمُ ما قَبسْتَ : قَبَسٌ[٢].

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾ بأن بُورك ﴿من في النار﴾ يعني : نفسه ، ولم تكن نارًا ، وإنما كان ضوء نور رب العالمين وكان موسى يرى أنها نارٌ ﴿ومن حولها﴾ يعني : الملائكة ، وهي في مصحف أبي بن كعب : « نودي أن بوركت النار ومن حولها »[٣].

﴿فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولّى مدبرًا﴾ من الفَرَق ﴿ولم يعقب﴾ يعني : ولم يرجع .

قال محمد : قال ها هنا ﴿كأنها جان﴾ والجان : الصغير من الحيّات[٤]. وقال في موضع آخر : ﴿فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾[٥] والثعبان : الكبير من الحيّات . قيل : فالمعنى - والله أعلم - أن خَلْقَها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجانِّ ؛ وهذا من عظيم القدرة .

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون﴾ أي : عندي ﴿إلا من ظلم ثم بدَّل حسنًا بعد سوء﴾ تفسير الحسن : لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة وفي الدنيا ﴿إلا من ظلم ثم بَدَّل حسنًا بعد سوءٍ فإني غفورٌ رحيم﴾ أي : فإنه لا يخاف عندي . وكان موسى ممَّن ظلم ، ثم بدَّل حسنًا بعد سوءٍ ، فغفر الله له ؛ وهو قتل ذلك القبطي لمْ يتعمَّد قتله ، ولكن تعمَّد وكزه .

قال محمدٌ : قوله : ﴿إلاّ من ظلم﴾ قيل : هو استثناءٌ ليس من الأول[٦]؛ المعنى - والله أعلم - : لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم ، ثم تاب .

﴿وأدخل يدك﴾ أي : في جيبك ؛ أي : في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال الحسن[٧]: أخرجها - والله - كأنها مصباح ﴿في تسع آيات﴾ يعني : يده ، وعصاه ، والطوفان ،

---

(١) ويجمع على : شُهُب ، وشُهْبان ، وأَشْهُب . لسان العرب (شهب) .

(٢) أي : أن القَبْس هو المصدر ، والقَبَس هو الاسم . لسان العرب (قبس) .

(٣) وهي قراءة أُبيّ ، وابن عباس ، ومجاهد . ينظر : جامع القرطبي (١٥٨/١٣) ، الإعراب للنحاس (٥٠٩/٢) ، الكشاف (١٣٧/٣) .

(٤) وهذا النوع من الحيّات أكحل العينين ، يضرب إلى الصُفْرة ، لا يؤذي والجمع : جِنَّان ، وجوَانٌ . المعجم الوسيط (جنن) .

(٥) الأعراف : ١٠٧، و الشعراء : ٣٢.

(٦) ينظر : البحر المحيط (٥٧/٧) ، الدر المصون (٢٩٨/٥) .

(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٥٠/٩ رقم ١٦١٥٩) .

والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿في تشع﴾ أي: من تشع ﴿في﴾ بمعنى (من)[1].

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أي: بيّنة.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أنها من عند الله، قال قتادة[2]: والجَحْدُ لا يكون إلا من بعد المعرفة ﴿ظلمًا﴾ لأنفسهم ﴿وعلوًّا﴾.

قال محمدٌ: يعني: ترفُّعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى.

﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

(ل٢٤٨) ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ على كثير من أهل زمانهما من المؤمنين ﴿وورث سليمان داود﴾ قال قتادة[3]: يعني: ورث نبوّته وملكه.

قال محمدٌ: روي أنه كان لداود تسعة عشر ولدًا، فورث سليمان من بينهم نبوّته وملكه.

﴿وأوتينا من كل شيءٍ﴾ يعني: كل شيءٍ أُوتي منه ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يُدْفَعُون ألاَّ يتقدّمه

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من إعراب القرآن (٥١١/٢)، مجمع البيان (٢١٢/٤)، البحر (٥٨/٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٢/٩ رقم ١٦١٦٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٤/٩ رقم ١٦١٨٣).

وعزاه السيوطي في الدر (١١٢/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

منهم أحدٌ ؛ في تفسير الحسن ، قال قتادةُ[١]: على كل صنفٍ منهم وَزَعَةٌ[٢] تَرُدُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ قال قتادة[٣]: هو وَادٍ بالشام .

﴿قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده﴾ قال الله : ﴿وهم لا يشعرون﴾ أن سليمان يَفْهَمُ كلامَهُمْ .

قال محمدٌ : لفظ النمل أُجْرِي ها هنا مُجْرَى لَفْظ الآدميين حين نطق ؛ كما ينطق الآدميُّون .

﴿فتبسَّم﴾ سليمان ﴿ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني﴾ أَلْهِمْني .

قال محمدٌ : تأويل (أوزعني) : كُفَّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك .

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وتفقَّد الطير﴾ قال قتادة[٤]: ذُكِرَ لنا أن سليمان أراد أن يأخذَ مفازةً فدعا بالهُدْهُدِ ليعلم له مسافة الماء ، وكان قد أُعْطِي من البصر بذلك ما لمْ يعطه غيره من الطير ، وقال الكَلْبي : كان يدلُّه على الماء إذا نزل الناس ، فيخبره كم بينه وبين الماء من قَامَةٍ[٥] ﴿لأعذبنَّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه﴾ قال قتادة[٦]: وعذابه أن ينتف ريشه ويذره في المنهل[٧]؛ حتى يأكله الذَّرُّ[٨] والنمل ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ بعذرٍ بيِّنٍ ﴿فمكث غير بعيد﴾ أي : رجع من ساعته ﴿فقال أحطت بما لم تحطْ به﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٧٩/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٥٧/٩ رقم ١٦١٩٦) .

(٢) واحدها : وازِع ، وتُجمع أيضًا على : وُزَّاع . لسان العرب (وزع) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٧/٩ رقم ١٦١٩٨) .

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٦١/٩ رقم ١٦٢١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١١٤/٥ - ١١٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) وهي وحدة قياس طولها ست أقدام ، تستخدم عادة في قياس أعماق البحر . والجمع : قامات . المعجم الوسيط (قوم) .

(٦) رواه عبد الرزاق (٧٩/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٦٢/٩ رقم ١٦٢٢٧) .

(٧) هو المورد ؛ أي : الموضع الذي فيه المشرب ، وقيل : المفازة . لسان العرب (نهل) .

(٨) هو صغار النمل . لسان العرب (ذرر) .

قال الحسن : يقول : علمت ما لمْ تعلم ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ أي : بخبر حق . و(سبأٌ) في تفسير الحسن وقتادة[١]: أرض باليمن ، وقال ابن عباسٍ : « سُئِل رسول الله ﷺ عن سبإٍ ، فقال : هو رجلٌ »[٢].

قال محمدٌ : ذكر أبو عبيْد ؛ أن الحسن كان يقرأ : ﴿من سَبَأَ﴾ منصوبة غير مجراة[٣]: قال : وتفسيرها : اسمٌ مؤنث لامرأة أو قبيلة ، والذي يُجْري يذهب إلى أنه اسم رجُل[٤].

قال محمدٌ : ومن قال : هو اسمُ رجل ، فالمعنى : أن القبيلة أو الأرض سميت باسم ذلك الرجل .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٦٤/٩ رقم ١٦٢٤٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٣٦/١) وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣) - وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥١) من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة السبائي ، عن أبي وعلة المصري ، عن ابن عباس رضي الله عنه .
وقال ابن عدي : وهذا لا أعلمه يرويه غير ابن لهيعة بهذا الإسناد .
وقال ابن كثير : وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه .
ورواه الحاكم (٤٢٣/٢) من طريق عبد الله بن عياش القتباني ، عن عبد الله بن هبيرة السبائي به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٠/١٢ رقم ١٢٩٩٢) من طريق ابن لهيعة ، عن علقمة ابن وعلة ، عن ابن عباس - وسقط من المطبوع : « عن ابن عباس » - به .
وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٧) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وبقية رجالهما ثقات .
ورواه أبو داود (٣٧٤/٤ رقم ٣٩٨٤) والترمذي (٣٣٦/٥ - ٣٣٧ رقم ٣٢٢٢) والبخاري في تاريخه (١٢٦/٧ - ١٢٧) والطبراني (١٨/ ٣٢٣ - ٣٢٦ رقم ٨٣٤ - ٨٣٦، ٨٣٨) والحاكم (٤٢٤/٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
وقال ابن عبد البر في ترجمة فروة بن مسيك من الاستيعاب : حديثه في سبأ حديث حسن .
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٣) : وهذا أيضًا إسناد حسن .
وفي الباب عن عدة من الصحابة ، منهم تميم الداري - وقيل : إنه تميم آخر - ويزيد بن حصين . انظر تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣ - ٥٤٨) والدر المنثور (٢٥١/٥) ، والمجمع (٩٤/٧) ، والإصابة (٤/٢ - ٥) .

(٣) غير مجراة ؛ أي : غير منونة ؛ وهي قراءة أبي عمرو والبزي ، وروى قنبل بإسكان الهمزة ، وقرأ الباقون بالجر والتنوين .
ينظر : السبعة (٤٨٠) ، التيسير (١٦٧) ، النشر (٣٣٧/٢) ، البحر (٦٦/٧) .

(٤) ينظر : البحر (٦٦/٧) ، إعراب القرآن (٥١٦/٢ - ٥١٧) ، البيان (٢٢١/٢) .

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي: من كل شيء أوتيت منه ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي: سرير حسن. قال قتادة[1]: كان من ذَهَبٍ، وقوائمه لؤلؤٌ وجوهرٌ، وكان مستَّرًا بالديباج والحرير، وكانت عليه سبع مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات مغلّقة.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ قال الحسن: كانوا مَجُوسًا ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ...ألاّ يسجدوا لله﴾ أي: فصدهم عن الطريق بتركهم السجود لله ﴿الذي يخرج الخبء﴾ يعني: الخبيئة[2] ﴿في السموات والأرض﴾ أي: يعلم السر في السموات والأرض ﴿قال سننظر أصدقت ...﴾ إلى قوله: ﴿يرجعون﴾ قال قتادة[3]: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن، كانت في بيت مملكة يقال لها: بلقيس ابنةُ شُرَحْبِيل، فهلك قومُها فَمَلكت، وأنّها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب، فلما غلقت الأبواب وأوَتْ إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل من كُوّة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها؛ فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ...﴾ حسن؛ أي: حسن ما فيه، الآية.

﴿ألا تعلوا عليّ﴾ أي: لا تتخلفوا عني ﴿وأتوني مسلمين﴾ قال الكَلْبي: أي مُسْتَسْلِمين؛ ليس يعني: الإسلام.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١١٨/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) هو في اللغة: المدَّخر والمخبوء، والمراد في الآية بالخبء الذي في الأرض: النبات، وبالخبء الذي في السماء: المطر. لسان العرب، المعجم الوسيط (خبأ).

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٠/٢ - ٨١) وابن أبي حاتم (٢٨٧٠/٩ رقم ١٦٢٨٧).

حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قالت يا أيها الملأ ...﴾ إلى قوله : ﴿ماذا تأمرين﴾ قال قتادة[١]: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة (ل٢٤٩) وثلاثة عشر رجلاً أهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف .

قال محمدٌ : القراءة في قوله : ﴿حتى تشهدون﴾ بكسر النون[٢]، وأصله : (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب ، وحذفت الياء ؛ لأنها آخر آية ، والكسرة تدل عليها .

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال الله : ﴿وكذلك يفعلون﴾ .

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرةٌ بم يرجع المرسلون﴾ تقول : إن قبل هديتنا فهو من الملوك ، وليس من أهل النبوة ؛ كما ينتحل .

قال مجاهدٌ[٣]: بعثت إليه بجوارٍ قد لبستهُنَّ لبسة الغلمان ، وبغلمان قد ألبستهم لبسة الجواري ؛ فخلص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديّتها .

قال محمدٌ : قوله (بم) بحذف الألف ؛ لأن حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) لِيُفْصَل بين الخبر والاستفهام[٤].

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٨٠ - ٨١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١١٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وهي قراءة العامة ، وقرأ يعقوب (تشهدوني) وصلاً ووقفًا . ينظر : الإتحاف (٣٦٦) ، النشر (٢/٢٤٠) .

(٣) رواه الطبري (١٩/١٥٥) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٧٧ رقم ١٦٣٣٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١١٨) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ينظر : البحر (٧/٧٤) ، القرطبي (١٣/١٩٧) ، الطبري (١٩/٩٨) الدر المصون (٥/٣١٣) .

مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ارجع إليهم﴾ قال قتادة[1]: يعني: الرسل ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة.

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ يعني: سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مُقرِّين بالطاعة؛ في تفسير الكلبي ﴿قال عفريت من الجن﴾ أي: مَارِدٌ.

قال محمدٌ: يقال: عِفْرٌ وعِفْرِيتٌ، وعِفْرِيَةٌ وعُفَارِيَةٌ؛ إذا كان شديدًا وثيقًا[2].

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال قتادة[3]: ومقامه: مَجْلِسُه الذي كان يقضي فيه، فأراد ما هو أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب﴾ وكان رجلاً من بني إسرائيل؛ يقال له: آصفُ، يعلمُ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾ وطرفه: أن يبعث رسُولاً إلى منتهى طرفه، فلا يرجع إليه، حتى يؤتى به؛ فدعا الرجل باسم الله الأعظم ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان السَّرير ﴿مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ أي: أشكر النعمة أم أكفرها؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به كان يُحْسِنُ الاسْمَ الأكبر، فدعا به وكان بينه وبينه مسيرة شهرين، وهي منه على فرسخ، فلما جاءه العرش كأن سليمان وجد في نفسه – مثل الحسد له – ثم فكَّر، فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخَّرًا لي؟! هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»[4].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٨١/٩ رقم ١٦٣٤٩).

(٢) وأيضًا: العِفِرّ. لسان العرب (عفر).

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢).

(٤) لم أقف عليه، والمعلى هو ابن هلال أبو عبد الله الكوفي، قال عنه سفيان الثوري: هذا من أكذب الناس. وقال الإمام أحمد: كذاب. ترجمته في تهذيب الكمال (٢٩٧/٢٨ - ٣٠١). وفي هذا الأثر نكارة، والله أعلم.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال قتادة[١]: وتنكيره : أن يزاد فيه ، ويُنْقَص منه ﴿ننظر أتهتدي﴾ أي : أتعْرِفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ أي : أم لا تعرفه ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنّه هو﴾ قال قتادة[٢]: شبَّهته به ، وكانت قد تركته خلفها ، فوجدته أمامها .

﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ سليمان يقوله ؛ يعني : النبوة ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون اللّٰه﴾ صدها أن تهتدي للحق ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (إنها) بكسر الألف[٣]، فهو على (الاستئناف)[٤].

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ تفسير الكلبي : إن الجن استأذنوا سليمان ، فقالوا : ذَرْنا فَلْنَبْنِ لها صَرْحًا - أي : قصرًا - من قوارير فننظر كيف عقلها ، وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أشياء كانت الجن تخفيها منه .

قال يحيى : بلغني أن أحد أبويها كان جنيًّا ، فلذلك تخوَّفوا ذلك منها .

قال الكلبي : فأذن لهم فعمدوا إلى الماء ففجروه في أرض فضاء ، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع[٥]، ثم بَنَوْا عليه سترة من زجاجٍ ، ثم بنوا[٦] حوْلَه صَرْحًا مُمَرَّدًا من قوارير ، والممرَّدُ :

---

(١) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٩٠/٩ رقم ١٦٤١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٠/٥) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢) والطبري (١٦٧/١٩) وابن أبي حاتم (٢٨٩٢/٩ رقم ١٦٤٢٢) .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عبلة بفتح الهمزة (أنها) ينظر : البحر (٧٩/٧) ، القرطبي (٢٠٨/١٣) ، الإملاء (٩٤/٢) .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء (٢٩٥/٢) ، البحر (٧٩/٧) ، مجمع البيان (٢٢٤/٤) ، الدر المصون (٣١٦/٥) . وفي « ر » : الاستفهام .

(٥) في الأصل زيادة : فظنت أنه معذبها لتغرق .

(٦) زاد في « ر » : عليه .

الأملس ، ثم أدخلوا [عرش سليمان وعرشها وكراسي عظماء الملوك ، ثم دخل سليمان ، ودخل معه عظماء جنوده][1] ثم (ل ٢٥٠) قيل لها : ادخلي الصرح وفُتح الباب ؛ فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع ، فظنت أنه مُكِرَ بها لتغرق ، ثم نظرت فإذا هي بسليمان على سريره ، والناس عنده على الكراسي ؛ فظنت أنها بمَخاضة[2]، فكشفت عن ساقيها وكان بها بَرَصٌ ؛ فلما رآها سليمانُ كرهها ، فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم من الناس ، قالت لها الجن : لا تكشفي عن ساقيك ، ولا عن قدميك ؛ فإنما هو صرحٌ من قوارير .

قال محمدٌ : كلُّ بناءٍ مطولٍ : صرح[3]، والممرّد يقال منه : مرّدت الشيء إذا بلّطته أو ملّسْته ، ومن ذلك الأمرد الذي لا شعر في وجهه[4].

﴿قالت رب إني ظلمتُ نفسي﴾ أي : نقصتها ؛ يعني : ما كانت عليه من الكفر .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال قتادة[5]: يقول : إذا القوم بين مصدقٍ ومكذبٍ ؛ هذه كانت

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) وهي أيضًا المَخَاضُ : والمراد : الموضع القليل الماء الذي يُعبر فيه الناس النهر مُشاة ورُكبانًا ، والجمع : مخاوض . لسان العرب (خوض) .

(٣) لسان العرب (صرح) .

(٤) والجمع : مُرْد . لسان العرب (مرد) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٩٨/٩ رقم ١٦٤٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

خصومتهم ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ والسيئة : العذاب ؛ لقولهم : ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾[1] والحسنة : الرحمة .

﴿قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك﴾ قال الحسن : كان قد أصابهم جوعٌ ، فقالوا : بشؤمك ، وبشؤم الذين معك أصابنا هذا ﴿قال طائركم عند اللَّه﴾ يعني : عملكم .

قال محمدٌ : المعنى : ليس ذلك مني ، وإنما هو من اللَّه ﴿بل أنتم قومٌ تفتنون﴾ قال الحسنُ : يعني : تصرفون عن دينكم الذي أَمَركم اللَّه به ﴿وكان في المدينة تسعة رهطٍ﴾ قال قتادةُ[2]: كانوا من قوم صالحٍ ﴿قالوا تقاسَمُوا باللَّه﴾ أي : تحالفوا ﴿لنبيتنّه﴾ لنبيتنَّ صالحًا وأهله ؛ يعني : الذين على دينه ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي : لرهطه ﴿ما شهدنا مهلَك[3] أهله ومكروا مكرًا﴾ يعني : الذي أرادوا بصالح ﴿ومكرنا مكرًا﴾ قال قتادة[4]: ذُكِرَ لنا أنه بيّنًا هم معاينون إلى صالحٍ ليفْتكُوا به ؛ إذ بعث اللَّه عليهم صخرة فأهمدتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمَّرناهم﴾ بالصخرة ﴿وقومهم أجمعين﴾ بعد ذلك بالصَّيْحة .

قال محمدٌ : من قرأ (إنا) بكسر الألف[5]، فالمعنى : فانظر أيَّ شيءٍ كان عاقبة أمْرهم ، ثم فسر فقال : ﴿إنا دمَّرناهم﴾[6].

﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ يقول : ليس فيها أحدٌ ، وكانوا بموضع يقال له : الحِجْر .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿خاويةً﴾ بالنصب[7] فهو على الحال[8].

---

(١) الأعراف : ٧٧.

(٢) رواه عبد الرزاق (٨٣/٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) هكذا في الأصل بفتح اللام ، وقد اختلف القراء فيها : فقرأ أبو بكر ﴿مَهْلَك﴾ بفتح الميم واللام ، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام ، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام . انظر : النشر (٣١١/٢) ، وإتحاف الفضلاء (٤٢٩) .

(٤) رواه الطبري (١٧٤/١٩) وابن أبي حاتم (٢٩٠٢/٩ رقم ١٧٤٧٨، ١٧٤٧٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) وهي قراءة ابن عامر ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، ونافع . ينظر : السبعة (٤٨٤) ، النشر (٣٣٨/٢) ، التيسير (١٦٨) .

(٦) البحر (٨٦/٧) ، إعراب القرآن (٥٢٧/٢ - ٥٢٨) ، مجمع البيان (٢٢٦/٤) .

(٧) وهي قراءة العائشة ، وقرأ عيسى بن عمر ، والجحدري بالرفع . ينظر : البحر (٨٦/٧) ، الإملاء (٩٤/٢) ، جامع القرطبي (٢١٨/١٣) .

(٨) ينظر : الدر المصون (٣٢١/٥) .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أنها الفاحشةُ .

﴿أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ أي : يتنزّهون عن أعمال قوم لُوطٍ .

﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ يعني : الباقين في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطرًا﴾ قد مضى تفسيرُه(١).

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قل الحمدُ للّه وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآللّه خيرٌ﴾ على الاستفهام ﴿أمّا تشركون﴾(٢) أي : أن الله خير من أوثانهم التي يعبدون ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ أي : حسنة . قال الحسن : والحدائق : النخل ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي : أن الله هو أنبتها ﴿أإله مع الله﴾ على الاستفهام ؛ أي : ليس معه إلهٌ ﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾ يقول : يعدلون الأوثان بالله ، فيعبدونها .

﴿وجعل بين البحرين حاجزًا﴾ تفسير الكلبي : يعني : بحر فارس والروم ، والحاجز : الخلق الذي

---

(١) في تفسير سورة هود ، الآيات : ٨١ - ٨٣، وسورة الحجر ، الآيتان : ٧٣، ٧٤.

(٢) قرأ البصريان وعاصم ﴿يشركون﴾ بالغيب ، وقرأ الباقون ﴿تشركون﴾ بالخطاب . النشر (٢/٢٣٨) إتحاف الفضلاء (٤٣٠) .

بينهما فلا يبغي أحدهما على صاحبه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني : جماعتهم .

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يعني : خلفًا من بعد خلف ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ يقول : أقلُّهم المتذكر ؛ يعني : من يؤمن .

﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ يعني : في أهوال البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح نشرًا[1] بين يدي رحمته﴾ يعني : المطر .

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني : البعث .

﴿قل هاتوا بُرهانكم﴾ أمر الله النبي ﷺ أن يقول للمشركين : هاتوا حُجَّتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن هذه الأوثان خلقت خلقًا أو صنعت شيئًا من هذا ، وهذا كله (ل٢٥١) تبع للكلام الأول ﴿آلله خيرٌ أما يشركون﴾ أي : أن الله يفعل هذا كله وهو خيرٌ من أوثانهم .

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ والغيب ها هنا : القيامة ؛ لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿وما يشعرون﴾ وما يشعر جميع الخلق ﴿أيّان يبعثون﴾ متى يبعثون ﴿بل ادَّارك﴾ أي : تدارك ﴿علمهم في الآخرة﴾ (يقول : علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله ، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم)[2] أي : إيمانهم ﴿بل هم في شكٍّ منها﴾ يعني : الآخرة ﴿بل هم منها عمون﴾ أي : عموا عنها لا يَدْرُون ما الحساب فيها وما العذاب .

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابًا وآباؤنا﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمخرجون﴾ لمبعوثون ؛ أي : لا

---

(١) بالنون وهي قراءة نافع وغيره ، وتقدم الكلام عليها في سورة الأعراف .

(٢) سقط من « ر » .

نبعث . وهذا استفهامٌ منه على إنكار .

قال محمدٌ : قراءة نافع (إذا كنا) بكسر الألف على الخبر ، وفيها اختلاف بين القُرَّاء . ومن قرأ : (أئذا) اختلس الياء ، ولم يخلص لفظها[١].

﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل﴾ هذا قول مشركي العرب ، أي : قد وعدت آباؤنا من قَبْلُ بالبعث كما وعدنا محمدٌ ، فلم نرها بُعثت ؛ يعني : من كان من العرب على عهد موسى .

﴿إن هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾ أي : كذب الأوَّلين وباطلهم .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المشركين كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ، ثم صيرهم إلى النار ؛ يحذرهم أن ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بمن كان قبلهم من المشركين ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ولا تكن في ضيقٍ مما يمكرون﴾ أي : لا يضيق عليك أمرك بما يمكرون بك وبدينك ؛ فإن الله سينصرك عليهم ويذلهُمْ لك .

قال محمدٌ : أكثر القراءة : (في ضَيْقٍ) بفتح الضاد[٢].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله إن كنت من الصادقين قال الله للنبي :

---

(١) ينظر : السبعة (٤٨٥) ، البحر (٩٤/٧) التيسير (١٦٩) ، الجامع القرطبي (٢٢٨/١٣) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠٥/١٣) في تفسير الآية رقم (٥) من سورة الرعد .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ؛ فقد قرأ ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد . ينظر : البحر (٩٤/٧) ، السبعة (٤٨٥) ، والنشر (٢/ ٣٠٥) ، الإتحاف (٣٣٩) ، التيسير (١٦٩) .

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال قتادة[١]: يعني: اقترب منكم.

قال محمدٌ: (رَدِفَ لكم) اللام فيه زائدة عند أهل اللغة؛ المعنى: ردِفكم؛ كما تقول: ركبكم، وجاء بعدكم[٢].

﴿بعض الذي تستعجلون﴾ قال الحسن: يعني: قيام الساعة الذي يهلك به آخر كفار هذه الآمة ﴿وإن ربك لذو فضلٍ على الناس﴾ فبفضل الله يتقلَّب الكافر في الدنيا، ويأكل ويشرب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ يعني: المشركين من عداوة رسول الله ﴿وما يعلنون﴾ من الكفر.

﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض إلا في كتابٍ مبين﴾ بيِّن؛ يعني: اللوح المحفوظ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ يعني: الذين أدركوا النبي ﷺ ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يعني: الذين يلقون الله بكفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ يقول: إن الأصم[٣] لا يسمع الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

قال قتادةُ[٤]: هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يَفْهَمُه؛ كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصمُّ الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ يعني: الذين يموتون على كفرهم ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ يعني: من أراد الله أن يؤمن؛ وهذا سمْعُ القبول، فأما الكافر تسمع أذناه ولا يعقله[٥] قلبه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٢٥/٥) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: البحر (٩٥/٧)، الدر المصون (٣٢٦/٥).

(٣) في «ر»: الأصنام.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٩٢١/٩ رقم ١٦٥٨١).

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٥/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في «ر»: يسمع.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي : وجب الغضب ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ وفي بعض القراءة : (تحدِّثهم)[١] ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ قال بعضهم : تقول : إن الناس كانوا بي لا يوقنون .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ؛ أن ابن عباسٍ كان يقول : « هي دابة ذات زَغَبٍ[٢] وريشٍ ، ولها أربع قوائم ، تخرج من بين أودية تهامة »[٣].

سعيد (ل٢٥٢) عن قتادة ، عن العلاء بن (زيادٍ)[٤] أن عبد الله بن عمرو ، قال : « لا تقوم الساعة ؛ حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد ، فيعرفوا مؤمنيهم من كافريهم . قالوا : كيف ذلك؟! قال : إن الدابة تخرج حين تخرج وهي دابة الأرض ؛ فتمسح كل إنسان على مسجده[٥]، فأما المؤمن فتكون نكتةً بيضاء ؛ فتفشو في وجهه حتى يبيضّ لها وجهُه ، وأما الكافر فتكون نكتةً سوداء ؛ فتفشو في وجهه حتى يسودَّ لها وجهه ؛ حتى إنهم ليتبايعون في أسواقهم يقول هذا : كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ ويقول هذا : كيف تبيع هذا يا كافر؟ فما يرُدُّ بعضُهم على بعض »[٦].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

---

(١) وهي قراءة يحيى بن سلام . ينظر : البحر (٩٧/٧) ، تفسير الطبري (١١/٢٠) .

(٢) هو صغار الريش والشَّعر ، الواحدة : زَغَبَة . لسان العرب (زغب) .

(٣) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١٢٥٧/٦ رقم ٧٠٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٨/٢) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥) - عن معمر عن قتادة به .

(٤) في « ر » : زيد . والعلاء بن زياد هو أبو نصر العدوي البصري ، ترجمته في التهذيب (٢٢/ ٤٩٧ - ٥٠٦) .

(٥) أي : على مكان سجوده .

(٦) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١٢٥٤/٦ - ١٢٥٥ رقم ٦٩٧) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٨/٢) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥ - ١٦) - عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو مختصرًا .

﴿ويوم نحشر من كل أمةٍ فوجًا﴾ يعني : كفار كل أمة ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة[1]: لهم وَزَعَةٌ تَرُدُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا جاءوا قال﴾ الله ﴿أكذَّبتم بآياتي ولمْ تحيطوا بها علمًا﴾ أي : لم تحيطوا علمًا بأن ما عبدتم من دوني خلقوا معي شيئًا ، ولا رزقوا معي شيئًا ، وإن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علمٍ علمتُموه ، إنما ذلك كان منكم على الظنِّ ﴿أمَّاذا كنتم تعملون﴾ يستفهمهم ، وهو أعلم بذلك منهم ؛ يحتجُّ عليهم ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي : حقَّ الغضب ﴿بما ظلموا﴾ أشركوا .

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وهذه النفخةُ الأولى .

يحيى : عن خالد ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عُمَارةَ بن غُراب قال : قال رسول الله ﷺ: « ﴿إلا من شاء الله﴾ : الشهداء ؛ يقولون : ما أحسن هذا الصوت »[2].

﴿وكل أتوه داخرين﴾ أي : صاغرين ؛ يعني : النفخة الآخرة .

يحيى : عن المبارك ، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ: « بين النفختين أربعون سَنَةً ؛ الأولى يميت الله بها كلَّ حي ، والأخرى يحيي الله بها كلَّ ميت »[3].

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ ساكنةً ﴿وهي تمر مرَّ السحاب﴾ تكون كالعِهْنِ المنفوش[4]

---

(١) رواه الطبري (٢٠/١٧) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٢٧ رقم ١٦٦١٣) .

(٢) لم أقف عليه ، وعمارة بن غراب تابعي ليست له صحبة ، ترجمته في التهذيب (٢١/٢٥٨) ، وأسد الغابة (٤/١٤٢) ، والإصابة (٨/٢٤) .

(٣) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/١٢٨٥ رقم ٧٢١) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
وعزاه ابن حجر في الفتح (١١/٣٧٧) لابن المبارك في الرقائق .
وروى البخاري (٨/٤١٤ رقم ٤٨١٤) ومسلم (٤/٢٢٧٠ - ٢٢٧١ رقم ٢٩٥٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون - قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة؟ قال : أبيت - ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل . قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا ، وهو عجب الذَّنَب ؛ ومنه يُركب الخلق يوم القيامة » .

(٤) يريد قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ القارعة : ٥.

وتكون كثيبًا مَهيلًا(١)، وتُبَسُّ بسًّا(٢)؛ كما يُبَسُّ السَّويقُ(٣). وتكون سرابًا(٤)، ثم تكون هباءً منبثًّا(٥)؛ وذلك حين تذهبُ من أصولها، فلا يرى منها شيءٌ؛ فتصير الأرض كلها مستوية ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ .

قال محمدٌ : القراءة (صُنْعَ اللَّه) بالنصب(٦)؛ على معنى: المصدر؛ كأنه قال: صَنَعَ اللَّهُ ذلك صُنْعًا(٧).

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ بـ « لا إله إلا الله » مخلصًا ﴿فله خيرٌ منها﴾ فيها تقديم: فله منها خيرٌ؛ أي: حظ؛ يعني: الجنة ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعني: الشرك ﴿فَكُبَّت وجوههم في النار﴾ أي: أُلقوا فيها على وجوههم ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا؛ يقال لهم ذلك في الآخرة ﴿إنما أُمرت﴾ أي: قل: يا محمدُ: إنما أمرت ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة ﴿الذي حرمها﴾ .

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ في الآخرة على ما قال في الدنيا من وَعْده؛ في تفسير الحسن ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ .



---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾ المزمل: ١٤.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾﴾ الواقعة: ٥.

(٣) وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. والجمع: أسوقة. لسان العرب (سوق).

(٤) يريد قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ النبأ: ٢٠.

(٥) يريد قوله تعالى: ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾﴾ الواقعة: ٦.

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها إلا هذه القراءة. ينظر البحر (٧/١٠٠).

(٧) وهو قول سيبويه والمبرد والنحاس وأبي علي. ينظر كشف المشكلات (٢/١٠١٧)، البحر (٧/١٠٠)، إعراب القرآن (٢/٥٣٧)، مجمع البيان (٤/٢٣٧).

تفسير سورة القَصَص وهي مكيَّةٌ كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ④ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ⑤ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ⑥﴾

قوله : ﴿طسم تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب المبين﴾ البيِّن ﴿نتلو عليك من نبإ موسى﴾ من خبر موسى ﴿وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿إن فرعون عَلاَ في الأرض﴾ أي : بغى ﴿وجعل أهلها شيعًا﴾ أي : فِرَقًا ﴿يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ يعني : بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يَدي فرعون ، والطائفة التي كان يذبح : الأبناء ، والطائفة التي كان يستحيي : النساء ، وقد كان يفعل هذا فرعون .

﴿و﴾نحن ﴿نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني : بني إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال قتادة[1]: أي : ولاة الأمر (ل٢٥٣) ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أي : يرثون الأرض بعد فرعون وقومه ، ففعل الله ذلك بهم ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ قال قتادة[2]: ذُكِرَ لنا أن حازرًا حزر[3] له ، فقال : إنه يُولَدُ في هذا العام غلامٌ يسلبك مُلْكَك ، فتتبع أبناءهم يقتلُهم حذرًا مما قال له الحازر .

---

(١) رواه الطبري (٢٠/٢٨) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤١ رقم ١٦٦٧٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣١) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٨٧) والطبري (٢٠/٢٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٣) أي : خمَّن . لسان العرب (حزر) .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي: قذف في قلبها، وليس بوحي النبوة ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ الطلب ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضَّيْعَة ﴿ولا تحزني﴾ أن يُقْتل ﴿إنا رادوه إليك﴾ قال قتادةُ[1]: فجعلته في تابوتٍ، ثم قذفته في البحر ﴿فالتقطه آلُ فرعون﴾ قال يحيى: بلغني أن الغسَّالات على النيل الْتقطْنه ﴿ليكون لهم عدوًّا﴾ في دينهمّ ﴿وحزنًا﴾ يحزنهم به.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا﴾ أي: ليصير الأمر إلى ذلك؛ لا أنهم طلبوه وأخذوه لذلك، ومثله من الكلام قولهم للذي كسب مالاً؛ فأدّاه ذلك إلى الهلاك: إنما كسب فلانٌ لِحَتْفِه، وهو لم يطلب المال لحتْفِه، ولكن صار الأمر إلى ذلك وهذه اللام يسميها بعض النحويين لام الصيرورة[2].

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عينٍ لي ولك﴾ تقوله لفرعونَ. قال قتادة[3]: أُلْقِيَتْ عليه[4] رحمتُها

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٣١/٥) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) وتسمى هذه اللام لام العاقبة. ينظر: إعراب القرآن (٥٤٣/٢)، البحر (١٠٥/٧)، مجمع البيان (٢٤٠/٤)، البيان (٢٢٩/٢).

(٣) رواه الطبري (٣٤/٢٠) وابن أبي حاتم (٢٩٤٥/٩ رقم ١٦٧٠٣).
وعزاه السيوطي في الدر (١٣٢/٥) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) في «ر»: عليها.

حين أبْصَرَتْه ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون﴾ أن هلاكهم على يديه وفي زمانه ﴿وأصبح فؤادُ أم موسى فارغًا﴾ تفسير قتادة[١]: أي : فارغًا من كل شيء ، غير ذكر موسى لا تذكُر غيره ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قال قتادة[٢]: لتبينُ أنه ابنُها من شدة وَجْدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالإيمان .

قال محمدٌ : الربطُ على القلب : إلْهَامُ الصَّبْرِ وتشديده وتقويته[٣].

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصِّيه﴾ أي : اتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جُنُبٍ﴾ أي : من بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته ؛ جعلت تنظر إليه ، وكأنها لا تريده ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ قال قتادة[٤]: جعل لا يؤتى بامْرأةٍ إلا لم يأخذ ثديها ﴿فقالت هل أدُلكم﴾ ألا أدلكم ﴿على أهْل بيتٍ يكفلونه لكم﴾ أي : يضُمُّونه فيرضعونه ﴿ولتعلم أن وعد اللَّه حق﴾ يعني : الذي قذف في قلبها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني : جماعتهم .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ولما بلغ أشُدَّه﴾ تفسير مجاهد : بلغ عشرين سنة ﴿واستوى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ .

---

(١) رواه الطبري (٢٠/٣٦) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤٦ رقم ١٦٧١٠) .

(٢) رواه الطبري (٢٠/٣٧) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤٧ رقم ١٦٧١٧) .

(٣) لسان العرب ، المعجم الوسيط (ربط) .

(٤) رواه الطبري (٢٠/٤١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها﴾ تفسير الحسن: يوم عيدٍ لهم، وهم في لَهْوِهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ (قبطي)[1] من قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ قال قتادة[2]: أراد القبطي أن يُسَخِّرَ الإسرائيليّ؛ ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون فأبى فقاتله، فوكزه موسى ولمْ يتعمَّد قتله، ولم يكن يحل قتل الكافر يومئذٍ.

قال محمدٌ: يقال: لكزه ووكزه (ولَهزه)[1] بمعنًى واحدٍ: إذا دفعه[3].

﴿قال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾ بين العداوة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ يعني: بقتل القبطي ﴿فلن أكون ظهيرًا﴾ أي: عوينًا ﴿للمجرمين﴾.

قال قتادة[4]: يقول: فلن أعين بعدها على فجرةٍ ﴿فأصبح في المدينة خائفًا يترقَّب﴾ من قَتْله النفس، يترقَّب أن يُؤْخذ.

قال محمدٌ: معنى (يترقب): ينتظر سُوءًا ينالُه[5].

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصْرِخُه﴾ أي: يستعينه ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾ أي: بين الغواء [ثم أدركت موسى الرأفة عليه][6] ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما﴾ (ل٢٥٤) بالقبطي خلَّى الإسرائيلي عن القبطي ﴿وقال يا موسى﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلاَّ أن تكون جبَّارًا﴾ أي: قتَّالاً.

---

(١) سقط من «ر».

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٩٥٥/٩ رقم ١٦٧٦٧).

(٣) ويقال: لكزه: ضربه بجُمعْ كفه في صدره.
ولهزه: ضربه بجمع كفه في لهازمه ورقبته.
ووكزه: ضربه بجمع كفه في ذقنه.
ينظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط (لكز، لهز، وكز).

(٤) رواه عبد الرزاق (٨٩/٢ - ٩٠) والطبري (٤٧/٢٠) وابن أبي حاتم (٢٩٥٦/٩ رقم ١٦٧٧٨).
وعزاه السيوطي في الدر (١٣٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٥) لسان العرب (رقب).

(٦) طمس في الأصل. و المثبت من «ر».

قال محمدٌ : وقيل المعنى : فلما أن أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌّ لهما ، ولم يفعل موسى ، وقال للمستصرخ : ﴿إنك لغوي مبين﴾ قال له المستصرخ : ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني ...﴾ الآية ، فالله أعلم .

وأصل الجبَّار في اللغة : المتعظِّم[1] الذي لا يتواضع لأمر الله - عز وجل - [في الأرض][2].

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ أي : يسرع ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ .

قال محمدٌ : (يأتمرون) هو يفتعلون من الأمر ؛ المعنى : يأمر بعضهم بعضًا بقتلك[3].

قال قتادة[4]: وذلك أن القبطي [الآخر][5] لما سمع قول الإسرائيلي لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس - أفشى عليه ، فائتمر الملأ من قوم فرعون ليقتلوه ، فبلغ ذلك مؤمن آل فرعون وهو الذي جاء من أقصى المدينة ، فأخبر موسى .

﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفًا يترقب﴾ .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني : الطريق إلى مدين ،

---

(١) وهو أيضًا المتكبِّر المتسلِّط . والجمع : جبابرة . لسان العرب (جبر) .

(٢) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٣) ينظر : الدر المصون (٥/٣٣٧) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٠/٥٠ - ٥١) .

(٥) في الأصل : الأخير .

وكان خرج ولا يعرف الطريق إلى مدين.

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وفي بعض القراءة (تذودان الناس عن شيائهما)[١] أي: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس ﴿قال﴾ لهما موسى ﴿ما خَطْبُكما﴾ ما أمْرُكما ﴿قالتا لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرعاءُ﴾ أي: حتى يسقي الناسُ، ثم نَتتبَّع فُضَالَتهم؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: من قرأ: (حتى يُصْدِرَ) بضم الياء وكسر الدال[٢]، فالمعنى: لا نَقْدر أن نَسْقِيَ حتى يردَّ الرِّعاءُ غنمَهم وقد شربتْ[٣]، والرعاء جمع: راعٍ[٤].

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير﴾ يعني: الطعام.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال الحسن[٥]: ويقولون: هو شُعَيْبٌ، وليس بشعيبٍ[٦]، ولكنه كان سيد أهل الماء يومئذٍ. وقال ابن عباسٍ[٧]: اسْمُ ختن موسى: يثرى

---

(١) لم أجد هذه القراءة، وكل ما وجدته من قراءات لها هو قراءة «امرأتين حابستين تذودان» بدون نسبة. ينظر جامع القرطبي (٢٦٨/١٣).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وأبا عمرو؛ فقد قرأا ﴿يَصْدُرَ﴾. ينظر السبعة (٤٩٢)، البحر (١١٣/٧)، التيسير (١٧١)، النشر (٣٤١/٢).

(٣) ينظر: البحر (١١٣/٧)، إعراب القرآن (٥٥٠/٢)، البيان (٢٣١/٢).

(٤) يقال فيه: رِعاء، ورُعاة ورُعْيان. كل ذلك جمع (راع) ينظر لسان العرب (رعى).

(٥) رواه الطبري (٦٢/٢٠) وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٥، ٢٩٦٦ رقم ١٦٨٣٣، ١٦٨٤١).
وعزاه السيوطي في الدر (١٣٧/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في تحقيق أنه ليس بشعيب النبي ﷺ مطبوعة في مجموع الرسائل والمسائل.

(٧) عزاه السيوطي في الدر (١٣٧/٥) لابن المنذر وابن مردويه.

﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ تفسير بعضهم في قوله : (القوي) : أنه سألهما : هل ها هنا بئرٌ غير هذه؟ فقالتا : نعم ، ولكن عليها صخرة لا يرفعُها إلا أربعون رَجُلاً ، فرفعها موسى وحده .

وتفسير الحسن : أن الأمانة التي رأت منه ؛ أنها حين جاءته تدعوه . قال لها : كوني ورائي - وكره أن يستدبرها .

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي : في الرفق بك ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ﴾ يعني : أي الأجلين قضيت ، و(ما) زائدة[1] ﴿فلا عدوان﴾ أي : فلا سبيل ﴿عليَّ﴾ .

قال محمدٌ : (عُدْوَان) منصوبٌ بـ (لا)[2] وأصل الكلمة من العداء ؛ وهو الظلم[3]؛ كأنه قال : أي الأجلين قضيت فلا تعتدِ عليَّ ؛ بأن تلزمني أكثر منه .

﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أي : شهيد .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباسٍ[4]: قضى أوفاهما وأبرَّهما : العَشْر .

﴿وسار بأهله﴾ قال مجاهد[5]: أقام بعد أن قضى الأجل عشر سنين ﴿آنس من جانب الطور

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء (٢/٣٠٥) ، البحر (٧/١١٥ - ١١٦) ، إعراب القرآن (٢/٥٥١) ، البيان (٢/٢٣١) .

(٢) ينظر المراجع السابقة .

(٣) يقال : عَدَا عليه يَعْدُو عَدْوًا وعُدُوًّا وعَدَاءً وعُدْوانًا وعِدْوانًا : ظلمه وتجاوز الحد . لسان العرب (عدو) .

(٤) رواه البخاري (٥/٣٤٢ رقم ٢٦٨٤) .

ورواه الطبري (٢٠/٦٩) وأبو يعلى (٤/٢٩٧ رقم ٢٤٠٨) وغيرهما عن ابن عباس مرفوعًا ، وصححه الحاكم .

وروى مرفوعًا عن عدة من الصحابة ومرسلًا عن بعض التابعين . انظر تفسير ابن كثير (٣/٣٨٦ - ٣٨٧) وفتح الباري (٥/٣٤٣) والدر المنثور (٥/١٣٨) .

(٥) رواه الطبري (٢٠/٦٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

نارًا﴾ قد مضى تفسيره[١] ﴿أو جذوة من النار﴾ يعني : أَصْل شرر[٢] ﴿لعلكم تصطلون﴾ وكان (شَاتِيًا)[٣] ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى﴾ .

قال محمدٌ : (أن) في مَوْضع نصْب ؛ المعنى : نودي بأنَّه يا موسى ، وكذلك ﴿وأن ألْق عصاك﴾ عطفٌ عليها[٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كأنها جانٌّ﴾ كأنها حيَّة ﴿ولَّى مدبرًا﴾ هاربًا منها ﴿ولم يعقب﴾ أي : يرجع ؛ في تفسير مجاهد ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اسلك ؛ أي : أدخلها في جيبك [أي : قميصك][٥] ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ .

قال محمد : يقال : سَلَكْت (ل٢٥٥) يدي وأَسْلَكْتُها[٦].

﴿واضمم إليك جناحك﴾ يعني : يدك ﴿من الرهب﴾ [أي : من الرعب][٧] يقول : اضممها إلى صدرك ؛ فيذهب ما فيه من الرعب ، وكان قد دخله فزع من آل فِرعون ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ أي : بيانان ؛ يعني : العصا واليد .

---

(١) مريم ٦٤، وطه : ٨٠.

(٢) في « ر » : أصل الشجرة .

(٣) في « ر » : شتاء .

(٤) ينظر الدر المصون (٣٤١/٥) .

(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) وسَلَكْتها . بمعنًى واحد . لسان العرب (سلك) .

(٧) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

﴿فأرسله معي رِدْءًا﴾ أي: عونًا ﴿يصدقني﴾ أي: يكون معي في الرسالة ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

قال محمدٌ: يقال: رَدَأْته على كذا؛ أي: أعنته[١]، ومن قرأ (يصدقني) بالجزم فهو على جواب المسألة[٢]: أرسلْه يُصَدِّقني، ومن رفع (يصدقُني) فالمعنى: ردءًا مُصدِّقًا لي[٣].

وذكر ابن مجاهد أن نافعًا وحده قرأ (رِدًا) منونةً بغير همزٍ، وأن سائر القراء يقرءون: (ردءًا) بالهمز[٤].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: إني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة؛ يعني: الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري﴾ قال الحسن: تعمَّد الكذب ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: فاطبخ لي آجرًا[٥]؛ فكان أول من طبخ الآجرّ ﴿فاجعل لي صرحًا﴾ أي: ابن لي قصرًا؛ فبنى له صرحًا عاليًا، وقد علم فرعون أن موسى رسولُ الله، وهذا القول منه كذبٌ.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ

---

(١) يقال: رَدَأْته أَرْدَؤُه: أعنته وقويته. لسان العرب (ردأ).

(٢) أي: على جواب الأمر.

(٣) قرأ بالرفع عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر: السبعة (٤٩٤)، التيسير (١٧١) النشر (٢/٣٤١)، وينظر في التوجية النحوي: إعراب القرآن (٢/٥٥٣)، البحر (٧/١١٨).

(٤) ينظر: السبعة (٤٩٤)، البحر (٧/١١٨)، التيسير (١٧١).

(٥) هو اللَّبِن المحترق المعَدّ للبناء. وهو معرب. ويقال فيه: الآجُرُ والآجُرّ، والآجِرُ والآجُرُون والآجِرون. المعجم الوسيط، القاموس المحيط (أجر).

وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ يوم القيامة ﴿فانظر﴾ يا محمدُ ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: دمَّر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي: يتبعهم من بعدهم من الكفار ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: الغرق الذي عذَّبهم به. ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يقول: أهل النار مشوهون سُودٌ زُرْقٌ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة؛ وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿بصائر للناس﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ يعني: غربيّ الجبل ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ يعني: الرسالة ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: لمْ تشاهد ذلك ﴿ولكنا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر﴾ كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ أي: لمْ تكن يا محمد مقيمًا بمَدْيَن؛ فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قال بعضهم: نودي: يا أُمَّة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا؛ في تفسير السُّدي ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكَّروا.

قال محمدٌ: من قرأ (رحمةً) بالنصْب[1]، فالمعنى: فعلنا ذلك للرحمة؛ كما تقول: فعلت ذلك

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ عيسى وأبو حيوة (رحمةٌ) بالرفع، ينظر: البحر (١٢٣/٧)، الكشاف (١٨٢/٣).

ابتغاء الخير ؛ أي : لابتغاء الخير[١].

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبةٌ﴾ يعني : العذاب ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بالذي هُمْ عليه من الشرك ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ...﴾ الآية ، يقول : ولو أنا عذَّبناهم لاحتجوا ، فقالوا : ﴿ربنا لولا﴾ : هلا ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنينْ﴾ فقطع اللَّه عُذْرَهُمْ بمحمَّدٍ ؛ فكذبوه . قال اللَّه : ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني : القرآن ﴿قالوا لولا أوتي﴾ يعنون : النبي ﷺ ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي : هلاَّ أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً ؛ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة .

قال اللَّه : ﴿أو لمْ يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حُجَّةً ؛ في تفسير الحسن ﴿قالوا ساحران[٢] تظاهرا﴾ موسى ومحمد ؛ في تفسير الحسن[٣]؛ وهذا قول مشركي العرب ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعني : بالتوراة والقرآن .

قال اللَّه : ﴿قل فأتوا بكتابٍ من عند اللَّه هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ليأتوا به ، ولا يأتون به ؛ ولكنها حجَّةٌ عليهم ﴿إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ (ل٢٥٦) يعني : المشركين الذين يَمُوتُون على شركهم .

---

(١) أي : مفعول لأجله . ينظر الدر المصون (٥/٣٤٦) .

(٢) قرأ الكوفيون ﴿سِحْران﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها ، وقرأ الباقون ﴿ساحران﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء . النشر (٢/٣٤١ - ٣٤٢) وإتحاف الفضلاء (٤٣٦ - ٤٣٧) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٩/٢٩٨٥ رقم ١٦٩٥٥) .

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد وصّلنا لهم القول﴾ أخبرناهم بأنا أهلكنا من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلَهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم فيؤمنوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به﴾ بالقرآن ﴿يؤمنون﴾ يعني : من كان مستمسكًا بأمر موسى وعيسى ، ثم آمن بمحمدٍ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن به ﴿مُسْلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ على دينهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ تفسير السُّدي : يدفعون بالقول المعروف والعفو الأذى والأمر القبيح ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة الواجبة ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ يعني : الشتمَ والأذى من كفّار قومهم ﴿أعرضوا عنه﴾ أي : لمْ يرُدُّوا عليهم ﴿وقالوا﴾ للمشركين : ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم﴾ كلمة حلمٍ عن المشركين ، وتحية بين المؤمنين ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي : لا نكون منهم .

قال محمدٌ : وقيل : معنى ﴿سلام عليكم﴾ ها هنا ؛ أي : بيننا وبينكم المُسَالمة ، وكان هذا قبْل أن (يؤمروا بقتالهم)(١).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في أبي طالب ، حيث أراده النبي ﷺ على أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فأبَى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي : من قُدِّرَ له الهدى ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾

---

(١) في « ر » : يؤمر بالقتال .

يعني : التوحيد ﴿نتخطف من أرضنا﴾ لقلّتنا في كثرة العرب ، وإنما ينفي الحرب عنَّا أنَّا على دينهم ؛ فإن آمنا بك واتبعناك خشينا أن يتخطفنا الناس ؛ قال الله للنبي : ﴿أو لم نمكّن لهم حرمًا آمنًا ...﴾ الآية . يقول : قد كانوا في حرمي يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون ، فيخافون إن آمنوا أن أسلّط عليهم من يقتلهم ويَسْبيهم؟! ما كنت لأفعل ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني : من لمْ يؤمن منهم ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [هو كقوله : ﴿فكفرت بأنعم الله﴾(١).

قال محمد : قيل : إن معنى ﴿بطرت معيشتها﴾ أي :](٢) أشِرت في معيشتها ، ونصب (معيشتها) بإسقاط (في)(٣).

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي : معذِّبهم ؛ يعني : هذه الأُمّة ﴿حتى يبعث في أمها﴾ يعني : مكّة ﴿رسولا﴾ والرسول : محمدٌ ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون ﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين ، ثم قال على الاستفهام :

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا﴾ يعني الجنة ﴿فهو لاقيه [كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين](٤)﴾ أي : أنهما لا يستويان . يقال : نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جَهْل بن هشام ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الغضب ؛ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان : ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم﴾ أضْلَلْناهم ﴿كما غوينا﴾ ضللنا ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي : بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به ، وإنما دعوناهم بالوَسْوَسة ؛ كقول إبليس :

---

(١) النحل : ١١٢.

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٥٥٥ - ٦٥٦) ، البيان (٢/٢٣٥) ، البحر (١٢٦/٧) ، مجمع البيان (٢٥٩/٤) .

(٤) سقط من الأصل.

﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾(١).

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۝٦٤ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۝٦٦ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۝٦٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١﴾

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ يستفهمهم؛ يحتجُّ عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العباد عن أعمالهم إلا اللّٰه وحده ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الحُجَجُ؛ في تفسير مجاهد(٢) ﴿يومئذٍ فهم لا يتساءلون﴾ أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبهم شيئًا؛ في تفسير الحسن.

﴿فأما من تاب﴾ من شِرْكه ﴿وآمن﴾ أي: أخلص الإيمان للّٰه ﴿وعمل صالحًا﴾ في إيمانه ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ و(عسى) من اللّٰه واجبة ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ من خلقه للنبوة.

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: أن يختاروا هم [الأنبياء (ل٢٥٧) فيتبعونهم](٣).

﴿سبحان اللّٰه﴾ (ينزِّه نفسه)(٤) ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) رواه الطبري (٢٠/٩٩) وابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٠ رقم ١٧٠٤٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٤٧) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) سقط من «ر».

[﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا﴾ أي : دائمًا لا ينقطع ، أمره يقوله للمشركين ﴿إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾][(١)].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا﴾ أي : دائمًا لا ينقطع ، أمره أن يقوله للمشركين ﴿من إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه﴾ أي : يسكن فيه الخلْق .

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني : في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار ؛ وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر ؛ فأما المؤمن فتتم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وأما الكافر فهي رحمةٌ له في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب .

﴿ونزعنا من كل أمةٍ شهيدًا﴾ أي : أحضرنا رسولاً ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني : أوثانهم التي كانوا يعبدونها .

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿إنَّ قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابنَ عَمِّه ؛ أخي أبيه ﴿فبغى عليهم﴾ كان عاملاً لفرعون ؛ فتعدَّى عليهم وظلمهم ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي : من الأموال ؛ يعني : قارون ﴿ما إن مفاتحه﴾ يعني : مفاتح خزائنه ؛ في تفسير بعضهم ﴿لتنوء بالعصبة﴾ أي : لتثقل العصبة ﴿أولي القوة﴾ يعني : الشدة ؛ وهم ها هنا أربعون رجلاً .

قال محمدٌ : يقال : نَأَتْ بالعصبة ؛ أي : مالتْ بها ، وأَنْأَت العُصْبة ؛ أي : أمالتها[١].

قوله : ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ يعني : البطرين ؛ وهم المشركون الذين لا (يشكرون)[٢] الله فيما أعطاهم .

قال محمدٌ : من الفرح ما يكون معناه : الأَشَر والبَطَر . قال الشاعر :

ولستُ بمِفْرَاحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني ولا جَازِعٍ من صَرْفِهِ المتحوِّلِ

يقول : لستُ بأَشِرٍ ولا بَطِرٍ ؛ ليس هو من الفرح الذي معناه السرور .

﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من هذه النعم ﴿الدار الآخرة﴾ يعني : الجنة ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ يقول : اعملْ في دنياك لآخرتك .

﴿وأحسن﴾ فيما افترض الله عليك ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته﴾ يعني : ما أُعطي من الدنيا ﴿على علمٍ عندي﴾ أي : بقوتي وعلمي .

قال محمدٌ : قيل : إنه كان [أَقْرأَ بني إسرائيل للتوراة][٣] ولذلك ادعى أن المال أعطيه لعلمه . قال الله : بل هي فتنةٌ : بلية .

﴿أو لمْ يعلم﴾ يعني : قارون ﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا﴾ من الجنود والرجال ؛ أي : بلى قد علم ﴿ولا يُسْأَل عن ذنوبهم المجرمون﴾ المشركون لتعلم ذنوبهم من عندهم ﴿فخرج على قومه﴾ يعني : قارون ﴿في زينته﴾ تفسير الكلبي : أنه خرج وعليه ثيابٌ حمرٌ على بغلةٍ بيضاء ، ومعه أربعمائة جارية عليهنَّ ثيابٌ حمرٌ على بغالٍ بيضٍ ﴿قال الذين

---

(١) مأخوذ من النَّأْي ؛ وهو البعد . ينظر لسان العرب (نأى) .

(٢) في « ر » : يشركون . وهو تحريف عن الصواب .

(٣) مطموس في الأصل ، والمثبت من « ر » وفي تفسير ابن كثير : أنه كان عالمًا بالكيمياء . (٦/٢٦٤) .

يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم المشركون ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ...﴾ الآية .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ويلكم ثواب اللَّه﴾ يعني : الجنة ﴿خيرٌ﴾ ﴿ولا يُلقاها﴾ يُعطاها ؛ يعني : الجنة ﴿إلا الصابرون﴾ وهم المؤمنون .

﴿فخسفنا به﴾ بقارون ﴿وبداره﴾ يعني : مسكنه ، فهو يخسف به كل يوم قامةً إلى يوم القيامة ؛ في تفسير قتادة[1] ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنَّ اللَّه﴾ أي : أن اللَّه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ .

﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي : وإنه لا يفلح الكافرون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿ويكأن اللَّه﴾ قال أبو عبيدَة : سبيلها سبيلُ : (ألم تر) وقد رأيتُ بين النحويين وأصحاب اللغة في هذه اللفظة (ويكأنه) اختلافًا كثيرًا ؛ فاللَّه أعلم بما أراد[2].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لا يريدون علوًّا في الأرض﴾ يعني : شركًا ﴿ولا فسادًا﴾ قتل الأنبياء والمؤمنين ﴿من جاء بالحسنة﴾ لا إله إلا اللَّه ﴿فله خيرٌ منها﴾ أي : فله منها خير .

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ بالشرك ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ يقول : جزاؤهم النار خالدين فيها .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١١٩/٢٠) وتفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٠/٩ رقم ١٧١٦٠) .

(٢) قرأ الكسائي بالوقف على (وي) ، وقرأ أبو عمرو بالوقف على (ويك) ، وقرأ الأصبهاني ، وورش بتسهيل الهمزة ، ينظر : إتحاف الفضلاء (٣٤٤) ، التبيان (١٦٠/٨) ، النشر (١٥١/٢) .

﴿إن الذي فرض﴾ يعني : أنزل ﴿عليك القرآن لرادك إلى معادٍ﴾ .

قال يحيى : بلغني « أن النبي ﷺ حين هاجر نزل عليه جبريل وهو بالجحفة موجّه من مكة إلى المدينة ، فقال : أشتقتَ يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها فقال : نعم . فقال : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مولدك[1] الذي خرجت منه ، ظاهرًا على أهله »[2].

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ أي : محمد جاء بالهدى ، فآمن به المؤمنون (ل٢٥٨) ﴿ومن هو﴾ أي : أعلم بمن هو ﴿في ضلالٍ مبين﴾ .

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك﴾ يعني النبي ﷺ.

﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ يعني : أن ينزّل عليك [وقوله : ﴿ترجو﴾ يقوله للنبي ﷺ][3] ﴿إلا رحمة من ربك﴾ يقول : [ولكن][4] نزل عليك الكتاب رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيرًا﴾ عَوِينًا ﴿للكافرين﴾ .

﴿كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه﴾ يعني : إلا هو .

قال محمدٌ : ﴿وجهه﴾ منصوبٌ على الاستثناء ، المعنى : إلا إياه[5]؛ وهو مذهب يحيى .

﴿له الحكم﴾ القَضَاء ﴿وإليه ترجعون﴾ .

---

(١) أي : مكان مولدك .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٢٦/٩ رقم ١٧٢٠٥) عن الضحاك بنحوه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٢/٥) لابن مردويه عن علي بن الحسين بن واقد بنحوه أيضًا .
وروى البخاري (٣٦٩/٨ رقم ٤٧٧٣) عن ابن عباس « ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال : إلى مكة » .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » ..

(٥) ينظر الدر المصون (٣٥٦/٥) ، البحر المحيط (١٣٧/٧) .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكيّة كلها إلا عشر آيات مدنية من أولها إلى قوله : ﴿وليعلمن المنافقين﴾[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

قوله : ﴿الم﴾ قد مضى (القول فيه)[٢] في أول سورة البقرة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ يعني : يبتلون بالجهاد في سبيل الله ؛ هم قومٌ كانوا بمكّة ممن أسلم كان قد وُضِعَ عنهم الجهاد والنبي ﷺ بالمدينة بعد ما افْتُرِض الجهاد ، وقُبِلَ منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولا يجاهدوا ، ثم أُذِنَ لهم في القتال حين أخرجهم أهل مكة ؛ فلما أُمروا بالجهاد كرهوا القتال ﴿ولقد فتنا﴾ اختبرنا ﴿الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ بما أظهروا من الإيمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ يعني : الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر وهم المنافقون ، وهذا علمُ الفعال .

قال محمدٌ : معنى علم الفعال : العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء ، وقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما .

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني : الشرك ﴿أن يسبقونا﴾ حتى لا نَقْدر عليهم

---

(١) اختلف في عد ﴿الم﴾ آية ، أو بعض آية ، فمن عدها آية ، صارت هذه الآيات إحدى عشرة آية ، والله أعلم .

(٢) في « ر » : تفسيره .

فنعذبهم أي: قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا ﴿ساء ما﴾ أي: بئس ما ﴿يحكمون﴾ أن يظنوا أن الله خلقهم، ثم لا يبعثهم فيجزيهم بأعمالهم، ثم قال: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ يقول: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن ﴿فإن أجل الله لآتٍ﴾ يعني: البعث ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ يقول: يُعْطيه الله ثواب ذلك.

﴿إن الله لغنيٌّ عن العالمين﴾ أي: عن عبادتهم.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ يعني: جميع الناس بوالديه ﴿حسنًا﴾ أي: برًّا ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ أي: أراداك على أن تشرك بي ﴿ما ليس لك به علمٌ﴾ أي: أنك لا تعلم أن معي شريكًا؛ يعني: المؤمنين ﴿فلا تطعهما﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (يعني: مع الصَّالحين)[1] وهم أهل الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ رجعت القصةُ إلى الكلام الأول ﴿الم أحسب الناس﴾[2] إلى قوله: ﴿وليعلمن الكاذبين﴾[3] فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة، فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: إذا أُمِرَ بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه فيه أذًى، رفض ما أُمِرَ به. وأقام عن الجهاد، وجعل ما يدخل عليه من البلية في القتال إذا كانت بلية كعذاب الله في الآخرة؛ لأن الله قد خوَّفه عذاب الآخرة وهو لا يُقِرُّ به ﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني: نصرًا على المشركين ﴿ليقولون﴾ يعني: جماعتهم ﴿إنا كنا معكم﴾ يطلبون

(١) سقط من «ر».
(٢) العنكبوت: ٢.
(٣) العنكبوت: ٣.

الغنيمة ، قال الله : ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي : أنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي : ما كان فيه من إثم فهو [علينا][1] وهذا منهم إنكارٌ للبعث والحساب .

قال محمدٌ : (ولنحملْ) هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء[2]، المعنى : إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم أي إن كان فيه إثمٌ فنحن نحملُه وإلى هذا (ل٢٥٩) ذهب يحيى .

﴿وما هم﴾ يعني : الكافرين ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ يعني : خطايا المؤمنين ﴿من شيء﴾ لو اتبعوهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾ .

﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني : آثام أنفسهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يقول : يحملون من ذنوب من اتبعهم على الضلالة ، ولا ينقص ذلك من ذنوب الذين اتبعوهم شيئًا .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « أيُّما داعٍ دعا إلى هدى[3] فاتُّبع عليه ، كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقصَ من أجورهم[4] شيءٌ ، وأيُّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع عليها ، كان له مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ »[5].

---

(١) في الأصل : عليهم . والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر : البيان (٢/٢٤١) ، الدر المصون (٥/٣٦١) .

(٣) في « ر » : الهدى .

(٤) في « ر » : أجرهم .

(٥) رواه الإمام أحمد (٢/٥٠٤ - ٥٠٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/٥٢ رقم ٧) من طريق سفيان بن حسين عن الحسن به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً .

ورواه الإمام أحمد (٢/٣٩٧) ومسلم (٤/٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤) وأبو داود (٥/١٩٣ - ١٩٤ رقم ٤٦٠١) والترمذي (٥/٤٢ رقم ٢٦٧٤) وابن ماجه (١/٧٥ رقم ٢٠٦) وابن حبان (١/٣١٨ رقم ١١٢) وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الإمام أحمد (٢/٥٢٠ - ٥٢١) وابن ماجه (١/٧٤ رقم ٢٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣/١١٦ رقم ٢٦٧٧) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا﴾ قال كعب : لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ثم لبث بعد الطوفان ستمائة سنة ﴿فأخذهم الطوفان ...﴾ إلى قوله : ﴿آية للعالمين﴾ قد مضى تفسير هذه القصة في سورة هود[1].

قال محمدٌ : والطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا مهلكًا للجماعة ؛ كالغرق المشتمل على جماعة والقتل الذريع والموت الجارف .

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا﴾ أي : تقولون كذبًا ﴿وإن تكذبوا فقد كذَّبَ أممٌ من قبلكم﴾ أي : فأهلكهم الله ، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما على الرسول إلا البلاغُ المبين﴾ أي : ليس عليك أن تكره الناس على الإيمان .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ بلى قد رأوا أن الله قد خلق العباد ﴿ثم يعيده﴾ يخبر أنه يبعث العباد ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ خلقهم وبعثهم ﴿ثم الله ينشيء﴾ يخلق ﴿النشأة الآخرة﴾ يعني : البعث ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ يعني : ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم

(١) هود : ٣٦ - ٤٧.

الخبيثة فتفوتونه هربًا ؛ يقوله للمشركين .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ رجع إلى قصة إبراهيم ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾ أي : فيما صنع الله لإبراهيم خليله وما نجاه من النار ، وإنما يعتبر المؤمنون .

قال محمدٌ : من قرأ (جوابَ) بالنصب[1] جعل (أن قالوا) اسم كان[2].

ثم قال ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم﴾ أي : يحب بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا .

قال محمدٌ : (مودّة) منصوبٌ بمعنى : اتخذتم هذا للمودّة[3].

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ أي : يتبرأ بعضكم من بعضٍ ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي﴾ إبراهيم يقوله ؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ فليس من أهل دين إلا وهمْ يتولَّونه ويحبونه .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) وهي قراءة العامة ، وقرأ الحسن وعمرو بن دينار (جواب) بالرفع . ينظر : البحر (١٤٨/٧) ، جامع القرطبي (٣٣٨/١٣) .

(٢) ينظر : الدر المصون (٣٦٤/٥) .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٥٦٨/٢) ، البحر (١٤٨/٧ - ١٤٩) ، مجمع البيان (٢٧٨/٤) ، البيان (٢٤٢/٢ - ٢٤٣) .

﴿ولوطًا﴾ أي : وأرسلنا لوطًا ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ يعني : إتيان الرجال في أدْبَارهم ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ .

قال محمدٌ : (أئنكم) لَفْظُه لَفْظُ الاستفهام ، والمعنى معني التقرير والتوبيخ .

﴿وتقطعون السبيل﴾ كانوا يتعرضون الطريق يأخذون الغرباء ؛ فيأتونهم في أدْبارهم ، ولا يفعله بعضهم ببعض ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ في مجمعكم المنكر ؛ يعني : فعلهم ذلك .

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولما جاءت رسُلُنا﴾ يعني : الملائكة ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ يعنون : قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ مشركين ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرْعًا﴾ لَمَّا تخوَّفه عليهم من فعل قومه ، وهو يظن أنهم آدَمِيُّون .

﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ الملائكة قالته للوط ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رِجْزًا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يشركون ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ (ل ٢٦٠) أي : [عبرة][1] ﴿لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون ، وقد مضى تفسير قصة قوم لوط[2].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر الأعراف (٨٠ - ٨٤) ، هود : (٧٧ - ٨٣) ، الحجر : (٦١ - ٧٤) ، الشعراء : (١٦٠ - ١٧٤) ، النمل : (٥٤ - ٥٨) .

﴿وإلى مدين﴾ أي : وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيبًا﴾ أخوهم في النسب ، وليس بأخيهم في الدين ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي : صدقوا به ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ العذاب ؛ في تفسير الحسن ﴿فأصبحوا في دراهم جاثمين﴾ أي : هالكين .

﴿وعادًا وثمودًا﴾[1] أي : وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وقد تبينٌ لكم من مساكنهم﴾ يعني : ما رأوا من آثارهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ في الضلالة .

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وقارون﴾ أي : وأهلكنا قارون ﴿وفرعون وهامان وما كانوا سابقين﴾ أي : يسبقوننا ؛ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ يعني : من أهلك من الأمم السابقة ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا﴾ يعني : قوم لوطٍ الذين رُجِموا بالحجارة ؛ من كان خارجًا من مدينتهم ، وأهل السفر منهم .

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني : مدينة قوم لوطٍ وقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ قوم نوحٍ ، وفرعون وقومه .

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني : أوثانهم التي عبدوها من دون الله ﴿كمثل

---

(١) بالتنوين وهي قراءة نافع وغيره ، وتقدم ذكر القراءات فيها في سورة الفرقان .

العنكبوت اتخذتْ بيتًا وإن أوهن البيوت﴾ أضعف البيوت ﴿لبيْت العنكبوت﴾ أي : إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا كما لا يكنُّ بيت العنكبوت من حرّ ولا برد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي : نَصِفها ونبيّنها ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ يعني : المؤمنين ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي : للبعث والحساب ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة للمؤمنين ، أي : أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة .

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ تفسير الكلبي[١]: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فُحْشًا ولا منكرًا ﴿ولذكر الله أكبر﴾ تفسير الحسن[٢]: قال الله : ﴿فاذكروني أذكركُمْ﴾[٣] فإذا ذكر اللهَ العَبدُ ذكره الله ، فذكْرُ اللهِ العبْدَ أكبرُ من ذكر العبد إياه .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال بعضهم : يعني : من قاتلك منهم ولم يعطك الجزية فقاتله ، وإنما أُمِرَ بقتالهم بالمدينة ، وهذا مما نَزَلَ بمكة ؛ ليعملوا به بالمدينة [نسختها آية القتال][٤].

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني : من آمن منهم ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني : مشركي العرب ﴿من يؤمن به﴾ يعني : القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تقرأ وتكتب ، و(المبطلون) في تفسير بعضهم : من لم

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٩٧) .

(٢) رواه الطبري (٢٠/١٥٧) بمعناه .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٥٩) لعبد بن حميد .

(٣) البقرة : ١٥٢.

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » . وانظر الناسخ والمنسوخ (٧٣) .

يؤمنْ من أهل الكتاب .

قال محمدٌ : المعنى على هذا التفسير : أي : أنهم يجدونك في كتبهم أُمِّيًّا فلو كنت تكتب لارتابوا .

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني : (النبي)[1] والمؤمنين ﴿وقالوا لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل عليه آياتٌ من ربه﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات ، قال اللَّه : ﴿قل إنما الآياتُ عند اللَّه﴾ إذا أراد اللَّه أن ينزل آيةً أنزلها ﴿أو لمْ يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم﴾ أي : تتلوه وأنت لا تقرأ ولا تكتب ، فكفاهم ذلك لو عقلوا ﴿قل كفى باللَّه بيني وبينكم شهيدًا﴾ أني رسوله وأن هذا الكتاب من عنده ؛ وأنكم على الكفر ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ والباطل : إبليس .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كان النبي ﷺ يخوفهم العذاب إن لمْ يؤمنوا ؛ فكانوا يستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا . قال اللَّه : ﴿ولولا أجلٌ مسمى﴾ (ل ٢٦١) النفخة [الأولى][2] ﴿لجاءهم

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) طمس في الأصل .

العذاب﴾ إن الله أخَّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى ؛ بها يكون هلاكهم ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله : ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواش﴾(١).

﴿ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي : ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ أمرهم في هذه الآية بالهجرة إلى المدينة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي : في تلك الأرض التي آمرُكم أن تهاجروا إليها ؛ يعني : المدينة .

قال محمدٌ : (فإياي) منصوبٌ بفعلٍ مضمر الذي ظهر تفسيره ؛ المعنى : فاعبدوا إياي : فاعبدون(٢).

﴿لنبوئنهم﴾ أي : لنسكننّهم ﴿من الجنة غرفًا﴾ .

﴿نعم أجرُ العاملين﴾ نعم ثواب العاملين في الدنيا ؛ يعني : الجنة .

﴿وكأين﴾ أي : وكم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ يعني : تأكل بأفواهها ، ولا تحمل شيئًا لغدٍ .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ...﴾ إلى قوله : ﴿فأنى يؤفكون﴾ يقول : فكيف يصرفون بعد إقرارهم بأن الله خلق هذه الأشياء [﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي : يقتر . ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ .

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحي به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي : أنهم قد أقروا بأن الله خالق هذه الأشياء](٣)، ثم عبدوا الأوثان من دونه؟! .

---

(١) الأعراف : ٤١.
(٢) ينظر الدر المصون (٣٦٨/٥) .
(٣) لحق غير واضح بحاشية الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾ أي : إن أهل الدُّنيا أهل لهْوٍ ولعب ؛ يعني : المشركين هم أهْلُ الدنيا لا يقرون بالآخرة ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني : الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ أي : يبقى فيها أهلُها لا يموتون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني : المشركين لعلموا أن الآخرة خَيْرٌ من الدنيا ﴿دَعَوا اللَّه مخلصين له الدين﴾ إذا خافوا الغرق ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ كقوله : ﴿بدَّلوا نعمة اللَّه كفرًا﴾[1].

﴿وليتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا صاروا إلى النار ؛ وهذا وعيدٌ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أو لمْ يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾ أي : بلى قد رأوا ذلك ﴿ويتخطَّفُ الناس من حولهم﴾ يعني : أهل الحرم ، يقول : إنهم آمنون ، والعرب حولهم يقتل بعضهم بعضًا ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أفبإبليس يصدقون؟! أي : بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان ، وهي عبادته ﴿وبنعمة اللَّه يكفرون﴾ يعني : ما جاء به النبي ﷺ من الهدى ، وهذا على الاستفهام ؛ أي : قد فعلوا .

﴿ومن أظلم ممن افترى على اللَّه كذبًا﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿أو كذب بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ أي : لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي : منزل ﴿للكافرين﴾ أي : بلى فيها مثوى لهم ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ يعني : عملوا لنا . ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ يعني : سبل الهدى .

﴿وإن اللَّه لمع المحسنين﴾ يعني : المؤمنين .



---

(١) إبراهيم : ٢٨.

تفسير سورة الروم وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

قوله : ﴿الم﴾ قد مضى القولُ فيه ﴿غُلبتْ الروم﴾ غلبتهم فارس ﴿في أدنى الأرض﴾ أرض الروم بأذرعات من الشام ؛ بها كانت الوقعة ، فلما بلغ ذلك مشركي العرب شمتوا ، وكان يعجبهم أن يظهر المجوسُ على أهل الكتاب ، وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، قال الله : ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين لله الأمرُ من قبل ومن بعد﴾ من قبل أن تهزمَ الروم ، ومن بعد ما هزمَتْ ﴿ويومئذٍ﴾ يوم يغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء...﴾ إلى قوله : ﴿لا يعلمون﴾ فقال أبو بكر للمشركين : لمَ تشمتون؟ فو الله لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين . وقال أُبي بن خلف : أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين . فتبايعا على خَطَرٍ[١] بسبعٍ من الإبل . ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ: اذهبْ فبايعه إلى سبع سنين ، مُدَّ في الأجل وزِدْ في الخَطَرِ [ولم يكن حرام ذلك يومئذ ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - بعد][٢] غزوة الأحزاب ، فرجع أبو بكر إليهم (ل٢٦٢) قال : اجعلوا (الوعد)[٣] إلى سبع سنين وأزيدكم في الخطر . ففعلوا فزادوا فيه ثلاثًا فصارت عشرًا من الإبل ، وصارت السنون سبعًا ؛ فلما جاءت سبعُ سنين ظهرت الروم على فارس ، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين ، فظهرت الروم

---

(١) الخَطَر : هو ما يُتَراهن عليه . لسان العرب (خطر) .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) في « ر » : الوقت .

على فارس، والمؤمنون على المشركين في يومٍ واحدٍ يوْم بَدْر، وفرح المسلمون بذلك؛ وبأنَّ اللَّه صدق قوله وصدق رسوله[١].

قال محمدٌ: (وَعْدَ اللَّه) منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكد؛ المعنى: وعد اللَّه وعدًا[٢].

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا﴾ قال الحسن: يقول: يعلمون حين زرعهم، وحين حصادهم، وحين نتاجهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ لا يقرون بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿أو لمْ يتفكروا في أنفسهم ما خلق اللَّه السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لو تفكروا في خَلْق السمٰوات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة ﴿وإن كثيرًا من الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾.

﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: بطشًا ﴿وأثاروا الأرض﴾ أي: حرثوها ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿فما كان اللَّه ليظلمهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية فيعذبهُمْ على غير ذنْب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم؛ أي: قد [ساروا][٣] في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لمْ يؤمنوا.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأى﴾ يعني: جهنم ﴿أن كذبوا بآيات اللَّه﴾ يعني: بأن كذبوا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/٢٠) عن ابن مسعود بنحوه، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (٣/٥٤ - ٥٥).
(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٨١)، البحر (٧/١٦٢)، البيان (٢/٢٤٩).
(٣) في الأصل (صاروا).

قال محمدٌ : من قرأ : (عاقبةُ) بالرفع[١] جعل (السوأى) خبرًا لكان[٢]، وأصل الكلمة الفُعْلَى من السوء[٣] قال الشاعر :

أم كيف يجْزُونني السُّوأى من الحسن[٤]

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله : ﴿الله يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني : البعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ أي : ييأسُ المشركون من الجنة ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ يعني : أوثانهم ﴿شفعاء﴾ ﴿يومئذٍ يتفرقون﴾ : فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السَّعير .

﴿فهم في روضةٍ يحبرون﴾ يُكرمون .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الصلوات الخمس كلها في هذه الآية ؛ في تفسير الحسن .

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ صلاة الفجر ﴿وعشيًا﴾ صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ صلاة الظهر .

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون بالنصب ، ينظر : السبعة (٥٠٦) ، النشر (٣٤٤/٢) ، البحر (٧/ ١٦٤) ، التيسير (١٧٤) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٥٨٢/٢) ، البحر (١٦٤/٧) ، مجمع البيان (٢٩٦/٤) ، البيان (٢٤٩/٢) .

(٣) والسُّوأى مؤنث الأسوأ . ينظر لسان العرب (سوء) .

(٤) هذا عجز بيت للشاعر أفنون التَّغْلبي ، وصدره :

أنَّى جزوا عامرًا سوءى بفعلهم ....إلخ

وهو من بحر البسيط . ينظر شرح شواهد المغني (٥٣) ، الخصائص (١٨٤/٢) ، (١٠٧/٣) ، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٧) ، الحجة لابن خالويه (١٢٨/٤) .

قال محمدٌ : تقول : أظهرنا ؛ أي : دخلنا في الظَّهيرة ؛ وهو وقت الزوال[١].

قال يحيى : « نزلت هذه الآية بعد ما أُسْرِيَ بالنبي ﷺ وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وكل صلاةٍ ذكرت في المكي من القرآن قبل أن تفترض الصلوات الخمس فهي ركعتان غدوةً[٢]، وركعتان عشيَّةً[٣]».

﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن[٤]: يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ يحيها بالنبات بعد إذ كانت يابسة .

﴿وكذلك تخرجون﴾ يعني : البعث ؛ يرسل الله مطرًا مَنِيًّا كَمَنيِّ الرجال ، فتنبت به جُسْمانُهم ولُحمانُهم ؛ كما تنبت الأرض الثرى .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ومن آياته﴾ تفسير السُّدي : يعني : ومن علامات الرب أنه واحدٌ ﴿أن خلقكم من ترابٍ﴾ يعني : الخلق الأول : خلق آدم ﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾ تَنْبَسِطُون ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني : المرأة هي من الرجل ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي : تستأنسوا بها ﴿وجعل بينكم مودّة﴾ محبّة ﴿ورحمة﴾ يعني : الولدُ .

﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ تفسير الكلبي : اختلاف ألسنتكم للعرب كلامٌ ، ولفارس

---

(١) وقيل : أظهرنا : سِرْنا في الظهيرة . لسان العرب (ظهر) .

(٢) ويقال فيها : الغداة ، وهي الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (غدو) .

(٣) وهي الوقت من زوال الشمس إلى المغرب ، أو من صلاة المغرب إلى العَتَمة . وصلاتا العشي : صلاة الظهر وصلاة العصر . لسان العرب ، المعجم الوسيط (عشى) .

(٤) رواه الطبري (٢١/٣٠) .

كلامٌ، وللروم كلامٌ (سائرهم من الناس)[1] كلامٌ ﴿وألوانكم﴾ أبيض وأحمر وأسود .

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ (ل٢٦٣) كقوله : ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[2] من رزقه بالنهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل عليهم ﴿يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرته، وطمعًا للمقيم في المطر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ وهم المؤمنون عقلوا عن الله ما أنزل عليهم .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله : ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾[3].

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ يعني : النفخة الآخرة، وفيها تقديم : إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون[4] ﴿كل له قانتون﴾ تفسير الكلبي : كل له مطيعون في الآخرة؛ فلا يقبل ذلك من الكفار .

﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد الموت؛ يعني : البعث .

﴿وهو أهون عليه﴾ أي : وهو أسرعُ عليه بَدْء الخلق خلقًا بعد خلق، ثم يبعثهم بمرةٍ[5] واحدة .

قال محمدٌ : قال أبو عبيدة : المعنى : وهو هَيِّنٌ عليه[6]؛ كما قالوا : الله أكبر بمعنى الكبير، وكما قالوا : أجهل؛ بمعنى : جاهل، وأنشد :

---

(١) في «ر» : ولسائرهم .

(٢) القصص : ٧٣.

(٣) فاطر : ٤١.

(٤) ينظر : مجمع البيان (٤/٣٠٠)، البحر (٧/١٦٨)، البيان (٢/٢٥٠) .

(٥) أي : مرة، وهو تعبير لغوي فصيح .

(٦) أي : أن (أفعل) بمعنى (فعيل)، وهو كثير في الكلام .

وقد أُعْتِبُ ابن العَمِّ إن كان ظالمًا وأَغْفِرُ عنه الجهْل إن كان أَجْهَلا[١]

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله : ﴿وله المثل الأعلى في السمٰوات والأرض﴾ أي : ليس له نِدٌّ ولا شِبْهٌ ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال : ﴿هل لكم﴾ يعني : ألكم؟ ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ يعني : عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي : هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿تخافونهم﴾ تخافون لائمتهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ يعني : كخيفة بعضكم بعضًا ؛ أي : أنه ليس أحدٌ منكم هكذا ؛ فأنا أحقُّ ألاَّ يشرك بعبادتي غيري ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيِّنها ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أتاهم من الله بعبادة الأوثان ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي : لا أحد يهديه .

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي : وجْهتك ﴿للدين حنيفًا﴾ أي : مخلصًا .

﴿فطرتَ الله التي فطر﴾ خلق ﴿الناس عليها﴾ .

قال محمدٌ : (فطرتَ الله) نصبٌ بمعنى : اتبع فطرةَ الله[٢].

قال يحيى : وهو قوله : ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ...﴾[٣] الآية . إن أول ما خلق الله القلم ؛ فقال : اكْتب . قال : رب ما أكتبُ؟ قال : ما هو كائن . قال : فجرى القلم

---

(١) البيت من بحر الطويل ، ويروى البيت : ولا أعتب ...إن كان عاتبًا ...إلخ . ينظر مجمع الأمثال (٣٦٩/١) .

(٢) إعراب القرآن (٥٨٨/٢) ، البحر (١٧١/٧) ، مجمع البيان (٣٠٢/٤) .

(٣) الأعراف : ١٧٢ ، ﴿ذرياتهم﴾ على الجمع ، وهي قراءة : نافع وأبي عمرو وابن عامر ، وقرأ الكوفيون وابن كثير : ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد . ينظر : النشر (٢٧٣/٢) ، البحر (٤١٨/٤ - ٤١٩) ، الدر المصون (٣٦٩/٣ - ٣٧٠) .

بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فأعمال العباد تُعْرَضُ كلَّ يوم اثنين وخميس عرضة (فيجدونها)[١] على ما في الكتاب . ثم مسح بعد ذلك على ظهر آدم فأخرج (منها)[٢] كل نسمة هو خالقها ، فأخرجهم مثل الذَّرِّ . فقال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ثم أعادهم في صلب آدم ، ثم يكتب العبد في بطن أمه : شقيًّا أو سعيدًا ، على الكتاب الأول ، فمن كان في الكتاب الأول شقيًّا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أُخذ عليه في صُلْب آدم بالشرك ، ومن كان في الكتاب الأول سعيدًا عمِّر حتى يجري عليه القلم [فيؤمن][٣] فيصير سعيدًا ، ومن مات صغيرًا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم ؛ فيكونون مع آبائهم في [الجنة من ملوك][٤] أهل الجنة ، ومن كان من أولاد المشركين ، فمات قبل أن يجري عليه القلم ، فليس يكونون مع آبائهم في النار ؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أُخذ عليهم في صلب آدم ، ولم ينقضوا الميثاق .

قال يحيى : وقدْ حدثني الوليد بن (...)[٤] عن الربيع بن صبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : « سُئِلَ رسولُ اللَّه عن أولاد المشركين؟ فقال : لم تكن لهم حسناتٌ ؛ فيجزوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة ، ولمْ تكن لهم سيئاتٌ ؛ فيُعَاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ؛ فهم خدمٌ لأهل الجنة »[٥].

---

(١) في « ر » : فيحمدونه .

(٢) أي : من المَسْحة التي مسحها على ظهر آدم .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) لم استطع قراءتها من الأصل ، وفي « ر » : « الوليد عن ابن بزع » ولم اهتد لضبط هذا الإسناد ، والله أعلم .

(٥) رواه الطيالسي (٢٨٢ رقم ٢١١١) عن الربيع بن صبيح به .

ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٨/٦) من طريق الثوري عن الربيع بن صبيح به .

وروى أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١ رقم ٤٠٩٠) وابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) وغيرهم من طريق الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال رسول الله ﷺ : « الأطفال خدم أهل الجنة » .

ورواه البزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٥/٣) - والطبراني في الأوسط (٢٩٤/٥ رقم ٥٣٥٥) من طريق مبارك ابن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس مثله .

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص٥٨٤) : يزيد الرقاشي واهٍ .

وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧) : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أبي يعلى : يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين : رجل صدق . ووثقه ابن عدي ، وبقية رجالهما رجال الصحيح .

وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣) : حديث ضعيف ، أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى .

يحيى : (عن ابن أبي ذئب)[١] عن الزهري [عن عطاء بن يزيد][٢] عن أبي هريرة قال : « سُئِلَ رسول الله عن أولاد المشركين ، فقال : الله أعلم (ل٢٦٤) بما كانوا عاملين »[٣].

قال يحيى : يعني : لو بلغوا .

قوله : ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ يعني : لدين الله كقوله ﴿من يهدِ الله فهو المهتدي﴾[٤] لا يستطيع أحدٌ أن يضله .

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وهم المشركون .

= وروى البخاري في تاريخه (٦/٤٠٧ - ٤٠٨) والبزار - كما في تخريج الكشاف (٣/٤٠٤) - والطبراني في الكبير (٧/٢٤٤ رقم ٦٩٩٣) والروياني في مسنده (٢/٦٤ رقم ٨٣٨) وغيرهم من طريق عيسى بن شعيب ، عن عباد بن منصور ، عن أبي رجاء ، عن سمرة بن جندب ﷺ قال النبي ﷺ : « أطفال المشركين خدم أهل الجنة » .

وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢١٩) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، وفيه عباد بن منصور ، وثقه يحيى القطان ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

وقال ابن حجر في الفتح (٣/٢٩٠) : وإسناده ضعيف .

وقال ابن منده في المعرفة (٢/٢٦١ - ١) - كما في السلسلة الصحيحة (٣/٤٥٢ رقم ٤٦٨) - حدث إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال : « سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين ، قال : هم خدم أهل الجنة » .

قال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٠٠٧ رقم ٦٩٨١) : كذا قال عن أبي مالك ؛ والمشهور عن يزيد عن سنان عن أنس بن مالك : قال ابن حجر في الإصابة (١٢/٦) : وهو كذلك .

(١) في « ر » : عن أبي دينار . وهو تحريف .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطيالسي (٣١٤ رقم ٢٣٨٢) عن ابن أبي ذئب به .

ورواه الإمام أحمد (٢/٢٥٩) ومسلم (٤/٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والبغوي في شرح السنة (١/١٥٣ رقم ٨٣) من طريق ابن أبي ذئب .

ورواه الإمام أحمد (٢/٢٦٨) والبخاري (٣/٢٨٩ رقم ١٣٨٤) ومسلم (٤/٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والنسائي (٤/٥٨ رقم ١٩٤٨) وابن حبان (١/٣٤٠ رقم ١٣١) والبغوي في شرح السنة (١/١٥٣) وغيرهم من طرق عن الزهري به .

وقال البغوي : هذا حديث متفق على صحته .

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة ﷺ .

وانظر الكلام على أولاد المشركين مفصلاً في التمهيد لابن عبد البر (١٨/١١١ - ١٣٣) وطريق الهجرتين لابن القيم (٥٧٠ - ٥٩٥) وفتح الباري لابن حجر (٣/٢٩٠ - ٢٩١) وغيرها .

(٤) الأعراف : ١٧٨.

﴿منيبين إليه﴾ : أي مقبلين بالإخلاص .

قال محمدٌ : قال الزَّجاج : (منيبين إليه) نصْبٌ على الحال[1] بفعل (فأقم وجهك) قال : وزعم جميع النحويين أن معنى هذا : فأقيموا وجوهكم ؛ لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل فيها الأمة[2].

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾ فرقًا ؛ يعني : أهل الكتاب ﴿كل حزب﴾ كل قوم ﴿بما لديهم﴾ أي : بما هم عليه ﴿فرحون﴾ أي : راضون .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وإذا مسَّ الناس ضرٌّ دَعَوا ربهم منيبين إليه﴾ أي : مخلصين في الدعاء ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمةً﴾ يعني : كشف عنهم ذلك ﴿إذا فريقٌ منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي : يكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا ﴿فتمتعوا﴾ إلى موتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانًا﴾ أي : حُجَّة ﴿فهو يتكلَّم﴾ أي : فذلك السلطان يتكلم ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي : لمْ تنزل عليهم حُجَّةٌ بذلك تأمرهم أن يشركوا ﴿وإذا أذقنا الناس رحمةً﴾ يعني : عافيةً وسعةً ﴿فرحوا بها وإن تصبهم سيئة﴾ يعني : شدة عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ ييأسون من أن يصيبهم رخاء بعد تلك الشدة ؛ يعني : المشركين ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ .

قال الحسن[3]: بعض هذه الآية تطوع ، وبعضها مفروض ؛ فأما قوله : ﴿فآت ذا القربى حقه﴾

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي ، حيث اختلف النحاة في عامل النصب في الحال . ينظر : إعراب القرآن (٥٨٩/٢) ، مجمع البيان (٣٠٤/٤) ، البحر (١٧١/٧) .

(٢) ينظر الكلام على ذلك من الدر المصون (٣٧٨/٥) ، كشف المشكلات (١٠٥٠/٢) .

(٣) في « ر » : محمد . وأظنها الصواب ، والله أعلم .

فهو تطوع، وهو ما أمر الله به من صله القرابة، وأما قوله: ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ فيعني: الزكاة.

قال يحيى: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لمْ تكنْ شيئًا معلومًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وما آتيتم من ربًا لِّتُرْبُوا[١] في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم[٢]: قال: تلك الْهديَّة تهْدِيها ليُهْدَى إليك خيرٌ منها ليس لك فيها أجرٌ، وليس عليك فيها وزرٌ، وبعضهم يقرؤها: ﴿لِيَرْبُوا﴾ أي: ليربو ذلك الربا ﴿وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله﴾ يعني: تريدون به الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يعني: الذين يضاعف الله لهم الحسنات.

قال محمدٌ: يقال: رجلٌ مُضْعِفٌ؛ أي: ذو أضعافٍ من الحسنات؛ كما يقال: رجلٌ موسِرٌ؛ أي: ذو يسارٍ[٣].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ تفسير بعضهم: الفسادُ: الهلاكُ، يعني: من أُهْلِك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسُلَهم أهلكهم الله في بر الأرض وبحرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من بعدَهُمْ أن يرجعوا عن شركهم إلى الإيمان ويتعظوا بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كان عاقبتهم أنْ دَمّر اللهُ عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

---

(١) هكذا في الأصل و «ر»: (لِتُرْبُوا) وهي قراءة نافع وحده من السبعة، وقرأ الباقون (لِيَرْبُوا) ينظر: السبعة (٥٠٧)، البحر (١٧٤/٧)، التيسير (١٧٥)، النشر (٣٤٤/٢).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٠٤/٢) والطبري (٤٦/٢١).

وعزاه السيوطي في الدر (١٧٠/٥) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف)، و(يسر).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدين القيم﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مَردَّ له من الله﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرقون: فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفرُه﴾ يُثاب عليه النار ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يعني: يُوطِّئُون في الدنيا القرار في الآخرة ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي: بفضله يدخلهم الجنة.

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني: المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ يعني: السفن ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ويجعله كسفًا﴾ أي: قطعًا ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السحاب.

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي: يائسين عاجزين.

قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ (ل٢٦٥) هو كلامٌ من كلام العرب مثنى مثل قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾[1].

قال محمدٌ: تكرير (قَبْل) على جهة التوكيد[2].

---

(١) هود: ١٩، ويوسف: ٣٧، وفصلت: ٧. ووردت في الأصل: ﴿وهم بآياتنا هم كافرون﴾.

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر من إعراب القرآن (٥٩٤/٢)، مجمع البيان (٣٠٩/٤)، البحر (١٧٨/٧).

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ يعني: المطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ يعني: النبات؛ أي: فالذي أنبت هذا النبات بذلك المطر قادرٌ على أن يبعث الخلق (يَوْمَ)[١] القيامة.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولئن أرسلنا ريحًا﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿فرأوه﴾ يعني: الزرع ﴿مصفرًا لظلوا من بعده﴾ [لصاروا][٢] من بعد ذلك المطر ﴿يكفرون﴾.

﴿فإنك لا تُسمع الموتى﴾ يعني: الكفار الذين يموتون على كفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ [يقول: إن الصم لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين][٢] وهذا مَثَلُ الكفار أنهم إذا تولوا عن الهدى لمْ يسمعوه سَمْعَ قبول.

قال: ﴿وما أنت بهاد العُمْي﴾ يعني: الكفَّار هم عُمْيٌ عن الهدى ﴿إن تسمع﴾ إن: يقبل منك ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾.

قال محمدٌ: (إن تسمع) أي: ما تُسْمِع[٣].

﴿الله الذي خلقكم من ضُعْفٍ﴾[٤] يعني: نطفة الرجل ﴿ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة﴾ يعني:

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٣) (إن) المخففة نافية بمعنى (ما). انظر في ذلك مغني اللبيب (١/٣٠).

(٤) بضم الضاد، قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، واختلف عن حفص، وقرأ الباقون بالضم. النشر (٢/٣٤٥) وإتحاف الفضلاء (٤٤٥).

الشبيبة[١].

﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في الدنيا في قبورهم ﴿غير ساعَةٍ كذلك كانوا يؤفكون﴾ يُصَدُّون في الدنيا عن الإيمان بالبعث ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب اللّٰه إلى يوم البعث﴾ وهذا من مقاديم الكلام[٢]. يقول : وقال الذين أوتوا العلم في كتاب اللّٰه والإيمان : لقد لبثتم إلى يوم القيامة ؛ يعني : لُبْثَهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بُعِثوا ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم﴾ في الدنيا ﴿لا تعلمون﴾ أن البعث حقٌّ ﴿فيومئذٍ لا ينفع الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ لا يُردون إلى الدنيا فيعتبون ؛ أي : يؤمنون .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي : ليذَّكَّروا ﴿ولئن جئتهم بآية ليقولَن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهُمْ بآية ﴿كذلك يطبع اللّٰه على قلوب الذين لا يعلمون﴾ يعني : الذين يلقون اللّٰه بشركهم ﴿فاصبر إن وعد اللّٰه حقٌّ﴾ الذي وعدك أنه سينصُرك على المشركين .

﴿ولا يستخفَّنك الذين لا يوقنون﴾ أي : لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من تَرْك دينك .



(١) أي : الشباب . لسان العرب (شبب) .

(٢) أي : أن الكلام به تقديم وتأخير . ينظر الكلام عليه من الدر المصون (٥/٣٨٣) .

تفسير سورة لقمان وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞﴾

قوله : ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه آيات الكتاب الحكيم المحكم ؛ أُحْكِمَتْ آياتُه بالحلال والحرام ، والأمر والنهي ﴿هدى ورحمةً للمحسنين﴾ للمؤمنين .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿ورحمةً﴾[1] بالنصب فعلى الحال[2].

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ تفسير السُّدي : يختار باطل الحديث على القرآن . وقال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار ؛ وكان رجلاً راويةً لأحاديث الجاهلية وأشعارهم ﴿ليضل عن سبيل اللّٰه بغير علم﴾ أتاه من اللّٰه بما هو عليه من الشرك ﴿ويتخذها﴾ يتخذ آيات اللّٰه القرآن ﴿هُزُوًا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ : (ويتخذُها) بالرفع[3] فعلى الابتداء[4].

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرًا﴾ أي : جاحدًا ﴿كأن لمْ يسمعها﴾ أي : قد سمعها بأذنيه ،

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة ، فقد قرأها بالرفع . ينظر : البحر (١٨٣/٧) ، السبعة (٥١٢) ، النشر (٣٤٦/٢) ، التيسير (١٧٦) .

(٢) البحر (١٨٣/٧) ، إعراب القرآن (٥٩٩/٢) ، البيان (٢٥٣/٢) .

(٣) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم . وقرأ حمزة والكسائي بالنصب . ينظر : السبعة (٥١٢) ، البحر (١٨٤/٧) ، النشر (٣٤٦/٢) ، التيسير (١٧٦) .

(٤) ينظر البحر (١٨٤/٧) .

ولم يقبلها قلبه وقامت عليه بها الحجة . ﴿كأن في أذنيه وقرًا﴾ صممًا .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾

﴿خلق السموات بغير عمدٍ ترونها﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن : خلق السموات ترونها بغير عمدٍ ، وتفسير ابن عباس[١]: لها عمدٌ ولكن لا ترونها[٢] ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني : الجبال أثبتَ بها الأرض ﴿أن تميد بكم﴾ أي : لئلا تحرّك بكم ﴿وبث فيها﴾ خلق ﴿من كل دابة﴾ .

﴿فأروني ماذا خلق﴾ يقوله للمشركين (ل٢٦٦) ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني : الأوثان ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلالٍ مبين﴾ بيِّنٍ .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝١٢ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال مجاهد[٣]: يعني : الفقه والعقل ، والإصابة في القول في غير نبوةٍ ﴿أن اشكر للَّه﴾ النعمة .

---

(١) رواه الطبري (٦٥/٢١) .

(٢) ينظر : البحر (١٨٦/٧) ، مجمع البيان (٣١٤/٤ - ٣١٥) ، البيان (٢٥٤/٢) .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٠٥/٢) والطبري (٦٧/٢١) وابن أبي حاتم (٣٠٩٧/٩ رقم ١٧٥٣١) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٧٥/٥) للفريابي وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ وهو المؤمن ﴿ومن كفر﴾ يعني: كفرها ﴿فإن الله غنى﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه ﴿إن الشرك لظلمٌ عظيم﴾ يعني: يظلم به المشرك نفسه وينقُصها.

﴿حملته أمه وهنًا على وهن﴾ أي: ضعفًا على ضعف.

قال محمدٌ: المعنى: لزمها لحملها إيَّاه أن تضعف مرَّة بعد مرَّةً.

﴿وإن جاهداك﴾ يعني: أراداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي أنك لا تعلم أن لي شريكًا؛ يعني: المؤمن ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ﴾ طريق من أقبل إليَّ بقلبه مخلصًا ﴿يا بُنى﴾ رجع إلى كلام لقمان ﴿إنها إن تك مثقال حبة﴾ أي: وزن حبةٍ ﴿من خردل﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (مثقالُ) بالرفع[١] مع تأنيث (تَكُ) فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة؛ فهو بمنزلة: إن تكُ حبةٌ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ[٢].

قال يحيى: بلغنا أنها الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قرارُ الأرض[٣].

﴿أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ أي: احذر؛ فإنه سيحصي عليك عملك ويعلمُه؛ كما علم هذه الحبة من الخردل ﴿إن الله لطيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وأمُر بالمعروف﴾ بالتوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ والعزم أن يصبر ﴿ولا تصاعر[٤] خدك للناس﴾ لا تعرض بوجهك عنهم استكبارًا.

---

(١) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥١٣) البحر (١٨٧/٧)، النشر (٤٢٣/٢)، التيسير (٥٥١).

(٢) ينظر: البحر (١٨٧/٧)، إعراب القرآن (٦٠٢/٢)، البيان (٥٥٢/٢).

(٣) هذا من الإسرائيليات المنكرة، والله أعلم.

(٤) هذه قراءة نافع، وأبي عمرو، والكسائي، وحمزة. ينظر البحر (١٨٨/٧)، السبعة (٥١٣)، النشر (٣٤٦/٢).

قال محمدٌ: ومن قرأ (تُصَعِّر)[1] فعلى وجه المبالغة، وأصل الكلمة من قولهم: أصاب البعير صَعَرٌ؛ إذ أصابه داءٌ فلوى منه عنقه[2].

قال المتلمِّسُ[3]:

وكنا إذا الجبار صعَّر خدَّه أقمنا له من رأسه فتقوَّما[4]

قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ أي: تعظُّمًا ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: متكبر فخور، يعني: يُزْهَى بما أعطِيَ، ولا يشكر الله ﴿واقصد في مشيك﴾ كقوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات﴾ يعني: أقبح ﴿لصوت الحمير﴾.

قال محمدٌ: معنى (اغضض): انقُصْ[5]؛ المعنى: عَرَّفه قبح رفع الصَّوْت في المخاطبة والملاحاة[6] بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ألم تروا أن الله سخَّر لكم ما في السموات﴾ يعني: شمسها وقمرها ونجومها، وما ينزل منها من ماء ﴿وما في الأرض﴾ من شجرها وجبالها وأنهارها وبحارها وبهائمها ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ أي: في باطن أمركم وظاهره ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿بغير علم ولا هدى﴾ أتاه من الله ﴿ولا كتاب منير﴾ بيِّن بما هو عليه من الشرك.

---

(١) وهذه قراءة باقي السبعة.

(٢) الصَّعَر: داء في العنق لا يُستطاع معه الالتفات. المعجم الوسيط (صعر).

(٣) هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد، توفي حوالي (٥٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١١٩/٢).

(٤) البيت من بحر الطويل، ويروى: أقمنا له من مَيْله فتقوما. ينظر: البحر (١٨٢/٧)، مجاز القرآن (١٢٧/٢) منسوبًا لعمرو بن حُنّي التغلبي، وفي لسان العرب (صعر) منسوبًا إلى المتلمس، وهو كذلك في ديوانه: (٢٤).

(٥) لسان العرب (غضض).

(٦) المنازعة والمخاصمة. لسان العرب (لحى).

﴿بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: عبادة الأوثان ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي: أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؛ أي: قد فعلوا.

﴿ومن يسلم وجهه﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ لا إله إلا الله ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ يعني: مصيرها في الآخرة.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿نمتعهم قليلا﴾ في الدنيا؛ يعني: إلى موتهم.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ يقول: لو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ يكتب بها علمه، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر؛ يُستَمَدُّ منه للأقلام لانكسرت الأقلام ونَفِدَ البحر ولمات الكُتَّاب، وما نفدت كلماتُ الله يعني بما خلق.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿والبحرُ﴾ بالرفع فهو على الابتداء(١).

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ قال المشركون: يا محمد، خلقنا الله (ل٢٦٧) أطوارًا: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم أنشأنا خلقًا آخر كما تزعم، وتزعم أنَّا نبعث في ساعةٍ واحدة؟! فأنزل الله جوابًا لقولهم: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يقول له كن فيكون.

قال محمدٌ: من قرأ (فيكون) بالرفع فعلى معنى: فهو يكون(٢).

---

(١) وقراءة الرفع هي قراءة السبعة إلا أبا عمرو؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٣)، البحر (١٩١/٧)، النشر (٣٤٧/٢).
وينظر في توجيه الرفع نحويًّا من. إعراب القرآن (٦٠٦/٢)، البحر (١٩٠/٧ - ١٩١)، البيان (٢٥٦/٢).

(٢) هكذا في الأصل و «ر»؛ وهو يشعر أن قوله ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ جزء من إحدى آيات سورة لقمان، وليس =

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أَخْذُ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ليريكم من آياته﴾ يعني : جري السفن .

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن ﴿وإذا غشيهم موجٌ كالظلل﴾ كالجبال .

﴿فمنهم مقتصد﴾ هذا المؤمن ، وأما الكافر فعاد في كفره ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ أي : غَدَّار ﴿كفور﴾ يقول : أخلص له في البحر للمخافة من الغرق ، ثم غدر .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

﴿واخشوا يومًا لا يجزي والدٌ عن ولده﴾ أي : لا يفديه من عذاب اللَّه .

﴿إن وعد اللَّه حقٌّ﴾ يعني : البعث والحساب ، والجنة والنار .

﴿ولا يغرنكم باللَّه الْغَرور﴾ الشيطان ، وتقرأ : (الغُرُور)[1] برفع الغين ؛ يعني : غرور الدنيا ، وهو أباطيلها .

﴿إن اللَّه عنده علم الساعة﴾ علمُ مجيئها ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى وكيف صوَّره ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إن اللَّه عليم﴾ بخلقه ﴿خبيرٌ﴾ بأعمالهم .

= كذلك ؛ ولا أدري ما سبب هذا الإقحام وسبب التعليق على قراءاته!

(١) وهي قراءة سماك بن حرب ، وأبي حيوة ، وابن السميفع. ينظر البحر (١٩٤/٧) ، جامع القرطبي (٨١/١٤) ، المحتسب (١٧٢/٢) .

تفسير الم السجدة وهي مكيّة كلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

قوله: ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربِّ العالمين﴾ أي: لا شك فيه أنه من رب العالمين.

قال محمدٌ: ﴿تنزيلُ﴾ رفعٌ على خبر الابتداء على إضمار: الذي تتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء ﴿لا ريب فيه﴾[1].

﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني: المشركين يقولون: إن محمدًا افترى القرآن، أي: قد قالوه وهو على الاستفهام ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: قريشًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا ﴿في ستة أيام﴾ اليومُ منها ألف سنة.

﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه إذ أراد عذابكم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لكم عنده؛ حتى لا يعذبكم.

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يصعد؛ يعني: جبريل إلى السماء ﴿في يومٍ كان مقداره ألف سنة﴾ من أيام الدنيا.

قال يحيى: بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم وفي أقل من يوم، ورُبَّما سئل النبي ﷺ عن الأمر يحضره، فينزلُ في

---

(١) ينظر: الدر المصون (٥/٣٩٣).

أسرع من الطرف .

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ثم قال : ﴿ذلك عالمُ الغيب والشهادة﴾ يعني : نفسه و﴿الغيب﴾ : السِّر و﴿الشهادة﴾ : العلانية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني : آدم ﴿ثم جعل نسله﴾ نسل آدم بعدُ ﴿من سلالةٍ من ماءٍ مهين﴾ ضعيف ؛ يعني : النطفة ﴿ثم سواه﴾ يعني : سوى خلقه كيف شاء ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي : أقلكم من يشكر ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي : إذا كنا رُفاتًا وترابًا ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ وهذا استفهامٌ على إنكار ؛ أي : أنا لا نبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي : يقبض أرواحكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطَّشتِ يقبض أرواحهم ، كما يلتقط الطير الحَبَّ .

قال يحيى : وبلغني أنه يقبض روح كل شيءٍ في البر والبحر .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾ خزايا نادمين ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحًا إنا موقنون﴾ بالذي أتى به محمدٌ أنه حقٌّ .

﴿ولكن حقَّ القول منى﴾ أي : سبق ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني : المشركين من الفريقين ﴿فذوقوا﴾ يعني : عذاب جهنم ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ (ل٢٦٨)

يعني : بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ أي : تركناكم في العذاب .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ تفسير الحسن[1] قال : يعني : قيام الليل ﴿يدعون ربهم خوفًا﴾ من عذابه ﴿وطمعًا﴾ في رحمته ؛ يعني : الجنة .

قال محمدٌ : معنى ﴿تتجافى﴾ : تفارق[2].

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة المفروضة ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ على قَدْرِ أعمالهم .

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا﴾ يعني : مشركًا ﴿لا يستوون﴾ .

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها﴾ يقول : إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلَهَبِهَا ؛ حتى إذا كانوا في أعلاها رجوا أن يخرجوا منها فضربوا بمقامع من حديد ؛ فَهَوَوْا إلى أسفلها .

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ الأقرب ؛ يعني : بالسَّيْف يَوْمَ بدْر ؛ في تفسير الحسن ﴿دون

---

(١) رواه عبد الرزاق (١١٠/٢) والطبري (١٠١/٢١) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٩٠/٥) لابن نصر وابن جرير .

(٢) لسان العرب (جفو) .

العذاب الأكبر﴾ عذاب النار ﴿لعلهم﴾ لعل من يبقى منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ من الشرك إلى الإيمان .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن﴾ يا محمدُ ﴿في مرية من لقائه﴾ تفسير الكلبي : فلقيه النبي في السماء السادسة ليلة أسري به ﴿وجعلناه﴾ يعني : موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ .

﴿وجعلنا منهم أئمةً﴾ يعني : أنبياء ﴿يهدون﴾ أي : يدعون ﴿بأمرنا﴾ .

﴿إن ربك هو يفصل بينهم ...﴾ الآية ، يفصل بين المؤمنين والمشركين ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الإيمان والكفر ؛ فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين النار .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أو لمْ يَهْدِ لهم﴾ يعني : يبيِّنْ لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ يعني : ما قصَّ مما أهلك به الأمم السَّالفة ؛ حين كذبوا رسُلَهُمْ ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي : يمرون ؛ منها ما يُرَى ، ومنها ما لا يُرَى ؛ كقوله : ﴿منها قائم﴾ تراه ﴿وحصيد﴾[1] لا تراه ﴿أفلا يسمعون﴾ يعني : المشركين .

﴿إلى الأرض الجرز﴾ يعني : اليابسة ؛ أي : فالذي أحيَا هذه الأرض بعد موتها قادرٌ على أن يحييهم بعد موْتهم .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ يعني : القضاء بعذابهم ؛ قالوا ذلك استهزاءًا وتكذيبًا بأنه لا يكون .

﴿قل يوم الفتح﴾ القضاء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانُهم﴾ ليس أحدٌ من المشركين يرى العذاب إلاَّ آمن ؛ فلا يقبل منهم .

﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ بهم العذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم[2].

---

(١) هود : ١٠٠ .

(٢) قيل : نسختها آية السيف ، وقيل : هي غير منسوخة ؛ إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال . ينظر : الناسخ والمنسوخ (٧٤) ، نواسخ القرآن (٤٨٨) ، تفسير القرطبي (١٢/١٤) .

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾

قوله : ﴿يا أيها النبي اتق اللّه ولا تطع الكافرين﴾ في الشرك باللّه ﴿والمنافقين﴾ أي : ولا تطع المنافقين ﴿ما جعل اللّه لرجلٍ من قلبين في جوفه﴾ تفسير الكلبي : أن رجلاً من قريش يقال له : جميل كان حافظًا لما سمع ، فقالت قريش : ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحدٍ ؛ إنّ له لقلبين! فأكذبهم اللّه في ذلك .

﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ يعني : إذا قال الرجل لامرأته : أنت عليَّ كظهر أمي ، لمْ تكن مثل أمه في التحريم أبدًا ، ولكن عليه كفارة الظهار ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول : أنا ابنك ، فيقول : نعم ، فإذا قبله واتخذه ابنًا أصبح أعزّ أهله ؛ وكان زيد بن حارثة منهم كان رسول اللّه ﷺ تبنّاه يومئذٍ على ما كان يُصْنَعُ في الجاهلية ، وكان مولى لرسول اللّه ؛ فلما جاء الإسلام أمرهم اللّه أن يلحقوهم بآبائهم ؛ فقال : ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني : ادّعاءهم هؤلاء ، وقول الرجل لامرأته : أنت عليَّ كظهر أمي .

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّه﴾ أي : أعدل ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين

ومواليكم﴾ يقول : قولوا : [ولّينا فلان][1]، وأخونا فلان .

﴿وليس عليكم جناحٌ﴾ إثمٌ ﴿فيما أخطأتم به﴾ (ل ٢٦٩) إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى [الذي][1] تبنّاه ناسيًا ؛ فليس عليه في ذلك إثمٌ ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أن تدعوهم إلى غير آبائهم .

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ تفسير مجاهد[2]: يعني : هو أبوهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي : هن في التحريم مثل أمهاتهم .

يحيى : عن سفيان الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة « أن امرأةً قالت لها : يا أمه . فقالت : لستُ لك بأم! إنما أنا أم رجالكم »[3].

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ تفسير قتادة[4]: كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال : ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيءٍ حتى يهاجروا﴾[5] فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم

---

(١) مطموس في الأصل، ومثبت من « ر » .

(٢) أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قرأ «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم» .

انظر : تفسير الطبري (٢١/١٢٢)، والدر المنثور (٥/١٩٨) .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/٦٧) عن الفضل بن دكين عن سفيان الثوري به .

ورواه ابن سعد أيضًا (٨/ ١٧٨، ٢٠٠) عن الواقدي عن الثوري به ، وزاد : قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « أنا أم الرجال منكم والنساء » .

ورواه ابن سعد (٨/٦٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٧٠) من طريق أبي عوانة عن فراس به .

ورواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/٩٣٦) من طريق خرقاء عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) رواه الطبري (٢١/١٢٣) .

(٥) الأنفال : ٧٢.

شيئًا ، ثم نسخ ذلك في هذه السورة فصارت المواريثُ بالملل .

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم﴾ يعني : من أهل الشرك ﴿معروفًا﴾ يعني : بالمعروف : الوصيَّة ، ثم رجع إلى قوله : ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب اللَّه﴾ فقال : ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي : مكتوبًا : لا يرث كافرٌ مسلمًا ، وقد قال النبي ﷺ: « لا يرثُ المسلم الكافر »[1].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾

﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال مجاهد[2]: يعني : في ظهر آدم ﴿ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾ بتبليغ الرسالة .

كان قتادة إذا تلا هذه الآية : ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال : قال رسول اللَّه : « كنت أول النبيين في الخَلْقِ ، وآخرهم في البعث »[3].

---

(١) رواه البخاري (١٢/٥١ رقم ٦٧٦٤) ومسلم (٣/٨٨ رقم ١٦١٤) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري (٢١/١٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٩٩) للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/١٢٥)من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً .

ورواه الطبري أيضًا (٢١/١٢٥ - ١٢٦) من طريق أبي هلال عن قتادة مرسلاً .

ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق شيبان عن قتادة مرسلاً .

وقد وصله عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج .

فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٤٦٩) - وابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩، ٤/٤١٦ - ٤١٧) وتمام الرازي في الفوائد (٢/١٥ رقم ١٠٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٤٢ رقم ٣) وابن شاهين في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٨٥) - والبغوي في تفسيره (٦/٣٢١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ .

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق خليد بن دعلج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ .

وقال ابن عدي : وهذا يرويه عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج .

وقال ابن كثير في تفسيره : سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا ، والله أعلم . =

قوله : ﴿ليسئل الصادقين﴾ يعني : النبيين ﴿عن صدقهم﴾ أي : عن تبليغ الرسالة إلى قومهم من الله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إذ جاءتكم جنودٌ﴾ يعني : أبا سفيان وأصحابه ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا﴾ قال مجاهد[1]: وهي الصَّبا ، كانت تكبُّهم على وجوههم وتنزع الفساطيط[2] حتى أظعنتْهم ﴿وجنودًا لمْ تروها﴾ يعني : الملائكة .

﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ تفسير الحسن : جاءوا من وجهين : من أسْفل المدينة ، ومن أعلاها ﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾ من شدة الخوف ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ يعني : المنافقين ظنوا أن محمدًا سيُقتل وأنهم سيهلكون . قال الله : ﴿هنالك ابتُلي المؤمنون﴾ أي : اختُبِرُوا ﴿وزلزلوا زلزالاً شديدًا﴾ أي : حُركوا[3] بالخوف ، وأصابتهم الشّدة ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ﴾ وهم المنافقون ، المرضُ في تفسير قتادة : النفاق ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فيم يزعم أنه رسوله ﴿إلا غرورًا﴾ أي : وعدنا الله النصْر فلا تُرانا نُنْصَر وتُرانا نقتل ونُهْزَم ، ولم يكن فيما وعدهم الله ألاَّ يقتل منهم أحدٌ ، وألاَّ يُهزَموا في بعض الأحايين ، وإنما وعدهم النصر في العاقبة .

= وقال ابن كثير - في البداية والنهاية - عن المرسل : وهذا أثبت وأصح ، والله أعلم ، وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ؛ لأن علم الله - تعالى - بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى ، والله أعلم .

(١) رواه الطبري (٢١/١٢٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٠١) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٢) واحدها : فسطاط ، وهو البيت يُتخذ من الشَّعْر . لسان العرب (فسط) .

(٣) في « ر » : خرجوا .

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤﴾

﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ قال الكَلْبي : لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُنُوا ، فقال بعضهم لبعض : لا والله ما لكم مقام مع هؤلاء؟ فارجعوا إلى قومكم - يعنون : المشركين - فاستأمنُوهمْ .

﴿إن بيوتنا عورةٌ﴾ أي : خالية نخاف عليها السَّرَق[1]. قال الله : ﴿وما هي بعورةٍ﴾ إن الله يحفظها ﴿إن يريدون إلا فرارًا ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ يقول : لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثم سُئلوا الفتنة﴾ يعني : الشرك ﴿لأتوها﴾ لجاءوها وتقرأ : (لآتوها) بالمد[2]، المعنى : لأعطوْها .

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧﴾

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي : ينهزمون ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ يعني : يسألهم عن العهد الذي لمْ يفوا به .

يحيى : عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « بايعْنا رسول الله على أن لا نفر ، ولمْ نبايعْه على الموت »[3].

---

(١) السَّرَق والسَّرِقة بمعنًى . لسان العرب (سرق) .

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير ﴿لأتوها﴾ بغير مدٍ ، واختلف عن ابن ذكوان ، وقرأ الباقون بالمد . النشر (٣٤٨/٢) إتحاف الفضلاء (٤٥٣) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥٥/٣) ومسلم (١٤٨٣/٣ رقم ١٨٥٦/٦٧) والنسائي في الكبرى (٤٦٤/٦ رقم ١١٥٠٩) والدارمي (٢٩٠/٢ رقم ٢٤٥٤) وأبو عوانة في صحيحه (٤٢٧/٤ رقم ٧١٩١) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) وابن حبان (٢٣١/١١ رقم ٤٨٧٥) وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير به .

ورواه الإمام أحمد (٣٨١/٣) والحميدي (٥٣٦/٢ رقم ١٢٧٥) ومسلم (١٤٨٣/٣ رقم ١٨٥٦/ ٦٨) =

﴿وإذًا لا تمتعون﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ يعني: إلى آجالكم ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ (ل ٢٧٠) أي: يمنعكم ﴿من الله إن أراد بكم سوءًا﴾ يعني: القتل والهزيمة؛ في تفسير السُّدي ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ قال السُّدي: يعني: النصر والفتح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

= والترمذي (١٢٨/٤ رقم ١٥٩٤) والنسائي (١٤٠/٧ - ١٤١ رقم ٤١٦٩) وأبو يعلى (٣٦٩/٣ رقم ١٨٣٨) وأبو عوانة (٤٢٧/٤ رقم ٧١٨٩، ٧١٩٠) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزبير سمع جابرًا ﷺ به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد (٣٩٦/٣) من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزبير به.

ورواه أبو يعلى (٤٢٠/٣ رقم ١٩٠٨، ١٩٧/٤ - ١٩٨ رقم ٢٣٠١) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) من طريق أبي سفيان عن جابر ﷺ.

ورواه الطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ.

ورواه ابن سعد في الطبقات (١٠٠/٢) من طريق وهب بن منبه عن جابر ﷺ.

ورواه الترمذي (١٢٧/٤ رقم ١٥٩١) والطبراني في الأوسط (٢١٠/٢ رقم ١٧٥٧، ٣٠٦/٦ رقم ٦٤٨٢) عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر ﷺ.

وقال الترمذي: وقد رُوي هذا الحديث عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال جابر بن عبد الله. ولم يُذكر فيه أبو سلمة.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا عيسى، تفرد به سعيد.

وله شاهد عن معقل بن يسار، رواه مسلم (١٤٨٥/٣ رقم ١٨٥٨).

وروى البخاري (١٣٦/٦ - ١٣٧ رقم ٢٩٦٠) ومسلم (١٤٨٦/٣ رقم ١٨٦٠) عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة - يعني: ابن الأكوع -: «على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت».

وروى البخاري (١٣٦/٦ رقم ٢٩٥٩) ومسلم (١٤٨٦/٣ رقم ١٨٦١) عن عبد الله بن زيد نحوه.

والمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولابد. انظر فتح الباري (١٣٧/٦) وغيره، والله أعلم.

﴿قد يعلم اللّه المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمّ إلينا﴾ يأمر بعضهم بعضًا بالفرار؛ وهو التعويق ﴿ولا يأتون البأس﴾ يعني: القتال ﴿إلا قليلا﴾ أي: بغير حِسْبة، وإنما قَلَّ؛ لأنه كان لغير اللّه.

قال محمدٌ: المعنى: إلا إتيانًا قليلاً[1]؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿أشحة عليكم﴾ يقول: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئًا ﴿فإذا جاء الخوف﴾ يعني: القتال ﴿رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ خوفًا من القتال ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم﴾ أي: صاحوا عليكم ﴿بألسنةٍ حدادٍ﴾ **قال محمدٌ**: قيل: المعنى خاطبوكُمْ أشدَّ مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مِسْلاقٌ وسلاَّقٌ إذا كان بليغًا[2].

﴿أشحةً على الخير﴾ الغنيمة ﴿أولئك لمْ يؤمنوا﴾ أي: لم تؤمن قلوبهم ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا﴾ المنافقون ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: في البادية مع الأعراب ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وهو كلام موصول.

قال محمدٌ: قوله: ﴿يحسبون الأحزاب لمْ يذهبوا﴾ قيل: المعنى: يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا؛ لجُبْنهم وخوفهم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وذكر اللّه كثيرًا﴾ وهذا ذكر التطوع ليس فيه وقتٌ.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه تحازبوا على اللّه ورسوله ﴿قالوا هذا ما وعدنا اللّه ورسوله﴾ كان أنزل اللّه في سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ...﴾[3] إلى قوله: ﴿ألا إن نصر اللّه قريب﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بَعْدُ؛

---

(١) وقيل: إلا زمانًا قليلاً. ينظر: التبيان (١٠٥٣)، مجمع البيان (٣٤٧/٤).

(٢) ويِسْلَقٌ أيضًا. لسان العرب (سلق).

(٣) البقرة: ٢١٤.

فلما كان يوم الأحزاب أنزل الله : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب ...﴾ إلى قوله : ﴿إيمانًا وتسليمًا﴾ يعني : تصديقًا وتسليمًا لأمر الله .

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ حين بايعوه على ألاَّ يفروا وصدقوا في لقائهم العَدُوَّ ؛ وذلك يوم أحد .

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني : أجله ؛ في تفسير بعضهم ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أجله ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ كما بدَّل المنافقون .

قال محمدٌ : أصل النَّحب : النَّذْر[1]؛ كأنَّ قومًا نذورا إن لقوا العدو أن يقاتلوا ؛ حتى يُقتلُوا أو يفتح الله ، فقتلوا فقيل : فلانٌ قضى نحبه ؛ إذا قُتِلَ .

﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء﴾ أي : يموتوا على نفاقهم فيعذبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيرجعوا من نفاقهم .

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا﴾ يعني : لم يصيبوا ظفرًا ولا غنيمة من المسلمين ، وكان ذلك عندهم خيرًا لو نالوه ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والجنود التي أرسل عليهم ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يعني : عاونوهم ﴿من أهل الكتاب﴾ يعني : قريظة والنضير ﴿من صياصيهم﴾ يعني : حصونهم .

قال محمدٌ : أصل الكلمة : قرون البقر ؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها ، فقيل للحصون :

---

(١) لسان العرب (نحب) .

صياصي ؛ لأنها تمنع وصيصية الديك شوكته ؛ لأنه يتحصن بها[١].

﴿وأرضًا لم تطئوها﴾ وهي خيبر ؛ فتحت عَنْوَةً .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ...﴾ إلى قوله : ﴿أجرًا عظيمًا﴾ قال قتادة[٢]: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة ، ولم يخيرهن الطلاق ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني : الزنا ؛ في تفسير السُّدي ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال الحسن : يعني : في الآخرة .

قال محمدٌ : معنى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي : يُجْعَل مِثْلين ؛ الضعف في اللغة : المثل ، يقال : هذا ضِعْف هذا ؛ أي : مثله[٣].

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾﴾

﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي : تطع الله ورسوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال الحسن : يعني : في الآخرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا ﴿لها رزقًا كريمًا﴾ يعني : الجنة .

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول﴾ قال الكلبي : (ل ٢٧١) هو الكلام الذي فيه ما يَهْوى المريبُ .

قال محمدٌ : قال : ﴿كأحدٍ من النساء إن اتقيتن﴾ ولمْ يقل : كواحدة لأن أحدًا معنى عام من

---

(١) والجمع أيضًا : صَيَاصِي . لسان العرب (صيص) .

(٢) رواه الطبري (٢١/١٥٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢١٢) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) لسان العرب (ضعف) .

المذكر والمؤنث والواحد والجماعة[١].

﴿فيطمع الذي في قلبه مرضٌ﴾ أي : فجورٌ ؛ في تفسير بعضهم . قال الحسن : وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وقرن في بيوتكن﴾ من قرأها بالفتح[٢]؛ فهو من القرار[٣].

قال محمدٌ : والأصل فيه : (اقرَرْنَ) فحذف الراء الأولى لثقل التضعيف ، وألقى حركتها على القاف ؛ فصارت : (وقرن)[٤].

قال يحيى : وتقرأ : (وقِرْن) بكسر القاف ، وهو من الوقار .

قال محمدٌ : وقَر في منزله يَقِرُ وقُورًا[٥].

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي : قبلكم ؛ في تفسير الحسن ، وليس يعني : أنها كانت جاهليّة قبلها ؛ كقوله : ﴿عادًا الأولى﴾[٦]. وبعضهم يقول : يعني الجاهليّة التي وُلِدَ فيها إبراهيم قبل الجاهلية التي وُلد فيها محمدٌ ﴿وأقمْن الصلاة﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿وآتين الزكاة﴾ يعني : المفروضة ﴿وأطعْن الله ورسوله﴾ فيما أمركن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ يعني : الشيطان . وقال بعضهم : الرجس : الإثم .

---

(١) أي : يستوي فيه المفرد والمفردة وفروعهما . وأصله (وحد) . ينظر لسان العرب (وحد) .

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم ، وقرأ باقي السبعة بكسر القاف . ينظر : السبعة (٥٢٢) ، البحر (٢٣٠/٧) ، التيسير (١٧٩) ، النشر (٣٤٨/٢) .

(٣) يقال : قَرّ بالمكان قَرًّا وقَرارًا وقُرورًا ؛ أي : أقام وسكن . لسان العرب (قرر) .

(٤) وقيل : حذفت الراء الثانية ، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف ، فحذفت همزة الوصل استغناءً عنها فصارت (قرن) ينظر الدر المصون (٤١٥/٥) .

(٥) يقال : وقر فلان وقارًا وقِرَة : رزن . ويقال : وقر في بيته وَقْرًا ووُقورة : أقام . لسان العرب (وقر) .

(٦) النجم : ٥٠ .

وقال محمدٌ : الرجْس في اللغة : كل مستنكر مُسْتَقْذر من مأكول أو عملٍ أو فاحشة[١]، و(أهْلَ البيت) منصوبٌ على وجهين : على معنى : أعنى أهل البيت ، وعلى النداء[٢].

﴿ويطهركم تطهيرًا﴾ .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ، قال : « رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي ﷺ، وسمعت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال : الصلاة - ثلاثًا - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ »[٣].

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ

---

(١) والجمع : أرْجَاس . لسان العرب (رجس) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٦٣٦/٢) ، البحر (٢٣١/٧) ، البيان (٢٦٩/٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١٤٤/٤ رقم ٣٦٩٩ /٢) - والطبري في تفسيره (٦/٢٢) وابن عدي في الكامل (٣٢٩/٨) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (١٩٨/٤) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٨٧٠/٥ رقم ٦٧٥٢) من طريق يونس بن أبي إسحاق به .
ورواه ابن أبي شيبة - كما في المطالب (١٤٤/٤ رقم ١/٣٦٩٩) - وأبو أحمد الحاكم في الكنى (١٩٩/٤ - ٢٠٠) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن نافع - وهو أبو داود - به .
ورواه عبد بن حميد (١٧٣ رقم ٤٧٥) عن الضحاك بن مخلد عن أبي داود به .
ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٨/٢ رقم ٧٧٥) من طريق أبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد - عن عبادة بن مسلم عن أبي داود به . وعلقه البخاري في الكنى (٢٥ - ٢٦) عن الضحاك به .
ورواه الطبراني في الكبير (٥٦/٣ رقم ٢٦٧٢، ٢٠٠/٢٢ رقم ٥٢٥) من طريق منصور بن أبي الأسود عن أبي داود به .
وقال أبو أحمد في الكنى (٢٠٠/٤) قال محمد بن إسماعيل الجعفي : أبو الحمراء يقال له صحبة ، ولا يصح حديثه .
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٠٠/٣) : أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث ، كذاب .
وقال الهيثمي في المجمع (١٢١/٩) : رواه الطبراني ، وفيه أبو داود الأعمى ، وهو كذاب .
وقال ابن حجر في المطالب (١٤٥/٤) : أبو داود هو نافع - وقيل : نفيع الأعمى - كذبه قتادة ، وهو ضعيف جدًا .
وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي (٣٢٨/٥ رقم ٣٢٠٦) - وقال : حسن غريب - وأحمد (٢٥٩/٣، ٢٨٥) ، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨ رقم ١٢٢٣) ، والطبري في تفسيره (٦/٢٢) والطبراني (٥٦/٣ رقم ٢٦٧١) والحاكم (١٥٨/٣) وصححه على شرط مسلم .

فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ هو كلامٌ واحدٌ ؛ كقوله : ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[1] والإسلام هو اسم الدين ، قال : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾[2] وهو الإيمان بالله ﴿والقانتين والقانتات﴾ القنوت : الطاعة ﴿والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات﴾ على ما أمرهم الله به ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ وهو الخوف الثابت في القلب ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ يعني : الزكاة المفروضة ﴿والصائمين والصائمات﴾ .

قال يحيى : بلغني أنّه من صام رمضان وثلاثة أيامٍ من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ مما لا يحل لهن .

﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ يعني : باللسان ؛ وليس في هذا الذكر وقْتٌ .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمرًا﴾ يعني : إذا فرض الله ورسوله شيئًا ﴿أن تكون[3] لهم الخيرة﴾ يعني : التخيُّر ﴿من أمرهم﴾ ﴿ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً

---

(١) الذاريات : ٣٦.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) قرأ الكوفيون وهشام ﴿يكون﴾ بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون ﴿تكون﴾ بالتاء على التأنيث . النشر (٣٤٨/٢) .

مبينًا﴾ أراد رسول الله ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش زَيْدَ بن حارثة ؛ فأبت وقالت : أُزوِّج نفسي رجلاً كان عَبْدَك بالأمْسِ . وكانت ذات شرَفٍ ، فلما أُنزلت هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول الله فزوجها إياه، ثم صارت سُنَّةً بعدُ في جميع الدين ، ليس لأحدٍ خيارٌ على قضاء رسول الله وحُكْمه .

قال محمدٌ : كانت زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله ﷺ .

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمْسك عليك زوجك واتق الله﴾ [قوله : ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني : زيدًا][1].

قال الله للنبي : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أي : مظهره ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي : تخشى عيبة[2] الناس ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطرًا﴾ الوطر : الحاجة ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم﴾ قال المشركون للنبي : يا محمد ، زعمت أنّ حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد! فقال الله : ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج ...﴾ الآية (ل٢٧٢) قال الكلبي : إن رسول الله أتى زَيْدًا زائرًا فأبصرها قائمةً فأعجبته ، فقال رسول الله : سبحان الله مقلب القلوب . فرأى زيدٌ أن رسول الله هَوِيَها[3]. فقال : يا رسول الله ،

---

(١) من « ر » .

(٢) العَيْبةُ والعَيْبُ بمعنًى . لسان العرب (عيب) .

(٣) هذا القول لا يصح - والله أعلم - إسنادًا ولا متنًا ، وهو في غاية النكارة :

فأما إسناده فالكلبي كذاب متهم في دينه ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٤٩١) : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها ؛ فلا نوردها . اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٣٨٤) : وردت آثارٌ أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها . اهـ .

وأما متنه فقال القرطبي في تفسيره (١٤/١٩١) : فأما ما رُوي أن النبي ﷺ هَوِي زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجّان لفظ : عَشِق - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا ، أو مستخف بحرمته . اهـ

وقال البغوي في تفسيره (٦/٣٥٥) : وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال : سألني علي بن الحسين زين العابدين : ما يقول الحسن في قوله : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قلت : يقول : لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ، إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك ، فقال : أمسك عليك زوجك واتق الله . فقال علي بن الحسين : ليس كذلك ، كان الله تعالى - قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن =

ائذن لي في طلاقها ؛ فإن فيها كبْرًا ، وإنها لتؤذيني بلسانها! فقال له رسول الله : اتق الله وأمسك عليك زوجك . فأمسكها زيدٌ ما شاء الله ثم طلقها ، فلما قضتْ عدتها أنزل الله نكاحها رسول الله من السماء ، فقال : ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ...﴾ إلى قوله : ﴿زوجناكها﴾ فدعا رسول الله عند ذلك زيدًا ؛ فقال : ائت زينب ، فأخبرها أن الله قد زوَّجنيها . فانطلق زيدٌ ، فاستفتح الباب ؛ فقيل : من هذا؟ قال : زيد . قالتْ : وما حاجة زيد إليَّ وقد طلَّقني؟! فقال : إن رسول الله أرسلني إليكِ ؛ فقالت : مرحبًا برسول رسول الله ، ففُتح له ؛ فدخل عليها وهي تبكي ، فقال زيدٌ : لا يبكي الله عَيْنكِ ، قد كنتِ نعمتْ المرأة - أو قال : الزوجة - إن كنت لتبرين قسمي ، وتطيعين أمري ، فقد أبدَلكِ الله خَيْرًا مني . قالت : مَنْ ؛ لا أبا لك؟ فقال : رسول الله . فخرَّتْ ساجدةً .

قوله : ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ يعني : أحلَّ ﴿سُنَّة الله في الذين خلَوا من قبل﴾ أي : أنّه ليس على الأنبياء حرجٌ فيما أحلَّ الله لهم ، وقد أحلَّ لداود مائة امرأة ، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبْعمائة سُرِّيّة .

قال محمدٌ : نصب (سُنَّةَ) على المصدر ؛ المعنى : سنَّ الله سُنّةً[1].

= زيدًا سيطلقها ، فلما جاء زيد ، وقال : إني أريد أن أطلقها . قال : أمسك عليك زوجك ، فعاتبه الله ، وقال : لِمَ قلتَ : أمسك عليك زوجك؟! وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك .

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء ، وهو مطابق للتلاوة ؛ لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ، ولم يظهر غير تزويجها منه ، فقال : ﴿زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها ؛ لكان يظهر ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره ؛ فدل على أنه إنما عُوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له ، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد : التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي ، وهذا قول حسن مرضٍ ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها ، لا يقدح في حال الأنبياء ؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم ؛ لأن الود وميل النفس من طبع البشر ، وقوله : « أمسك عليك زوجك واتق الله » أمر بالمعروف ، وهو خشية لا إثم فيه . اهـ .

وهذا القول الذي حسّنه البغوي وارتضاه - وهو حقيق أن يُحسَّن ويرتضى - قال عنه القرطبي في تفسره (١٤/ ١٩٠ - ١٩١) : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم . اهـ .

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٦٣٨) ، البيان (٢/ ٢٧٠) ، البحر (٧/ ٢٣٦) .

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم﴾ يعني: أن محمدًا لم يكن أبًا لزيدٍ، وإنما كان زيدٌ دَعِيًّا له ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (رسولَ الله) بالنصْب[١] فعلى معنى: ولكن كان رسول الله[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ يعني: باللسان، وهذا ذكرٌ ليس فيه وقتٌ.

يحيى: عن خِداش، عن ميمون بن عجلان، عن مَيْمون بن سِيَاه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات»[٣]. من حديث يحيى بن محمد.

---

(١) وهي قراءة العامّة، وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة برفع (رسول). ينظر: البحر (٢٣٦/٧)، الإعراب للنحاس (٦٣٩/٢) جامع القرطبي (١٩٦/١٤).

(٢) ينظر: البحر (٢٣٦/٧)، التبيان (١٠٥٨)، إعراب القرآن (٦٣٩/٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٤٢/٣) وأبو يعلى (١٦٧/٧ رقم ٤١٤١) والبزار - كشف الأستار (٤/٤ رقم ٣٠٦١) - والطبراني في المعجم الأوسط (١٥٤/٢ رقم ١٥٥٦) وابن عدي في الكامل (١٦٠/٨) وأبو نعيم في الحلية (١٠٧/٣ - ١٠٨) والضياء في المختارة (٢٣٤/٧ - ٢٣٦ رقم ٢٦٧٥ - ٢٦٧٨) من طريق ميمون بن عجلان به.
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٣/٢ - ٤٠٤): رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، وأبو يعلى والبزار والطبراني.
وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٥٢/١): أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني، بسند ضعيف.
وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١٠). رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه ميمون المرائي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٧٧/٦ رقم ٦٠٥١): هذا إسناد رجاله ثقات.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٢/٦ رقم ٦٠٣٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٣١١/٣ رقم ٣٢٩٠) عن سهل - وقيل: سهيل - ابن الحنظلية العبشمي ﷺ.
ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٣٠٨/١٠ رقم ٩٥٢٩) عنه موقوفًا.
ورواه البيهقي في الشعب (٤٣٠/٢ - ٤٣١ رقم ٥٣٠) عن أبي الوازع جابر بن عمرو عن عبد الله بن مغفل ﷺ.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ تفسير ابن عباس : هذا في الصلاة المكتوبة ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ تفسير ابن عباس قال : صلاة الله : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار .

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني : من الضلالة إلى الهدى .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ﴾ يقول : تحييهم الملائكة عن الله بالسلام ﴿وأعدّ لهم أجرًا كريمًا﴾ يعني : الجنَّة .

﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمَّتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلَّغتهم ﴿ومبشرًا﴾ في الدنيا بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿وداعيًا إلى الله بإذنه﴾ يعني : بالوحي ﴿وسراجًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرًا﴾ يعني : الجنة ﴿ودع أذاهُمْ﴾ قال مجاهد : يقول : اصبر عليه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ...﴾ إلى قوله : ﴿فمتعوهن﴾ المتاع منسوخٌ إذا كان قد سمَّى لها صداقًا إلا أن يكون لمْ يُسمِّه لها ، فيكون لها المتعة ولا صداق لها إذا طلقها قبل أن يدخل بها نسختها الآية التي في البقرة ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ...﴾ إلى قوله : ﴿فنصف ما فرضتم﴾[1] هذا قول العامة أنها منسوخة .

وكان الحسن[2] يقول : لها المتاع ؛ وليستْ بمنسوخة وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا ولها الصداق كاملاً ، وإنما يكون لها النصف إذا طلقها ﴿وسرحوهن سراحًا جميلاً﴾ إلى أهليهن لا تكون المرأة والرجل في بيت واحد وليس بينهما حرمةٌ .

---

(١) البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٥/٢٢٥) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ يعني : صدُقاتهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء اللَّه عليك﴾ ﴿وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي﴾ ﴿خالصة لك﴾ (ل٢٧٣) يقوله للنبي عليه السلام ﴿من دون المؤمنين﴾ لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي في تفسير الحسن؛ إن النبي عليه السلام قد تطوع لتلك المرأة التي وهبَتْ نفسها، فأعطاها الصداق.

ومقرأ العامة : (أن وهبت) بفتح (أن) وتفسيرها على هذا المقرإ : كانت امرأةً واحدة، ومن قرأ بكسر الألف فعلى المستقبل[1].

قال محمدٌ : ومن قرأ ﴿أن﴾ بالفتح فالمعنى : لأنْ، و﴿خالصةً﴾ منصوبٌ على الحال.

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي : أوحينا ﴿في أزواجهم﴾ [ألا تنكح إلا بولي وشهداء وصداق، ولا ينكح الرجل أكثر من أربع][2] ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يقول : يتزوج أربعًا إن شاء، ويطأ بملك يمينه ما شاء ﴿لكيلا يكون عليك حرجٌ﴾ أي : إثمٌ.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) إنما قراءة العامة : ﴿إن وهبت﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الحسن والشعبي وعيسى بفتح الهمزة. ينظر : البحر (٢٤٢/٧)، إتحاف الفضلاء (٣٥٦)، المحتسب (١٨٢/٢)، جامع القرطبي (٢٠٩/١٤) الإملاء (١٠٤/٢) وينظر التوجيه النحوي من إعراب القرآن (٦٤٢/٢)، مجمع البيان (٣٦٤/٤)، البيان (٢٧١/٢)، البحر (٢٤٢/٧).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من « ر ».

﴿ترجي من تشاء منهن﴾ رجع إلى قصة النبي .

تفسير الحسن[١]: يذكر النبي ﷺ المرأة للتزويج ثم يُزجيها ؛ أي : يتركها ، فلا يتزوُّجها ، وكان إذا ذكر امرأةً ليتزوجها لمْ يكن لأحدٍ أن يعرض لذكرها ؛ حتى يتزوجها أو يتركها .

﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي : تتزوّج من تشاء ﴿ومن ابتغيت ممّن عزلْت فلا جناح عليك﴾ يقول : ليستْ [عليك][٢] لهن قسْمةٌ ﴿ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن﴾ إذا علمن أنه من قبل الله ﴿ولا يحزنّ﴾ على أن تُخصَّ واحدة منهن دون الأخرى ﴿ويرضين بما آتيتهنّ﴾ من الخاصّة التي تخص منهن لحاجتك .

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهن من أزواج﴾ يعني : أزواجه التسْعَ ، قال الحسن[٣]: لمّا خيَّر رسول الله نساءه ، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن ﴿ولو أعجبك حُسْنُهنّ﴾ يعني : حسن غيرما أحل الله له من النساء ؛ على ما مضى من تفسير الحسن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يطأ بملك يمينه ما شاء ﴿وكان الله على كل شيء رقيبًا﴾ يعني : حفيظًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه﴾ قال

(١) رواه عبد بن حميد وابن جرير ، كما في الدر المنثور (٥/٢٢٨) .
(٢) من « ر » .
(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٢١) .

مجاهد[١]: يعني: متحيِّنين حينه[٢].

قال محمدٌ: المعنى: غير منتظرين وقت إدْرَاكه؛ وهو معنى قول مجاهد و﴿غَيرَ﴾ منصوبة على الحال[٣].

﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أي: تفرّقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ يعني: بعد أن تأكلوا ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ يُخبرهم أن هذا يؤذى النبي.

﴿وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يعني: من الريبة والدَّنس؛ في تفسير السُّدي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا﴾ قال ناسٌ من المنافقين: لو قد مات محمدٌ تزوَّجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية، وقال: ﴿إن تبدوا شيئًا أو تخفوه﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات تزوجنا نساءه.

﴿فإن الله كان بكل شيءٍ عليمًا﴾ ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال:

﴿لا جناح عليهن في آبائهن ...﴾ إلى قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ يعني: المسلمات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممَّن يدخل على أزواج النبي في الحجاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ يعني: إن الله يغفر للنبي، وتستغفر له الملائكة ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ يعني: استغفروا له ﴿وسلموا تسليمًا﴾.

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن أبي هاشم - صاحب الرمان - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «جاءني كعْب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية، بينما نحن عند رسول الله إذ قال رجلٌ: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللَّهم صلِّ على

---

(١) الإنَى في اللغة: الحين. لسان العرب (أنى).

(٢) روى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: غير متحينين نضجه.

انظر تفسير الطبري (٣٤/٢٢) والدر المنثور (٢٣٢/٥).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٦٤٥/٢)، البحر (٢٤٦/٧)، البيان (٢٧٢/٢).

محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللَّهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد»[1].

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليَّ (ل ٢٧٤) الصلاة يوم الجمعة»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله، ويستخفون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده ويكْذبون عليه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يعني: جَنَوْا؛ وهم المنافقون ﴿فقد احتملوا بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيِّنًا.

يحيى: عن النَّضْر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فنادى بصوتٍ أَسْمَع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولمْ يُسلمْ بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تغتابوهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه في بيته»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٤١، ٢٤٣، ٣٤٤) والبخاري (٦/٤٦٩ - ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠) ومسلم (١/٣١٦ - ٣١٧ رقم ٤٠٦) والحميدي (٢/٣١٠ - ٣١١ رقم ٧١١، ٧١٢) وعبد الرزاق في المصنف (٢/٢١٢ رقم ٣١٠٥) وعبد ابن حميد (١٤٤ رقم ٣٦٨) والطيالسي (١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٠٦١) والدارمي (١/٣٥٦ رقم ١٣٤٢) وأبو داود (٢/٥٤ - ٥٥ رقم ٩٦٨ - ٩٧٠) والترمذي (٢/٣٥٢ - ٣٥٣ رقم ٤٨٣) والنسائي (٣/٤٧ - ٤٨ رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨)، وابن ماجه (١/٢٩٣ رقم ٩٠٤) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به.
ولم أجد الحديث من طريق أبي هاشم صاحب الرمان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والله أعلم.
وللحديث طرق عن كعب بن عجرة، وعن عدة من الصحابة أيضًا، انظر: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص٥٢ - ٥٩).

(٢) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٣/٨ رقم ٣٣٤٧) - وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٥١٧) من طريق أبي حرة عن الحسن به.
وعزاه السخاوي في القول البديع (ص٢٣٤) لسعيد بن منصور في سننه.
وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلا، انظر القول البديع (ص٢٣٠ - ٢٣٥).

(٣) أبان بن أبي عياش واهٍ، ولم أجد الحديث من هذا الطريق. وقد اختلف على أبان فيه أيضًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب الرداء ؛ يعني : يتقنّعن به ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أي : يعرف أنهن حرائر مسلمات عفائف فلا يؤذين ؛ أي : فلا يعرض لهن بالأذى ، وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون النساء .

قال الكلبي : كانوا يلتمسون الإماء ، ولم يكن تُعرف الحرة من الأمة بالليل ؛ فلقي نساء المؤمنين منهُمْ أذًى شديدًا ؛ فذكرن ذلك لأزواجهن ، فرُفع ذلك إلى النبي ؛ فنزلت هذه الآية .

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن عمر بن الخطّاب رأى أمةً عليها قناع ،

= فرواه معمر عن أبان وغيره مرسلاً . خرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١٧٦/١١ رقم ٢٠٢٥١) .

ورواه فضيل بن عياض وحماد بن زيد عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن عبد الله عن أبي برزة . قاله الدارقطني في العلل (٣١٠/٦) .

وتابع الأعمشُ أبانَ على هذا الوجه .

خرجه الإمام أحمد (٤٢٠/٤ - ٤٢١) وأبو داود (٣٠٥/٥ رقم ٤٨٤٦) وأبو يعلى (٤١٩/١٣ - ٤٢٠ رقم ٧٤٢٣، ٧٤٢٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨) والروياني في مسنده (٣٣٦/٢ - ٣٣٧ رقم ١٣١٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨١٤/٤ رقم ١٤٩٧، ١٤٩٨) ، والبيهقي في الشعب (٢٩٦/٥ رقم ٦٧٠٤) وفي السنن (٢٤٧/١٠) وغيرهم من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش به .

قال البخاري في التاريخ (٤٨٧/٣) : سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة عن النبي ﷺ « لا تغتابوا المسلمين » قاله أبو بكر بن عياش عن الأعمش . وقال يوسف بن راشد : حدثنا ابن مغراء ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثني رجل من البصرة عن أبي برزة عن النبي ﷺ وقال ابن فضيل عن الأعمش عن عبد الرحمن بن جريج عن أبيه عن النبي ﷺ ولا يصح . اهـ .

وقال الدارقطني في العلل (٣٠٩/٦ - ٣١٠) : حدث به كذلك أبو بكر بن عياش وعبد الله بن عبد القدوس وفضيل ابن عياض .

وقال ثابت بن محمد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة .

وخالفهم عبد الرحمن بن مغراء ؛ فرواه عن الأعمش عن رجل لم يسمه عن أبي برزة .

والقول قول أبي بكر بن عياش وفضيل ومن تابعهما . اهـ .

قلت : تابع عبدَ الرحمن بن مغراء قطبةُ عند الإمام أحمد (٤٢٤/٤) وحفص بن غياث عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٩) .

وفي الباب عن عدة من الصحابة ، انظر تخرج أحاديث الكشاف (٣٤٤/٣ - ٣٤٦) .

فعلاها بالدّرة ، وقال : اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر! »[١].

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون يرجفون بالنبي وأصحابه يقولون : يهلك محمدٌ وأصحابه! ﴿لنغرينّك بهم﴾ أي : لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين﴾ .

قال محمدٌ : ﴿ملعونين﴾ منصوبٌ على الحال[٢]؛ المعنى : لا يجاورونك إلا وهم ملعونون .

﴿سنة اللّه في الذين خلوا من قبل﴾ أي : من أظهر الشركَ قبل ، وهذا إذا أُمِر النبيون بالجهاد .

قال محمدٌ : ﴿سنةَ اللّه﴾ مصدر ؛ المعنى : (سنّ)[٣] اللّه سُنّة .

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند اللّه﴾ أي : لا يعلم متى مجيئُها إلا اللّه ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾ أي : أنها قريبٌ ﴿يا ليتنا أطعنا اللّه وأطعنا الرسولا﴾ وإنما صارت ﴿الرسولا﴾ و ﴿السبيلا﴾ ؛ لأنها مخاطبة وهذا جائزٌ في كلام العرب ، إذا كانت مخاطبة .

قال محمدٌ : الاختيار عند أهل العربيّة : (السبيلا) بالألف وأن يوقف عليها ؛ لأن أواخر الآي وفوَاصلَها يجري فيها ما يجري في أواخر أبيات الشعر ومصارعها[٤]؛ لأنه إنما خوطِبَ العرب بما

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٢/٦٥٠) ، البحر (٧/٢٥١) ، البيان (٢/٢٧٢) .

(٣) في الأصل (سنّن) ، وهو خطأ ؛ لأن مصدره (تسنين) . والمثبت من « ر » وهو الصواب .

(٤) في « ر » : مصارفها .

يعقلونه في الكلام المؤلَّف ، فيدل بالوقف على هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو ﴿الظنونا﴾ و ﴿السبيلا﴾ و﴿الرسولا﴾ أن ذلك الكلام قد تمَّ وانقطع وأن ما بعده مستأنف .

﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ وهي تقرأ على وجه آخر : ﴿ساداتِنا﴾[1] والسادة جماعة واحدة ، والسادات جماعة الجماعة[2] ﴿وكبراءنا﴾ أي : في الضلالة ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي : مِثْلَيْن . ﴿والعنهم لعنًا كبيرًا﴾ وتقرأ (كثيرًا)[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ...﴾ الآية .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس بن مالك « أن اليهود كانوا يقولون : إن موسى آدَرُ[4] ، وكان إذا دخل الماء ليغتسل وضعَ ثوبه على صخرة . قال : فدخل الماء يومًا ووضع ثوبه على صخرة فتدهْدهتْ[5] ، فخرج يتبعُها فرأوه ، فبرَّأهُ الله مما قالوا »[6].

﴿وقولوا قولاً سديدًا﴾ أي : عدلاً ؛ وهو : لا إله إلا الله ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ لا يقبل العمل إلا ممّن قال : لا إله إلا الله ، مخلصًا من قلبه .

---

(١) وهي قراءة ابن عامر ، وقرأ باقي السبعة (سادتنا) . ينظر : السبعة (٥٢٣) ، البحر (٣٥٢/٧) ، النشر (٣٤٩/٢) .

(٢) ينظر : الدر المصون (٤٢٦/٥) ، لسان العرب (سود) .

(٣) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، ونافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وقرأ عاصم وحده (كبيرًا) . ينظر : السبعة (٥٢٣) ، البحر (٢٥٢/٧) ، التيسير (١٧٩) ، النشر (٣٤٩/٢) .

(٤) من الأُدْرة ؛ وهي انتفاخ الخصيتين لتسرب سائل في غلافهما أو كبر الصفن من تجمع سائل بداخله . والجمع : أُدْر . المعجم الوسيط (أدر) .

(٥) أي : تدحرجت . لسان العرب (دهده) .

(٦) روى البخاري (٥٠٢/٦ رقم ٣٤٠٤) ومسلم (٢٦٧/١ رقم ٣٣٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه .

﴿إنا عرضنا الأمانة ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي عرضَ العبادة على السمٰوات والأرض والجبال أن يأخذوها بما فيها ، قلن : وما فيها؟ قيل : إن أحسنتن جوزيتن (ل٢٧٥) وإن أسأتن عوقبتن ﴿فأبين أن يحملنها﴾ وعرضها على الإنسان - والإنسان : آدم - فقبلها .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن « أنه قرأ هذه الآية : ﴿إنا عرضنا الأمانة ...﴾ إلى قوله : ﴿ليعذب اللّٰه المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ فقال : هما اللذان ظلماها ، هما اللذان خاناها : المنافق والمشرك »[1].

﴿وكان اللّٰه غفورًا﴾ لمن تاب من شركه ﴿رحيمًا﴾ للمؤمنين .



(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٨/٢٢) من طريق أبي الأشهب به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٥) لعبد بن حميد في تفسيره .

تفسير سورة سبأ وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿الحمدُ للَّه﴾ حمد نفسه ، وهو أهل الحمْدِ ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم﴾ في أمره أحكم كل شيءٍ ﴿الخبير﴾ بخلْقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من المطر وغير ذلك ﴿وما يعرج فيها﴾ أي : يصعَدُ يعني : ما تصعد به الملائكة ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ لمن آمن .

قال محمدٌ : يقال : عَرَج يعرُجُ إذا صَعِدَ ، وعرِجَ - بالكسْر - يعرَجُ إذا صار أعْرجَ[1].

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله : ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ عالِمُ الغيب ، ومن قرأها بالجر : (عالمِ الغيبِ) يقول : بلى وربي عالمِ الغيْب ، وفيها تقديمٌ[2]، والغيبُ في تفسير الحسن في هذا الموضع : ما لم يكن ﴿لا يعزب عنه﴾ أي : لا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ أي : وزن ذرّةٍ يقول : ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه

---

(١) يقال : عَرَج يعرُج عُرُوجًا إذا صعد ، فهو عريج . ويقال : عرج يعرَج عَرَجًا وعَرَجانًا ؛ أي : كان في رِجْله شيءٌ خِلْقةً فجعله يغمز بها ، فهو أعرج . لسان العرب ، المعجم الوسيط (عرج) .

(٢) قرأها بالرفع : نافع وابن عامر ، وقرأ بالجر : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علاَّم﴾ ينظر : السبعة (٥٢٦) ، البحر (٧/٢٥٧ - ٢٥٨) ، النشر (٢/٣٤٩) .

الثواب والعقاب لا يغيبُ عن الله منه مثقال ذرة ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزقٌ كريمٌ﴾ يعني: الجنة ﴿والذين سعَوا﴾ عملوا ﴿في آياتنا معاجزين﴾ تفسير الحسن: مسابقين؛ أيْ: يظنون أنهم يسْبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ونعذبهم.

قال محمدٌ: يقال: ما أنت بمعاجزي؛ أي: بمُسابقي، وما أنت بمعجزي؛ أي: بسابقي[1].

﴿أولئك لهم عذابٌ من رجزٍ﴾ والرجز: العذاب؛ أي: لهم عذابٌ من عذابٍ ﴿أليم﴾ موجع.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين ﴿الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ أي: يعلمون أنه هو الحق ﴿ويهدي﴾ أي: ويعلمون أن القرآن يهدي ﴿إلى صراطِ﴾ إلى طريق ﴿العزيز الحميد﴾ المستحمد إلى خلقه.

﴿وقال الذين كفروا﴾ قاله بعضهم لبعضٍ ﴿هل ندُلكم﴾ ألا ندلكم ﴿على رجلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﴿ينبئكم﴾ يخبركم ﴿إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ أي: إذا متم وتفرّقت عظامُكم وكانت رُفاتًا أنكم لمبعوثون خلقًا جديدًا - إنكارًا للبعث؟ قال الله: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال﴾ في (الدين)[2] ﴿البعيد﴾ من الهدى ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم﴾ يعني: أمامهم ﴿وما خلفهم﴾ يعني: وراءهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾ الكسف: القطعة[3].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ

---

(١) لسان العرب (عجز).

(٢) في «ر»: الدنيا.

(٣) هكذا في الأصل و«ر». والصواب: الكِسْفة: القطعة. والجمع: كِسْف وكِسَف. لسان العرب (كسف).

وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾

﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ يعني : النبوة ﴿يا جبالُ أوِّبي﴾ قلنا : يا جبال أوبي معه ؛ أي : سبحي .

قال محمدٌ : ذكر ابن قتيبة[(١)] أنَّ أصل الكلمة من التأويب في السَّفر . قال : وهو أن [يسير][(٢)] النهار كله وينزل ليلاً كأن المعنى : أَوِّبي النهار كله بالتسبيح[(٣)].

وذكر الزجاج : أن أصل الكلمة من آبَ يئوب ؛ إذا رجع ، كأنه أراد : سبحي معه ورَجِّعي التسبيح[(٤)]؛ فاللَّه أعلم ما أراد .

﴿والطير﴾ هو كقوله : ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾[(٥)] أي : وسخرنا له الطير ﴿وألنا له الحديد﴾ ألانه اللَّه له ؛ فكان يعمله بلا نارٍ ولا مطرقة بأصابعه الثلاثة ﴿أن اعمل سابغاتٍ﴾ وهي الدروع ﴿وقدر في السّرد﴾ تفسير مجاهد[(٦)]: لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة ؛ فيسلس ، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة .

قال محمدٌ : السابغ : الذي يغطي كل ما تحته حتى [يفضل وذكر][(٧)] (ل٢٧٦) لأنها تدل على الموصوف ومعنى السّرد : التّشبُّ ، ويقال للحرز أيضًا : سرْدٌ ، ويقال لصانع الدِّرع : سرّاد وزرّادٌ ؛ تبدل من السين : الزاي[(٨)].

---

(١) هو عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب واللغة ، له أدب الكاتب ، والمعارف ، وعيون الأخبار وغير ذلك .
ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٣٧/٤) .
(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٣) ينظر لسان العرب (أوب) ، معاني القرآن للفراء (٣٥٥/٢) ، البحر (٢٦٢/٧) .
(٤) لسان العرب (أوب) ، البيان (٢٧٥/٢) .
(٥) الأنبياء : ٧٩.
(٦) رواه الطبري في تفسيره (٦٨/٢٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٤٦/٥) للفريابي وعبد بن حميد أيضًا .
(٧) في كشف المشكلات : (وحذف دروعًا ؛ لأنها تدل على الموصوف) ينظر : كشف المشكلات (١٠٩٣/٢) ، وينظر أيضًا : البحر المحيط (٢٦٣/٧) ، وإعراب القرآن (٦٥٨/٢) ، والبيان (٢٧٦/٢) .
(٨) ينظر لسان العرب (سرد) ، و(زرد) .

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي : وسخرنا لسليمان الريح ﴿غدُوها شهرٌ ورواحها شهرٌ﴾ قال الحسن : وكان سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سرير مملكته عليها ، ووضع الكراسي والمجالس على الريح ، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدِّين من الجن والإنس يومئذٍ ، والجن يومئذ ظاهرة للإنس يَحُجُّون جميعًا ويصلون جميعًا ، والطير ترفرف على رأسه ورءوسهم ، والشياطين حرسُه لا يتركون أحدًا يتقدَّم بين يديه ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ يعني : الصُّفر ؛ في تفسير مجاهد[1] سالت له مثل الماء ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ يعني : السُّخرة التي سخَّرها اللَّه له ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ يعني : عن طاعة اللَّه وعبادته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ يعني : المساجد والقصور ؛ في تفسير الكَلْبي .

قال محمدٌ : يقال لأشرف موضع في الدار أو في البيت : محراب[2].

قوله : ﴿وتماثيل﴾ يعني : صورًا من نحاس .

قال الحسن : ولمْ تكن الصور يومئذٍ محرَّمة ﴿وجفانٍ كالجوابي[3]﴾ يعني : صحافًا كالحياض .

قال محمدٌ : الجوابي جمع : جابية .

﴿وقدور راسيات﴾ أي : ثابتاتٌ في الأرض عظام لا تحوَّل عن أماكنها ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ أي : توحيدًا . قال بعضهم : لما نزلت لم يزل إنسانٌ منهم قائمًا يصلي .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٥/٢٤٧) لعبد بن حميد .

(٢) والجمع : محاريب . لسان العرب (حرب) .

(٣) أثبت الياء وصلاً أبو عمرو وورش ، وانفرد الحنبلي عن عيسى بن وردان بذلك ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب ، النشر (٢/٣٥١) .

قال : ﴿وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ أي : أقل الناس المؤمن ﴿فلما قضينا﴾ أنزلنا ﴿ عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرضةُ ؛ في تفسير مجاهد[١] ﴿تأكل منساته﴾ أي : عصاه .

قال محمدٌ : وأصل الكلمة من قولك : نسأت الدّابة ؛ إذا سُقْتَهَا ، فقيل للعصاة : مِنْسَأَةٌ[٢].
وأنشد بعضهم :

إذا دببت على المنساة من كبر ... فقد تباعد منك اللّهْوُ والْغزلُ[٣]

وفيه لغةٌ أخرى ﴿تأكل منسأته﴾ مهموزة[٤].

قال يحيى : مكث سليمان حولاً وهو متوكئٌ على عصاه لا يعلمون أنه مات . وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب ، فكانوا يعملون له حولاً لا يعلمون أنه مات .

قال : ﴿فلما خرّ﴾ سليمان ؛ أي : سقط ﴿تبيّنتِ الجن﴾ للإنس ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ يعني : الأعمال [التي][٥] سخرهم فيها .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿لقد كان لسبإٍ في مساكنهم[٦] آيةٌ﴾ أي : لقد تبيّن لأهل سبإٍ ؛ كقوله : ﴿واسأل

---

(١) رواه الطبري (٧٣/٢٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٥٠/٥) للفريابي وعبد بن حميد أيضًا .

(٢) يقال : منسأة بالهمزة وهي لغة تميم ، و(منساة) بدون الهمز ؛ وهي لغة الحجاز . ينظر لسان العرب (نسأ) ، الدر المصون (٤٣٥/٥ - ٤٣٦) .

(٣) البيت من بحر البسيط ، ويروى : فقد تباعد عنك ...
ينظر : المحتسب (١٨٧/٢) ، البحر المحيط (٢٥٥/٧) ، معاني القرآن للفراء (٣٥٦/٢) .

(٤) قرأ بهمزة ساكنة ابن عامر في رواية عنه ، وبألف محضة نافع وأبو عمرو ، وبهمزة مفتوحة الباقون . ينظر : السبعة (٥٢٧) ، البحر (٢٦٧/٧) ، النشر (٣٤٩/٢ - ٣٥٠) .

(٥) في الأصل : الذي . والمثبت من « ر » .

(٦) وهي قراءة : نافع وعاصم وأبي عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر . وقرأ حمزة وحفص : ﴿مسْكَنِهم﴾ بسكون السين =

القرية﴾[1] أي : أهل القرية .

قال محمدٌ : قد مضى القول في (سبإ) في تفسير سورة النمل ، واختلاف القراءة فيه ، والتأويل[2] .

قال يحيى : ثم أخبر بتلك الآية ؛ فقال : ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ جنة عن يمين ، وجنةٌ عن شمال ﴿بلدةٌ طيبة ورب غفورٌ﴾ لمن آمن .

قال محمدٌ : ﴿جنتان﴾ بدلٌ من ﴿آية﴾ و ﴿ربٌ غفورٌ﴾ مرفوعٌ على معنى و اللَّهُ ربٌ غفورٌ .

﴿فأعرضوا﴾ عما جاءت به الرسُلُ ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ والعَرِمُ : الجسْرُ يُحبَسُ به الماء ، وكان سدًّا قد جعل في موضعٍ من الوادي [تجتمع][3] فيه المياه .

قال مجاهد[4]: إن ذلك السَّيْل الذي أرسَلَ اللَّه عليهم من العرم ماء أحْمَر ، أتى اللَّه به من حيث شاء ، وهو شقّ السّدّ وهدَمَه ، وحفر بطن الوادي عن الجنّتَيْنِ ؛ فارتفعتا وغارَ عنهما الماء فيبستا قال : ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتيْن ذواتي أكل﴾ أي : ثمرة ﴿خمطٍ﴾ وهو الأَرَاك[5] ﴿وأثل﴾ .

قال محمدٌ : والأثل شبيه[6] بالطّرفاء ، واختلف أهل اللغة في مد الطّرفاء وقصره ، وأكثرهم على المد[7].

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي﴾ أي : نعاقبُ ﴿إلا الكفور﴾ .

= وفتح الكاف على الإفراد ، وقرأ الكسائي : ﴿مسكِنهم﴾ بسكون السين وكسر الكاف . ينظر : السبعة (٥٢٨) ، البحر (٧/٢٦٩) ، النشر (٢/٣٥٠) .

(١) يوسف : ٨٢.

(٢) وذلك عند قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل : ٢٢] وينظر : السبعة (٤٨٠، ٥٢٨) ، النشر (٢/ ٣٣٧) ، التيسير (١٦٧) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥/٢٥٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أي : شجر المسواك . المعجم الوسيط (أرك) .

(٦) في المعجم الوسيط (أثل) : الأثل : شجر من الفصيلة الطرفاوية ، طويل ، مستقيم يعمّر ، كثير الأغصان ، دقيق الورق . والواحدة أثلة . ينظر مادة (أثل) .

(٧) ينظر ذلك من لسان العرب ، القاموس المحيط (طرف) .

قال محمدٌ : قيل معنى المجازاة ها هنا : أنه لا يغفر له ، وإنما المغفرة لأهل الإيمان .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي : وكنا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ يعني : أرض الشام ﴿قرًى ظاهرة﴾ أي : متصلة ؛ ينظر بعضها إلى بعض ﴿وقدرنا فيها السير﴾ (ل٢٧٧) تفسير الكلبي : يعني المقيل والمبيت ﴿سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين﴾ كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا ، ولو لقي الرجلُ قاتِلَ أبيه لمْ يحركه ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قال الحسن : ملوا النعمة ؛ كما ملّت بنو إسرائيل المنَّ والسَّلوى . قال اللَّه : ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بشركهمْ ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمَن بعدهم ﴿ومزّقناهم كل ممزقٍ﴾ أي : بدَّدْنا عظامهم وأوصالهم [فأكلهم][1] التُّرابُ .

قال محمدٌ : وقد قيل في قوله : ﴿ومزّقناهم كلّ ممزّق﴾ أي : مزّقناهمْ في البلاد ؛ لأنهم لما أذهب اللَّه جنتيهم وغرق مكانهم تبدّدُوا في البلاد ؛ فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول : تفرّقوا أيدي سبأ ، وأيادي سبأ ؛ إذا أخذوا في وجوهٍ مختلفة[2].

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبّار﴾ على أمر اللَّه ﴿شكورٍ﴾ لنعمة اللَّه وهو المؤمن .

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنّه﴾ يعني : جميع المشركين ﴿فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ قال بعضهم : قال إبليس : خُلِقتُ من نارٍ وخُلِقَ آدم من طينٍ ، والنار تأكل الطين! فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم .

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (سبأ) .

قال يحيى : (...)[١] عليهم ظنه (...)[٢] على ما يحب .

قال محمدٌ : ومن قرأ : ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف[٣] نصبَ الظنَّ مصْدَرًا على معنى : صَدَقَ عليهم إبليسُ ظنًا ظنَّه[٤]، وصدق في ظنه .

﴿وما كان له عليهم من سلطانٍ﴾ هو كقوله : ﴿فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين﴾ يقول : لستم بمضلي أحدٍ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾[٥].

قوله : ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ وهذا علم الفعال ﴿ممن هو منها في شكٍ﴾ وإنما جحد المشركون الآخرة ظنًا منهم وشكًا ﴿وربك على كل شيءٍ حفيظ﴾ حتى يجازيهم في الآخرة .

﴿وما لهم فيهما﴾ يعني : السموات والأرض ﴿من شرك﴾ أي : ما خلقوا شيئًا مما فيهما ﴿وما له منهم﴾ أي : وما للّه من أوثانهم ﴿من ظهير﴾ أي : عوين .

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ عند اللّه ﴿إلا لمن أذن له﴾ أي : لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين .

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم ...﴾ الآية .

قال يحيى : إن أهل السموات لم يسمعوا الوحيَ فيما بين عيسى ومحمد ؛ فلما بعث اللّه جبريل بالوحي إلى محمدٍ سمع أهل السموات صوتَ الوحي مثل جر السلاسِل على الصخور - أو الصَّفا - فصعق أهل السموات مخافة أن تقوم الساعة ، فلما فرغ من الوحي ، وانحدر جبريل جعل كلما يمُرُّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم - يعني : خُلي عنها - فسأل بعضهم بعضًا - يسأل أهل كل سماء الذين فوقهم إذا خُلي عن قلوبهم ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق ؛ أي : هو الحق - يعنون : الوحي .

---

(١) طمس في حاشية الأصل نحو ثلاث كلمات .

(٢) طمس في حاشية الأصل قدر كلمة .

(٣) وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر . ينظر : السبعة (٥٢٩) ، البحر (٧/٢٧٣) ، النشر (٢/٣٥٠) .

(٤) ينظر إعراب القرآن (٢/٦٦٩) ، البحر (٧/٢٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٦٠) .

(٥) الصافات : ١٦١ - ١٦٣.

قال محمدٌ : وقيل : إن تأويل ﴿فزع عن قلوبهم﴾ أي : كشف الله الفزع عن قلوبهم .

﴿وإنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلالٍ مبين﴾ بيِّن ، وهي كلمة عربية ؛ يقول الرجل لصاحبه : إنَّ أحدنا لصادق - يعني : نفسه - وكقوله : إنّ أحدنا لكاذبٍ ؛ يعني : صاحبه[1] - أي : نحن على الهدى وأنتم في ضلالٍ مبين ، وكان هذا بمكة وأمْرُ المسلمين يومئذٍ ضعيفٌ .

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ كقوله : ﴿قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾[2] ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أي : يقضي ﴿وهو الفتاح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بخلقه .

﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي : جعلتموهم شركاء ؛ فعبدتموهم ، يقول : أروني ما نفعوكم وأجابوكم به! ﴿كلا﴾ لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم ؛ أي : أنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم ، ثم استأنف الكلام ؛ فقال : ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أي : هو الذي لا شريك له ولا ينفع إلا هو .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ يعني : جماعة الإنس وإلى جماعة الجن ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومجازون .

---

(١) ينظر : البحر المحيط (٢٨٠/٧) ، الدر المصون (٤٤٣/٥) .

(٢) هود : ٣٥.

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ لن نصدق ﴿بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون: التوراة والإنجيل.

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ أي: المشركون ﴿موقوفون عند ربهم﴾ يوم القيامة ﴿يقول الذين استُضعفوا﴾ وهم السفلة (ل٢٧٨) ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أي: بل قولكم لنا بالليل والنهار ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾ يعني: أوثانهم عدلوها بالله فعبدوها دونه ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ يعني: أهل السَّعَة والنعمة ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يقتر ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ الزلفى: القربة[1] ﴿إلا من آمن﴾ أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحًا ﴿فأولئك لهم جزاءُ الضعف﴾ يعني: تضعيف الحسنات؛ كقوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[2] ثم نزل بعد ذلك بالمدينة: ﴿مثل الذين

---

(١) وهي أيضًا القربى. لسان العرب (قرب).

(٢) الأنعام: ١٦٠.

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل ...﴾[1] الآية .

﴿والذين يسعون﴾ يعملون ﴿في آياتنا معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ مُدْخَلُون ﴿وما أنفقتم من شيءٍ﴾ أي: في طاعة الله ﴿فهو يخلفه﴾ تفسير السُّدي: ﴿فهو يخلفه﴾؛ يعني: في الآخرة؛ أي: يعوضهم به الجنة .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعًا﴾ يعني: المشركين وما عبدوا ﴿ثم نقول[2] للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ يجمع الله يوم القيامة بين الملائكة ومَنْ عبدها، فيقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ على الاستفهام وهو أعلم بذلك منهم ﴿قالوا﴾ قالت الملائكة: ﴿سبحانك﴾ ينزِّهون الله عما قال المشركون .

﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي: أنا لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانًا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادتنا؛ فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم ﴿بل أكثرهم﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿بهم﴾ أي: بالشياطين ﴿مؤمنون﴾ مصدقون بما وسوسوا إليهم بعبادة من عبدوا؛ فعبدوهم ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ وهم جميعًا قرناء في النار: الشياطين، ومن أضلوا؛ يلعن بعضُهم بعضًا، ويتبرأُ بعضُهم من بعض .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا

(١) البقرة: ٢٦١.

(٢) قرأ يعقوب وحفص ﴿يحشرهم﴾ ﴿ثم يقول﴾ بالياء فيهما، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ ﴿ثم نقول﴾ بالنون فيهما. النشر (٣٥١/٢) إتحاف الفضلاء (٤٦١).

بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وما آتيناهم من كتبٍ يدرسونها﴾ أي : يقرءونها بما هم عليه من الشرك ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمد ؛ يعني : من أَهْلَكَ من الأمم السالفة .

﴿وما بلغوا معشار﴾ ما بلغ هؤلاء معشار ؛ أي : عشر ﴿ما آتيناهم﴾ من الدنيا ؛ يعني : الأمم السالفة .

﴿فكيف كان نكيري[1]﴾ عقابي ؛ أيْ : كان شديدًا ؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم .

قال محمدٌ : (نكير) المعنى : نكيرى ، وحُذِفت الياء ؛ لأنه آخر آية[2].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ بـ (لا إله إلا اللَّه) يقوله للمشركين ﴿أن تقوموا للَّه مثنى وفرادى﴾ أي : واحدًا واحدًا ، أو اثنينْ اثنينْ ﴿ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ أي : ما بمحمدٍ من جنون ﴿إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابًا شديدًا .

﴿قل ما سألتكم من أجرٍ﴾ أي : الذي سألتكم من أجرٍ ﴿فهو لكم إن أجرى﴾ ثوابي ﴿إلا على اللَّه﴾ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ أي : ينزل الوحي ﴿علام الغيوب﴾ غيب السماء : ما ينزل منها من المطر وغيره ، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وغيره .

---

(١) أثبت الياء في الوصل ورش ، وفي الحالين يعقوب . النشر (٣٥١/٢) .

(٢) ورويت القراءة (نكيري) بإثبات الياء وصلاً عن ورش ، وإثباتها وصلاً ووقفًا عن يعقوب . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣٦٠) ، التيسير (١٨٦) ، النشر (٣٥١/٢) .

وينظر التوجيه النحوي من : البحر (٢٩٠/٧) ، البيان (٢٨٢/٢) ، مجمع البيان (٣٩٥/٤) .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿علامُ الغيوب﴾ بالرفع[١]، فعلى معنى : هو علام الغيوب[٢].

﴿قل جاء الحق وما يبدئُ الباطل﴾ [يعني : إبليس][٣] ﴿وما يعيد﴾ أي : ما يخلق أحدًا ولا يبعثه ﴿قل إن ضللْتُ فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت ...﴾ الآية ؛ أي : أنكم أنتم الضالون ، وأنا على الهدى .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ تفسير الحسن : يعني النفخة الأولى التي يُهْلَكُ بها كفار آخر هذه الأمة ﴿فلا فوت﴾ أي : لا يفوت أحدٌ منهم دون أن يهلك بالعذاب ﴿وأُخِذُوا من مكان قريب﴾ يعني : النفخة الآخرة . قال الحسن : وأي شيءٍ أقرب من أن [كانوا][٤] في بطن الأرض فإذا هم على ظهورها .

قال محمدٌ : قيل : ﴿من مكان قريب﴾ : قريب على الله يعني : القبور .

(ل٢٧٩) وهو معنى ما ذهب إليه الحسن ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يعني : الآخرة ، والتناوش : التناول ، قال الحسن يعني : وأنى لهم الإيمان .

قال محمد : المعنى : وأنى لهم تناول ما أرادوا من التوبة ؛ أي : إدراكه من مكان بعيد من الموضع الذي تقبل فيه التوْبة ، وهو معنى قول الحسن ، والتناوش يُهْمزُ ولا يُهمزُ يقال : نشتُ ونَأَشْتُ[٥].

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ كذبوا [بالبعث][٦] وهو اليوم عندهم بعيد ؛

---

(١) وهي قراءة العامّة ، وروي عن زيد بن علي ، وابن أبي عبلة ، وأبي حيوة القراءة بنصبها . ينظر : البحر (٢٩٢/٧) جامع القرطبي (٣١٣/١٤) الإعراب للنحاس (٦٨٠/٢) .

(٢) ينظر الدر المصون (٤٥٣/٥) ، وفيه تفصيل نحوي واسع .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) يقال : نَأَش يَنْأَشُ نأشًا ، ويقال : تناءش وتناوش . لسان العرب (نأش) .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

لأنهم لا يقرون به .

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ تفسير بعضهم : ما يشتهون من الإيمان ، ولا يقبل منهم عند ذلك .

﴿كما فُعِل بأشياعهم من قبل﴾ يعني : من كان على دينهم - الشرك - لمَّا كذبوا رسلهم جاءهم العذاب ، فآمنوا عند ذلك ؛ فلم يقبل منهم ﴿إنهم كانوا﴾ قبل أن يجيئهم العذاب ﴿في شكٍ مريب﴾ من الريبة ؛ وذلك أنّ جحودهم بالقيامة ، وبأن العذاب لا يأتيهم ؛ إنما ذلك ظن منهم [وشك ليس][1] عندهم فيه علمٌ .



(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

تفسير سورة الملائكة(١)

وهي مكيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ②﴾

قوله : ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه ، وهو أهل الحمد ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً﴾ جعل من شاء منهم لرسالته إلى الأنبياء ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ تفسير قتادة(٢): منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة .

قال محمد : (وثلاث ورباع) في موضع خفض ، وكذلك (مثنى) إلا أنه فتح ثلاث ورباع ؛ لأنه لا ينصرف لعلّتين : إحداهما : أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، واثنينْ اثنينْ ، فهذه علّةٌ ، والثانية : أن عدْله وقع في حال النكرة(٣).

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ تفسير الحسن : يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء ﴿ما يفتح الله للناس﴾ تفسير الكلبي : ما يقسِمُ الله للناس ﴿من رحمة﴾ من الخير والرزق ﴿فلا مُمسك لها﴾ أي : لا أحدَ يستطيع أن يمسك ما يقسم من رحمة ﴿وما يمسك فلا مرسلَ له من بعده﴾ يعني : نفسه ، تبارك اسْمُه .

---

(١) أي : سورة فاطر .

(٢) رواه الطبري (١١٤/٢٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٥/٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم أيضًا .

(٣) ينظر التفصيل في ذلك من البحر (٢٩٨/٧) ، إعراب القرآن (٦٨٣/٢) ، البيان (٢٨٥/٢) .

قال محمدٌ : ﴿يفتح﴾ في موضع جزْم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء ﴿فلا ممسك لها﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة اللّه عليكم هل من خالقٍ غير اللّه يرزقكم من السماء والأرض﴾ يعني: ما ينزل من السماء من المطر، وما ينبت في الأرض من النبات ﴿لا إله إلا هو﴾ يقوله للمشركين يحتج به عليهم، وهو استفهام؛ أي: لا خالق ولا رازق غيره، وأنتم تقرون بذلك وتعبدون من دونه الآلهة!

قال محمدٌ : تقرأ ﴿غير﴾ بالرفع والكسْر؛ فمن قرأ بالرفع فعلى معنى: هل خالقٌ غيرُ اللّه وتكون ﴿من﴾ مؤكدة، ومن كسر جعله صفة للخالق[٢].

﴿فأنى تؤفكون﴾ يقول: فكيف تُصرف عقولكم فتعبدون غير اللّه؟! ﴿وإن يكذبوك فقد كُذبت رسلٌ من قبلك﴾ يعزيه بذلك، ويأمُره بالصَّبْرِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الناس إن وعْد اللّه حق﴾ يعني: ما وعد من الثواب والعقاب ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم باللّه الْغرورُ﴾ الشيطان ﴿إنما يدعو حزبَهُ﴾ يعني: الذين أضلّ ووسوس إليهم بعبادة الأوثان ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ والسعير اسم من أسماء جهنَّم ﴿أفمن زُين له سوء عمله

(١) ينظر الدر المصون (٥/٤٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: البحر (٧/٣٠٠)، التيسير (١٨٢)، النشر (٢/٣٥١) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/٣٠٠)، الدر المصون (٥/٤٥٨ - ٤٥٩).

فرآه حسنًا﴾ كمن آمن وعمل صالحًا ؛ أي : لا يستويان ، وفيه إضمارٌ ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ يقول : لا تتحسر عليهم إذ لم يؤمنوا .

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝﴾

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه﴾ يعني : سقنا الماء في السحاب ﴿إلى بلد ميت﴾ أي : إلى أرض ليس فيها نبات .

ولمَّا قال : ﴿إلى بلدٍ﴾ قال : ﴿ميتٍ﴾ ؛ لأن البلد مذكَّرٌ ، والمعنى على الأرض[1] ﴿كذلك النشور﴾ أي : (هكذا)[2] تحيَوْن بعد الموت بالماء يوم القيامة كما تحيا الأرض بالماء فتنبت ، يرسل الله مطرًا منيًّا كمني الرجال ؛ فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تُنبتُ الأرض من الثرى يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ، فينطلق كل روح (ل٢٨٠) إلى جسده حتى يدخل فيه ، فيجيبوا إجابة رجل واحد سراعًا إلى صاحب الصور إلى بيت المقدس .

﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا﴾ تفسير قتادة[3] يقول : من كان يريد العزة ؛ فليتعزَّزْ بطاعة الله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ هو التوحيد ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ التوحيد ؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي : يعملونها ﴿ومكر أولئك﴾ أي : عمل أولئك ﴿هو يبور﴾ أي : يفسد عند الله ؛ لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿والله خلقكم من تراب﴾ يعني : خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني : نسْل آدم ﴿ثم جعلكم أزواجًا﴾ يعني : ذكرًا وأنثى ؛ والواحد : زوج ﴿وما يُعمر من معمَّرٍ ولا ينقص من عمره﴾ تفسير الحسن : وما يعمر من معمرٍ ؛ حتى يبلغ أرذل العمر ، ولا ينقص من آخر عمر المعمر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿إلا

---

(١) أي : أن التذكير محمول على اللفظ لا على المعنى . ينظر الدر المصون (٥/٤٦٠) .

(٢) في « ر » : كذلك .

(٣) رواه الطبري (٢٢/١٢٠) .

في كتابٍ إن ذلك على الله يسير﴾ هينٌ .

قال سعيد بن جبير(١): كُتِب في أول الصَّحيفة أجله ، ثم كُتب أسْفل من ذلك ذهب يوْم كذا ، وذهب يوم كذا حتى يأتي على أجَله .

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾

﴿وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ﴾ أي : حلو ﴿سائغ شرابه﴾ ﴿وهذا ملحٌ أجاج﴾ أي : مالحٌ(٢) مرٌ ﴿ومن كل﴾ يعني : من العَذْب والمالح ﴿تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ يعني : اللؤلؤ .

قال محمدٌ : وإنما تستخرج الحليةُ من الملح دون العذب ، إلا أنهما لما كانا مختلطيْن جاز أن يقال : تستخرجون الحلية منهما ؛ كقوله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾(٣).

﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾(٤) يعني : طلب التجارة في السفن ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أخذ أحدهما من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجلٍ مسمى﴾ لا يعدوه ، قال السُّدي : وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانها في شتاءٍ

---

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (رقم ٤٥٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٦٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٢) الأفصح : ملح . أما (مالح) فهي لغة رديئة . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (ملح) وفي « ر » : أجاج .

(٣) الرحمن : ٢٢ . قلت : هذا الذي قاله المؤلف ـ رحمه الله ـ قاله جماعة من المفسرين ، وخالفهم غيرهم ، فقالوا : إن الحلية تستخرج من البحرين جميعًا ، وسيأتي نقل بعض أقوالهم عند تفسير هذه الآية من سورة الرحمن - إن شاء الله تعالى .

(٤) فاطر : ١٢.

ولا صيف ﴿والذين تدعون من دونه﴾ يقوله للمشركين يعني : أوثانهم ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال مجاهد[١]: القِطْمير : لفافة النّواة[٢].

قال محمدٌ : يقال : لِفَافةٌ وفُوفَة ، والفُوفَة أفصح[٣].

﴿إن تدعوهم﴾ يعني : تنادوهم ﴿لا يسمعوا دعاءكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ يعني : بعبادتكم إياهم ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ يعني : نفسه تبارك وتعالى .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ويأت بخلق جديد﴾ هو أطوعُ[٤] له منكم ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي : لا يشق عليه .

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي : لا تحمل حاملةٌ ذنب نفس أخرى ﴿وإن تدع مثقلةٌ﴾ أي : من الذنوب ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيءٌ ولو كان ذا قربى﴾ أي : لا يحمل قريبٌ عن قريبه شيئًا من ذنوبه .

قال محمدٌ : المعنى ولو كان المدْعُو ذا قربى .

﴿إنما تنذر﴾ أي : إنما يقبل نذارتك ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في السر حيث لا يطلع عليهم أحدٌ ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿ومن تزكى﴾ أي : عمل صالحًا ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي : يجد ثوابه .

---

(١) رواه الطبري (١٢٥/٢٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٦٩/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ويُطْلق القطمير على الشيء الحقير الهين . لسان العرب (قطمر) .

(٣) وتجمع (لفافة) على لفائف ، وتجمع (فُوفة) على (فُوف) . ينظر لسان العرب (فوف ، لفف) .

(٤) أي : منقادون له طائعون . لسان العرب (طوع) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا تبعٌ لقوله: ﴿وما يستوي البحران﴾[1]، ﴿ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ هذا كله مثل المؤمن والكافر؛ أي: كما لا يستوي ما ذكر؛ فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر.

قال محمدٌ: الحرُور: (استيقاد)[2] الحر ولفحه بالليل والنهار[3].

﴿إن الله يُسمع من يشاء﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار سمع قبول؛ كما أن الذين في القبور لا يسمعون.

﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي: من أمة ممَّن أهلكها إلا خلا فيها نذير، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي ﷺ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ قال السُّدي: يعني الآيات (ل ٢٨١) التي كانت تجيء بها الأنبياء ﴿وبالزبر﴾ يعني أحاديث [الكتاب][4] ما كان [من قبلهم][5] من المواعظ ﴿وبالكتاب المنير﴾ البيِّن، يعني: الكتاب الذي يجيء به النبي منهم إلى قومه ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: كان شديدًا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ

---

(١) فاطر: ١٢.

(٢) سقط من «ر».

(٣) ويجمع على: حرائر. لسان العرب (حرر).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) في الأصل: لهم، والمثبت من «ر».

كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ألمْ تر أن اللَّه أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها﴾ [وطعمها في الإضمار][١] ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بيض﴾ أي : [طرائق][٢] بيض ﴿وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ والغربيب : الشديد السّواد .

قال محمدٌ : قالوا : أسْوَدُ غِرْبِيبٌ يؤكدون السواد[٣]، والجُدَد واحدها : جُدّة[٤].

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانُه كذلك﴾ أي : كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال ثم انقطع الكلام ، ثم استأنف فقال : ﴿إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء﴾ وهم المؤمنون .

قال ابن عباس[٥]: يعلمون أن اللَّه على كل شيء قدير .

﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ السِّر : التطوع ؛ والعلانية : الزكاة المفروضة ، يستحبُّ أن تُعطى الزكاة المفروضة علانية ، والتطوُّع سرًّا ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ أي : تفسد ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ يعني : ثوابهم في الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يضاعف لهم الثواب .

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ اخترنا ﴿من

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل وأثبته من الدر المصون (٤٦٦/٥) وفي « ر » : طريق .
(٣) ينظر لسان العرب (غرب) .
(٤) وهو جزء الشيء يخالف لونه لون سائره . وقيل : هي الطريقة . لسان العرب (جدد) .
(٥) رواه الطبري (١٣٢/٢٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٧١/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ...﴾ إلى قوله : ﴿يدخلونها﴾ .

يحيى : عن النَّضر بن بلال ، عن أبان بن أبي عياش ، عن جعفر بن زيد وذكر حديثًا فيه : أن أبا الدَّرْداء قال : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...﴾ إلى قوله : ﴿جنات عدن يدخلونها ...﴾ إلى آخر الآية ، قال : فيجيء هذا السابقُ بالخيرات فيدخل الجنة بلا حساب ، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا ثم يتجاوز الله عنه ، ويجيء هذا الظالم لنفسه فيُوقفُ ويعيّر ويوبّخ ويُعَرَّف ذُنوبَه ، ثم يدخله الله الجنة بفضل رحمته ، فهم الذين قالوا : ﴿الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكورٌ﴾[١] غفر الذنب الكبير ، وشكر العمل اليسير »[٢].

يحيى : عن أبي أميّة ، عن ميمون بن سِيَاه ، عن شهر بن حَوْشب ؛ أن عمر بن الخطاب قال : « سابقُنا سابقٌ ، ومقتصدُنا ناجٍ ، وظالمنا مغفورٌ له »[٣].

---

(١) فاطر : ٣٤.

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق ولا من الطريق الآتي بعد أثر عمر ﷺ .
وروى الإمام أحمد (٥/ ١٩٤، ١٩٨، ٦/٤٤٤) والطبري في تفسيره (١٣٧/٢٢) والحاكم (٤٢٦/٢) والبيهقي في البعث (٥٨) والبغوي في تفسيره (٤٢١/٦) عن أبي الدرداء نحوه .
وفيه اختلاف ذكره البخاري في الكنى (١٧ - ١٨) وأشار الحاكم إلى بعضه .

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٢٠/٢ رقم ٢٣٠٨) - ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله عمن سمع عمر ﷺ به .
وقد اختلف في إسناد حديث ميمون بن سياه عليه .
فرواه حفص بن خالد عن ميمون بن سياه عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا .
خرجه البيهقي في البعث والنشور - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٣٣١) .
وقال البيهقي : فيه إرسال بين ميمون وعمر .
وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩) : وهذا منقطع .
ورواه الفضل بين عميرة الطفاوي - من طريق عمرو بن الحصين عنه - عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر ﷺ .
خرجه العقيلي في الضعفاء (٤٤٣/٣) والإسماعيلي - كما في مسند الفاروق لابن كثير (٦٠٣/٢) - وابن مردويه في تفسيره ، والواحدي في الوسيط والثعلبي - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والبغوي في تفسيره (٤٢١/٦) . =

ومن حديث يحيى بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي الدرداء قال : « قرأ رسول الله هذه الآية ، فقال : أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يحاسب حسابًا يسيرًا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في طول المحشر ، ثم يتجاوز اللهُ عنه » .

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أسْوِرة : سوار من ذهب ، وسوارٌ من فضّة ، وسوارٌ من لؤلؤ . وقال ها هنا : ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ وقال في آية أخرى ﴿وحلّوا أساور من فضّة﴾[1].

قال محمدٌ : من قرأ : (ولؤلوءًا)[2] فعلى معنى : (يحلّون لؤلؤًا)[3] وأساور جمع : أسورة ، واحدها : سِوَارٌ[4].

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ .

= وقال العقيلي : الفضل بن عميرة الطفاوي عن ميمون بن سياه ، ولا يُتابع على حديثه .

ثم روى الحديث ، وقال : وهذا يُروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسنادٍ أصلح من هذا .

وقال ابن كثير عن عمرو بن الحصين : وهو متروك .

وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩) : فيه الفضل بن عميرة ، وهو ضعيف .

(١) الإنسان : ٢١.

(٢) قد سبق التعليق على هذه القراءة . ينظر (الحج : ٢٣) .

(٣) ينظر : البحر (٣١٤/٧) ، إعراب القرآن (٩٩٨/٢) .

(٤) ويقال : سوار بضم السين وكسرها ؛ وهو حِلْيَةٌ من الذهب مستديرة كالحلْقة تلبس في المعصم أو الزند . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سور) .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة قال : « دارُ المؤمن دُرَّةٌ مُجَوَّفة في وسطها شجرة تُنْبِت الحُلَل ، ويأخذ بأصبعه - أو قال : بأصابعه - سبعين حُلَّةً منظَّمة باللؤلؤ والمرجان »[١].

﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعْيَاء .

قال محمدٌ : المُقَامة والإِقَامة واحدٌ[٢].

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (فيموتوا)[٣] يجعله جواب الفاء للنفي في أوله[٤].

﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل﴾ أي : ارْدُدْنا في الدنيا نعملْ صالحًا! قال الله : ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يعني : النبي ﷺ . [قال قتادة][٥] (ل٢٨٢) نزلت هذه الآية وفيها ابن ثماني عشرة .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (٧٤ رقم ٢٦٢) عن حماد بن سلمة به ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٩/١٣ رقم ١٥٨٨٧) وهناد في الزهد (١٢٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٠/٢ رقم ٢٠٥) من طريق حماد به .

وأبو المهزم اسمه يزيد بن سفيان متروك الحديث ، ترجمته في التهذيب (٣٢٧/٣٤ - ٣٢٩) وقال ابن عدي في الكامل (١٤٩/٩) : وقد روى حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة أحاديث كلها غير محفوظة .

(٢) وكذلك المُقَام ، كلُّه بمعنى موضع الإقامة . لسان العرب (قوم) .

(٣) وهي قراءة العامة ، وروي عن الحسن وعيسى الثقفي : ﴿فيموتون﴾ ينظر : البحر (٣١٦/٧) ، المحتسب (٢٠١/٢) جامع القرطبي (٣٥٢/١٤) .

(٤) ينظر : إعراب القرآن (٦٩٩/٢ - ٧٠٠) ، البحر (٣١٦/٧) البيان (٢٨٩/٢) .

(٥) طمس في الأصل والمثبت من « ر » وقال السيوطي في الدر (٢٧٦/٥) : أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : « اعلموا أن طول العمر حجة ؛ فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر ، قال : نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة » .

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي: خلفًا بعد خلف ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ قال السُّدِّي: يعني: في الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي: لم يخلقوا منها مع الله شيئًا ﴿أم آتيناهم كتابًا﴾ بما هم عليه من الشرك ﴿فهم على بينات[1] منه﴾ أي: لم يفعل ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلا غرورًا﴾ يعني: الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، والمشركين الذين دعا بعضهم بعضًا إلى ذلك.

قال محمدٌ: (الغرور) الأباطيل التي تغرُّ[2]، ومعنى (إن يعد): ما يعد و(بعضهم) بدلٌ من (الظالمين)[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ [يعني: لئلا تزولا][4] ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده﴾ وهذه صفةٌ؛ يقول: إن زالتا، ولن تزولا ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذيرٌ﴾ نبيٌّ ﴿ليكونُن أهدى من إحدى الأمم﴾ كقوله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين﴾[5].

قال الله: ﴿فلما جاءهم نذيرٌ﴾ محمد ﴿ما زادهم﴾ ذلك ﴿إلا نفورًا﴾ عن الإيمان ﴿استكبارًا في الأرض﴾ عن عبادة الله ﴿ومكر السيئ﴾ يعني: الشرك وما يمكرون برسول الله وبدينه ﴿ولا يحيق المكر السيئُ إلا بأهله﴾ وهذا وعيدٌ لهم.

---

(١) بينات بالجمع، وهي قراءة شعبة عن عاصم، وابن عامر، ونافع والكسائي. وفي «ر»: ﴿بينة﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وحفص. ينظر: السبعة (٥٣٥)، البحر (٣١٨/٧)، التيسير (١٨٢)، النشر (٣٥٢/٢).

(٢) أي: بضم الغين، أما الغرور - بفتحها - فهو كل ما يغرُّ الإنسان من مالٍ أو جاهٍ أو شهوةٍ أو شيطانٍ أو غير ذلك. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (غرر).

(٣) وينظر في دلالة (إن) المخفّفة - على النفي - : مغني اللبيب (٣٠/١) وقد سبق مثل هذا.

(٤) من «ر».

(٥) الصافات: ١٦٧ - ١٦٩.

قال محمدٌ : (استكبارًا) منصوبٌ مفعولٌ له ؛ المعنى : ما زادهم إلا نفورًا للاستكبار[١].

﴿فهل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا سنة الأوّلين﴾ أي : سُنَّة اللَّه في الأوّلين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم ﴿فلن تجد لسنة اللَّه تبديلا﴾ لا يبدل اللَّه بها غيرها ﴿ولن تجد لسنة اللَّه تحويلا﴾ أي : لا تُحَوَّل ؛ وأخَّر عذاب كفّار آخر هذه الأمّة إلى النفخة الأولى بالاستصال ؛ بها يكون هلاكهم ، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أو لمْ يسيروا في الأرض﴾ أي : بلى قد ساروا ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كان عاقبتُهم أن دمَّر اللَّه عليهم ثم صيرهم إلى النار ؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وما كان اللَّه ليعجزه﴾ ليسبقه ﴿من شيءٍ في السمٰوات ولا في الأرض﴾ حتى لا يقدر عليه ﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا﴾ بما عملوا ﴿ما ترك على ظهرها من دابّةٍ﴾ يقول : لحَبَسَ عنهم القَطْر فهلك ما في الأرض من دابّة ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يعني : المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ الساعة بها يكون هلاكُ كفّار آخر هذه الأمة ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الساعة ﴿فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا﴾ .



(١) أي : مفعول لأجله ، وفيه أقوال أخرى . ينظر : إعراب القرآن (٧٠٣/٢) البيان (٢٨٩/٢)، البحر (٧/ ٣١٩ - ٣٢٠).

تفسير سورة يس وهي مكيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

قوله : ﴿يس﴾ تفسير قتادة : يا إنسان ، يقوله للنبي ﷺ.

قال محمدٌ : قيل : إنها بلغة طَيِّئ[1].

﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكَم ﴿إنك لمن المرسلين على صراطٍ مستقيم﴾ أقسم للنبي بالقرآن أنه من المرسلين على دينٍ مستقيم ﴿تنزيل﴾ أي : هو تنزيلٌ ، يعني : القرآن ﴿العزيز الرحيم﴾ ﴿لتنذر قومًا﴾ يعني : قريشًا ﴿ما أُنذر آباؤهم﴾ قال بعضهم : يعني : الذي أُنْذِرَ آباءهم ﴿فهم غافلون﴾ يعني : في غفلةٍ من البعث ﴿لقد حق القول﴾ سُبق ﴿على أكثرهم﴾ يعني : من لا يؤمن منهم ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [مغلولون][2] يقول : هم فيما ندعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عُنقه الغُلُّ[3]، فهو لا يستطيع أن يبسط يده ، أي : أنهم لا يقبلون الهدى و(المُقْمَح) في تفسير الحسن : الطَّامح ببصره الذي لا يبصر حيث يطأُ بقدمه ؛ أي : أنهم لا يبصرون الهُدَى .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فهي إلى الأذقان﴾ (فهي) كناية عن الأيدي لا عن الأعناق ؛ لأن الغلّ

---

(١) وكذلك فسَّرها الكلبي ، وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة . وقال سعيد بن جبير : هو كذلك في لغة الحبشة . ينظر : تفسير الطبري (٢٢/٩٧) ، تفسير ابن كثير (٦/٥٤٨) ، الدر المصون (٥/ ٤٧٤) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) بضم الغين أي : القيد في العنق أو اليد . ينظر : لسان العرب (غلل) .

يجعل اليد تلي الذَّقن والعُنق[١]. والمُقْمَح في كلام العرب: الرافع رأسه الغاضُّ بصره. وقيل: (...)[٢] أقماح؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفعُ رءوسها لشدَّة برودته[٣].

قال الشاعر - يذكُر سفينة -:

[ونحن على جوانبها قعود][٤] نغض الطرف كالإبل القماح

واحد القماح: قامح (ل٢٨٣) ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا﴾ هو كقوله: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[٥] [قال: كان ناسٌ من المشركين من قريش يقول بعضهم: لو قد رأيتُ محمدًا لقد فعلتُ كذا وكذا! ويقول بعضهُم: لو قد رأيتُه لفعلتُ به كذا وكذا! فأتاهم النبي ﷺ في حَلْقة من المسجد، فوقف عليهم فقرأ عليهم: ﴿يس والقرآن الحكيم ...﴾ حتى بلغ: ﴿فهم لا يبصرون﴾ ثم أخذ ترابًا؛ فجعل يذروه على رءوسهم، فما رفع رجل إليه طرفه ولا تكلّم كلمة. ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضُون التراب عن رءوسهم ولحاهم وهم يقولون: واللّهِ ما سمعنا، وما أبصرنا، وما عقلنا!][٦].

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾

﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لمْ تنذرهم﴾ يعني: الذين لا يؤمنون ﴿إنما تنذر﴾ إنما يقبل نذارَتَك

---

(١) أي: أن الضمير في (فهي) يعود على الأيدي، وقيل: يعود على الأغلال. انظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/ ٣٢٤)، الدر المصون (٥/٤٧٥ - ٤٧٦).

(٢) كلمتان غير واضحتين في الأصل و «ر» وانظرلسان العرب (قمح)، البحر المحيط (٣٢٤/٧)، الدر المصون (٥/ ٤٧٦).

(٣) ينظر المراجع السابقة.

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، وأثبته من «ر» والبيت من بحر الوافر، وهو لبشر بن أبي خازم. ينظر - بالإضافة إلى المراجع السابقة - ديوانه (٤٨)، مجاز القرآن (١٥٧/٢).

(٥) الجاثية: ٢٣. وفي الأصل: (وختم على سمعهم). وهو ليس بآية أو جزء منها. إنما الآية ﴿ختم اللّه على قلوبهم وعلى سمعهم ...﴾ [البقرة: ٧].

(٦) سقط من الأصل، وأثبته من «ر».

﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿إنا نحن نحي الموتى﴾ يعني : البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي : ما عملوا من خير أو شر ﴿وآثارهم﴾ تفسير قتادة(١) : يعني الخُطَا ، لو كان الله مُغْفِلاً شيئًا من شأنك يا ابن آدم لا تُحْصيه لأغفلَ هذه الآثارَ التي [تعفوها](٢) الرياح ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ بيِّن ؛ يعني : اللوح المحفوظ .

قال محمدٌ : (كلَّ) نُصِب على معنى : أحصينا كلَّ شيءٍ أحصيناه(٣).

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾ وهي أَنْطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ أي : قوَّيناهما بثالث .

قال محمدٌ : معنى قوله : ﴿واضربْ لهم مثلاً﴾ أي : اذكر لهم مثلاً و(أصحاب القرية) بَدَلٌ من قوله : (مثلاً)(٤) وقوله : (فعززنا) يقال : منه عَزَّز من قلبه ؛ أي : قوَّى(٥)، وتعزّز لحم الناقة إذا صَلُبَ(٦).

وفي تفسير مجاهد : أنه أُرْسِلَ إليهم نبيّان قبل الثالث فقتلوهما ثم أرسل الله الثالث قال : فقالوا : يعني : الأولين قبل الثالث ، والثالث بعدهما : ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ .

---

(١) رواه الطبري (١٥٥/٢٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٣/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .
(٢) في الأصل (تعفرها) بالراء ، وهو تحريف . والمراد بـ (تعفوها الرياح) : تمحو آثارها . لسان العرب (عفو) .
(٣) ينظر : الدر المصون (٤٧٧/٥) .
(٤) ينظر : الدر المصون (٤٧٧/٥) . وتقدَّم مِثْل هذا مرارًا .
(٥) في الأصل (قو) بدون الياء ، وليس له معنًى .
(٦) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (عزز) .

﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاءمنا ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ لنقتلنكم ﴿قالوا﴾ قالت لهم رسلُهم ﴿طائركم معكم﴾ [أي عملكم معكم.

قال محمد: شؤمكم معكم أي عملكم به تصابون][1] ﴿أئن ذكرتم﴾ يعني: ذكّرناكم بالله تطيّرتم بنا.

قال محمدٌ: قراءة نافع (أين) بهمزة بعدها ياء. واختلف عليه في المد[2].

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أنطاكية ﴿رجلٌ يسعى﴾ يسرع، وهو حبيب النَّجّار.

تفسير مجاهد قال: كان [رجلاً][3] من قوم يونُس وكان به جذامٌ[4]، فكان يطيف بآلهتهم يدعوها فلم يُغن ذلك عنه شيئًا، فبينما هو يومًا إذ هو بجماعة فدنا منهم؛ فإذا نبي يدعوهم إلى الله وقد قتلوا قبله اثنين، فدنا منه، فلما سمع كلام النبي قال: يا عبدَ الله، إن معي ذهبًا، فهل أنت آخذه مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك ولكن اتبعني فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ[5]، فلما رأى ما صُنِع به قال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم

---

(١) طمس بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لم أرَ من نسب هذه القراءة إلى نافع إلا ها هنا، وإنما تُنسب قراءة (أين) إلى عيسى بن عمر، والحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم. وأما قراءة نافع التي رويت عنه فهي (أئن) بتسهيل الهمزة الثانية بلا فصل، وقرأها أيضًا (إنْ)، وقرأها أيضًا (أنْ).

ينظر: البحر (٣٥٧/٧)، السبعة (٥٤٠)، جامع القرطبي (١٧/١٥) الإعراب للنحاس (٧١٤/٢).

(٣) في الأصل و«ر» (رجلٌ) بالرفع؛ وهو خلاف الجادة.

(٤) داءٌ يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدًا بقعيًا، وقد تتساقط منه الأطراف. المعجم الوسيط (جذم).

(٥) بَرَأ بَرْءًا؛ أي: شُفِيَ، وغير أهل الحجاز يقولون: بَرِئَ بُرْءًا؛ أي: شُفِي. ينظر لسان العرب (برئ).

أجرًا﴾ لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني ...﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾ أي: فاسمعوا مني قولي، دعاهم إلى الإيمان فلما سمعوه قتلوه، فقيل له: ادخل الجنة. قال مجاهد[1]: أي: وجبت لك الجنةُ ﴿قال يا ليت قومي يعلمون ...﴾ الآية.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال اللَّه: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء﴾ يعني: رسالة - في تفسير مجاهد -؛ أي: انقطع عنهم الوحيُ؛ فاستوجبوا العذابَ ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ والصَّيْحَةُ عند الحسن: العذاب ﴿فإذا هم خامدون﴾ قد هَلكوا ﴿يا حسرة على العباد﴾ أخبر اللَّه أن تكذيبهم الرسلَ حسرةٌ عليهم.

قال محمدٌ: من قرأ: (إلا صيحةً واحدةً) بالنصْب[2]، فالمعنى: ما كانت عقوبتُهم إلا صيحةً واحدةً[3].

والحسرةُ: أن يركب الإنسان من شدّة النّدم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبُه حسيرًا.

يقال منه: حَسِر الرجل، وتحسَّر[4].

﴿ألم يروا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾ أي: لا يرجعون إلى الدنيا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وإن كل لما جميعٌ لدينا محضرون﴾ يوم القيامة.

---

(١) رواه الطبري (١٦٢/٢٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) وهي قراءة العامّة، ورويت قراءة الرفع عن أبي جعفر، وشيبة، والأعرج. ينظر: البحر (٣٣٢/٧)، جامع القرطبي (٢١/١٥)، النشر (٣٥٣/٢).

(٣) ينظر: البحر (٣٣٢/٧)، الدر المصون (٤٨٠/٥).

(٤) بمعنى أسِف وحزن، فهو حَسْرَان، وهي حَسْرَى. لسان العرب (حسر).

قال محمدٌ : من قرأ (لَمَا) بالتخفيف[١] فـ « ما » زائدة مؤكّدة ؛ المعنى : وما كُلٌّ إلا جميعٌ[٢].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ يعني : التي لا نبات فيها ﴿أحييناها﴾ بالنبات ؛ أي : فالذي أحياها بعد موتها قادرٌ على أن يحيي الموتى .

قال محمدٌ : ﴿آيةٌ﴾ رفع بالابتداء ، وخبرها ﴿الأرض الميتة﴾[٣] ومعنى آية : علامة[٤].

﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم﴾ أي : لمْ تعمله أيديهم ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني : الأصناف ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ يعني : الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خَلَقَ في البرّ والبحر ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ (ل٢٨٤) أي : نُذْهِب منه النهار ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ لا تجاوزه ، وهذا بعد مسيرها ، ثم ترجع منازلَها إلى يوم القيامة حيث تُكوَّرُ ويذهبُ ضوؤُها ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أي : يجري على منازله ؛ يَزيدُ وينقُص ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ كعِذْق النخلة اليابس ؛ يعني : إذا كان هِلالاً .

قال محمدٌ : من قرأ (والقمر) بالرفع[٥]، فعلى معنى : وآيةٌ لهم القمرُ[٦].

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي . ينظر : التيسير (١٢٦) البحر (٣٣٤/٧) ، النشر (٢٩١/٢) .

(٢) وينظر : الدر المصون (٤٨٣/٥) وتقدم مثله في (هود ١١١) .

(٣) ينظر الدر المصون (٤٨٣/٥) .

(٤) والجمع : آي وآيات . المعجم الوسيط (أيي) .

(٥) وهي قراءة : نافع وابن كثير ، وأبي عمرو . وقرأ باقي السبعة بالنصب . ينظر : السبعة (٥٤٠) ، التيسير (١٨٤) ، البحر (٣٣٦/٧) .

(٦) ينظر : إعراب القرآن (٧٢١/٢) ، البحر (٣٣٦/٧) البيان (٢٩٥/٢) .

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ تفسير الحسن[1]: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمرَ ليلةَ الهلال خاصة لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيَان جميعًا ويجتمعان في غير ليلة الهلال، وهو كقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾[2] إذا تبعها ليلة الهلال خاصة ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي: يأتي عليه النهارُ، كقوله: ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾[3].

﴿وكلٌّ في فلك يسبحون﴾ يعني: الشمس والقمر.

قال الحسن: الفَلَكُ: طاحونةٌ مستديرةٌ كفَلْكَةِ المِغْزَل بين السماء والأرض تجري فيها الشمسُ والقمر والنجوم، وليست بملتصقةٍ بالسماء، ولو كانت ملتصقةً ما جرتْ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم[4] في الفلك المشحون﴾ يعني: نوحًا وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث، منهم ذُرِئَ[5] الخلق بعد ما غَرِقَ قومُ نوح؛ و﴿المشحونُ﴾: المُوقَر، يعني: مما حمل نوح معه في السفينة ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ من مثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ يعني: الإبل ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أي: فلا مُغيث لهم ﴿ولا هم يُنقذون﴾ من العذاب ﴿إلا رحمةً منا ومتاعًا إلى حين﴾ فبرحمتنا نمتّعهم إلى يوم القيامة، ولم نهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفّار آخر هذه الأمّة بالنفخة الأولى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ تفسير الكلبي: ﴿ما بين

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٣/٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٧/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) الشمس: ٢.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٤٠)، البحر (٣٣٨/٧)، النشر (٢٧٣/٢).

(٥) أي: خُلِق. لسان العرب (ذرأ).

أيديكم﴾ من أمْر الآخرة اتقوها واعملوا لها ، ﴿وما خلفكم﴾ يعني : الدنيا إذا كنتم في الآخرة فلا تغترُّوا بالدنيا ؛ فإنكم تأتون الآخرة ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللَّه﴾ وهذا تطوُّع ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه﴾ فإذا لمْ يشأ اللَّه أن يطعمه لِمَ نطعمه؟! ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يقوله المشركون للمؤمنين .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أيْ : هذا العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ يكذبون به . قال اللَّه ﴿ما ينظرون﴾ أي : ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدَّائنين بدين أبي جَهْلٍ وأصحابه ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني : النفخة الأولى من إسرافيل بها يكون هلاكُهم ﴿تأخذهم وهم يخصّمون﴾ أي : يختصمون في أسواقهم وحوائجهم ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أن يوصُوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ من أسواقهم وحيث كانوا .

﴿ونفخ في الصور﴾ هذه النفخةُ الآخرة ، والصُّور : قرنٌ تُجْعل الأرواحُ فيه ، ثم ينْفُخ فيه صاحبُ الصُّور ، فيذهبُ كلُّ روحٍ إلى جسده ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أي : يخرجون سِرَاعًا ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال قتادة[1]: تكلّم بأوّل هذه الآية أهلُ الضلالة ، وبآخرها أهلُ الإيمان . قال أهلُ الضلالة : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المؤمنون : ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ .

وقولهم : ﴿من مرقدنا﴾ هو ما بين النفختينْ لا يُعَذَّبون في قبورهم ما بين النفختين ، ويقال : إنها أربعون سنة ، الأولى يميتُ اللَّه بها كلَّ حي ، والأخرى يحيي اللَّه بها كلَّ ميت ﴿إن كانت﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٥/٢) والطبري (٢٣/ ١٦، ١٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٩/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

يعني : ما كانت ﴿إلا صيحةً واحدة﴾ يعني : النفخة الثانية ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ المؤمنون والكافرون .

قال محمدٌ : من قرأ : (صيحةً) بالنصب[١]، فعلى معنى : إن كانت تلك إلا صيحةً[٢].

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني : في الآخرة ﴿في شغل﴾ قال قتادة[٣] في : افتضاض العذارى ﴿فاكهون﴾ أي : مسرورون ؛ في تفسير الحسن (ل٢٨٥) ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك﴾ يعني : السُّرُر في الحجال .

يحيى : عن خالدٍ ، عن الحسن قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ أهل الجنة يدخلونها كلهم نساؤُهمْ ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة ، على طول آدم ؛ طوله ستون ذراعًا – اللَّه أعلم بأي ذراع – جُرْدًا[٤] مُرْدًا مُكَحَّلين يأكلون ويشربون ، ولا يبولون ولا يتغوَّطون ولا يَمْتَخِطُون ، والنساء عُرُبًا أَتْرابًا لا يَحِضْن ، ولا يَلِدْن ولا يَمْتَخِطْن ولا يَبُلْن ولا يقضين حاجةً»[٥].

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي : يشتهون قال : يكون في فم أحدهم الطعامُ ، فيخطُر على باله آخرُ ؛ فيتحوَّل ذلك الطعامُ في فيه ، يأكلُ من ناحيةِ البشرةَ بُسرًا[٦]، ثم يأكل من الناحية الأخرى عنبًا إلى عشرةِ ألوان ، وما شاء اللَّه من ذلك . وتصفُّ الطيرُ بين يديه ؛ فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نَضِيجًا بعضُه شواءٌ وبعضُه قَدِيدًا[٧]، وكلُّ ما اشتهت أنفسهم وجدوه .

---

(١) وهي قراءة العامة ، وقرأ أبو جعفر بالرفع . ينظر : الكشاف (٣/٣٢٦) ، النشر (٢/٣٥٣) .

(٢) تقدم مثل هذا .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥/٢٨٩) لعبد بن حميد .

(٤) واحده : أجرد ؛ وهو الذي خلا جسمه من الشعر . لسان العرب (جرد) .

(٥) لم أقف عليه ، وفي الباب أحاديث كثيرة معروفة ، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/ ٧٨ - ١٠٩) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي «ر» : من ناحية من اليسرة يسرا!!

(٧) القَدِيدُ : هو الذي يُقَطَّع ويُملَّح ، ويُجفَّفُ في الهواء والشمس . ينظر : المعجم الوسيط (قدد) .

﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾ يأتي المَلَكُ من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه ، حتى يستأذن عليه يطلب الإذْنَ من البوّاب الأول ؛ فيذكره للبواب الثاني ، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه ، فيقول البواب له : ملكٌ على الباب يستأذنُ! فيقول : ائذن له فيدخل بثلاثة أشياء : بالسلام من الله ، والتحيّة ، وبأنّ الله عنه راضٍ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿سلامٌ قولاً﴾ منصوبٌ على معنى : لهم سلامٌ يقوله الله قولاً[١].

﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ المشركون ؛ أي : تميزوا عن أهل الجنّة إلى النار .

قال محمدٌ : المعنى انقطعوا عن المؤمنين ، يقال : مِزْتُ الشيء عن الشيء إذا عزلته عنه ، فانماز وامتاز وميّزته فتميّز[٢].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاّ تعبدوا الشيطان﴾ لأنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان ؛ فأمرهم بعبادتهم فإنما عبدوا الشيطان ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي : دينٌ ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيرًا﴾ أي : خلقًا كثيرًا ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ في الدنيا أنْ لم تؤمنوا ﴿اليوم نختم على أفواههم [وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ تفسير بعضهم : لما قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . ختم الله على أفواههم][٣] ثم قال للجوارح : انطقي فأوّل ما يتكلم من أحدهم فَخِذُه . قال الحسن : وهذا آخر مواطن يوم القيامة ، إذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار .

(١) ينظر : إعراب القرآن (٧٢٩/٢) ، البحر (٣٤٣/٧) ، مجمع البيان (٤٣٩/٤) .

(٢) ينظر لسان العرب (ميز) .

(٣) لحق غير واضح بالأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ يعني: المشركين ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون إذا أعميناهم؟!

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فما استطاعوا مضيًّا ولا يرجعون﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لم يستطيعوا أن يتقدَّموا ولا يتأخَّروا ﴿ومن نعمره﴾ أي: إلى أرْذَل العمر ﴿ننكسه في الخلق﴾ فيكون بمنزلة الصبي الذي لا يَعْقِلُ ﴿أفلا يعقلون﴾ يعني: المشركين، أي: فالذي خلقكم ثم جعلكم شبابًا ثم جعلكم شيوخًا ثم نكَّسكم في الخلق فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئًا - قادرٌ على أن يبعثكم يوم القيامة ﴿وما علمناه الشعر﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿وما ينبغي له﴾ أن يكون شاعرًا ولا يروي الشعر، هذا لقولهم في النبي أنه شاعرٌ.

قال قتادة: وقالت عائشة: « لم يتكلَّم رسول الله ببيت شعرٍ قط؛ غير أنه أراد مرة أن يتمثَّل ببيت شعرٍ فلم يُقِمْه » وقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال: « قاتل الله طرفة[١] حيثُ يقول:

سَتُبْدِي لكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهلاً ... ويَأْتِيكَ مَنْ لم تُزَوِّدِ بالأَخْبَارِ

قيل له: إنه قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[٢]

فقال: سواء »[٣].

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. (٨٦ - ٦٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٣/٢٢٥).

(٢) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان طرفة (٦٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٤٥ - ١٤٦) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٧) من طريق معمر عن قتادة.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٥٩٧) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.
وقد ورد أن النبي ﷺ تمثل بعجز هذا البيت لطرفة.

﴿إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾ تفسير بعضهم : إن هو إلا تفكُّرٌ في ذات الله[١] ﴿وقرآن مبين﴾ بيِّنٌ ﴿لتنذر﴾ يا محمدُ ﴿من كان حيًا﴾ أي : مؤمنًا هو الذي يقبلُ نذارَتَك ﴿ويحق القول﴾ الغضب ﴿على الكافرين﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ (ل٢٨٦) أي : قوتنا في تفسير الحسن كقوله : ﴿والسماء بنيناها بأيْدٍ﴾[٢] [أي : بقوة][٣] ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ أي : ما يركبون .

قال محمدٌ : (الرَّكُوب) بفتح الراء اسمُ ما يركب ، والرُّكوب المصدرُ ، ويقال : مكانٌ رَكُوب ، يريدون الاسم[٤].

﴿ولهم فيها منافع﴾ في أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها ، ولحومها ﴿ومشارب﴾ يشربون من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ أي : فليشكروا ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لا تستطيع آلهتهم التي يعبدون نصْرهم ﴿وهم لهم جندٌ محضرون﴾ معهم

= فروى الإمام أحمد (٦/ ٣١، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٢ رقم ٨٦٧) والترمذي (١٢٨/٥ رقم ٢٨٤٨) والنسائي في الكبرى (٢٤٧/٦ رقم ١٠٨٣٣، ١٠٨٣٤) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٨٩٨/٣ رقم ١٥٨٢) والطحاوي في شرح المعاني (٢٩٧/٤) وفي شرح المشكل (٣٧٤/٨ - ٣٧٦ رقم ٣٣١٩، ٣٣٢٠) والبغوي في تفسيره (٢٦/٧) وغيرهم من طرق عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل بيت طرفة : ويأتيك بالأخبار من لم تزود » .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(١) في « ر » : كتاب الله .

(٢) الذاريات : ٧٤.

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) لسان العرب (ركب) .

في النار ؛ في تفسير قتادة ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أنك ساحر ، وأنك شاعر [وأنك كاهن][1] وأنك مجنون ، وأنك كاذب ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من عداوتهم لك ﴿وما يعلنون﴾ فيعصمك الله منهم ويذلهم لك ، ففعل الله ذلك به .

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ أي : وقد علم أنا خلقناه ؛ أي : فكما خلقناه كذلك نعيده ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي : رُفات .

قال محمدٌ : يقال : رمّ العظْمُ فهو رَمِيم ورِمَامٌ[2].

قال مجاهد[3]: « أتى أُبيُّ بن خلف إلى النبي ﷺ بعظْمٍ نَخِرٍ ففتّه بيده ؛ فقال : يا محمدُ ، أيحيي الله هذا وهو رميم؟! » .

قال يَحْيَى : فبلغني أن النبي ﷺ قال له : « نعم يحييك الله بعد موتك ، ثم يدخلك النار »[4]؟ فأنزل الله ﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا﴾ يعني : كُلّ عودٍ تزند[5] منه النار ، فهو من شجرة خضراء ﴿الذي بيده ملكوت﴾ (أي : ملك)[6] ﴿كل شيءٍ وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة .

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) لسان العرب (رمم) .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣/٣٠) .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم أيضًا .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٤٦) والطبري في تفسيره (٢٣/٣٠) عن قتادة مرسلاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩٣) : لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما .

(٥) في الأصل : (تزيد) ، وهو تحريف عن الصواب . والله أعلم .

(٦) سقط من « ر » .

تفسير سورة والصافات وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

قوله : ﴿والصافات صفًّا﴾ قال قتادة[١]: يعني : صفوف الملائكة .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن المنكدر قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ: « أطَّتِ[٢] السماءُ وحُقَّ لها أن تئطَّ ، ليس فيها موضعُ شبْرٍ إلا وعليها مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ »[٣].

قال محمدٌ : الأَطِيطُ : الصوت .

﴿فالزاجرات زجرًا﴾ يعني : الملائكة ، ومنهم الرعد الملك الذي يزجر السحاب ؛ وقال في آية أخرى : ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾[٤] يعني : النفخة الآخرة ينفخها صاحبُ الصُّور ﴿فالتاليات ذكرًا﴾ الملائكة تتلوا الوحي الذي تأتي به الأنبياء ؛ أقسم بهذا كلّه ﴿إنّ إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ تفسير قتادة[٥] قال : هي ثلاثمائة وستون مَشْرِقًا ،

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٧/٢) والطبري (٣٣/٢٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أي : صَوَّتت . لسان العرب (أطط) .

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المرسل ، ورواه الإمام أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٤٨١/٤ - ٤٨٢ رقم ٢٣١٢) وابن ماجه (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم في المستدرك (٥١٠/٢ - ٥١١، ٥٤٤/٤) وغيرهم عن أبي ذر ﷺ .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(٤) الصافات : ١٩، والنازعات : ١٣.

(٥) رواه عبد الرزاق (١٤٧/٢) .

وثلاثمائة وستون مَغْرِبًا .

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا﴾ أي : وجعلناها يعني : الكواكب حِفْظًا للسماء ﴿من كل شيطانٍ ماردٍ﴾ أي : مجترئ على المعصية ﴿لا يسمعون﴾ أي : لئلا يسمعون[1] ﴿إلى الملأ الأعلى﴾ يعني : الملائكة في السماء ، وكانوا يسمعون قبل أن يُبعث النبي ﷺ أخبارًا من أخبار السماء ، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه ﴿ويُقذفون﴾ أي : يُرْمَوْن ﴿من كل جانب دحورًا﴾ أي : طَرْدًا ﴿ولهم عذابٌ واصب﴾ أي : دائم ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه﴾ أي : لحقه ﴿شهابٌ ثاقب﴾ مضيء ، رجع إلى أول الكلام ﴿وحفظًا من كل شيطانٍ ماردٍ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ .

﴿إلا من خطف الخطفة﴾ يعني : استمع الاستماعة .

قال ابن عباسٍ : إذا رأيتم الكوكب قد رُمِيَ به فتوارى ؛ فإنه يَحرق ما أصاب ولا يقتل .

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فاستفتهم﴾ يعني : المشركين ، أي : فاسألهم على الاستفهام ؛ يُحاجهم بذلك ﴿أهم أشد خلقًا أم من خلقنا﴾ أم السماء أي : أنها أشد خلقًا منهم ﴿إنا خلقناهم من طينٍ لازبٍ﴾ واللازبُ : الذي يلصقُ باليد ؛ يعني : خلق آدم .

قال محمدٌ : يقال : لازبٌ ولازمٌ ، بمعنى واحد[2].

﴿بل عجبت﴾ يا محمدُ أن أعطيت هذا القرآن ﴿ويسخرون﴾ يعني : المشركين ﴿وإذا

= وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٩٤) لابن المنذر أيضًا .

(١) هكذا في الأصل (يسمعون) بإثبات النون ؛ وهو أحد الأوجه النحوية في إعراب هذا الفعل ، حيث يذهبون إلى أن قوله تعالى : ﴿لا يسّمعون﴾ أصله (لئلا يسمعون) وحذفت اللام ، وارتفع الفعل . ولا يخفى مما في هذا الرأي من تعسُّف . ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٤٩٦) .

(٢) لسان العرب (لزب) .

ذكروا﴾ بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ (ل٢٨٧) ﴿وإذا رأوا آية﴾ إذا تليت عليهم آية ﴿يستسخرون﴾ من السُّخْرية ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي: صاغرون ﴿فإنما هي زجرةٌ واحدة﴾ النفخة الآخرة ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: خرجوا من قبورهم [ينظرون](١).

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿احشروا﴾ أي: سوقوا ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن: يعني: الشياطين الذين دَعَوْا إلى عبادة الأوثان.

قال محمدٌ: تقول العرب: زوّجتُ إبلي إذا قرنت واحدًا بآخر(٢).

﴿فاهدوهم﴾ أي: ادْعوهم ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿الجحيم﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنّم ﴿وقفوهم﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إنهم مسئولون﴾ عن لا إله إلا اللّه.

قال محمدٌ: يقال: وقفت الدابة وَقْفًا ووقُوفًا، ومن هذا المعنى قوله: ﴿وقفُوهم﴾ ويقال: أوقفتُ الرجل على الأمر إيقافًا(٣).

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (زوج).

(٣) ينظر: لسان العرب (وقف).

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟! قال الله: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي: استسلموا ﴿وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون﴾ يعني: الكفّار والشياطين ﴿قالوا﴾ قال الكفار للشياطين: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال مجاهد: أي: من قبل الدِّين؛ فصددتمونا عنه ﴿قالوا﴾ يعني: الشياطين للمشركين من الإنس ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾.

﴿وما كان لنا عليكم من سلطانٍ﴾ نقهركم به على الشرك ﴿بل كنتم قومًا طاغين﴾ أي: ضالين ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ الشياطين تقول هذا، قال الله: ﴿فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون﴾ يُقْرَنُ كل واحدٍ منهم هو وشيطانُه في سلسلةٍ واحدة ﴿ويقولون﴾ يعني: المشركين إذا دعاهم النبي إلى الإيمان ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون﴾ يعنون: النبي ﷺ، أي: لا نفعل. قال الله ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ قبله ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثنى المؤمنين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الجنة.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا ينظر بعضُهم إلى قَفَا بعضٍ.

تفسير بعضهم: وهذا في الزيارة إذا تزاوروا ﴿يُطَاف عليهم بكأسٍ﴾ وهي الخَمْرُ.

قال محمدٌ: الكأس اسْمٌ يقع لكل إناءٍ مع شرابه[1].

﴿من معين﴾ والمعين: الجاري الظاهر[2] ﴿لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون﴾ أي: إذا شربوها لا يَسْكرون؛ فتذهب عقولُهم.

قال محمدٌ: يقال: الخمر غَوْلٌ للحلْم، والحربُ غَوْلٌ للنفوس؛ أي: تذهب بها[3]. وذكر أبو عبيد أن قراءة نافع (ينزَفون) بفتح الزاي في هذه، وفي التي في الواقعة[4].

قال محمدٌ: ويقال للسكران: نَزِيفٌ ومَنْزُوفٌ[5].

---

(١) وهي مؤنثة، وقد تُطلق على الشراب الذي في الإناء. والجمع: كئوس، وأكؤس. لسان العرب (كأس).

(٢) والجمع: (مُعُن). ينظر: المعجم الوسيط (عين، معن).

(٣) لسان العرب (غول).

(٤) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٣٦٠/٧) السبعة (٥٤٧)، النشر (٣٥٧/٢)، التيسير (١٨٦). والآية التي في الواقعة هي قوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة: ١٩].

(٥) لسان العرب (نزف).

ومن قرأ ﴿يُنْزِفون﴾ بكسر الزاي[١] فهو من : أنزفَ القومُ إذا حان منهم النَّزفُ وهو السُّكْر ؛ كما يقال : أحصد الزَّرعُ إذا حان حصادُه ، وأقطف الكرمُ إذا حان قِطَافُه .

قوله : ﴿قاصرات الطرف﴾ يعني : الأزواج قَصَرن طرْفَهُنّ على أزواجهنّ لا يُرِدْن غيْرهم . ﴿عِينٌ﴾ عظام العيون ، الواحدة منهن : عَيْناء[٢].

﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ تفسير بعضهم يعني بالبيض : اللؤلؤ ، كقوله : ﴿وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ﴾[٣] مكنونٌ في أصدافه .

﴿فأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون﴾ يعني : أهل الجنة .

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ صاحبٌ في الدنيا .

﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمدينون﴾ لمحاسبون ؛ أي : لا نُبْعَثُ ولا نُحَاسب .

قال يحيى : وهما اللذان في سورة الكهف في قوله : ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ...﴾[٤] إلى آخر قصتهما .

﴿قال﴾ المؤمن منهما : ﴿هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ يعني : في وسط الجحيم ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي : تباعدني من الله .

قال محمدٌ : يقال : رَدِيَ الرجل يَرْدَى رَدًى ؛ إذا هلك ، وأرْدَيْتُه : أهلكته[٥].

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي .

(٢) ويقال : هو أَعْيَن ، وهي عَيْناء ، لمن اتّسعت عينه وحَسُنت . لسان العرب (عين) .

(٣) الواقعة : ٢٢.

(٤) الكهف : ٣٢ - ٤٤.

(٥) فهو رَدٍ ؛ أي : هالك . لسان العرب (ردى) .

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني : الإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار ﴿أفما نحن بميتين إلا مَوْتتنا الأولى﴾ وليس هي إلا موتة واحدة التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على الاستفهام ، وهذا استفهام على سرور (ل٢٨٨) ، قد أمن ذلك ، ثم [قال] :(١) ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة .

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قال الله : ﴿لمثل هذا﴾ يعني : ما [وصف فيه](١) أهل الجنة ﴿فليعمل العاملون﴾ ثم قال : ﴿أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ أي : أنه خير نزلاً . ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ للمشركين .

قال قتادة(٢): لما نزلت هذه الآية ، جاء أبو جهل بتمر وزبد ، وقال : تزقَّموا فما نعلم الزقوم إلا هذا ، فأنزل الله ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ .

قال يحيى : [بلغني](٣) أنها في الباب السادس ، وأنها تجيء بلهب النار ؛ كما تجيء الشجرة ببرد الماء ، فلابد لأهل النار من أن ينحدروا إليها ، أعني : من كان فوقها ؛ فيأكلوا منها .

قوله : ﴿طَلعُهَا﴾ يعني : ثمرتها ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ يقبحها بذلك .

قال محمدٌ : الشيء إذا استقبح يقال : كأنه وجهُ شيطان ، وكأنه رأس شيطان ، والشيطان لا يُرَى ، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه ، وهذا كقول امرئ القيس(٤).

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٣٠١/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (ت ٨٠ ق . هـ) . ترجمته ومصادرها في الأعلام (١١/٢) .

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَسُمْر القَنَا حَوْلي كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[(١)]

ولم يَرَ الغُولَ ولا نَابَهَا .

﴿ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم﴾ أي : لمزاجًا من حميم ، وهو الماء الذي لا يُسْتَطَاعُ من حَرِّه .

قال محمدٌ : (الشَّوبُ) المصدرُ ، و(الشُّوبُ) الاسم ؛ المعنى : إن لهم على أكلها لخلْطًا ومزَاجًا من حميم .

﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يُسْرِعُون .

قال محمدٌ : يقال : هُرِعَ الرّجل وأُهْرِعَ إذا اسْتُحِثَّ وأسْرع[(٢)].

﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ في الذين قبلهم ﴿منذرين﴾ يعني : الرسل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي : كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صَيَّرهم إلى النار .

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولقد نادانا نوحٌ﴾ يعني : حيث دعا على قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ له أجبناه فأهلكناهم ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ يعني : الغَرَق .

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام ويافث ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يعني : أبقينا له الثّناءَ الحسن ﴿سلامٌ على نوح في العالمين﴾ يعني : ما كان بعد نوحٍ .

---

(١) البيت من بحر الطويل . ويروى : ...ومسنونة زرق كأنياب أغوال . ينظر ديوانه (٣٣) ، معاهد التنصيص (١/١٣٤) ، الكامل (٣/٩٦) .

(٢) ويقال : هُرِعَ الرجل وأُهْرِعَ ؛ إذا مشى في اضطراب وسرعة . لسان العرب (هرع) .

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ تفسير مجاهد[١]: على منهاجه وسُنَّته ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ من الشرك ﴿أئفكًا﴾ كذبًا ﴿آلهة دون الله تريدون﴾ على الاستفهام أي: قد فعلتم؛ فعبدتموهم دونه ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أي: أنه معذِّبكم ﴿فنظر نظرةً في النجوم﴾ في الكواكب ﴿فقال إني سقيم﴾ أي: مَطْعُون ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ إلى عيدهم؛ وذلك أنهم استتبعوه لعيدهم - في تفسير الكلبي - فعصب رأسه، وقال: إني رأيتُ الليلة في النجوم أني سأطعن غدًا! وكانوا ينظرون في النجوم، فقال لهم هذا كراهيةً منه للذهاب معهم، ولما أراد أن يفعل بآلهتهم كادَهم بذلك ﴿فراغ عليهم﴾ أي: مال على آلهتهم ﴿ضربًا باليمين﴾ فكسرها إلا كبيرهم، وقد مضى تفسيره في سورة الأنبياء[٢] ﴿فأقبلوا إليه﴾ إلى إبراهيم ﴿يزفون﴾ أي: يبتدرونه.

قال محمدٌ: من قرأ (يَزِفُّون) بفتح الياء وتشديد الفاء[٣] فالمعنى: يسرعون وأصله من: زَفِيفِ النَّعَام، يقال: زفَّت النعامُ تَزِفُّ زفيفًا، وفيه لغة أخرى: أزفَّت زفافًا[٤].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قال﴾ لهم إبراهيم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ يعني: أصنامهم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: خلقكم وخلق ذلك الذي تنحتون بأيديكم ﴿قالوا ابنوا له بنيانًا﴾ يقوله بعضُهم لبعضٍ ﴿فألقوه في الجحيم﴾ أي: في النار؛ فجمعوا الحطب زمانًا، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار ﴿فأرادوا به كيدًا﴾ بحرقهم إياه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ في النار ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين﴾ يعني: سيهديني[٥] الطريق، هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام [﴿رب هب لي من الصالحين﴾ يريد:

---

(١) رواه الطبري (٢٣/٦٩).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٠٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) الأنبياء: ٥٧ - ٦٧.

(٣) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأ ﴿يُزِفُّون﴾ ينظر: السبعة (٥٤٨)، البحر (٧/٣٦٦)، النشر (٢/٣٥٧).

(٤) يقال: زفَّت النعام تَزِفُّ زُفوفًا وزَفيفًا. ينظر: لسان العرب (زفف).

(٥) في «ر»: يريد: سيرشدني.

ولدًا تقيًا صالحًا ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ يريد إسماعيل](١) ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ [يريد العمل لله - تعالى - وهو الاحتلام](١)، تفسير الحسن(٢) يعني: سعي العمل وقيام الحجة(٣).

[﴿قال﴾ إسماعيل ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد ما أوحى إليك ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلاء الله.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿فلما أسلما﴾ يريد إبراهيم وإسماعيل، يريد: أسلم إبراهيم طوعًا لله - تبارك وتعالى - أن يذبح ابنه وبكره وواحده؛ وكذلك هو في التوراة: (جادلني)(٤) بكره وواحده. وأسلم إسماعيل نفسه لله](٥)؛ أي: استسلما لأمر الله، رضي إبراهيم بذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبحه أبوه ﴿وتله للجبين﴾ (ل٢٨٩) أي: أضجعه؛ ليذبحه وأخذ الشفرة وعليه قميص أبيض قال: يا أبت إني ليس لي ثوبٌ تكفنني فيه [غير هذا](٥) فاخلعه حتى تكفنني فيه. [﴿وتله للجبين﴾ يريد: أضجعه على جنبه إلى الأرض](٥).

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾.

قال يحيى: ناداه به الملك من عند الله [﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بوحي من الله - عز وجل - ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: هكذا نجزي الموحِّدين](٥) ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [يريد الذي ابتليتك به عظيم أن تذبح لي بكرك وواحدك](٥) يعني: النعمة البيِّنة عليك من الله؛ إذ لم تذبح ابنك.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) انظر تفسير الطبري (٧٧/٢٣).

(٣) أي: التكليف.

(٤) كذا في «ر».

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمدٌ: (وناديناه) ذكر بعض العلماء أنه جواب ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ والواو زائدة[١]. والله أعلم.

قال: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [يريد الكبش الذي تقرب به هابيل ابن آدم إلى الله، فتقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله - جل ذِكْره - إسماعيل][٢] قال مجاهد[٣]: أي متقبَّل. قال ابن عباس[٤]: فالتفت إبراهيم؛ فإذا هو بكبش أبيض أقرن فذبحه.

قال يحيى: وابنه الذي أراد ذبحه: قال الحسن[٥]: هو إسحاق[٦].

﴿وتركنا عليه﴾ أبقينا عليه ﴿في الآخرين﴾ الثناء الحَسَن؛ [يريد الذكر الحسن لإكرامه لإسماعيل، ألا يذكر من بعده إلا بخير إلى يوم القيامة وذلك أن إبراهيم ﷺ قال في سورة باخع[٧]

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/٥١٠)، البحر (٧/٣٧٠).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥/٣٠٩) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) رواه الطبري (٢٣/٨٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٠٥) لأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

(٥) في الدر المنثور (٥/٣٠٦) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد والحسن رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل.

(٦) وهذا القول يخالف ظاهر القرآن؛ فإن الله بعد أن ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله - تعالى - وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ فشكر الله - تعالى - له استسلامه لأمره وبذله ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

وقال عطاء بن أبي رباح: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود. خرجه ابن جرير والحاكم كما في الدر المنثور (٥/٣٠٥).

وقد بيَّن العلامة ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق من تحريف أهل الكتاب لكتبهم، وأظهر بطلانه من عشرة أوجه، انظرها في إغاثة اللهفان (٢/٣٢٣ - ٣٢٥).

وقال ابن القيم في زاد المعاد (١/٧١): وأما القول بأنه إسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم. اهـ.

وانظر تفسير ابن كثير (٤/١٧ - ١٩) وتفسير البغوي (٧/٤٦ - ٤٧) وأضواء البيان (٦/٦٩١ - ٦٩٣).

(٧) يريد سورة الشعراء: الآية ٨٤.

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول: لا أذكر في جميع الأمم من بعدي إلا بذكرٍ حسن.

﴿سلام على إبراهيم﴾ في العالمين ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد الموحدين ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ يريد: المصدقين الموحّدين ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين﴾ يريد: من صالح الأنبياء ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يريد: على إبراهيم وإسحاق][1] ﴿ومن ذريتهما﴾ [يريد: ذرية إبراهيم وإسحاق][1] ﴿محسن﴾ [يريد: موحدًا، يعني:][1] مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ مشرك [﴿مبين﴾ بين الشرك.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ يريد أعطينا موسى وهارون ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ يريد بني إسرائيل الاثنى عشر سبطًا ﴿من الكرب العظيم﴾ يريد: الظلم العظيم ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ يريد: لفرعون ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ يريد: التوراة وما فيها من الأحكام ﴿وهديناهما﴾ يريد: أرشدناهما ﴿الصراط المستقيم﴾ يريد: الدين القويم الواضح ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ يريد: الثناء الحسن ﴿سلام على موسى وهارون﴾.

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: الموحّدين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ يريد المصدقين بتوحيد الله.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وإن إلياس لمن المرسلين[(١)] إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ [يريد : ألا تخافون] [(١)] ﴿أتدعون بعلا﴾ يريد صنمًا ما كان لهم أن يعبدوه ، يقال له : البعل السيد .

تفسير الحسن : كان اسم صنمهم : بَعْلاً ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ .

﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ من قرأها بالرفع ؛ فهو كلام مستقبل ، ومن قرأها بالنصب ؛ فالمعنى وتذرون أحسن الخالقين اللهَ ربّكم وربّ آبائكم الأولين[(٢)].

[﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ يريد أنهم لمبعوثون ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد : الذين صدقوا وأخلصوا لله بالتوحيد ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يريد : الثناء الحسن] [(١)] ﴿سلام على إل ياسين﴾ [يريد : إلياس ومن آمن معه] [(١)] ، من قرأها موصولة يقول هو اسمه : آل ياسين ، وإلياس ، ومقرأ الحسن : الياسين قال : يعنيه ومن آمن من أمته[(٣)].

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[﴿وإن لوطًا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾ يريد بأهله : بناته أجمعين] [(١)] ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني : الباقين في عذاب الله [يريد : امرأته ، ﴿في الغابرين﴾ يريد : الفانين ، يريد : بقيت حتى أهلكتها فيمن أهلكت ولم أنجها ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ يريد : دمرت على من بقي ، ودمرت عليها معهم] [(١)] ﴿وإنكم﴾ [يا معشر المشركين] [(١)] ﴿لتمرون عليهم﴾ [على منازلهم] [(١)] ﴿مصبحين﴾ أي : نهارًا [يريد : في النهار إلى الشام في ذهابكم إلى الشام ، وإقبالكم بالتجارة ، وترون ما صنعت بهم] [(١)] ﴿وبالليل﴾ [يريد : تمرون بهم أيضًا] [(١)] ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) قرأ بالرفع : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، ونافع ، وابن عامر . وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب . ينظر : السبعة (٥٤٩) ، البحر (٣٧٣/٧) ، النشر (٣٦٠/٢) ، التيسير (١٨٧) .

وينظر في توجيه هاتين القراءتين نحويًا : إعراب القرآن (٧٦٥/٢) البحر (٣٧٣/٧) ، البيان (٣٠٧/٢) .

(٣) وممن قرأها موصولة أيضًا : أبو رجاء وابن محيصن . وقرأ نافع وابن عامر : (آلِ ياسين) وقرأ باقي السبعة (إِلْ ياسين) . وفيها قراءات أخرى غير ذلك . ينظر : البحر (٣٧٣/٧) ، السبعة (٥٤٩) ، جامع القرطبي (١٥/ ١١٨) ، المحتسب (٢٢٥/٢) ، مختصر شواذ القراءات (١٢٨) وينظر في توجيه هذه القراءات ومعانيها الدر المصون .

للمشركين ، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم .

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق﴾ أي : فرَّ من قومه ﴿إلى الفلك المشحون﴾ يعني : المُوقَرَ .

قال يحيى : بلغنا - والله أعلم - أن يونس دعا قومه إلى الله ، فلما طال ذلك عليه وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا ، فلما دنا الوقت تنحى عنهم ، فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول : غدًا يأتيكم العذاب! فسمعه رجلٌ منهم ، فانطلق إلى الملك فأخبره أنه سمع يونس يبكي . ويقول : يأتيكم العذاب غدًا ، فلما سمع ذلك الملك دعا قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : إن كان هذا حقًّا فسيأتيكم العذاب غدًا ، فاجتمعوا حتى ننظر في أمرنا ، فاجتمعوا فخرجوا من المدينة من الغد ، فنظروا فإذا بِظُلمةٍ وريح شديدة قد أقبلت نحوهم ، فعلموا أنه الحقُّ ، ففرّقوا بين الصبيان وأمهاتهم وبين البهائم وبين أمهاتها ، ولبسوا الشَّعر وجعلوا الرماد والتراب على رءوسهم تواضُعًا لله ، وتضرّعوا إليه وبكوا وآمنوا ، فصرف الله عنهم العذابَ ، واشترط بعضُهم على بعضٍ ألا يكذب أحدُهم كذبة إلا قطعوا لسانه ، فجاء يونس من الغد فنظر فإذا المدينة على حالها ، وإذا الناس داخلون وخارجون ؛ فقال : أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم غدًا فلم يأتهم ، فكيف ألقاهم؟! فانطلق حتى أتى ساحل البحر ؛ فإذا بسفينة في البحر ؛ فأشار إليهم فأتوه فحملوه ولا يعرفونه ، فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنّع ورقد ، فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم ريحٌ كادت السفينةُ تغرق ، فاجتمع أهلُ السفينة ودعوا الله ثم قالوا : أيقظوا الرجل يدعو معنا! ففعلوا فدفع الله عنهم تلك الريح ، ثم انطلق إلى مكانه فرقد ، فجاءت ريحٌ كادت السفينة تغرق ، فأيقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح ، فتفكر العبد الصالح فقال : هذا من خطيئتي! أو كما قال ، فقال لأهل السفينة (شُدوني)[1] وثاقًا وألقوني في البحر ، فقالوا : ما كنّا لنفعل وحالُك حالُك ، ولكنا نقترع فمن أصابته القرعةُ ألقيناه في البحر ، فاقترعوا فأصابته القرعة ،

---

(١) هكذا في الأصل و « ر » والمراد : شدُّوا عليّ ، والله أعلم .

فقال : قد أخبرتكم . فقالوا : ما كنا لنفعل ولكن اقترعوا ، فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة ، ثم اقترعوا الثالثة ؛ فأصابته القرعة وهو قول الله : ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [يريد : المسهومين][١] أي : وقع السهم عليه .

(ل ٢٩٠) **قال محمدٌ** : المعنى : فقورع فكان من المقروعين وهو الذي أراد يحيى ، وأصل الكلمة من قولهم : أدحض الله حُجَّته فدحضتْ ؛ أي : أزالها فزالت[٢].

قال يحيى : فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي بنفْسه في البحر ؛ فإذا هو بحوتٍ فاتحٍ فاه ، فانطلق إلى ذَنَب السفينة ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ثمّ جاء إلى جانب السفينة ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ، ثم جاء إلى الجانب الآخر ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ، فلما رأى ذلك ألقى نفسه ، فالتقمه الحوتُ ، وهو قول الله : ﴿فالتقمه الحوت وهو مليمٌ﴾ [يريد : أن الله كان له لائمًا حيث أبق][٣].

قال محمدٌ : يقال : قد ألام الرجلُ إلامةً فهو مليمٌ ، إذا أتى ما يجب أن يُلاَم عليه[٤].

قال يحيى : فأوحى الله إلى الحوت ألا يأكل عليه ولا يشرب ، وقال : إني لم أجعلْه لك رزقًا ، ولكني جعلت بطنك له سِجْنًا . فمكث في بطْن الحوت أربعين ليلة ﴿فنادى في الظلمات﴾ كما قال الله : ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[٥] والظلمات : ظلمةُ الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، قال الله : ﴿فاستجبنا له ...﴾[٦] الآية ، وقال : ﴿فلولا أنه كان من المسبحين ...﴾ الآية [يريد : في بطن الحوت][٢] قال الحسن : أما والله ما هو بالتسبيح قبل ذلك ، ولكنه لما التقمه الحوتُ جعل يقول : سبحان الله ، سبحان الله ...ويدعو الله .

قال يحيى[٧]: فأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى البر ، وهو قوله : ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾

---

(١) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .
(٢) لسان العرب (دحض) .
(٣) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٤) لسان العرب (لوم) .
(٥) الأنبياء : ٨٧.
(٦) الأنبياء : ٨٨.
(٧) وفي « ر » : قال الحسن .

[يريد على ساحل قرية من قرى الموصل يقال لها : بَلَد[١] ﴿بالعراء﴾ عريان قد بلي لحمه ، وكل شيء منه ، مثل الصبي المولود ﴿وهو سقيم﴾ يريد الصبي المولود][٢].

قال محمدٌ : العَرَاء ممدودٌ وهو المكان الخالي ، وإنما قيل له : عراءٌ ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيءَ يغطيه ، وكأنه من : عَرِيَ الشيءُ ، والعَرَى - مقصورٌ - : الناحية[٣].

قال يحيى : فأصابته حرارةُ الشمس ؛ فأنبت اللَّه عليه شجرة من يقطين - وهي القرع [تظله بورقها ، ويشرب من لبنها][٣] فأظلته ، فنام فاستيقظ [وقام من نومه][٣] وقد يبست فحزن عليها ، فأوحَى اللَّه إليه : أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي [كما قال اللَّه - عز وجل - : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ يريد أكثر من مائة ألف ، اللَّه أعلم الأكثرين منهم][٣] ﴿أو يزيدون﴾ أي : بل يزيدون .

قال محمدٌ : قيل : المعنى : ويزيدون ، الأَلِفُ صلةٌ زائدة[٤].

قال يحيى : وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف ، فعلم عند ذلك أنه قد ابْتُلِي فانطلق ، فإذا هو بذود[٥] من غنمٍ فقال للراعي : اسقني لبنًا . فقال : ليس ها هنا شاةٌ لها لبنٌ ، فأخذ شاة منها ، فمسح بيده على ضرعها فدرَّت فشرب من لبنها ؛ فقال له الراعي : من أنت يا عبد اللَّه؟! قال : أنا يونس ؛ فانطلق الراعي إلى قومه فبشرهم به فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم ، فلم يجدوا يونس ؛ فقالوا : إنا شرطنا ألا يكذب أحدٌ إلا قطعنا لسانه ؛ فتكلمت الشاة بإذن اللَّه ؛ فقالت : قد شرب من لبني . وقالت شجرة - كان استظل تحتها - : قد استظلّ بظلي . فطلبوه فأصابوه فرجع إليهم ، فكان فيهم حتى قبضه اللَّه ، وكانوا بمدينة يقال لها : نينوى ، من أرض الموصل ، وهي على دجلة .

قوله : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الحسن : فأعاد اللَّه له الرسالة ، فآمنوا [يريد : صدقوا][٦] كلهم قال اللَّه : ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ يعني : إلى آجالهم ، ولم يهلكهم .

---

(١) وربما قيل لها : بلط بالطاء ، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ . معجم البلدان (١/ ٥٧٠) .

(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) ويُجمع العَرَاء على : أعْرَاء . لسان العرب (عري) .

(٤) ينظر : إعراب القرآن (٢/٧٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٩٣) ، البحر (٧/٣٧٦) ، البيان (٢/٣٠٨) .

(٥) هو القطيع من الإبل أو الغنم بين الثلاث إلى العشر ؛ وهو مؤنث . لسان العرب ، المعجم الوسيط (ذود) .

(٦) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ .

﴿فاستفتهم﴾ [يا محمد ، أهل مكة][(١)] - يعني : المشركين - يقول : فاسألهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك لقولهم أن الملائكة بنات الله [يقول الله سبحانه : أنى يكون له ولد ، وقال][(١)] ﴿أم خلقنا الملائكة إناثًا﴾ [يريد تسألهم يا محمد : أخلقنا الملائكة إناثًا][(٢)]؟! ﴿وهم شاهدون﴾ لخلقهم [كما قال في الزخرف : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[(٣)]][(١)] .

﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون ولد الله﴾ أي : ولد البنات ؛ يعنون : الملائكة ﴿أصطفى﴾ أختار ﴿البنات على البنين﴾ أي : لمْ يفعل .

قال محمدٌ : تفسير يحيى يدل على أن قراءته (أصطفى) مهموز ، وفي هذا الحرف اختلاف بين القراء[(٤)].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

[﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ يريد : هكذا تحكمون؟! تجعلون لأنفسكم البنين ، وتجعلون لله البنات ﴿أفلا تذكرون﴾ يريد : تتعظون][(١)] ﴿ أم لكم سلطان مبين﴾ حجّةٌ بينة .

---

(١) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) الزخرف : ١٩.

(٤) قرأ حمزة ونافع بوصل الهمزة في الوصل ، وقرأ حمزة أيضًا والكسائي بالإمالة وقفًا ، وروريت القراءة بالتقليل وقفًا عن الأزرق وورش ، ورويت القراءة (آصطفى) بالمد غير منسوبة . وقرأ باقي السبعة (أصطفى) . ينظر : البحر (٣٧٧/٧) ، السبعة (٥٤٩) إتحاف الفضلاء (٣٧١) ، الإملاء (١١٢/٢) .

﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الملائكة بنات اللّٰه ؛ أي : ليس لكم بذلك حجة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا﴾ تفسير بعضهم : يقول : قال مشركو العرب : إنه صاهر إلى الجن ، والجن صنف من الملائكة ، فكانت له منهم بنات ﴿ولقد علمت الجنَّة إنهم لمحضرون﴾ [يريد : لمعذبهم على هذا][١]؛ أي : مدخلون في النار ﴿سبحان اللّٰه﴾ ينزّه نفسه ﴿عما يصفون﴾ [عما يقولون من الكذب][١] ﴿إلا عباد اللّٰه المخلصين﴾ وهذا من مقاديم الكلام ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلا عباد اللّٰه المخلصين ، سبحان اللّٰه عما يصفون [﴿إلا عباد اللّٰه المخلصين﴾ يريد : الموحدين ، يريد : أصحاب النبي ﷺ ومن آمن مثلهم][١] .

﴿فإنكم وما تعبدون ...﴾ (ل٢٩١) الآية ، يقول : ﴿فإنكم﴾ يعني : المشركين ﴿وما تعبدون﴾ يعني : ما عبدوا [يريد : فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون اللّٰه][١] ﴿ما أنتم عليه﴾ على ما تعبدون [﴿بفاتنين﴾ يريد : ما تقدرون لا أنتم ، ولا من تعبدون أن تضلوا أحدًا من عبادي إلا من كان في سابق علمي وقضائي وقدرتي][١] ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [يريد : أنه قد كان في سابق علمي أنه يصلى الجحيم][٢] .

قال محمدٌ : القراءة في (صال الجحيم) بكسر اللام على معنى : صالي - بالياء - والياء محذوفة في المصحف[٢].

﴿وما منا إلا له مقامٌ معلوم﴾ [يريد : منذ خلقوا إلى النفخة الأولى ، يسبحون اللّٰه ويهللونه ، ويحمدونه ، ويسجدون له ، لا يعرفون من يداني عبادتهم وقالت الملائكة : ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾][١] أي : إلا له مكان يعبد اللّٰه فيه . هذا قول الملائكة ؛ أي : ينزهون اللّٰه ، حيث جعلوا بينه وبين الجِنّة نسبًا [﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في التسبيح والتهليل والتكبير ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ يريد : أصحاب التسبيح][١] ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني [وإن كان أهل مكة ليقولون قبل أن يبعث

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) في الأصل : إلا من قدر له أن يصلى الجحيم . والمثبت من « ر » .

(٣) قرأ العامة (صالِ) . وقرأ الحسن وابن أبي عبلة (صالُ) ، وروي عنهما أيضًا (صالوا) وقرأ يعقوب (صالي) وقفًا . ينظر : الإتحاف (٣٧١) ، البحر (٣٧٩/٧) ، الإملاء (١١٢/٢)النشر (١٣٨/٢) . وينظر في التوجيه النحوي واللغوي : البحر (٣٧٩/٧) .

محمدٌ ﷺ](١) ﴿لو أن عندنا ذكرًا من الأولين﴾ [يريد : قرآنًا من لدن إبراهيم وإسماعيل](١) أي : كتابًا مثل كتاب موسى وعيسى ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ المؤمنين [يريد : التوحيد](١) قال الله : ﴿فكفروا به﴾ بالقرآن ؛ [يريد : بما جاء محمد ﷺ](١) ﴿فسوف يعلمون﴾ [تهديدًا](٢).

قال محمدٌ : ذكر قطرب أن بعض القراء قرأ (مخلِصين) كل ما في القرآن بكسر اللام . قال : وقرأ بعضهم كل ما في القرآن ﴿مخلَصين﴾ ﴿إنه كان مخلَصًا﴾ كل ذلك بالفتح(٣) إلا ﴿مخلِصين له الدين﴾(٤) حيث [وقع](١) فإنه مكسورٌ .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ في الدنيا ، وبالحجة في الآخرة . تفسير الحسن : لمْ يُقْتَلْ من الرسل من أصحاب الشرائع أحدٌ قط .

[﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ يريد : حزبه ، مثلما قال في (قد سمع الله) : ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾(٥)](١).

﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ نسختها آية القتال(٦) [يريد : القتل ببدرٍ ، وهو منسوخ بآية السيف](١) ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ أي : فسوف يرون العذاب [أيضًا يقولوا : أنتظر بهم](١) ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ [أي : نزل بدارهم](١) ﴿فساء صباح المنذرين﴾ [يريد : قريظة والنضير](١) تفسير الحسن : يعني : النفخة الأولى ؛ بها يهلك الله كفار آخر هذه الأمة ﴿وتولَّ

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر بكسر اللام ، وقرأ الباقون بفتحها . ينظر : التيسير (١٢٨) ، النشر (٢/٢٩٥) ، جامع القرطبي (١٥/ ٧٦، ١١٨) .

(٤) الأعراف : ٢٩، يونس : ٢٢، العنكبوت : ٦٥، لقمان : ٣٢، غافر : ١٤، ٦٥، البينة :

(٥) المجادلة : ٢٢.

(٦) ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٦) .

عنهم﴾ [يا محمد][(١)] ﴿حتى حين﴾ إلى آجالهم ؛ [يريد : يوم بدر][(١)] ، وهذا منسوخٌ نسخه القتال[(٢)] ﴿وأبصر﴾ انتظر ﴿فسوف يبصرون﴾ [وعيدًا من الله وتهديدًا ، أي : فسوف][(٢)] يرون العذاب .

﴿سبحان ربك﴾ ينزِّه نفسه ﴿رب العزة عما يصفون﴾ يكذبون يا محمد ، إنه سيعزك وأصحابك [يريد : من اتخاذ البنات والنساء] ﴿وسلامٌ على المرسلين﴾ [الذين يبلغون رسالتي وقاموا بديني وحجتي][(١)] ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ [يريد : والحمد لله ، وأنا رب العالمين ، يريد الأولين والآخرين][(١)] .

يحيى : عن الحسن بن دينار ، عن أبي هارون العبدي قال : « سألت أبا سعيد الخدري : بم كان رسول الله ﷺ يختم صلاته؟ فقال : بهذه الآية : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ »[(٣)].



---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) أي : آية القتال ، التوبة : ٢٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣/١) وفي مسنده - كما في المطالب العالية (٢٣٠/١ رقم ٢/٥٥١) - وعبد بن حميد (٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ٩٥٤، ٩٥٦) والحارث بن أبي أسامة - كما في زوائده (٦٦ - ٦٧ رقم ١٨٥) - وأبو يعلى في مسنده (٣٦٣/٢ رقم ١١١٨) من طريق أبي هارون العبدي به .
قال ابن كثير في تفسيره (٢٥/٤) : إسناده ضعيف .
وقال ابن حجر في المطالب العالية (٢٣٠/١) : تفرد به أبو هارون العبدي ، وهو ضعيف .
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٢٥/٢) : قلت : مدار حديث أبي سعيد الخدري على أبي هارون ، وهو ضعيف ، واسمه عمارة بن جوين .

تفسير سورة ص وهي مكيّة كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ① بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ② كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ③ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ④ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ⑤ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ⑦ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ⑧﴾

قوله : ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ البيان ، أقسم بالقرآن [﴿ذي الذكر﴾ ذي الشرف ، مثل قوله : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾[١] ويقال : فيه ذكر ما قبله من الكتب][٢] ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ يعني : في حمية وفراق للنبي ؛ هذا تفسير السُّدي .

قال محمدٌ : ذكر قطرب أن الحسن كان يقرأ (صادِ) بالخفض[٣] من المصاداة وهي المعارضة ؛ المعنى : صادِ القرآن بعملك ؛ أيْ : عارِضْه به ، قال : وتقول العرب : صاديتك بمعنى عارضتك ، وتصدّيتُ لك ؛ أي : تعرّضت[٤].

[﴿شقاق﴾ يريد عداوة ومباعدة][٥].

﴿كم أهلكنا من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمدٌ ﴿فنادوا﴾ بالتوبة ﴿ولات حين مناص﴾ أي : ليس حين فرار ، ولا حين تقبل التوبة فيه ، [﴿ولات حين مناص﴾ يريد لا حين مهرب ، والنوص :

---

(١) الأنبياء : ١٠.

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) وقرأها بالخفض أبيّ ، وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة ، وأبو السمال وغيرهم . وروى عن الحسن أنه قرأها : (صادُ) بالرفع . ينظر : البحر (٣٨٣/٧) ، جامع القرطبي (١٤٢/١٥) ، المحتسب (٢٣٠/٢) .

(٤) لسان العرب (صدى) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

التأخر في كلام العرب، والبوص: التقدم[١] قال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ ليلى إذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ وتَقْصُر عنها خطوةً وتَبُوصُ[٢]

قال ابن عباس[٣]: ليس حين نزوٍ ولا فرار[٤].

﴿وعجبوا﴾ رجع إلى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ﴾ أخبر كيف أهلكهم، ثم قال: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني: محمدًا، ينذر من النار ومن عذاب الله في الدنيا ﴿وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب﴾ يعنون: محمدًا ﴿أجعل الآلهة﴾ على الاستفهام منهم ﴿إلهًا واحدًا﴾ أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿إنّ هذا لشيءٌ عجاب﴾ عجب [عجاب وعجيب واحد، مثل طوال وطويل، وعراض وعريض، وكبار وكبير][١].

﴿وانطلق الملأُ منهم...﴾ الآية وذلك أن رهطًا من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب؛ فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا، وقد رأيت ما فَعَلَتْ هذه السفهةُ - يعنون: المؤمنين - وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك! فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء[٥]؛ فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله: ماذا تسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال رسول الله: أمُعْطِيّ أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم؟ فقال أبو جهل: لله أبوك نعَمْ، وعشرًا معها. فقال رسول الله: قولوا: لا إله إلا الله. فنفروا منها وقاموا وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيءٌ عجاب﴾. وانطلقوا وهم يقولون: [من علم أن نبيًّا يخرج في زماننا هذا][٤] ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ تفسير الحسن يقولوا: ما كان عندنا

---

(١) ينظر لسان العرب (نوص، بوص).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/١٢٠) ولسان العرب (نوص).

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٠) والطبري (٢٣/١٢١).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٢٢) لابن أبي حاتم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) السَّوَاء والسُّوَى: العَدْل. لسان العرب (سوى).

[من هذا من علم أن][١] يخرج (ل٢٩٢) في زماننا هذا ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي: كذبٌ اختلقه محمد ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ يعنون: القرآن على الاستفهام ﴿من بيننا﴾ أي: لمْ ينزل عليه، قال الله: ﴿بل هم في شكٍّ من ذكري﴾ من القرآن ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعد، وقد أخر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى، وقد أهلك أوائلهم بالسيف يوم بدْر.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

﴿أم أعندهم خزائن رحمة ربك﴾ قال السُّدي: يعني: مفاتح النبوة، فيعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا؛ أي: ليس ذلك عندهم.

﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس لهم من ذلك شيء ﴿فليرتقوا﴾ فليصعدوا ﴿في الأسباب﴾ قال السُّدي: يعني: في الأبواب؛ أبواب السموات إن كانوا يقدرون على ذلك؛ أي: لا يقدرون عليه.

قال محمدٌ: المعنى إذا ادّعوا شيئًا من هذه الأشياء التي لا يملكها إلا الله فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

﴿جندٌ ما هنالك﴾ أي: جندٌ هنالك، و «ما» صلة زائدة[٢] ﴿مهزومٌ من الأحزاب﴾ يُخبر بأنّ محمدًا عليه السلام سيهزمهم يوم بدر ﴿كذّبت قبلهم قوم نوحٍ وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد﴾ تفسير قتادة: كان إذا غضب على أحدٍ أوتد له أربعة أوتاد على يديه ورجليه ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ يعني: قوم شعيب، والأيكة: الغيضة ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعني به كفار من ذكر تحزّبوا

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٧٨٦/٢)، البحر (٣٨٦/٧)، البيان (٣١٣/٢).

على أنبيائهم ﴿إن كلٌّ﴾ يعني: من أَهْلَكَ ممن (مضى)[1] من الأمم السالفة.

﴿إلا كذَّب الرسل فحق عقاب﴾ يعني: عقوبته إياهم بالعذاب ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني: كفار آخر هذه الأمة ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني: النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ما لها من فواق﴾ قال الكلبي: يعني ما لها من نظرة؛ أي: من تأخير.

قال محمدٌ: تُقرأ (فُواق) بضم الفاء وفتحها[2] وهو ما بين حلبتي الناقة، وذلك أن تُحلَب وتترك ساعة؛ حتى ينزل شيء من اللبن، ثم تحلب فما بين الحلبتين فُواق؛ فاستُعير الفُواق في موضع الانتظار[3].

﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ تفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر اللَّه في كتابه: (فمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله)[4] والقِطُّ: الصحيفة المكتوبة[5]؛ أي: عجل لنا كتابنا الذي يقول محمدٌ حتى نعلم أبأيماننا نأخذ كتبنا أم بشمائلنا - إنكارًا لذلك واستهزاءً.

قال محمدٌ: وجمع القط: قطوط.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اصبر على ما يقولون﴾ يأمر نبيه بذلك ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيْد﴾ يعني: ذا القوة في أمر اللَّه؛ في تفسير قتادة[6] ﴿إنه أوَّابٌ﴾ أي: رجَّاع منيبٌ ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال

---

(١) في «ر»: قصَّ.

(٢) قرأ بضم الفاء حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بفتحها. ينظر البحر (٣٨٩/٧)، التيسير (١٨٧)، السبعة (٥٥٢)، النشر (٣٦١/٢).

(٣) وهو بضم الفاء وفتحها، يقال: فُواق، وفَوَاق. لسان العرب (فوق).

(٤) هما آيتان:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥].

(٥) والجمع: قِطَاط وقِطَطة. لسان العرب (قطط).

(٦) رواه عبد الرزاق (١٦١/٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٢٣/٥) لعبد بن حميد وابن جرير أيضًا.

الحسن : كان اللّه قد سخّر مع داود جميع جبال الدنيا تسبح معه وكان يفقه تسبيحها ﴿والطير محشورة﴾ أي : تحشر بالغداة والعشي تسبح معه .

قال محمدٌ : الإشراق : طلوعُ الشمس وإضاءتها ، يقال : شرقت الشمس إذا طلعت ، وأشرقت إذا أضاءت ؛ هذا الاختيار عند أهل اللغة[1].

﴿كلّ له أواب﴾ أي : مطيع .

قال محمد : وقيل المعنى كل يُرَجِّعُ التسبيح مع داود ؛ أي : يجيبه كلما سبّح سبّحتْ ؛ يعني : الجبال والطير ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾ يعني النبوة ﴿وفصل الخطاب﴾ قال الحسن : يعني : العدل في القضاء .

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهل أتاك نبأُ الخصْم﴾ خبر الخصم أي : أنك لم تعلَمْه ؛ حتى أعلمتك ﴿إذ تسوّروا المحراب ...﴾ المسجد إلى قوله : ﴿وأناب﴾ تفسير الحسن[2]: أن داود جمع عُبّاد بني إسرائيل ؛ فقال : أيكم كان يمتنع من الشيطان يومًا لو وكله اللّه إلى نفسه؟ فقالوا : لا أحد إلا أنبياء اللّه ؛ فكأنّه عرض في الهم بشيء فبينما هو يصلي إذا بطائر حسن قد وقع على شُرفة من شرفِ[3] المحراب .

---

(١) لسان العرب (شرق) وقد سبق شرح هذا المعنى .

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق (٢/١٦١ - ١٦٢) .

(٣) هو الموضع العالي يُشْرِف على ما حوله . المعجم الوسيط (شرف) .

قال يحيى : سمعت بعضهم يقول : طائر جؤجؤه[1] من ذهب ، وجناحاه ديباجٌ ، ورأسه ياقوتة حمراء فأعجبه – وكان له بني يحبه – فلما أعجبه حُسْنه وقع في نفسه أن يأخذه ويعطيه ابنه . قال الحسن : فلما انصرف إليه (ل٢٩٣) ، فجعل يطيرُ من شُرْفةٍ إلى شُرْفةٍ ولا يؤيسه ؛ حتى ظهر فوق المحراب ، وخلف المحراب حائط تغتسل فيه النساء الحُيَّض إذا طهُرن لا يشرف على ذلك الحائط أحدٌ إلا من صعد فوق المحراب . لا يصْعَدُه أحدٌ من الناس قال : فصعد داودُ خلف ذلك الطائر ففاجأته امرأة جاره لم يعرفها تغتسل ، فرآها فجأة ثم غضّ بصره عنها وأعجبته ؛ فأتى بابها ، فسأل عنها وعن زوجها قالوا : زوجها في أجناد داود فلم يلبث إلا يسيرًا حتى بعثه عامله بريدًا إلى داود فأتى داود بكتبه ثم انطلق إلى أهله فأخبر أنّ نبي اللّٰه داود أتى بابه فسأل عنه وعن أهله ، فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داود مخافة أن يكون حدث من اللّٰه في أهله أمرٌ فأتى داود وقد فرغ من كتبه ، وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم ؛ فأراد أن يقتل الرجل شهيدًا ويتزوج امرأته حلالاً ، إلا أن النيّة كانت مدْخولة ، فجعله على مقدّمة القوم فقتل ذلك الرجل قال : فبينما داود في محرابه والحرس حوله إذ تسوّر عليه المحرابُ ملكان في صورة آدميين ، ففزع منهما فقالا : ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي : لا تَجُرْ ﴿واهْدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ أيْ : إلى قصْد الطريق ؛ فقال : قُصّا قصّتكما ، فقال أحدهما : ﴿إن هذا أخي﴾ يعني : صاحبي ﴿له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكْفلْنيها﴾ أي : ضمها إليّ ﴿وعزّني﴾ قهرني ﴿في الخطاب﴾ في الخصومة ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾[2].

---

(١) هو مجتمع رءوس عظام الصدر ، والجمع : جآجئ . ينظر المعجم الوسيط (جأجأ) .

(٢) هذه القصص من الإسرائيليات المنكرة ، قال القاضي عياض في « الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى » : لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله المفسرون ، ولم ينص اللّٰه – تعالى – على شيء من ذلك في كتابه ، ولا ورد في حديث صحيح ، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت . اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢) : وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات ، ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصدًا ؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم ، واللّٰه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . اهـ .

وقال نحوه في تفسيره (٣١/٤) وزاد : ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . اهـ

قال محمدٌ : المعنى : مضمومة إلى نعاجه ؛ فاختصر مضمومة[1] وإنما سُمِّيت : نعجة ؛ لأنَّها رخوةٌ ، النعجُ في اللغة اللين ، والنعجُ أيضًا الفتونُ في العَيْنِ[2].

﴿وظن داود﴾ أي : علم .

قال محمد : معنى ﴿ظن﴾ أيقن ، إلا أنه ليس بيقين عيان ؛ فأما العيان فلا يقال فيه إلا : علم[3].

﴿أنما فتناه﴾ ابتليناه ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعًا﴾ أي : ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لصلاةٍ مكتوبة يقيمها أو لحاجة لابُدّ له منها أو لطعام يتبلَّغ به ، فأتاه ملكٌ من عند اللَّه فقال : يا داود ، ارفع رأسك ؛ فقد غفر اللَّه لك . فعلم أنّ اللَّه قد غفر له ، ثم أراد أن يعلم كيف يغفر له ؛ فقال : أيْ رب ، كيف تغفر لي وقد قتلته - يعني : بالنيّة؟! فقال : أستوهبه نفسَهُ فيهبها لي فأغفرها لك . فقال : أي رب ، قد علمت أنك قد غفرت لي . قال اللَّه : ﴿فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى﴾ يعني : لقربةٌ في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع ﴿يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض ...﴾ إلى قوله : ﴿فيضلك عن سبيل اللَّه﴾ يعني : فيستزلّك الهوى عن طاعة اللَّه في الحكم ، وذلك من غير كُفْرٍ ﴿إن الذين يضلون عن سبيل اللَّه لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾ أي : تركوه ولم يؤمنوا به .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي : ما خلقناهما إلا للبعث والحساب ، والجنة والنار ، وكان المشركون يقولون : إن اللَّه خلق هذه الأشياء لغير بعثٍ . قال : ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أنهم لا يبعثون وأنّ اللَّه خالق هذه الأشياء باطلاً ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كالمشركين في الآخرة أي : لا نفعل .

= وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان (٢٤/٧) : واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كله راجع إلى الإسرائيليات ؛ فلا ثقة به ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء . اهـ .

(١) ينظر : البحر (٣٩٣/٧) ، مجمع البيان (٤٧٠/٤) ، الدر المصون (٥٣١/٥ - ٥٣٢) .

(٢) لسان العرب (نعج) .

(٣) لسان العرب (ظن ، علم) .

﴿كتابٌ﴾ أي: هذا كتابٌ، يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك﴾.

﴿أولو الألباب﴾ أي: ذوو العقول وهم المؤمنون.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿الصافنات الجياد﴾ يعني: الخيل السراع الواحد منها: جواد[1]، والصافن في تفسير مجاهد[2]: الفرس إذا رفع إحدَى رجليه؛ حتى تكون على طرف الحافر[3]. عُرِضتْ على سليمان فجعلتْ تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلاً ولا كثيرًا من سرعتها وجعل يقول: ردُّوها عليّ؛ ليستبين منها شيئًا ﴿حتى توارت﴾ غابت؛ يعني: الشمس ﴿بالحجاب﴾ ففاتته صلاة العصر قال الحسن: فقال سليمان في آخر ذلك (ل٢٩٤) ﴿ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾ فضرب أعناقها وعراقيبها أنها شغلته عن الله.

قال محمدٌ: معنى (فطفق) أي: أقبل[4]، والسوق جمع ساق[5]، والصافنُ من الخيل: القائم الذي لا يثني إحدى يديه أو إحدى رجليه حين يقف بها على سُنْبُكِه[6] وهُوَ طرف الحافر.

﴿إني أحببت حبّ الخير﴾ يعني: الخيل، وكذلك في قراءة ابن مسعود: (إني أحببت حبّ الخيل)[7].

قال محمدٌ: معنى أحببت: آثرت.

---

(١) لسان العرب (جود) ويجمع جواد أيضًا على أجْوَاد وأَجَاوِيد.

(٢) رواه الطبري (١٥٤/٢٣).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٠/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٣) لسان العرب (صفن).

(٤) وجعل. لسان العرب (طفق).

(٥) ويجمع الساق أيضًا على: سِيقان، وأَسْؤُق. لسان العرب (سوق).

(٦) هو طرف الحافر، ويجمع على: سنابك. لسان العرب (سنبك).

(٧) لم أجد هذه القراءة. وكل ما وجدته أن معنى (الخير) في الآية: الخيل عند الأكثرين. ينظر: مجمع البيان (٤/ ٤٧٥)، البحر (٣٩٦/٧)، مجاز القرآن (١٨٢/٢)، القرطبي (١٩٤/١٥)، كشف المشكلات (١١٤٦/٢).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي : ابتلينا ﴿وألقينا على كرسيه جسدًا﴾ يعني : الشيطان الذي خلفه في ملكه ؛ تلك الأربعين ليلة ، قال بعضهم : كان اسْمُه صخرًا . قال سليمان عليه السلام - قال للشيطان الذي خلفه - : كيف تفتنون الناس؟ قال : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه شده في البحر ، فساح سليمان . قال الكلبي : كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبهنّ إليه ، فقالت : إن بين أبي وبين رجلٍ خصومة فزُينت حُجّة أبيها فلما جاءا يختصمان إليه جعل يحب أن تكون الحجّة لختنه ، فابتلاه اللَّه بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه وأذهب ملك سليمان ، وذلك [أنه][1] كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع الخاتم إلى امرأةٍ من نسائه كان يثق بها فدفعه إليها يومًا ثم دخل الخلاء ، فجاءها ذلك الشيطان في صورته فأخذ الخاتم منها ، فلما خرج سليمان طلب الخاتم منها فقالت : قد أعطيتكه ، وذهب الخبيث وجلس على كرسي سليمان وأُلقي عليه شَبَهُ سليمان وبهْجته وهيئته ، فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان على كرسيه ، فذهب في الأرض وذهب ملكه .

قال يحيى : في تفسير الحسن : إن الشيطان قعد على كرسي سليمان - وهو سرير ملكه - لا يأكل ولا يشرب ولا يأمر ولا ينهى وأذهب اللَّه ذلك من أذهان الناس ؛ فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه يصلي بهم ويقضي بينهم .

قال يحيى : وفي تفسير مجاهد[2]: أن الشيطان مُنِعَ نساء سليمان أن يقربهن .

قال الكلبي : فلما انقضت أيام الشيطان ونزلت الرحمة من اللَّه لسليمان عمد الشيطان إلى الخاتم ؛ فألقاه في البحر فأخذه حوتٌ ، وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن ينقل السمك من السفن إلى البر على سمكتينْ كل يومٍ ، فأخذ في أجْره يومًا سمكتينْ فباع إحداهما برغيفين ،

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه الطبري (٢٣/١٥٧).

وأمّا الأخرى فشقّ بطنها وجعل يغسلها ؛ فإذا هو بالخاتم فأخذه فعرفه الناس ، واستبشروا به وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان ، فاستغفر سليمان ربه ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا ...﴾ الآية ، ﴿فسخرنا له الريح﴾ .

﴿والشياطين﴾ وسُخر لهُ الشيطان الذي فعل به الفعْل ، فأخذه سليمان فجعله في نحْتٍ من رخام ثم أطبق عليه وشدّ عليه بالنحاس ثم ألقاه في عُرض البحر ، فمكث سليمان في ملكه راضيًا مطمئنًا ؛ حتى قبضه الله إليه[1].

---

(١) هذا من الإسرائيليات المنكرة جدًا ؛ قال القاضي عياض في « الشفا » (٨٣٦/٢) : ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به ، وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عُصم الأنبياء من مثله . اهـ .

وقال القرطبي في تفسيره (٢٠١/١٥) : وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء ، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق ، وهم مع الشيطان في باطل . اهـ

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤/٢) : ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارًا كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها - أو كلها - متلقاة من الإسرائيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة قد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير ، واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة . اهـ .

وانظر تفسير ابن كثير (٣٦/٤) .

وقال الشيخ الشنقيطي (٣٤/٧ - ٣٥) : قد قدمنا الكلام على هذه الآية وعلى ما يذكره المفسرون فيها من الروايات التي لا يخفى سقوطها ، وأنها لا تليق بمنصب النبوة ، في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾ وما رُوي عن السلف من جملة تلك الروايات أن الشيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيه وطرد سليمان إلى آخره يوضح بطلانه قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ واعتراف الشيطان بذلك في قوله : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ . اهـ .

وانظر أضواء البيان (٨٤/٤ - ٨٥) وفيه بعد أن ذكر حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية : تسعين امرأة ، وفي رواية : مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله . فقيل له - وفي رواية قال له الملك - : قل : إن شاء الله! فلم يقل ، فطاف عليهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة : نصف إنسان ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء الله لم يحنث ، وكان دركًا لحاجته - وفي رواية : ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون » .

قال الشنقيطي : فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ...﴾ الآية وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله « إن شاء الله » وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان ، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى ﴿وألقينا =

قوله : ﴿تجري بأمره رخاء﴾ قال الحسن[١]: ليست بالعاصف التي تؤذيه ، ولا بالبطيئة التي تقصرُ به دون حاجته .

قال محمدٌ : معنى رخاءً في اللغة : لينة ، ويقال : ريحٌ رِخوةٌ ، بكسر الراء وفتحها ، والكسْر أفْصَح[٢].

﴿حيث أصاب﴾ قال قتادة[٣]: يعني : حيث أراد ، وهي بلسان هَجر[٤] ﴿والشياطين كل بناءٍ وغواص﴾ يغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ في السلاسل ، ولم يكن يُسَخَّر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفَّد إلا الكفار ؛ فإذا آمنوا حلَّهم من تلك الأصفاد ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ تفسير بعضهم : فامْنُنْ فأعط من شئت أو أمسك عمَّن شئت بغير حساب (ل٢٩٥) أي : فلا حساب عليك في ذلك ولا حرج ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ يعني : القربة في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ أي : وحسن مرجع ؛ يعني : الجنة .

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ...﴾ الآية ، قال الحسن : إن إبليس قال : يا رب هل من عبيدك عبدٌ إن سلّطتني عليه امتنع مني؟ قال : نعم ؛ عبدي أيوب . فسلطه الله عليه ؛ ليجهد جهده

= على كرسيه جسدًا ...﴾ الآية ، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان ...﴾ الآية ؛ من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان وطرد سليمان عن ملكه ، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها من كان يعمل عنده بأجر مطرود عن ملكه ...إلى آخر القصة ، لا يخفى أنه باطل لا أصل له ، وأنه لا يليق بمقام النبوة ؛ فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة .

والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا ، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة ، واختاره بعض المحققين ، والعلم عند الله - تعالى .

(١) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٦) والطبري (٢٣/١٦٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٦) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ويقال أيضًا : رُخوة - بضم الراء - لغة ثالثة فيه . ينظر : لسان العرب (رخو) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٦) والطبري (٢٣/١٦١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٦) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) وقيل : بلسان حمير . ينظر : الدر المصون (٥/٥٣٦) ، لسان العرب (صوب) .

ويضله ، فجعل يأتيه بوساوسه وحبائله وهو يراه عيانًا ؛ فلا يقدر منه على شيء ، فلما امتنع منه قال الشيطان : أي رب ، إنه قد امتنع مني ؛ فسلطني على ماله! فسلطه اللّه على ماله فجعل يهلك ماله صنفًا صنفًا ، فجعل يأتيه وهو يراه عيانًا فيقول : يا أيوب ، هلك مالك في كذا وكذا! فيقول : الحمد للّه اللّهم أنت أعطيتنيه وأنت أخذتهُ مني ، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك . ففعل ذلك حتى أهلك ما له كله ، فقال إبليس : يا رب ، إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده! فسلطه اللّه عليه ، فمكث سبع سنين وأشهرًا حتى وقعت الأكلة في جسده .

قال يحيى : وبلغني أن الدودة كانت تقع من جسده فيردّها مكانها ، ويقول : كلي مما رزقك اللّه .

قال الحسن : فدعا ربّه ﴿أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب﴾ يعني : في جسده ، وقال في الآية الأخرى : ﴿أني مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾[1].

قال محمدٌ : النُّصْبُ والنَّصَبُ واحدٌ مثل حُزْن وحَزَن ، وهو العياء والتَّعَب[2].

قال الحسن[3]: فأوحى اللّه إليه أن اركض برجلك ، فركض برجْله ركضة وهو لا يستطيع القيام ؛ فإذا عينٌ فاغتسل منها ، فأذهب اللّه ظاهر دائه ثم مشى على رجليْه أربعين ذراعًا ، ثم قيل له : اركض برجلك أيضًا ، فركض ركضةً أخرى ، فإذا عينٌ فشرب منها ، فأذهب اللّه باطن دائه وردّ عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيءٍ هلك بعينه ، ثم أبقاه اللّه فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها ، فهو قوله : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا﴾ وكانوا ماتوا غير الموت الذي أتى على آجالهم تسليطًا من اللّه للشيطان ؛ فأحياهم اللّه فوفَّاهم آجالهم .

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

---

(١) الأنبياء : ٨٣.

(٢) لسان العرب (نصب) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٧) والطبري (٢٣/١٦٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٨) لعبد بن حميد وابن جرير .

﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال الحسن : إن امرأة أيوب [كانت][١] قاربت الشيطان في بعض الأمر ، ودعت أيوب إلى مُقَاربته ؛ فحلف بالله لئن الله عافاه أن يجلدها مائة جلدة ، ولمْ تكن له نية بأي شيءٍ يجلدُها ، فمكث في ذلك البلاء حتى أذن الله له في الدعاء ، وتَمَّ له النعْمة من الله والأجْر ، فأتاه الوحي من الله ، وكانت امرأتُه مسلمة قد أحسنت القيامَ عليه ، وكانت لها عند الله منزلة ، فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثًا - والضِّغْثُ : أن يأخذ قبضةً ، قال بعضهم : من (السُّنْبل وكانت مائة سُنبلة)[٢] وقال بعضهم : من الأَسَل ، والأَسل : السَّمَارُ[٣] - فيضربها به ضربة واحدة ففعل .

قال محمدٌ : روي أن امرأة أيوب قالت له : لو تقرَّبْتَ إلى الشيطان فذبحت له عناقًا[٤]. فقال : ولا كفًّا من تراب ، فلهذا حلف أن يجلدها إن عُوفي .

﴿واذكر عبادنا﴾ يقوله للنبي ﷺ ﴿أولي الأيدي﴾ يعني : القوة في أمر الله ﴿والأبصار﴾ في كتاب الله .

قال محمدٌ : (الأيدي) بالياء وهو الاختيار في القراءة[٥].

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ يعني : الدار الآخرة ، والذكرى : الجنة .

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة (بخالصة) غير منونة[٦] وعلى هذه القراءة فسَّر يحيى الآية .

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وهو نبات من الفصيلة الأَسَلية ، ينبت في المناقع والأراضي الرطبة ، ويستعمل في صناعة الحصر والسِّلاَل . المعجم الوسيط (أسل ، سمر) .

(٤) الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول . والجمع : أَعْنُق ، وعُنُق ، وعُنُوق . ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (عنق) .

قلت : وهذه الحكاية من الإسرائيليات المنكرة الظاهرة البطلان ، والله أعلم .

(٥) وهي قراءة العامة . وقرأ الحسن وعبد الله بن مسعود ، والأعمش وغيرهم (الأيد) بدون الياء .

ينظر : البحر (٤٠٢/٧) ، جامع القرطبي (١٥/ ٢١٧ - ٢١٨) ، المحتسب (٢٣٣/٢) .

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر ، وقرأ باقي السبعة بالجر والتنوين . ينظر : السبعة (٥٥٤) البحر (٤٠٢/٧) النشر (٢/ ٣٦١) .

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ يعني : المختارين ، اختارهم الله للنبوة .

﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ قال مجاهد : إن ذا الكفل كان رجلاً صالحاً وليس بنبي تكفّل لنبي بأن يكفل له أمر قومه ، ويقضي بينهم بالعدل .

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

(ل٢٩٦) ﴿هذا ذكرٌ﴾ يعني : القرآن ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ مرجع ﴿جناتُ عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ .

قال محمدٌ : (جنات عدن) بدل من (حسن مآب)[1] ومعنى (مفتحة لهم الأبواب) : أي منها[2].

﴿متكئين فيها﴾ أي : على السرر فيها إضمار[3] ﴿وعندهم قاصراتُ الطرف﴾ يقصرن طرفَهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿أتراب﴾ على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا ما توعدون﴾ يعني : ما وُصِفَ في الجنة ﴿ما له من نفاد﴾ انقطاعٌ .

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هذا وإن للطاغين﴾ (للمشركين)[4] ﴿لشر مآب﴾ أي : مرجع ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾ فيها تقديمٌ : هذا حميمٌ وغساقٌ فليذوقوه « الحميم : الحارُّ الذي لا يُسْتَطاع من حرِّه ، قال

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٧٨٠) ، البحر (٧/٤٠٥) معاني القرآن للفراء (٢/٤٠٨) ، مجمع البيان (٤/٤٨٠) .

(٢) أي : من الجنة .

(٣) أي : حذف ذكر السرر للعلم به ، والله أعلم .

(٤) سقط من « ر » .

عبدُ اللَّه بن عمرو : والغَسَّاق : القيْح الغليظ لو أن جَرَّة[١] منه تُهراق[٢] في المغرب لأنتنت أهْلَ المشرق ، ولو أن تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب ﴿وآخر﴾ يعني : الزمهرير[٣] ﴿من شكله﴾ من نحوه ؛ أي : من نَحْو الحميم ﴿أزواجٌ﴾ ألوان .

﴿هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم ...﴾ إلى قوله : ﴿فبئس القرار﴾ تفسير بعضهم يقول : جاءت الملائكة بفوج إلى النار فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم : هذا فوجٌ مقتحم معكم! قال الفوج الأول : ﴿لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار﴾ قال الفوج الآخر : ﴿بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ قال اللَّه : ﴿قالوا ربنا من قدّمَ لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار﴾ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿من قدّم لنا هذا﴾ أي : من سَنَّهُ وشرعه .

وقوله : ﴿فزده عذابًا ضعفًا﴾ أي : زده على عذابه عذابًا آخر .

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً﴾ لما دخلوا النار لم يَرَوهم معهم فيها فقالوا : ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا ﴿اتخذناهم سخريًا﴾ فأخطأنا ﴿أمْ زاغتْ عنهم الأبصار﴾ أي : أم هم فيها ولا نراهُم؟ هذا تفسير مجاهد[٤] . قال : علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها .

قال محمدٌ : تقرأ (سخريًا) بضم السين وكسرها بمعنى واحدٍ من الهُزْء[٥] . وقد قيل : من ضمَّ

---

(١) هو الإناء من الخزف . والجمع : جَرٌّ ، وجِرَار . لسان العرب ، المعجم الوسيط (جرر) . وفي « ر » : جرعة .

(٢) أي : تراق . ويقال : أراق ، وهَرَق ، وأهْرَق وهَرَاق وأهراق . لغات فيه . لسان العرب (ريق ، هرق) .

(٣) هو شدة البرد . لسان العرب (زمهر) .

(٤) رواه الطبري (٢٣/١٨١ - ١٨٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٥١) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر أيضًا .

(٥) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين ، وقرأ الباقون بكسرها . ينظر : السبعة (٥٥٦) ، البحر (٧/٤٧) ، جامع القرطبي (١٥/٢٢٥) النشر (٢/٣٢٩) .

أوله جعله من السُّخرة ، ومن كسر جعله من الهُزْءِ[١]. وقرأ نافع ﴿أتخذناهم﴾ بألف الاستفهام[٢] قال الله : ﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصُمُ أهل النار﴾ يعني : قول بعضهم لبعضٍ في الآية الأُولى .

﴿قل إنما أنا منذرٌ﴾ من النار ﴿وما من إله إلا اللّٰه الواحد القهارُ﴾ قهر العباد بالموت ، وبما شاء من أمره ﴿رب السمٰوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ لمن آمن[٣].

﴿قل هو نبأٌ عظيم﴾ يعني : القرآن ﴿أنتم عنه معرضون﴾ يعني : المشركين ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ يعني : الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ تفسير الحسن : اختصموا في خلق آدم ؛ قالوا فيما بينهم : ما اللّٰه خالقٌ خَلْقًا هو أكرم عليه منا .

قوله : ﴿إن يوحى إليّ إلا أنما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾ كقوله : ﴿إنما أنت منذرٌ ولكل قومٍ هاد﴾[٤] النبي المنذر ، واللّٰه الهادي .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين ...﴾ إلى قوله : ﴿وكان من الكافرين﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة[٥] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ﴾ قال قتادة : إن

---

(١) ينظر : الألوسي (٢١٨/٢٣) . وقد تقدم التعليق على مثل ذلك عند قوله تعالى : ﴿فاتخذتموهم سخريًا﴾ [المؤمنون : ١١٠] .

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن عامر وعاصم . وقرأ باقي السبعة (اتخذناهم) موصولة الألف . ينظر : البحر (٤٠٧/٧) ، التيسير (١٨٨) ، النشر (٣٦١/٢ - ٣٦٢) .

(٣) في « ر » : لمن تاب .

(٤) الرعد : ٧.

(٥) البقرة : ٣٠ - ٣٨.

كعبًا قال : إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ﴿أستكبرت﴾ يعني : تكبرت .

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة (أستكبرت) بفتح الألف على الاستفهام[1].

﴿فاخرج منها﴾ من السماء ﴿فإنك رجيم﴾ أي : ملعونٌ (رُجم باللعنة)[2] ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ وأبدًا في الإضمار ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي : أخرني ﴿إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين﴾ .

قال محمدٌ : ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني : النفخة الأولى ، وأراد عدو الله أن يؤخر إلى النفخة الآخرة .

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (المخلِصين﴾ بكسر اللام أراد : الذين أخلصوا دينهم لله ، ومن قرأ بالفتح ؛ فالمعنى : الذين أخلصهم الله لعبادته[3].

﴿قال فالحقّ والحقَّ أقولُ﴾ تفسير الحسن هذا قسمٌ ؛ يقول : (ل٢٩٧) حقًّا حقًّا لأملأن جهنَّم .

وقرأ (الحكم بن عتيبة)[4]: ﴿قال فالحقُّ والحقّ أقول﴾ بمعنى : اللّه الحقّ ، ويقول الحقَّ وهو قسمٌ أيضًا[5].

﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو﴾ أي : القرآن ﴿إلا ذكرٌ﴾ أي : تفكُّر ﴿للعالمين﴾ يعني الغافلين ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (أي ذلك يوم القيامة)[6].

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ؛ فقد قرأ ﴿استكبرت﴾ بألف الوصل . ينظر : السبعة (٥٥٦) ، البحر (٤١٠/٧) ، جامع القرطبي (٢٢٨/١٥) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقد تقدم التعليق على هذه القراءة ، وبيان وجوهها . ينظر (يوسف : ٢٤) ، و(الصافات : ٤٠) .

(٤) هو أبو محمد الكندي الكوفي . ثقة ثبت فقيه من الخامسة . مات سنة (١٢٣ هـ) أو ما بعدها ، وله نيف وستون . ينظر : تقريب التهذيب (ص١٧٥) . وفي « ر » : عتيبة .

(٥) ينظر : البحر (٤١١/٧) ، جامع القرطبي (٢٢٩/١٥) ، إتحاف الفضلاء (٨٠٦/٢) ، الكشاف (٣٨٤/٣) .

(٦) في « ر » : بعد الموت .

سورة الزمر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾

قوله : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ يعني : القرآن أنزله مع جبريل على محمدٍ ﷺ.

قال محمدٌ : يجوزُ الرفع في ﴿تنزيلُ﴾ على معنى : هذا تنزيل[1].

﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين﴾ أي : لا تشرك به شيئًا ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني : الإسلام ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي : يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون الله ﴿ما نعبدهم﴾ أي : قالوا ما نعبدهم ، فيها إضمار ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قربى ؛ زعموا أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معايشهم في الدنيا ، وليس يقرون بالآخرة .

قال مجاهد[2]: قريش يقولونه للأوثان ، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعُزير .

﴿إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ يحكم بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة ، فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين النار ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفارٌ﴾ يعني : من يموت على كفره .

﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع . ينظر : البحر (٤١٤/٧) ، الدر المصون (٣/٦) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٣٥٥/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

﴿لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفى﴾ لاختار ﴿مما يخلق ما يشاء سبحانه﴾ ينزّه نفسه أن يكون له ولد ﴿الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره .

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي : للبعث والحساب والجنة والنار ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يعني : أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى﴾ يعني : إلى يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ لمن آمن .

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿خلقكم من نفسٍ واحدةٍ﴾ آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حوّاء ؛ من ضلعٍ من أضلاعه القُصيري من جنبه الأيسر ﴿وأنزل لكم﴾ أي : وخلق لكم ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أصناف الواحد منها زوجٌ ، هي الأزواج الثمانية التي ذكر في سورة الأنعام[1] ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق﴾ يعني : نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يُكسي العظام اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعني : البطن والمشيمة والرحم ﴿فأنى تصرفون﴾ أيْ : أين يُذْهَبُ بكُمْ فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء؟! ﴿إن تكفروا فإن اللَّه غني عنكم﴾ أي : عن عبادتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا﴾ تؤمنوا ﴿يرضَهُ لكم﴾ .

﴿ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ يعني : لا يحمل أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني : بما في الصدور .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ

---

(١) الأنعام : ١٤٣.

لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾

﴿وإذا مسّ الإنسان ضرٌّ﴾ يعني : مرضًا ﴿دعا ربه منيبًا إليه﴾ أي : دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾ أي : عافاه من ذلك المرض ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ هو كقوله : ﴿مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه﴾[1].

قال محمدٌ : كل شيءٍ أُعطيته فقد خُوِّلْتَه[2] ومن هذا قول زهير :

هنالك إن يستخولوا المال يُخولوا وإن يسألوا يعطوا وإن يَيْسِرُوا يُغْلوا[3]

ويقال : فلان يخول أهله إذا رعى غنمهم ، أوما أشبه ذلك .

﴿وجعل للَّه أندادًا﴾ يعني : الأوثان ؛ الندُّ في اللغة : العِدْلُ[4] ﴿ليُضل عن سبيله﴾ أي : يتبعه على ذلك غيره ﴿قل﴾ يا محمدُ للمشرك : ﴿تمتع﴾ في الدنيا ﴿بكفرك قليلاً﴾ أي أن بقاءك في الدنيا قليل ﴿إنك من أصحاب النار﴾ .

﴿أمَّن هو قانت﴾ يعني (مُصَلٍّ)[5] ﴿آناء الليل﴾ يعني : ساعات الليل ﴿ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة﴾ أي : يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني : الجنة يقول : ﴿أمَّن هو قانت ...﴾ إلى آخر الآية ، كالذي جعل للَّه أندادًا فعبد الأوثان دوني ، ليس مثله .

قال محمدٌ : أصل القنوت الطاعة ، وقرأ نافع (أمن) بالتخفيف[6].

(ل٢٩٨) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي : هل يستوي هذا المؤمن الذي يعلم أنه ملاقٍ ربه ، وهذا المشرك الذي جعل للَّه الأنداد ؛ أي : أنهما لا يستويان ﴿إنما

---

(١) يونس : ١٢.
(٢) أي كل شيء أُعطيته من غير مقتضٍ ، ولا يستعمل في الجزاء ، بل في ابتداء العطية . لسان العرب (خول) .
(٣) ينظر ديوانه (١١٢) ، مجاز القرآن (١٨٨/٢) ، القرطبي (٢٣٧/١٥) اللسان (خول) .
(٤) العِدْل بكسر العين : المثل والنظير ، وهو أيضًا النَّدِيد . لسان العرب (عدل ، ندد) .
(٥) سقط من «ر» .
(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة . ينظر : السبعة (٥٦١) ، البحر (٤١٨/٧) ، التيسير (١٨٩) ، النشر (٣٦٢/٢) .

يتذكر﴾ إنما (يقبل)[١] التذكرة ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول ؛ وهم المؤمنون .

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي : في الآخرة ؛ وهي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ هو كقوله : ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾[٢] في الأرض التي أمركم أن تهاجروا إليها ؛ يعني : المدينة ﴿إنما يُوَفى الصابرون﴾ يعني : الذين صبروا على طاعة الله ﴿أجرهم﴾ الجنة ﴿بغير حساب﴾ يقول : لا حساب عليهم في الجنة ، كقوله : ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾[٣].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمّة .

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني : جهنم ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا وعيد ؛ أي : أنكم إن عبدتم من دونه عذّبكم ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ...﴾ الآية ، جعل الله لكل أحدٍ منزلاً في الجنة وأهلاً ؛ فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل ، ومن عمل بمعصية الله صيّره الله إلى النار ، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثًا لمن عمل بطاعة الله إلى منازلهم وأهليهم التي جعل الله لهم ، فصار جميع ذلك لهم .

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظللٌ﴾ كقوله : ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾[٤].

﴿ذلك﴾ الذي ﴿يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾ .

---

(١) في « ر » : يتقبل.
(٢) العنكبوت : ٥٦.
(٣) غافر : ٤٠.
(٤) الأعراف : ٤١.

قال محمدٌ : قوله : ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ موضع (ذلك) رفعٌ بالابتداء المعنى ذلك الذي ذكرنا من العذاب يخوف الله به عباده ، وقوله (يا عبادِ) قراءة نافع بحذف الياء ؛ وهو الاختيار عند أهل العربية[١].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ (يعني : الشياطين)[٢] ﴿أن يعبدوها﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين ؛ لأنهم هم دعوهم إلى عبادتها ﴿وأنابوا إلى الله﴾ أقبلوا مخلصين إليه ﴿لهم البشرى﴾ يعني الجنة ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ أي : بشرهم بالجنة ، والقول كتاب الله ، واتِّباعهم لأحسنه أن يعملوا بما أمرهم الله به فيه ، وينتهوا عما نهاهم الله عنه فيه .

﴿أفمن حق عليه﴾ أي : سبقت عليه ﴿كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ أي : تهدي من وجب عليه العذاب ؛ أي : لا تهديه ﴿لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية﴾ .

قال محمدٌ : قيل المعنى : لهم ؛ منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ﴿وعد الله﴾ الذي وعد المؤمنين ، يعني الجنة .

قال محمدٌ : القراءة ﴿وعد الله﴾ بالنصب بمعنى وعدهم الله وعدًا[٣].

﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ والينابيع : العيون[٤] ﴿ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيج فتراه

---

(١) وهي أيضًا قراءة : حمزة وعاصم والكسائي وابن عامر . ينظر : السبعة (٥٦١) ، النشر (٣٦٤/٢) ، التيسير (٦٧ ، ١٨٩) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقد تقدم مثله مرارًا . وينظر الدر المصون (١٢/٦) .

(٤) واحدها ينبوع . لسان العرب (نبع) .

مصفرًا ثم يجعله حطامًا﴾ كقوله : ﴿واضربْ لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾(١).

قال محمدٌ : قوله : ﴿ثم يهيج﴾ أي : يجفُّ ، يقال للنبت إذا تم جفافه : قد هاج النبت يهيج ، وهاجت الأرض إذا ذَوَى ما فيها من الخُضَر(٢) والحطام : ما تفتت وتكسَّر من النبت وغيره(٣).

﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ العقول ؛ وهم المؤمنون يتذكرون فيعلمون أنّ ما في الدنيا ذاهبٌ .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي : وسَّع ﴿فهو على نورٍ من ربه﴾ أي : ذلك النور في قلبه ﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم .. ﴾ الآية ؛ أي : أن الذي شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالقاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى ؛ يعني : المشرك وهذا على الاستفهام يقول : ﴿هل يستويان﴾ أي : أنهما لا يستويان .

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعني : القرآن ﴿كتابًا متشابهًا﴾ يعني : يشبه بعضه بعضًا في نوره وصدقه وعدله ﴿مثاني﴾ يعني : ثنى الله فيه القصص عن الجنة في هذه السورة ، وثنى ذكرها في سورة أخرى ، وذكر النار في هذه (ل٢٩٩) السورة ثم ذكرها في غيرها من السور ؛ هذا تفسير الحسن .

---

(١) الكهف : ٤٥ . ووردت في الأصل و « ر » : إنما مثل الحياة الدنيا ...إلخ .
(٢) لسان العرب (هيج) .
(٣) لسان العرب (حطم) .

قال محمدٌ : ﴿مثاني﴾ نعت قوله (كتابًا) ولم ينصرف ؛ لأنه جمع ليس على مثال الواحد[١].

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ إذا ذكروا وعيد الله [فيه][٢] ﴿ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ إذا ذكروا أعمالهم الصالحة ، لانت قلوبهم وجلودهم إلى وعد الله الذي وعدهم .

قال محمدٌ : وقيل : المعنى : إذا ذكرت آيات العذاب ، اقشعرت جلود الخائفين لله ، ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة .

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ أي : شدته أول ما تصيب منه النار إذا أُلقي فيها وجهه ؛ لأنه يكبُّ على وجهه ﴿خيرٌ أمن يأتي آمنًا﴾ أي : أنهما لا يستويان ﴿وقيل للظالمين﴾ المشركين : ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي : جزاء ما كنتم تعملون ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ يعني : من قبل قومك يا محمدُ .

﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ جاءهم فجأة ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ؛ فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم ﴿قرآنًا عربيًا غير ذي عوج﴾ أي : ليس [فيه عوج][٣] ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا .

قال محمدٌ : (عربيًا) منصوبٌ على الحال ، المعنى : ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه ، وذكر (قرآنًا) توكيدًا[٤].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (١٣/٦) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر : المصدر السابق .

﴿ضرب الله مثلاً رجلا﴾ يعني: المشرك ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ يعني: أوثانًا؛ هم شتَّى.

﴿ورجلاً سلمًا لرجل﴾ يعني: المؤمن يعبد الله وحده ﴿هل يستويان مثلا﴾ أي: أنهما لا يستويان.

قال محمدٌ: ﴿متشاكسون﴾ معناه: مختلفون لا يتفقون[1].

ويقال للعسير[2]: شَكِس الرجل شَكْسًا[3]، ومن قرأ ﴿ورجلاً سلمًا﴾ فالمعنى: ذا سلم وهو مصدر وُصِفَ به، وأصلُ الكلمة من الاستسلام[4].

﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ تفسير الحسن: يخاصم النبيُ والمؤمنون المشركينَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فمن أظلم ممّن كذب على الله﴾ فعبد الأوثان، وزعم أن عبادتها تقرب إلى الله ﴿وكذّب بالصدق إذ جاءه﴾ يعني: القرآن الذي جاء به محمد؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزلاً ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها منزل للكافرين ﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمدٌ

---

(١) وقيل: مختلفون عَسِرُو الأخلاق. والواحد: مُتَشاكس. لسان العرب (شكس).

(٢) العسير: هو سيء الخلق. لسان العرب (عسر). وفي «ر»: للعسر.

(٣) فهو شَكْس، وقوم شُكْس، وحكى الفراء: رجل شَكِس بكسر الكاف وهو القياس. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (شكس).

(٤) قرأ ابن عامر، ونافع، وحمزة والكسائي (سَلَمًا) بفتح السين واللام، وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة (سِلْما) بكسر السين وإسكان اللام. وهاتان القراءتان يؤيدهما المعنى الذي ساقه المصنّف بَعْدُ أما بقية السبعة فقد قرءوا (سالمًا).

ينظر: السبعة (٥٦٢)، التيسير (١٨٩)، البحر (٤٢٤/٧) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٤٢٤/٧)، الدر المصون (١٥/٦).

جاء بالقرآن ﴿وصدق به﴾ يعني: المؤمنين؛ صدَّقوا بما جاء به محمد ﴿أولئك هم المتقون﴾.

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني: محمدًا؛ يكفيه المشركين حتى لا يصلُوا إليه ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني: الأوثان.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله...﴾ يعني: أوثانهم، الآية.

يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًّا، ولا يمسكن رحمة ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي: فكيف تعبدون الأوثان من دونه، وأنتم تعلمون أنه هو الذي خلق السموات والأرض ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على شرككم ﴿إني عامل﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ويحل عليه عذاب مقيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، والله هو الذي يجزيهم بها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي: ويتوفى التي لم تمت؛ أي: يتوفاها في منامها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي: فيميتها.

قال محمدٌ: (فيمسكُ) بالرفع هي قراءة نافع[1].

---

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٧/٤٣١)، البيان (٢/٣٢٤).

﴿ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ إلى الموت ؛ وذلك أن الإنسان إذا نام خرجت النفس وتبقى الروح فيكون بينهما مثل شعاع الشمس ، وبلغنا أن الأحلام التي يرى النائم هي في تلك الحال ؛ فإن كان ممن كتب الله عليه الموت في منامه خرجت الروح إلى النفس ، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس إلى الروح فاستيقظ .

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ وهم المؤمنون ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أي : قد اتخذوهم ؛ ليشفعوا لهم (ل ٣٠٠) زعموا ذلك لدنياهم ليصلحها لهم ولا يقرون بالآخرة ﴿قل﴾ يا محمد : ﴿أو لو كانوا﴾ (يعني : أوثانهم)[1] ﴿لا يملكون شيئًا ولا يعقلون﴾ (أي : أنهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون)[1] ﴿قل لله الشفاعة جميعًا﴾ أي : لا يشفع أحدٌ يوم القيامة إلا بإذنه ، يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشفعوا للمؤمنين فيشفعهم فيهم .

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وإذا ذُكِرَ الله وحده اشمأزت﴾ انقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونه﴾ أي : الذين يعبدون من دونه ؛ يعني : الأوثان ﴿إذا هم يستبشرون﴾ .

قال محمدٌ : يقال لمن ذُعر من شيء : اشمأزّ اشمئزازًا[2].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب : السر ، والشهادة : العلانية ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يعني : المؤمنين والمشركين ؛ فيكون حكمه بينهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار .

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني : لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذَّبون .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) وشُمَأْزِيزة . لسان العرب (شمز) .

﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: جزاء ذلك الاستهزاء وهي جهنم بعد عذاب الدنيا.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ثم إذا خوّلناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة منا﴾ أي: عافية ﴿قال إنما أوتيته﴾ أعطيته ﴿على علم﴾ تفسير مجاهد يقول: هذا [بعلمي][1] (كقوله: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسّته ليقولن هذا لي﴾[2] أي: أنا محقوقٌ بهذا)[3].

قال الله: ﴿بل هي فتنةٌ﴾ يعني: بليّة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعة المشركين.

قال محمد: قيل: المعنى: تلك العطيّة بلوى من الله يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر.

﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من المشركين؛ يعني: هذه الكلمة.

﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من أموالهم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ما عملوا من الشرك؛ يقول: نزل بهم جزاء أعمالهم؛ يعني: الذي أهلك من الأمم ﴿والذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿من هؤلاء﴾ يعني: هذه الأمة ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة كفار آخر هذه الأمة، وقد أهلك أوائلهم؛ أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي: بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: بلى قد علموا.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

---

(١) في الأصل: بعملي.

(٢) فصلت: ٥٠.

(٣) سقط من «ر».

وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالشرك ﴿لا تقنطوا ...﴾ تيأسوا . الآية .

تفسير الحسن قال : لما نزل في قاتل المؤمن والزاني وغَير ذلك ما نزل خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية ، فقالوا : أينا لم يفعل فأنزل الله : ﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [بالشرك][1] ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا﴾ التي كانت في الشرك ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ وأنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر﴾ أي : بعد إسلامهم ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي : بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون ...﴾ أي : بعد إسلامهم إلى قوله : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا ...﴾ الآية[2]، وقد مضى تفسيرها ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ يقوله للمشركين : أَقْبِلُوا إلى ربكم بالإخلاص له ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم الله به ، وينتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ فجأة ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ .

﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ أي : في أمر الله ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي : كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين .

قال محمدٌ : ﴿أن تقول نفسٌ﴾ معناه : خَوْفَ أن تقول نفسٌ إذا صارت إلى (حال)[3] الندامة ، والاختيار في القراءة : (يا حسرتا)[4].

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) الفرقان : ٦٨.

(٣) في « ر » : حين .

(٤) وهي قراءة السبعة ، وأمالها حمزة والكسائي . ينظر : البحر (٧/٤٣٥) ، النشر (٢/٣٦٣) ، إتحاف الفضلاء (٣٧٦) .

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ حين تدخل في العذاب : ﴿لو أن لي كرة﴾ إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ يعني : المؤمنين ، قال الله : ﴿بلى قد جاءتك آياتي ...﴾ الآية .

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُم مسودةٌ﴾ .

[قال محمد : ﴿وجوههم مسودة﴾][١] رفع على الابتداء ، ولم يعمل الفعل (والخبر)[٢] ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (ل ٣٠١) عن عبادة الله بلى لهم فيها مثوى يثوون فيها أبدًا .

﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ بمنجاتهم ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ .

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ يعني : مفاتيح .

قال محمدٌ : واحد المقاليد : إقليد[٣].

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعٗا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ يعني : المشركين دَعَوْهُ إلى عبادة الأوثان .

قال محمدٌ : قد مضى في سورة الأنعام ذكر الاختلاف في قراءة ﴿تأمروني﴾[٤].

---

(١) سقط من الأصل

(٢) سقط من « ر » والمراد أن الفعل (رأى) بَصَري لا عِلْمي ، فلم ينصب مفعولين . وعليه لم ينتصب (مسودة) بل رفع على الابتداء . ينظر : إعراب القرآن (٢/٨٢٧) ، البحر (٧/٤٣٧) ، البيان (٢/٣٢٥) .

(٣) ويقال : واحده : مِقْلاد أو مِقْليد ، أما إقليد فهو واحد أقاليد ، وهو فارسي معرب . ينظر لسان العرب (قلد) ، الدر المصون (٦/٢١) .

(٤) قرأ نافع : (تأمرونِيَ) ، وقرأ ابن كثير (تأمرونِّيَ) ، وقرأ ابن عامر (تأمُرُونَنِي) ، وقرأ أيضًا (تأمُرُونِي) ، وقرأ الباقون : (تأمُرُونِّي) . ينظر السبعة (٥٦٣) ، البحر (٧/٤٣٩) ، النشر (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) ، الإتحاف (٣٧٧) .
وانظر كلام المصنف عليها في تفسير سورة الأنعام ، الآية : ٨٠.

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموا الله حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ .

يحيى : عن عثمان البري ، قال : حدثني نافع ، قال : حدّثني عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله يقول : « إن الرحمن يطوي السموات يوم القيامة بيمينه ، والأرضين بالأخرى ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أنا الملك »[1].

﴿سبحانه﴾ ينزّه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾ .

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ونفخ في الصور﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحبُ الصُّور ﴿فصعق﴾ أي : فمات ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ وهذه النَّفْخة الأولى ﴿إلا من شاء الله﴾ تفسير الحسن : استثنى طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين .

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٠٤ رقم ٧٤١٢) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٧) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٤٤٠ - ٤٤٢ رقم ١٣٢، ٢/٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ١٤٠) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤١٧ - ٤١٨ رقم ٧٠٢، ٧٠٣) من طرق عن نافع به .

ورواه الإمام أحمد (٢/٧٢) ومسلم (٤/٢١٤٨ - ٢١٤٩ رقم ٢٧٨٨) والنسائي في الكبرى (٤/٤٠٠ رقم ٧٦٨٩، ٤/٤٠٢ رقم ٧٦٩٥، ٧٦٩٦) وابن ماجه (١/٧١ - ٧٢ رقم ١٩٨، ٢/١٤٢٩ رقم ٤٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٦ - ٢٧) وابن خزيمة في التوحيد (١/١٧٠ - ١٧٣ رقم ٩٥، ٩٧) وابن حبان (١٦/ ٣١٦ رقم ٧٣٢٤، ١٦/٣٢٢ رقم ٧٣٢٧) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٤ - ٧٥ رقم ٤٦) وغيرهم من طريق عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ورواه مسلم (٤/٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨/٢٤) وأبو داود (٥/٢٤١ رقم ٤٦٩٩) وعبد بن حميد (٢٤١ - ٢٤٢ رقم ٧٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٤١ رقم ٥٤٧) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٨) وغيرهم من طريق سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ابن منده : وهذا حديث ثابت باتفاق .

وعلقه البخاري (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤١٣) من هذا الطريق .

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة ، خرجتها في تخريجي لأحاديث التوحيد لابن خزيمة .

قال يحيى : وبلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يقول الله لملك الموت : مُتْ فيموت[1].

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهذه النفخة الآخرة ﴿فإذا هم قيامٌ ينظرون﴾ وبين النفختين أربعون سنةً ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ الذي كتبته الملائكة عليهم ﴿وجيء بالنبيين﴾ الذين بعثوا إليهم ﴿والشهداء﴾ يعني : الملائكة الحفظة ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ .

قال يحيى : بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم .

﴿ووفيت كل نفسٍ ما عملت﴾ أما المشركون فليس يعطوْن في الآخرة بأعمالهم الحسنة شيئًا : قد جوزوا بها في الدنيا ، وأما المؤمنون فيوفون حسناتهم في الآخرة[2]، وأما سيئاتهم فإنه يحاسب العبد بالحسنات والسيئات ؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله له ، وهو قوله :

---

(١) هذا لا أعلمه ورد إلا في حديث الصور الطويل ، وقد رواه إسحاق بن راهوية في مسنده (٨٤/١ - ٩٥ رقم ١٠) والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٦٦/٢٥ - ٢٧٧ رقم ٢٦) وغير واحدٍ من الأئمة ، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (١٤٩/٢) : قال : هذا حديث مشهور ، وهو غريب جدًا ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه ، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحدٍ الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ، ومنهم من قال فيه : هو متروك . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يُكتب حديثه في جملة الضعفاء .

قلت : وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوٍ كثيرة ، قد أفردتها في جزء على حدةٍ ، وأما سياقه فغريب جدًا ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا ؛ فأنكر عليه بسبب ذلك ، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ؛ فالله أعلم . اهـ .

وانظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢٢٣/٢ - ٢٢٤) وفتح الباري (٣٧٦/١١) .

وروى الطبري في تفسيره (٢٩/٢٤) من طريق الفضل بن عيسى ، عن عمه يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ نحوه .

وضعفه ابن حجر في الفتح (٢٧٨/١١) ، وذكر له طريقًا آخر عند البيهقي وابن مردويه وضعف سنده أيضًا .

وانظر الدر المنثور (٣٧٠/٥) .

(٢) روى الإمام أحمد (١٢٣/٣) ومسلم (٢١٦٢/٤ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨) عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة ، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » .

﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾[1] وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة ، وإن زادت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله .

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا ...﴾ أي : فوجًا فوجًا ، إلى قوله : ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ يعني : عن عبادة الله .

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا ...﴾ إلى قوله: ﴿سلام عليكم طبتم﴾ .

يحيى : عن نعيم بن يحيى ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي قال : « إذا توجهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان ؛ فيشربون من إحداهما[2]، فتجري عليهم بنضرة النعيم ، فلا تُغَيَّر أبشارهم ولا تشعَّث أشعارهم بعدها أبدًا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذًى ، ثم تستقبلهم الملائكة - خزنة الجنة - فتقول لهم : ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ »[3].

---

(١) النساء : ٤٠.

(٢) كذا في الأصل و « ر » ، وهو خلاف الجادة .

(٣) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٦/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٢/١٣ - ١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١٣٤/٥ - ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) والبغوي في الجعديات (٩٢٦/٢ - ٩٢٧ رقم ٢٦٦٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٣٥/٢٤) وأبو نعيم في =

﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني: أرض الجنة ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي: ننزل ﴿فنعم أجر العاملين﴾ في الدنيا ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: مُحْدِقين ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي: فُصِلَ ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ قاله المؤمنون؛ حمدوا الله على ما أعطاهم.



= صفة الجنة (١٢٣/٢ - ١٢٧ رقم ٢٨٠، ٢٨١) والضياء في المختارة (١٦٠/٢ - ١٦٣ رقم ٥٤١، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي به.

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١٣٥/٥): هذا حديث صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٣٢/٨): رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ ليس للرأي فيه مجال.

قلت: لهذا خرجه الحافظ الضياء في المختارة، وذكر عن الحاكم قوله: قد اتفقا - يعني: البخاري ومسلمًا - أن تفسير الصحابي حديث مسند. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٥/٢٤ - ٣٦) من طريق السدي قال: ذكر أبو إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ ...فذكره مطولاً.

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٢٧/٢) من طريق حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ.

فخالف السديُّ وحمزةُ الزيات - في روايته هذه - الجماعة الذين رووه عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي - ومنهم السفيانان، وإسرائيل وزهير بن معاوية ومعمر - فجعلاه عن الحارث الأعور عن علي ﷺ.

تفسير حم المؤمن[1]
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾

قوله : ﴿حم﴾ قال الحسن : ما أدري ما تفسير (حم) و(طسم) وأشباه ذلك ، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون : أسماء السور وفواتحها .

﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ لمن لم يؤمن ﴿ذي الطول﴾ الغنى ﴿ما يجادل﴾ (ل٣٠٢) يماري ﴿في آيات الله﴾ فيجحدها ﴿إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلُّبهم﴾ إقبالهم وإدبارهم ﴿في البلاد﴾ يعني : الدنيا بغير عذاب ؛ فإن الله معذِّبهم .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ يعني : عادًا وثمود ، ومن بعدهم الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ خاصموا ﴿بالباطل﴾ بالشرك جادلوا به الأنبياء والمؤمنين ﴿ليدحضوا به﴾ أي : يذهبوا به ﴿الحق﴾ يعني : الإيمان .

---

(١) أي : سورة غافر .

﴿فأخذتهم بالعذاب فكيف كان عقاب﴾ أي: كان شديدًا ﴿وكذلك حقت كلمات[1] ربك﴾ أي: سبقت.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء﴾ أي: ملأت كل شيء ﴿رحمةً وعلمًا فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ يعني: الإسلام.

﴿ومن صلح﴾ أي: من آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾.

﴿وقهم السيئات﴾ يعني: جهنم هي جزاء الشرك ﴿ومن تق السيئات﴾ أي: تصرف عنه ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النار: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله إياهم في معصيته أكبر من مقتهم أنفسهم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ﴿إذ تدعون إلى الإيمان﴾ في الدنيا ﴿فتكفرون﴾ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وهو قوله في سورة البقرة: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[2].

يقول: كنتم أمواتًا في أصلبة آبائكم نطفًا ﴿فأحياكم﴾ يعني: هذه الحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾

---

(١) هكذا في الأصل: (كلمات) جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر: البحر (٧/٤٥٠)، السبعة (٥٦٧)، التيسير (١٢٢)، الإتحاف (٣٧٧).

(٢) البقرة: ٢٨.

يعني : موتهم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني : البعث .

﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ تفسير الحسن : فيها إضمار (قال الله : لا) ثم قال : ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا﴾ تصدقوا بعبادة الأوثان .

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

قوله : ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ ما أراه العبادَ من قدرته ﴿وينزل لكم من السماء رزقًا﴾ المطر ؛ يعني : فيه أرزاق العباد ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ يخلص لله ﴿رفيع الدرجات﴾ هو رفيع الدرجات درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿يلقي الروح﴾ ينزل الوحي ﴿لينذر يوم التلاق﴾ [يوم القيامة][1] يوم يلتقى فيه الخلائق : أهل السماء وأهل الأرض عند الله .

قال محمد : الاختيار في القراءة بالياء ، وقرأ نافع بغير ياء[2].

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم﴾ يقول : لمن الملك اليوم؟ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد ، فيرد على نفسه فيقول : ﴿لله الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت ، وبما شاء من أمره قال بعضهم : هذا بين النفختين حين لا يبقى أحد غيره .

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اليوم﴾ يعني : في الآخرة ﴿تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) وقرأ نافع أيضًا بإثبات الياء في ﴿التلاق﴾ وصلا في رواية ورش عنه ، وقيل عن قالون عنه أيضًا . انظر النشر (٢/٣٦٦) والكنز (٢٣٢) ، والإتحاف (٤٨٤) .

سمعت بعض الكوفيين يقول : يفرغ من حساب الخلائق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق وعرضهم .

﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني : القيامة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ قال قتادة[١]: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر ، فلا هي تخرج ولا هي ترجع إلى أماكنها .

يحيى : عن أبان بن أبي عياش ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبيّ بن كعب قال : « يجيء الرب - تبارك وتعالى - يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة ، لا يعلم عددهم إلا الله ، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل برّ وفاجر ، عليها ملائكة الرحمة حتى توضع عن يمين العرش ، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام . قال : ويؤتى بالنار تُقَاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك (مفتحة)[٢] أبوابها ، عليها ملائكة سود ، معهم السلاسل الطوال ، والأنكال[٣] الثقال وسرابيل القطران ، ومقطعات النيران ، لأعينهم لمع كالبرق ، ولوجوههم لهب كالنار ، شاخصة أبصارهم ، لا ينظرون إلى ذي العرش [تعظيمًا له][٤]، فإذا (ل٣٠٣) دنت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة سنة زفرت زفرةً ، فلا يبقى أحدٌ إلا جثا على ركبته ، وأخذته الرعدة وصار قلبه متعلّقًا في حنجرته لا يخرج ولا يرجع إلى مكانه ، وذلك قوله : ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ وينادي إبراهيم : رب لا تهلكني بخطيئتي! وينادي نوح ويونس ، وتوضع النار عن يسار العرش ، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار ، ثم يدعى الخلائق للحساب »[٥].

قال محمدٌ : إنما قيل للقيامة : آزفة ؛ لأنها قريبةٌ وإن استبعد الناس مداها . يقال : أَزِفَت تَأْزَف أَزَفًا ، وقد أزف الأمر إذا قرُب[٦]، وكاظمين منصوبٌ على الحال[٧]، وأصل الكظم : الحبس[٨].

---

(١) رواه الطبري (٢٤/٥٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٨٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٢) في « ر » : مصفرّة .

(٣) واحدها النِّكْل ؛ وهو القيد . لسان العرب (نكل) .

(٤) مطموس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) لم أقف عليه ، وأبان بن أبي عياش تالف .

(٦) لسان العرب (أزف) .

(٧) وفيه تفصيل نحوي ، ينظر : إعراب القرآن (٣/٧) ، مجمع البيان (٤/٥١٨) ، البحر (٧/٤٥٦) ، التبيان (٧/١١) .

(٨) لسان العرب (كظم) .

﴿ما للظالمين﴾ للمشركين ﴿من حميم﴾ أي: شفيق يحمل عنهم من ذنوبهم شيئًا ﴿ولا شفيعٍ يطاع﴾ أي: لا يشفع لهم أحدٌ؛ إنما الشفاعة للمؤمنين ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ قال مجاهد[١]: يعني: نظر العين إلى ما نهى عنه.

قال محمدٌ: الخائنة والخيانة واحد[٢].

﴿والذين تدعون من دونه﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يقضون بشيءٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كانوا هم أشد منهم﴾ من مشركي العرب ﴿قوةً﴾ أي: بطشًا ﴿وآثارًا في الأرض﴾ يعني: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿وما كان لهم من الله من واقٍ﴾ يقيهم من عذاب الله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾ للمشركين.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ أي: صدَّقوه ﴿واستحيوا نساءهم﴾ أي: لا تقتلوهن ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ يذهب فلا يكون شيئًا؛ أي: في العاقبة.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ

---

(١) رواه الطبري (٥٤/٢٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) والخائنة من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعلة، كالعاقبة. لسان العرب، المعجم الوسيط (خون).

ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ يقوله لأصحابه ؛ أي : خلوا بيني وبينه فأقتله ولم يخف أن يمتنع منه ﴿وليدع ربه﴾ أي : وليشتعن ربه ؛ أي إن ربه لا يغني عنه شيئًا ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ قال الحسن : كانوا عبدة أوثان ﴿وأن[1] يظهر في الأرض﴾ يعني : أرض مصر ﴿الفساد﴾ .

﴿وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون﴾ من قوم فرعون ﴿يكتم إيمانه﴾ قال الحسن : قد كان مؤمنًا قبل أن يأتيهم موسى .

﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ ؛ يعني : الآيات التي جاءهم بها موسى .

﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ كان موسى يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحقّ .

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ظاهرين في الأرض﴾ يعني : غالبين على أرض مصر في القهر لهم ﴿فمن ينصرنا﴾ يمنعنا ﴿من بأس الله﴾ عذابه ﴿إن جاءنا﴾ يقوله على الاستفهام - أي : أنه لا يمنعنا منه أحد .

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي : ما أرى لنفسي ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ يعني : جحود ما جاء به موسى والتمسك بما هم عليه .

﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ يعني : مثل عذاب الأمم الخالية ، ثم أخبر عن يوم

---

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿أو أن﴾ بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو ، وقرأ الباقون بغير ألف . النشر (٣٦٥/٢) .

الأحزاب ؛ فقال : ﴿مثل دأب قوم نوح وعادٍ وثمود ...﴾ الآية الدأْبُ : الفعل ؛ المعنى : إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم وهو ما أهلكهم الله به .

قال محمدٌ : (الدأب) عند أهل اللغة : العادة[1]؛ المعنى : إني أخاف عليكم أن تقيموا على كفركم ، فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم السَّالفة المكذبة رسلهم ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿إني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ قال قتادة[2]: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء .

قال محمدٌ : من قرأ : (التناد) مخفَّفة ؛ فهي بلا ياء في الوصل والوقف ، وقد قرئت أيضًا بالياء في الوصل والوقف[3].

﴿يوم تولون مدبرين﴾ يعني : عن النار ، أي : فارّين غير معجزين الله ، في تفسير مجاهد .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي : من قبل موسى ﴿بالبينات حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أي : أنه لم يكن برسول ، فلن (ل٣٠٤) يبعث الله من بعده رسولاً

---

(١) ويقال : الدأب - بسكون الهمزة وتحريكها بالفتح . ينظر لسان العرب (دأب) .

(٢) رواه عبد الرزاق (١٨١/٢) والطبري (٦٠/٢٤ - ٦١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٦/٥) لعبد بن حميد .

(٣) قرأ نافع - في رواية ورش عنه - ﴿التنادي﴾ وصلاً ، وقرأ ابن كثير ﴿التنادي﴾ وصلاً ووقفًا ، وقرأ أبو عمرو ﴿التنادْ﴾ وصلاً ، وروي عن ابن عباس ﴿التنادّ﴾ . وقرأ باقي السبعة ﴿التنادِ﴾ .

ينظر : البحر (٤٥٥/٧) ، جامع القرطبي (١٥/ ٣١١ - ٣١٢) ، السبعة (٥٦٨) ، التيسير (١٩٢) ، الإعراب للنحاس (١٠/٣) .

﴿كذلك يضل اللَّه من هو مسرفٌ﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ في شكٍّ من البعث .

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجة أتتهم من اللَّه بعبادة الأوثان ﴿كبر مقتًا عند اللَّه﴾ .

﴿ابن لي صرحًا﴾ قال الكَلْبي : يعني : قصرًا ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ يعني : الأبواب ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ الذي يزعم ﴿وإني لأظنه كاذبًا﴾ ما في السماء أحدٌ ، تعمد الكذب .

قال اللَّه : ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾ عن طريق الهدى ﴿وما كيدُ فرعون إلا في تباب﴾ خسار .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ﴾ يُسْتمتع به ، ثم يذهب فيصير الأمر إلى الآخرة .

﴿من عمل سيئة﴾ والسيئة ها هنا : الشرك ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ النار ﴿ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ لا يقبل اللَّه العمل الصالح إلا من المؤمن .

﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ قال السُّدي : يعني : بغير متابعةٍ ولا مَنٍّ عليهم فيما يُعْطَوْن .

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ إلى الإيمان باللَّه ﴿وتدعونني إلى النار﴾ إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار .

﴿وأشرك به ما ليس لي به علمٌ﴾ أي : ليس عندي علمٌ بأنَّ مع اللَّه شريكًا ، ولكنه اللَّه وحده لا شريك له ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ لمن آمن ﴿لا جرم أن ما تدعونني إليه﴾ أن أعبده ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي : لا يجيب من دعاه في الدنيا ، ولا ينفعه في الآخرة .

قال محمدٌ : قد مضى تفسير ﴿لا جرم﴾[١].

﴿وأن المسرفين﴾ المشركين ﴿هم أصحاب النار﴾ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ إذا صرتم إلى النار ﴿وأفوض أمري إلى اللّه﴾ أي : أتوكل على اللّه ﴿إن اللّه بصيرٌ بالعباد﴾ أي : بأعمالهم ومصيرهم .

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝٤٨﴾

﴿فوقاه اللّه سيئات ما مكروا﴾ أي : عصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه ، وعصمه من القتل والهلاك الذي هلكوا به ﴿وحاق بآل فرعون﴾ وجب عليهم ﴿سوء العذاب﴾ يعني : شدته ﴿النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا﴾ قال مجاهد[٢]: يعني : ما كانت الدنيا[٣].

يحيى : عن حماد (عن)[٤] أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللّه ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به « أنه أتى على سابلة آل فرعون ، حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ؛ فإذا رأوها قالوا : ربنا لا تقومن الساعة! لما يرون من عذاب اللّه »[٥].

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ يعني : أهل ملته ، وفرعون معهم ﴿أشد العذاب﴾ .

﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء﴾ يعني : السّفلة ﴿للذين استكبروا﴾ يعني : الرؤساء في الضلالة ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ أي : دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا﴾

---

(١) ينظر : (هود : ٢٢) ، (النحل ٢٣، ٦٢، ١٠٩) .

(٢) رواه الطبري (٧٢/٢٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٧/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أي : مدة دوام الدنيا .

(٤) تحرفت في « ر » إلى : بن .

(٥) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة البقرة ، عند تفسير قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ وفي أول تفسير سورة الإسراء مطولا جدًّا .

أي: جزءًا ﴿من النار﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ادعوا ربكم﴾ أي: سلوه ﴿ يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا﴾ يعني: خزنة جهنم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ...﴾ الآية ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ .

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن سليمان التيمي قال: «إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ...﴾ الآية، ثم ينادون مالكًا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ .

(كل كلام ذكر في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[1])[2] وقد مضى تفسيره.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ يعني: النصر والظفر على عدوّهم ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعني: يوم القيامة، والأشهاد: الملائكة الحَفَظَةُ يشهدون للأنبياء بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب[3] ﴿يوم لا ينفع الظالمين﴾ المشركين ﴿معذرتهم﴾ .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

---

(١) المؤمنون: ١٠٨.

(٢) سقط من «ر».

(٣) والمفرد: شاهد ويُجمع على شَهْد، مثل صَاحِب وصَحْب، ويُجمع شَهْد على شهود وأشهاد. ينظر: لسان العرب والمعجم الوسيط (شهد).

﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ بعد القرون الأولى .

﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يعني : ما وعده أن يعطيه في الآخرة (ل٣٠٥) ، ويعطي من آمن به ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ وهي صلاة مكة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجّة أتتهم ﴿إن في صدورهم﴾ أي : ليس في صدورهم ﴿إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾ يعني : أملَهم[1] في محمدٍ وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا .

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أي : أشد ، يعني : شدّة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها ؛ أي : فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها ، وتجحدون بالبعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿وما يستوي الأعمى﴾ الكافر عمي عن الهدى ﴿والبصير﴾ المؤمن أبصر الهدى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء﴾ المشرك ﴿قليلاً ما يتذكرون[2]﴾ أي : أقلهم المتذكر ؛ يعني : من يؤمن .

قال محمدٌ : (ولا المسيء) المعنى : والمسيء ، و(لا) زائدة[3].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿لآتية لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالساعة .

---

(١) في « ر » : إمامهم .
(٢) قرأ الكوفيون بالخطاب ﴿تتذكرون﴾ ، وقرأ الباقون بالغيب ﴿يتذكرون﴾ النشر (٣٦٥/٢) .
(٣) ينظر : البيان (٣٣٣/٢) ، الدر المصون (٤٩/٦) .

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم ...﴾ إلى قوله : ﴿داخرين﴾ يعني : صاغرين .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « المسلم من دعائه على إحدى ثلاث : إما أن يعطى مسألته وإما أن يعطى مثلها من الخير ، وإما أن يصرف عنه مثلها من الشر ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل . قالوا : يا رسول الله ، إذًا نكثر . قال : الله أكثر »[1].

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال : « قالوا : يا رسول الله ، كيف يستعجل؟ قال : يقول قد دعوت الله فما أجابني وسألته فما أعطاني الله »[2].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني : تستقروا من النَّصَبِ ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي : مضيئًا ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الهدى؟!

---

(١) لم أقف عليه من مراسيل الحسن .

ورواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ٧١٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠١ رقم ٩٢١٩) وعبد بن حميد (٢٩٢ رقم ٩٣٧) وأبو يعلى (٢٩٦/٢ رقم ١٠١٩) والبزار - كشف الأستار (٤/ ٤١ رقم ٣١٤٤) - والطبراني في الصغير (٩٢/٢) والحاكم (٤٩٣/١) وأبو نعيم في الحلية (٣١١/٦ - ٣١٢) وابن عبد البر في التمهيد (٣٤٣/٥ - ٣٤٥) والبيهقي في الشعب (٤٧/٢ - ٤٨ رقم ١١٢٨ - ١١٣٠) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي .

وقال المنذري في الترغيب (٤٧٨/٢ - ٤٧٩) : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ، انظر الترغيب (١٧٨/٢ - ١٧٩) .

(٢) روى مسلم (٢٠٩٥/٤ رقم ٢٧٣٥) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي » .

﴿كذلك يؤفك﴾ يصرف ﴿الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ .

﴿الله الذي خلق لكم الأرض قرارًا﴾ مثل قوله : ﴿بساطًا﴾[١] و﴿مهادًا﴾[٢] ﴿والسماء بناءً﴾ كقوله : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾[٣].

قال محمد : كل ما ارتفع على الأرض فالعرب تسميه بناء[٤].

﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ أي : جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطير .

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال السُّدي[٥]: يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن ﴿فتبارك الله ﴾ تبارك من البركة .

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ يعني : خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ نسل آدم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ الاحتلام ﴿ثم لتكونوا شيوخًا﴾ يعني : من يبلغ حتى يكون شيخًا ﴿ومنكم من يتوفى﴾ من قبل أن يكون شيخًا ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ الموت ﴿ولعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

---

(١) يريد قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ نوح : ١٩.

(٢) يريد قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾ النبأ : ٦.

(٣) الذاريات : ٤٧.

(٤) والجمع أبنية ، وجمع الجمع : أبنيات . ينظر لسان العرب (بنى) .

(٥) في « ر » : قال الحسن .

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ⁽٧٦⁾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ⁽٧٧⁾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ يعني: يجحدون بآيات الله ﴿أنى يصرفون﴾ كيف يصرفون عنها؟! ﴿فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ تسحبهم الملائكة؛ أي: تجرُّهم على وجوههم ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار.

﴿أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ كقوله: ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾[1] ﴿قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا﴾ ينفعنا ولا يضرنا، قال الله: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ ثم رجع إلى قصَّتهم فقال: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ الفرح والمرح واحد؛ أي: بما كنتم بطرين أشرين ﴿فبئس مثوى﴾ منزل ﴿المتكبرين﴾.

﴿فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك[2] ﴿فإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ⁽٧٨⁾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⁽٧٩⁾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ⁽٨٠⁾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ⁽٨١⁾﴾

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ أي: حتى يأذن الله له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبيَّ ﷺ أن يأتيهم بآية وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلكهم الله.

قال: ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ قضاؤه[3] ﴿قضي بالحق﴾ أي: أهلكهم الله بتكذيبهم ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ [حين جاءهم][4] (ل٣٠٦) العذاب ﴿المبطلون﴾ المشركون.

---

(١) الشعراء: ٩٢ - ٩٣.

(٢) أي: فيكون عذابهم بعد وفاتك.

(٣) في «ر»: العذاب.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ يعني : الإبل والحاجة : السفر ﴿ويريكم آياته﴾ يعني : من السماء والأرض ، والخلائق وما في أنفسكم من الآيات ، وما سخر لكم من شيء ﴿فأي آيات اللّه تنكرون﴾ أنه ليس من خلقه .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يعني : علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذب ﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي : عقاب استهزائهم .

﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عذابنا في الدنيا ﴿قالوا آمنا باللّه وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي : بما كنا به مصدقين من الشرك .

قال اللّه : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿سنة اللّه التي قد خلت في عباده﴾ المشركين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم بالعذاب ، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب ، قال : ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿سُنَّةَ اللّه﴾ منصوبٌ على معنى : سنّ اللّه هذه السنةَ في الأمم كلها ؛ ألاّ ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب .



تفسير (حم السجدة)[١]
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾

قوله: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب فصلت﴾ أي: فُسّرت ﴿آياته﴾ بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون﴾ يؤمنون ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار.

قال محمدٌ: ﴿تنزيل﴾ رفعٌ بالابتداء، وخبره ﴿كتابٌ﴾ وجائز أن يرفع بإضمار هذا تنزيل، و﴿قرآنًا عربيًا﴾ نصْبٌ على الحال[٢].

﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي: عنه ﴿فهم لا يسمعون﴾ الهدى؛ سمع قبول ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة﴾ أي: في غُلُفٍ[٣] ﴿مما تدعونا إليه﴾ يا محمدُ؛ فلا نعقله ﴿وفي آذاننا وقر﴾ صَمَمٌ عنه فلا نسمعه ﴿ومن بيننا وبينك حجابٌ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿فاعمل إننا عاملون﴾؛ أي: اعمل بدينك؛ فإنا عاملون بديننا.

قال الله للنبي: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ﴾ غير أنه يوحى إليّ ﴿أنما إلهكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه﴾ أي: فوحِّدوه ﴿واستغفروه﴾ من الشرك ﴿وويل للمشركين﴾ في النار.

---

(١) في «ر»: «سورة فصلت».
(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٦/٥٥).
(٣) في «ر»: غفلة.

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي: لا يوحّدون الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون﴾ تفسير الحسن: أي لا يمنُّ عليهم منّ أذى.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ يقوله على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم ﴿وتجعلون له أندادًا﴾ أعدالاً تعدلونهم به؛ فتعبدونهم دونه ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ يعني: فوق الأرض، والرواسي: الجبال حتى لا تحرك بكم ﴿وبارك فيها﴾ أي: جعل فيها البركة؛ يعني: الأرزاق ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاقها ﴿في أربعة أيام﴾ في تتمّة أربعة أيام، يعني: خلق الأرض في يومين، وأقواتها في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ يعني: لمن كان سائلاً عن ذلك، وهي تقرأ (في أربعة أيام سواءٍ)[1] أي: مستوياتٍ[2] يعني: الأيام.

قال محمدٌ: من نصب ﴿سواءً﴾[3] فعلى المصدر استوت استواءً[4].

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ **قال محمدٌ**: يعني: عمد لها وقصد ﴿وهي دخانٌ﴾ ملتصقة بالأرض؛ في تفسير الحسن ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ على وجه السخرة والقدرة؛ قال هذا لهما قبل خلقه إياهما ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ يعني: بما فيهما.

---

(١) قرأ بالرفع - أي: رفع ﴿سواء﴾ - أبو جعفر، وقرأ بالجر يعقوب والحسن وزيد بن علي وغيرهم. ينظر البحر (٧/٤٨٦)، الإتحاف (٣٨٠)، جامع القرطبي (١٥/٣٤٣)، النشر (٢/٣٦٦).

(٢) لسان العرب (سوى).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإتحاف (٣٨٠)، النشر (٢/٣٦٦)، البحر (٧/٤٨٦).

(٤) قاله مكي وأبو البقاء العكبري. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٨ - ٢٩)، البحر (٧/٤٨٦)، الدر المصون (٦/٥٧) وفي الأصل: استوت سواء.

قال محمدٌ : ﴿طوعًا أو كرهًا﴾ بمنزلة : أطيعا طاعة ، أو تكرهان كرهًا[١].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فقضاهن﴾ يعني : خلقهن ﴿سبع سمٰوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرها﴾ قال مجاهد : يعني : أمره الذي جعل فيها مما أراد ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يعني : النجوم ﴿وحفظًا﴾ أي : جعلنا النجوم حفظًا للسماء من الشياطين لا يسمعون الوحي ، وذلك بعد بعث محمدٍ ﷺ.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ يعني : المشركين ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود﴾ يعني : العذاب ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي : أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي : يخبروننا أنكم رسل الله ؛ يقوله كل قوم لرسولهم .

قال الله : (ل٣٠٧) ﴿فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منا قوةً﴾ عجبوا من شدتهم ، قال الله : ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ .

﴿فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ يعني : شديدة البرد ؛ وهي الدبور[٢].

قال محمدٌ : الصرصر : الشديدة البرد التي لها صوتٌ ، وهي الصِّرَّة أيضًا[٣].

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢٩/٣) ، مجمع البيان (٦/٥) ، البحر (٤٨٦/٧ - ٤٨٧) ، البيان (٣٣٧/٢) .

(٢) وهي ريح تهبُّ من المغرب ، وتُقابل القَبُولَ ، وتُسمَّى ريحُ القبول : الصَّبا . والجمع : دُبُر ، ودَاباير . لسان العرب (دبر) .

(٣) وقيل (صرصر) أصلها : صَرَّر ؛ من الصِّرِّ ، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل . ينظر لسان العرب (صرر ، وصرصر) .

﴿في أيام نحساتٍ﴾ أي: مشئومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة[١]، كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر.

قال محمدٌ: قراءة نافع (نحْسات) بتسكين الحاء[٢]، وواحدها نَحْسٌ[٣] المعنى: هي نحساتٌ عليهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي: بيّنا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلال ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ من: الهوان[٤] ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة[٥]: لهم وَزَعَةٌ تردُّ أولاهم على أخراهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من: وزعته إذا كففته[٦].

﴿يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ جوارحهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة: أن الجلود كنايةٌ عن الفروج.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) يعني قول الله - تعالى -: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧٠].

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو وابن كثير. ينظر: السبعة (٥٧٦)، البحر (٧/٤٩٠)، التيسير (١٩٣)، النشر (٢/٣٦٦).

(٣) ويجمع (نَحْس) أيضًا على نُحُوس وأَنْحُس. ينظر لسان العرب (نحس).

(٤) يقال: هان فلان يهون هُونًا وهَوَانًا ومَهَانة؛ أي: ذلَّ. ينظر لسان العرب (هون).

(٥) رواه الطبري (٢٤/١٠٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٩٨) لعبد بن حميد.

(٦) يقال: وَزَعَ يَزَعُ وَزْعًا. لسان العرب (وزع).

﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ انقطع ذكر كلامهم ها هنا، قال الله: ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ يقوله للأحياء ﴿وإليه ترجعون﴾.

﴿وما كنتم تستترون﴾ أي: تتقون؛ في تفسير مجاهد[1] ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم﴾ حسبتم ﴿أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ أهلككم ﴿فأصبحتم﴾ يعني: فصرتم ﴿من الخاسرين﴾.

﴿وإن يستعتبوا﴾ أي: يطلبوا إلى الله أن يخرجهم من النار؛ فيردّهم إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: لا يستعتبون.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ يعني: شياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن: ما بين أيديهم، يعني: حب ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل، وما خلفهم: تكذيبهم بالبعث ﴿وحق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم الغضب؛ في تفسير قتادة ﴿في أمم قد خلت من قبلهم﴾ أي: مع أمم.

﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ قال السُّدي: نزلت في أبي جهل بن هشام كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم قراءة محمدٍ؛ فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمدٍ قراءته ﴿لعلكم تغلبون﴾ لعل دينكم يغلب دين محمدٍ.

قال محمدٌ: اللغو في اللغة: الكلام الذي لا يُحصل منه على نفع ولا على فائدة، ولا تفهم حقيقته، يقال منه لغا، وفيه لغةٌ أخرى: لغي[2].

---

(١) رواه الطبري (١٠٨/٢٤).

(٢) يقال: لغا يَلْغُو لَغْوًا، ولَغِيَ يَلْغَى لَغًا بمعنى واحد. لسان العرب (لغو).

﴿وقال الذين كفروا﴾ في النار ﴿ربنا أرنا﴾ يعني : الرؤية ، ومن قرأها (أرْنا) بتسكين الراء[1]، فالمعنى : أعطنا[2] ﴿الَّذَيْن أضلانا من الجن والإنس﴾ يعنون إبليس ، وقاتل ابن آدم الذي قتل أخاه ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ في النار يقولون ذلك من شدة الغيظ عليهم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ مخلصين له ﴿ثم استقاموا﴾ عليها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿ألا تخافوا ...﴾ الآية .

تفسير الحسن : أن قول الملائكة لهم : لا تخافوا ولا تحزنوا ؛ تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي : نحن كنا أولياءكم إذ كنتم في الدنيا ، ونحن أولياؤكم في الآخرة ، قال بعضهم : هم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي : ما تشتهون ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ .

قال محمد : (نُزلاً) منصوبٌ بمعنى أبشروا بالجنة تنزلونها نزلاً[3]، ومعنى نُزلاً : رزقًا[4].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم من رواية أبي بكر عنه . ينظر : السبعة (٥٧٦) النشر (٢/٢٢٢) ، التيسير (١٩٣) وتفسير القرطبي (١٥/٣٥٧) .

(٢) ورد في الكشاف : أرِنا بالكسر للاستبصار ، وبالسكون للاستعطاء ونقله عن الخليل . ينظر الكشاف (٣/٤٥٢) .

(٣) ينظر : البحر (٧/٤٩٧) ، البيان (٢/٣٣٩ - ٣٤٠) ، إعراب القرآن (٣/٣٩) ، مجمع البيان (٥/١٢ - ١٣) .

(٤) وقال الأخفش : هو من نزول الناس بعضهم على بعض ، يقال : ما وجدنا عندكم نزلاً . لسان العرب ، مختار الصحاح (نزل) .

﴿ومن أحسن قولاً ...﴾ الآية ، وهذا على الاستفهام ؛ أي : لا أحد أحسن قولاً منه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ الحسنة في هذا الموضع العفو والصفح ، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء .

قال محمدٌ : المعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة و(لا) زائدة[1].

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (ل٣٠٨) يقول : ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ، كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمروا بقتالهم .

يحيى : عن فِطْرٍ ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : « قلت : يا رسول اللّه ، إن لي جارًا وإنه يسيء مجاورتي ؛ أفأفعل به كما يفعل بي؟ قال : لا ، إن اليد العليا خير من اليد السُّفلى »[2].

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي : قريب قرابته ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ فيقول : لا يعفو العفو الذي يقبله اللّه إلا أهل الجنة ، وهي الحظ العظيم ﴿وإما ينزغنك من

---

(١) ينظر : تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/٦٧) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٦١٧) من طريق فطر بن خليفة عن أبي إسحاق بنحوه .
وروى الإمام أحمد (٣/٤٧٣) والترمذي (٤/٣٢٤ رقم ٢٠٠٦) والطيالسي (١٨٤ رقم ١٣٠٤) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٤٦٢ رقم ١٤٦٢) وابن حبان (١٢/٢٣٤ رقم ٥٤١٦) والحاكم (٤/١٨١) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٧٦ رقم ٦٠٦، ١٩/ ٢٧٧ رقم ٦٠٨، ١٩/ ٢٧٨ رقم ٦١٠، ١٩/٢٧٩ رقم ٦١٣، ١٩/٢٨١ رقم ٦١٨، ١٩/٢٨٢ رقم ٦٢١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٤٥٩ رقم ٦٠٠١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠) وفي الشعب (٦/٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٨٠٧٥) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : « قلت : يا رسول اللّه ، أرأيت رجلاً نزلت به فلم يكرمني ولم يقرني ، ثم نزل بي ، أجزيه بما صنع أم أقريه؟ قال : اقره » .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وروى الإمام أحمد (٣/٤٧٣) وأبو داود (٢/٣٦٨ رقم ١٦٤٦) وابن خزيمة في صحيحه (٤/٩٧ - ٩٨ رقم ٢٤٤) وفي التوحيد (١/١٥٨ رقم ٨٨) وابن حبان (٥/١٠٥ رقم ٣٣٦٢) والحاكم (١/٤٠٨) والبيهقي (٤/١٩٨) وغيرهم من طريق أبي الزعراء ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « الأيدي ثلاثة : فيد اللّه العليا ، ويد المعطي التي تليها ، ويد السائل السفلى ؛ فأعط الفضل ، ولا تعجز عن نفسك » .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

الشيطان نزغٌ﴾ قال قتادة: النزغ: الغضب[١].

﴿ومن آياته﴾ من علامات توحيده ﴿الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ خلق آياته ﴿فإن استكبروا﴾ يعني: المشركين عن السجود لله ﴿فالذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ أي: يملُّون.

قال (مجاهدٌ)[٢]: سألت ابن عباس عن السَّجْدة في «حم» فقال: اسجدوا بالآخرة من الآيتين. قال ابن عباس: وليس في المفصَّل سجود.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ يعني: غبراء متهشمة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ يعني: انتفخت [فيها تقديم ﴿ربت﴾][٣] للنَّبات ﴿واهتزت﴾ بنباتها إذا أنبتت ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ وهذا مثلٌ للبعث ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ قال الكلبي: يعني: يميلون إلى غير الحق.

قال محمدٌ: معنى يلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، وهو مذهب الكلبي، ومن هذا اللحد؛ لأنه الحفر في جانب القبر، يقال: لحد وألحد [بمعنى][٤] واحدٍ[٥].

﴿أفمن يلقى في النار خيرٌ أمّن يأتي آمنًا يوم القيامة﴾ أي إن الذي يأتي آمنًا خيرٌ ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ يعني: القرآن.

---

(١) وقيل: نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي، يعني: يُلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه. لسان العرب (نزغ).

(٢) في «ر»: محمد. وهو خطأ. وانظر الدر المنثور (٥/٤٠٢).

(٣) من «ر».

(٤) في الأصل: في معنى.

(٥) ينظر لسان العرب (لحد).

﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾ أي : منيع ﴿لا يأتيه الباطل﴾ يعني : إبليس ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ تفسير الكلبي لا يأتيه من بين يديه يعني : من قبل التوراة ، ولا من قبل الإنجيل ولا الزبور ، ليس منها شيء يكذب بالقرآن ولا يبطله ، ﴿ولا من خلفه﴾ لا يأتيه من بعده كتابٌ يبطله ﴿تنزيل من حكيم﴾ في أمره ﴿حميد﴾ استحمد إلى خلقه ؛ أي : استوجب عليهم أن يحمدوه .

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني : ما قال لهم قومهم من الأذى ، كانوا يقولون للرسول : إنك مجنونٌ ، وإنك ساحرٌ ، وإنك كاذبٌ ﴿إن ربك لذو مغفرةٍ﴾ لمن آمن ﴿وذو عقاب﴾ لمن لم يؤمن .

﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا﴾ هلا ﴿فصلت آياته﴾ أي : بُيِّنت ﴿أعجمي وعربي﴾ أي : بالعجمية والعربية على مقرإ من قرأها بغير استفهام ومن قرأها على الاستفهام مدّها ﴿آأعجمي وعربي﴾[1] أي : لقالوا : كتاب أعجمي (ونبي)[2] عربي يحتجون بذلك ؛ أي : كيف يكون هذا؟!

قال محمدٌ : من قرأها بلا مدٍّ فالمعنى : جعل بعضه بيانًا للعجم ، وبعضه بيانًا للعرب[3].

قال الله : ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ﴾ لصدورهم يشفيهم مما كانوا فيه من الشك والشرك ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ أي : صممٌ عن الإيمان ﴿وهو عليهم عمى﴾ [يزدادون

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿ءَأعجمي﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ، وأبو عمرو ﴿آعجمي﴾ وقرأ ابن عامر ﴿أعجمي﴾ . ينظر : البحر (٧/٥٠٢) ، السبعة (٥٧٧) ، التيسير (١٩٣) ، الإتحاف (٣٨١) .

(٢) في « ر » : ولسان .

(٣) ينظر : تفصيل هذه القراءة وتوجيهها في الدر المصون (٦/٦٩ - ٧٠) .

عمّى][(١)] إلى عماهم إذ لم يؤمنوا ﴿أولئك ينادون﴾ بالإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ تفسير بعضهم [بعيد من][(٢)] قلوبهم .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ عمل به قوم ، وكفر به قوم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا ، فأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النارَ ، وهذا تفسير الحسن ﴿وإنهم لفي شكٍ منه﴾ من العذاب ﴿مريب﴾ من الريبة .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها﴾ تفسير الحسن هذا في النخل خاصة حين (ل٣٠٩) يطلع لا يعلم أحدٌ كيف يخرجه الله ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (يقول : لا يعلم وقت قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع ؛ إلا هو لا إله إلا هو)[(٣)].

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة « وما يخرج » بالياء ؛ لأن ما ذكر مذكر ، المعنى : والذي يخرج[(٤)].

قوله : ﴿من أكمامها﴾ يعني : المواضع التي كانت فيه مستترة ، وغلاف كل شيء كُمُّه ، ومن هذا قيل : كم القميص[(٥)].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) مطموس في الأصل.

(٣) سقط من « ر ».

(٤) هكذا في الأصل ، ولم أجد هذه القراءة ، أما قراءة العامة فهي على وما (تخرج) بالتاء وينظر البحر (٧/٥٠٤) ، مجمع البيان (٥/١٨) ، إعراب القرآن (٣/٤٦) .

(٥) ويجمع على : أكمام وكِمَمَة . لسان العرب (كمم) ، وقيل : الكم بكسر الكاف : ما يغطي الثمرة ، بضم الكاف : ما يغطي اليد من القميص . كذا ضبط الزمخشري والراغب . ينظر الدر المصون (٦/٧١) .

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني : المشركين ﴿أين شركائي الذين زعمتم﴾ أنهم شركائي ﴿قالوا آذنّاك﴾ سمعناك ﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد اليوم أن معك آلهة . قال اللّه : ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ في الدنيا ؛ ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون ، فلن تستجيب لهم .

قال محمدٌ : (آذناك) حقيقته في اللغة : أعلمناك[1].

﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من ملجأ .

﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أي : لا يملُّ ﴿وإن مسّه الشر فيئوسٌ قنوط﴾ فالخير عند المشرك : الدنيا والصحة فيها والرخاء ﴿وإن مسّهُ الشرُ﴾ في ذهاب مالٍ ، أو مرضٍ لم تكن له حِسْبة[2]، ولم يرجُ ثوابًا في الآخرة ، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء ﴿ولئن أذقناه رحمة﴾ يعني : رخاء وعافية ﴿من بعد ضراء﴾ أي : شدّة ﴿مسته﴾ في ذهاب مالٍ ، أو مرض ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي : بعلمي ، وأنا محقوق بهذا! ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي : ليست بقائمة ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ كما يقولون ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ للجنة ؛ إن كانت جنة .

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ أي : تباعد ﴿وإذا مسّه الشر﴾ الضُر ﴿فذو دعاءٍ عريض﴾ أي : كبير .

﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللّه﴾ يعني : القرآن ﴿ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق﴾ في فراقٍ للنبي وما جاء به ﴿بعيدٌ﴾ من الحق ، أي : لا أحد أضل منه .

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن : يعني : ما أهلك به الأمم السّالفة في البلدان ، فقد رأوا آثار ذلك ﴿وفي أنفسهم﴾ أخبر بأنهم تصيبهم البلايا ، فكان ذلك كما قال

---

(١) ومنه : أذان المؤذّن الصلاة ؛ أي نادى بها وأعلم ، وأيضًا أذّن بالصلاة ، بتشديد الذال . لسان العرب (أذن) .

(٢) في « ر » : حسنةٌ .

فأظهره الله عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم به.

قال يحيى: يعني: من الجوع بمكة، والسيف يوم بدر.

﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعني: القرآن ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيد﴾ أي: شاهدٌ على كفرهم وأعمالهم، أي: بلى كفى به شهيدًا عليهم.

قال محمدٌ: المعنى: أو لم يكف [بربك][1].

﴿ألا إنهم في مرية﴾ في شكٍّ ﴿من لقاء ربهم﴾ يقولون: لا نبعث ولا نلقى الله ﴿ألا إنه بكل شيءٍ محيط﴾ أحاط علمه بكل شيءٍ.



(١) من «ر»، ولعل المراد: أو لم يكفك ربُّك، والباء مزيدة في الفاعل. ينظر أصل هذا المعنى من الدر المصون (٦/٧١).

تفسير سورة «حم عسق»[1]
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ② كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ③ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ④ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ⑥﴾

قوله : ﴿حم عسق﴾ قد مضى القول في حروف المعجم ﴿كذلك يوحي إليك﴾ أي : هكذا يوحي إليك ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ من الأنبياء ﴿الله العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يكاد[2] السموات يتفطرن﴾ أي : يتشققن ﴿من فوقهن﴾ يعني : من مخافة من فوقهن ، وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ﴿ينفطرن من فوقهن﴾[3].

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي : من المؤمنين .

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني : آلهة يعبدونها من دون الله ﴿الله حفيظٌ عليهم﴾ أي : يحفظُ عليهم أعمالهم ؛ حتى يجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ

---

(١) سورة الشورى .

(٢) في الأصل و «ر» ﴿يكاد﴾ بالياء، وهي قراءة نافع والكسائي . ينظر : السبعة (٥٨٠) ، النشر (٢/٣١٩) ، التيسير (١٥٠) ، جامع القرطبي (١٦/٤) .

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم من رواية أبي بكر عنه . ولم أر من نسبها إلى ابن عباس إلا المصنِّف . ينظر : الإتحاف (٣٨٢ - ٣٨٣) ، التيسير (١٩٤) ، الحجة لابن خالويه (٢٣٩ ، ٣١٨) ، السبعة (٥٨٠) ، النشر (٢/٣١٩) .

فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿لتنذر أم القرى﴾ مكَّة منها دُحِيتِ الأرضُ ﴿ومن حولها﴾ يعني : الآفاق كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة ؛ يجتمع فيه الخلائق : أهل السموات ، وأهل الأرض ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ يعني : في دينه ؛ وهو الإسلام ﴿والظالمون﴾ المشركون ﴿ما لهم من ولي﴾ يمنعهم (ل ٣١٠) من عذاب الله .

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي : قد فعلوا ﴿فالله هو الولي﴾ يعني : الرب دون الأوثان ﴿وهو يحيي الموتى﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى .

﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ يعني : ما اختلفتم[١] فيه من الكفر والإيمان ﴿فحكمه إلى الله﴾ فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين النار ﴿ذلكم الله ربي﴾ يقول للنبي ﷺ قل لهم : ذلكم الله ربي .

قال محمدٌ : ذكر ابنُ مجاهد أن الياء ثابتة في ﴿ربي﴾ لأنها إضافة قال : ولمْ يختلف القراءُ في ثبوتها[٢].

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

---

(١) في « ر » : ما اختلفوا .

(٢) أي : لأنها مضافة إلى ياء المتكلم ، وهي قراءة العامة . ينظر : إعراب القرآن (٣/٥١) ، البيان (٢/٣٤٥) ، البحر (٧/٥٠٩) ، التبيان (١١٣١) .

﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني : النساء .

﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ ذكرًا وأنثى ، الواحد منها زوجٌ[١].

﴿يذرؤكم فيه﴾ أي : يخلقكم فيه نسلاً بعد نَسْل ﴿ليس كمثله شيءٌ﴾ .

قال محمدٌ : هذه الكاف مؤكدة ؛ المعنى : ليس مِثْلَه شيءٌ[٢].

﴿له مقاليد﴾ مفاتيح ؛ في تفسير قتادة .

﴿شرع لكم﴾[٣] أي : فرض ؛ في تفسير الحسن ﴿من الدين ما وصى به﴾ ما أمر به ﴿نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به﴾ أمرنا به ﴿إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين﴾ يعني : الإسلام .

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من عبادة الله وترك عبادة الأوثان . ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي : يختار لنفسه ؛ يعني : الأنبياء ﴿ويهدي إليه﴾ إلى دينه ﴿من ينيب﴾ من يخلص له .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿وما تفرقوا﴾ يعني : أهل الكتاب ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ أي : حسدًا فيما بينهم ، أرادوا الدنيا ورخاءها ؛ فغيّروا كتابهم ، فأحلوا فيه ما شاءوا وحرموا ما شاءوا ، فترأسوا على الناس يستأكلونهم ؛ فاتبعوهم على ذلك .

قال محمدٌ : قوله : ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ المعنى إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة ، ولكنهم فعلوا ذلك بغيًا ؛ أي : للبغي .

---

(١) الزوج في اللغة : كل واحد معه آخر من جنسه والجمع : أزواج ، وزوَجة . لسان العرب ، المعجم الوسيط (زوج) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٥٢/٣) ، البحر (٥١٠/٧) ، مجمع البيان (٢٤/٥) ، البيان (٣٤٥/٢) .

(٣) إلى هنا انتهت المقابلة على نسخة المتحف البريطاني ٥ ر ١٥ حيث لم نعثر على بقية النسخة .

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك إلى أجلٍ مسمى﴾ يعني : القيامة أُخروا إليها ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا ؛ فأَدْخَلَ المؤمنين الجنة ، وأدخل الكافرين النار ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني : اليهود والنصارى من بعد أوائلهم ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريبٌ﴾ من الريبة ﴿فلذلك﴾ لما شكوا فيه وارتابوا من الإسلام والقرآن ﴿فادع واستقم كما أمرت﴾ على الإسلام .

﴿وأُمرت لأعدل بينكم﴾ أي : لا نظلم منكم أحدًا ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ تفسير مجاهد[1]: لا خصومة بيننا وبينكم في الدنيا ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿وإليه المصير﴾ المرجع ؛ نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم .

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿والذين يحاجون في الله﴾ يعني : المشركين ؛ يحاجون المؤمنين ﴿من بعد ما استجيب له﴾ يعني : من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿حجتهم﴾ خصومتهم ﴿داحضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم﴾ قال مجاهد[2]: طَمِع رجالٌ بأن تعُود الجاهلية .

﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق والميزان﴾ يعني : العدل ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ .

قال محمدٌ : ﴿قريب﴾ يجوز أن يكون على معنى : لعل مجيءَ الساعة قريبٌ ، وقد يكون بمعنى : لعل البعث قريب[3]. والله أعلم بما أراد .

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استهزاءً وتكذيبًا ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي :

---

(١) رواه الطبري (١٨/٢٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢) رواه الطبري (١٩/٢٥) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٣) وقيل : ذكَّر ﴿قريب﴾ في معنى الوقت ، وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٧٩/٦) ، البحر المحيط (٥١٣/٧ - ٥١٤) .

خائفون ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يكذبون بها ﴿لفي ضلالٍ بعيد﴾ من الحق.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿الله لطيفٌ بعباده﴾ أي: فبلطفه ورحمته خُلِقَ الكافر ورُزق وعوفي وأقبل وأدبر.

﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ يعني: العمل الصالح ﴿نزد له في حرثه﴾ وهو تضعيف الحسنات؛ في تفسير الحسن ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة﴾ يعني: في الجنة ﴿من نصيب﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا وقوله: ﴿نؤته منها﴾ يعني: من الدنيا وليس كل ما أراد من الدنيا، لا (...)[1] يؤتى، كقوله: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾[2].

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ هذا على (ل ٣١١) الاستفهام - أي: نعم لهم شركاء؛ يعني: الشياطين - جعلوهم شركاء فعبدوهم؛ لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ لا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿لقضي بينهم﴾ فأدخل المؤمنين الجنة، وأدخل المشركين النار ﴿ترى الظالمين﴾ المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿وهو واقع بهم﴾ أي: الذي خافوا منه - من عذاب الله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الإسراء: ١٨.

يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات .

﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودَّة في القربى﴾ تفسير الحسن[1] قال : إلا أن يتقربوا إلى الله بالعمل الصالح .

قال يحيى : كقوله : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾[2] بطاعته .

﴿ومن يقترف﴾ أي : يعمل ﴿حسنة نزد له فيها حسنًا﴾ يعني : تضعيف الحسنات ﴿إن الله غفورٌ﴾ للذنب ﴿شكور﴾ للعمل ﴿أم يقولون افترى﴾ محمدٌ ﴿على الله كذبًا﴾ أي : قد قالوه ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها ، هذا على القدرة ؛ ولا ينتزع منه النبوة ﴿ويمح الله الباطل﴾ فلا يجعل لأهله في عاقبته خيرًا ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ فينصر النبي والمؤمنين .

قال محمدٌ : ﴿ويمحوا﴾ الوقوف عليها بواو وألف ، المعنى : والله يمحو الباطل على كل حالٍ ، وكُتبت في المصحف بغير واو ؛ لأن الواو تسقط في اللفظ ؛ لالتقاء الساكنين على الوصل ، ولفظ الواو ثابت[3].

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا تابوا .

﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي : يستجيبون لربهم يؤمنون به ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني : تضعيف الحسنات .

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/١٩١) والطبري (٢٥/ ٢٥، ٢٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/٩) لعبد بن حميد .

(٢) الفرقان : ٥٧.

(٣) وقرأ بالوقف على ﴿يمح﴾ بالواو : يعقوب ، وقنبل وابن شنبوذ . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣٨٣) .

بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو بسط الله الرزق ...﴾ الآية .

يحيى : عن الخليل بن مُرّة أن عليًا قال : « إن هذا الرزق يتنزّل من السماء كقَطْر المطر إلى كل نفسٍ بما كتب الله لها » .

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يئسوا ﴿وينشر رحمته﴾ وهو المطر ﴿وهو الولي الحميد﴾ الرب المستحمد إلى خلقه ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ يعني : أنه يجمعهم[1] يوم القيامة ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فبما عملت أيديكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ .

قال محمدٌ : قرأ يحيى ﴿فبما﴾ وأهل المدينة يقرءون ﴿بما﴾ بغير فاء[2].

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ يقوله للمشركين ما أنتم بسابقي الله حتى لا يبعثكم ثم يعذبكم ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ولا نصير﴾ ينتصر لكم .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) أي : أن (على) في الآية بمعنى اللام .

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿بما﴾ ، وقرأ الباقون ﴿فبما﴾ .

ينظر : السبعة (٥٨١) ، البحر (٥١٨/٧) ، التيسير (١٩٥) ، النشر (٣٦٧/٢) .

﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال .

قال محمدٌ : ذكر ابن مجاهد أن نافعًا قرأ ﴿الجواري﴾ بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف[1].

﴿إن يشأ يسكن الرياح[2] فيظللن﴾ يعني : السفن ﴿رواكد﴾ سواكن ﴿على ظهره﴾ على ظهر البحر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لكل صبَّارٍ شكور﴾ أي : لكل مؤمن ﴿أو يوبقهُنَّ﴾ يغرقْهُن ؛ يعني : السفن ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ؛ يعني : أهل السفن .

﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ يجحدونها ﴿ما لهم من محيصٍ﴾ أي : ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله .

قال محمدٌ : يقال : حاص عن الشيء ؛ أي : تنحَّى عنه[3]، وتقرأ : ﴿ويعلمُ﴾ برفع الميم ، وتقرأ بالنصْب ، وقراءة نافع بالرفع[4].

﴿فما أوتيتم من شيءٍ﴾ يعني : المشركين ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ ينفد ويذهب ﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ يعني : الجنة .

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ أي : ويجتنبون الفواحش ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يعني : يغفرون للمشركين ، وهو منسوخ نسخه القتال ، وصار ذلك العفو بين المؤمنين .

﴿والذين استجابوا لربِّهم﴾ أي : آمنوا ﴿وأقاموا الصلاة﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة ، وركعتين عشيَّةً قبل أن تفرض الصلوات الخمس ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ تفسير الحسن أي : يتشاورون في (...)[5] ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ولم يكن يومئذٍ شيء مؤقتًا .

(ل٣١٢) ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إذا بغى عليهم المشركون فظلموهم ﴿هم ينتصرون﴾ بألسنتهم لم يكونوا أُمروا بقتالهم يومئذٍ .

---

(١) قرأ ﴿الجواري﴾ وَصْلاً - نافع وأبو عمرو ، وقرأها (الجواري) وصلاً ووقفًا نافع وابن كثير وأبو عمرو .
ينظر : البحر (٥٢٠/٧) ، التيسير (١٩٥) ، النشر (٣٦٨/٢) ، السبعة (٥٨١) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرياح﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾ بالإفراد . النشر (٢٢٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٢) .

(٣) يقال : حاص يَحِيص حَيْصًا وحَيَصَانًا ومَحِيصًا . لسان العرب (حيص) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . ينظر : البحر (٥٢١/٧) ، السبعة (٥٨١) ، النشر (٣٦٧/٢) .

(٥) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ يعني: ما يسيء إليهم المشركون أن يفعلوا بهم ما يفعلون هم.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فالأولى سيئة في اللفظ والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ وعاملها ليس بمسيء ولكنها سميت سيئة؛ لأنها مجازاة لسوءٍ على مذهب العرب في تسمية الشيء باسْم الشيء إذا كان من سببه[1].

﴿فمن عفا وأصلح﴾ يقول: فمن ترك مظلمته ﴿فأجره﴾ ثوابه ﴿على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ المشركين ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ بعد ما ظُلِمَ ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي: من حجَّةٍ.

﴿إنما السبيل﴾ الحجة ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ يعني: بكفرهم وتكذيبهم ﴿أولئك لهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وهذا كله منسوخٌ فيما بينهم وبين المشركين نسخه القتال.

﴿فما له من ولي من بعده﴾ من بعد الله يمنعهم من عذاب الله ﴿وترى الظالمين﴾ المشركين ﴿لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد﴾ إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ فنؤمن.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا

---

(١) وهو ما يعرف بالمُشَاكلة، وهو مبحثٌ من مباحث علم البديع، حيث يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحْبته، كقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ التوبة: ٦٧. وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ آل عمران: ٥٤.

ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ينظرون من طرف خفي﴾ أي : يسارقون النظر ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها ؛ فصاروا في النار ، وخسروا أهليهم من الحور العين ، وقد فسرناه في سورة الزمر[1] ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ إلى الهدى ﴿استجيبوا لربكم﴾ أي : آمنوا ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مرد له﴾ يوم القيامة ، أي : لا يرده أحدٌ بعد ما حكم الله به وجعله أجلاً ووقتًا .

﴿وما لكم من نكير﴾ أي : نصير ﴿فإن أعرضوا﴾ أي : لم يؤمنوا .

﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم ؛ حتى تجازيهم بها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وليس عليك أن تكرههم وقد أمروا بقتالهم بعد .

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾ يعني : المشرك ﴿منا رحمة﴾ وهذه رحمة الدنيا ، وما فيها من الرخاء والعافية ﴿فرح بها﴾ كقوله : ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾[2] لا يقرون بالآخرة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من ذهاب مالٍ ، أو مرضٍ ﴿بما قدمت﴾ عملت ﴿أيديهم فإن الإنسان كفورٌ﴾ يعني : المشرك ليس له صبرٌ على المصيبة ولا حسبة ؛ لأنه لا يرجو ثواب الآخرة .

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يهب لمن يشاء إناثًا﴾ يعني : الجواري ﴿ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم﴾ يعني : يخلط بينهم .

قال محمدٌ : المعنى : يجعل بعضهم ذكورًا وبعضهم إناثًا ؛ تقول العرب : زوجت إبلي إذا قرنت

---

(١) عند قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الزمر : ١٥.

(٢) الرعد : ٢٦.

بعضها إلى بعض ، وزوِّجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيرًا بصغير[١] وهو الذي أراد مجاهد .

﴿وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وَحْيًا أو من وراء حجاب﴾ فكان موسى ممّن كلمه الله وراء حجاب ﴿أو يرسل رسولاً﴾ جبريل ﴿فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ .

قال محمدٌ : قيل ﴿إلا وحيًا﴾ يعني : إلهامًا ، وتقرأ ﴿أو يرسلُ﴾ بالرفع والنصب ؛ فمن قرأها بالنصب فالمعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو أن يرسل ، ومن قرأ بالرفع فالمعنى : أو هو يرسلُ[٢].

﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا﴾ يعني : القرآن ﴿من أمرنا﴾ .

قال محمدٌ : معنى ﴿روحًا﴾ أي : ما يهتدي به الخلْق ؛ فيكون حياة [من الضلال][٣].

﴿ما كنت تدري﴾ قبل أن نوحيه إليك ﴿ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه﴾ يعني : القرآن ﴿نورًا﴾ أي : ضياء من الظُّلْمة ﴿وإنك لتهدي﴾ لتدعو ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم صراط الله﴾ طريق الله ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ يعني : أمور الخلائق .



(١) لسان العرب (زوج) .

(٢) قرأ بالرفع نافع وابن عامر ، وقرأ الباقون بالنصب . ينظر : البحر (٥٢٧/٧) ، السبعة (٥٨٢) ، النشر (٣٦٨/٢) ، التيسير (١٩٥) .

(٣) غير واضحة في حاشية الأصل ، ولعلها كما أثبتها .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تفسير سورة الزخرف وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾

قوله : ﴿حم والكتاب المبين﴾ البيِّن وهذا قسمٌ ﴿إنا جعلناه﴾ يعني : القرآن ﴿قرآنًا عربيًّا لعلَّكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ﴿وإنه﴾ يعني : القرآن ﴿في أم الكتاب لدينا﴾ عندنا ﴿لعليٌّ﴾ رفيعٌ ﴿حكيم﴾ محكم ، و﴿أم الكتاب﴾ : (ل٣١٣) اللوح المحفوظ ، وتفسير أم الكتاب : جملة الكتاب وأصله .

قال محمدٌ : ومعنى ﴿جعلناه﴾ بيَّناه ، كذلك قال غير يحيى .

﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ يعني : القرآن ﴿صفحًا﴾ تفسير الكلبي يقول : أَنَذَرُ[1] الذِّكْرَ من أجلكم؟! ﴿أن كنتم قومًا مسرفين﴾ مشركين أي : لا نَذَرُه .

قال محمدٌ : تقرأ ﴿أن كنتم﴾ بالفتح وبالكسر ، فمن فتح فالمعنى : لأن كنتم ومن كسر فعلى الاستقبال ؛ المعنى : إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر[2].

ويقال : ضربْتُ عنه الذكر وأضْربتُ بمعنى واحد إذا أمسكت[3]. وقوله : ﴿صفحًا﴾ أي : إعراضًا يقال : صفحت عن فلانٍ أي : أعرضت عنه ، والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك[4].

---

(١) أي : أنترك . لسان العرب (وذر) .

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي بالكسر ، وقرأ الباقون بالفتح . ينظر : السبعة (٥٨٤) ، البحر (٦/٨) ، التيسير (١٩٥) ، النشر (٣٦٨/٢) .

(٣) لسان العرب (ضرب ، صفح) .

(٤) يقال : صَفَحَ عنه يَصْفَحُ صَفْحًا : أعرض . وصفحة العنق : جانبه . لسان العرب (صفح) .

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ أي : كثيرًا ﴿فأهلكنا أشدّ منهم بطشًا﴾ يعني : أشدّ من مشركي العرب قوة ﴿ومضى مثل الأولين﴾ يعني : وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني : المشركين ﴿من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ثم قال : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهادًا[1]﴾ أي : بساطًا وفراشًا ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ طرقًا ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق .

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾

﴿والذي نزّل من السماء ماءً بقدر﴾ .

يحيى : عن عاصم بن حكيم ، عن سليمان التيمي ، عن الحسن بن مسلم ، عن ابن عباس قال : « ما عامٌ بأكثر مطرًا من عام - أو قال : ماءً - ولكن الله يصرفه حيث يشاء »[2].

---

(١) قرأ الكوفيون ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف ، وقرأ الباقون ﴿مِهَادًا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء والألف بعدها . النشر (٢/٣٢٠) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠٦ رقم ١٥٢٤٧) والطبري في تفسيره (١٩/٢٢) وابن أبي الدنيا في المطر (٦٧ - ٦٨ رقم ٢٤ ، ١٠١ رقم ٧٥) والحاكم (٢/٤٠٣) والبيهقي (٣/٣٦٣) من طرق عن سليمان التيمي ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
قلت : زادوا في الإسناد : « سعيد بن جبير » والحسن بن مسلم هو ابن يناق المكي يروي عن سعيد بن جبير ونحوه ، ولم يذكر له المزي في التهذيب (٦/٣٢٥) رواية عن ابن عباس ، والله أعلم .

﴿فأنشرنا به﴾ يعني : فأحيينا به ﴿بلدة ميتًا﴾ اليابسة التي ليس فيها نبات ﴿كذلك تخرجون﴾ يعني : البعث يرسل اللَّه مطرًا منيًا ؛ كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم ؛ كما ينبت الأرض الثرى ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ تفسير الحسن : يعني : الشتاء والصّيف ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، وكل اثنين ، فالواحد منهما زوج .

قال محمدٌ : وقيل : معنى الأزواج : الأصناف ، تقول : عندي من كل زوجٍ أي : من كل صنف .

﴿وجعل لكم﴾ أي : خلق لكم ﴿من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره﴾ ظهور ما سخر لكم ؛ أي : تركبوه .

﴿وما كنا له مقرنين﴾ يعني : مطيقين ، قال : تقول : أنا مقرنٌ لك ؛ أي مطيقٌ لك ؛ وقيل : إن اشتقاق اللفظة من قولهم : أنا قِرْنٌ لفلان إذا كنت مثله في الشدة ، فإذا أردت السنّ قلت : قَرْنُه بفتح القاف[١].

قال قتادة : قد بيَّن اللَّه لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر ، وما تقولون إذا ركبتم في البحر ؛ إذا ركبتم في البر قلتم : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ وإذا ركبتم في البحر قلتم : ﴿بسم اللَّه مجراها ومرساها ...﴾[٢] الآية .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن أيوب بن موسى ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة « أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول : إذا ركب راحلته : بسم اللَّه اللّهم ازْوِ لنا[٣] الأرض وهَوِّن علينا السّفَر ، اللَّهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل ، اللَّهم إنا نعوذُ بك من وَعْثاء السفر[٤] وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال »[٥].

---

(١) ينظر لسان العرب (قرن) .

(٢) هود : ٤١ .

(٣) أي : اقبض واجمع . لسان العرب (زوى) .

(٤) أي : شدته ومشقته ، وأصله من الوَعْث ، وهو الرمل ، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق ، يقال : رملٌ أوْعث ، ورملة وعثاء . النهاية (٥/٢٠٦) .

(٥) رواه الإمام أحمد (٢/٤٣٣) وأبو داود (٣/٢٥٥ رقم ٢٥٩١) والنسائي في الكبرى (٦/١٢٨رقم ١٠٣٣٤)=

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وجعلوا له﴾ يعني : المشركين ﴿من عباده جزءًا﴾ قال مجاهد[١]: يعني : الملائكة حيث جعلوهم بنات الله ﴿إن الإنسان لكفورٌ مبين﴾ يعني : الكافر ﴿أم اتخذ مما يخلق بناتٍ﴾ على الاستفهام ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أي : لمْ يفعل ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ أي : بالأنثى لما كانوا يقولون أن الملائكة بنات الله ؛ فألحقوا البنات به ، فيقتلون بناتهم ﴿ظل وجهه مسودًا﴾ أي : مغيَّرًا ﴿وهو كظيم﴾ يعني : كُظِم على الغيظ والحزن ، أي : رضوا لله ما كرهوا لأنفسهم .

قال محمدٌ : الكظم أصله في اللغة : الحَبْسُ[٢].

= والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٨) والبيهقي في الدعوات الكبير (١٦٨/٢ رقم ٣٩٩) وابن عبد البر في التمهيد (٣٥٦/٢٤ - ٣٥٧) من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ بنحوه ، ليس فيه « بسم الله » .

ورواه الإمام أحمد (٤٠١/٢) والترمذي (٤٦٣/٥ رقم ٣٤٣٨) والنسائي (٢٧٣/٨ - ٢٧٤ رقم ٥٥١٦) والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٣٥ رقم ٤٩٨) والحاكم (٩٩/٢) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٥٤) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

وذكره الإمام مالك في الموطأ (٧٤٤/٢ رقم ٣٤) بلاغًا عن النبي ﷺ مثل حديث الكتاب .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٢/٢٤) : وهذا يستند من وجوه صحاح من حديث عبد الله ابن سرجس ، ومن حديث أبي هريرة ، وحديث ابن عمر ، وغيرهم . اهـ .

قلت : رواه مسلم (٩٧٨/٢ رقم ١٣٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه .

ورواه مسلم (٩٧٩/٢ رقم ١٣٤٣) عن عبد الله بن سرجس ﷺ بنحوه .

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٧/٦) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) لسان العرب (كظم) .

﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ يقول: أتتخذ من ينشأ في الحلي - يعني: النساء - بنات؟! ﴿وهو في الخصام﴾ الخصومة.

﴿غير مبين﴾ أي: لا تبين عن نفسها من ضعفها (ل٣١٤) ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أي: لم يفعل ﴿وجعلوا الملائكة﴾ قال السدي: يعني: وصفوا.

قال محمدٌ: الجعل ها هنا في معنى القول، والحكم تقول: جعلت فلانًا أعلم الناس؛ أي: قد وصفته بذلك وحكمت به[1].

﴿الذين هم عند[2] الرحمن إناثًا﴾، كقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾[3] وقرأ ابن عباس: ﴿الذين هم عباد الرحمن﴾ كقوله سبحانه: ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾[4] ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي: أنهم لم يشهدوا خلقهم ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ عنها يوم القيامة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي: لو كره الله هذا الدين الذي نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره، ولكنَّ الله لم يكرهه. قال الله: ﴿ما لهم به من علم﴾ بأني أمرت أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظن.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أم آتيناهم كتابًا من قبله﴾ من قبل القرآن فيه ما يدّعون من قولهم أن الملائكة بنات الله [وقولهم][5]: لو كره الله ما نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره ﴿فهم﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ يحاجوننا به أي: لم نؤتهم كتابًا فيه ما يقولون ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة، وهي ملة

---

(١) ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (جعل).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿عند﴾ بنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وقرأ الباقون ﴿عباد﴾ بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عبد. النشر (٣٦٨/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٤).

(٣) الأنبياء: ١٩.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) في الأصل: وقوله.

الشرك ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أي : أنهم كانوا على هدى ونحن نتبعهم على ذلك الهدى ، قال الله : ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ نبي ينذرهم العذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ وهم أهل السُّمعة[١] والقادة في الشرك ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي : أنهم كانوا مهتدين فنحن نقتدي بهداهم .

﴿قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قال الله للنبي ﷺ: ﴿قل[٢] أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ ثم رجع إلى قصة الأمم ، فأخبر بما قالوا لأنبيائهم ﴿قالوا﴾ لهم : ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ المعنى : أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه؟!

﴿فانتقمنا منهم﴾ يعني : الذين كذبوا رسلهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي : كان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ لكن أعبد الذي فطرني : خلقني ﴿فإنه سيهدين﴾ أي : يثبيني على الإيمان .

قال محمدٌ : قوله ﴿براءٌ﴾ بمعنى بريءٌ ، والعرب تقول للواحد منها : أنا البراءُ منك ، وكذلك الاثنان والجماعة ، والذكر والأنثى يقولون : نحن البراء منك ، والخَلاء منك ، لا يقولون : نحن البراآن منك ولا نحن البراءون منك ، المعنى : أنا ذو البراء منك ، ونحن ذوو البراء منك ، كما تقول : رجلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عدْلٌ ، وقوم عَدْلٌ ؛ المعنى : ذو عدل ، و[ذات][٣] عدل هذا أفصح اللغات .

---

(١) أي : أهل الشهرة والصِّيت .

(٢) قرأ ابن عامر وحفص ﴿قال﴾ على الخبر ، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر . النشر (٣٦٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٥) .

(٣) في الأصل : ذوات . والصواب ما أثبتنا ؛ لأنه يعود على قوله : (وامرأة عدل) ؛ حيث يقال : هو ذو عدل وهي ذات عدل ، وهم ذوو عدل ، وهن ذوات عدل .

﴿وجعلها كلمة﴾ يعني: لا إله إلا الله ﴿باقية في عقبه﴾ تفسير مجاهد[1]: في ولده ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا إلى الإيمان ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ يعني: قريشًا لم أعذبهم ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ محمد ﷺ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾ القريتين: مكة والطائف أي لو كان هذا القرآن حقًّا لكان هذان الرجلان أحق به منك يا محمد؛ يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفيّ؛ في تفسير قتادة[2].

قال محمدٌ: ﴿على رجل من القريتين﴾ المعنى: على رجل من رَجُلَي القريتين عظيم.

قال الله: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني: النبوة؛ أي: ليس ذلك في أيديهم فيضعون النبوة حيث شاءوا ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات﴾ في الرزق ﴿ليتخذ بعضهم بعضًا سُخريًّا﴾ أي: يملك بعضهم من باب السُّخرة[3] ﴿ورحمة ربك﴾ النبوة ﴿خير مما يجمعون﴾ خير مما يجمع المشركون من الدنيا.

قال محمدٌ: المعنى: فكما فضلنا بعضهم على بعضٍ في الرزق وفي المنزلة كذلك (ل٣١٥) اصطفينا للرسالة من نشاء.

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ تفسير الحسن[4]: لولا أن تجتمعوا على الكفر.

---

(١) رواه الطبري (٦٣/٢٥).

وعزاه السيوطي في الدر (١٨/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) رواه عبد الرزاق (١٩٦/٢) والطبري (٦٥/٢٥).

وعزاه السيوطي في الدر (١٨/٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٣) وينظر في ذلك قول ابن أبي زمنين عند تفسير سورة المؤمنون الآية (١١٠).

(٤) رواه الطبري (٢٨/٢٥).

وعزاه السيوطي في الدر (١٩/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر.

﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها﴾ أي: درج ﴿عليها يظهرون﴾ أي: يرقون إلى ظهور بيوتهم.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩﴾

﴿ولبيوتهم﴾ أي: لجعلنا لبيوتهم ﴿أبوابًا﴾ من فضة ﴿وسررًا﴾[١] من فضة ﴿عليها يتكئون وزخرفًا﴾ والزخرف: الذهب ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ يُستمتع به ثم يذهب ﴿والآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾.

قال محمدٌ: واحدُ المعارج: مَعْرَجٌ[٢]، ويقال: ظهرت على البيت إذا علوت سطحه[٣].

﴿ومن يعش عن ذكر﴾ أي: ومن يعم عن ذكر ﴿الرحمن﴾ أي: المشرك.

قال محمدٌ: قراءة يحيى ﴿يعْشَ﴾ بفتح الشين، ومن قرأ ﴿يعشُ﴾ بضم الشين[٤] فالمعنى: ومن يعرض عن ذكر الرحمن، هذا قول الزّجاج، قال ابن قُتَيْبَةَ المعني: يظلم بصره كقوله: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري﴾[٥] قال: والعرب تقول: عشوت إلى النار؛ إذا استدللت إليها ببصر ضعيف[٦]، وأنشد للحُطيئة[٧]:

---

(١) في الأصل (وسرر).

(٢) قال الأخفش: إن شئت جعلت الواحد مِعْرج ومَعْرج بكسر الميم وفتحها. وواحد المعارج أيضًا: معراج. لسان العرب، مختار الصحاح (عرج).

(٣) ينظر لسان العرب (ظهر).

(٤) قراءة الضم هي قراءة العامة، وقرأ بالفتح يحيى بن سلام، وعكرمة وابن عباس، ينظر البحر (١٦/٨)، الجامع للقرطبي (٨٩/١٦).

(٥) الكهف: ١٠١.

(٦) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (عشو).

(٧) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، لم يكد يسلم من هجائه أحد، حتى هجا أباه وأمه ونفسه. توفي نحو (٤٥ هـ). تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١١٨/٢).

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[١]

قوله : ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل﴾ سبيل الهدى ﴿حتى إذا جاءنا﴾ يعني : هو وقرينه : شيطانه ﴿قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن أبي مسعودٍ الجُرَيْري[٢] قال : « إن الكافر إذا خرج من قبره ، وجد عند رأسه شيطانه ، فيأخذ بيده فيقول : أنا قرينك حتى أدخل أنا وأنت جهنم » .

قال محمدٌ : عند ذلك يقول : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين!

قال محمدٌ : قيل : معنى المشرقين ها هنا المشرق والمغرب ؛ كما قالوا : سُنَّة العمرين ؛ يراد أبو بكر وعمر[٣]، ومثل هذا من الشعر :

لنا قمراها والنجوم الطوالع[٤]

يريد : الشمس والقمر .

قوله : ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم﴾ إذ أشركتم ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة ، يتبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه ، ويلعن كل واحدٍ منهما صاحبه .

قال محمد : ذكر محمد بن يزيد المبَرِّد أن معنى هذه الآية : أنهم مُنِعُوا روحَ التأسّي ؛ لأن التأسّي يُسَهِّل المصيبة ، فأعلموا أنه لا ينفعهم الاشتراك في العذاب . وأنشد للخنساء :

---

(١) البيت من بحر الطويل . ينظر ديوان الحُطيئة (٥١) ، مجالس ثعلب (٤٦٧) ، المقتضب (٢/٦٣) ، ابن الشجري (٢/٢٧٨) ، وشواهد العيني (٤/٤٣٩) .
ونسب هذا البيت في نهاية الأرب (٣/٢١٨) للشّماخ ، غير أن محقق ديوان الشماخ ردَّ هذه النسبة ، ينظر الديوان (٤٣٦) .

(٢) بعدها في الأصل : « عن » ثم كلمة غير واضحة ، والأثر رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٩٦) والطبري في تفسيره (٢٥/٧٤ - ٧٥) من طريق معمر عن سعيد الجريري - وهو أبو مسعود - قال : « بلغنا أن الكافر . . . » فذكره . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٠) لابن المنذر في تفسيره أيضًا .

(٣) وهو ما يعرف بالتغليب ، تقول : القمران وتريد الشمس والقمر ، وتقول : الأبوان ، وتريد الأب والأم ، وتقول : العمران ، وتريد أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (غلب) .

(٤) هذا عجز بيت للفرزدق ، وصدره : أخذنا بآفاق السماء عليكم . وهو من بحر الطويل ينظر : ديوانه (٤١٩) ، المقتضب (٤/٢٢٦) ، مجال العلماء (٣١) ، ابن الشجري (١/١٤) ، (٢/١٦٠) .

ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نَفْسي
فما يبكون مثلَ أخي ولكن أُعزِّي النفس عنه بالتأسِّي[١]

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله : ﴿أفأنت تسمع الصُّم﴾ يعني : النبي ، تسمع الصم عن الهدى ﴿أو تهدي العُمْي﴾ عن العمى ، يقوله على الاستفهام ، أي : أنك لا تسمعهم ولا تهديهم يعني : من لا يؤمن .

﴿فإما نذهبن بك ...﴾ أي : نتوفينك إلى قوله : ﴿مقتدرون﴾ أنزل اللَّه آيات في المشركين هذه وأشباهها مما وعدهم به من العذاب ؛ فكان بعض ذلك يوم بدر ، وبعضه يكون مع قيام الساعة بالنفخة الأولى ؛ بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة .

﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ القرآن ﴿إنك على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الإسلام .

﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ يعني : قريشًا ، أي شرفٌ لك ولقومك ﴿وسوف تُسألون﴾ يوم القيامة ، قالَ بعضهم : عن أداء شكره .

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسُلنا﴾ تفسير بعضهم : كان هذا ليلة أُسري به .

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه﴾ يعني : قومه .

﴿إذا هم منها يضحكون﴾ استهزاءً وتكذيبًا .

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن

---

(١) ينظر ديوان الخنساء (٨٧) ، القرطبي (٩١/١٦) .

تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ تفسير الحسن: كانت اليدُ أكبر من العصا ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم﴾ لعل مَنْ بعدهم ممّن كان على دينهم من الكفار ﴿يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾ سَلْ لنا ربك ﴿بما عهد عندك﴾ فيمن آمن ممن كشف العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ (ل٣١٦) أي: ينقضون عهدهم.

﴿ونادى فرعون في قومه﴾ حين جاءه موسى يدعوه إلى الله ﴿قال يا قوم أليس لي ملك مصرَ وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أي: في ملكي ﴿أفلا تبصرون﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿أم أنا خيرٌ﴾ أي: بل أنا خيرٌ ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ ضعيف ﴿ولا يكاد يبين﴾ يعني: العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا[١] ﴿فلولا﴾ فهلاً، يقوله فرعون ﴿ألقي عليه﴾ على موسى ﴿أساورةٌ[٢]﴾ من ذهب﴾ تفسير الحسن: مالٌ من الذهب.

قال محمدٌ: قيل: أَساورة جمعُ: أَسْوِرَة[٣].

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يمشون جميعًا عيانًا يصدقونه بمقالته بأنه رسول الله.

﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿فجعلناهم سلفًا ومثلاً﴾ قال مجاهد[٤]: يقول: جعلنا كفارهم سلفًا

---

(١) في تفسير سورة طه عند قوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ الآية: ٢٧.

(٢) قرأ حفص ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بإسكان السين من غير ألف، وقرأ باقي السبعة ﴿أَسَاوِرَة﴾ بفتح السين وبعدها ألف. ينظر السبعة (٥٨٧)، النشر (٣٦٩/٢)، القرطبي (١٠٠/١٦).

(٣) المفرد: سِوَار، وجمعه: أَسْوِرة، وجمع الجمع: أَسَاوِرة. وقيل: (أساورة) جمع (أساور).

وقال أبو عمرو: واحدها إِسْوَار. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سور).

(٤) رواه الطبري (٨٥/٢٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٢/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

لكفار أمة محمد ﴿ومثلاً للآخِرين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿سلفًا﴾ أي: قدمًا تقدَّموا؛ في قراءة من قرأها بفتح السين واللام[١].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ولما ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدُّون﴾ أي: يضحكون؛ في قراءة من قرأها بكسر الصاد، ومن قرأها برفعها ﴿يصُدُّون﴾ فهو من الصدود؛ أي: يفرون[٢].

تفسير الكلبي: «لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾[٣] قام رسول الله مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية، فوجَد منها أهل مكة وجدًا شديدًا؛ فدخل عليهم ابن الزِّبَعْرَى الشاعر وقريش يخوضون في ذكر هذه الآية، فقال: أمحمدٌ تكلم بهذه؟! قالوا: نعم، قال: والله إن اعترف لي بهذا لأُخْصِمَنَّه، فلقيه فقال: يا محمد، أرأيت الآية التي قرأت آنفًا، أفينا وفي آلهتنا نزلت خاصَّة أم في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خصمتُك وربِّ الكعبة! أليس تُثْني على عيسى ومريم والملائكة خيرًا، وقد علمت أن النصارى تعبد عيسى وأمَّه، وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول الله وضحكت قريش وضجُّوا، وقالوا: ﴿ءَأَلهتنا خيرٌ أم هو﴾ يعنون عيسى. قال الله للنبي ﷺ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ وأنزل في عيسى وأمه والملائكة ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾»[٤].

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ ﴿سُلُفًا﴾. ينظر: البحر (٨/ ٢٣ - ٢٤)، السبعة (٥٨٧)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/٣٦٩)، القرطبي (١٦/١٠٢).

(٢) قرأ بضم الصاد نافع وابن عامر والكسائي، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: السبعة (٥٨٧)، البحر (٨/٢٥)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/٣٦٩)، القرطبي (١٦/١٠٣).

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) وقد رُوي هذا الحديث من طرق عن ابن عباس، انظر تخريج الكشاف (٢/٣٦٩ - ٣٧١ رقم ٨٠٥) والدر المنثور (٤/٣٧١ - ٣٧٢).

وقد مضى تفسير هذا[١].

قال محمدٌ : قوله ﴿إلا جدلاً﴾ أي : طلبًا للمجادلة ، يقال : جَدِلَ الرجل جَدَلاً فهو صاحب جَدَلٍ[٢].

﴿إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه﴾ بالنبوة ؛ يعني : عيسى ﴿وجعلناه مثلاً﴾ يعني : عبرة ﴿لبني إسرائيل﴾ تفسير مجاهد : جعله الله عبرةً لهم بما كان يصنع من تلك الآيات ، مما يبرئ الأكمه والأبرص ومما علمه الله .

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي : يعمرون الأرض بدلاً منكم .

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وإنه لعلمٌ للساعة﴾ رجع إلى ذكر عيسى ، قال قتادة[٣]: يعني : نزول عيسى ﴿فلا تمترن بها﴾ لا تشكن فيها .

قال محمدٌ : قوله : ﴿لعِلمٌ للساعة﴾ في قراءة من قرأ بكسر العين[٤]، المعنى : نزوله ؛ يُعْلَم به قرب الساعة .

قوله : ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ وهو الإسلام ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيِّنَ لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ يعني : من تبديلهم التوراة ، وكان من البينات إحياؤه الموتى بإذن الله وإبراؤه الأكمه والأبرص ، وما كان يخبرهم به مما كانوا يأكلون ويدَّخرون

---

(١) في تفسير سورة الأنبياء ، الآيات : ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) يقال : جَدِل الرجل يَجْدَل جَدَلاً : اشتدت خصومته ، فهو جَدِلٌ ومِجْدَل ، ومِجْدَال ، لسان العرب (جدل) .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٩٨/٢) والطبري (٢٥/ ٩٠، ٩١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٣/٦) لعبد بن حميد أيضًا .

(٤) وهي قراءة العامة . ينظر : البحر (٢٦/٨) ، جامع القرطبي (١٠٥/١٦) .

في بيوتهم ، ومن البيّنات التي جاء بها أيضًا : الإنجيل ؛ فيه ما أُمروا به ونهوا عنه ، قال : ﴿فاتقوا اللَّه وأطيعون﴾ يقوله عيسى لهم ﴿إن اللَّه هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ يعني : الإسلام ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني : النصارى .

قال قتادة : « ذُكر لنا أنه لما رُفع عيسى انتخبت بنو إسرائيل أَربعة من فقهائهم فقالوا للأول : ما تقول في عيسى؟ قال : هو اللَّه هبط إلى الأرض ، فخلق ما خلق ، وأحيا ما أحيا ، ثم صعد إلى السماء . فتابعه على ذلك أناس (ل٣١٧) فكانت اليعقوبية من النصارى ، فقال الثلاثة الآخرون : نشهد أنك كاذبٌ! فقالوا للثاني : ما تقول في عيسى؟ فقال : هو ابن اللَّه فتابعه على ذلك أناسٌ ، فكانت النسطورية من النصارى ، فقال الاثنان الآخران : نشهد إنك كاذبٌ! فقالوا للثالث : ما تقول في عيسى؟ فقال : هو إله وأمه إله واللَّه إله . فتابعه على ذلك أناسٌ من الناس ، فكانت الإسرائيلية من النصارى ، فقال الرابع : أشهد أنك كاذبٌ! ولكنه عبد اللَّه ورسوله وكلمة اللَّه وروحه . فاختصم القوم ، فقال المسلمُ : أنشدكم اللَّه ، هل تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام ، وأن اللَّه لا يَطعم الطعام؟! قالوا : اللَّهمّ نعَمْ . قال : هل تعلمون أن عيسى كان ينام ، وأن اللَّه لا ينام؟! قالوا : اللَّهمَّ نعم . فخصمهم المسلم ؛ فاقتتل القوم ، فذُكر لنا أن اليعقوبيّة ظهرت يومئذ وأصيب المسلم »[1].

قال اللَّه : ﴿فويل للذين ظلموا ...﴾ أشركوا ، الآية .

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٨٥ - ٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به .
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٨) عن معمر عن قتادة بنحوه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٨) لابن أبي حاتم أيضًا .
وروى النسائي في الكبرى (٦/٤٨٩ - ٤٩٠ رقم ١١٥٩١) والطبري في تفسيره (٢٨/٩٢) عن ابن عباس نحوه .

﴿الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾ استثنى من الأخلاء المتقين، فقال: إلا المتقين منهم؛ فإنهم ليسوا بأعداء بعضُهم لبعض ﴿يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم﴾ يقوله يوم القيامة.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿يا عبادي﴾ بإثبات الياء وحذفها، وقد تقدم القول في مثل هذا[١].

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ يعني: وحلائلكم ﴿تحبرون﴾ تكرمون.

قال محمدٌ: الحَبْرة في كلام العرب المبالغة في الإكرام، والحَبْرة أيضًا المبالغة فيما وصف بالجمال[٢].

﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ يطوف على أدناهم منزلةً سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب، يُغْدى عليه[٣] بها، في كل واحدةٍ منها لون ليس في صاحبتها؛ يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضُه بعضًا، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم منزلة كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام سبعمائة ألف صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، ولا يشبه بعضه بعضًا، قال: ﴿وأكواب﴾ أي: ويطاف عليهم بأكواب، قال قتادة: الكوب: المدوَّر القصير العنق القصير العروة، والإبريق الطويل العنق الطويل العروة[٤] ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾ ما خطر على بالهم من شيءٍ أتاهم من غير أن يدعوا به، وإن أحدهم ليكون في فمه الطعام، فيخطر على باله طعامٌ غيره، فيتحول ذلك الطعام في فيه.

قال محمدٌ: تقرأ (تشتهي) و(تشتهيه) بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغير هاء، وفي بعضها الهاء. ذكره الزَّجَّاج[٥].

---

(١) ينظر سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) وهو أيضًا: الحِبْر. قال الأصمعي: هو الجمال والبهاء وأثر النعمة. لسان العرب، مختار الصحاح (حبر).

(٣) أي: على أدناهم.

(٤) وقيل: الكوب: هو الكُوز الذي لا عُرْوَةَ له، ويجمع على أكواب وأَكْوُب، والإبريق فارسي معرب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (برق، كوب).

(٥) قرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿تشتهيه﴾ وقرأ الباقون ﴿تشتهي﴾. ينظر: السبعة (٥٨٩)، النشر (٢/٣٧٠)، التيسير (١٩٧)، البحر (٢٦/٨).

﴿وتلك الجنة﴾ التي وصف ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ على قدر أعمالهم، ورَّث الله المؤمنين منازل الكفار التي أُعدت لهم لو آمنوا مع منازلهم، وهي مثل التي في المؤمنين ﴿أولئك هم الوارثون﴾[1].

﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم مُتَّكئون على فرشهم فما تصل إلى فِيِّ أحدهم؛ حتى يبدل الله مكانها أخرى»[2].

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في عذاب جهنم خالدون لا يُفتر عنهم﴾ العذاب ﴿وهم فيه مبلسون﴾ يائسون من أن يخرجوا منها، قال: ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني: كفار الأمم كلها؛ فنعذبهم في الآخرة بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لأنفسهم بكفرهم.

قال محمدٌ: ﴿هم الظالمين﴾ هم ها هنا صلة؛ فلا موضع لها في الإعراب[3].

﴿ونادَوْا يا مالك﴾ وهو خازن النار مَلَكٌ من الملائكة (...)[4] ﴿ليقض علينا ربك﴾ (ل٣١٨) أي: يميتنا، يدعون مالكًا؛ فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾.

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ بالقرآن؛ يقوله للأحياء ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يعني: من لا

---

(١) المؤمنون: ١٠.

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/١٨٥ رقم ٣٤٥) وتخريج الكشاف للزيلعي (١/٥٥ رقم ٣٣).

(٣) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٦/١٠٧).

(٤) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

يؤمن ﴿أم أبرموا أمرًا﴾ كادوا كيدًا بمحمدٍ ﴿فإنا مبرمون﴾ كائدون لهم بالعذاب ، وذلك ما كانوا اجتمعوا له في دار الندوة في أمر النبي ﷺ في قوله : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ...﴾[1] الآية ، وقد مضى تفسير ذلك في سورة الأنفال .

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما كانوا يتناجون فيه من أمر النبي ﴿بلى ورسلنا﴾ (الملائكة)[2] الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أعمالهم .

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ﴾ أي : ما كان للرحمن ولدٌ ، ثم انقطع الكلام ، ثم قال : ﴿فأنا أول العابدين﴾ تفسير بعضهم : فأنا أول الدائنين من هذه الأمة بأنه ليس له ولدٌ .

﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ ينزِّه نفسه ﴿ربِّ العرش عما يصفون﴾ عما يكذبون .

﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ فقد أقمت عليهم الحجة ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ يوم القيامة ، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم .

﴿وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ﴾ هو إله أهل السماء ، وإله أهل الأرض ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿العليم﴾ بخلقه .

قال محمدٌ : المعنى : هو المُوَحَّدُ في السماء وفي الأرض ؛ وإليه ذهب يحيى .

﴿وعنده علم الساعة﴾ علم مجيء الساعة ، لا يعلم علم مجيئها غيره .

﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾ يعني : الأوثان لا تملك أن تشفع لعابدها ﴿إلا من شهد بالحق﴾ يقول : إنما الشفاعة لمن شهد بالحق في الدنيا ﴿وهم يعلمون﴾ أنه الحق ؛ تشفع لهم الملائكة .

---

(١) الأنفال : ٣٠.

(٢) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبته .

﴿فأنى يؤفكون﴾ يُصدون فيعبدون غيره .

﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون﴾ هذا قول النبي يشكو قومه إلى الله .

قال يحيى : وهي تُقرأ على ثلاثة أوجه : ﴿وقيلَه﴾ و ﴿وقيلُه﴾ و ﴿وقيلِه﴾[١] فمن قرأها بالنصْب رجع إلى قوله : ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ولا نسمع قيلَه ، ومن قرأها بالجر رجع إلى قوله : ﴿وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ وعلم قيله ، ومن قرأها بالرفع فهو كلام مبتدأ يُخْبَر بقوله[٢].

قال الله : ﴿فاصفح عنهم﴾ وهي منسوخةٌ نسختها القتال ﴿وقل سلام﴾ كلمة حلم ، وكان ذلك أيضًا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فسوف تعلمون[٣]﴾ يوم القيامة ، وهي كلمة وعيدٍ .



(١) قرأ بالجر عاصم وحمزة ، والباقون بالنصب ، وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع .
ينظر : السبعة (٥٨٩) ، التيسير (١٩٧) ، النشر (٢/٣٧٠) .

(٢) ينظر التوجيه النحوي لهذه القراءات من البحر (٨/٣٠) الدر المصون (٦/١٠٩ - ١١٠) ، إعراب القرآن (٣/١٠٣) مجمع البيان (٥/٥٨) .

(٣) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿تعلمون﴾ بالخطاب ، وقرأ الباقون ﴿يعلمون﴾ بالغيب . النشر (٢/٣٧٠) وإتحاف الفضلاء (٤٩٨) .

تفسير سورة الدخان وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

قوله : ﴿حم والكتاب المبين﴾ قسمٌ أقسم بالقرآن ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني : القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ يعني : ليلة القدر .

يحيى : عن همَّام بن يحيى ، عن الكلبي ، عن أبي صالح [عن][1] ابن عباس قال : « نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر . ثم تلا هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ »[2].

---

(١) سقطت من الأصل ، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ ، وهذا إسناد الكلبي بتفسير ابن عباس ، قال أبو عاصم النبيل : زعم لي سفيان الثوري ، قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب ؛ فلا ترووه . انظر ترجمة الكلبي في التهذيب (٢٥/٢٤٦ - ٢٥٣) .

(٢) هذا إسناد واهٍ ، وقد روي بأسانيد أخرى :
فرواه النسائي في السنن الكبرى (٦/٤٨٠ رقم ١١٥٦٥) والحاكم (٢/٤٧٧) والبيهقي في الشعب (٢/٤١٥ رقم ٢٢٥٠) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/٢٠٣) من طريق حصين ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٤ رقم ١٢٤٢٦) من طريق شريك عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .
قال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٠) : رواه الطبراني ، وفيه حكيم بن جبير ، وهو متروك .

﴿إنا كنا منذرين﴾ العباد من النار ﴿فيها﴾ يعني: ليلة القدر ﴿يفرق كل أمرٍ حكيم﴾ أي: يفصل، قال الحسن: ما يريد الله أن ينزل من الوحي وينفذ من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السَّنة، ينزله في ليلة القدر إلى سمائه، ثم ينزله في الأيام والليالي على قَدَرٍ حتى يحول الحول من تلك الليلة.

قوله: ﴿أمرًا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ الرسل إلى العباد ﴿رحمة من ربك...﴾ الآية.

قال محمدٌ: قوله: ﴿أمرًا﴾ منصوبٌ على الحال؛ المعنى: إنا أنزلناه آمرين أمرًا[1]. وقوله: ﴿رحمةً من ربك﴾ أي: أنزلناه رحمة.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فارتقب﴾ أي: فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ بيِّنٌ ﴿يغشى الناس﴾ تفسير مجاهد[2]: يعني: الجدب وإمساك المطر عن [كفار قريش][3].

يقولون: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾.

= ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٨) من طريق حصين عن حكيم بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٩) والحاكم (٢/٢٢٢) من طريق منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه.
ورواه النسائي في الكبرى (٥/٧ رقم ٧٩٩١) والحاكم (٢/٢٢٣) من طريق حسان بن حريث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه النسائي في الكبرى (٥/٦ رقم ٧٩٨٩، ٧٩٩٠) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٨) والحاكم (٢/٢٢٢) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) وفي نصبه أقوال أخرى. ينظر الدر المصون (٦/١١١).

(٢) رواه الطبري (٢/١١٣).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (٢٥/١١٣).

قال الله : ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي : كيف لهم الذكرى؟ (ل٣١٩) يعني : الإيمان بعد وقوع هذا البلاء ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ يُعَلمه عبد [لبني][١] الحضرمي ، وكان كاهنًا ؛ في تفسير الحسن . وقال بعضهم : عداس غلام عتبة بن ربيعة ؛ كان يقرأ الكتب ، قال الله : ﴿إنا كاشفو العذاب قليلا﴾ .

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ .

قال محمدٌ : ﴿يومَ نبطِش﴾ منصوبٌ بمعنى : واذكر يوم نبطش ، ويقال : يبطُش بالرفع أيضًا ، مثل : عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ ، ومثل هذا كثير[٢].

يحيى : عن المعلى ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن أبي الضحى[٣]، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعودٍ أنه قيل له : « ها هنا رجل يزعُم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، وكان متكئًا فغضب ؛ فجلس فقال : يا أيها الناس من عَلِمَ علمًا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقول العبد لما لا يعلم : الله أعلم ، وقد قال الله لنبيه : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[٤] وسأخبركم عن الدخان : إن قريشًا لما أبطئوا عن الإسلام ، دعا عليهم رسول الله ؛ فقال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف . فأصابهم الجوع ؛ حتى أكلوا الميتة والعظام ، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانًا من الجهد ، فذلك قوله : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ...﴾ إلى قوله : ﴿إنا مؤمنون﴾ فسألوا أن يُكْشَفَ عنهم العذاب فيؤمنوا ، قال الله : ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ...﴾ إلى قوله : ﴿منتقمون﴾ فكُشِف عنهم فعادوا في كفرهم ؛

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من تفسير الطبري (١٧٨/١٤) ، انظر : تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٠٣/٧) ، الدر المنثور (٤/ ١٤٦) .

(٢) ينظر الدر المصون (١١٤/٦) ، إعراب القرآن (١١٠/٣) ، البيان (٣٥٨/٢) .

(٣) كذا وقع هذا الإسناد « الأعمش عن أبي وائل عن أبي الضحى » والحديث معروف من رواية « الأعمش عن أبي الضحى » - كما سيأتي - ولم يذكر المزي في التهذيب (٥٤٩/١٢ - ٥٥٠) لأبي وائل رواية عن أبي الضحى ، وقد رواه الداني من طريق يحيى بن سلام ، وفيه كما في الأصل ، والله أعلم .

(٤) ص : ٨٦.

فأخذهم يوم بدرٍ ، فهو قوله : ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ فكان عبد الله بن مسعود يقول : قد مضت البطشة والدخان[١] واللزام والروم والقمر »[٢].

قال محمدٌ : قيل للجوع : دخان ، لِيَبَس الأرض في سنة الجَدْب ، وانقطاع النبات وارتفاع الغبار ، فشبه ما يرتفع منه بالدخان ، ومن كلامهم : جوعٌ أغْبَرُ وسنة غبراء لسنةِ المجاعة[٣].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله : ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي : اختبرنا قبلهم ﴿قوم فرعون﴾ بالدين ؛ كقوله : ﴿وإن كنا

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١٣٨/٤ - ١٣٩) : وقد وافق ابنَ مسعود ﷺ على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعةٌ من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير ...وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ؛ بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال : « أشرف علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا » تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه . اهـ .

(٢) رواه الداني في الفتن (١٠٠٣/٥ - ١٠٠٥ رقم ٥٣٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه الإمام أحمد (٣٨٠/١ - ٣٨١ ، ٤٤١) ، والحميدي (٦٣/١ - ٦٤ رقم ١١٦) والطيالسي (٣٨ رقم ٢٩٣) والبخاري (٥٧٢/٢ رقم ١٠٠٧ ، ٥٩٢/٢ رقم ١٠٢٠ ، ٢١٤/٨ رقم ٤٦٩٣ ، ٣٧٠/٨ رقم ٤٧٧٤ ، ٤٩/٨ رقم ٤٨٠٩ ، ٤٣٤/٨ - ٤٣٥ رقم ٤٨٢١ ، ٤٣٥/٨ رقم ٤٨٢٢ ، ٤٣٦/٨ رقم ٤٨٢٣) ومسلم (٢١٥٥/٤ - ٢١٥٦ رقم ١٧٩٨) والترمذي (٣٥٣/٥ - ٣٥٤ رقم ٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (٤٥٥/٦ رقم ١١٤٨١ ، ٦/ ٤٥٦ رقم ١١٤٨٣) والطبري في تفسيره (١١١/٢٥) وابن حبان (٥٤٨/١٤ - ٥٤٩ رقم ٦٥٨٥) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق به .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) لسان العرب (غبر) .

لمبتلين﴾(١) لمختبرين بالدين .

﴿وجاءهم رسولٌ كريم﴾ على اللّه ، يعني : موسى ﴿أن أدوا إليّ عباد اللّه﴾ أرسلوا معي بني إسرائيل ؛ في تفسير مجاهد(٢) ﴿إني لكم رسولٌ أمين﴾ على ما أتاني من اللّه ، لا أزيد فيه شيئًا ولا أنقص منه شيئًا .

﴿وأن لا تعلوا على اللّه﴾ أي : لا تستكبروا عن عبادة اللّه ﴿إني آتيكم﴾ أي : قد أتيتكم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجّة بيّنة ﴿وإني عُذْتُ بربي وربكم أن ترجمون﴾ يعني : القتل بالحجارة ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ حتى يحكم اللّه بيني وبينكم .

قال محمدٌ : قيل : المعنى : فإن لم تؤمنوا لي ؛ فلا تكونوا عليَّ ولا معي .

﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون .

قال محمدٌ : من قرأ (إن) بالكَسْرِ فعلى معنى : قال : إن هؤلاء ، ويجوز الفتح بمعنى : بأن هؤلاء(٣).

﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾ أي : يتبعكم فرعون وجنوده ﴿واترك البحر رهوًا﴾ قال مجاهد : يعني : ساكنًا بعد أن ضربه موسى بعصاه .

﴿ومقام كريم﴾ أي : منزل حَسَن ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ أي : مسرورين . قال اللّه : ﴿كذلك﴾ أي : هكذا كان الخبر ﴿وأورثناها قومًا آخرين﴾ يعني : بني إسرائيل ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ .

يحيى : عن حماد ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : « للمؤمن بابان في السماء ، أحدهما يصْعدُ منه عمله ، والآخر ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكيا عليه »(٤).

---

(١) المؤمنون : ٣٠.

(٢) رواه الطبري (٢٥/١١٨) .

(٣) العامة على الفتح بإضمار حرف الجر ؛ أي : دعاه بأن هؤلاء ، وابن أبي إسحاق وعيسى والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين ، وعلى إجراء (دعا) مجرى القول عند الكوفيين . الدر المصون (٦/١١٤) البحر المحيط (٨/٣٤) .

(٤) هذا موقوف ، وقد روي مرفوعًا ؛ فرواه الترمذي (٥/٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٣٢٥٥) وأبو يعلى (٧/١٦٠ - ١٦١ رقم ٤١٣٣) وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٧) والخطيب في تاريخه (١١/٢١٢) والبغوي في تفسيره (٧/٢٣٢) من =

قال أبان العطار : بلغني أنهما يبكيان عليه أربعين صباحًا .

﴿وما كانوا منظرين﴾ من العذاب يعني : الغرق .

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

(ل ٣٢٠) ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين﴾ أي : المتكبرين ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ على عالم زمانهم الذي كانوا فيه ﴿وآتيناهم﴾ يعني : أعطيناهم ﴿من الآيات ما فيه بلاءٌ مبين﴾ نعمةٌ بيّنة .

﴿إن هؤلاء﴾ يعني : مشركي العرب ﴿ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين .

قال محمدٌ : يقال : أَنْشَرَ اللَّه الموتى ؛ فنشروا[1].

﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ أي : فأحيوا لنا آباءنا ، حتى نصدقكم بمقالتكم أنَّ اللَّه يحيي

= طريق موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ فرفعه .

ورواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣) من طريق صفوان بن سليم عن يزيد الرقاشي به مرفوعًا .

قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان يضعفان في الحديث .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠٥/٧) : رواه أبو يعلى ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف .

وقال ابن حجر في المطالب (١٥٥/٤) : هذا إسناد ضعيف .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٦٩/٦) : هذا إسناد ضعيف ؛ لضعف يزيد الرقاشي وموسى بن عبيدة الربذي .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣/٦) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

ورواه الطبري في تفسيره (١٢٤/٢٥ - ١٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(١) لسان العرب (نشر) .

الموتى . قال الله : ﴿أهم خيرٌ أم قوم تُبع والذين من قبلهم﴾ من الكفار أي : أنهم ليسوا بخير منهم ؛ يخوفهم بالعذاب .

﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ للبعث وللحساب ، وللجنة والنار ﴿ولكن أكثرهم﴾ جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومحاسبون ومجازون .

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ يعني : القضاء ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ أي : ميقات بعثهم ﴿يوم لا يغني مولًى عن مولى﴾ وليٌّ عن ولي ﴿شيئًا﴾ أي : لا يحمل من ذنوبهم شيئًا ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمْنعون من العذاب ﴿إلا من رّحم الله﴾ قال الحسن : يعني : من المؤمنين يشفع بعضُهم لبعض ؛ فينفعهم ذلك عند الله .

﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ المشرك ﴿كالمهل﴾ المهل : ما كان ذائبًا من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك .

قال محمدٌ : وقيل : المهل : عكر الزيت الشديد السواد[1].

﴿تغلي[2] في البطون كغلي الحميم﴾ يعني : الماء الشديد الحر ﴿خذوه فاعتلوه﴾ قال الحسن : يعني : فجرُّوه ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط الجحيم .

قال محمدٌ : العَتْلُ في اللغة أن يُمْضَى به بعنْفٍ وشدة ، يقال منه : عتَلَ يَعْتُلُ ، وفيه لغة أخرى : يَعْتِلُ[3].

---

(١) وقيل : دردي الزيت ، وقيل : عكر القطران ، وقيل غير ذلك . انظر : الدر المصون (١١٨/٦) ، لسان العرب (مهل) .

(٢) هكذا في الأصل ، وهي قراءة السبعة ، إلا ابن كثير وعاصمًا ؛ فقد قرآ بالياء ؛ فالتاء لتأنيث (شجرة) والياء لتذكير (المهل) ينظر : السبعة (٢٩٢) ، التيسير (١٩٨) ، كشف المشكلات (١٢٢٢/٢) .

(٣) ينظر لسان العرب (عتل) .

﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كقوله : ﴿يُصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾[١] يُقْمَعُ بالمقمعة ، فتخرقُ رأسَهُ ، فيُصَبُّ على رأسه الحميم ، فيدخل في فيه حتى يصل إلى جوفه .

﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ يعني : المنيع الكريم عند نفسك ، إذ كنت في الدنيا ولست كذلك ، قال بعضهم : نزلت في أبي جهل كان يقول : أنا أعز قريش وأكرمها ﴿إن هذا﴾ يعني : (العذاب)[٢] ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون في الدنيا أنه كائن .

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن المتقين في مقام﴾ في منزل ﴿أمين﴾ أي : هم آمنون فيه من الغِيَرِ[٣].

قال محمدٌ : من قرأ ﴿مُقام﴾ برفع الميم فهو من قولهم : أَقَام مُقَامًا ، ومن قرأ بفتح الميم فهو من قولهم : قام يَقُوم[٤].

﴿يلبسون من سندسٍ وإستبرق﴾ تفسير الحسن : هما جميعًا حرير .

قال محمدٌ : قيل الإِسْتَبْرَقُ : الدِّيبَاجُ الصَّفِيقُ الكثيف ، والسُّنْدس : الرقيق[٥].

قال كعب : في الجنة شجر تُنْبِت الإستبرق والحرير ؛ منه يكون لباس أهل الجنة .

قوله : ﴿متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعضٍ إذا تزاوروا ؛ في تفسير بعضهم .

﴿كذلك وزوجناهم بحورٍ عين﴾ تفسير الحسن ، أي : كذلك حكم الله لأهل الجنة بهذا ؛

---

(١) الحج : ٢١.

(٢) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبته .

(٣) أي : حوادث الدهر ونوازله . لسان العرب (غير) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر ﴿مُقام﴾ بضم الميم ، وقرأ الباقون : ﴿مَقام﴾ بفتح الميم . النشر (٢/٣٧١) إتحاف الفضلاء (٥٠٠) القرطبي (١٦/١٥٢) .

(٥) لسان العرب (برق) ، (إستبرق) ، (سندس) .

والحُور[١]: البيضُ ؛ في تفسير قتادة[٢]، والعِينُ[٣]: عظامُ العيون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿وزوّجناهم﴾ أي : قَرَنَّاهم بهن .

﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أي : يأتيهم ما يشتهون فيها ﴿آمنين﴾ من الموْت ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ وليس ثَمَّ موتة ، إنما هي هذه الموتة الواحدة في الدنيا .

﴿فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة .

قال محمدٌ : ﴿فضلا﴾ منصوبٌ بمعنى : وذلك بفضلٍ من اللّه ، أي : فعل ذلك منه فضلاً[٤].

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني : القرآن ﴿بلسانك﴾ يعني : النبي ، لولا أن اللّه يسره بلسان محمدٍ ما كانوا ليقرءوه ولا يفقهوه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ﴿فارتقب﴾ فانتظر العذاب ، فإنه واقعٌ بهم ﴿إنهم مرتقبون﴾ منتظرون .



(١) والواحدة : حوراء ، لسان العرب (حور) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٢٠٩ - ٢١٠) والطبري (٢٥/١٣٦) .

(٣) والواحدة : عيناء . لسان العرب (عين) .

(٤) أي : مفعول لأجله . ينظر : إعراب القرآن (٣/١٢٠) ، البيان (٢/٣٦٢) .

تفسير سورة الجاثية وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿حم تنزيل الكتاب [من اللَّه العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم﴾][1] (ل٣٢١) من تراب ؛ يعني : خلق آدم ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، وفي الأسماع والآذان وما لا يُحصى من خلق اللَّه في الإنسان . ﴿وما يبث﴾ يَخْلُق .

قال محمدٌ : (يبث) فيه لغتان تقول : بَثَثْتُكَ ما في نفسي ، وأَبْثَثْتُكَ أي : بسطته لك[2].

﴿آياتٌ لقوم يوقنون﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (آياتٌ) بالرفع فعلى الاستثناء[3] والمعنى : وفي خلقكم آياتٌ[4].

﴿واختلافُ﴾ أي : وفي اختلاف ﴿الليل والنهار وما أنزل اللَّه من السماءِ من رزقٍ﴾ يعني : المطر فيه أرزاق الخلق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بعد إذ كانت يابسة لا نبات فيها .

﴿وتصريف﴾ أي : وتلوين ﴿الرياح﴾ في الرحمة والعذاب ﴿آياتٌ لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون .

---

(١) سقطت من الأصل .

(٢) لسان العرب (بثث) .

(٣) هكذا في الأصل وهو تحريف عن الصواب ، والمراد : الابتداء . وينظر : إعراب القرآن (١٢٤/٣) ، البيان (٣٦٣/٢ - ٣٦٤) ، البحر المحيط (٤٢/٨) .

(٤) قرأ حمزة والكسائي (آيات) بالكسر ، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر السبعة (٥٩٤) ، التيسير (١٩٨) .

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ يصدقون أي : ليس بعد ذلك إلا الباطل .

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝﴾

﴿ويلٌ لكل أفاك﴾ أي : كذاب ﴿أثيم﴾ يعني : المشرك .

﴿ثم يصر﴾ على ما هو عليه ﴿مستكبرًا﴾ عن عبادة الله ﴿كأن لم يسمعها﴾ يعني : آيات الله . أي : بلى قد سمعها ، وقامتْ عليه الحجَّةُ بها .

﴿من ورائهم جهنّم﴾ يعني : أمامهم وهي كلمة عربية ، تقول للرجل : من ورائك كذا ؛ لأمر سيأتي عليه(١).

قال محمدٌ : وقد يكون « وراء » بمعنى بَعْدُ(١) ، وقد تقدم ذكر هذا(٢).

﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا﴾ تفسير الحسن : ما عملوا من الحسنات ، يبطل الله أعمالهم في الآخرة ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ آلهة ؛ يعني : الأوثان التي عبدوها لا تغني عنهم شيئًا .

قوله : ﴿هذا﴾ يعني : القرآن ﴿هدًى﴾ يهتدون به .

قوله : ﴿لهم عذابٌ من رجز أليم﴾ أي : موجع .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني : طلب التجارة في السَّفَر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ (لكي تشكروا)(٣) أي : تؤمنوا ﴿وسخر لكم﴾ خلق لكم ﴿ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه﴾ أي : كل

---

(١) لسان العرب (ورأ) .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة : ٩١] .

(٣) تكرار في الأصل .

ذلك تفضُّلٌ منه ؛ يعني : مما سخّر في السموات : الشمس والقمر والنجوم والمطر ، ومما سخر في الأرض : الأنهار والبحار وما ينبت في الأرض من النبات ، وما يستخرج من الذهب والفضة وغير ذلك مما يُنْتَفَعُ به ، فذلك كلّه بتسخير الله .

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ يعني : المشركين ؛ فأمر الله المؤمنين أن يغفروا لهم ﴿ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون﴾ يعملون ؛ يجزي المؤمنين بحلمهم عن المشركين ، ويجزي المشركين بشركهم ، وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتالهم ، ثم نسخ ذلك بالقتال .

﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أي : يجده عند الله ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي : فعلى نفسه .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ أي : أنزلناه عليهم ﴿والحكم﴾ قال قتادة : يريد الحِكْمة ، وهي السُّنَّة ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ ما أحلّ لهم ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ يعني : عالمي زمانهم ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ أرادوا الدنيا ورخاءها ، فغيّروا كتابهم وأحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا ما شاءوا ، فترأسوا على الناس يستأكلونهم ﴿إن ربك يقضي بينهم ...﴾ الآية ، فيكون قضاؤُه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الذين تمسكوا بدينهم الجنة ، ويدخل الكافرين النار .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ تفسير الحسن: الشريعة: الفريضة ﴿فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ يعني: المشركين ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم عذَّبتُك ولم يُغنوا عنك شيئًا، وقد [عصمه][1] الله من ذلك، وقضى أن يثبت على ما هو عليه ﴿وإن الظالمين﴾ المشركين ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في الدنيا، وهم أعداءٌ في الآخرة؛ يتبرأُ بعضُهم من بعض. ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني: القرآن ﴿وهدًى﴾ يهتدون به ﴿ورحمة لقوم يوقنون﴾.

قال محمدٌ: واحد البصائر: بصيرة[2].

﴿أم حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ الشرك.

قال محمدٌ: فمعنى ﴿اجترحوا﴾: [اكتسبوا][3] ويقال: فلانٌ جارح أهله، وجارحُهُ أهله، أي: [كاسبهم][3] (ل٣٢٢) ومنه قيل لذوات الصيد: جوارح.

﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: لا نجعلهم مِثْلَهم، الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة، والمشركون في النار، وهذا لقول أحدهم: ﴿ولئن رُجعت إلى ربي﴾ كما يقولون: ﴿إن لي عنده للحسنى﴾[4] يعني: الجنة؛ إن كانت جنة ﴿سواء محياهُم ومماتُهم﴾ مقرأ مجاهد بالرفع: ﴿سواءٌ﴾ مبتدأ، المعنى: المؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة والكافر كافرٌ، ومقرأ الحسن بالنصب: ﴿سواءً﴾ على معنى: أن يكونوا سواءً، أي: ليسوا سواءً[5] ﴿ساء ما﴾ بئسما ﴿يحكمون﴾ أن يجعلهم سواءً ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن

---

(١) لم يظهر منها في الأصل إلا حرف العين، ولعلها كما أثبته، والله أعلم.

(٢) لسان العرب (بصر).

(٣) طمس في الأصل، وانظر لسان العرب (جرح).

(٤) فصلت: ٥٠.

(٥) قرأ بالنصب: حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة (٥٩٥)، التيسير (١٩٨)، النشر (٣٧٢/٢)، البحر (٤٨/٨).

يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ هو المشرك ، اتخذ هواه إلهًا ؛ فعبد الأوثان من دون اللَّه .

قوله : ﴿وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه﴾ فلا يسمع الهدى من اللَّه ، يعني سَمْعَ قبول ﴿وقلبه﴾ أي : وختم على قلبه ؛ فلا يفقه الهدى .

﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا يبصر الهدى ﴿فمن يهديه من بعد اللَّه﴾ أي : لا أحد ﴿أفلا تذكرون﴾ .

قال محمدٌ : غشاوة : غطاء ، ومنه غاشيةُ السَّرْج[١] ، وأنشد بعضُهم :

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ   فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا[٢]

ويقال : غُشاوة برفع الغين ، وغَشْوة بفتحها بغير ألف[٣] ، وقد قرئ بهما[٤] .

وقوله : ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ أي : نموت ونُولَد .

قال محمدٌ : المعنى : يموت قومٌ ويحيا قومٌ ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الزمان ، أي : هكذا كان من قبلنا ، وكذلك نحن .

قوله : ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ بأنهم لا يبعثون ﴿إن هم إلا يظنون﴾ إن ذلك منهم إلا ظن .

قال محمد : (إن) بمعنى (ما)[٥] أي : ما هم إلا يظنون .

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ

---

(١) لسان العرب : (غشو) .

(٢) البيت للحارث المخزومي . وهو من بحر الطويل . ويروى : (تبعتك) بدل (صحبتك) ويروى (أذيمها) بدل (ألومها) ينظر : البحر المحيط (٢٦٥/٤) ، لسان العرب (غشو) ، مجاز القرآن (٣١/١) .

(٣) وفيها لغات : غَشوة وغِشْوة وغَشاوة ، وغُشاوة . ينظر لسان العرب (غشو) .

(٤) قرأ الأخوان : (غَشْوة) ، والأعمش وابن مصرف : (غِشْوة) ، وباقي السبعة : (غِشاوة) ، وابن مسعود : (غَشاوة) ، والحسن وعكرمة : (غُشاوة) وهي لغة عُكْلية . ينظر : الدر المصون (١٣٠/٦) .

(٥) مغني اللبيب (٣٠/١) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أحيوا آباءنا حتى يصدقوكم بمقالتكم ، بأن الله يحيي الموتى ، قال الله جوابًا لقولهم : ﴿قل الله يحييكم﴾ يعني : هذه الحياة ﴿ثم يميتكم﴾ يعني : الموت ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه ؛ يعني : البعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿حجتَهم﴾ بالنصب جعل اسم كان (أن) مع صِلَتِها ، ويكون المعنى : ما كان حجتَهم إلا مقالتُهم ، ومن قرأ (حُجّتُهم) بالرفع جعل (حجّتهم) اسم كان و﴿أن قالوا﴾ خبر كان[1].

قوله : ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون﴾ المكذبون بالبعث ﴿وترى كُلّ أُمةٍ﴾ يعني : كفارها ؛ في تفسير الحسن .

﴿جاثية﴾ على الرُّكَب ؛ في تفسير قتادة ﴿كل أمة تُدعى إلى كتابها﴾ إلى حسابها ، وهو الكتاب الذي كتبتْ عليهم الملائكة .

قال محمدٌ : يقال : جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه ، ومثله جَذَا يَجْذُو ، والجَذْوُ أشدُّ استقرارًا من الجثو ؛ لأن الجذوَ أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه[2].

ومن قرأ ﴿كلُّ أمةٍ﴾ بالرفع رفع (كل) بالابتداء ، والخبر ﴿تدعى إلى كتابها﴾ ومن نصب جعله بدلاً من (كل) الأول ، المعنى : وترى كل أمة ﴿تدعى إلى كتابها﴾[3].

﴿اليوم تجزون﴾ أي : يقال لهم : اليوم تجزون .

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) قرأ العامة بالنصب ، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع ، وفي توجيه النصب والرفع تأويلات نحوية أخرى . ينظر : الدر المصون (١٣١/٦) .

(٢) ينظر لسان العرب (جثو) (جذو) .

(٣) العامة على الرفع ، ويعقوب قرأ بالنصب . وفي التوجيه النحوي أقوال أخرى . ينظر : النشر (٣٧٢/٢) ، كشف المشكلات (١٢٣٢/٢) ، البحر (٥٠/٨) .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي: ننسخ ما في كتب الحفظة، ونثبت عند الله - عز وجل.

يحيى: عن نُعيم بن يحيى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: « أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتبْ. قال: رب؛ ما أكتب؟! قال: ما هو كائنٌ. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة »(١).

---

(١) رواه وكيع في نسخته عن الأعمش (٥٦ - ٥٧ رقم ٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٠٧) والطبري في تفسيره (٢٩/١٤) وفي تاريخه (١/ ٣٣، ٥٠، ٥١) وأبو الشيخ في العظمة (٤/١٣٨٠ رقم ٨٩٧) وابن منده في التوحيد (١/٩٣ - ٩٤ رقم ١٤، ١٥) والحاكم (٢/٤٩٨) والآجري في الشريعة (١/٢٢٨ رقم ١٩٧، ١/ ٣٥٩ رقم ٣٨٨) وابن بطة في الإبانة في كتاب القدر (١/٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ١٣٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/٥٩) والبيهقي في سننه (٩/٣) وفي الأسماء والصفات (٢/٢٣٩ رقم ٨٠٤) من طريق الأعمش به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٠١ رقم ٨٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٢٠٥) من طريق الحكم بن عتيبة عن أبي ظبيان به.

ورواه الضياء في المختارة (١٠/١٨ رقم ٧) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه به.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/١٤) وفي تاريخه (١/٣٣) من طريق شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان - أو مجاهد - عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/١٥) وفي تاريخه (١/٣٤) من طريق معمر، عن الأعمش عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٠١ رقم ٨٧١، ٢/ ٤١٠ رقم ٨٩٤) والطبري في تفسيره (٢٩/١٥) وفي تاريخه (١/ ٣٤، ٥١ - ٥٢) والآجري في الشريعة (١/٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٩٦، ١٩٨، ١/ ٣٥٨ - ٣٥٩ رقم ٣٨٦، ٣٨٧) وابن بطة في الإبانة (١/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣٦٧ - ١٣٦٩) وغيرهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣ رقم ١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال الطبراني: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٨) قلت: ومؤمل ثقة كثير الخطأ، وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري =

فأعمال العباد تُعْرض كلَّ يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب.

قوله: ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ يقول الله لهم يوم القيامة: ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا؟! ﴿فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين﴾ مشركين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة﴾ يعني: القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنًّا﴾ ما نشكُّ إلا شكًّا ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ (ل٣٢٣) أن الساعة آتيةٌ.

قال محمدٌ: [(الساعة) ترفع وتنصب فمن][1] رفع فعلى معنى [الابتداء][1]، ومن نصبها عطف على (الوعد)[2]، المعنى: إذا قيل: إن وعد الله حق وأن الساعة [آتية.

= وغيره، وبقية رجاله ثقات.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٠ رقم ١٠٨) وأبو يعلى (٤/٢١٧ رقم ٢٣٢٩) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٣٩٣ رقم ٨٥٤) والدارمي في الرد على الجهمية (١٢١ رقم ٢٥٣) والطبري في تفسيره (٢٩/١٦) وفي تاريخه (١/ ٣٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٦٨ - ٦٩ رقم ١٢٥٠٠) وابن بطة في الإبانة (١/٣٣٣ رقم ١٣٦١) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨١ - ١٨٢) والبيهقي في سننه (٩/٣) وفي الأسماء والصفات (٢/٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٨٠٣) وغيرهم من طريق عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٠٢): غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٠): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وخالف عُمَر بن حبيب هشامُ الدستوائي؛ فرواه عن القاسم بن أبي بزة عن عروة بن عامر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله، فخالفه في الإسناد، وأوقف الحديث.

خرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤١١ رقم ٨٩٨) والطبري في تفسيره (٢٥/٤٨).

وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، انظر تفسير الطبري (٢٩/١٥ - ١٧) وتاريخه (١/ ٣٥) والشريعة للآجري (١/ ٢٢٩، ٣٥٨ - ٣٦٠).

وله شواهد عن ابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وابن عمر ﷺ.

(١) طمس في الأصل، والسياق يقتضي ما أثبتناه. وينظر الدر المصون (٦/١٣٢).

(٢) قرأ حمزة بنصب (الساعة)، وقرأ الباقون برفعها. وفي توجيهات الرفع والنصب أقوال أخر. ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠)، الدر المصون (٦/١٣٢)، السبعة (٥٩٥)، النشر (٢/٣٧٢).

قوله : ﴿إن نظنّ [إلا][١] ظنًّا﴾ قيل : المعنى : ما نعلم ذلك إلا شكًّا ولا نستيقنه ؛ لأن الظن قد يكون بمعنى العلم كقوله : ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾[٢] أي : علموا[٣] ومثل هذا في الشعر - لم يثبت لأحد - :

فَقُلْتُ : لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ بِالفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٤]

وقد يكون الظن أيضًا بمعنى الشك .

قوله : ﴿وبدا لهم سيئاتُ ما عملوا﴾ أي : حين غضب عليهم علموا أن أعمالهم تلك سيئات ، ولم يكونوا يرون أنها سيئاتٌ .

﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ كانوا يستهزئون بالنبي والمؤمنين ؛ فحاق بهم عقوبة ذلك الاستهزاء ، فصاروا في النار .

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿كما نسيتم﴾ كما تركتم ، وقيل : المعنى في (ننساكم) : نترككم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ كنتم لا تقرون بالبعث ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي : لا يستعتبوا ليُعْتَبُوا ؛ أي : ليؤمنوا .

﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره .



---

(١) طمس في الأصل ، والسياق يقتضي ما أثبتناه . وينظر الدر المصون (١٣٢/٦) .

(٢) الكهف : ٥٣.

(٣) لسان العرب (ظنن) .

(٤) البيت لدريد بن الصمة ، وهو من بحر الطويل . ينظر : لسان العرب (ظنن) ، شرح المفصل (٨١/٧) ، الأصمعيات (١٠٧) .

تفسير سورة الأحقاف
وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ② مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ③ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ④ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ⑤﴾

﴿حم تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ العزيز في نقمته ، الحكيم في أمره ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ يعني : أوثانهم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي : لم يخلقوا منها شيئًا ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ هل خلقوا منها شيئًا؟ أيْ : لم يخلقوا ﴿ائتوني﴾ يقول للنبي : قل لهم : ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ فيه أن هذه الأوثان خلقت من الأرض شيئًا أم من السموات ﴿أو أثارة من علم﴾ بهذا ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي : ليس عندكم بهذا كتاب (ولا أَثْرة من علم) في مقرأ الحسن ، وهي تقرأ (أَثْرَة) و(أَثَارة) فمن قرأ ﴿أثارة﴾ يعني : رواية ، ومن قرأ ﴿أثرة﴾ يعني : خاصّة[1].

قوله : ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ يعني : أوثانهم ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ يعني : الأوثان عن دعاء من عبدها غافلون .

قال محمدٌ : قال (مَن)[2] وَهُو لغير ما يعقل ؛ لأن الذين عبدوها أجروها مجرى ما يميز ،

---

(١) قرأ العامة : (أثارة) وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة وآخرون : (أَثَرَة) وقرأ الكسائي : (أُثْرَة وإثْرَة) ، وقرأ السلمي : (أُثْرَة) ينظر : الدر المصون (١٣٥/٦) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿مَنْ لا يستجيب له﴾ .

فخوطبوا على مخاطبتهم[١]؛ كما قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[٢].

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠﴾

﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً...﴾ الآية، قال الحسن: إن الله يَجْمَعُ يوم القيامة بين كل عابدٍ ومعبود، فيوقفون بين يديه، ويحشرها[٣] الله بأعيانها، فينطقها فتخاصم من كان يعبدها.

﴿أم يقولون افتراه﴾ محمدٌ قال الله: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا﴾ أي: سوف يعذبني ولا تستطيعون أن تمنعوني من عذابه ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ من الشّرك أي: تتكلمون به ﴿كفى به شهيدًا بيني وبينكم﴾ أي: جئت بالقرآن من عنده وإني لم أفتره ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ لمن آمن.

﴿قل ما كنت بدعًا من الرسل﴾ أي: ما كنت أولهم؛ قد كانت الرسل قبلي ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ تفسير الكلبي: إن النبي قال: «لقد رأيت في منامي أرضًا أُخرجُ إليها من مكة. فلما اشتد البلاءُ على أصحابه بمكة قالوا: يا نبي الله، حتى متى نلقى هذا البلاء، ومتى نخرج إلى الأرض التي أُريتَ؟! فقال رسول الله ﷺ: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، أنموت بمكة أم نخرجُ منها؟».

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ يعني: القرآن ﴿وكفرتم به وشهد

---

(١) وقيل: تعود على (مَن) في قوله: ﴿ومَنْ أضل﴾ وقيل: تغليبًا للعقلاء، فقال: (مَنْ) ينظر: الدر المصون (١٣٥/٦).
(٢) الزمر: ٣.
(٣) أي: الأصنام والأوثان التي كانت تُعْبَدُ من دون الله.

شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ على مثل القرآن ؛ يعني : التوراة . قال الحسن[١]: يعني بالشاهد : عبد الله بن سلام ﴿فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ المشركين ؛ يعني : الذين يلقون الله بشركهم .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه﴾ [...(ل ٣٢٤) ...][٢].

﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إمامًا﴾ يعني : التوراة ؛ يهتدون به[٣] ﴿ورحمةً﴾ لمن آمن به ﴿وهذا كتابٌ﴾ يعني : القرآن ﴿مصدقٌ﴾ للتوراة والإنجيل ﴿لسانًا عربيًّا لتنذر[٤] الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وبشرى للمحسنين﴾ المؤمنين بالجنة .

قال محمدٌ : ﴿إمامًا﴾ منصوبٌ على الحال ، و﴿رحمةً﴾ عطف عليه ، و﴿لسانًا عربيًّا﴾ منصوبٌ أيضًا على الحال ، المعنى : مصدقٌ لما بين يديه عربيًّا وذكر (لسانًا) توكيدًا[٥].

قوله : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على ذلك ﴿فلا خوف عليهم ...﴾ الآية .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن [عامرٍ][٦] بن سَعْدٍ البجلي قال : « قرأ أبو بكر الصديق هذه الآية ، فقالوا : وما الاستقامة يا خليفة رسول الله؟ قال : لم يشركوا »[٧].

---

(١) رواه الطبري (١١/٢٦) .

(٢) طمس في الأصل نحو ست كلمات .

(٣) أي : كتاب موسى .

(٤) قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب ﴿لتنذر﴾ بالخطاب ، واختلف عن البزي ، وقرأ الباقون ﴿لينذر﴾ بالغيب . النشر (٢/ ٣٧٢ - ٣٧٣) وإتحاف الفضلاء (٥٠٣) .

(٥) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع . ينظر الدر المصون (١٣٧/٦) .

(٦) في الأصل : عمر . والمثبت هو الصواب ، وعامر بن سعد البجلي الكوفي ترجمته في التهذيب (٢٣/١٤ - ٢٥) وذكر المزي أن روايته عن أبي بكر الصديق مرسلة ، وسيأتي أن بعض الرواة زاد بينهما سعيد بن نمران ، والله أعلم .

(٧) رواه ابن المبارك في الزهد (١١٠ رقم ٣٢٦) وعبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/٢) ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (١٥١/٤ رقم ٣٧١٥) - وأبو داود في الزهد (٦٠ رقم ٣٩) والطبري في تفسيره (١١٤/٢٤)=

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا﴾[1] يعني : برًّا ﴿حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا﴾ حملته بمشقّة ، ووضعته بمشقّة ﴿وحمله﴾ في البطن ﴿وفصاله﴾ فِطَامُه ﴿ثلاثون شهرًا﴾ .

قال محمدٌ : ﴿حسنًا﴾ نصبٌ على المصدر ، المعنى : أمرناه بأن يحسن إليهما إحسانًا . و﴿كُرهًا﴾ منصوبٌ بمعنى : حملته أمه على مشقة ، ووضعته على مشقة[2].

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ يعني : احتلم ، وبعضهم يقول : عشرين سنة .

قال محمدٌ : وجاء في الأشد ها هنا أنه بضع وثلاثون سنة ، وهو الأكثر .

قوله : ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ أي : في سِنِّهِ ﴿قال رب أوزعني﴾ يعني : ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك ...﴾ الآية .

= من طريق سفيان الثوري - وهو في تفسيره (٢٧٦ - ٢٧٧ رقم ٨٩٣) - عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد البجلي ، عن سعيد بن نمران ، عن أبي بكر الصديق ﷺ .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٥) للفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الدارقطني في العلل (٢٧٣/١) : حدَّث به سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد البجلي ، عن سعيد بن نمران ، عن أبي بكر .

وتابعه عبيد الله بن موسى عن إسرائيل .

ورواه أبو الأحوص ويحيى بن أبي بكير عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران . لم يذكرا فيه عامر بن سعد .

وقول الثوري أصح . اهـ . وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٦٥/٦) : هذا إسناد ضعيف ؛ لجهالة سعيد بن نمران .

قلت : والوجه الثالث من الخلاف على أبي إسحاق رواية يحيى بن سلام عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر بإسقاط سعيد بن نمران .

(١) هكذا في الأصل ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ، وقرأ الباقون : ﴿إحسانًا﴾ ينظر : السبعة (٥٩٦) ، التيسير (١٩٩) ، النشر (٣٧٣/٢) .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي . ينظر البحر المحيط (٦٠/٨) كشف المشكلات (١٢٣٧/٢) .

﴿أولئك الذين يُتقبل[1]عنهم﴾ أي : يتقبل الله منهم ﴿أحسنُ ما عملوا﴾ .

﴿في أصحاب الجنة﴾ مع أصحاب الجنة ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في الدنيا .

قال محمدٌ : ﴿وعد الصدق﴾ منصوبٌ مصدر مؤكد لما قبله[2].

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرج﴾ أن أبعث ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ فلم يبعثوا .

قال محمدٌ : (أف) كلمة تبرم ، وقد مضى تفسيرها واشتقاقها بأكثر من هذا في سورة سبحان[3] وسورة الأنبياء[4].

قال : ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن﴾ أي : يقولان له ذلك ﴿إن وعد الله حق﴾ القيامة ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم ، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل أن يسلم ، وفي أبويه : أبي بكر الصديق وامرأته : أم رومان[5].

---

(١) بضم الياء وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر ، على البناء للمفعول ورفع ﴿أحسنُ﴾ وقرأ الباقون بالنون المفتوحة على البناء للفاعل ، ونصب ﴿أحسنَ﴾ على المفعولية . ينظر : النشر (٣٧٣/٢) القرطبي (١٩٦/١٦) .

(٢) الدر المصون (١٣٩/٦) .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ الإسراء : ٢٣.

(٤) عند قوله تعالى : ﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ الأنبياء : ٦٧.

(٥) قد ردت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هذا القول ، فروى البخاري (٤٣٩/٨ رقم ٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز استعمله معاوية ، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة : من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري» .

قال الله : ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ وجب عليهم الغضب ﴿في أمم﴾ أي : مع أمم ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ صاروا إلى النار .

﴿ولكل درجاتٌ مما عملوا﴾ المؤمنون والمشركون ؛ للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم ، وللمشركين درجاتٌ في النار على قدر أعمالهم .

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ وعرضهم في تفسير الحسن : دخولهم ﴿أذهبتم﴾ وتقرأ أيضًا بالاستفهام بمد : (آذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) فمن قرأها بغير مد يقول : قد فعلتم ، ومن قرأها بمد فهي على الاستفهام وإضمارها أي : قد فعلتم ، المعنى : أنكم أذهبتم[1] ﴿طيباتكم﴾ في الجنة بشرككم ﴿واستمتعتم بها﴾ يعني : بالدنيا ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ يعني : فسق الشرك .

قال محمدٌ : قراءة نافع ﴿أذهبتم﴾ بلا مد على الخبر ، وهو الذي أراد يحيى .

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿واذكر أخا عادٍ﴾ يعني : هودًا ؛ أخوهم في النسب ، وليس بأخيهم في الدين ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ وكانت منازلهم .

قال محمدٌ : الأحقافُ في اللغة واحدها : حِقْفٌ ، وهو من الرمل ما أشرف من كثبانه واستطال ، وقد قيل : إن الأحقاف ها هنا : جبلٌ بالشام[2].

﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ وهو بدء كلام مستقبل ، يخبر الله أن النذر قد

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين ، والباقون بهمزة واحدة . ينظر : البحر (٦٣/٨) ، الدر المصون (١٤٠/٦) .

(٢) وقيل : هو الرمل المستطيل المعوج . لسان العرب (حقف) .

مضت من بين يدي هود ؛ أي : من قبله ﴿ومن خلفه﴾ أي : ومن بعده يدعون إلى ما دعا إليه هود [﴿ألا تعبدوا إلا اللَّه](١) إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ رجع إلى قصتهم (ل٣٢٥) [﴿قالوا آجتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾](٢) أي : قد فعلت ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ كان يعدهم [بالعذاب](١) إن لم يؤمنوا .

﴿قال﴾ لهم : ﴿إنما العلم عند اللَّه﴾ علمُ متى يأتيكم العذاب .

﴿فلما رأوه﴾ رأوا العذاب ﴿عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ حسبوه سحابًا ، وكان قد أبطأ عنهم المطر ، قال اللَّه : ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ لما كانوا يستعجلون به هودًا من العذاب استهزاءً وتكذيبًا ﴿ريحٌ فيها عذابٌ أليم﴾ موجع .

قوله تعالى : ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ أي : تدمر كل شيءٍ أُمِرتْ به ، وهي ريحُ الدَّبُور(٣) ﴿فأصبحوا لا تَرَى إلا مساكنَهم(٤) ﴾ يقوله للنبي ، أي : لا تُبْصر إلا مساكنَهم ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ أي : فيما لم نمكنكم فيه كقوله : ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولادًا﴾(٥).

﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ نزل بهم عقوبة استهزائهم ، يعني : ما عذبهم به .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ يقوله لأهل مكة وهي أم القرى ، منها دُحِيت الأرضُ ، وما حولها البلاد كلها أخبر اللَّه بهلاك من أَهْلَكَ ﴿وصرفنا الآيات لعلهم [يرجعون](٦) ﴾ لعل من

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) وهي ريح تهب من المغرب ، وتقابل القَبُول ؛ وهي ريح الصَّبَا . لسان العرب (دبر) .

(٤) هكذا ضبطت القراءة في الأصل ﴿لا تَرَى إلا مساكنَهم﴾ وهي قراء السبعة إلا حمزة وعاصمًا ؛ فقد قرآ : ﴿لا يُرَى إلا مساكنُهم﴾ . ينظر : البحر (٦٥/٨) ، الدر المصون (١٤٢/٦) .

(٥) التوبة : ٦٩ .

(٦) ليست في « الأصل » .

بعدهم أن يرجعوا إلى الإيمان ؛ يحذرهم .

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة﴾ يعني : آلهتهم التي عبدوها ، زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى ، يقول : فهلا نصروهم إذ جاءهم العذاب .

قال محمدٌ : المعنى : اتخذوهم آلهة يتقربون بهم إلى الله ، وهو معنى قول يحيى .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن﴾ أي : وجَّهنا ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ يقوله بعضُهم لبعض ﴿فلما قُضِي﴾ لما قرأه النبيُّ عليهم ﴿ولوا﴾ رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾ وهم جنُّ نصيبين ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا﴾ يعنون : القرآن ﴿أنزل من بعد موسى﴾ كانوا على اليهودية ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ من الكتاب .

﴿ومن لا يجب داعي الله﴾ يعني : النبي ؛ أي : لا يؤمن ﴿فليس بمعجزٍ في الأرض﴾ فليس بالذي يسبق الله حتى لا يبعث .

يحيى : عن الصلت بن دينار ، عن حبيب بن أبي فضالة ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « خرجنا حاجِّين - أو معتمرين - حتى إذا كنا بالطريق هاجت ريحٌ ، فارتفعت عجاجة[1] من الأرض ، حتى إذا كانت على رءوسنا تكشفت عن جان بيضاء - يعني : حيّة - فنزلنا ، وتخلّف صفوان بن المعطّل فأبصرها ، فصب عليها من مطهرته ، وأخرج خرقة من عيبته[2] فكفنها فيها ، ثم دفنها ثم اتبعنا ، فإذا بنسوة قد جئن عند العشاء فسلمن ، فقلن : أيكم دفن عمرو بن جابر؟ قلنا : والله ما نعرف عمرو بن جابر! فقال صفوان : أبصرت جانًّا بيضاء فدفنتها .

---

(١) هي الغبار . لسان العرب (عجج) .

(٢) وعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع ، والجمع : عِيَب ، وعِيَاب . لسان العرب (عيب) .

قلن : فإن ذلك عمرو بن جابر بقيّة من استمع إلى رسول الله قراءة القرآن من الجن ، التقى زحفان من الجن : زحف من المسلمين ، وزحفٌ من الكفار ، فاسْتُشْهِدَ رحمه الله »[١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله : ﴿أو لم يروا﴾ يعني : المشركين ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ كقوله : ﴿وما مسنا من لغوب﴾[٢] ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ .

قال محمدٌ : دخلت الباء في خبر (أنْ) بدخول (أو لمْ) في أول الكلام ، المعنى : أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى[٣].

---

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق ، والصلت بن دينار متروك الحديث ، ترجمته في التهذيب (٢٢١/١٣ - ٢٢٦) .
ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣١٢/٥) وأبو بكر بن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٨٨/٣ رقم ١٤٠٧) والطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٨ رقم ٧٣٤٥) والحاكم (٥١٩/٣) من طريق سلم بن قتيبة عن عمر بن نبهان عن سلام أبي عيسى عن صفوان بن المعطل بنحوه .
وعزاه ابن حجر في الإصابة (٩٢/٧) للباوردي وابن مردويه في تفسيره أيضًا .
وقال الهيثمي في المجمع (٢/١٠) : رواه عبد الله بن أحمد والطبراني ، وفيه عمر بن نبهان ، وهو متروك .
قلت : وقع في المستدرك المطبوع : « عمر بن سنان » وهو تحريف ، وهو في إتحاف المهرة (٣٠٧/٦) على الصواب ؛ وعمر بن نبهان من رجال التهذيب ، والله أعلم .
وقال القرطبي في تفسيره (٢١٤/١٦) ومنهم - أي : من الجن الذين بايعوا النبي ﷺ - عمرو بن جابر ؛ ذكره ابن سلام من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود ...فذكر نحوه مختصرًا .
وقال ابن حجر في الإصابة (٩٢/٧) : وروى الحكيم الترمذي في نوادره من طريق سفيان عن أبي إسحاق عن ثابت بن قطنة الثقفي قال : « جاء رجل إلى ابن مسعود . . . » فذكر نحوه مختصرًا .
قلت : ويراجع كتاب « أكام المرجان في أحكام الجان » للقاضي بدر الدين الشبلي ، وكتاب « لقط المرجان في أحكام الجان » للسيوطي ، لعل فيهما فائدة زائدة في الكلام على هذا الحديث ؛ فإن يدي لا تطولهما الآن وعهدي بهما بعيد ، والله أعلم .
(٢) ق : ٣٨.
(٣) ينظر : إعراب القرآن (١٦١/٣ - ١٦٢) ، البيان (٣٧٣/٢) ، البحر المحيط (٦٨/٨) .

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ يقال لهم وهم في النار : أليس هذا بالحق الذي كنتم توعدون في الدنيا؟ ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ تفسير الكلبي يعني : من أُمِرَ بالقتال من الرسل ﴿ولا تستعجل لهم﴾ يعني : المشركين بالعذاب .

﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ يعني : العذاب ﴿لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغ﴾ [...(ل٣٢٦) ...][1] ﴿فهل يهلك﴾ بعد البلاغ ﴿إلا القوم الفاسقون﴾ المشركون .



(١) طمس في الأصل .

تفسير سورة محمد ﷺ
وهي مدنية كلها

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ سبيل الهدى؛ يعني: الإسلام ﴿أضل أعمالهم﴾ أحبط أعمالهم في الآخرة؛ يعني: ما عملوا من حسن ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ صدقوا به؛ يعني: القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم﴾ غفرها لهم ﴿وأصلح بالهم﴾ حالهم؛ يعني: يدخلهم الجنة ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعني: إبليس؛ اتبعوا وسوسته بالذي دعاهم إليه من عبادة الأوثان ﴿كذلك يضرب الله﴾ أي: يبين ﴿للناس أمثالهم﴾ يعني: صفات أعمالهم.

قال محمدٌ: معنى قول القائل: ضربت لك مثلاً؛ أي: بينت لك صنفًا من الأمثال[1].

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾.

يحيى: عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن «أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى حي فأصابوهم، فصَعِد رجلٌ منهم شجرةً ملتفة أغصانُها - قال الذي حضر - قطعناها فلا شيء، ورميناها فلا شيء؟ قال: فجاءوا بنارٍ فأُضْرِمتْ فيها فخرَّ الرجل ميتًا فبلغ ذلك رسولَ الله فتغيَّر

(١) لسان العرب (ضرب).

وجهه تغيُّرا شديدًا ، ثم قال : إني لم أُبعَث لأعذِّب بعذاب الله! ولكن بُعِثت بضرب الأعناق والوثاق »[١].

قوله : ﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ وهذا في الأَسْرى ﴿فإما منًّا بعد وإما فداء﴾ لم يكن لهم حين نزلت هذه الآية إذا أخذوا أسيرًا إلا أن يقادوه أو يمنوا عليه فيرسلوه ، وهي منسوخة نسختها ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم ...﴾[٢] الآية ؛ فإن شاء الإمامُ قتل الأسير ، وإن شاء جعله غنيمة وإن شاء فاداه ، وأما المنُّ بغير فداء فليس ذلك له .

قال محمدٌ : قوله : ﴿أثخنتموهم﴾ يعني : أكثرتم فيهم القتل[٣] كقوله : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا﴾[٤] أي : يبالغ في القتل .

وقوله : ﴿فضرب الرقاب﴾ منصوبٌ على الأمر ؛ أي : فاضربوا الرقاب[٥]. وقوله : ﴿فإما منًّا بعد وإما فداءً﴾ يعني : مُنُّوا منًّا ، وافدوا فداءً ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ تفسير مجاهد[٦]: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام .

قال يحيى : وفيها تقديمٌ ؛ يقول : فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى تضع الحربُ أوزارَها .

قال محمدٌ : المعنى : حتى يضع أهلُ الحرب السلاحَ ؛ وهو الذي ذهب إليه مجاهد ، وأصل الوزر ما حملته ، فسمي السلاح : أوزارًا ؛ لأنه يُحمل[٧]، قال الأعشى :

وأَعْـدَدْتُ لـلـحـربِ أَوْزَارَهَـا رِمَـاحًـا طِـوَالاً وَخَـيْـلاً ذُكُـورا[٨]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠/١٢ رقم ١٤٠٩١) والطبري في تفسيره (١٩٨/٩) من طريق وكيع عن المسعودي .

(٢) الأنفال : ٥٧.

(٣) لسان العرب (ثخن) .

(٤) الأنفال : ٦٧.

(٥) ينظر : البحر المحيط (٧٤/٨) ، كشف المشكلات (١٢٤٢/٢) .

(٦) رواه الطبري (٤٢/٢٦) بمعناه .

وعزاه السيوطي في الدر (٥٢/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في سننه .

(٧) لسان العرب (وزر) .

(٨) البيت من بحر المتقارب . ينظر : ديوان الأعشى (٧١) ، التهذيب ، اللسان (وزر) ، الكشاف (٣٧٧/٤) .

يحيى : عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير قال : « سألتُ جابر بن عبد الله قلت : إذا كان عليَّ إمامٌ جائرٌ فلقيتُ معه أهل ضلالة أأقاتل أم لا ، ليس بي حبه ولا مظاهرتُه؟ قال : قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم ، وعلى الإمام ما حُمل ، وعليك ما حملت »(١).

يحيى : عن عمار الدُّهني ، عن جسر المصيصي ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « بُني الإسلام على ثلاث : الجهادُ ماضٍ منذ بعث الله نبيَّه إلى آخر فئةٍ من المسلمين تكون هي التي تقاتل الدَّجال ؛ لا ينقضه جَوْرُ من جار ، والكف عن أهل لا إله إلا الله أن تكفروهم بذنب ، والمقادير خيرها وشرها من الله »(٢).

﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ بغير قتالٍ (...)(٣) ﴿ولكن ليبلوا﴾ يبتلي ﴿بعضكم ببعض﴾ .

﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ (ل٣٢٧) لن يحبطها الله (...)(٣) فإن أحسنوا غفر لهم ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾ حالهم ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ تفسير مجاهد : يعرفون منازلهم في الجنة [ويهتدون](٤) إليها .

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣٩٢/٢ - ٣٩٣ رقم ١٣٥) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .

(٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٧٥٠/٣ رقم ٣٧٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام .
ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٣) من طريق آخر عن الحسن ، وفيه من لم يسم .
ورواه عبد الرزاق في المصنف (٢٧٩/٥ رقم ٩٦١١) عن عبد القدوس عن الحسن .
وروى سعيد بن منصور في سننه (١٤٣/٢ رقم ٢٣٦٧) وأبو عبيد في الإيمان (٢٧) وأبو داود (٢٢٨/٣ رقم ٢٥٢٤) وابن أبي زمنين في أصول السنة (٢١٦) والبيهقي في سننه (٥٦/٩) من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن أبي نشبة عن أنس ﷺ مرفوعًا نحوه .
قال المنذري : يزيد بن أبي نشبة في معنى المجهول . وقال عبد الحق : يزيد بن أبي نشبة هو رجل من بني سليم ، لم يروه عنه إلا جعفر بن برقان . نصب الراية (٣٧٧/٣) .
وروى الطبراني في الأوسط (٩٥/٥ - ٩٦ رقم ٤٧٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٧٣/٣) عن علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا نحوه .
قال الهيثمي في المجمع (١٠٦/١) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي ، كان يضع الحديث .

(٣) طمس في الأصل .

(٤) طمس في الأصل ، وروى الطبري في تفسيره (٤٤/٢٦) في تفسير هذه الآية عن مجاهد قال : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم لا يخطئون ، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا . =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللّه ينصركم﴾ نصرتهم النبي نصرة للّه .

﴿والذين كفروا فتعسًا لهم﴾ تفسير الحسن : أن التَّعْسَ شتم من اللّه لهم ، وهي كلمةٌ عربية[1].

قال محمدٌ : قيل : إن معنى (تعْسًا لهم) : بُعدًا لهم ، وقالوا : تَعِسَ الرجل ، وفيها لغة أخرى تَعَسَ بفتح العينْ ، وأَتْعَسْتُهُ أنا ؛ أي : أشقيته[2]، وتعسًا منصوبٌ على معنى : أتعسهم اللّه[3].

﴿وأضل أعمالهم﴾ أحبطَ ما كان منها حسنًا .

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل اللّه﴾ القرآن ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي : أهلكهم اللّه ﴿وللكافرين أمثالها﴾ يعني : عاقبة الذين تقوم عليهم الساعة : كفار آخر هذه الأمة ؛ يهلكون بالنفخة الأولى .

قال محمدٌ : المعنى : وللكافرين أمثالها ؛ أي : أمثال تلك العاقبة .

﴿ذلك بأن اللّه مولى﴾ يعني : وليّ ﴿الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ لا وليَّ لهم إلا الشيطان ؛ فإنه وليُّهم ، وقوله في غير هذه السورة : ﴿ثم رُدوا إلى اللّه مولاهم الحق﴾[4] فمعناه : مالكهم ، وليس هو من باب ولاية اللّه للمؤمنين .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ

= وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣) لعبد بن حميد أيضًا .

(١) وقيل : التعس : الهلاك ، وقيل : الجر على الوجه ، وقيل غير ذلك . ينظر : الدر المصون (١٤٨/٦) ، لسان العرب (تعس) .

(٢) لسان العرب (تعس) .

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع . ينظر : إعراب القرآن (١٦٩/٣) ، البيان (٣٧٤/٢) ، معاني القرآن للفراء (٥٨/٣) .

(٤) الأنعام : ٦٢.

أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾

﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ في الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ وهي غافلة عن الآخرة ﴿والنار مثوًى لهم﴾ أي : منزلٌ ، يعني : الذين كفروا .

﴿وكأين من قرية﴾ أي : وكم من قرية ﴿هي أشدُّ قوة﴾ أهلها أشدُّ قوة ﴿من قريتك﴾ من أهل قريتك ﴿التي أخرجتك﴾ أخرجك أهلها ؛ يعني : مكّة .

﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ وهذا المشرك ؛ أي : ليسا بسواء .

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿مثلُ الجنة﴾ صفة الجنة ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ أي : متغيّر .

قال محمدٌ : يقال : أَسَنَ الماءُ يأْسُنُ أُسُونًا وأَسْنًا[1].

﴿وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه﴾ أي : لم يخرج من ضلوع المواشي فيتغيّر ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين﴾ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿لذة﴾ أي : لذيذة ، يقال : شرابٌ لَذٌّ إذا كان طيّبًا .

﴿وأنهارٌ من عسلٍ مصفى﴾ لم يخرج من بطون النّحل ﴿ولهم فيها من كل الثمرات ...﴾ إلى قوله : ﴿فقطع أمعاءهم﴾ وهذا على الاستفهام ، يقول : أهؤلاء المتقون الذين وُعِدُوا الجنة فيها ما وصف ﴿كمن هو خالدٌ في النار﴾ على ما وصف؟! أي : ليسوا سواءً .

﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعني : المنافقين ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم

---

(١) يقال : أَسَنَ الماء يَأْسِن أَسْنًا وأُسُونًا ، وأَسِنَ يَأْسَنُ أَسَنًا . لسان العرب (أسن) .

ماذا قال آنفًا﴾ كانوا يأتون النبي ﷺ يستمعون حديثه من غير حِسْبَة ولا يفقهون حديثه ؛ فإذا خرجوا من عنده قالوا لعبد الله بن مسعود : ماذا قال محمدٌ آنفًا؟ لمْ يفقهوا ما قال النبي .

قال محمدٌ : ﴿آنِفًا﴾ معناه : الساعة[١].

قال الله للنبي : ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ .

﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى﴾ كلما جاءهم من الله شيءٌ صدقوه ؛ فزادهم ذلك هدًى ﴿وآتاهم﴾ أعطاهم ﴿تقواهم﴾ جعلهم متَّقين .

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فهل ينظرون﴾ أي : فما ينتظرون ﴿إلا الساعة﴾ النفخة الأولى التي يهلك الله بها كفَّار آخر هذه الأمة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ كان النبي ﷺ من أشراطها ، وأشراطها كثير ، منها انشقاق القمر ، ورَجْمُ الشياطين بالنجوم .

قال محمدٌ : معنى (أشراطها) : أعلامها ، الواحد منها شَرَطٌ - بالتحريك[٢] - وأنشد بعضهم :

فَإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بالصَّرْمِ بَيْنَنَا ... فقد جَعَلَتْ أَشْرَاطُ أَوَّلِهِ تَبْدُو[٣]

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما مثلي ومثل الساعة [كهاتين . فما فضل إحداهما على الأخرى ، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس : السبابة][٤]»[٥].

---

(١) لسان العرب (أنف) .

(٢) الواحد : شَرْط وشَرَط . لسان العرب (شرط) .

(٣) البيت لأبي الأسود ، وهو من بحر الطويل . ينظر : البحر (٧٠/٨) ، الكشاف (٣٢٣/٤) .

(٤) سقطت من الأصل ، وأثبتها مما يأتي في تفسير سورة القمر ، الآية : ١، ومثله في كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني .

(٥) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٧٦١/٤ رقم ٣٧٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «بُعثت أنا والساعة كهاتين - ويشير بأصبعيه» .
رواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٢٢٦٨/٤ - ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٠) عن أنس ﷺ .
ورواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٣) عن سهل بن سعد ﷺ .

(ل٣٢٨) **يحيى**: عن خداش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «حين بُعِثَ إليَّ بُعِثَ إلى صاحب الصُّور فأهوى به إلى فيه، وقدَّم رجلاً وأخَّر أخرى، ينتظر متى يؤمر ينفخ، ألا فاتقوا النفخة»[١].

﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ أي: فكيف لهم توبتهم إذا جاءتهم الساعة؟! أي: أنها لا تقبل منهم ﴿والله يعلم متقلَّبكم﴾ في الدنيا ﴿ومثواكم﴾ إذا صرتم إليه، والمثوى: المنزل الذي يثوون فيه لا يزولون عنه[٢].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ويقول الذين آمنوا لولا﴾ هلا ﴿نزلت سورة﴾ ﴿محكمة﴾ أي: مفروضٌ فيها القتال.

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ يعني: المنافقين ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ خوفًا وكراهية للقتال ﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيدٌ من الله لهم، ثم انقطع الكلام.

قوله: ﴿طاعة﴾ أي: طاعةٌ لله ورسوله ﴿وقول معروف﴾ خير مما أضمروا من النفاق ﴿فإذا عزم الأمر﴾ بالجهاد في سبيل الله ﴿فلو صدقوا الله﴾ فكان باطن أمرهم وظاهره صدقًا ﴿لكان خيرًا لهم﴾ يعني: به المنافقين.

= ورواه البخاري (٣٥٥/١١ رقم ٦٥٠٥) عن أبي هريرة ﷺ.
ورواه مسلم (٥٩٢/٢ رقم ٨٦٧) عن جابر ﷺ.
وفي الباب عن عدة من الصحابة ﷺ.

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٧٦٤/٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ١٢٨٢/٦ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
وتقدم هذا الحديث في أول تفسير سورة الأنبياء.

(٢) لسان العرب (ثوى).

قال : ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ عما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروه شركًا ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي : تقتلوا قرابتكم .

قال محمدٌ : قرأ نافع ﴿عَسِيتُمْ﴾ بكَسْر السين ، وقرأ غير واحد من القراء بالفتح ، وهي أعلى اللغتين وأفصحهما ؛ ذكره أبو عُبَيْد[1].

﴿أولئك الذين لعنهم اللّه فأصمّهم﴾ عن الهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عنه ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ أي : أن على قلوبهم أقفالها ؛ وهو الطَّبْع .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى﴾ من بعد ما أعطوا الإيمان ، وقامت عليهم الحجة بالنبي والقرآن ، يعني : المنافقين ﴿الشيطان سوَّل لهم﴾ زيَّن لهم ﴿وأملى لهم﴾ قال الحسن : يعني : وسوس إليهم أنكم تعيشون في الدنيا بغير عذاب ، ثم تموتون فتصيرون إلى غير عذاب ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل اللّه سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي : في الشرك وافقوهم على الشرك ؛ في السّرّ ﴿واللّه يعلم إسرارهم﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ بفتح الألف فهو جمع (سِرّ)[2].

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ تفسير الحسن : ﴿توفتهم الملائكة﴾ حشرتهم إلى النار ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ في النار .

قال محمدٌ : المعنى : فكيف تكون حالُهم إذا فعلت الملائكة هذا بهم؟!

---

(١) قرأ نافع : ﴿عَسِيتم﴾ بالكسر ، وقرأ الباقون بفتحها . النشر (٢/ ٢٣٠) ، وإتحاف الفضلاء (٢٠٧) وتفسير القرطبي (٣/ ٢٤٤) قال القرطبي : ﴿عسيتم﴾ بالفتح والكسر لغتان ، وبالثانية قرأ نافع ، والباقون بالأولى ، وهي الأشهر .

(٢) قرأ الأخوان وحفص بكسر الهمزة مَصْدرًا ، وقرأ الباقون بفتحها جمع (سرّ) ينظر : الدر المصون (٦/ ١٥٦) .

﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يعني : ما يكنون في صدورهم من الشرك .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ يعني : نعتهم من غير أن تعرفهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ يعني : تَعَلُّلهم وما كانوا يعتذرون به من الباطل في الغَزْوِ ، وفيما يكون منهم من القول ، ثم أخبره الله بهم ، فلم يَخْفَ على رسول الله بعد هذه الآية منافقٌ ، وأَسَرَّهم النبي إلى حذيفة .

قال محمدٌ : ﴿في لحن القول﴾ أي : في لحن كلامهم ومعناه ، وأصل الكلمة من قولهم : لَحَنْتُ أي : بيَّنتُ ، وأَلْحَنْتُ الرجلَ فَلَحِنَ ؛ أي : فهَّمتُه فَفَهِمَ[1].

﴿والله يعلم أعمالكم﴾ من قبل أن تعملوا .

﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ وهذا علم الفَعَال ﴿ونبلوا أخباركم﴾ أي : نختبركم ؛ فنعلم من يصدق فيما أُعْطي من الإيمان ومن يكذب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وشاقوا الرسول﴾ فارقوه وعادوه ﴿من بعد ما تبينَ لهم الهدى﴾ من بعد ما قامت عليهم الحُجَّة ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ بكفرهم ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ (...)[2].

﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ تفسير السُّدي : لا تُحْبطوا أعمالكم (...)[3].

---

(١) اللَّحْنُ : الفطنة إلى الحُجَّة ، واللَّحْنُ : الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب . لسان العرب (لحن) .

(٢) طمس في الأصل بمقدار ثلاث كلمات تقريبًا .

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل .

﴿فلا تهنوا﴾ (ل٣٢٩) لا تضعُفوا في الجهاد ﴿وتدعوا إلى السّلم﴾ الصلح ، أي : لا تدعوا إلى الصلح ﴿وأنتم الأَعْلَوْن﴾ أي : منصورون ؛ يقوله للمؤمنين ﴿والله معكم﴾ ناصركم ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أي : لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم .

قال محمدٌ : يقال : وَتَرْتَني حقِّي ؛ أي : بَخَسْتَنِيه ، وهو الوِتْر بكسر الواو والتِّرَةُ أيضًا[١].

يحيى : عن همام ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال : « إن الله لا يَظْلم المؤمن حسنةً يُثاب عليها الرزق في الدنيا ، ويُجزى بها في الآخرة »[٢] من حديث يحيى بن محمد .

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

قوله : ﴿إنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهو﴾ أي : إن أهل الدنيا ؛ يعني : المشركين الذين لا يريدون غيرها أهل لَهْوٍ ولعبٍ .

﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ ثوابكم ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ يعني : النبي ﴿إن يسئلكموها فيُحْفكم﴾ بالمسألة ﴿تبخلوا﴾ أي : لو سألكم أموالكم لبخلتم بها ﴿ويخرج أضغانكم﴾ عداوتكم .

قال محمدٌ : يقال : أَحْفاني بالمسألة ؛ أي : أَلَحّ[٣].

---

(١) ويقال : الوَتْر بفتح الواو أيضًا . ينظر : لسان العرب (وتر) .

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١١١ رقم ٣٢٧) عن همام بن يحيى به .

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣) وعبد بن حميد (٣٥٥ رقم ١١٧٨) والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٣٢) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٨) وابن حبان (٢/ ١٠١ - ١٠٢ رقم ٣٧٧) من طريق همام به .

ورواه الطيالسي (٢٦٩ رقم ٢٠١١) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨/ ٥٧) والطبري في تفسيره (٥/ ٨٩، ٣٠/ ٢٧٠) من طرق عن قتادة به .

(٣) أي : أَلَحّ عليه في السؤال وجهده ، وردّد الكلام واستقصاه . لسان العرب (حفى) .

﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل﴾ بالنفقة في سبيل الله ؛ يعني : المنافقين ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني﴾ عنكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه ؛ يعني : جماعة الناس ﴿وإن تتولوا﴾ عن الإيمان ﴿يستبدل قومًا غيركم﴾ ويهلككم بالاستئصال ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ أي : يكونوا خيرًا منكم ؛ يقوله للمشركين .



تفسير سورة الفتح وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ...﴾ إلى قوله : ﴿مستقيمًا﴾ .

يحيى[١]: عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ عند مَرْجعه من الحُدَيبية ، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة ، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدي بالحديبية . فقال : لقد نزلت عليَّ آيةٌ لهي أحبُّ إلي من الدنيا جميعًا! فلما تلاها عليهم ، قال رجُلٌ من القوم : هنيئًا مريئًا لك يا رسول الله ، قد بيَّن اللهُ لنا ما يفعل بك ، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله : ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات ...﴾ إلى قوله : ﴿فوزًا عظيمًا﴾ »[٢].

---

(١) وضع بعدها الناسخ علامة لحق ، ولم يظهر في الحاشية شيء ، وإنما سقط من الإسناد شيخ يحيى الذي يروى هذا الحديث عن قتادة ، وقد روى هذا الحديث عن قتادة جماعة - سيأتي بيانهم إن شاء الله - وأظن يحيى رواه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ؛ لأن لفظ الكتاب أقرب ما يكون إلى رواية سعيد ، والله أعلم .

(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٥/٣) ومسلم (١٤١٣/٣ رقم ١٧٨٦) وأبو يعلى (٣٠٨/٥ رقم ٢٩٣٢، ٤٧٢/٥ رقم ٣٢٠٢، ٤٧٢/٥ - ٤٧٣ رقم ٣٢٠٤) والطبري (٦٩/٢٦ - ٧٠) وابن حبان (٩٢/٢ - ٩٣ رقم ٣٧٠) والبيهقي (٢٢٢/٩) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨١ - ٢٨٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به .
ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٢، ١٣٤، ٢٥٢) ومسلم (١٤١٣/٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٦٩/٢٦) وأبو عوانة (٤/ ٢٩٩ رقم ٦٨١١) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨١) من طريق همام بن يحيى عن قتادة به .
ورواه الإمام أحمد (١٩٧/٣) وعبد الرزاق في تفسيره (٢٢٥/٣) والترمذي (٣٥٩/٥ - ٣٦٠ رقم ٣٢٦٣) وأبو يعلى (٣٨٥/٥ رقم ٣٠٤٥) من طريق معمر عن قتادة به .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ قيل : المعنى : قضينا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك ، وحكمنا لك بذلك ، ويقال للقاضي : الفتاح[1]، والحديبية اسمُ بئرٍ يُسَمَّى به المكانُ[2].

قوله : ﴿وينصرك الله نصرًا عزيزًا﴾ يذلُّ به أعداءك ﴿هو الذي أنزل﴾ يعني : أثبت ﴿السكينة﴾ الوقار ، في تفسير الحسن ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ أي : تصديقًا مع تصديقهم ، يعني : يصدقونه بكل ما أُنزِلَ من القرآن .

﴿ولله جنُود السموات والأرض﴾ ينتقم لبعضهم من بعض .

﴿وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا﴾ وهي النجاة من النار إلى الجنة .

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨

= ورواه مسلم (١٤١٣/٣ رقم ١٧٨٦) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٨) وأبو عوانة (٢٩٩/٤ رقم ٦٨١٠) من طريق شيبان عن قتادة .

ورواه مسلم (١٤١٣/٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٦٩/٢٦) وأبو عوانة (٢٩٨/٤ - ٢٩٩ رقم ٦٨٠٩) والواحدي في أسباب النزول (٢٨١) من طريق معتمر بن سليمان عن قتادة .

ورواه الحاكم (٤٦٠/٢) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة ، وفيه زيادة .

قال الذهبي : قلت : الحكم ضعيف .

ورواه الإمام أحمد (١٧٣/٣ - ١٧٤) والبخاري (٥١٦/٧ رقم ٤١٧٢) وأبو يعلى (٢١/٦ - ٢٢ رقم ٣٢٥٢) وأبو عوانة (٣٠٠/٤ رقم ٦٨١٥) والبيهقي (٢٢٢/٩) من طريق شعبة عن قتادة ، قال شعبة : فأتيت الكوفة فحدثتهم بهذا الحديث عن قتادة عن أنس ، فلما رجعنا إلى البصرة ، سألت عنه قتادة فقال : أما الأول فتح الحديبية فهو فعن أنس ، وأما هذا قول أصحابه : « هنيئًا لك » هذا عن عكرمة . انتهى وهذا لفظ أبي عوانة .

قلت : ولم يذكر الإمام مسلم - رحمه الله - هذه الزيادة المدرجة في رواياته ، وقد بيَّن هذا الإدراج بطرقه وأسانيده الخطيب البغدادي - رحمه الله - في الفصل للوصل المدرج في النقل (٤٦٠/١ - ٤٧٣ رقم ٤٦) أتم بيان .

ورواه ابن حبان (٩٣/٢ - ٩٤ رقم ٣٧١) من طريق الحسن عن أنس ﷺ بتمامه .

(١) لسان العرب (فتح) .

(٢) معجم البلدان (٢٦٥/٢) .

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

قوله : ﴿الظانّين بالله ظن السَّوْءِ﴾ كانوا يقولون : يهلكُ محمدٌ وأصحابه ودينه ﴿عليهم دائرةُ السوء﴾ يعني : الهلاك في الآخرة ﴿وساءت مصيرًا﴾ أي : وبئست المصير .

﴿وكان الله عزيزًا﴾ في نقمته ﴿حكيمًا﴾ في أمره .

﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمتك ﴿ومبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ يقوله للناس ﴿وتعزروه﴾ أي : وتنصروه ﴿وتوقروه﴾ أي : وتعظموه ؛ يعني : النبي ﷺ في تفسير الكلبي ﴿وتسبحوه﴾ تسبّحوا الله : تصلوا له ﴿بكرةً وأصيلاً﴾ بكرة : صلاة الصبح ، وأصيلاً : صلاة الظهر والعصر .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّه﴾ من بايع رسول الله فإنما يبايع اللّه ، وهذا يوم الحديبية ، وهي بيعة الرضوان ؛ بايعوه على ألا يفروا ﴿يدُ اللّهِ فوق أيديهم﴾ تفسير السُّدي يقول : فعل اللّه بهم الخير أفضل من فعلهم في أمر البيعة .

يحيى : عن ابن لهيعة (...(ل ٣٣٠) ...)[1] يوم بيعة رسول اللّه تحت الشجرة « أن رسول اللّه بعث عثمان بن عفان إلى قريش بمكة يدعوهم إلى الإسلام ، فلما راث عليه - أي : أبطأ عليه - ظنَّ رسول اللّه أن عثمان قد غُدِر به فقُتل ؛ فقال لأصحابه : إني لا أظن عثمان إلا قد غُدر به ؛ فإن فعلوا فقد نقضوا العَهْد ، فبايعوني على الصبر وألا تفروا » .

---

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر ، ولم أجد الحديث بهذا اللفظ ، والله أعلم .

قوله : ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ أي : فمن نكث ؛ يعني : يرجع (...)[١] محمد فإنما ينكث على نفسه ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ يعني : الجنة .

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ يعني : المنافقين المتخلِّفين عن الجهاد ؛ في تفسير الحسن ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ خِفْنَا عليهم الضَّيْعَةَ ، فذلك الذي منعنا أن نكون معك في الجهاد .

﴿فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ أي : يعتذرون بالباطل ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئًا إن أراد بكم ضرًا﴾ أن يهلككم بنفاقكم فيدخلكم النار ﴿أو أراد بكم نفعًا﴾ أن يرحمكم بإيمان يَمُنُّ به عليكم ، وقد أخبر نبيَّه بعد هذه الآية أنه لا يتوب عليهم في قوله : ﴿لن يغفر الله لهم﴾[٢].

﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا﴾ كان المنافقون يقولون : لن يرجع محمدٌ إلى المدينة أبدًا ﴿وكنتم قومًا بورًا﴾ يعني : فاسدين .

قال محمدٌ : البور في بعض اللغات : الفاسدُ ، يقال : أصبحت أعمالهم بورًا ؛ أي : مُبْطَلة ، وأصبحت ديارُهم بورًا ؛ أي : معطلة خرابًا[٣].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ولا يشاء أن يغفر إلا لمن تاب من الشرك وبرئ من النفاق ، ويعذِّب من أقام عليه حتى يموت ﴿وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ لمن آمن .

﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ وهم المنافقون : ﴿ذرونا﴾ يقولونه للمؤمنين ﴿نتبعْكم﴾ وهذا حين أرادوا أن يخرجوا إلى خَيْبَر أحبوا الخروج ليصيبوا من الغنيمة ، وقد كان الله

---

(١) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات .

(٢) المنافقون : ٦.

(٣) لسان العرب : (بور) .

وعدها النبي ﷺ فلم يترك ﷺ أحدًا من المنافقين يخرج معه إلى خيبر أمره الله بذلك ، وإنما كانت لمن شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا﴾ أي : لن تخرجوا معنا ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ ألا تخرجوا ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ إنما تمنعوننا من الخروج معكم للحسد ، قال الله : ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا﴾ عن الله ، ثم استثنى المؤمنين فقال : ﴿إلا قليلا﴾ فهم الذين يفقهون عن الله .

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ والبأس : القتال .

﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أي : تقاتلونهم على الإسلام . قال الحسن[1] ومجاهد[1]: هم أهل فارس ﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ قال الكلبي : يوم الحديبية .

عَذَرَ الله عند ذلك أهلَ الزّمانة[2] فقال : ﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ إثمٌ ﴿ولا على الأعرج حرجٌ﴾ أن يتخلَّفوا عن الغزوة ﴿ولا على المريض حرجٌ﴾ فصارت رخصة لهم في الغزو ، ووضع عنهم .

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (٢٦/٨٢) .

(٢) أي : المرض الشديد الملازم زمانًا ، والذي أقعدهم دون الغزو .

﴿لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ قال جابر بن عبد اللَّه : « كانت سَمُرةً[1] بايعناه تحتها وكنا أربع عشرة مائة - يريد ألفًا وأربعمائة - وعمر آخذٌ بيده فبايعناه كلنا غير جد بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره . قال جابر : ولم نبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية »[2].

قال : ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ أنهم صادقون ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ تفسير الحسن : السكينة : الوقار ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ خيبر ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يأخذها المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿وعدكم اللَّه مغانم كثيرة تأخذونها﴾ (...)[3].

﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ وهم أسد وغطفان كانوا (...)[4] خيبر ، وكان (ل ٣٣١) اللَّه قد وعد نبيه خيبر ؛ فأمر رسول اللَّه ﷺ أن يوجهوا راياتهم إذا هموا إلى غطفان وأسد فبلغهم ذلك ، فألقى اللَّه في قلوبهم الرعب ، فهربوا من تحت ليلتهم[5] فهو قوله : ﴿وكفَّ أيدي الناس عنكم ...﴾ إلى آخر الآية ؛ هذا تفسير الكلبي .

قوله : ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ بعد ﴿قد أحاط اللَّه بها﴾ يقول : أعلم أنكم ستظفرون بها وتفتحونها ؛ يعني : كل غنيمة يغنمها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ في تلك الحال ﴿لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًّا﴾ يمنعهم من ذلك القتل الذي يقتلُهم المؤمنون ﴿ولا نصيرًا﴾ ينتصر لهم ﴿سنة اللَّه التي قد خلت من قبل﴾ أي : بقتل من أظهر الشرك ، إذْ أُمِرَ النبي بالقتال .

قال محمدٌ : ﴿سنة اللَّه﴾ منصوب بمعنى : سنّ اللَّه سنةً .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ

---

(١) ضرب من الشجر العظيم وجمعه : سَمُر ، وأَسْمُر . لسان العرب (سمر) .

(٢) رواه مسلم (٤/١٤٨٣ - ١٤٨٤ رقم ١٨٥٦) وبعضه في صحيح البخاري (٣٥٧٦، ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩) .

(٣) طمس في الأصل نحو أربع كلمات .

(٤) طمس في الأصل .

(٥) هكذا في الأصل : ولعل المراد : هربوا تحت ظلام الليل . واللَّه أعلم .

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قال الكَلْبي : كان هذا يوم الحديبية ؛ فإن المشركين من أهل مكّة كانوا قاتلوا رسول الله ﷺ وكان شيءٌ من رمْي نَبْلٍ وحجارة بين الفريقين ثم هزم اللّه المشركين وهم ببطن مكة ، فهُزِمُوا حتى دخلوا مكة ، ثم كفّ اللّه بعضهم عن بعضٍ .

﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ صدّ المشركون رسول اللّه ﷺ عن البيت ، فنحر ونحر أصحابه الهدي بالحديبيّة ، وهو قوله : ﴿والهدي معكوفًا﴾ أي : محبوسًا ﴿أن يبلغ محله﴾ .

قال محمدٌ : يقال : عَكَفْتُه عن كذا إذا حبَسْته ، ومنه : العاكف في المسجد ، إنما هو الذي يَحْبِس نفسه فيه[1]: والمحِلُّ : المَنْحَر[2]. ونصب (والهَدْيَ) على معنى : صدوكم وصدوا الهَدْيَ معكوفًا[3].

﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ﴾ بمكة يدينون بالتقية ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم﴾ فتقتلوهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ إثم ﴿بغير علم﴾ أي : فتقتلوهم بغير علم ﴿ليدخل اللّه في رحمته﴾ يعني : الإسلام ﴿من يشاء﴾ فيسلموا ، وقد فعل اللّه ذلك .

قال اللّه : ﴿لو تزيّلوا﴾ أي : زال المسلمون من المشركين ، والمشركون من المسلمين ، فصار المشركون مَحْضًا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا﴾ أي : لسلّطناكم عليهم فقتلتموهم .

﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحَمِيّة﴾ هم المشركون ؛ صدوا نبيَّ اللّه يوم الحديبية عن

---

(١) لسان العرب (عكف) .

(٢) لسان العرب (حلل) .

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع . ينظر : إعراب القرآن (١٩٣/٣) البيان (٣٧٨/٢) ، البحر (٩٨/٨) .

المسجد الحرام ، وحُبِسَ الهدي أن يبلغ محله ، وإنما حملهم على ذلك حَمِيَّةُ الجاهلية والتَّمَاسُك بها ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى﴾ لا إله إلا الله ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ في الدنيا ، وعليها وقع الثواب في الآخرة .

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلُن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلِّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ كان رسول الله ﷺ - في تفسير الكلبي - رأى في المنام في خروجه إلى المدينة كأنه بمكّة ، وأصحابه قد حلقوا وقصروا ؛ فأخبر رسول الله بذلك المؤمنين ، فاستبشروا وقالوا : وَحْيٌ . فلما رجع رسول الله من الحديبية ارتاب ناس ؛ فقالوا : رأى فلم يكن الذي رأى ، فقال الله - عز وجل - : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ .

قال محمدٌ : ذكر بعض العلماء أن العرب تستثني في الأمر الذي لابُدَّ منه ، ومنه قول الله - عز وجل - : ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ فعزم لهم بالدخول ، واستثنى فيه .

قال يحيى : وكان رسول الله صالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك ، ويرجع من قابل ، ويقيم بمكة ثلاثة أيام ، فنحر رسول الله ﷺ وأصحابه الهدي بالحُدَيبية ، وحلقوا وقصروا ثم أدخله الله العام المقبل مكة وأصحابه آمنين فحلقوا وقصروا .

﴿فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا﴾ فتح خيبر .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ (ل ٣٣٢) الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ تفسير الحسن : حتى يحكم على الأديان . وتفسير ابن عباس : حتى يظهر النبي على الدين كله ؛ أي : على شرائع الدين كلها ، فلم يقبض رسول الله حتى أتمَّ اللهُ ذلك .

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿أشداء على الكفار رحماءُ بينهم﴾ يعني : متوادِّين ﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا﴾ بالصلاة والصَّوْم والدين كله ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال بعضهم : سيماهم في الآخرين يقومون غرًا مُحجَّلين من أَثَرِ الوضوء ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ أي : نَعْتُهم ﴿ومثلهُم في الإنجيل﴾ أي : ونعتهم في الإنجيل ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ النعت الأول في التوراة ، والنعت الآخر في الإنجيل و (شطأه) : فِراخه ﴿فآزره﴾ فشدَّه ﴿فاستغلظ﴾ أي : فاشتد ﴿فاستوى على سوقه﴾ أي : أصوله .

قال محمدٌ : يقال : قد أشطأ الزرع فهو مُشْطِئ إذا أفرخ[١].

ومعنى (آزره) : أعانه وقوَّاه[٢]، و(السُّوق) جمع : ساق[٣].

﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ أي : يخرجون فيكونون قليلاً كالزرع حين يخرج ضعيفًا فيكثرون ويَقْوَوْن ، فشبَّهَهم بالزرْع يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . يقول : إنما يفعل ذلك بهم ليغيظ بهم الكفار ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ يعني : الجنة .



(١) لسان العرب (شطأ) .
(٢) لسان العرب (وزر) .
(٣) لسان العرب (سوق) .

تفسير سورة الحجرات
وهي مدينة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي اللّٰه ورسوله ...﴾ الآية ، تفسير مجاهد[١]: تفتاتوا على رسول اللّٰه بشيء حتى يقضيه اللّٰه على لسانه .

قال محمدٌ : يقال : فلان يقدم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه ؛ أي : يعجل بالأمر والنهي[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ...﴾ الآية ، تفسير الحسن : أن ناسًا من المنافقين كانوا يأتون النبي فيرفعون أصواتهم فوق صوته ، يريدون بذلك أذاه والاستخفاف به ، فنسبهم إلى ما أعطوا من الإيمان في الظاهر ، فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ يقول : لا تقولوا : يا محمد ، وقولوا : يا رسول اللّٰه ، ويا نبي اللّٰه ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : فيكون ذلك سَببًا لأن تحبط أعمالكم .

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول اللّٰه﴾ فيعظِّمونه بذلك ؛ فلا يرفعونها عنده ﴿أولئك

---

(١) رواه الطبري (٢٦/١١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٩٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

(٢) لسان العرب (قدم) .

الذين امتحن الله قلوبهم﴾ أخلص الله قلوبهم ﴿للتقوى﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

قوله : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي : بلغنا أن ناسًا من بَني العَنْبر ، وكان رسول الله وأصحابه قد أصابوا من ذراريهم فأقبلوا ليفادوهم ، فقدموا المدينة ظُهْرًا فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد ، فبكى إليهم ذراريهم فنهضوا فدخلوا المسجد ، وعجلوا أن يخرج إليهم النبي ، فجعلوا يقولون : يا محمد ، اخرج إلينا .

قال الله : ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم﴾ تفسير الحسن : ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ؛ فعظموك ووقروك ، لكان لهم خيرًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي : بلغنا أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة ؛ ليأخذ منهم صدقاتهم ، ففرحوا بذلك وركبوا يَلْتقونه ، فبلغه أنهم قد ركبوا يتلقونه ، وكان بينهم وبين الوليد ضِغْنٌ في الجاهلية ، فخاف الوليد أن يكونوا إنما ركبوا إليه ليقتلوه ، فرجع إلى رسول الله ولم يلقهم فقال : يا رسول الله ، إن بني المصطلق منعوا صَدَقاتهم ، وكفروا بعد إسلامهم (...)[1] قالوا : يا رسول الله ، (...)[2] إلينا (ل٣٣٣) (...)[3] إنما رده غضبة غضِبَته علينا ؛ فإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله [عذرهم][4] في هذه الآية .

---

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر .
(٢) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات .
(٣) طمس في الأصل قدر سطر .
(٤) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبته .

﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ مقيمًا بينكم ؛ فلا تضلون ما قبلتم منه ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ أي : في دينكم ، العنتُ : الحرج والضيق[١] ﴿ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم﴾ بما وعدكم عليه من الثواب ﴿وكرّه إليكم الكفر والفسوق﴾ الفسوق والعصيان واحدٌ ﴿أولئك هم الراشدون﴾ الذين حبّب إليهم الإيمان ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي : بفضل من الله ونعمته فعل ذلك بهم ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره .

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ تفسير الكلبي : بلغنا « أن رسول الله ﷺ أقبل على حمارٍ حتى وقف في مجلس من مجالس الأنصار ؛ فكره بعض القوم موقفه ، وهو عبد الله ابن أبي ابن سلول المنافق ، فقال له : خل لنا سبيل الريح من نتن هذا الحمار ، أف! وأمسك بأنفه ، فمضى رسول الله وغضب له بعض القوم ، وهو عبد الله بن رواحة فقال : ألرسول الله قلت هذا القول؟! فوالله لَحِمَارهُ أطيبُ ريحًا منك! فاستبّا ثم اقتتلا واقتتلت عشائرهما ، فبلغ ذلك رسول الله ، فأقبل يصلح بينهما ؛ فكأنهم كرهوا ذلك ، فنزلت هذه الآية : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ »[٢].

قال محمدٌ : قوله : ﴿اقتتلوا﴾ يريد جماعتهم ، وقوله : ﴿بينهما﴾ يريد الطائفتين[٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

---

(١) لسان العرب (عنت) .

(٢) روى البخاري (٣٥١/٥ رقم ٢٦٩١) ، ومسلم (١٤٢٤/٣ رقم ١٧٩٩) عن أنس بن مالك ﷺ نحوه .

(٣) ينظر الدر المصون (١٧٠/٦) .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ تفسير مجاهد[١]: لا يهزأ قوم بقوم ورجال من رجال ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي : لا يطعن بعضُكم على بعضٍ ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ تفسير الحسن[٢]: يقول الرَّجُل للرجل - قد كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ؛ فأسلم - : يا يهودي ، يا نصراني ، أي : يدعونه باسمه الأول ، ينهى اللَّه المؤمنين عن ذلك وقال : ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ بئس الاسم : اليهودية والنصرانية بعد الإسلام .

قال محمدٌ : الألقاب والأنباز واحدٌ[٣]، المعنى : لا تتداعَوْا بها ، وهو تفسير الحسن .

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثمٌ﴾ تفسير الحسن : إذا ظننت بأخيك المسلم ظنًّا حسنًا ؛ فأنت مأجورٌ ، وإذا ظننت به ظنًّا سيئًا ؛ فأنت آثِمٌ ﴿ولا تجسَّسوا﴾ لا يتَّبع الرجل عَوْرة أخيه المسلم .

يحيى : عن النضر بن بلال ، عن أبان بن أبي عيَّاش ، عن أنس بن مالك « أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا فنادى بصَوْت أسمع العواتقَ في الخُدُورِ : يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتَّبعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع اللَّه عورته ؛ ومن يتبع اللَّه عورته فضحه في بيته »[٤].

قوله : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾ قال الكلبي : « إن رسول اللَّه ﷺ قال لقوم اغتابوا رجلينْ : أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا بعدما يموت؟! فقالوا : لا واللَّه يا رسول اللَّه ، ما نستطيع أكْله ولا نحبه . فقال رسول اللَّه : فاكرهوا الغيبة » .

يحيى : عن عثمان ، عن نعيم بن عبد اللَّه ، عن أبي هريرة قال : قـال رسولُ اللَّه ﷺ : « إذا

---

(١) رواه الطبري (١٣١/٢٦) .

(٢) رواه الطبري (١٣٣/٢٦) بمعناه .

(٣) الدر المصون (١٧١/٦) .

(٤) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة الأحزاب ، الآية : ٥٨، وأنه اختلف فيه على أبان بن أبي عياش ، وأن له شواهد عن عدة من الصحابة .

ذكرتَ أخاك بما فيه فقد اغْتَبْتَهُ ، وإذا ذكرتَهُ بما ليس فيه فقد بَهَتَّهُ »[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل﴾ تفسير بعضهم : الشعوب : الأجناس ، والقبائل : قبائل العرب .

قال محمدٌ : واحد الشعوب : شَعب - بفتح العين[٢] - والشُّعْب بالكسْر : الطريق ؛ يعني : في الجبل[٣].

﴿لتعارفوا﴾ ثم انقطع الكلام ، ثم قال : ﴿إن أكرمكم عند اللَّه﴾ يعني : في المنزلة ﴿أتقاكم﴾ (في الدنيا)[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٣٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٥٨) والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥) ومسلم (٤/ ٢٠٠١ رقم ٢٥٨٩) وأبو داود (٥/ ٣٠٣ رقم ٤٨٤١) والترمذي (٤/ ٢٩٠ رقم ١٩٣٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ رقم ١١٥١٨) والدارمي (٢/ ٣٨٧ رقم ٢٧١٤) والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٣٥ - ١٣٦) : وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ﷺ.

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

ورواه ابن عدي في الكامل (٩/ ١٩٨ - ١٩٩) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٣٩ - ٤٤١ رقم ٧٩، ٨٠)وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ.

ولما سُئل أبو حاتم عن هذا الطريق قال : هذا حديث منكر . علل الحديث (٢/ ١٣٠ رقم ١٨٨١) .

(٢) هكذا في الأصل . والصواب : بفتح الشين ؛ لأن واحد الشُّعوب : شَعْب - بإسكان العين - أما الشَّعَب بتحريك العين بالفتحة فهو بُعْد ما بين المنكبين ، وما بين القَرْنين . وقيل : الشعوب في العجم ، والقبائل في العرب ، والأسباط في العجم . ينظر : القاموس المحيط (شعب) الدر المصون (٦/ ١٧١) .

(٣) ويُجمع الشِّعْب على : شِعاب ، والشَّعْب على : شعوب . لسان العرب (شعب) .

(٤) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبتها .

﴿قالت الأعراب آمنا﴾ يعني: المنافقين (ل٣٣٤) من (...)[1] ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ تفسير قتادة: ولكن قولوا: (...)[2] السيف ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا اللّه ورسوله﴾ في السر والعلانية ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم ﴿من أعمالكم شيئًا﴾.

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ثم لمْ يرتابوا﴾ يشكوا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه أولئك هم الصادقون﴾ بما أعطوا من الإيمان مُخْلصة به قلوبهم، ليس كما صنع المنافقون.

﴿قل أتعلمون اللّه بدينكم﴾ يعني: المنافقين أي: إنّ دينكم الذي تضمرون هو الشرك.

﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ تفسير الحسن[3]: هؤلاء مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول اللّه: أسْلَمْنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك قبل أن يقاتل بنو فلان؛ فأنزل اللّه: ﴿بل اللّه يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ أي: إن كنتم صادقين عُرِفْتُم بالصدق، إن المنَّة للّه ولرسوله عليكم.

﴿إن اللّه يعلم غيب السمٰوات والأرض﴾ سر السمٰوات والأرض ﴿واللّه بصير بما تعملون﴾.



---

(١) طمس في الأصل قدر كلمة.

(٢) طمس في الأصل قدر كلمتين.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٦/١١١) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

تفسير سورة ق وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

قوله : ﴿قٓ﴾ تفسير بعضهم : هو جبل محيط بالدنيا[1] .

قال محمدٌ : وروي عن ابن عباسٍ أنه قال : هُوَ جبل أخضر من زمرد ، خضرة السماء منه . وذكر قطرب أن قراءة الحسن ﴿قِ﴾ بالجزم[2].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/٢٢١) : ﴿ق﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور ، كقوله ﴿ص﴾ و ﴿ن﴾ و﴿الم﴾ و﴿حم﴾ و﴿طس﴾ ونحو ذلك ، قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا : ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له : جبل قاف ، وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ؛ لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه التي من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته؟! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل - والله أعلم - وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ، ولله الحمد والمنة .

(٢) كذا في الأصل ، عزا قراءة الجزم للحسن ، والمعروف أن قراءة الجزم للعامة ، وقرأ الحسن بالكسر . انظر الجامع للقرطبي (١٧/ ١ - ٢) وإتحاف الفضلاء (٥١٤) .

قال يحيى : وبَعْضُهم يجر قاف والقرآن المجيد ؛ يجعله على القسم ، ومعنى (المجيد) : الكريم على الله ، ومن جزم جعل القسم من (والقرآن المجيد)[١].

قال الحسن : وقع القسم على تعجب المشركين مما جاء به محمدٌ .

قوله : ﴿بل عجبوا﴾ أي : لقد عجبوا ؛ يعني : المشركين ﴿أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني : النبي ﷺ منهم في النَّسب ينذر من عذاب الله ﴿فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب﴾ أي : عجب ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا﴾ على الاستفهام ﴿ذلك رجعٌ بعيد﴾ ينكرون البعث ؛ أي : إنه ليس بكائن ، قال الله : ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا ، تأكل كل شيءٍ إلا عَجْبَ الذَّنَب[٢] ﴿وعندنا كتابٌ حفيظ﴾ تفسير بعضهم : يقول : هو اللوح المحفوظ ﴿فهم في أمر مريج﴾ مُلتبسٍ ؛ يعني : في شكٍّ من البعث .

﴿كيف بنيناها وزيناها﴾ يعني : بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ من شقوق .

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ الرواسي : الجبال أُثْبِتَ بها الأرضَ ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ حسن ، وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج ﴿تبصرة﴾ أي : يتفكر فيه المؤمن ، فيعلم أن الذي خلق هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى ، وأن ما وعد الله من الآخرة حقٌّ .

قال محمدٌ : (تبصرةً) منصوبٌ بمعنى : فصَّلنا ذلك للتبصرة ، وليدل على القدرة[٣].

﴿وذكرى لكل عبدٍ منيب﴾ مقبل إلى الله بإخلاص له ﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ وهو كل ما يحصد ؛ في تفسير الحسن .

قال محمدٌ : (حب الحصيد) المعنى : الحب الحصيد ، فأضاف الحب إلى الحصيد ؛ كما يقال : صلاة الأولى ؛ يراد الصلاة الأولى ، ومسجد الجامع ؛ يراد المسجدُ الجامع[٤].

قوله : ﴿والنخل باسقات﴾ يعني : طوالاً .

---

(١) إعراب القرآن (٣/٢١١) ، البيان (٢/٣٨٤) ، البحر (٨/١٢٠) .

(٢) مؤخرته عند رأس العُصْعُص . المعجم الوسيط (عجب) .

(٣) أي : مفعول لأجله . ينظر : إعراب القرآن (٣/٢١٣) ، البيان (٢/٣٨٥) البحر المحيط (٨/١٢١) .

(٤) وهو مذهب البصريين ؛ لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه . ينظر : الدر المصون (٦/١٧٥) .

قال محمدٌ : يقال : بسق الشيء بُسُوقًا إذا طال[١].

﴿لها طلع نضيد﴾ أي : منضودٌ بعضُه فوق بعض ﴿رزقًا للعباد﴾ أي : أنبتناه رزقًا للعباد ﴿وأحيينا به﴾ بالمطر ﴿بلدة ميتًا﴾ يابسة ليس فيها نبات فأنبتت ﴿كذلك الخروج﴾ البعث . يرسل الله مطرًا منيًّا كمني الرجال ينبت به جسمانهم ولحمانهم ، كما ينبت الأرض الثرى .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمدُ ﴿قوم نوح وأصحاب الرس﴾ الرَّسُّ : بئر كان (ل٣٣٥) عليها قومٌ فنسبوا إليها .

﴿وإخوان لوط﴾ إخوان في النسب لا في الدين ﴿وأصحاب الأيكة﴾ الغيضة وقد فسَّرْنا أمرهم في سورة الشعراء[٢] ﴿وقومُ تبع كلٌّ كذب الرسل فحقّ وعيد﴾ يقول : جاءتهم الرسل يدعونهم إلى الإيمان ، ويحذرونهم العذاب ، فكذبوهم فجاءهم العذاب ، يحذر بهذا مشركي العرب ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ تفسير الحسن : يعني : خلق آدمَ ، أي : لم يعي به ﴿بل هم في لبس﴾ في شكٍّ ﴿من خلق جديد﴾ يعني : البعث .

قال محمدٌ : المعنى : لم يعي بالخلق الأول ، وكذلك لا يعيى بالخلق الثاني وهو البعث ، وهو الذي أراد الحسن ، ويقال : عَيِيَ بأمره يَعْيَى عَيَاءً ، وأَعْيَا في المشي إِعْيَاءً[٣].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ما تحدث به نفسه ﴿ونحن أقرب إليه من

---

(١) لسان العرب (بسق) .

(٢) الشعراء : ١٧٦.

(٣) لسان العرب (عيي) .

حبل الوريد﴾ وهو نياط القلب .

قال محمدٌ : الوريد عرقٌ في باطن العنق ، والحبل هو الوريد ؛ فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسمه(١).

قوله : ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ يعني : الملكين الكاتبين .

قال محمدٌ : يعني : يتلقيان ما يعمله ويَكْتُبَانه .

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أي : رصيدٌ يرصده ﴿ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد﴾ أي : حافظ حاضر يكتبان كل ما يلفظ به .

قال محمدٌ : ﴿قعيد﴾ أراد قعيدًا من كل جانب(٢)، فاكتفى بذكر واحد إذ كان دليلاً على الآخر ، وقعيد بمعنى قاعد ، كما يقال : قدير وقادر(٣).

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بالبعث ؛ أي : يموت ليبعث .

قوله : ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ تهرب ، قال الحسن : هو الكافر لم يكن شيء أبغض إليه من الموت ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ يعني : الموعود ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد﴾ سائق يسوقها إلى الجنة أو النار ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، وتفسير بعضهم : هو ملكه الذي كتب عمله في الدنيا هو شاهد عليه بعمله .

﴿لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ غطاء الكفر ﴿فبصرك اليوم﴾ يعني : يوم القيامة ﴿حديد﴾ أي : بصيرٌ .

قال محمدٌ : ﴿حديد﴾ في معنى : حاد ، كما يقال : حفيظٌ وحافظ ، ويقال : حدٌّ بصره(٤).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ

---

(١) الدر المصون (١٧٧/٦) وجامع القرطبي (٩/١٧) .

(٢) أي : يراد به التثنية ؛ لأن صيغة (فعيل) يستوي فيها الواحد والتثنية والجمع . ينظر كشف المشكلات (١٢٦٥/٢) .

(٣) ينظر : البحر المحيط (١٢٣/٨) ، مجمع البيان (١٤٤/٥) ، المخصص (٢٩/١٧) .

(٤) ينظر المراجع السابقة ، ولسان العرب (حدد) .

فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقال قرينه﴾ هو الملك الذي كان يكتب عمله ﴿هذا ما لدي﴾ أي: عندي ﴿عتيد﴾ أي: حاضر؛ يعني: ما كتب عليه.

قال محمدٌ: (عتيدٌ) يجوز الرفع فيه بمعنى هو عتيدٌ[1].

قال الله: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ أي: مُعَاند للحق مُجْتنِبه ﴿مناع للخير﴾ للزكاة (مُعْتدٍ) هو من قِبَل العُدوان[2] ﴿مريب﴾ أي: في شكٍّ من البعث.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ألقيا في جهنّم﴾ قيل: يحتمل - والله أعلم - أن يكون عَنَى السائق والشهيد؛ لقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾ فيكونا هما المأمورين، ويحتمل أن يكون واحدًا، وهي لغة بني تميم تقول: اذْهبا يا رجل، واذهبا يا قوم[3]، وقال الشاعر:

فَإِنْ تَزْجُراني يا ابْنَ مروان أَزْدَجِرْ وإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعًا[4]

وجاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فقلنا اذهبا﴾[5] قال: يريد موسى وحده. قال ابن عباس: وقوله: ﴿ألقيا في جهنم﴾ هو من هذا.

﴿قال قرينه﴾ يعني: شيطانه ﴿ربنا ما أطغيته﴾ أي: ما أضللته بسُلْطان كان لي عليه ﴿ولكن كان في ضلالٍ بعيد﴾ من الهدى ﴿قال لا تختصموا لديّ﴾ عندي ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ في الدنيا ﴿ما يبدل القول لدّي﴾ أي: قد قضيت ما أنا قاضٍ ﴿يوم يقول[6] لجهنم هل امتلأت

---

(١) ينظر: البيان (٣٨٦/٢)، البحر (١٢٦/٨)، إعراب القرآن (٢٢٠/٣).

(٢) لسان العرب (عدو).

(٣) ينظر: كشف المشكلات (١٢٦٦/٢)، مجمع البيان (١٤٥/٥)، البحر (١٢٦/٨).

(٤) البيت من بحر الطويل، ويروى: (يا ابن عفان) بدل (يابن مروان) وهو لسويد بن كراع. ينظر: الصاحبي (١٨٦)، شرح شواهد الشافية (٤٨٤) الدر المصون (١٧٨/٦).

(٥) الفرقان: ٣٦.

(٦) قرأ نافع وأبو بكر: ﴿يقول﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿نقول﴾ بالنون. النشر (٣٧٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٥١٤) وتفسير القرطبي (١٨/١٧).

وتقول هل من مزيد﴾ تفسير مجاهد : وعدها ليملأها ، فقال : أوفيتُكِ؟ فقالت : أو هل من مسلك؟ أي : قد امتلأت .

قال محمدٌ : ﴿يومَ﴾ نصب على معنى [واذكر][١] يوم يقول ، وقد يكون على معنى : ما يُبَدَّل القول لدي في ذلك اليوم[٢]. والله أعلم بما أراد .

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي : أدنيت ﴿للمتقين﴾ .

﴿هذا ما توعدون﴾ يعني : الجنة ﴿لكل أواب حفيظ﴾ (ل٣٣٦) الأوَّاب : الراجع عن ذنبه ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي : لقي الله (...)[٣].

﴿ادخلوها بسلام﴾ تفسير السُّدي : تقوله لهم الملائكة ﴿ذلك يوم الخلود﴾ .

يحيى : عن عثمان ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله يقول : « إذا دخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النار النار ، نادى منادٍ : يا أهل الجنة ، خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت »[٤].

﴿لهم ما يشاءون فيها﴾ إذا اشتهوا الشيء جاءهم من غير أن يدعوا به ﴿ولدينا مزيد﴾ .

يحيى : عن المسعودي ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن عتبة[٥]، عن ابن

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من الدر المصون (١٧٩/٦) .

(٢) أي : أن النصب على الظرف أو المفعول به . ينظر : البحر (١٢٥/٨) الدر المصون (١٧٩/٦) .

(٣) طمس في الأصل قدر كلمتين .

(٤) رواه الإمام أحمد (١٣٠/٢) وعبد بن حميد (٢٤٥ رقم ٧٦١) والبخاري (٤١٤/١١ رقم ٦٥٤٤) ومسلم (٢١٨٩/٤ رقم ٤٢/٢٨٥٠) وغيرهم من طريق نافع به .

ورواه الإمام أحمد (١١٨/٢، ١٢٠ - ١٢١) والبخاري (٤٢٣/١١ رقم ٦٥٤٨) ومسلم (٢١٨٩/٤ رقم ٢٨٥٠/ ٤٣) وابن حبان (٥١٥/١٦ رقم ٧٤٧٤) وغيرهم من طريق محمد بن زيد عن ابن عمر رضي الله عنهما به .

ورواه البخاري (٢٨٢/٨ رقم ٤٧٣٠) ومسلم (٢١٨٨/٤ - ٢١٨٩ رقم ٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

ورواه البخاري (٤١٤/١١ رقم ٦٥٤٥) عن أبي هريرة ﷺ .

(٥) كذا في الأصل ، وكذا نقله القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢١، ١١٨/١٨) وفي التذكرة (٥٧٧) عن يحيى بن سلام =

مسعودٍ قال: «سارعوا إلى الجمع في الدنيا؛ فإن الله - عز وجل - يبرز لأهل الجنة في كل يوم جمعة في كثيبٍ من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب كمسارعتهم إلى الجمع في الدنيا، فيُحْدِث لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك»[1].

قال يحيى: وسمعتُ غير المسعودي يزيد فيه: وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾.

يحيى: عن خالد، عن عمرو بن عُبيد، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: «إن أهل الجنة ليَزوْن ربهم في مقدار كل عيد هو لكم - كأنه يقول: في كل سبعة أيام - مرة، فيأتون ربَّ العزة في حُلَلٍ خُضر (وجوههم مشرقة)[2] وأساور من ذهب مُكَلَّلةٍ بالدُّر والزُّمُرُّد وعليهم أكاليل (الدر)[3] ويركبون نجائبهم[4] ويستأذنون على ربهم فيدخلون عليه؛ فيأمر لهم ربنا بالكرامة»[5].

= به، وقد جاء في كل الكتب التي روت الحديث «عن أبي عبيدة» مهملا، إلا المختار من الإبانة ففيه: «عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود» وسيأتي في كلام المنذري والهيثمي أنه «أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود»، وذكره ابن حجر في إتحاف المهرة (١٠/٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ١٣٣٦٨) في أحاديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال: ولم يسمع منه.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (١٣١ رقم ٤٣٦) - ومن طريقه عبد الله ابن أحمد في السنة (١/٢٥٩ رقم ٤٧٦) والدارقطني في الرؤية (٢٦٨ رقم ١٦٥) - عن المسعودي به.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٣٨ رقم ٩١٦٩) من طريق أبي نعيم عن المسعودي به.
ورواه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢/٢٢٧ - ٢٢٨ رقم ٣٩٦) من طريق أبي النضر عن المسعودي به.
ورواه ابن خزيمة في التوحيد (٢/٨٩٣ رقم ٦٠٢) من طريق أبي داود الطيالسي عن المسعودي به.
ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ١٦٦) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٤٢ - ٤٣ رقم ٣١) - من طريق شبابة بن سوار عن المسعودي به.
ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق١٣ - أ) من طريق يحيى بن كثير عن المسعودي به.
قال المنذري في الترغيب (١/٥٠٣): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة اسمه عامر، ولم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود ﷺ وقيل: سمع منه.
وقال الذهبي في العلو (١/٥٨٥): موقوف حسن.
وقال الهيثمي في المجمع (٢/١٧٨): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
وقال ابن حجر في إتحاف المهرة (١٠/٥٣٥): قلت: فيه علتان.

(٢) في التذكرة: ووجوه مشرقة.

(٣) في التذكرة: الذهب.

(٤) النجيب: الفاضل من كل حيوان، وقد نَجُب يَنْجُب نجابة؛ إذا كان نفيسًا في نوعه. النهاية (٥/١٧).

(٥) عزاه القرطبي في التذكرة (ص٥٧٧) ليحيى بن سلام فقط.

قال يحيى : وأخبرني رجلٌ من أهل الكوفة ، عن داود بن أبي هند ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل يوم جمعة في كثيب من كافور لا يُرى طرفاه ، وفيه نهر جارٍ حافتاه المِسْك عليه جوارٍ يقرأن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأوَّلون والآخرون ؛ فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل ما شاء منهن ، ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم ، فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها ؛ لما يحدث الله لهم في كل يوم جمعة »[1].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله : ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ يعني : قبل مشركي العرب ﴿من قرن هم أشد منهم بطشًا﴾ يعني : قوة ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أي : جوّلوا ؛ في قراءة من قرأها بالتثقيل ، يقول : جوَّلوا في البلاد حين جاءهم العذاب ، ومن قرأها بالتخفيف يقول : فجالوا في البلاد[2] ﴿هل من محيص﴾ هل من ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله ، فلم يجدوا ملجأ حتى هَلَكُوا .

قال محمدٌ : (نقَّبوا في البلاد) أي : طافوا وفتَّشوا[3]، وهو الذي أراد يحيى ، ومثله قول امرئ القيس :

وَقَدْ نَقَّبْتُ في الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[4]

قوله : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ وهو المؤمنُ ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ تفسير مجاهد[5]: أو ألقى السمع ، والقلب شهيد .

---

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (ص٥٧٦ - ٥٧٧) عن يحيى بن سلام بإسناده إلى الحسن .

(٢) ينظر البحر المحيط (١٢٩/٨) ، الدر المصون (١٨١/٦) .

(٣) لسان العرب (نقب) .

(٤) البيت من بحر الوافر . ينظر : ديوانه (٩٩) ، الكامل (١٤٣/٢) ، العمدة (١٠٣/١) .

(٥) رواه الطبري (١٧٨/٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢١/٦) للفريابي أيضًا .

قال محمدٌ : المعنى : استمع كتاب الله وهو شاهدُ القلب والفهم ، ليس بغافلٍ ولا ساهٍ ، وهذا ما أراد مجاهد .

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ واليوم منها ألف سنة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ من إعياء ؛ وذلك أن اليهود - أعداءُ الله - قالت : لما فرغ الله من خلق السموات والأرض أعيى فاستلقى ووضع إحدى رجليْه على الأخرى استراح . فأنزل الله : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض ...﴾ الآية ، ليس كما قالت اليهود .

قال محمدٌ : الأجود في القراءة (لُغُوب) بضم اللام[١] يقال منه : لَغَبَ - بفتح الغين - لَغَبًا ولُغُوبًا ، وفيه لغة أخرى : لَغِبَ - بكسر الغين - واللُّغوب : الإعياء[٢].

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ما يقول لك قومك : أنك ساحر ، وأنك شاعر ، وأنك كاهن ، وأنك مجنون ، وأنك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ تفسير الحسن : يعني : صلاة الصبح والظهر والعصر ﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني : صلاة المغرب وصلاة العشاء (ل٣٣٧) ﴿وإدبار السجود﴾ .

يحيى : عن عثمان ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي قال : « سئل رسول الله ﷺ عن ﴿أدبار السجود﴾ فقال : هما (الركعتين)[٣] بعد صلاة المغرب ، وسئل عن ﴿إدبار النجوم﴾[٤] فقال : هما الركعتان قبل صلاة الصبح »[٥].

---

(١) العامة على ضم لام (لغوب) ، وقرأ علي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها . ينظر الدر المصون (١٨١/٦) ، البحر (١٢٩/٨) .

(٢) لسان العرب (لغب) .

(٣) هكذا في الأصل . والصواب : الركعتان .

(٤) الطور : ٤٩.

(٥) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (١٦١/٤ رقم ٣٧٣٨) - عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبي إسحاق به

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢١/٦) لابن المنذر وابن مردويه في تفسيريهما أيضًا .

ورواه الطبري في تفسيره (١٨٠/٢٦) من طريق عنبسة وسفيان والأجلح - من رواية مصعب ابن سلام عنه - =

قال محمدٌ : ومن قرأ ﴿وإدبار﴾[1] بكسر الألف فعلى المصدر ، يقول : أَدْبَرَ إِدْبَارًا .

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله : ﴿واستمع﴾ أي : إنك ستستمع ﴿يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ والمنادي : صاحب الصور ، ينادي من الصخرة من بيت المقدس ؛ في تفسير قتادة[2]. قال : وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

﴿تشقق الأرض عنهم سراعًا﴾ إلى المنادي - صاحب الصور - إلى بيت المقدس قال عز وجل :

= كلهم عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ﷺ موقوفًا .

ولما سئل الدارقطني على هذا الحديث قال في العلل (٣/١٧٧ رقم ٣٤٠) : يرويه أبو إسحاق السبيعي ، واختلف عنه :

رواه ابن عيينة والعلاء بن المسيب وإسرائيل والثوري عن أبي إسحاق موقوفًا .

واختلف عن الأجلح : فرواه يعلى بن عبيد وأبو معاوية عن الأجلح عن أبي إسحاق موقوفًا أيضًا .

وخالفهما محمد بن كثير الكوفي رواه عن أجلح ، ورفعه إلى النبي ﷺ .

وكذلك رواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق - من رواية عبد الوارث عنه - مرفوعًا أيضًا .

والصحيح موقوف . اهـ .

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٢/٤٠٦) : رواه مسدد بسند ضعيف ؛ لضعف الحارث الأعور ، وتدليس ابن إسحاق .

ورواه الترمذي (٥/٣٦٦ رقم ٣٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٦/١٨١) وابن عدي في الكامل (٤/٦٧) والحاكم (١/ ٣٢٠) من طريق محمد بن فضيل ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ .

قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فتعقبه الذهبي بقوله : رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني .

وضعف هذا الحديث ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٠) وابن رجب في فتح الباري (٣/١٨) وابن حجر في الفتح (٨/٤٦٣) .

(١) قرأ نافع وابن كثير وحمزة ﴿إدبار﴾ بكسر الهمزة ، والباقون بالفتح (أدبار) جمع (دبر) . ينظر البحر المحيط (٨/ ١٣٠) ، الدر المصون (٦/١٨٢) ، النشر (٢/ ٣٧٦) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٢٤٠) والطبري (٢٦/١٨٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٢٢) لابن جرير وابن أبي حاتم والواسطي .

﴿ذلك حشرٌ علينا يسير﴾ هَيِّنٌ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أنك شاعرٌ ، وأنك ساحرٌ ، وأنك كاهِنٌ ، وأنك كاذبٌ ، وأنّك مجْنُونٌ ؛ أي : فسيجزيهم بذلك النار ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بربٌ تجبرهم على الإيمان .

قال محمدٌ : وقد قيل : ليس هو من : أجبرت الرَّجُل على الأمر إذا قهرته عليه ، لا يقال من ذلك فعَّال ؛ والجبار : الملك ، سمي بذلك ؛ لتجبره[1]، فالمعنى على هذا : لست عليهم بمَلِكٍ مسلَّطٍ ، إنما يؤمن من يريد اللّه أن يؤمن ، وهذه منسوخة نسختها القتال[2].

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي﴾[3] وهو المؤمن يقبل التذكرة ، أي : إنما يقبل نَذَارتك بالقرآن من يخاف وعيدي ؛ أي : وعيدي بالنار .



(١) انظر : تفسير الطبري (١٨٥/٢٦) وتفسير القرطبي (٢٨/١٧) .

(٢) الناسخ والمنسوخ (٨٦) .

(٣) أثبت الياء وصلا ورش ، وأثبتها في الحالين يعقوب ، النشر (٣٧٦/٢) .

تفسير سورة والذاريات
وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

قوله : ﴿والذاريات ذروًا﴾ وهي الرياح ، ذَرْوُها : جَرْيها ﴿فالحاملات وقرًا﴾ السَّحاب ﴿فالجاريات يسرًا﴾ السُّفن تجري بتيسير الله ﴿فالمقسمات أمرًا﴾ الملائكة .

قال محمدٌ : يقال : ذَرَتِ الريحُ تَذْرُو ذرْوًا إذا فَرَّقَت التراب وغيره فهي ذاريةٌ . وفيه لغة أخرى : أَذْرَت فهي مُذْرِية ومُذْرِيات للجماعة[١].

ومعنى ﴿فالحاملات وقرًا﴾ : أن السحاب تحمل الوِقْر[٢] من الماء . ورأيت في تفسير ابن عباس أن معنى : ﴿فالمقسمات أمرًا﴾ أن الله قسم للملائكة الفعل .

قال يحيى : أقسم بهذا كله ﴿إن ما توعدون لصادق﴾ لصدق ، يعني : يوم البعث ﴿وإن الدين﴾ الحساب ﴿لواقع﴾ لكائن .

﴿والسماء ذات الحبك﴾ تفسير ابن عباس[٣]: يعني : استواءها . وتفسير غيره مثل حُبُك الماء إذا

---

(١) لسان العرب (ذرو) .

(٢) الوِقر : كل ما يُوقر ؛ أي : يُحمل . لسان العرب (وق) الدر المصون (١٨٣/٦) .

(٣) رواه الطبري (١٨٩/٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٦) للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

هاجت الريح ، ومثل حبك الزرع إذا أصابته الريح .

قال محمد : الحبك عند أهل اللغة : الطرائق (الإناء القائم)[١] إذا ضربته الريح فصارت فيه طرائق له حُبُك ، وكذلك الرمل إذا هبَّتْ عليه الريح فرأيتَ فيه الطرائق فذلك حُبُكه ، واحدها : حِبَاكٌ مثل مِثَال ومُثُل ، ويكون واحدُها أيضًا : حبيكة مثل : طريقة وطرق[٢].

﴿إنكم لفي قول﴾ أي : لفي اختلاف من البعث ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يُصَدُّ عنه من صُدَّ عن الإيمان به ﴿قتل﴾ أي : لُعِنَ ﴿الخراصون﴾ الذين يكذبون بالبعث وذلك منهم تخرص ﴿الذين هم في غمرة﴾ أي : في غفلة . وقيل : في حيرة ﴿ساهون﴾ أي : لاهون لا يُحِقُّونه .

قال محمدٌ : تقول : تخرص على فلان الباطل إذا كذب ، ويجوز أن يكون الخراصون الذين يتظنَّوْن الشيء لا يُحِقُّونه ؛ فيعملون بما لا يدرون صحته[٣].

﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي : متى يوم الدين؟ وذلك منهم استهزاء وتكذيب ، أي : لا يكون . قال الله : ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يحرقون بها .

قال محمدٌ : (يوم) منصوب بمعنى : يقع الجزاء ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٤].

﴿ذوقوا فتنتكم﴾ حريقكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا ، لما كانوا يستعجلون بالعذاب في الدنيا استهزاءً وتكذيبًا .

قال محمدٌ : يقال للحجارة السود التي يحرق بها قد احترقت بالنار الفتين[٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ

(١) هكذا في الأصل . وفي كتب اللغة : طرائق الماء . لسان العرب (حبك) .

(٢) ينظر الدر المصون (١٨٤/٦) ، لسان العرب (حبك) .

(٣) لسان العرب (خرص) .

(٤) وفي نصبه أقوال أخرى . ينظر : إعراب القرآن (٢٣١/٣) ، مجمع البيان (١٥٢/٥) ، البيان (٣٨٩/٢) ، البحر (١٣٥/٨) .

(٥) هكذا في الأصل . وفي لسان العرب (فتن) : الفتين : الأرض الحرة السوداء ، كأن حجارتها مُحْرَقة .

وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ وهي الأنهار ﴿آخذين ما آتاهم﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُم﴾ في الجنة .

قال محمدٌ : (آخذين) نصبٌ على الحال المعنى : في جناتٍ وعيون في حال أخذهم ما آتاهم (ل٣٣٨) ربهم[١].

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ تفسير الحسن[٢]: يقول : كانوا لا ينامون منه إلا قليلاً .

﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ .

يحيى : عن خالد ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : « قال الله : إن من أحبّ أحبّائي إليَّ المشائين إلى المساجد المستغفرين بالأسحار المتحابين فيّ ، أولئك الذين إذا أردتُ أهل الأرض بسوءٍ فذكرتهم صرفته عنهم بهم »[٣].

قال محمدٌ : قوله : ﴿ما يهجعون﴾ جائز أن تكون (ما) مؤكدة صلة ، وجائز أن يكون ما بعدها مصدرًا ، المعنى : كانوا قليلاً من الليل هُجُوعُهم[٤].

---

(١) الدر المصون (١٨٥/٦) .

(٢) رواه الطبري (١٩٧/٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٥/٦) لابن أبي شيبة أيضًا .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ .

وروى ابن عدي في الكامل (٩٤/٥) من طريق سعيد بن أشعث عن صالح المري عن جعفر بن زيد عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إن الله - عز وجل - يقول : إني لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين فيَّ وإلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم » .

وقال ابن عدي في آخر ترجمة صالح المري : ولصالح غير ما ذكرت ، وهو رجل قاص حسن الصوت من أهل البصرة ، وعامة أحاديثه التي ذكرت والتي لم أذكر منكرات ينكرها الأئمة عليه ، وليس هو بصاحب حديث ، وإنما أُتي من قلة معرفته بالأسانيد والمتون ، وعندي مع هذا لا يتعمد الكذب ؛ بل يغلط بينًا .

ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٩/٦ - ٢١٠ رقم ٢٦٨٥) من طريق معاذ بن خالد ، عن صالح ، عن جعفر بن زيد وأبان وثابت ، عن أنس ﷺ .

ورواه البهاء بن عساكر في المستقصي - كما في تفسير ابن كثير (٣٤٠/٢) - من طريق منصور بن صفير عن ثابت عن أنس ﷺ .

وقال ابن عساكر : حديث غريب .

(٤) ينظر : إعراب القرآن (٢٣٣/٣) ، مجمع البيان (١٥٥/٥) ، البحر (١٣٥/٨) .

﴿وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم﴾ السائل: الذي يسأل، والمحروم في تفسير الحسن: المتعفِّف القاعد في بيته الذي لا يسأل.

قوله: ﴿وفي الأرض آياتٌ﴾ أي: فيما خلق الله فيها آياتٌ ﴿للموقنين﴾.

﴿وفي أنفسكم﴾ أي: في بَدْء خَلْقكم من ترابٍ؛ يعني: آدم ثم خلق نسله من نطفة ﴿أفلا تبصرون﴾ يقوله للمشركين ﴿وفي السماء رزقكم﴾ المطر فيه أرزاقُ الخَلْقِ ﴿وما توعدون﴾ تفسير بعضهم يعني: من الوعد والوعيد من السماء ﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أقسم بنفسه إن هذا القرآن ﴿لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون﴾.

قال محمدٌ: من نصب (مثلَ) فجائزٌ أن يكون على التوكيد بمعنى: إنه لحقٌّ حقًّا مثل نطقكم[1].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هل أتاك﴾ أي: قد أتاك ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ عند الله بالمنزلة والقربة؛ يعني: الملائكة الذين نزلوا به فبشروه بإسحاق، وجاءوا بعذاب قوم لوط ﴿إذ دخلوا عليه﴾ في صورة الآدميين ﴿فقالوا سلامًا﴾ أي: سلموا عليه ﴿قال سلامٌ﴾ ردّ عليهم ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم حين لم يأكلوا من طعامه.

قال محمدٌ: ﴿قالوا سلامًا﴾ منصوبٌ [بتقدير][2]: سلّمنا عليك سلامًا[3].

وقوله: ﴿قال سلامٌ﴾ مرفوع بمعنى: قال: سلامٌ عليكم، ويجوز أن يكون على معنى: أمْرُنا سلامٌ[3].

قوله: ﴿فراغ﴾ فمال ﴿إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ فلم يأكلوا.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٣٥)، البيان (٢/٣٩١)، البحر (٨/١٣٦)، مجمع البيان (٥/١٥٤).

(٢) علامة لحق في الأصل، ولم يظهر بالحاشية شيء. والمثبت موافق لما في كُتب إعراب القرآن.

(٣) ينظر: الدر المصون (٦/١٨٨).

قال محمدٌ : معنى (راغ) : عدل إليهم في خُفْيَةٍ ، قالوا : ولا يكون الرَّوَاغُ إلا أن تخفي مجيئك وذهابك[١].

﴿قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ إسحاق .

قال محمدٌ : (أوجس) معناه : أَضْمَر[٢].

﴿فأقبلت امرأته في صرّة﴾ صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ جبينها ﴿وقالت عجوزٌ عقيمٌ﴾ قالت ذلك تعجُبًا ؛ أي : كيف تلدُ وهي عجوزٌ؟!

وقال **محمدٌ** : (عجوزٌ) مرفوع بمعنى : أنا عجوزٌ[٣]، ويقال : عَقِمتِ المرأةُ عُقْمًا وعَقَمًا فهي بيّنةُ العُقُومة ، ورجلٌ عقيم أيضًا[٤].

﴿قالوا كذلكِ قال ربكِ﴾ أي : تلدي[٥] غلامًا اسْمُه : إسحاق .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قال فما خطبكم﴾ فما أمْرُكم؟! ﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ مشركين ؛ يعنون : قوم لوطٍ ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ قال ها هنا : ﴿من طين﴾ وقال في آية أُخرى : ﴿من سجيل﴾[٦].

---

(١) لسان العرب (روغ) .

(٢) لسان العرب (وجس) .

(٣) الدر المصون (٦/١٨٩) .

(٤) يقال : عَقَمَتِ المرأةُ والرجلُ عَقْمًا وعُقْمًا ، وعَقُمَت عُقْمًا وعَقَمًا . فهو عَقيم ، والجمع : عُقماء وعِقَام . وهي عَقيم والجمع : عَقَائم وعُقُم . لسان العرب (عقم) .

(٥) هكذا في الأصل ، وهو خلاف الجادة . والصواب : تلدين .

(٦) هود : ٨٢، الحجر : ٧٤.

قال محمدٌ : تفسير ابن عباس ﴿من سجيل﴾[١]: من آجُرّ .

﴿مسوّمة﴾ أي : مُعْلَمَة أنها من حجارة العذاب ، كان في كل حجر منها مثل الطابع .

﴿فأخرجنا﴾ فأنجينا ﴿من كان فيها﴾ في قرية لوطٍ ﴿من المؤمنين﴾ .

﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ يعني : أهل بيت لوط في القرابة ، ومن كان معه من المؤمنين .

قال : ﴿وتركنا فيها﴾ أي : في إهلاكنا إياها ﴿آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ فيحذرون أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وفي موسى﴾ أي : وتركنا في أمر موسى ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ بيِّنٍ ﴿فتولى بركنه﴾ قال الكَلْبي : يعني : بجنوده ﴿ وقال ساحرٌ أو مجنون﴾ يعني : موسى .

قال محمدٌ : المعنى : هذا ساحرٌ أو مجنونٌ .

﴿فنبذناهم في اليم﴾ في البحر ﴿وهو مليمٌ﴾ مُذْنِبٌ ، وذنبه : الشرك .

قال محمدٌ : يقال : ألامَ الرجُلُ إذا أتى بذنب يُلامُ عليه[٢].

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وفي عادٍ﴾ أي : وتركنا في عادٍ أيضًا آيةً ، وهي مثل الأولى ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لا تدع سحابًا ولا شجرًا وهي الدبور ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ (ل٣٣٩) مما مرّت به ، وهو الإنسان ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ كرميم الشجر .

﴿وفي ثمود﴾ وهي مثل الأولى ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ إلى آجالكم بغير عذاب إن آمنتم ، وإن عصيتم عذبتم ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ تركوا أمره ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ العذاب ﴿وهم ينظرون﴾ إلى العذاب ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ تفسير السُّدي : فما أطاقوا أن يقوموا للعذاب

---

(١) هود : ٨٢ ، الحجر : ٧٤ .

(٢) لسان العرب (لوم) .

﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين .

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وقوم نوح ...﴾ الآية .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿قومَ نوحٍ﴾ بالنصب فعلى معنى : فأخذناه وجنوده ، وأخذنا قوم نوح[١] .

﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ بقوة .

قال محمدٌ : ﴿والسَّماء بنيناها﴾ المعنى : بنينا السماء بنيناها[٢] .

﴿وإنا لموسعون﴾ في الرزق ﴿والأرض فرشناها﴾ أي : وفرشناها كقوله : ﴿جعل لكم الأرض فراشًا﴾[٣] و﴿بساطًا﴾[٤] و﴿مهادًا﴾[٥] ﴿فنعم الماهدون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿والأرض فرشناها﴾ أي : وفرشنا الأرض فرشناها ، وقوله : ﴿فنعم الماهدون﴾ أي : فنعم الماهدون نحن .

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ تفسير الكلبي : هو كقوله ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾[٦] الذكر زوجٌ ، والأنثى زوجٌ ﴿لعلكم تذكرون﴾ لكي تذَّكَّروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحدٌ صَمَدٌ ، جعلها لكم آية فتعتبروا ﴿ ففروا إلى الله﴾ إلى دين الله ، أمر الله النبي ﷺ أن يقوله لهم : ﴿إني لكم منه نذيرٌ مبين﴾ .

---

(١) قرأ الأخوان وأبو عمرو بجر الميم ، والباقون بنصبها . وفي توجيه القراءتين تأويلات نحوية كثيرة . ينظر : الدر المصون (١٩١/٦) .

(٢) أي : النصب على الاشتغال . ينظر الدر المصون (١٩٢/٦) .

(٣) البقرة : ٢٢.

(٤) نوح : ١٩.

(٥) النبأ : ٦.

(٦) النجم : ٤٥.

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمدُ ، أي : هكذا ما أتى الذين من قبلهم ﴿من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : إلا قالوا : هذا ساحرٌ أو مجنون .

﴿أتواصوا به﴾ على الاستفهام ، أي : لمْ يتواصَوْا به ؛ لأنَّ الأمَّة الأولى لم تدرك الأمة الأخرى ، قال : ﴿بل هم قوم طاغون﴾ مشركون .

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝﴾

﴿فتولَّ عنهم﴾ أي : فأعرض عنهم ، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فما أنت بملوم﴾ في الحجَّةِ ؛ فقد أقمتها عليهم ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ إنما يقبل التذكرة المؤمنون ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي : ليقروا لي بالعبودية[1] في تفسير ابن عباس .

قال يحيى : كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[2] ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي : يرزقوا أنفسهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ أي : يطعموا أحدًا ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ الذي لا تضعف قُوَّته ﴿فإن للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم﴾ يعني : من مضى قبلهم من المشركين ، تفسير سعيد بن جبير : الذَّنُوبُ : السَّجْلُ .

قال يحيى : والسَّجْلُ : الدَّلْوُ[3].

---

(١) كتب الناسخ قبالتها بالحاشية : « بالربوبية » كأنه يريد أن يثبتها في الأصل ، والمعروف عن ابن عباس - رواية علي بن طلحة - في تفسير هذه الآية : « إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا » . رواه الطبري في تفسيره (١٢/٢٧) ورجحه في تفسير الآية .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٨/٦) لابن أبي حاتم أيضًا .

(٢) الزخرف : ٨٧.

(٣) ويجمع الذَّنُوب على : أَذْنِبة وذَنَائب ، والسَّجْل على : سُجول وسِجَال ، والدلو على : أَدْلٍ ودِلاء ودُلِيّ . ينظر لسان العرب (ذنب - سجل - دلو) .

يحيى : عن تمام بن نجيح ، عن الحسن ، عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسول اللَّه ﷺ: « لو أن غَرْبًا من جهنَّم وُضِعَ بالأرض لآذى حَرُّه ما بين المشرق والمغرب »[١]. قال تمام : والغَرْبُ : الدَّلْوُ العظيم[٢].

قال محمدٌ : الذَّنُوب في اللغة : الحظُّ والنصيبُ ، وأصله : الدَّلْوُ العظيمة ، وكانوا يستقون فيكون لكل واحدٍ ذَنُوبٌ ، فَجُعِل الذَّنوب مكان الحظ والنصيب[٣]، قال أبو ذُؤَيْبٍ :

لَعَمْرُكَ وَالمَنَايَا غَالِبَاتٌ   لِكُلِّ بَنِي أَبٍ مِنْهَا ذَنُوبُ[٤].

قوله : ﴿فلا يستعجلون﴾ أي : فلا يستعجلون بالعذاب لما كانوا يستعجلون به من العذاب استهزاءً وتكذيبًا ﴿فويل للذين كفروا﴾ في النار ﴿من يومهم الذي يوعدون﴾ في الدنيا .



(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٨٠) من طريق يحيى بن سلام به .
ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/٨٧ - ٨٨ رقم ٣٦٨١) من طريق مبشر بن إسماعيل عن تمام بن نجيح به .
وقال ابن عدي : وهذا الحديث أيضًا يرويه تمام عن الحسن .
وذكر ابن عدي لتمام بن نجيح عدة أحاديث ، ثم قال : ولتمام غير ما ذكرت من الروايات شيء يسير ، وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليها . اهـ .
وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا تمام بن نجيح .
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٦٢) : رواه الطبراني ، وفي إسناده احتمال للتحسين .
وقال الهيثمي في المجمع (١/٣٨٧) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه تمام بن نجيح ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله أحسن حالاً من تمام .
(٢) لسان العرب (غرب) .
(٣) لسان العرب (ذنب) .
(٤) البيت من بحر الوافر . ينظر لسان العرب (ذنب) .

تفسير سورة الطور وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾

قوله : ﴿والطور﴾ الطُّور : الجبل .

قال محمدٌ : روي عن الحسن أنه قال : كل جبلٍ يُدْعى طُورًا .

﴿وكتابٍ مسطور﴾ مكتوب ﴿في رقٍّ منشور﴾ تفسير الحسن : القرآن في أيدي السَّفَرة ﴿والبيت المعمور﴾ تفسير ابن عباس[١] قال : البيت المعمور : بيت في السماء حيال الكعبة ، يَحُجُّه كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه [...][٢].

قال قتادة : قال اللَّه - عز وجل - لآدم : [أهبط][٣] معك (ل ٣٤٠) بيتي يطاف حوله ؛ كما يطاف حول عرشي ، فحجَّه آدم ومن بعده من المؤمنين ، فلما كان زمان الطوفان رفعه اللَّه وطهَّره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض ؛ فصار معمور السماء ، فتتبع إبراهيم الأساس فبناه على أساس قديم كان قبله .

﴿والسقف المرفوع﴾ يعني : السماء بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿والبحر المسجور﴾ تفسير علي بن أبي طالب : البحر المسجور في السماء .

---

(١) رواه الطبري (١٧/٢٧) .

(٢) طمس في الأصل قدر نصف سطر ، ولعلها : « إلى يوم القيامة يسمى : الضراح » واللَّه أعلم .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من تفسير الطبري (٥٤١/١) وانظر مصنف عبد الرزاق (٩٣/٥ رقم ٩٠٩٦) وتفسير الطبري (٤/ ٨، ١٤٢/١٧) ، وتاريخه (٨٠/١) .

قال محمدٌ: المسجور معناه في اللغة: المَمْلُوء[١]، قال النَّمِر يصف وَعلاً:

إذَا شَـاءَ طَـالَـعَ مَـسْـجُـورةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَما[٢]

أي: عينًا مملوءة. أقسم بهذا كله.

﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ بالمشركين ﴿ما له﴾ ما للعذاب ﴿من دافع﴾ يدفعه من اللَّه ﴿يوم تمور السماء مورًا﴾ فيها تقديم: إن عذاب ربك لواقع بهم ﴿يوم تمورُ السماء مورًا﴾ أي: تحرَّك تحرُّكًا ﴿وتسير الجبال سيرًا﴾ كقوله: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾[٣].

قال محمدٌ: المعنى: أنها تسير عن وجه الأرض، وهو الذي أراد يحيى.

﴿فويلٌ يومئذٍ للمكذبين الذين هم في خوضٍ يلعبون﴾ وخوضهم التكذيب.

قال محمدٌ: (الويلُ) كلمةٌ تقولها العرب في كل من وقع في هلكة.

﴿يوم يُدَعُّون﴾ يُدْفَعُون ﴿إلى نار جهنم دعًّا﴾ دَفْعًا ﴿هذه النار﴾ يقال لهم: هذه النار ﴿التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا أنها لا تكون.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾

﴿أفسحرٌ هذا﴾ يقال لهم ذلك على الاستفهام ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ يعني: في الدنيا إذ كنتم تقولون: هذا سحرٌ، أي: ليس بسحرٍ ﴿اصلوها﴾ يعني: النار ﴿فاصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم﴾ كقوله: ﴿سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا﴾[٤].

قال محمدٌ: (سواءٌ) مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، فالمعنى: سواءٌ عليكم الصَّبْرُ

---

(١) لسان العرب (سجر).

(٢) البيت من بحر المتقارب، وهو للنمر بن تولب. ينظر: مجاز القرآن (٢/٢٣٠) خزانة الأدب (٤/٤٣٤)، الكتاب (١/١١٣).

(٣) التكوير: ٣.

(٤) إبراهيم: ٢١.

والجزع[١].

﴿إن المتقين في جناتٍ ونعيم فاكهين﴾ أي: مسرورين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أي: أعطاهم.

قال محمدٌ: ﴿فاكهين﴾ نصْبٌ على الحال[٢].

﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾.

قال محمدٌ: ﴿هنيئًا﴾ منصوبٌ، وهي صفة في موضع المصدر، المعنى: يقال لهم: كلوا واشربوا هُنِئْتم هنيئًا[٣].

﴿متكئين على سررٍ مصفوفة﴾.

يحيى: عن صاحب له، عن أبان بن أبي عياش، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتنعَّم في تُكَأةٍ واحدة سبعين عامًا، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما لنا منك دولة بعدُ؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟! فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مزيدٌ﴾[٤] فيتحوَّل إليها فيتنعَّم معها سَبْعين عامًا في تُكَأةٍ واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى فتقول: أما لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنتِ؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرةِ أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٥] فيتحوَّل إليها، فيتنعم معها في تُكَأةٍ واحدة سبعين عامًا، فهم كذلك يَدُورون»[٦].

﴿وزوجناهم بحورٍ عين﴾ الحور: البيض؛ في تفسير قتادة والعامة. والعينُ: عظام العيون.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٥١)، البحر (٨/١٤٨).

(٢) ينظر: الدر المصون (٦/١٩٧).

(٣) وفي إعرابها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٥١)، البحر (٨/١٤٨).

(٤) ق: ٣٠.

(٥) السجدة: ١٧.

(٦) نقله القرطبي في التذكرة (ص٥٨٤) عن يحيى بن سلام بإسناده.
ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق٢٨/أ - ب) من طريق جعفر بن سليمان عن شيخ من أهل البصرة عن شهر بن حوشب قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليتكئ...» فذكر نحوه مختصرًا؛ فجعله من كلام شهر بن حوشب.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾[١].

يحيى: عن (سعيد)[٢] عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: «إن الله ليرفع للمؤمن وَلَدَه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عَيْنُه»[٣].

---

(١) كذا بالأصل، وهي قراءة نافع؛ أي: قرأ ﴿واتبعتهم ذريتهم ...ذرياتهم﴾ وقرأهما بالجمع أبو عمرو وابن عامر، وقرأهما الباقون بالإفراد. وقرأ أبو عمرو وحده (وأتبعناهم). ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٢/٣٧٧).

(٢) مشتبهة في الأصل، وتحتمل أن تكون «سفيان» وقد روى هذا الحديث عن عمرو بن مرة - فيما وقفت عليه - سفيان الثوري وشعبة وقيس بن الربيع، والله أعلم.

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٨٣ رقم ٩١١) عن عمرو به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٤٧) ومن طريقه الحاكم (٢/٤٦٨) والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٦٨) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٩٠) عن الثوري به.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/٢٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل ومهران، عن الثوري به.

وقال البيهقي: لم يسمعه الثوري من عمرو، وإنما رواه غيره عن الثوري عن سماعة عن عمرو. اهـ.

قلت: قد رُوي عن الثوري عن شيخ له - يقال له: سماعة - عن عمرو بن مرة، واختلف عنه فيه، فرواه محمد بن بشر عنه، واختلف عليه أيضًا، فرواه موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن محمد بن بشر عن الثوري عن سماعة عن عمرو ابن مرة به موقوفًا. خرجه الطبري في تفسيره (٢٧/٢٥).

ورواه أحمد بن شكيب الكوفي عن محمد بن بشر عن الثوري به مرفوعًا. خرجه الطحاوي في شرح المشكل (٣/١٠٦ رقم ١٠٧٥) والنحاس (٦٩٠).

ورواه محمد بن يوسف الفريابي عن الثوري عن سماعة به موقوفًا. خرجه الطحاوي في المشكل (٣/١٠٧) أيضًا.

وتابع شعبةُ سفيان على الوجه الأول الموقوف؛ فرواه عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

خرجه هناد في الزهد (١٧٩) والطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤، ٢٥) والطحاوي في المشكل (٣/١٠٥) والبيهقي في الكبرى.

قال الطحاوي: هكذا يحدث شعبة بهذا الحديث عن عمرو بن مرة لا يتجاوز به ابن عباس، وأما الثوري فكان =

وكذلك الآباء يُرفَعُون للأبناء؛ إذا كانت الآباء دون الأبناء في العمل.

قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿من عملهم من شيء كل امرئ﴾ يعني: أهل النار ﴿بما كسب﴾ من عمل ﴿رهينٌ﴾.

﴿وأمددناهم بفاكهة﴾.

يحيى: عن [عثمان، عن][1] نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم ما تصل إلى يد [أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى][2]».

(ل٣٤١) ﴿يتنازعون فيها﴾ أي: يتعاطون فيها ﴿كأسًا﴾ والكأس: الخَمْرُ ﴿لا لغوٌ فيها ولا

= يُحدث به عن شيخ له يقال له سماعة، عن عمرو بن مرة، فيروي محمد بن بشر العبدي عنه أنه رفعه إلى النبي ﷺ، ويروي محمد بن يوسف الفريابي عنه أنه أوقفه على ابن عباس. اهـ.

ورواه قيس بن الربيع، واختلف عنه أيضًا:

فرواه الفريابي، عن قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا. خرجه الطحاوي في المشكل (١٠٧/٣).

ورواه جبارة بن المغلس، عن قيس، عن عمرو به مرفوعًا.

خرجه ابن عدي في الكامل (١٦٢/٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠٢/٤) والبغوي في تفسيره (٣٨٩/٧).

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو وسعيد، تفرد به عنه قيس بن الربيع.

وتابع الحسنُ بن حماد جبارة عليه، خرجه البزار في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٢٤١/٤ - ٢٤٢).

وقال البزار: هذا حديث لا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس، وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفًا. كذا نقله الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٧٢/٣)، وفي مختصر زوائد البزار لابن حجر (١٠٨/٢ رقم ١٥٠٨): لا نعلم أسنده إلا الحسن عن قيس، وقد رواه الثوري عن عمرو موقوفًا، والثوري أحفظ من قيس وأوثق.

وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/٧): رواه البزار وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

قلت: وذهب الطحاوي والنحاس إلى أن هذا الموقوف له حكم الرفع، قال الطحاوي في المشكل (١٠٧/٣): وهذا الحديث فنحن نحيط علمًا لو لم نجد أحدًا من رواته رفعه إلى النبي ﷺ أن ابن عباس لم يأخذه إلا عن النبي ﷺ، إذ كان الذي فيه إخبار عن الله - عز وجل - بمراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ. اهـ.

وقال النحاس نحوه.

(١) سقطت من الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة الزخرف، الآية: ٧٣، ونقله القرطبي في التذكرة (ص٥٨٥) عن يحيى بن سلام بإسناده.

(٢) بياض في الأصل، والمثبت مما تقدم.

تأثيم﴾ تفسير مجاهد[١]: لا يَسْتَبُّون فيها، ولا يأثمون في شيء.

قال محمدٌ: الكَأْسُ في اللغة: الإناء المملوء؛ فإذا كان فارغًا فليس بكأسٍ[٢]. وتقرأ: ﴿لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ﴾ بالنَّصْب[٣]، إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كُررت «لا» في مثل هذا الموضع الرفعُ، والنصب جائزٌ، فمن رفع فعلى الابتداء و«فيها» هو الخبرُ، ومن نصبَ فعلى النفي والتبرئة[٤].

قوله: ﴿ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنون﴾ يعني: صفاء ألوانهم والمكنون في أصدافه ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يُسَائل بعضهم بعضًا عن شفقتهم في الدنيا من عذاب اللَّه ﴿قالوا إنا كنا قبل﴾ في الدنيا ﴿في أهلنا مشفقين﴾ من عذاب النار ﴿فمن اللَّه علينا ووقانا عذاب السموم﴾ النار ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أن يقينا عذاب السموم ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ برٌّ بالمؤمنين رحيمٌ بهم.

قوله: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك...﴾ الآية.

قال محمدٌ: هو كما تقول: ما أنت بحمد اللَّه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أم يقولون شاعرٌ نتربص به ريْبَ المنون﴾ أي: قد قالوا: نتربَّصُ به الدهر حتَّى يموت. في تفسير الحسن قال اللَّه للنبي: ﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربّصين﴾ كانوا يتربَّصون بالنبي أن يموت، وكان النبي يتربَّصُ بهم أن يأتيهم العذاب.

و﴿رَيْب المنون﴾ في تفسير مجاهد[٥]: حوادثُ الدهر[٦].

---

(١) رواه الطبري (٢٧/٢٩).
وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٣٢) لابن المنذر أيضًا.
(٢) ينظر لسان العرب (كأس). والجمع: أَكْؤُس وكئوس.
(٣) أي: بالبناء على الفتح؛ وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٢/٢١١).
(٤) ينظر تفصيل الكلام على ذلك في: إعراب القرآن (٣/٢٥٣)، البحر (٨/١٤٩ - ١٥٠).
(٥) رواه الطبري (٢٧/٣١).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٧/٣١) لابن المنذر أيضًا.
(٦) لأن حوادث الدهر لا تدوم على حالٍ، كالريب وهو الشك فإنه لا يبقى بل هو متزلزل.

قال محمدٌ : المنونُ عند أهل اللغة : الدهرُ ، وريْبُه : حَوَادثُه وأوجاعه ومصائبه ، والعرب تقول : لا أُكلِّمُك آخر المنون(١). وأنشد بعضهم قَوْلَ أبي ذُؤَيْب :

أَمِنَ المَنُـونِ وَرَيْبِـهِ تَـتَـوَجَّـعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ(٢)

يعني : أَمِنَ الدَّهْرِ وريْبِه تتوجَّعُ؟!

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله : ﴿أم تأمُرُهم أحلامهم بهذا﴾ بالتكذيب ، أي : ليست لهم أحلامٌ ﴿أم هم قومٌ طاغون﴾ أي : بل هُمْ قومٌ طاغون يقول : إن الطغيانَ - وهو الشرك - يأمرهم بهذا ﴿أم يقولون تقوّله﴾ محمدٌ ، يعني : القرآن ؛ أي : قد قالوه ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن ﴿إن كانوا صادقين﴾ أي : لا يأتون بمثله ، وليس ذلك عندهم ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي : لمْ يخلقوا من غير شيء ، خلقناهم من نطفة وأول ذلك من ترابٍ ﴿أم هم الخالقون﴾ أي : ليسوا بالخالقين وهم مخلوقون ﴿أم خلقوا السماوات والأرض﴾ أي : لمْ يخلقوها ﴿بل لا يوقنون﴾ بالبعث ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ يعني : علمَ الغيب ﴿أم هم المصيطرون﴾ يعني : الأرباب ، أي : إنّ اللّهَ هو الرَّبُّ - تبارك اسْمُه .

قال محمدٌ : يقال : تَصيطرتَ عليَّ ، أي : اتخذتني خَوَلاً(٣). ويكتب بالسين والصاد ، والأَصْلُ السين وكل سين بعدها طاءٌ يجوز أن تقلب صادًا(٤).

---

(١) ينظر : لسان العرب (ريب - منن) .

(٢) ينظر : ديوان أشعار الهذليين (١/١) ، المفضليات (٥٨٠) ، الدر المصون (٢٠١/٦) .

(٣) والخَوَل يُطْلق على العبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحَشَم للواحد والجمع والذكر والأنثى . ينظر لسان العرب (خول) .

(٤) ينظر لسان العرب (سيطر) .

قوله : ﴿أم لهم سُلَّمٌ﴾ درجٌ ﴿يستمعون فيه﴾ إلى السماء ، والسُّلَّمُ أيضًا التسبّبُ وقوله (فيه) بمعنى : عَلَيْه[1] ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ بحجَّة بيّنة بما همْ عليه من الشرك ، أي : ليس عندهم بذلك حُجَّة ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ وذلك لقولهم : إن الملائكة بناتُ اللَّه . وجعلوا لأنفسهم الغلمان ﴿أم تسألهم أجرًا﴾ على القرآن ﴿فهم من مغرَم مثقلون﴾ فقد أثقلهم الغُرْمُ ، أي : إنك لا تسألهم أجرًا ﴿أم عندهم الغيب﴾ يعني : علم غَيْب الآخرة ﴿فهم يكتبون﴾ لأنفسهم ما يتخيَّرون ؛ لقول الكافر : ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[2] يعني للجنة إن كانت جنة ، أي : ليس عندهم علم غيب الآخرة ﴿أم يريدون كيدًا﴾ بالنبي ، أي : قد أرادوه (...)[3] ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ كقوله : ﴿إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا﴾[4] (...)[3] لأريهم جزاء كيدهم وهو العذاب قال ﴿أم لهم إله غير اللَّه﴾ أي (...)[5] (ل٣٤٢) ﴿شاعر نتربّصُ به﴾ إلى هذا الموضع كالاستفهام وكذبهم به كله .

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وإن يروا كسْفًا من السماء﴾ والكِسْفُ : القطْعة[6] ﴿ساقطًا يقولوا سحاب مركوم﴾ بعضُه على بعض ، وذلك أنه قال في سورة سبأ : ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾[7] فقالوا للنبي : لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا ؛ فأنزل اللَّه :

---

(١) وينظر في دلالة (في) على معنى (على) . مغني اللبيب (١/١٩١) .

(٢) فصلت : ٥٠.

(٣) طمس في الأصل نحو أربع كلمات .

(٤) الطارق : ١٥ - ١٦.

(٥) طمس في الأصل قدر سطر .

(٦) وقيل : الكِسْفة : القطعة من الشيء . والجمع : كِسْف وكِسَف . قال الأخفش : من قرأ (كِسْفًا) جعله واحدًا ، ومن قرأ (كِسَفًا) جعله جمعًا . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (كسف) .

(٧) سبأ : ٩.

﴿وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحابٌ مركوم﴾ أي : ولم يؤمنوا .

قال اللَّه : ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ أي : يموتون ، وهي النفخة الأولى ؛ في تفسير الحسن ، يعني : كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكُهُم بقيام الساعة .

﴿يوم لا يغني عنهم كيدُهُم شيئًا﴾ لا تغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا للنبي شيئًا ﴿ولا هم ينصرون﴾ إذا جاءهم العذاب .

قال : ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿عذابًا دون ذلك﴾ بالسيف ؛ يعني : من أُهلك يوم بدر ؛ في تفسير الحسن ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي : جماعتهم ﴿لا يعلمون﴾ يعني : من لا يؤمن به .

﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي : لما حكم اللَّه عليك ، فأمَره بقتالهم ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي : نرى ما تصنع وما يصنع بك ، فسنجزيك ونجزيهم .

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ من مقامك ، يعني : صلاة الصُّبْح ؛ في تفسير الحسن .

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني : صلاة المغرب وصلاة العشاء ﴿وإدبار النجوم﴾ .

يحيى : عن عثمان ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن الحارث ، عن علي قال : « سُئِل رسولُ اللَّه ﷺ عن قوله : ﴿وإدبار النجوم﴾ . فقال : هما الرَّكْعتان قبل صلاة الصبح »[1].



---

(١) تقدم في تفسير سورة « ق » (الآية : ٤٠) تخريجه ، وبيان أنه رُوي مرفوعًا وموقوفًا ، والراجح وقفه ، مع ضعف الحارث الأعور ، وأن له شاهدًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف ، واللَّه أعلم .

تفسيرُ سُورَةِ وَالنَّجم وهي مَكِّيَّةٌ كُلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱﴾

قوله : ﴿والنجم إذا هَوَى﴾ تفسير ابن عباسٍ قال : يقول : والوحي إذا نزل ، وفي تفسير الحسن : يعني : الكواكب إذا انتثرت . والنجم عنده : جماعة النجوم[1] أقسم به ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ يعني : محمدًا ﷺ ، يقوله للمشركين ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو﴾ إن القرآن الذي ينطق به محمدٌ ﴿إلا وحيٌ يوحى﴾ .

قال محمدٌ : (إن) بمعنى (ما)[2] أي : ما هو إلا وحيٌ يوحى .

﴿عَلَّمَهُ﴾ علّم محمدًا ﴿شديد القوى﴾ يعني : جبريل شديد الخلق ﴿ذو مِرَّةٍ﴾ وهو من شدة الخلق أيضًا ﴿فاستوى﴾ استوى جبريل عند محمدٍ ؛ أي : رآه في صورته ، وكان محمدٌ يرى جبريل في غير صورته .

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ وجبريل بالأفق الأعلى ، وهو المشرق .

﴿ثم دنا فتدلّى﴾ جبريل بالوحي إلى محمد ﴿فكان﴾ إليه ﴿قاب قوسين﴾ أي : قدر ذراعين ﴿أو أدنى﴾ أي : بل أدنى .

---

(١) وفيه أقوال أخرى . ينظر : الدر المصون (٦/٢٠٣) .

(٢) وفي دلالة (إن) على النفي . ينظر مغني اللبيب (١/٣٠) .

قال محمدٌ : قيل : إن القوسَ في لغة أزدِ شنوءة : الذراع[١].

﴿فأوحى إلى عبده﴾ إلى عبد الله ﴿ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وهي تقرأ على وجهين : بالتثقيل والتخفيف ، من قرأها بالتثقيل يقول : ما كذّب فؤاد محمدٍ ما رأى ؛ أي : في ملكوت الله وآياته ، ومن قرأها بالتخفيف يقول : ما كذَبَ فؤادُ محمدٍ ما رأى ؛ أي : قد صدق الرؤية فأثبتها[٢].

﴿أفتمارونه﴾ يقول للمشركين ؛ أفتمارون محمدًا على ما يرى؟! ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ يعني : مرة أخرى رأى جبريل في صورته مرتين ﴿عند سدرة المنتهى﴾ قال ابن عباس : سألت كعبًا عن سدرة المنتهى . فقال : يُنْتَهى إليها بأرْوَاح المؤمنين إذا ماتوا لا يجاوزها روح مؤمن ؛ فإذا قبض المؤمن تبعه مُقَرَّبو أهل السمٰوات حتى يُنْتَهى به إلى السِّدْرة فيوضع ، ثم تصفُّ الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ها هنا ، فذلك قوله : ﴿سدرة المنتهى﴾ .

سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يذكر في حديث ليلة أسري به : « ثم رفعت لنا السدرة المنتهى ، فإذا ورقُها مثل آذان الفِيلَة ، وإذا نَبقها مثل قِلاَل هَجَر ، وإذا أربعة أنهار يخرجون [من أصلها نهران][٣] باطنان [ونهران ظاهران][٣] ، قلت : يا جبريل ، ما هذه الأنهار؟ فقال : أما الباطنان فنهران في الجنة [وأما الظاهران][٣] (ل٣٤٣) فالنيل والفرات »[٤].

---

(١) أي : الذراع : التي يقاس بها ، نقل ذلك عن ابن عباس ، ونقل عنه أن ذلك لغة الحجازيين . والقوس مؤنثة . ينظر اللسان (قوس) ، الدر المصون (٢٠٦/٦) .

(٢) قرأ هشام بتشديد الذال ، والباقون بتخفيفها . ينظر : البحر (١٥٩/٨) ، الدر المصون (٢٠٦/٦) .

(٣) بياض في الأصل ، والمثبت من روايات الحديث .

(٤) رواه الإمام أحمد (٢١٠/٤) والبخاري (٣٤٨/٦ - ٣٥٠ رقم ٣٢٠٧) ومسلم (١٤٩/١ - ١٥١ رقم ٢٦٤/١٦٤) وهناد في الزهد (١١٧) والترمذي (٤١٢/٥ - ٤١٣ رقم ٣٣٤٦) والنسائي في الكبرى (١٣٨/١ - ١٤٠ رقم ٣١٣) وابن خزيمة في صحيحه (١٥٣/١ - ١٥٥ رقم ٣٠١) وأبو عوانة في صحيحه (١٠٧/١ - ١١٢ رقم ٣٣٧، ٣٣٨) والطبراني (٢٧٠/١٩ - ٢٧٤ رقم ٥٩٩) وابن منده في الإيمان (٧٢٥/٢ - ٧٢٨ رقم ٧١٦) وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم (٢٣٢/١ - ٢٣٤ رقم ٤٢٠) والبيهقي في الدلائل (٣٧٣/٢ - ٣٧٧) وغيرهم من طريق سعيد - وهو ابن أبي عروبة - عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ﷺ .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
فزادوا في الإسناد : « مالك بن صعصعة » ولم أقف عليه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعًا . =

قوله : ﴿عندها جنة المأوى﴾ والجنة عندها السِّدْرة والمأوى : مأوى المؤمنين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ تفسير بعضهم : قال : غشيها فراش من ذهب ﴿ما زاغ البصر﴾ بصر النبي عليه السلام فلم يُثْبت ما رأى ، ﴿وما طغى﴾ : ما قال ما لم يَرَ .

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ يعني : ما قصّ مما رأى ، ثم قال للمشركين :

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ بعد الاثنتين : اللات كانت لثقيف ، والعُزَّى لقريش ، ومناة لبني هلال . ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ على الاستفهام ؛ وذلك أنهم جعلوا الملائكة

= ورواه الإمام أحمد (١٦٤/٣) وعبد الرزاق في تفسيره (٢٥١/٢ - ٢٥٢) وأبو يعلى (٤٦٠/٥ رقم ٣١٨٥) والدارقطني (٢٥/١ رقم ٢٩) والحاكم (٨١/١) من طريق معمر ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وله شاهد غريب من حديث شعبة عن قتادة عن أنس ، صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . اهـ .

ورواه ابن طهمان في مشيخته (١١٩) - ومن طريقه أبو عوانة (١٣٨/٥ رقم ٨١٣٤) والطبراني في الصغير (١٣١/٢) والحاكم (٨١/١) - عن شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ . وعلقه البخاري في صحيحه (٧٣/١٠ رقم ٥٦١٠) عن ابن طهمان به .

قال البخاري : ورواه هشام وسعيد وهمام عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في الأنهار نحوه .

وقال الدارقطني في العلل (٢٣٤/٦ - ٢٣٥) : وروى هذا الحديث عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، وأتى به بطوله .

وروى بعضه شعبة ، عن قتادة ، عن أنس عن النبي ﷺ قصة النهرين ، حدَّث به إبراهيم بن طهمان عن شعبة .

ويشبه أن يكون الأقاويل كلها صحاحًا ؛ لأن رواتهم أثبات .

وقد روى خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن أنس عن النبي ﷺ : « فرضت علي الصلاة » وهو صحيح عنه .

وكذلك عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ . اهـ .

ولما ذكر أبو نعيم حديث الإسراء في معرفة الصحابة (٢٤٥٢/٥ - ٢٤٥٣) من طريق شيبان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، قال : رواه هشام وهمام وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وأبو عوانة وعمران القطان والخليل ابن مرة ومجاعة بن الزبير في آخرين عن قتادة ومنهم من طوله ومنهم من اختصره . اهـ .

بنات الله - عز وجل - وجعلوا لأنفسهم الغلمان ، وقالوا : إن الله صاحبُ بنات ، فسمّوا هذه الأصنام فجعلوهن إناثًا ، قال الله : ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ أي : ليس ذلك كذلك .

﴿تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ جائرة أن جعلوا لله البنات ولهم الغلمان هذا تفسير الحسن .

قال محمدٌ : يقال : ضِزْت في الحُكْم أي : جُرْت ، وضازه يضيزه إذا نقصه حقه[١].

وأنشد بعضهم لامرئ القيس :

ضَـازَتْ بَنُـو أَسَـدٍ بِحُكْـمِـهِـم إذ يَجْعَلُونَ الرَّأْسَ كَـالـذَّنَـبِ[٢]

وأصل ضِيزَى ضُوزا فكُسِرت الضاد للياء وليس في النعوت فِعْلى[٣].

﴿إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يعني اللات والعزّى ومناة ﴿ما أنزل الله بها من سلطانٍ﴾ من حجة بأنها آلهة ﴿إن يتبعون﴾ يعني : المشركين ﴿إلا الظنّ﴾ أي : ذلك منهم ظنٌّ ﴿وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ القرآن ، قال الكلبي : « كان النبي ﷺ يصلي عند البيت والمشركون جلوسٌ فقرأ : ﴿والنجم إذا هوى﴾ فحدَّث نفسه حتى إذا بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه : فإنها من الغرانيق العُلى - يعني : الملائكة - وإن شفاعتها ترتجى أي : هي المرتجى . فلما انصرف النبي من صلاته قال المشركون : قد ذكر محمدٌ آلهتنا بخير ، فقال النبي : والله ما كذلك نزلت عليَّ . فنزل عليه جبريل فأخبره النبي ، فقال : والله ما هكذا علّمْتُك وما جئت بها هكذا ، فأنزل الله : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطانُ في أمنيته ...﴾ الآية وقد مضى تفسير هذا[٤].

قوله : ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم .

---

(١) لسان العرب (ضيز) .

(٢) البيت من بحر البسيط . ينظر : البحر (١٦٢/٨) ، الدر المصون (٢٠٩/٦) .

(٣) لمزيد من التفصيل راجع الدر المصون (٢٠٩/٦) ، إعراب القرآن (٢٦٩/٣) ، مجمع البيان (١٧٦/٥) .

(٤) في تفسير سورة الحج ، الآية : ٥٢، ولا تصح هذه القصة ، ولفضيلة العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - رسالة « نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق » فراجعها .

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله : ﴿وكم من ملكٍ في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا﴾ لا تنفع شفاعتهم المشركين شيئًا ، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ .

﴿وما لهم به من علم﴾ بأنهم إناثٌ ولا بأنهم بنات الله ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي : إن ذلك منهم ظن .

﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ هذا منسوخٌ نسخه القتال[1].

﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أي : إن علمهم لم يبلغ الآخرة .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ليجزي الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿بما عملوا﴾ يجزيهم النار ﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿بالحسنى﴾ يعني الجنة .

قوله عزّ ذكره : ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّمَم﴾ تفسير الحسن : إلا اللمّة يلمّ بها من الذنوب .

قال محمدٌ : المعنى : إن الله - عز وجل - وَعَد المغفرة من اجتنب الكبائر ، ووعد المغفرة أيضًا من ألمَّ بشيء منها ، ثم تاب من ذلك واستغفر الله . والإلمام في اللغة معناه : ألا يتعمّق في الشيء ولا يلزمه[2]، وهذا معنى ما ذهب إليه الحسن .

---

(١) الناسخ والمنسوخ (ص٨٧) .

(٢) لسان العرب (لمم) ، الدر المصون (٦/٢١١) .

قوله : ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ يعني : خلق (...)[1] والأجنّةُ من باب الجنين في بطن أمه .

قوله : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (...)[1] .

يحيى : عن ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن ثابت بن الحارث (ل٣٤٤) الأنصاري قال : « كانت اليهود تقول إذا هلك صبي صغير : هذا صدِّيق . فبلغ ذلك رسول الله فقال : كذبت يهود ، ما من نسمة خلقها الله في بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد . فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ...﴾ إلى آخرها »[2]. من حديث يحيى بن محمد .

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿أفرأيت الذي تولّى﴾ يعني : المشرك تولّى عن الإيمان ، ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ تفسير عكرمة[3] قال : أعطى قليلاً ثم قطعه .

قال محمدٌ : وأصل الكلمة من كُدْيَة البئر ، وهي الصَّلابة فيها ، وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها ؛ فقطع الحفر ، فقيل لكل من طلب شيئًا فلم يبلغ آخره وأعطى ولم يتمم : أكْدَى[4].

---

(١) بياض في الأصل نحو خمس كلمات .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨١/٢ - ٨٢ رقم ١٣٦٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٧٨/١ رقم ١٣٦٢) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٩٣) من طريق ابن لهيعة به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٢/٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضًا .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٥٤/٢) .

(٤) لسان العرب (كدى) ، الدر المصون (٢١٢/٦) .

قال يحيى : قوله : ﴿أعطى قليلاً﴾ إنما قلَّ ؛ لأنه كان لغير اللَّه .

﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يختار لنفسه الجنة إن كانت جنة . كقوله : ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[1] للجنة إن كانت جنة هذا تفسير الحسن ﴿أم لمْ يُنبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى﴾ يعني : وفّى ما فرض اللَّه عليه في تفسير مجاهد[2].

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ما عمل ﴿وأن سعْيَه سوف يُرى﴾ .

قال محمدٌ : قيل : المعنى : يرى عمله في ميزانه .

﴿وأنَّ إلى ربك المنتهى﴾ يعني : المصير ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ أي : خلق الضَّحِكَ والبكاء . ﴿وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ الواحِدُ منهما : زَوْجٌ ﴿من نطفة إذا تُمنى﴾ إذا يمنيها الذكر ﴿وأنّ عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أغنى عبده ، وأقناه من قِبَلِ القِنْيَة[3].

قال محمدٌ : تقول : أَقْنَيْتُ كذا أي : عملتُ على أنه يكون عندي لا أخرجه من يدي ؛ فكأنّ معنى (أَقْنَى) جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتًا[4].

﴿وأنه هو ربُّ الشعرى﴾ الكوكب الذي خلف الجوزاء كان يَعْبُدها قومٌ[5] ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى﴾ وهي عادٌ واحدة ، لمْ يكن قبلها عادٌ[6] قال : ﴿وثمودًا[7] فما أبقى﴾ أهلكهم فلم يبقهم

---

(١) فصلت ، الآية : ٥٠.

(٢) رواه الطبري (٢٧/٧٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٤٣) للفريابي وعبد بن حميد أيضًا .

(٣) بضم القاف وكسرها ، ويقال فيها : القنوة بضم القاف وكسرها أيضًا . لسان العرب (قنى) ، المفردات للراغب (٦٥٢) .

(٤) لسان العرب (قنى) .

(٥) هم خزاعة . ينظر الدر المصون (٦/٢١٤) .

(٦) وقيل : إن عادًا الأولى عاد بن إرم ، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وعادًا الآخرة قوم هود ، وقيل : إن عادًا الأولى قوم هود ، والآخرة قوم كانوا بحضرموت ، قاله قتادة . انظر تفسير الماوردي (٥/٤٠٥) وتفسير القرطبي (١٧/١٢٠) .

(٧) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب بغير تنوين ، والباقون بالتنوين ، وتقدم .

﴿وقوم نوحٍ﴾ أي : وأهلك قوم نوح ﴿من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ كانوا أول من كذب الرسل .

﴿والمؤتفكة أهوى﴾ يعني قرى قوم لوط رفعها جبريل بجناحه ، حتى سمع أهل سماء الدنيا ضواغي كلابهم ثم قلبها ، والمؤتفكة : المنقلبة .

قال محمدٌ : أهوى : أسقط . يقال : هوى وأهواه الله : أسقطه[١].

قال : ﴿فغشاها ما غشى﴾ يعني : الحجارة التي رمي بها من كان منهم خارجًا من المدينة وأهل السفر منهم .

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ﴾

قال : ﴿فبأي آلاء﴾ يعني نعماء ﴿ربك تتمارى﴾ تشك أي : إنك لا تشك ثم قال للناس : ﴿هذا نذيرٌ﴾ يعني : محمدًا ﴿من النذر الأولى﴾ أي : جاء بما جاءت به الرسل الأولى ﴿أزفت الآزفة﴾ أي : دنت القيامةُ ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ كأن المعنى : ليس لها وقعةٌ كاشفةٌ ، والله أعلم ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون﴾ يعني : المشركين ، أي : قد فعلتم ﴿ولا تبكون﴾ أي : ينبغي لكم أن تبكوا ﴿وأنتم سامدون﴾ قال : غافلون ﴿فاسجدوا لله﴾ فصلوا لله ﴿واعبدوا﴾ أي : واعبدوه ولا تشركوا به شيئًا .

قال محمدٌ : سامدون معناه لاهون وهي لُغةُ اليمن[٢].



---

(١) لسان العرب (هوى) .

(٢) وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٦/٢١٩) ، لسان العرب (سمد) .

تفسير سورة اقتربت الساعة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

قوله : ﴿اقتربت السّاعة﴾ أي : دنت .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مَثَلي ومَثَل الساعة كهاتين ، فما فضل إحداهما على الأخرى ، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس السَّبَّابة »[١].

﴿وانشق القمر﴾ قال ابن مسعود : « انشق القمر شقين حتى رأيت أبا قبيس بينهما »[٢] ﴿وإن يروا آية﴾ يعني : المشركين ﴿يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾ ذاهب ﴿وكل أمر مستقر﴾ لأهله من الخير والشر .

---

(١) تقدم في تفسير سورة محمد ، الآية : ١٩.

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٦، ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥) ومسلم (٢١٥٨/٤ - ٢١٥٩ رقم ٢٨٠٠) بنحوه .
ولقد روى انشقاق القمر جماعةٌ كثيرةٌ من الصحابة : منهم أنس - في الصحيحين - وابن عباس - في الصحيحين أيضًا - وابن عمر - في صحيح مسلم - وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وغيرهم ، انظر تفسير ابن كثير (٢٦١/٤ - ٢٦٣) والبداية والنهاية (٧٧/٧ - ٧٩) والدر المنثور (١٤٧/٦ - ١٤٨) .
وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٧٧/٦) : وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة .

قال محمدٌ : يقول : يستقر لأهل الجنة عملهم ، ولأهل النار عملهم . والاختيار (...)[١] لأنه ابتداء .

﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ يعني : أخبار الأمم (...)[٢] (ل٣٤٥) فأهلكهم الله ﴿ما فيه مزدجر﴾ عمَّا هم عليه من الشرك ﴿حكمة بالغة﴾ يعني : القرآن .

قال محمدٌ : (حكمةٌ بالغة) بالرفع على معنى : فهو حكمة[٣].

﴿فما تغن النذر﴾ عمن لا يؤمن ﴿فتول عنهم يوم يدع الداعي[٤] إلى شيء نكر﴾ عظيم ، والداع هو صاحب الصور .

قال محمد : ﴿يدع﴾ كتب بحذف الواو على ما يجري في اللفظ لالتقاء الساكنين الواو من (يدعو) واللام من (الداع)[٥] وقوله : (نكر) بضم الكاف وإسكانها[٦]، والنكر والمنكر واحدٌ[٧].

قال النابغة :

أَبَـى الـلَّـهُ إلا عَـدْلَـهُ ووَفَـاءَهُ فلا النُّكْرُ مَعْروفٌ ولا العُرْفُ ضَائِعُ[٨]

قوله : ﴿خشعًا أبصارهم﴾ يقول : فتولَّ[٩] عنهم فستراهم يوم القيامة ذليلة أبصارهم ، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال[١٠] ﴿يخرجون من الأجداث﴾ من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ تفسير

---

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر .

(٢) طمس في الأصل نحو خمس كلمات .

(٣) وقيل بالرفع على البدل من (ما) . ينظر : إعراب القرآن (٣/٢٨٢) البيان (٢/٤٠٣) ، البحر (٨/١٧٤) .

(٤) أثبت الياء وصلاً أبو جعفر وأبو عمرو وورش ، وأثبتها في الحالين يعقوب والبزي . النشر (٢/٣٨٠) وإتحاف الفضلاء (٥٢٤) .

(٥) قال السمين الحلبي : حذفت الواو من (يدع) خطًا إتباعًا للفظ ، والياء من (الداع) مبالغة في التخفيف إجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين ، فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها . ينظر الدر المصون (٦/٢٢٢) .

(٦) قرأ العامة بضم الكاف ، وابن كثير بسكونها . ينظر البحر (٨/١٧٥) ، الدر المصون (٦/٢٢٢) .

(٧) لسان العرب (نكر) .

(٨) البيت من بحر الطويل . ينظر ديوان النابغة ، الدر المصون (٣/٤٤٩) .

(٩) في الأصل (فتولى) بإثبات الياء .

(١٠) ينظر الناسخ والمنسوخ (٨٨) .

الحسن شبَّههم بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلع عليه الشمس انتشر ﴿مهطعين﴾ مسرعين ﴿إلى الداع﴾ صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿يقول الكافرون﴾ يومئذٍ ﴿هذا يوم عسر﴾ يعلم الكافرون يومئذٍ أن عسر ذلك اليوم عليهم، وليس لهم من يُسْرِه شيء.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿وقالوا مجنونٌ وازدجر﴾ تُهُدِّدَ بالقتل في تفسير الحسن[1] ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ أي: فانتقم لي من قومي.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿أني﴾ بالفتح للألف - وهو الأجود - والمعنى: دعا ربه بأني مغلوب[2].

﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ بعضه على بعض وليس بمطر.

قال محمدٌ: يقال: همَر الرجلُ إذا أكثر من الكلام وأسرع[3].

﴿وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿على أمرٍ قد قُدِر﴾ على هلاك قوم نوح ﴿وحملناه﴾ يعني: نوحًا ﴿على ذات ألواح﴾ يعني: السفينة و﴿دسر﴾ الدُّسُر: المسامير؛ في تفسير قتادة[4].

قال محمدٌ: واحدها دِسَارٌ[5]، مثل حمار وحُمُر.

﴿تجري بأعيننا﴾ كقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾[6].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٤٩/٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) العامة على فتح الهمزة، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش، ورويت عن عاصم بالكسر. ينظر: البحر (١٧٦/٨)، الدر المصون (٢٢٥/٦).

(٣) لسان العرب (همر).

(٤) رواه الطبري (٩٣/٢٧).

(٥) وقيل: الواحد دَسْر. ينظر لسان العرب (دسر)، الدر المصون (٢٢٧/٦).

(٦) طه: ٤٦.

﴿جزاءً لمن كان كُفر﴾ جزاءً لنوحٍ كفره قوْمُه ، وجحدوا ما جاء به إنجاء اللَّه إيَّاه في السفينة ﴿ولقد تركناها آية﴾ لمن بعدهم ، يعني : السفينة .

قال محمدٌ : قوله : (آية) يعني : علامة ؛ ليُعْتبَر بها .

﴿فهل من مدكر﴾ أي : متفكر ، يأمرهم أن يعتبروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم .

قال محمدٌ : مُدَّكِر أصله مذتكر مفتَعِل من الذِّكْرِ ، فأدغمت الذال في التاء ثم قلبت دالاً مشدودة[١].

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ إنذاري أي كان شديدًا ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ ليذكروا اللَّه ﴿فهل من مدّكر﴾ وهي مثل الأولى .

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿كذبت عادٌ﴾ أي : فأهلكتهم ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي : كان شديدًا ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ والصرصر : الباردة الشديدة البرد ، وهي ريح الدَّبور ﴿في يوم نحسٍ﴾ أي : مشئوم ﴿مستمر﴾ استمر بالعذاب ، وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء .

﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ شبّههم في طولهم وعظمتهم بالأعجاز ، وهي النخل الذي قد انقلعت من أصولها فسقطت على الأرض .

قال محمدٌ : قوله : ﴿منقعر﴾ قالوا : قعرتُ النخلة أَقْعَرُها - بفتح العين - إذا قطعتَها قَعْرًا . وقعَرتُ البئر أَقْعِرُها - بكسْر العين - إذا بلَغْتَ قَعْرها بنزول أو حَفْرٍ[٢]. والنخل تذكَّر وتؤنّث[٣]؛ يقال : هذا نخلٌ وهذه نخلٌ ، فمنقعر على من قال : هذا نخلٌ ، ومن قال هذه نخل مثل قوله : ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[٤].

---

(١) وقد تقدم مثل هذا مرارًا .

(٢) ويقال في كلا المعنيين : قَعَر يَقْعَر بفتح العين . لسان العرب (قعر) .

(٣) لسان العرب (نخل) .

(٤) الحاقة : ٧. وقال السمين الحلبي : (منقعر) صفة لنخل باعتبار الجنس ، ولو أنّث لاعتبر معنى الجماعة كقوله : =

ومعنى ﴿يسرنا﴾ أي : سهلنا ، وروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل إنما يتلوها أهلها (نظرًا)[(١)] ولا يكادون يحفظونها من أوَّلها إلى آخرها ؛ كما يحفظ القرآنُ .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ بالرسل ﴿فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه﴾ أي : أنتَّبع بشرًا منا واحدًا ﴿إنا إذًا لفي ضلال﴾ فلا (نهتدي)[(١)] (ل٣٤٦) ﴿وسعر﴾ أي : وشقاء ؛ في تفسير مجاهد .

قال محمدٌ : قوله : (وسُعُر) أصل الكلمة من [سعرت][(٢)] النار إذا التهبت[(٣)].

﴿أؤُلقي عليه الذكر من بيننا﴾ على الاستفهام منهم ، وهذا الاستفهام على إنكار أي : لمْ ينزل الذكر عليه من بيننا يجحدون ما جاء به صالح ﴿بل هو كذابٌ أشِرٌ﴾ من باب الأشر ﴿سيعلمون غدًا﴾ يعني : يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشر﴾ .

قال محمدٌ : الأَشِرُ في اللغة : البَطِر المتكبر ، يقال : أَشِرَ يأشَرُ أَشَرًا فهو أَشِر ، وقالوا أيضًا : أَشْرَان وامرأة أَشْرَى[(٤)].

﴿إنا مرسلوا الناقة﴾ أي : مخرجوها ﴿فتنة لهم﴾ أي : بليّة ﴿فارتقبْهم﴾ أي : انظرْ ماذا يصنعون ﴿واصطبر﴾ على ما يصنعون وعلى ما يقولون ، أي : إذا جاءت الناقة . وقد مضى تفسير

= (نخل خاوية) ، وإنما ذكر هنا وأنث في الحاقة مراعاة للفواصل في الموضعين ، الدر المصون (٦/٢٢٨) .

(١) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبته ، والله أعلم .

(٢) في الأصل : سعر .

(٣) و(سُعُر) يجوز أن يكون مفردًا ، أي : جنون ، يقال : ناقة مسعورة ، أي : مجنونة . وأن يكون جمع سعير وهي النار . الدر المصون (٦/٢٢٩) .

(٤) لسان العرب (أشر) .

أمر الناقة في سورة الشعراء[١] ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ وهذا بعد ما جاءتهم الناقة ﴿كل شرب محتضرٌ﴾ تشرب الناقة الماء يومًا ويشربونه يومًا .

قال محمدٌ : معنى ﴿محتضر﴾ يحضر القومُ الشُّرْبَ يومًا ، وتحضره الناقة يوْمًا .

﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ والصيحة : العذاب ﴿فكانوا كهشيم المحتظِر﴾ وهو النبات إذا هاج فَذَرَتْهُ الرياحُ فصار حظائر ، تفسير من قرأ (المحتظِر) بكسْر الظاء ، ومن قرأها (المحتظَر) بفتح الظاء فالمعنى جُعِلَ حظائرَ[٢].

قال محمدٌ : وقيل : الهشيم : ما يبِسَ من الورق وتكسّر وتحطّم ، أي : فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة في تفسير من قرأه (المحتظِر) بكسْر الظاء يقول : احتظر حظيرة ، ومن قرأ (المحتظَر) بفتح الظاء فهو اسمٌ للحظيرة[٣].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كذبت قوم لوطٍ بالنذر﴾ بالرسل يعني لوطًا ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبًا﴾ يعني : الحجارة التي رُمي بها من كان منهم خارجًا من المدينة وأهل السّفر منهم ، وأصاب مدينتهم الخسفُ ﴿إلا آل لوطٍ﴾ يعني من آمن ﴿نجيناهم﴾ إلى قوله : ﴿من شكر﴾ يعني : من آمن .

قال محمدٌ : تقول : أتيتُ فلانًا سَحَرًا أي : سَحَرًا من الأسحار ، وإذا أردت سحر يومك قلت : أتيته بِسَحَرٍ ، وأتيته سَحَرَ ، ونصْبه على الظرف[٤].

﴿نعمة من عندنا﴾ بمعنى : نجيناهم بالإنعام عليهم .

---

(١) الآية ١٥٥ وما بعدها .

(٢) العامة على كسر الظاء ، وقرأ أبو السّمال وأبو حيوة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها . ينظر الدر المصون (٦/٢٣٠) .

(٣) ينظر : البحر (٨/١٨٠) ، الدر المصون (٦/٢٣٠) .

(٤) وقيل : مبني على الفتح . الدر المصون (٦/٢٣١) .

قوله : ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أي : عذابنا ﴿فتماروا بالنذر﴾ كذبوا بما قال لهم لوطٌ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمَسْنا﴾ وقد مضى تفسير كيف أُهلكوا في سورة هود[١] .

﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ استقرَّ بهم العذاب .

قال محمدٌ : (بكرةً) ها هنا نكرة ، وإذا أردت بكرة يومك لم تَصْرِفْها[٢] وكذلك (غدوةً) في مثل هذا .

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولقد جاء آل فرعونَ النذر﴾ يعني موسى وهارون ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني التسع آيات ، وقد مضى ذِكْرُها ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ على خلقه ، عذَّبهم بالغرق ﴿أكفاركم﴾ يعني أهل مكة ﴿خيرٌ من أولئكم﴾ يعني : من أهلك من الأمم السالفة ، أي : ليسوا بخير منهم ، يعني : كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولادًا ﴿أم لكم براءةٌ﴾ أي : من العذاب ﴿في الزُبر﴾ في الكتب ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ يعني : يوم بدر ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي : بعذاب الاستئصال ، يعني : كفار آخر هذه الأمة ؛ في تفسير الحسن ﴿والساعة أدهى﴾ من تلك الأخذات التي أهلك بها الأمم السالفة ﴿وأمَرُّ﴾ أي : وأشد .

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في ضلالٍ﴾ عن الهدى ﴿وسُعُر﴾ أي : شقاء في تفسير مجاهد[٣] ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ تسحبهم الملائكة أي : تجرهم ﴿ذوقوا مسَّ﴾ يقال لهم في النار : ذوقوا مسَّ سَقر ، وسقر اسمٌ من أسماء جهنَّم .

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ

---

(١) هود ، الآيتان : ٨٢، ٨٣.
(٢) للتعريف والتأنيث . الدر المصون (٦/٢٣١) .
(٣) رواه الطبري (٢٧/١٠٩) .

مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر﴾ تفسير سعيد بن جبير عن علي قال : كل شيء بقدر حتى هذه ، ووضع إصبعه السبابة على طرف لسانه ، ثم وضعها على ظهر إبهامه اليسرى .

قال محمدٌ : ﴿كلَّ شيءٍ﴾ منصوبٌ بفعل مضمر ، المعنى : إنا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر[1].

﴿وما أمرنا﴾ (ل٣٤٧) يعني مجيء الساعة ﴿إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ تفسير الحسن يعني : إذا جاء عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى .

قال محمدٌ : المعنى : أنه إذا أراد هلاكهم كانت سُرْعة الاقتدار على الإتيان به كسُرعة لمح البصر ، وهو الذي أراد الحسن ، ومعنى لمح البصر : أن البصَرَ يلمحُ السماء وهي مسيرة خمسمائة عام ، وهذا من عظيم القدرة .

وقوله : ﴿إلا واحدة﴾ فإن المعنى : إلا قولة واحدة ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني : من أهلك من الأمم السَّالفة يقوله للمشركين ﴿وكل شيء فعلوه في الزّبُر﴾ في الكتب قد كُتِب عليهم ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ مكتوبٌ .

﴿إن المتقين في جناتٍ ونهر﴾ يعني : جميع الأنهار .

قال محمدٌ : وهو واحدٌ يدل على جمع[2].

﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ يعني : نفسه تبارك اسْمُه .



(١) أي : منصوب على الاشتغال ، وفيه أقوال أخرى . ينظر : الدر المصون (٦/٢٣٢) .

(٢) أي : اسم جنس . ينظر : الدر المصون (٦/٢٣٤) .

تفسير سورة الرَّحمن وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾

قوله : ﴿الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمّه البيان﴾ علمه الكلام ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ تفسير الكلبي : بحساب ومنازل معدودة ، كل يوم منزل ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ النجم : ما كان من النبات على غير ساق ، والشجرُ ما كان على ساق[١]. وسجودهما ظلُّهما .

قال محمدٌ : يقال : نَجَمَ النبات يَنْجُم نجُومًا[٢]، وبَقَل يبْقُل بُقُولاً[٣].

﴿والسماء رفعها﴾ بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿ووضع الميزان﴾ أي : وجعل الميزان في الأرض بين الناس ﴿ألا تطغَوْا﴾ ألا تظلموا ﴿في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي : لا تنقصوا الناس .

قال محمدٌ : يقال : أَخْسَرتُ الميزان وخَسِيرت[٤]. والقراءة بضم التاء[٥].

---

(١) لسان العرب (نجم) .

(٢) ونَجْمًا . لسان العرب (نجم) .

(٣) وبَقْلاً . لسان العرب (بقل) .

(٤) أي : وخَسِيرتُه . والمعنى : أنقصته . لسان العرب (خسر) .

(٥) وهي قراءة العامة ضم التاء وكسر السين ، وفيها قراءات أخرى . ينظر الدر المصون (٦/٢٣٧) ، البحر (٨/١٨٩) .

﴿والأرض وضعها للأنام﴾ للخلق ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ قال الحسن[(١)]: الأكمام: الليف.

قال محمدٌ: أكمام النخلة: ما غطى جُمَّارها من السَّعَف والليف والطلعة، كمُّها: قشرُهَا.

قوله: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ العصف: سوق الزرع، والريحان: الرزْقُ في تفسير الكلبي. وكان يقرأ ﴿والرَّيحانِ﴾ بالجر ويجعل العصفَ والريحان جميعًا من صفة الزرع، وكان الحسن يقرأ (والريحانُ) بالرفع على الابتداء أي: وفيها الريحانُ[(٢)]. والريحان في تفسير الحسن[(٣)]: الرياحين التي تُشَمُّ.

قال محمدٌ: والعرب تسمي الرزق: الريحان، يقال: خرجت أطلب ريحان الله[(٤)]. ومنه قول النَّمِر بن توْلَب[(٥)]:

سَلَامُ الإِلَـهِ وَرَيْحَانُـهُ   وَرَحْمَتُـهُ وَسَمَـاءٌ دِرَرْ[(٦)]

معنى ريحانه: رزقه.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعماء ﴿ربكما تكذبان﴾ يعني: الثقلين الجن والإنس.

قال محمدٌ: قيل: ذكر الله - عز وجل - في هذه السورة ما ذكر من خلق الإنسان وتعليم البيان، ومن خلق الشمس والقمر والسماء والأرض وغير ذلك مما ذكر من آلائه التي أنعم بها، وجعلت قِوامًا ووُصْلَةً إلى الحياة، ثم خاطب الإنس والجن فقال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، أي: أنكم تصدقون بأن ذلك كله من

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٢٦٢) والطبري (٢٧/١٢٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وابن عامر بالنصب، والباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٩)، التيسير (٢٠٦)، النشر (٢/ ٣٨٠).

وينظر التوجيه النحوي لهذه القراءات في البحر (٨/١٩٠)، الدر المصون (٦/٢٣٧).

(٣) رواه الطبري (٢٧/١٢٢).

(٤) وهو قولة الأكثرين. ينظر لسان العرب (ريح)، البحر (٨/١٩٠)، الدر المصون (٦/٢٣٨).

(٥) هو أحد الشعراء المخضرمين كان من ذوي الوجاهة والنعمة، ت(١٤هـ) وله ديوان مطبوع. تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٨/٤٨).

(٦) البيت من بحر المتقارب، ينظر ديوانه، وتفسير الطبري (٢٧/١٢٣)، وتفسير القرطبي (١٧/١٥٧).

عنده ، وهو أنعم به عليكم ، وكذلك فوحّدوه ولا تشركوا به غيره ، والآلاء واحدها إلاً مثل معًا[١].

قوله : ﴿خلق الإنسان﴾ يعني : آدم ﴿من صلصال كالفخار﴾ وهو التراب اليابس الذي يُسْمَع له صلصلة إذا حُرّك ، وكان آدم في حالات قبل أن ينفخ فيه الروح ، وقد قال في آية أخرى : ﴿من طين﴾[٢] وقال : ﴿من حمأ مسنون﴾[٣].

قوله : ﴿وخلق الجان﴾ إبليس ﴿من مارجٍ من نار﴾ أي : من لسان النار ولهبها في تفسير الحسن[٤].

قال محمدٌ : يقال للهب النار : مارجٌ لاضطرابه ، من مرج الشيء يعني اضطرب ولم يستقر[٥]. قال الحسن : الإنس كلهم من عند آخرهم ولد آدم . (ل٣٤٨) والجن كلهم من عند آخرهم ولد إبليس .

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف .

﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ تفسير قتادة : أفاض أحدهما في الآخر .

قال محمدٌ : معنى مرج : خلط[٦] وهو الذي أراد قتادة .

﴿بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾ بين العذب والمالح حاجزٌ من قدرة الله لا يبغي أحدهما على صاحبه ،

---

(١) وقيل : واحدها الألَى ، وقيل : الإلْي ، وقيل : الألْي . ينظر لسان العرب (ألا) .

(٢) الأنعام : ٢، الأعراف : ١٢، المؤمنون : ١٢، السجدة : ٧، الصافات : ١١١، ص : ٧١، ٧٦، الذاريات : ٣٣.

(٣) الحجر : ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/٢٦٢) والطبري (٢٧/١٢٦) .

(٥) يقال : مَرَجَ يَمْرُجُ مروجًا ، ومَرِجَ يَمْرَجُ مَرَجًا . لسان العرب (مرج) .

(٦) وقيل غير ذلك . ينظر : لسان العرب (مرج) .

لا يبغي المالح على العذب فيختلط به ، ولا العذب على المالح فيختلط به .

﴿يخرج[١] منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ تفسير قتادة[٢] قال : اللؤلؤ : الكبار ، والمرجان : الصغار .

قال يحيى : ومعنى (يخرج منهما) أي : من أحدهما .

قال محمدٌ : قال : ﴿يخرج منهما﴾ وإنما يخرج من البحر المالح ؛ لأنه قد ذكرهما وجمعهما ، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما[٣]، وهو الذي أراد يحيى . والواحدة : مرجانة[٤].

﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ يعني : السفن التي عليها شُرُعها ، وهي القُلُع[٥].

قال محمدٌ : كتبتْ بلا ياء ، ومن وقف عليها وقف بالياء ، والاختيار وَصْلُها ؛ ذكره الزَّجاجُ[٦]، ومعنى المنشآت : التي أُنْشِئن ، والأعلام : الجبال .

﴿كل من عليها﴾ يعني : على الأرض ﴿فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال﴾ يعني : العظمة ﴿والإكرام﴾ لأهل طاعته .

﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ يسأله أهل السماء الرحمة ، ويسأله أهل الأرض الرحمة والمغفرة والرزق وحوائجهم ، ويدعوه المشركون عند الشدة ، ولا يسأله المغفرة إلا المؤمنون ﴿كل

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو : ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول ، وقرأ الباقون ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء ، النشر (٢/٣٨٠ - ٣٨١) إتحاف الفضلاء (٥٢٦) القرطبي (١٧/١٦٣) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٢٦٣) والطبري (٢٧/١٣١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٥٨) لعبد بن حميد أيضًا .

(٣) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان (٧/٧٤٨) : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقوله في هذه الآية ﴿يخرج منهما﴾ أي : من مجموعها الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب ، وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية - مع كثرتهم وجلالتهم - لا شك في بطلانه ؛ لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك في قوله تعالى ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كلٌّ تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ فالتنوين في قوله ﴿من كلٌّ﴾ عوض ، أي : من كل واحدٍ من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها ، وهي اللؤلؤ والمرجان ، وهذا لا نزاع فيه . اهـ .

(٤) والمرجان أعجمي ، قال ابن دريد : لم أسمع فيه نقلاً متصرفًا . ينظر لسان العرب (مرج) ، الدر المصون (٦/٢٤١) .

(٥) واحدها : قلاع ، وهو شراع السفينة . وهو أيضًا القِلْع وجمعه قلوع ، وقِلاع وقِلَعَة . لسان العرب (قلع) .

(٦) وعليها قراءة العامة بكسر الراء ، لأنه منقوص على وزن مفاعل ، والياء محذوفة لفظًا لالتقاء الساكنين . ينظر الدر المصون (٦/٢٤١) .

يوم هو في شأن﴾ يميت ويحيي ما يولد ، ويجيب داعيًا ، ويعطي سائلاً ، ويشفي مريضًا ، ويفك عانيًا ، وشأنه كثير لا يُحْصَى ؛ لا إله إلا هو .

قال محمدٌ : قيل المعنى : هو في تنفيذ ما قدر الله أن يكون في ذلك اليوم ، وهو مذهب يحيى .

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان﴾ الجن والإنس ؛ أي : سنحاسبكم فنعذبكم ، وهي كلمة وعيد ؛ يعني : المشركين منهم .

قال محمدٌ : لغة أهل الحجاز : فَرَغ يَفْرُغُ - بضم الرَّاء - فُرُوغًا ، وتميم تقول : فَرَغ يفرَغ - بفتح الراء - فراغًا[1].

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني : المشركين منهم ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ من نواحيها ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ إلا بحجة في تفسير مجاهد[2].

﴿يرسل عليكما﴾ يعني : الكفار من الجن والإنس ﴿شواظٌ من نار ونحاس﴾ الشُّواظ : اللهب الذي لا دُخان فيه ، والنحاس : الدخان الذي لا لهب فيه ؛ هذا تفسير ابن عباس .

قال محمدٌ : من قرأ (نحاسٌ) بالرفع فعلى معنى : ويُرْسَلُ عليكما نحاسٌ[3].

﴿فلا تنتصران﴾ تمتنعان .

﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ محمّرة ﴿كالدهان﴾ يعني : كعكر الزيت ؛ في تفسير

---

(١) ولغة أهل الحجاز هي الفصحى . ينظر الدر المصون (٢٤٢/٦) ، لسان العرب (فرغ) .

(٢) رواه الطبري (١٣٨/٢٧) .

(٣) قرئ (نحاس) بالرفع والجر ، حيث قرأ بالجر ابن كثير وأبو عمرو ، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر : السبعة (٦٢١) ، التيسير (٢٠٦) وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية . ينظر : البحر (١٩٥/٨) ، الدر المصون (٢٤٣/٦) .

زيد بن أسلم .

﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أي : لا يُطْلب علم ذلك من قِبَلِهِمْ .

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾ بسواد وجوههم وزرقة أعينهم . ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ يجمع بين ناصيته وقدَمَيْه من خلفه ، ثم يلقى في النار .

﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ المشركون ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ يعني : الحارّ الذي انتهى حرُّه .

قال محمدٌ : أنى يأني وهو آنٍ[1].

قال يحيى : بلغنا أن شجرة الزقوم نابتة في الباب السّادس من جهنم على صخرة من نار ، وتحتها عينٌ من الحميم أسود غليظ ، فيسلّط على أحدهم الجوع ، فيُنْطلق به فيأكل منها حتى يملأ بطْنَه ، فتغلي في بطنه كغلي الحميم ، فيطلب الشراب ليبرد به جوْفَه ، فينزل من الشجرة إلى تلك العين التي تخرج من تحت الصَّخرة من فوقها الزقوم ، ومن تحتها الحميمُ ، فتزلّ قدماه فيقع لظهره وجنبه ، فينشوي عليها كما ينشوي الحوت على المِقلى ، فتسحبه الخُزّان على وجهه ، فينحدر إلى تلك العَيْن ، فلا ينتهي إليها إلا وقد ذهب لحم وجهه حتى ينتهي إلى تلك العين فيسقيه الخُزّان في إناء من (...)[2] فإذا (...)[2] (ل٣٤٩) فيه اشتوى وجهه ، وإذا وضعه على شفتيه تقطعت شفتاه وتساقطت أضراسه وأنيابه من حره ؛ فإذا استقر في بطنه أخرج ما كان في بَطْنه من دُبُره .

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

---

(١) أي : مثل قَضَى يَقْضِي فهو قاضٍ . ينظر لسان العرب (أنى) .

(٢) طمس في الأصل نحو كلمتين .

﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ يعني : الذي يقوم بين يدي ربه للحساب في تفسير الحسن ﴿جنتان﴾ قال الحسن : هي أربع جنات : جنتان للسابقين وهم أصحاب الأنبياء ، وجنتان للتابعين[1].

﴿ذواتا أفنان﴾ أغصان ؛ يعني : ظلال الشجر ؛ في تفسير الحسن .

قال محمدٌ : واحدها فنٌّ[2].

﴿فيهما من كل فاكهةٍ زوجان﴾ أي : نوعان .

﴿متكئين على فرشٍ بطائنها من إستبرق﴾ تفسير الحسن : بطائنها ؛ يعني : ما يلي جلودهم ، والإستبرق : الصَّفيق من الديباج[3].

﴿وجنى الجنتين﴾ يعني : ثمارها ﴿دان﴾ قريب يتناولون منها وهم قعود ومضطجعون وكيف شاءوا .

﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ قصر طرْفهنَّ على أزواجهن لا يُرِدْن غيرهم ﴿لمْ يطمثهن إنس﴾ لم يَمْسَسْهُنَّ إنسٌ ﴿قبلهم ولا جان﴾ يعني : أزواجهن في الجنة بعد خلق الله إيَّاهُنَّ الخلق الثاني ؛ يعني : من كان من المؤمنات من نساء الدنيا .

قال محمدٌ : من كلام العرب : ما طمث هذا البعيرَ حبلٌ قط[4].

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ يريد : صفاء الياقوت في بياض المرجان .

﴿هل جزاء الإحسان﴾ الإيمان ﴿إلا الإحسان﴾ الجنة .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

---

(١) وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿جنتان﴾ : يريد بالتثنية المفرد ، يعني جنة . ينظر معاني القرآن (١١٨/٣) ، كشف المشكلات (١٣٠٧/٢) .

(٢) وقيل : واحدها (فن) ، والمعنى : ذواتا أنواع وأشكال ، إلا أن الكثير في (فن) أنه يجمع على (فنون) . ينظر : الدر المصون (٢٤٦/٦) ، لسان العرب (فن) .

(٣) وقيل : إستبرق على وزن إستفعل ، وقيل : هو فارسي معرب ، وتصغيره : أبيرق . ينظر : الدر المصون (٢٤٧/٦) ، لسان العرب (برق) (إستبرق) ، المختار من صحاح اللغة (برق) .

(٤) أي : ما مسّه عِقال . لسان العرب (طمث) .

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿ومن دونهما﴾ يعني: الجنتين اللتين وصف ما فيهما ﴿جنتان﴾[1] وهاتان الجنتان [الأخريان][2] لأصحاب اليمين الذين ليسوا من السابقين.

﴿مدهامتان﴾ يعني: خضراوَيْن ناعمتَيْنِ.

﴿فيهما عينان نضاختان﴾ أي: فوَّارتان.

قال محمدٌ: يقال: ادهامَّتْ ادْهِيمامًا[3]، والنضخ الفعل منه نَضَخَ يَنْضَخُ وَيَنْضِخ، ونَضَح باليد بالحاء غير منقوطة، والنضخُ في اللغة أكثر من النضح[4].

﴿فيهن خيراتٌ حسان﴾ يعني: النساء، الواحدة منهن: خيرة[5].

قال محمدٌ: (خَيْراتٌ) أَصْلُه في اللغة: خيراتٌ مخفف[6] كما يقال: هيْنٌ ليْنٌ[7] المعنى: أنهنّ حسانُ الخلق.

---

(١) روى البخاري (٤٩١/٨ رقم ٤٨٧٨) - في تفسير هذه الآية - ومسلم (١٦٣/١ رقم ٢٩٦) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن».

(٢) في الأصل: الأخروان.

(٣) والادهامُّ: السواد وشدة الخضرة جعلا مدهامتين؛ لشدة رِيِّهما، ولذلك قالوا: سواد العراق؛ لكثرة شجره وزروعه. ينظر: الدر المصون (٢٤٨/٦)، لسان العرب (دهم).

(٤) ينظر لسان العرب (نضح - نضخ). وقال السمين الحلبي: النضخ فوق النضح بالحاء؛ لأن النضح بالحاء: الرش والرشح، والنضخ بالخاء: فوران الماء. ينظر الدر المصون (٢٤٨/٦).

(٥) قيل: الواحدة: (خَيْرة) بزنة فَعْلة، وقيل: الواحدة (خيرة) المخففة من (خيّرة). الدر المصون (٢٤٩/٦) وينظر لسان العرب (خير).

(٦) أي مخفَّف من: خيِّرات.

(٧) وهو مخفَّف من: هَيِّن ليِّن.

﴿حورٌ﴾ أي: بيض ﴿مقصورات﴾ محبوسات ﴿في الخيام﴾ قال ابن عباس[١]: الخيْمة: درّةٌ مجوَّفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع.

﴿متكئين على رفرف خضر﴾ قال قتادة[٢]: يعني: المحابس[٣] ﴿وعبقري حسان﴾ قال ابن عباس: يعني: الوسائد.

قال يحيى: الواحدة: عبقرة[٤].

﴿تبارك اسم ربك﴾ تقدَّس اسم ربك ﴿ذي الجلال﴾ العظمة ﴿والإكرام﴾ لأهل طاعته.



---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٢٦٧) والطبري (٢٧/١٦١).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٦٨) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٢٦٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٦٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/٢٤٩).

(٤) وقيل: عبقري جمع عبقرية، بمعنى فتكون اسم جنس. وقيل: هو واحد دال على الجمع، و(عبقري) منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنها بلد الجن، فكل ما عظموه وتعجبوا منه قالوا: هذا عبقري. ينظر لسان العرب (عبقر)، الدر المصون (٦/٢٥٠).

تفسير سورة الواقعة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩﴾

قوله : ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ القيامة ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي : هي كاذبة .

قال محمدٌ : المعنى : ليس لوقعتها وقعةٌ كاذبة .

﴿خافضة رافعة﴾ خفضت والله أقوامًا إلى النار ، ورفعت أقوامًا إلى الجنة ﴿إذا رجّتِ الأرض رجًّا﴾ زلزلت زلزالاً ﴿وبُسَّت الجبال بسًّا﴾ فُتَّتْ فتاة[١] ﴿فكانت هباءً منبثًّا﴾ قال الحسن : يعني : غبارًا ذاهبًا ﴿وكنتم أزواجًا﴾ أصنافًا ﴿ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ وهم الميامين على أنفسهم ﴿وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة﴾ وهم المشائيم على أنفسهم .

قال محمدٌ : قوله : ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ هذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب ، كأنه قال : أي شيء هُمْ؟ يقال في الكلام : فلانٌ ما فلانٌ ، ومجراه من الله - عز وجلّ - في مخاطبة العباد مَجْرى ما يُعَظِّمُ به الشأن عندهُمْ ، وكذلك هذا في قوله : ﴿ما أصحاب المشئمة﴾ أي : أيّ شيء هم؟![٢] ويقول : يَمَنَ فلان على القوم ويُمِن وهو ميمونٌ[٣]، وشأم القوم وشُئِمَ عليهم فهو مشئوم[٤].

---

(١) هكذا في الأصل ، والمراد : فُتَّت فتًّا أو فُتاتًا .

(٢) ينظر البحر (٢٠٤/٨) ، الدر المصون (٢٥٣/٦) .

(٣) يقال : يَمَن فلان على القوم يَيْمن يَمْنًا فهو ميمون .
يقال : يُمِن فلان على القوم يَيْمُن يُمْنًا ومَيْمنة فهو يَامِن ويَمِين وأيْمَن .
ويقال : يُمِنَ فلان على القوم فهو ميمون . والجمع : ميامين . ينظر لسان العرب (يمن) .

(٤) أي : جرّ عليهم الشُّؤم ، والجمع : مشائيم . لسان العرب (شأم) .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ تفسير الحسن: السّابقون أصحاب النبي ﷺ وأصحابُ الأنبياء ﴿ثُلَّة من الأولين﴾ والثُّلة: الطَّائفة ﴿وقليلٌ من الآخرين﴾ يعني: أن سابقي جميع الأمم أكثر من سابقي أمّة محمدٍ ﴿على سرُرٍ موضونة﴾(ل ٣٥٠) مَرْمولة، ورَمَلها نسجها بالياقوت واللُّؤلؤ ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ لا ينظر بعضُهم إلى قفا بعضٍ.

قال يحيى: بلغني أن ذلك إذا تزاوروا ﴿يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون﴾ لا يموتون ولا يشيبون على منازل الوُصَفاء، خُلِدوا على تلك الحال لا يتحوّلون عنها ﴿لا يُصَدَّعون عنها﴾ لا يصيبهم عليها صُدَاعٌ ﴿ولا يُنزفون﴾ لا تذهب عقولُهم أي: لا يسكرون ﴿وفاكهة مما يتخيَّرون﴾ إذا اشْتهوا الشعْبَ من الشجرة انقض إليهم فأكلوا منه أيَّ الثمار شاءوا؛ إن شاءوا قيامًا، وإن شاءوا مُسْتلقين. ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال سَعِيد بن راشد: بلغني أن الطير تُصَفُّ بين يدي الرجل؛ فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجًا ﴿وحور عينٌ﴾ أي: بيضٌ، عينٌ أي: عظام العيون، الواحدة منهن عَيْنَاء.

وقال محمدٌ: ﴿وحورٌ عينٌ﴾ مَرْفوعٌ بمعنى: ولهُمْ حورٌ عين[1].

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ يعني: صفاء ألوانهن، والمكنون الذي في أصدافه ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾.

قال محمدٌ: ﴿جزاءً﴾ مصدرٌ، المعنى: يجازون بأعمالهم جزاءً[2].

---

(١) وعليها قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ بالجر، وقرئ شاذًا بالنصب. ينظر: السبعة (٦٢٢)، التيسير (٢٠٧)، شواذ ابن خالويه (١٥١)، المحتسب (٣٠٩/٢). وينظر التوجيه النحوي في البحر (٢٠٦/٨)، الدر المصون (٢٥٧/٦).

(٢) أي بالنصب على المفعول من أجله أو المفعول المطلق، أجاز القولين الزجاج والنحاس وغيرهما. ينظر: إعراب القرآن (٣٢٧/٣)، البيان (٤١٥/٢)، التبيان (١٢٠٤).

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي: باطلاً ﴿ولا تأثيمًا﴾ لا يؤثم بعضهم بعضًا ﴿إلا قيلاً سلامًا سلامًا﴾ تفسير بعضهم: إلا خيرًا خيرًا.

قال محمدٌ: المعنى على هذا التفسير: لا يسمعون فيها إلا قيلاً يُسْلَمُ فيه من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين﴾ يعني: أهل الجنة من غير السابقين، وأهل الجنة كلهم أصحاب اليمين ﴿في سدرٍ مخضودٍ﴾ المخضودُ: الذي لا شوك له ﴿وطلح منضود﴾ أي: بعضه على بعضٍ يعني بالطلح: الشجر الذي بطريق مكة. قال مجاهد[1]: كانوا يعجبون من وَجٍّ[2] وظلاله من طَلْحٍ وسِدْرٍ، فخوطبوا ووُعِدوا بما يحبون مثله.

قوله: ﴿وظلٍّ ممدود﴾ أي: متصل دائم أبدًا ﴿وماءٍ مسكوب﴾ ينسكب بعضُه على بعض، وليس بالمطر ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال أبو أمامة: ارتفاعها من الأرض قدر مائة سنة ﴿إنا أنشأناهن إنشاءً﴾ خلقْناهُنّ؛ يعني: نساء أهل الجنة ﴿فجعلناهن أبكارًا﴾ عَذَارى ﴿عُرُبًا﴾ يعني: متحبِّبات إلى أزواجهن ﴿أترابًا﴾ أي: على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة.

قال محمدٌ: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوبٍ، وأصل الكلمة: المُعَارَبة؛ وهي المداعَبة[3] وقال: ﴿إنا أنشأناهُنّ إنشاء﴾ ولم يذكر النساء قبل ذلك؛ لأن الفرش محل النساء، فاكتفى بذكر الفُرش، المعنى: أنشأنا الصبية والعجوز إنشاءً جديدًا[4].

---

(١) رواه الطبري (١٨٢/٢٧).

وعزاه السيوطي في الدر (١٧٣/٦) لعبد بن حميد والبيهقي في البعث أيضًا.

(٢) وج: وادي الطائف. معجم البلدان (٤١٦/٥).

(٣) والعَرُوب: هي المتحببة إلى زوجها. لسان العرب (عرب).

(٤) أجاز ذلك القرطبي (٢١٠/١٧). وقيل: يعود الضمير إلى قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ لا إلى قوله: ﴿وحور عين﴾. وقيل غير ذلك. ينظر: كشف المشكلات (١٣١٦/٢)، الدر المصون (٢٥٩/٦).

قوله : ﴿ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ الثُّلَّة : الطَّائفة .

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ وهم أهلُ النار .

يحيى : عن فطر ، عن عبد الرحمن بن سابطٍ ، عن أبي بكر الصديق قال : « خلق الله الخلق فكانوا قبضته ، فقال لمن في يمينه : ادخلوا الجنة بسلام . وقال لمن في يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالي . فذهبتْ إلى يوم القيامة »[1].

قال يحيى : وبلغني أنه قوله : ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ .

قوله : ﴿في سموم وحميم﴾ في نار وحميم ؛ يعني : الشراب الشديد الحرّ ﴿وظلّ من يحموم﴾ اليحموم : الدُّخان الشديد السَّواد ﴿لا باردٍ﴾ في الظِّل ﴿ولا كريم﴾ في المنزل ، والكريم : الحسن ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ والمترفون أهل السَّعَة والنعمة في الدُّنيا ﴿وكانوا يصرون﴾ يقيمون ﴿على الحنث﴾ يعني : الذَّنب ﴿العظيم﴾ وهو الشرك ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ...﴾ الآية[2]

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/١٢٣ رقم ٢٠٠٩٤) ومن طريقه ابن بطة في الإبانة كتاب القدر (٢/١٢٥ رقم ١٥٥٥) عن الثوري عن فطر بن خليفة به .
ورواه الدارمي في الرد على المريسي (١/٢٦٨ - ٢٦٩) من طريق الثوري به .
ورواه ابن بطة في الإبانة (٢/١٢٥ - ١٢٦رقم ١٥٥٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان عن فطر .
ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٤/٦٦٢ - ٦٦٣ رقم ١٢٠٣، ١٢٠٤) من طريق مروان الفزاري وأبي إسحاق عن فطر به .
ورواه الفريابي في القدر (٤٢ رقم ٢١) وعنه الآجري في الشريعة (١/٣٩٤ رقم ٤٥٣) وابن بطة في الإبانة (٢/١٢٦ رقم ١٥٥٧) من طريق عمرو بن دينار ، عمن أخبره عن عبدالله بن شداد ، عن أبي بكر الصديق ﷺ .
(٢) بعدها في الأصل علامة إلحاق ، ولم يظهر بالحاشية شيء ، والله أعلم .

لا نبعث نحن ولا آباؤنا ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ يعني: الإبل العطاش؛ في تفسير الكلبي.

قال محمدٌ: بعيرٌ أهْيَمُ وناقة هَيْمَاء[1].

﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ يوم الحساب.

قال محمدٌ: نزلهم أي: رزقهم وطعامهم.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

﴿نحن خلقناكم﴾ يقوله للمشركين ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تصدقون﴾ بالبعث ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ يعني: النطفة ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ على الاستفهام أي: لستم الذين تخلقونه (ل ٣٥١) ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ لكل عبد وقت لا يعدوه ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ آدميين خيرًا منكم يقوله للمشركين ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿فيما لا تعلمون﴾ قال مجاهد[2]: يعني في أي خلق شئنا ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ خلق آدم وذريته بعده ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تذكرون﴾ فتؤمنوا بالبعث.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾

﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه﴾ أي: تنبتونه يقوله لهم على الاستفهام ﴿أم نحن الزارعون﴾ أي: لستم الذين تزرعونه، ولكن نحن الزارعون المنبتون ﴿لو نشاء لجعلناه﴾ يعني: الزرع ﴿حطامًا

---

(١) ينظر: لسان العرب (هيم)، وفي واحد (الهيم) أقوال كثيرة، ينظر: الدر المصون (٦/٢٦١ - ٢٦٢).

(٢) رواه الطبري (٢٧/١٩٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/١٧٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

فظلتم تفكهون﴾ تفسير بعضهم : تعجبون ، المعنى : يعجبون لهلاكه بعد خضرته[١] ﴿إنا لمغرمون﴾ أي : مهلكون ﴿بل نحن محرومون﴾ حُرِمْنا الزرع .

﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ من السحاب .

قال محمدٌ : واحدها مزنة[٢].

﴿لو نشاء جعلناه أُجاجًا﴾ مُرًّا ﴿فلولا تشكرون﴾ هلاَّ تؤمنون ؛ يقوله للمشركين ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ أي : تستخرجون من الزُّنود[٣] ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي تخرج منها ﴿أم نحن المنشئون﴾ .

قال محمدٌ : تقول : أوْرَيْتُ النار إيراءً ، ولغة أخرى : وَرَيْتُها وَرْيًا[٤] إذا قَدَحْتَها ، وَوَرَتْ هي إذا ظهرتْ ، ومن كلامهم : وَرِيَتْ بك زنادي[٥].

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ للنار الكبرى ﴿ومتاعًا للمقوين﴾ للمسافرين ينتفعون بها ؛ في تفسير الحسن[٦].

قال محمدٌ : المقوي : الذي ينزل بالقَوَاء ، وهي الأرض القفر[٧].

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يقوله لنبيه ، فنزِّه اللهَ مما يقولون .

قال يحيى : وبلغني أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ : « اجعلوها في ركوعكم . ولما نزلت : ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال : اجعلوها في سجودكم »[٨].

---

(١) وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٦/٢٦٤) .

(٢) والمُزْن : اسم جنس . ينظر لسان العرب (مزن) .

(٣) أي : مأخوذ من أوريت الزند ، أي : قدحته فاستخرجت ناره . الدر المصون (٦/٢٦٥) .

(٤) ووُرِيًّا ورِيَةً . لسان العرب (ورى) .

(٥) لسان العرب (ورى) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر (٦/١٧٨ - ١٧٩) لعبد بن حميد .

(٧) يقال : أقوى الرجل إذا دخل في الأرض القواء وهي القفر ، وأقوت الدار : خلت من أهلها لأنها تصير قفرًا . لسان العرب (قوى) .

(٨) رواه الإمام أحمد (٤/١٥٥) ، والطيالسي (١٣٥ رقم ١٠٠٠) ، وأبو داود (٢/٦ رقم ٨٦٥) ، وابن ماجه (١/٢٨٧ رقم ٨٨٧) ، والدارمي(١/٣٤١ رقم ١٣٠٥) ، وابن خزيمة (١/٣٠٣ رقم ٦٠٠ ، ٦٠١) ، ١/٣٣٤ رقم ٦٧٠) ، وابن حبان (٥/٢٢٥ رقم ١٨٩٨) ، والحاكم (١/ ٢٢٥ ، ٢/٤٧٧) ، وابن عبدالبر في التمهيد (١٦/١١٩) ،=

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله : ﴿فلا أقسم﴾ أي : أقسم ، و(لا) زائدة[1] ﴿بمواقع النجوم﴾ نجوم القرآن إذ نزل جبريل على النبي ﴿إنه لقرآن كريم﴾ على الله ﴿في كتاب مكنون﴾ عند الله ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ من الذنوب ؛ يعني : الملائكة ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزل به جبريل ، وفيها تقديمٌ يقول : تنزيل من رب العالمين في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون . ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني : القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ أي : تاركون له ، يقوله للمشركين .

قال محمدٌ : يقال : أدهن في أمره وداهن ؛ وهو الكذّاب المنافق[2].

﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي : تجعلون مكان الرزق التكذيب .

قال محمدٌ : جاء عن ابن عباس « أنه كان يقرأ : وتجعلون شكركم أنكم تكذبون »[3]. وقيل : إن لغة أزد شنوءة ما رزق فلان أي : ما شكر فلان[4].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ

= والبيهقي في السنن (٢/٨٦) من طريق إياس بن عامر عن عقبة بن عامر ﷺ .

وقال ابن حبان بإثره : إياس بن عامر من ثقات المصريين .

وقال الحاكم : هذا حديث حجازي صحيح الإسناد ، وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر ، وهو عم موسى بن أيوب القاضي ، ومستقيم الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة .

فتعقبه الذهبي بقوله : إياس ليس بالمعروف .

(١) أي : زائدة للتوكيد مثلها في قوله تعالى : ﴿لئلا يعلم﴾ (الحديد ٢٩) والتقدير : فأقسم وليعلم . وقيل غير ذلك . ينظر : البحر (٨/٢١٤) ، مجمع البيان (٥/٢٢٦) ، الدر المصون (٦/٢٦٦) .

(٢) لأنه يظهر خلاف ما يضمر ، مأخوذ من المداهنة . لسان العرب (دهن) .

(٣) وهي أيضًا قراءة علي بن أبي طالب (وتجعلون شكركم) مكان (رزقكم) ينظر : الدر المصون (٦/٢٦٩) .

(٤) لسان العرب (رزق) ، الدر المصون (٦/٢٦٩) .

أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذا بلغت﴾ النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها ﴿الحلقوم﴾ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ غير محاسبين ﴿ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ بأنكم لا تبعثون ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان﴾ تقرأ : (رَوْحٌ) بفتح الراء وضمها ، فمن قرأها بالفتح فمعناها : الراحة ، ومن قرأها بالرفع فمعناها : الحياة الطويلة في الجنة[١]. والريحان : الرزق .

قوله : ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك﴾ أي : خيرٌ لك ﴿من أصحاب اليمين﴾وهؤلاء أصحاب اليمين من غير المقربين .

﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين ...﴾ الآية .

يحيى : عن صاحب له ، عن محمدِ بن عمرو ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الميت تحضره الملائكةُ ؛ فإذا كان الرجلُ الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . فيقال لها ذلك حتى تخرج ، فيصعد بها إلى السماء فيستفتح لها ؛ فيقال : من هذا؟ فيقولون : فلان . فيقال : مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله - تبارك وتعالى - وإذا كان الرجل السُّوْءُ قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغسَّاق ، وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك له حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا؟ فيقولون : فلان . فيقال : لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنه لن يفتح لكِ! فترمى من السماء إلى الأرض ، ثم تصير في القبر »[٢].

---

(١) العامة على فتح الراء من (روح) ، وقرأ ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ﷺ بضمها . ينظر الدر المصون (٦/٢٧٠) . وروى رويس بضم الراء ، وانفرد بذلك ابن مهران عن روح ، وقرأ الباقون بفتحها . النشر في القراءات العشر (٢/٣٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/٣٦٤ - ٣٦٥، ٦/١٤٠) والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٣ - ٤٤٤ رقم ١١٤٤٢) وابن ماجه (٢/١٤٢٣ - ١٤٢٤ رقم ٤٢٦٢، ٢/١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٦ - ٢٧٧ رقم ١٧٦) والطبري في تفسيره (٨/١٧٧) ، والآجري في الشريعة (٢/٢١٩ رقم ٩٧٩) وابن منده في التوحيد (٣/٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٨٤٩) وفي الإيمان (٢/٩٦٨ رقم ١٠٦٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٥ رقم ٣٥) وابن قدامة في =

يحيى : عن حماد ، عن عطاء بن يسار ، عن عبدالرحمن(ل٣٥٢) بن أبي (...)[١] عن (...)[١] يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال : « من أحبَّ لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره اللهُ لقاءه »[٢].

قوله : ﴿إن هذا لهو حقُّ اليقين﴾ هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة ليقينٌ حقٌّ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي : نزِّه الله من السوء .

= العلو (٥٧ - ٥٨ رقم ٢٤) والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (٨٦ - ٨٧ رقم ٢٢) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن عمرو به .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : هذا حديث متفق على عدالة ناقليه ، اتفق الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج على ابن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد بن يسار ، فهم من شرطهما ، ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعنه دحيم بن إبراهيم . انتهى ، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٢٧٦ - ٢٧٧) وابن القيم في الروح (٤٩) .

وقال المنذري في الترغيب (٣٧٠/٤) : وهو عند ابن ماجه بإسناد صحيح .

وقال القرطبي في التذكرة (ص ٥٨) : وهذا إسناد صحيح ثابت .

وقال الذهبي في الأربعين : هذا حديث صحيح على شرط خ م ، ولم يخرجاه .

ونحوه في العلو (٣٦/٢) .

وقال ابن القيم في الروح(ص ١٨٤) : وهو حديث صحيح .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤١٨/٤) : وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة .

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣١١/٣ رقم ١٥٢٥) : هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤٤٠/٢ رقم ١٨٥١) : رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح .

(١) طمس في الأصل ، ولم أستطع ضبط هذا الإسناد ، والله أعلم .

(٢) رواه البخاري (٣٦٤/١١ - ٣٦٥ رقم ٦٥٠٧) ومسلم (٢٠٦٥/٤ رقم٢٦٨٣) عن عبادة بن الصامت ﷺ .

ورواه البخاري (٣٦٥/١١ رقم ٦٥٠٨) ومسلم (٢٠٦٧/٤ رقم ٢٦٨٦) عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

ورواه مسلم (٢٠٦٥/٤ - ٢٠٦٦ رقم ٢٥٨٤، ٢٥٨٥) عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما .

وروى الإمام أحمد (٢٥٩/٤ - ٢٦٠) وابن أبي عمر - كما في المطالب (٢٨٢/٣ رقم ٣٢٢٨) - من طريق عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل من الصحابة ﷺ .

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة ﷺ .

تفسير سورة الحديد وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ⑤ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥﴾

قوله : ﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الأول﴾ يعني : قبل كل شيء ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء ﴿والظاهر﴾ يعني : العالم بما ظهر ﴿والباطن﴾ يعني : العالم بما بطن[1] .

﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ اليوم منها ألف سنة ﴿ثم استوى على العرش﴾ تفسير ابن عباس[2] قال : إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين ، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من وحي وغيره ﴿وما يعرج فيها﴾ يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد .

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿وهو عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصدور .

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم

(١) وقد بين النبي ﷺ معنى هذه الأسماء أتم بيان فقال ﷺ في مناجاته لربه : «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» رواه مسلم (٤/٢٠٨٤ رقم ٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير آية الكرسي .

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ بعد الأمم التي أهلك ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾ في صلب آدم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله والرسول ؛ فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ يعني : القرآن ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى ، يعني : من أراد أن يهديه .

﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ رجع إلى الكلام الأول ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ .

﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ يبقي ويهلك كل شيء ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ فيها تقديمٌ : لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل ، وهو فتح مكة[١].

﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾ يعني : الجنة ؛ من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبعده .

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾ أي : مُحتسبًا ، هذا في النفقة في سبيل الله ، وفي صدقة

(١) ولم يقل : (ومن أنفق من بعد الفتح) ، وحذف ، لأن قوله : ﴿من الذين أنفقوا من بعد﴾ يدل عليه . وكذلك أيضًا لوضوح الدلالة . ينظر : كشف المشكلات (١٣٢١/٢) ، الدر المصون (٢٧٣/٦) .

التطوع ﴿فيضاعفه له وله أجرٌ كريم﴾ الجنة .

قال محمدٌ : من قرأ (فيضاعفُهُ له) بالرفع فعلى الاستئناف ، أي : فهو يضاعفه له ، ومن قرأ بالنصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء[1].

﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ يقودهم إلى الجنة ﴿وبأيمانهم﴾ كتبهم ، وهي بُشْراهم بالجنة .

﴿انظرونا﴾ انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ وذلك أنه يعطي كل مؤمن ومنافق نورًا على الصراط ، فيطفأ نورُ المنافقين ويبقى نورُ المؤمنين ، فيقول المنافقون للمؤمنين : ﴿انظرونا﴾ انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ ، ويحسبون أنه قبسٌ كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس ، فقال لهم المؤمنون وقد عرفوا أنهم منافقون : ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا﴾ ؛ فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئًا ، فهنالك أدركتْهم خدْعةُ الله .

﴿فضرب بينهم بسور له بابٌ﴾ تفسير مجاهد[2]: السور : الأعراف ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ النار .

قال يحيى : والأعراف جبَلُ أُحُدٍ فيما بلغني يُمثَّلُ يوم القيامة بين الجنة والنار .

﴿ينادونهم﴾ ينادي المنافقون المؤمنين حين ضرب بينهم بسور ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا على دينكم ﴿قالوا بلى﴾ أي : فيما أظهرتم ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ يعني : أكفرتم أنفسكم فتربصتم بالنبي وقلتم : يهلكُ فنرجع إلى ديننا ﴿وارتبتم﴾ شككتم ﴿وغرتكم الأماني﴾ أي ما كنتم تتمنون من قولكم : يهلك محمدٌ وأصحابه ، فنرجع إلى ديننا ﴿حتى جاء أمر الله﴾ قال بعضهم : يعني الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان أخبركم بالوسوسة إليكم أنكم لا ترجعون إلى الله ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فديةٌ﴾ وذلك أنهم (...)[3] الإيمان يوم القيامة فلا يقبل منهم (...)[3] الذين كفروا (...)[3] يعني (...)[3] (ل٣٥٣) الذين جحدوا في الدنيا في العلانية ، وأما المنافقون فجحدوا في السر وأظهروا الإيمان ، فآمنوا كلهم في الآخرة فلم يقبل منهم ﴿مأواكم النار﴾ يعني الكفار والمنافقين ﴿هي مولاكم﴾ أي كنتم تتولونها في الدنيا ، فتعملون عمل أهلها .

---

(١) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر : السبعة(١٨٤ - ١٨٥) ، التيسير (٨١) ، النشر (٢/ ٢٢٨) ، الدر المصون (١/٥٩٥) ، (٦/٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) رواه الطبري (٢٧/٢٢٥) .

(٣) لم يظهر في مصورتنا لعيب في التصوير .

قال محمدٌ : وقيل : (هي مولاكم) هي أولى بكم لما أسلفتم ، وهو الذي أراد يحيى أيضًا .

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الخشوع الخوف ﴿وما نزل من الحق﴾ يعني : القرآن .

قال محمدٌ : يقول : أنى الشيء يأني إذا حان[1] .

﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ يعني : اليهود ﴿فطال عليهم الأمد﴾ بقاؤهم في الدنيا ﴿فقست قلوبهم﴾ غَلُظَتْ ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ يعني : من ثبت منهم على الشرك ، تفسير بعضهم نزلَتْ في المنافقين ، أمرهم أن يخلصوا الإيمان ؛ كما أخلص المؤمنون وقوله : ﴿للذين آمنوا﴾ يعني : أقروا بألسنتهم .

﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ يعني : المتصدِّقين والمتصدِّقات ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ يعني : يقدمون لأنفسهم ، وهذا في التطوع . ﴿يضاعف لهم ولهم أجرٌ﴾ ثواب ﴿كريم﴾ الجنة . ﴿أولئك هم الصديقون﴾ صدّقوا بما جاء من عند الله ﴿والشهداء عند ربهم﴾ تفسير مجاهد[2]: يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله .

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ

(١) لسان العرب (أنى) .

(٢) رواه الطبري (٢٧/٢٣١) .

﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤﴾

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي : إنما أهلُ الدنيا أهلُ لعبٍ ولهوٍ، يعني : المشركين ﴿كمثل غيثٍ﴾ مطر ﴿أعجب الكفار نباتُه﴾ يعني : ما أنبتت الأرض من ذلك المطر ﴿ثم يهيج﴾ ذلك النبات ﴿فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا﴾ كقوله : ﴿هشيمًا تذروه الرياح﴾(١).

قال محمدٌ : لم يفسر يحيى معنى (الكفار)، ورأيت في كتاب غيره أنهم الزرّاع . يقال للزارع : كافر ؛ لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كَفَره أي غطّاه(٢)، وقيل : قد يحتمل أن يكون أراد الكفار بالله، وهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين، والله أعلم بما أراد .

وقوله : ﴿ثم يهيج فتراه مصفرًا﴾ أي : يأخذ في الجفاف فتبتدئ به الصفرة ﴿ثم يكون حطامًا﴾ أي : متحطمًا متكسّرًا ذاهبًا . وقوله : ﴿وفي الآخرة عذابٌ شديد﴾ للكافرين ﴿ومغفرة من الله ورضوانٌ﴾ للمؤمنين ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغُرُور﴾ يغترُّ بها أهلها ﴿سابقوا﴾ أي : بالأعمال ﴿إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة عرضُها كعرض السماء والأرض﴾ يعني : جميع السموات وجميع الأرض مبسوطات، كل واحدة إلى صاحبتها، هذا عرضها، ولا يصف أحدٌ طولها ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني : الجدوبة ونقص الثمار ﴿ولا في أنفسكم﴾ يعني : الأمراض والبلايا في الأجساد ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها تفسير بعضهم : من قبل أن يخلق السموات والأرض ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ هيِّن.

﴿لكي لا تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ يعني من الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ يعني : من الدنيا .

قال محمدٌ : وقيل معنى (تفرحوا) ها هنا أي : تفرحوا فرحًا شديدًا تأشرون فيه وتبطرون، ودليل ذلك ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فدلّ بهذا أنه ذمُّ الفرحَ الذي يختالُ فيه صاحبه ويبطرُ، وأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذمومٍ، وكذلك ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم﴾

---

(١) الكهف : ٤٥.

(٢) لسان العرب : كفر .

لا تحزنوا حزنًا شديدًا لا تعتدون فيه، سواء ما تُسْلَبُونه وما فاتكم.

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ يعني: اليهود يأمرون إخوانهم اليهود بالبخل، بكتمان ما في أيديهم من نعت محمدٍ والإسلام ﴿ومن يتولّ فإن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المستحمدُ إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لقد أرسلنا رسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ أي: وجعلنا الميزان ﴿بالقسط﴾ أي: بالعدل ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أي: وجعلنا (ل٣٥٤) الحديد، أخرجه الله من الأرض ﴿فيه بأسٌ شديد﴾ يعني: ما يصنع منه من السلاح. ﴿ومنافع للناس﴾ يعني: ما ينتفعون به من الحديد في معايشهم ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ والغيب: البعث والحساب والجنة والنار، وإنما ينصر اللهَ ورسولَه من يؤمن بهذا، وهذا علم الفعَال ﴿إن الله قوي عزيز﴾ في نقمته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ فكان أول كتاب نزل فيه الحلال والحرام كتاب موسى قال: ﴿فمنهم مهتدٍ﴾ يعني: من ذرّيتهما ﴿وكثير منهم﴾ من ذرّيتهما ﴿فاسقون﴾ مشركون ﴿ثم قفينا على آثارهم برسُلنا وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ بعدهم.

قال محمدٌ: معنى (قفينا): أتبعنا، والمصْدَر: تقفية[1].

---

(١) لسان العرب (قفو).

﴿وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ يرأف بعضهم ببعض ، ويرحَم بعضهم بعضًا ، ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ لم نكْتبها عليهم ، إنما ابتدعوها ابتغاء رضوان اللَّه ، ليتقرّبُوا بها إلى اللَّه . قال الحسن : ففرضها اللَّه عليهم حين ابتدعوها .

قال محمدٌ : (ورهبانية) بالنصْب على معنى : وابتدعوا رهبانية[١].

قال ﴿فما رعوها﴾ يعني : الرهبانية ﴿حق رعايتها﴾ ولا ما فرضنا عليهم ، أي : ما أدَّوْا ذلك إلى اللَّه .

قوله : ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ يعني : أَجْرين ﴿ويجعل لكم نورًا تمشون به﴾ يعني : إيمانًا تهتدون به ﴿لئلا يعْلم أهل الكتاب﴾ هذه كلمةٌ عربيَّة يقول : لئلا يعْلمَ وليعلمَ بمعنى واحد[٢] ﴿ألا يقدرون على شيء﴾ أي : أنهم لا يقدرون على شيء ﴿من فضل اللَّه وأن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم﴾



(١) وفيها أوجه نحوية أخرى ينظر : البحر المحيط (٢٢٨/٨) ، الدر المصون (٢٨١/٦) .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر : إعراب القرآن (٣٦٩/٣) ، البحر (٢٢٩/٨) ، مجمع البيان (٢٤٢/٥) ، الدر المصون (٢٨٣/٦) .

تفسير سورة المجادلة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾

قوله : ﴿قد سمع اللّه قول التي تجادلك في زوجها ...﴾ الآية قال : كان طلاق أهل الجاهلية ظهارًا ، يقول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي ، وكانت خَوْلةُ بنت ثعلبة تحت أوس بن صامت فظاهر منها ؛ فأتت النبي ﷺ، فقالت : يا رسول اللّه ، إنه حين كبرت سني ظاهر مني ، قال الكلبي : وقالت : فهل من شيء يجمَعُني وإيّاه يا رسول اللّه؟ فقال لها : ما أُمِرتُ فيك بشيء ، ارجعي إلى بيتك فإن يأتني شيء أعلمتُك به . فلما خرجت من عنده رفعتْ يديْها نحْوَ السّماءِ تدعو اللّه ؛ فأنزل اللّه : ﴿قد سمع اللّه قولَ التي تجادلك في زوجها ...﴾ إلى قوله : ﴿وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا﴾ كذبًا ، حيث يقول : أنتِ عليّ كظهر أمي فيُحرم ما أحل اللّه[١] قال : ﴿وإن اللّه لعفو﴾ عنهم ﴿غفور﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ يعودون إلى ما حرّموا أي : يريدون الوطء

(١) انظر الدر المنثور (٦/١٩٨ - ٢٠١).

﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به﴾ الآية .

﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله﴾ أحكام الله التي حدَّ في الظهار من العِتق والصيام والإطعام .

قال محمد : قوله : (ذلك لتؤمنوا) المعنى : ذلك الذي وصفنا لتؤمنوا .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الذين يحادون الله﴾ أي : يعادون الله ﴿ورسوله كبِتُوا﴾ أُخزوا ﴿كما كُبِتَ﴾ أُخزي ﴿الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بيناتٍ﴾ القرآن .

﴿فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾ أحصى عليهم ما عملوا في الدنيا ونسوه ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ شاهدٌ لأعمالهم .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ما يكون من خلوة ثلاثة يسرُّون شيئًا ويتناجون به ، إلا هو رابعهم ، أي : عالمٌ به .

﴿ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى﴾ هم اليهود نُهوا أن يتناجوا بمعصية الله ومعصية الرسول ، والطعن في دين الله ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ كانوا يخلون بعضهم ببعض ﴿يتناجون بالإثم والعدوان﴾ (ل ٣٥٥) الإثم : المعصية ، والعدوان : الظلم ﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ كانوا يسلمون على النبي وأصحابه فيقولون : السَّام عليكم ، والسَّامُ : الموت في قول

بعضهم[١] قال : فكان رسولُ الله يرد عليهم على حد السَّلَم[٢]؛ فأتاه جبريل فأخبره أنهم ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « إذا سلم عليكم[٣] من أهل الكتاب فقولوا : عليك »[٤] أي : عليك ما قلتَ .

﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلا ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من السام أي : إن كان نبيًّا فسيعذبنا الله بما نقول . قال الله : ﴿حَسْبُهم جهنّم يصلَوْنها فبئس المصير﴾ .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني : أقروا بالألْسنة ﴿إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ كما صنعت اليهود من هذه النجوى التي ذكر .

﴿إنما النجوى من الشيطان ...﴾ الآية تفسير الكلبي : أن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله ﷺ أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه ، وعلموا أن له حميمًا في الغزو ، فيتناجون وينظرون إليه ، فيقول الرجل : ما هذا إلا شيءٌ قد بلغهم من حميمي ، فلا يزال من ذلك في غمّ وحزن ، حتى يقدم حميمه ؛ فأنزل الله هذه الآية[٥].

---

(١) لسان العرب (سوم) .

(٢) أي : السلام .

(٣) وضع الناسخ بعدها علامة إلحاق ، ولم يظهر بالحاشية شيء .

(٤) روى البخاري (٤٤/١١ رقم ٦٢٥٨) ومسلم (١٧٠٥/٤ - ١٧٠٦ رقم ٢١٦٣) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم » .

ورواه البخاري (٤٤/١١ رقم ٦٢٥٧) ومسلم (١٧٠٦/٤ رقم ٢١٦٤) عن ابن عمر ﵄ نحوه .

ورواه البخاري (١٢٤/٦ - ١٢٥ رقم ٢٩٣٥) ومسلم (١٧٠٦/٤ - ١٧٠٧ رقم ٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها نحوه مطولا .

ورواه مسلم (١٧٠٧/٤ رقم ٢١٦٦) عن جابر ﵁ نحوه .

(٥) وضع بعدها الناسخ علامة إلحاق ، واللحق مطموس بالحاشية .

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا﴾ أي : توسَّعُوا ﴿في المجلس[1]﴾، تفسير مجاهد[2]: يعني : مجلسَ النبي ﷺ ﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ إلى كل خير من قتال العدو ، أو أمْرٍ معروفٍ ما كان ومعنى انشزوا : ارتفعوا ﴿يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ في الآخرة على الذين آمنوا ، أي[3]: ليْسوا بعلماء .

يحيى : عن الخليل بن مرة ، عن عمران القصير قال : قال رسول اللَّه ﷺ: « فضلُ العالم على العابد كَفضْلي على أُدْنى رجلٍ من أصحابي »[4].

يحيى : عن نعيم بن يحيى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباسٍ قال : « مُعَلِّم الخير يستغفر له كلُّ شيء حتى الحوت في البحر »[5].

---

(١) قرأ عاصم ﴿المجالس﴾ بألف على الجمع ، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد . النشر(٢/٣٨٥) وإتحاف الفضلاء (٥٣٦) وتفسير القرطبي (١٧/٢٩٧) .

(٢) رواه الطبري (٢٨/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٢٠٤) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الناسخ ضرب عليها .

(٤) لم أقف عليه من هذا الوجه ، وهو معضل ، عمران القصير هو عمران بن مسلم البصري ، يروي عن الحسن البصري وابن سيرين ونحوهما ، ترجمته في التهذيب (٢٢/٣٥١) .

وروى الترمذي (٥/٤٨ رقم ٢٦٨٥) والطبراني في الكبير (٨/٢٣٣ - ٢٣٤ رقم ٧٩١١) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » وقال الترمذي : حسن صحيح غريب . كذا في تحفة الأشراف (٤/١٧٧ رقم ٤٩٠٧) وغيره ، وفي نسخة جامع الترمذي المطبوعة : حديث غريب . وانظر تخريج الإحياء (١/٣٦ - ٣٧ رقم ٢٦) .

(٥) اختلف فيه على الأعمش :

فرواه قبيصة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﷺ . خرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (١/٢٧٣ رقم ٣٩٠) .

ورواه أبو إسحاق الفزاري - عند الدارمي (١/ ١١٠ - ١١١ رقم ٣٤٣) - وأبو معاوية - عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/٥٤٠) ومن طريقه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/٤٩٨ رقم ٧٩٦) - عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﷺ .

ورواه معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﷺ . خرجه عبدالرزاق في جامع معمر (١١/٤٦٩ رقم ٢١٠٣٠) ومن طريقه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/١٧٢ رقم ١٨١) .

ورواه إسماعيل بن عبدالله بن زرارة الرقي ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ﷺ =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ...﴾ إلى قوله : ﴿والله خبير بما تعملون﴾ تفسير قتادة[1] قال : كان الناسُ أحفَوْا رسول الله بالمسألة حتى آذَوْه ؛ فقطعهم اللهُ عنه بهذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فكان أحدُهم لا يستطيع أن يسأل النبي ﷺ حاجة ؛ حتى يقدمَ بينْ يدي نجواه صدقة فاشتدَّ ذلك عليهم ، فأنزل الله هذه الآية فنسختها : ﴿ءأشفقتم أن تقدموا بين يديْ نجواكم صدقاتٍ فإذْ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة ...﴾[2] أي : أتموا الصَّلاة ﴿وآتوا الزكاة﴾ أتموا الزكاة .

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ

= مرفوعًا . خرجه الطبراني في الأوسط (٢١٤/٦ رقم ٦٢١٩) وقال : لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو إسحاق الفزاري .

ورواه البيهقي في المدخل (٢٧٣/١ رقم ٣٩١) من طريق أبي قتيبة ، عن شمر بن عطية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال البخاري في التاريخ الكبير (٥٠٤/٣) : سعيد بن عطية سمع سعيد بن جبير بواسط عن ابن عباس : « معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت » قاله المقري ، وقال أبو داود : حدثنا سعيد بن عطية أبو سلمة . اهـ .

ورواه ابن عبدالبر في الجامع (١٧١/١ رقم ١٨٠) من طريق أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه .

قلت : وللحديث شواهد مرفوعة ، منها حديث أبي أمامة السابق ، ومنها حديث أبي الدرداء المشهور حديث : « العلماء ورثة الأنبياء » . انظر جامع بيان العلم وفضله (١٦٠/١ - ١٧١) وتخريج الإحياء (٢١/١ - ٢٣) .

(١) انظر تفسير الطبري (٢٠/٢٨) .

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص ٩٠) ونواسخ القرآن (٥٢٩ - ٥٣٣) .

هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم ...﴾ الآية هم المنافقون تولوا المشركين ﴿ما هم منكم﴾ يقوله للمؤمنين ما هم منكم في باطن أمرهم، إنما يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم ﴿ولا منهم﴾ يعني من المشركين في ظاهر أمرهم؛ لأنهم يظهرون لكم الإيمان، ويسّرون معهم الشِّرْك ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون، يحلف المنافقون أنهم مؤمنون وليْسُوا بمؤمنين ﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ حَلِفَهم اجتنُّوا بها؛ حتى لا يُقْتَلُوا ولا تُسْبَى ذرِّيتهم، ولا تؤخذ أموالُهم.

﴿يوم يبعثهم الله جميعًا﴾ يوم القيامة ﴿فيحلفون له﴾ أنهم كانوا في الدنيا مؤمنين ﴿كما يحلفون لكم﴾ في الدنيا فتقبلون منهم ﴿ويحسبون﴾ يحسب المنافقون ﴿أنهم على شيء﴾ أي: أن ذلك يجوز عند الله كما جاز لهم عندكم في الدنيا ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ يوم يحلفون له ﴿استحوذ﴾ يعني استولى ﴿عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ أن يذكروه بالإخلاص له ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ شيعةُ الشيطان ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ خسروا أنفسهم، فصاروا في النار، وخسروا الجنة ﴿إن الذين يحادون﴾ يعادون ﴿الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ (ل٣٥٦) يذلهم الله. ﴿كتب الله﴾ أي: قضى اللهُ ﴿لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾.

قال محمدٌ: قيل: إن معنى غلبة الرسل على نوعين: فمن بُعِث منهم بالحرب فغالبٌ بالحرب، ومن بُعث منهم بغير حَرْبٍ فهو غالبٌ بالحُجَّة.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون﴾ يحبون ﴿من حادّ﴾ أي: من عادى ﴿الله

ورسوله﴾ تفسير الحسن: إنهم المنافقون يوادون المشركين.

﴿أولئك كتب في قلوبهم﴾ يعني: جعل في قلوبهم ﴿الإيمان﴾ يعني: المؤمنين الذين لا يوادون المشركين ﴿وأيَّدَهم﴾ أعانهم ﴿بروح منه﴾ بنصرٍ منه على المشركين ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي اللّه عنهم ورضوا عنه﴾ أي: رضوا ثوابه ﴿أولئك حزب اللّه﴾ جند اللّه ﴿ألا إن حزب اللّه﴾ جند اللّه ﴿هم المفلحون﴾ السُعداءُ وهم أهل الجنة.



تفسير سورة الحشر
وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ ﴾

قوله : ﴿سبح للّه ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ يعني : الشام ، وهي أرض المحشر ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ يقول : ما ظننتم أن يحكم اللّه عليهم بأن يجلوا إلى الشّام ﴿وظنوا﴾ ظن بنو النضير ﴿أنهم مانعتُهم حصونهم من اللّه﴾ أي : لم يكونوا يحتسبون أن يخرجوا من ديارهم ومن حصونهم ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ تفسير الكلبي : « لمّا أُمِر النبي ﷺ بالسَّيْر إلى بني النضير ، فبلغهم ذلك خرّبوا الأزقة ، وحصّنوا الدور ، فأتاهم رسول اللّه فقاتلَهم إحدى وعشرين ليلة ، كلما ظهر على دار من دورهم أو درب من دروبهمْ هدمه ليتّسع المقاتِلُ ، وجعلوا ينقبون دورهم من أَدْبَارها إلى الدار التي تليها ، ويرمون أصحاب رسول اللّه بنقضها ، فلما يَئسوا من نَصْرِ المنافقين ، وذلك أن المنافقين كانوا وعدوهم إن قاتلهم النبي أن ينصروهم فلما يئسوا من نصرِهم سألوا نبي اللّه الصلح ، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة ، فصالحهم على أن يجليهم إلى الشام على أنّ لهم أن يحمل أهْلُ كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من طعام وسقاء ، ولنبي اللّه وأصحابه ما فضل ففعلوا » .

﴿فاعتبروا﴾ فتفكّروا ﴿يا أولي الأبصار﴾ يعني : العقول وهم المؤمنون ﴿ولولا أن كتب اللّه عليهم الجلاء لعذّبهم﴾ لولا أنّ اللّه حكم عليهم بالجلاء إلى الشام لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسَّبْي .

قال محمدٌ : يقال جَلَوْا من أرضهمْ وأجْلَيْتُهم وجَلَوتُهم أيضًا[١].

﴿ذلك بأنهم شاقوا اللّه ورسوله﴾ عادوا اللّه ورسوله .

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها ...﴾ الآية ، قوله : ﴿فبإذن اللّه﴾ أي : أَذِن لكم في ذلك ، وجعله إليكم أن تقطعوا أو تتركوا فعقر رسول اللّه يومئذٍ من صنوف التمر غير العَجْوة وترك العجْوة . قال عكرمة : كل ما كان دون العجْوة من النخل فهو لِينَةٌ[٢].

﴿وما أفاء اللّه على رسوله منهم ...﴾ الآية ظن المسلمون أنه سيقسمه بينهم جميعًا ؛ فقال رسول اللّه للأنصار : إن شئتم أن أقسم لكم وتقروا المهاجرين معكم في دوركم فعلتُ ، وإن شئتم عزلتُهم وقسمْتُ لهم هذه الأرض والنخل فقالوا : يا رسول اللّه ، بل أقرّهم في دورنا ، واقسمْ لهم الأرض والنخل . فجعلها النبي للمهاجرين .

قال محمدٌ : الإيجاف هو من الوجيف ، والوجيفُ دون التقريب[٣] من السَّيْر يقال : وَجَفَ الفرسُ وأَوْجَفْتُه[٤]. والرِّكاب : الإبل[٥]، والمعنى : أنه لا شيء لكم فيه ، إنما هو لرسول اللّه ﷺ خالصًا يعمل فيه ما أحبّ . وهذا الذي أراد يحيى في معنى الآية .

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾

---

(١) وأَجْلَوْا من أرضهم ، وجلّيتُهم واجْتليتُهم . لسان العرب (جلو) .

(٢) وقيل غير ذلك . ينظر لسان العرب (لين) ، البحر المحيط (٢٤٤/٨) ، الدر المصون(٢٩٣/٦) .

(٣) التقريب : هو العَدْو دون الإسراع . لسان العرب (قرب) .

(٤) لسان العرب (وجف) .

(٥) أي : الإبل المركوبة أو الحاملة شيئًا ، أو التي يُراد الحمل عليها . لسان العرب (ركب) .

﴿ما أفاء الله على رسوله ...﴾ إلى قوله ﴿وابن السبيل﴾ تفسير قتادة[١]: لمّا نزلت هذه الآية كان الفيء بين هؤلاء، فلما نزلت الآية في الأنفال(ل٣٥٧) ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول﴾[٢] نسخت الآية الأولى فجعل الخمس لمن كان له الفيء، وصار ما بقي من الغنيمة لمن قاتل عليه[٣]. قوله: ﴿كيلا يكون دُولَةً﴾ يعني الفيء ﴿بين الأغنياء منكم﴾ فلا يكون للفقراء والمساكين فيه حقٌّ.

قال محمدٌ: (دُولة) من التداول أي: يتداوله الأغنياءُ بينهم[٤].

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ نزلت في الغنيمة، ثم صارت بعد في جميع الدين. قال: ﴿وما نهاكم عنه﴾ من الغلول ﴿فانتهوا﴾ وهي بعد في جميع الدين.

قوله: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ أي: وللفقراء، رجع إلى أول الآية ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أخرجهم المشركون من مكة ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا﴾ بالعمل الصالح ﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ من قلوبهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾

﴿والذين﴾ أي: وللذين، هو تبعٌ للكلام الأول ﴿تبوّءُوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ يعني: الأنصار، وقوله: (تبوَّءوا الدار) يعني: استوطنوا المدينة، وكان إيمان الأنصار قبل أن يهاجر إليهم

---

(١) رواه الطبري (٣٧/٢٨ - ٣٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٣/٦) لعبد بن حميد.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الناسخ والمنسوخ (٤٩، ٩٠) ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٥٣٤ - ٥٣٧).

(٤) وقال الحذّاق من البصريين والكسائي: الدُّولة بالفتح من المُلْك بضم الميم، وبالضم - أي (الدُّولة) من المِلْك بكسرها - أي الميم - بالضم في المال، والفتح في النُّصرة. الدر المصون (٢٩٤/٦)، لسان العرب(دول).

المهاجرون ﴿يحبون﴾ يعني : الأنصار ﴿من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ مما أوتي المهاجرون يعني : ما قُسِم للمهاجرين من بني النضير ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ .

قال أبو المتوكل الناجي : « إن رجلاً من المسلمين غَبر ثلاثة أيام صائمًا يمسي فلا يجدُ ما يُفطِرُ عليه ، فيصبح صائمًا ، حتى فطن له رجلٌ من الأنصار يقال له : ثابت بن قَيْس ، فقال لأهله : إني أجيء الليلة بضيف لي فإذا وضعْتم طعامكم ، فليقم بعضُكم إلى السِّراج كأنه يصلحه ، فيُطْفِئُه ، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطعام كأنكم تأكلون ، ولا تأكلوا حتى يشبع ضيفنا . فلما أمْسَى وضع أهلُه طعامهم ، فقامت امرأته إلى السِّراج كأنها تُصْلحه ؛ فأطفأتْه ثم جعلوا يضربون بأيديهم إلى الطعام ، كأنهم يأكلون ولا يأكلون ، حتى شبع ضيفهم ، وإنما كانت خبزة هي قُوتهم ، فلما أُصبح ثابت غدا إلى النبي ﷺ فقال النبي : يا ثابت لقد عجب الله منكم البارحة ومن ضيفكم ، وأُنزلت فيه : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ »[١].

قوله : ﴿ومن يوق شحّ نفسه﴾ تفسير سعيد بن جبير[٢]: يعني : وُقِيَ إدخالَ الحرام ، ومَنْعَ الزكاة .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « من أدَّى زكاة ماله ، فقد أعطى حقّ الله فيه ، ومن زاد فهو خيرٌ له »[٣].

---

(١) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (١٧٠/٤ رقم ٣٧٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٦/٦) لابن أبي الدنيا في قرى الضيف وابن المنذر في تفسيره أيضًا .

وروى البخاري (١٤٩/٧ رقم ٣٧٩٨) ومسلم (١٦٢٤/٣ - ١٦٢٥ رقم ٢٠٥٤) عن أبي هريرة ﷺ نحوه ، وسمى الأنصاري أبا طلحة ﷺ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٢١٧/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه أبو داود في المراسيل (ص ١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في السنن (٨٤/٤) من طريق عذافر البصري عن الحسن مرسلاً .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٥/٣ - ١١٦) من طريق عبدالله بن زريق عن الحسن مرسلاً .

ورواه ابن عدي في الكامل (٣١٢/٤) من طريق سلام بن أبي خبزة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة عن النبي ﷺ .

قال ابن عدي : لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا .

قوله : ﴿والذين﴾ أي وللذين ، هو تبعٌ للكلام الأول ﴿جاءوا من بعدهم﴾ يعني : بعد أصحاب النبي إلى يوم القيامة ، فلم يبق أحدٌ إلاّ وله في هذا المال حقٌّ أُعطِيَهُ أو مُنِعَه ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ هم أصحاب النبي ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ﴾ حسدًا ﴿للّذين آمنوا﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ تفسير الحسن : يعني : قريظة والنضير ﴿لئن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا﴾ يقول المنافقون : لا نطيع فيكم محمدًا وأصحابه ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون﴾ فأجلى رسول الله بني النضير إلى الشام فلم يخرجوا معهم ، وقتل قريظة بعد ذلك بحكم سعد بن معاذ ، فلم يقاتلوا معهم .

قوله : ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله﴾ أي : هم أشدُّ خوفًا منكم منهم من الله يعني : المنافقين .

﴿لا يقاتلونكم﴾ يعني : اليهود ﴿جميعًا إلاّ في قرى محصَّنة﴾ أي : لا يقاتلونكم(...)[1] من شدة رعبهم الذي دخلهم منكم ﴿أو من وراء جُدُرٍ﴾ (ل٣٥٨) يعني(...)[1] ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي : إذا اجتمعوا قالوا : لنفعلن بمحمد كذا ولنفعلن به كذا . قال الله لنبيه : ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ أي : مفرقة في قتالكم .

= وقال في آخر ترجمة سلام (٣١٦/٤) : ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث ، وعامة ما يرويه ليس يُتابع عليه .

(١) كلمة مطموسة في الأصل .

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ من قبل قتل قريظة . ﴿قريبًا ذاقوا وبال أمرهم﴾ يعني : النضير ، كان بين إجلاء النضير وقتل قريظة سنتان ، والوبال : العقوبة ، المعنى : ذاقوا جزاء ذنبهم .

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفُرْ ...﴾ إلى قوله : ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ .

قال يحيى : وبلغني أن عابدًا كان في بني إسرائيل قد خرج من الدنيا ، واتخذ ديرًا يتعبَّدُ فيه ، فطلبه الشيطان أن يزيله فلم يستطع عليه ، فلما رأى ذلك الشيطان جاء إلى ابنة الملك فدخل فيها فأخذها ، فدَعَوْا لها الأطباء فلم يغنوا عنها شيئًا ، فتكلّم على لسانها ، فقال : لا ينفعها شيء إلا أن تأتوا بها إلى فلانٍ الراهب فيدعو لها ، فذهبوا بها إليه ، فجعلوها عنده فأصابها يومًا ما كان بها ، فانكشفت وكانت امرأة حسناء ؛ فأعجبه بياضُها وحسنها ، فوقع بها فأحْبلها ، فذهب الشيطان إلى أبيها وإخوتها فأخبرهم ، وقال له : اقتلْها وادفنها لا يُعْلَمُ أنك قتلتها ، فقتلها الراهب ودفنها إلى أصْل حائط ، وجاء أبوها وإخوتها وجاء الشيطان بين أيديهمْ ، فسبقهم إلى الراهب وقال : إن القوم قد علموا ما صنعْتَ بالمرأة ، فإن سجدت لي سجدةً رددتهُم عنك فسجد له ، فلما سجد له أخزاه الله وتبرأ منه الشيطان ، وجاء أبوها وإخوتها فاستخرجوها من حيث دفنها ، وعَمِدوا إلى الراهب فصلبوه ، فضرب الله مثل المنافقين حين خذلوا اليهود فلم ينصروهم ، وقد كانوا وعدوهم النصرة كمثل الشيطان في هذه الآية ﴿إذ قال للإنسان اكفُرْ فلما كفر قال إني بريءٌ منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ وكذب قال الله : ﴿فكان عاقبتهما﴾ عاقبة الشيطان وذلك الراهب ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ المشركين[١] .

قال محمد : قوله : (خالدين فيها) هو نصب على الحال[٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ

---

(١) رُويت هذه القصة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس ﷺ ، ورويت عن بعض التابعين أيضًا ، انظر الدر المنثور (٦/٢٢١ - ٢٢٢) .

(٢) وفيها تفصيل نحوي ، ينظر : إعراب القرآن (٣/٤٠٢ - ٤٠٣) ، البحر (٨/٢٥٠) ، الدر المصون (٦/٢٩٩) .

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا اللّٰه﴾ يعني: تركوا ذكْرَ اللّٰه بالإخلاص من قلوبهم ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ تركهم من أن يذكروها (...)[1] بالإخلاص له قال: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ وهو فسق الشرك.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ﴾ على حد ما أنزلناه على العباد من الثواب والعقاب والأمر والنهي ﴿لرأيته خاشعًا﴾ أي: خائفًا ﴿متصدّعًا من خشية اللّٰه﴾ يوبّخ بذلك العباد ﴿وتلك الأمثال﴾ يعني: الأشباه ﴿نضربها للناس﴾ يعني: نَصِفُها لهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ لكي يتفكروا فيعلموا أنهم أحق بخشية اللّٰه من هذا الجبل؛ لأنهم يخافون العقاب، وليس على الجبل عقاب.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: ما أخفى العبادُ، والشهادة: ما أعلنوا. ﴿الملك القدوس﴾ يعني: الطاهر ﴿السّلام﴾ سلِمَ الخلائق من ظلمه ﴿المؤمن﴾ تفسير الحسن: المؤمن بنفسه قبل إيمان خلْقه كقوله: ﴿شهد اللّٰه أنه لا إله إلا هو...﴾ الآية[2] ﴿المهيمن﴾ تفسير بعضهم: الشهيد على خلقه ﴿العزيز﴾ تفسير الحسن: بعزّته ذلَّ مَنْ دونه ﴿الجبّار﴾ تفسير بعضهم: القاهر لخلقه بما أراد ﴿المتكبر﴾ الذي يتكبّر على خلْقه ﴿سبحان اللّٰه﴾ نزّه نفْسه ﴿عما يشركون﴾.

﴿هو اللّٰه الخالق البارئ المصور﴾ والبارئ هو المصور الذي يصور في الأرحام وغيرها ما يشاء ﴿له الأسماء الحسنى﴾.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل. (٢) آل عمران: ١٨.

يحيى : عن خداش ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ: « للَّه تسعةٌ وتسعون اسمًا مائة غير واحد ، من أحصاها دخل الجنة »[١].

قال محمدٌ : من الناس من قال : معنى أحصاها : حفظها ، ومنهم من قال : المعنى : من تعبَّد للَّه بها[٢].

﴿يسبح له ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره .



---

(١) رواه البخاري (٤١٧/٥ رقم ٢٧٣٦) ، ومسلم (٢٠٦٢/٤ رقم ٢٦٧٧) من طريق الأعرج عن أبي هريرة ﷺ ، وتقدم في تفسير سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠.

(٢) وتقدم في تفسير سورة الأعراف زيادة بيان لذلك ، والله تعالى أعلم .

تفسير سورة الممتحنة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

(ل ٣٥٩) قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ يعني : في الدين ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ أي : تلقون إليهم المودّة ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم﴾ أي : أخرجوا الرسول وإياكم ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي : إنما أخرجوكم من مكة ؛ لأنكم آمنتم بالله ربكم . ثم قال : ﴿إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة﴾ كما صنع المنافقون ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم﴾ أي : ومن ينافق منكم ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ قصد الطريق ﴿إن يثقفوكم﴾ يلقَوْكم ﴿يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم﴾ أي : يقاتلوكم ﴿وألسنتهم﴾ أي : ويبسطوا إليكم ألسنتهم ﴿بالسوء﴾ بالشتم .

﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ بين المؤمنين وبين المشركين ؛ فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين[1] النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾ نزل هذا في أمر حاطب بن أبي بَلتعة ، تفسير الكلبي : أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة أن محمدًا يغزو ، وإني لا أدري إيّاكم يُريدُ أو غيركم فعليكم بالحذر .

قال يحيى : بلغني أنه كتب مع امرأةٍ مَوْلاةٍ لبني هاشم وجعل لها جُعْلاً ، وجعلت الكتاب في

---

(١) كتب على الحاشية : الكافرين .

خمارها ، فجاء جبريل إلى رسول اللّٰه فأخبره ، فبعث رسول اللّٰه في طلبها عليًا ورجُلاً آخر ، ففتّشاها فلم يجدا معها شيئًا ، فأراد صاحبه الرجوع فأبى عليٌ وسَلَّ عليها السَّيْفَ ، وقال : واللّٰه ما كَذَبتُ ولا كُذِبْتُ ، فأخذت عليهما إن أَعْطتْهُ إيّاهما أَلا يَرُدّاها ، فأخرجت الكتاب من خمارها .

قال الكلبي : فأرسل رسول اللّٰه إليه فقال هل تعرف هذا يا حاطبُ؟ قال : نعم . قال : فما حملك عليه؟ قال : أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنتُ ، ولا أحببتُهم منذ فارقتهم ، ولم يكن من أصحابك أحدٌ إلا وله بمكة من يمنع الذي له غيري ، فأحببتُ أن أتخذ عندهم مودة ، وقد علمت أن اللّٰه منزلٌ عليهم بأسه ونِقْمته ، وإن كتابي لن يغني عنهم شيئًا ، فصدّقه رسول اللّٰه وعَذَره ؛ فأنزل اللّٰه هذا فيه[1].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾

وقال : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللّٰه كفرنا بكم﴾ أي : بولايتكم في الدين .

﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا باللّٰه وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من اللّٰه من شيء﴾ أن أُدْخِلَك في الإيمان ، ولا أن أغفر لك . يقول : قد كانت لكم في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة إلّا قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك ، فلا تستغفروا للمشركين .

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ بليّةً ﴿للذين كفروا ...﴾ الآية ؛ أي : لا تظهر علينا المشركين ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على دين ما ظهرنا عليهم ، فيفتنوا بنا .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

---

(١) قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ رواها البخاري (٦/١٦٦ - ١٦٧ رقم ٣٠٠٧) ومسلم (٤/١٩٤١ - ١٩٤٢رقم ٢٤٩٤) عن علي ﷺ .

ٱلْحَمِيدُ ۝ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝

قوله : ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة ...﴾ الآية رجع إلى قوله : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ فأمر اللّه نبيّه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفّارًا ؛ كما برئ إبراهيم ومن معه من قومهم ؛ فقطع المؤمنون ولايتهم من أهل مكّة ، وأظهروا لهم العداوة قال : ﴿ومن يتولَّ﴾ عن الإيمان ﴿فإن اللّه هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه ﴿عسى اللّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فلما أسلم أهل مكة ، خالطهم أصحاب رسول اللّه وناكحوهم ، وتزوّج رسول اللّه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وهي المودّة التي ذكر اللّه .

﴿لا ينهاكم اللّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ بالصِّلَة ﴿وتقسطوا إليهم﴾ أي : تعدلوا إليهم في أموالكم ﴿إن اللّه يحب المقسطين﴾ العادلين .

قال محمد : قيل : إن معنى (تقسطوا إليهم)(ل ٣٦٠) : تعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد .

قال يحيى : وكان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة[١]، كان المسلمون قبل أن يؤمر بقتالهم استشاروا النبي في قرابتهم من المشركين أن يصلوهم ويبروهم ، فأنزل اللّه هذه الآية في تفسير الحسن .

﴿إنما ينهاكم اللّه عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ يعني : كفّار أهل مكة . ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ يعني : من مكة ﴿وظاهروا﴾ أعانوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾ .

---

(١) أي أن هذه الآية منسوخة ، وقد ردَّ هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري فقال في تفسيره (٦٦/٢٨) : ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ؛ لأن بر المؤمن من أهل الحرب من بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح ؛ قد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها .
وانظر نواسخ القرآن (٥٣٧ - ٥٣٨) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وهذه في نساء أهل العهد من المشركين، وكانت محنتهن في تفسير قتادة[١] أن يُستحلفن بالله ما أخرجهنّ النشوزُ، وما أخرجهنّ إلا حُبُّ الإسلام والحرص عليه.

﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ أصدقن أم كذبن ﴿فإن علمتموهنّ مؤمناتٍ﴾ إذا أقررن بالإسلام، وحلفن بالله ما أخرجهن النشوز، وما أخرجهن إلا حب الإسلام والحرص عليه ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنّ حلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهنّ﴾ مهورهن ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ يعني: كوافر العرب إذا أبَيْنَ أن يُسْلِمْنَ أن يُخلّى سبيلُهنّ ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ وهذا حكمٌ حكمه الله بين أهل الهدى وأهل الضلالة، في تفسير قتادة[٢].

قال قتادة: كن إذا فررْن إلى أصحاب رسول الله وأزواجهن من أهلِ العهد فتزوّجوهُن، بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهن من المشركين، وإذا فررْن من أصحاب رسول الله إلى الكفار الذين بينهم وبين رسول الله عهدٌ فتزوجوهنّ، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المسلمين، فكان هذا بين أصحاب رسول الله وبين أهل العهد من المشركين، ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة فنبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده، وقد مضى تفسيره[٣].

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

---

(١) رواه الطبري (٢٨/٦٨).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٨/٧٠).

(٣) الناسخ والمنسوخ (٩١ - ٩٢) ونواسخ القرآن (٥٤٣).

يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإن فاتكم شيءٌ من أزواجكم إلى الكفار﴾ الذين ليس بينكم وبينهم عهدٌ ﴿فعاقبتم﴾ أي : فغنمتم .

قال محمدٌ : المعنى : كانت العقبى لكم فغنمتم .

﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ يعني : من أصحاب النبي ﴿مثل ما أنفقوا واتقوا اللّه الذي أنتم به مؤمنون﴾ فكانوا إذا غنموا غنيمة أعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق إليها من جميع الغنيمة ، ثم تُقْسَم الغنيمة بعد ، ثم نسخ ذلك مع العهد والحكم بقوله : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ للّه خُمسَه وللرسول﴾[1].

قوله : ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ يعني : أن تلحق إحداهن بزوجها ولدًا ليس له ﴿ولا يعصينك في معروفٍ﴾ قال الحسن : نهاهُنّ عن النِّياحة ، وأن يحادثن الرجال .

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أقروا في العلانية ، يعني : المنافقين ﴿لا تتولوا قومًا غضب اللّه عليهم﴾ قال الحسن : يعني : اليهود ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أي : من نعيم الآخرة ، يعني : اليهود زعموا أن لا أكل فيها ولا شُرْب ، قد يئسوا من ذلك ؛ كما يئس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار .



(١) الأنفال (٤١) .

تفسير سورة الصف وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ④﴾

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ تفسير الحسن: يعني: المنافقين نسبهم إلى الإسلام الذي أظهروا، وهو الإقرار، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله، ونؤمن به، فإذا جاء الجهاد بعدوا عنه فقال الله: ﴿كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

قال محمدٌ: ﴿لم تقولون﴾ الأصل (لِمَا) فحذفت الألف لكثرة استعمالهم (ما) في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لِمَهْ، ولا وقف عليها في القرآن بالهاء إتباعًا للمصحف، (ل ٣٦١) وينبغي للقارئ أن يصلها[1].

وقوله: ﴿كَبُر مقتًا عند الله أن تقولوا﴾ (أن) في موضع رفع، و(مقتًا) منصوب على التمييز، المعنى: كَبُرَ قولكم: ما لا تفعلون مقتًا[2].

قال يحيى: ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيانٌ مرصوص﴾ ذكر ثبوتهم في صفوفهم، كأنه بنيانٌ قد رُصَّ بعضه إلى بعض.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ يعني: الخاصة

(١) مغني اللبيب (١/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦١)، الدر المصون (٦/ ٣٠٩).

الذين يعلمون أنه رسول الله الذين كذبوه وآذوه ، فكان فيما آذوه به أن زعموا أنه آدَرُ[١] ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ والزيْغُ : الشرك ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني : الذين يلقون الله بشركهم .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ومبشرًا برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ .

مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن ابن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أحمدُ ، وأنا محمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب يعني : الآخر »[٢].

---

(١) الأُدْرَةُ بالضم : نفخة في الخصية ، يقال : رجل آدر : بين الأَدَر ، وهي التي تسميها الناس القيلة . النهاية (١/ ٣١) .

(٢) رواه يحيى بن يحيى في الموطأ (٢/ ٧٦٧ رقم ١) عن مالك مرسلاً كما هنا .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥١) : هكذا روى هذا الحديث يحيى مرسلاً ، لم يقل فيه « عن أبيه » وتابعه على ذلك أكثر الرواة للموطأ ، وممن تابعه على ذلك : القعنبي ، وابن بكير ، وابن وهب ، وابن القاسم ، وعبد الله بن يوسف ، وابن أبي أويس ، وأسنده عن مالك : معن بن عيسى ، ومحمد بن المبارك الصوري ، ومحمد بن عبد الرحيم بن شروس الصنعاني ، وعبد الله بن مسلم الدمشقي ، وإبراهيم بن طهمان ، وحبيب ، ومحمد بن حرب ، وأبو حذافة ، وعبد الله بن نافع ، وأبو المصعب ، كل هؤلاء رواه عن مالك مسندًا عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . اهـ

ورواه البخاري (٦/ ٦٤١ رقم ٣٥٣٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٠٥) وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥٣) من طريق معن بن عيسى ، ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٢ رقم ١٥٣٠) وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥٢) من طريق عبد الله بن نافع الصائغ ، ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٢ رقم ١٥٢٩) من طريق محمد بن عبد الرحيم بن شروس ، ورواه ابن عبد البر (٩/ ١٥٢) من طريق محمد بن المبارك الصوري ، كلهم عن مالك ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه .

ورواه ابن عساكر في تاريخه (٣/ ١٧) من طريق عبد الله بن أسماء عن جويرية عن مالك عن الزهري موصولاً ، وقال ابن عساكر : تفرد برفعه عن مالك عن جويرية بن أسماء ، ورواه عبد الله بن وهب وبشر بن عمر الزهراني ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلاً ، لم يذكروا فيه جبيرًا ، ورفعه صحيح عن الزهري ؛ فقد وصله عنه يونس =

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني : الذين يلقون الله بشركهم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي : بتكذيبهم وبقتالهم ، ونوره : الإسلام والقرآن ، أرادوا أن يطفئوه ؛ حتى لا يكون إيمان ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ تفسير الحسن : حتى تدين له الأديان كلها ، ويحكم على أهل الأديان كلها ، وتفسير ابن عباس : حتى يظهر النبي على الدين كله على شرائع الإسلام كلها ، فلم يقبض رسول الله ، حتى أتمَّ الله ذلك له .

يحيى : عن عبدالرحمن بن يزيد ، عن سُليم بن عامر الكلاعي ، قال : سمعتُ المقداد بن الأسود يقول : قال رسولُ الله ﷺ: « لا يبقى أهل مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله الإسلام بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل ، إمّا يعزُّهم فيجعلهم من أهلها ، وإمّا يذلّهم فيدينون لها »[(١)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

= ابن يزيد وشعيب بن أبي حمزة الحمصي وسفيان بن عيينة .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/١٥٣) : وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه مسندًا . اهـ .

قلت : منهم سفيان بن عيينة عند أحمد (٤/٨٠) والحميدي (١/٢٥٣ - ٢٥٤ رقم ٥٥٥) وابن أبي شيبة (١١/٤٥٧) وابن سعد (١/١٠٥) ومسلم (٤/١٨٢٨رقم ٢٣٥٤/١٢٤) والترمذي (٥/١٢٤ رقم ٢٨٤٠) وغيرهم، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وشعيب بن أبي حمزة عند البخاري(٨/٥٠٩ رقم ٤٨٩٦) ومسلم(٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤) . ويونس بن يزيد عند مسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤/ ١٢٥) وابن حبان (١٤/٢١٩ رقم ٦٣١٣) والطحاوي في المشكل (٣/١٨١ رقم ١١٥٠) .

ومعمر عند الإمام أحمد (٤/٨٤) وعبد الرزاق (٩/ ٤٤٦ رقم ١٩٦٥٧) ومسلم (٤/ ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤) .

وعقيل بن خالد عند مسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤) .

وغيرهم انظر معجم الطبراني (٢/ ١٢٠ - ١٢٣) وعلل الدارقطني (٤/ق ٩٩ - ب) .

قلت : ورواه الإمام أحمد (٤/ ٨١، ٨٣ - ٨٤) وابن سعد (١/١٠٤) والحاكم (٢/٦٠٤) من طريق جعفر بن أبي وحشية ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه .

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور ، الآية : ٥٥.

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم﴾ تفسير الكلبي : إن هذا جواب لقولهم : لو نعلَمُ أحبَّ الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملْنا بها ، فقال الله : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ...﴾ إلى قوله : ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ .

يحيى : عن المعلَّى بن هلال ، عن يزيد بن يزيد ، عن مكحول ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « هل تريدون من ربكم إلا أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة؟ قالوا : حسبنا يا رسول الله . قال : فاغزوا في سبيل الله »[1].

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صفوان بن سُلَيم ، عن عطاء بن يسار ، قال : قال رسولُ الله ﷺ: « حُرِّمت النار على عين دمعتْ من خشية الله ، وعلى عَيْنٍ سهرتْ في سبيل الله »[2].

يحيى : عن خالد ، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ: « إنّ أدْنى أهل الجنة منزلةً آخرهُم دخولاً رجلٌ مسّه سفعةٌ[3] من النار فيُعطى فيقال له : انظر ما أعطاك الله ، ويفْسَحُ لهُمْ في أبصارهم ، فينظر إلى مسيرة (...)[4] سنة كله له ليس فيه موضع شبْرٍ إلا وهو عامر ، قصور الذهب والفضة ، وخيام اللؤلؤ والياقوت ، فيها أزواجه وخدمه »[5].

يحيى : عن صاحب له ، عن جويبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن الحارث ، عن علي : « أن

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١/٣٦٥ رقم ٦٣٠) من طريق يزيد بن يزيد بن جابر به .
قال أبو زرعة الرازي : لم يلق مكحول أبا هريرة . المراسيل لابن أبي حاتم (٢١٢ رقم ٧٩٣) .
وروى الإمام أحمد (٢/ ٤٤٦، ٥٢٤) والترمذي (٤/١٥٥ رقم ١٦٥٠) والبزار - كشف الأستار (٢/٢٥٨ رقم ١٦٥٢) - والحاكم (٢/٦٨) والبيهقي في السنن (٩/١٦٠) وفي الشعب (٤/١٥ رقم ٤٢٣٠) عن ابن أبي ذباب عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا في سبيل الله » .
قال الترمذي : هذا حديث حسن .
وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .
(٢) لم أقف عليه من هذا الوجه المرسل ، وفي الباب عن ابن عباس وأبي ريحانة ومعاوية بن حيدة وأنس بن مالك وأبي هريرة ﷺ . انظر الترغيب والترهيب (٢/٢٤٨ - ٢٥١) والجهاد لابن أبي عاصم (٢/٤١٣ - ٤١٩) .
(٣) أي : علامة تغير لونه ، يقال : سفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة ، يريد أثرًا من النار . النهاية (٢/٣٧٤) .
(٤) طمس في الأصل .
(٥) لم أقف عليه من هذا الطريق ، وانظر الترغيب والترهيب (٤/٥٠١ - ٥٠٩) .

الرجل إذا دخل الجنة استخف زوجتَه[1] الفرحُ فتخرج من الخيْمة تستقبلُه ، فتقول : أنت حِبّي وأنا حِبُّك ، نحن الراضيات اللاتي لا نسخط أبدًا ، ونحن الناعماتُ اللاتي لا نبؤس أبدًا ، ونحن الخالدات اللاتي لا نموت أبدًا ، المقيمات اللاتي لا نظعن أبدًا ، أنت حِبّي وأنا حِبُّك ، فتدخله بيتًا أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبنيًا على جندل[2] اللؤلؤ والياقوت طرائق حمرٌ وخضرٌ وصُفر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها ، فإذا رفعوا أبصارهم إلى سقف بيوتهم ، فلولا أن اللّٰه كتب ألا تذهب أبصارهم(ل٣٦٢) لذهبت مما يرون من النور والبهاء في سقوف بيوتهم »[3].

---

(١) أي : تحركت لذلك وخفت ، وأصله السرعة . النهاية (٥٥/٢) .

(٢) الجندل : الحجارة . لسان العرب (جندل) .

(٣) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٢٨/٢ رقم ٢٨١) من طريق إسماعيل بن زياد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن النزال ابن سبرة ، عن علي مرفوعًا .

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق ٢ - ب) عن محمد بن عباد بن موسى العكلي ، عن الضحاك ، عن الحارث ، عن علي مرفوعًا .

ورواه العقيلي في الضعفاء (٨٦/١) من طريق إسماعيل بن عبدالله بن سلمان ، عن أبيه ، عن الضحاك به .

وقال العقيلي : حديث غير محفوظ .

وقال المنذري في الترغيب (٤٩٥/٤ - ٤٩٦) : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة عن الحارث وهو الأعور عن علي مرفوعًا هكذا ، ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا والبيهقي وغيرهما عن عاصم بن ضمرة عن علي موقوفًا بنحوه ، وهو أصح وأشهر . اهـ .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (١٤١/٣ - ١٤٢) من طريق أبي معاذ البصري عن علي ﷺ مرفوعًا .

قال ابن كثير : روى ابن أبي حاتم ها هنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا . فذكره ، ثم قال : هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا ، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي ﷺ بنحوه وهو أشبه بالصحة ، والله أعلم . اهـ .

ورواه الطبري في تفسيره (٣٥/٢٤ - ٣٦) من طريق السدي ، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٢٧/٢) من طريق حمزة الزيات ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي ﷺ موقوفًا .

ورواه عبدالرزاق في تفسيره(١٧٦/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٢/١٣ - ١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١٣٤/٥ - ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) - والبغوي في الجعديات (٩٢٦/٢ - ٩٢٧ رقم ٢٦٦٣) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٣٥/٢٤) وأبو نعيم في صفة الجنة (١٢٣/٢ - ١٢٧ رقم ٢٨٠، ٢٨١) والضياء في المختارة (١٦٠/٢ - ١٦٣ رقم ٥٤١، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي ﷺ موقوفًا . =

قال محمدٌ : قوله : ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ هو جواب ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون﴾ ؛ لأن معناه معنى الأمر ، المعنى : آمنوا بالله ورسوله ، وجاهدوا يغفر لكم[١].

قوله : ﴿وأخرى تحبونها نصرٌ من الله﴾ على أعدائه ﴿وفتح قريبٌ﴾ مكة ﴿وبشر المؤمنين﴾ بأن لهم الجنّة جنات عدْن في الآخرة ، والنصر في الدنيا على أعدائهم .

قال محمدٌ : (وأخرى تحبونها) : ولكم تجارة أخرى تحبونها ، وهي نصْرٌ من الله وفتحٌ قريب[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ ولمحمدٍ بالقتال على دينه ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ وهم أصفياء الأنبياء ﴿من أنصاري إلى الله﴾ أي مع الله[٣].

﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ فقاتلت الطائفةُ المؤمنة الطائفةَ الكافرة ﴿فأيدنا﴾ أعنّا ﴿الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ عليهم قد ظفروا بهم .

قال محمد : (الحواريون) أصل الكلمة من التحوير للثياب وغيرها وهو التّبييضُ ، تقول : حوَّرتُ الثوب ، أي : غسلتُه وبيَّضْته ، واحْوَرَّت القِدْرُ ابيضَّ لحمها قبل أن ينضج ، والحَوْرَاء من هذا أيضًا وهي الشديدة البياض ، وخبز الحُوَّارَى هو من هذا ؛ لأنه خالصٌ أبيض نقيٌّ ، فكأن الحَوَارِيَّ من الناس الصافي من العُيوب الخالص في دينه النقي[٤]، والله أعلم .

= وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٥/٥) : هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع ، إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٣٢/٨) : رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح ، وحكمه حكم المرفوع إذ ليس للرأي فيه مجال .

(١) ينظر : البحر المحيط (٢٦٣/٨) ، الكتاب (٤٤٩/١) ، الدر المصون (٣١٣/٦) .

(٢) وفيها تفصيل نحوي . ينظر : إعراب القرآن (٤٢٤/٣) مجمع البيان (٢٨٢/٥) ، البحر (٢٦٣/٨ - ٢٦٤) الدر المصون (٣١٣/٦) .

(٣) أي إن (إلى) بمعنى (مع) . ينظر تفصيل الكلام في مغني اللبيب (٨٨/١) ، الدر المصون (٣١٤/٦) .

(٤) وقيل : قيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون ؛ لأنهم كانوا قصّارين . وقيل : الحواري : الناصر . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (حور) .

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④﴾

﴿يسبح لله ما في السمٰوات وما في الأرض الملك القدوس﴾ تفسير الكلبي : القدوس : الطّاهر .

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ العرب ﴿رسولاً منهم﴾ كانوا أميين ليس عندهم كتابٌ من عند الله كما مع أهل الكتاب ، وقد كانوا يخطون بأيديهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ تفسير قتادة : الكتاب : القرآن ، والحكمة : السُّنَّة ، والزكاة : العمل الصالح ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم محمد ﴿لفي ضلال مبين﴾ بيِّن ﴿وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم﴾ تفسير مجاهد : يعني : إخوانهم من العجم ، أي بعث في الأميين رسولاً منهم وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد .

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ يعني : من رُزق الإسلام من الناس كلهم .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑤﴾

﴿مثل الذين حمّلوا التوراة﴾ يعني : اليهود ﴿ثم لم يحملوها﴾ كذّبوا ببعضها ، وهو جحودهم بمحمدٍ والإسلام ، وما غيروا من التوراة ، ومن كفر بحرف من كتاب الله فقد كفر به كله ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾ والأسفار : الكتب ، شبّههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب الله لم يَدْرِ ما حمل عليه ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين يلقون الله بشركهم .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ بأنكم أولياء للَّه من دون الناس.

قال محمد: القراءة (فتمنّوا الموت) بضم الواو لسكونها وسكون اللام[١] وقد قُرِئت (فتمنوِا الموت) بكسْر الواو لالتقاء الساكنين، والاختيار الضم مع الواو[٢] و(اشتروا الضلالة)[٣] مثلها.

قال: ﴿ولا يتمنونه﴾ يعني الموت ﴿أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ بالمشركين ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ يعني: تكرهونه ﴿فإنه ملاقيكم ثم تُردون﴾ يوم القيامة ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿فاسعوا إلى ذكر اللَّه﴾ يعني: صلاة الجمعة، وهي في حرف ابن مسعود (فامضوا إلى ذكر اللَّه)[٤].

﴿وذروا البيع﴾ تفسير ابن عباس: إذا أذَّن المؤذن يوم الجمعة حرم البيع.

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا﴾ يعني: فتفرقوا في الأرض ﴿وابتغوا من فضل اللَّه﴾ أي: من رزق اللَّه، رخّص لهم أن ينتشروا إذا صلّوا إن شاءوا، وإن أقاموا كان أفضل لهم.

---

(١) أي لام كلمة (الموت).

(٢) العامة على ضم الواو، وقرأ ابن السميفع وابن يعمر، وابن أبي إسحاق بكسرها. ينظر الدر المصون (٣١٦/٦).

(٣) البقرة: ١٦.

(٤) أخرج عبد الرزاق والفريابي وأبو عبيد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري والطبراني من طرق عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (فامضوا إلى ذكر الله) قال: ولو كانت (فاسعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي. كذا في الدر المنثور (٢٤٢/٦).

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا﴾(ل٣٦٣) تفسير الحسن[١]: كانت عير تجيء إلى المدينة في الزمان مرة فجاءت يوم جمعةٍ ، فانطلق الناس إليها فأنزل اللَّه هذه الآية .

قال يحيى : وسمعتُ من يقول : التجارة : العِيرُ التي كانت تجيء ، واللّهو : كان دِحْية الكلبي قدم في عير من الشام وكان رجلاً جميلاً ، كان جبريل يأتي النبي في صورته ، فقدمت عيرٌ ومعهم دحية والنبي يخطب يوم الجمعة فتسلَّلوا ينظرون إلى العير وهي التجارة ، وينظرون إلى دحية الكلبي وهو اللَّهو ، لَهَوْا بالنظر إلى وَجْهه وتركوا الجمعة .

قال قتادة : « أمرهم النبي ﷺ أن يعُدوا أنفسهم فإذا هم اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال : والذي نفسي بيده ، لو اتبع آخِرُكم أوّلكم لالتهب الوادي عليكم نارًا »[٢].

﴿قل ما عند اللَّه خيرٌ من اللَّهو ومن التجارة واللَّه خير الرازقين﴾ .



(١) انظر تفسير عبد الرزاق (٢/٢٩٢) وتفسير الطبري (٢٨/١٠٤) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٤٥) لعبد بن حميد في تفسيره .

تفسير سورة المنافقين
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦﴾

قوله : ﴿إذا جاءك المنافقون ...﴾ إلى قوله : ﴿إن المنافقين لكاذبون﴾ أي : إنما يقولونه بأفواههم ، وقلوبهم ليست على الإيمان .

﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ اجتنُّوا بها ، أي : استتروا ، حتى لا يقتلوا ولا تُسْبَى ذراريهم ﴿فصدوا عن سبيل اللّه﴾ يعني : بقلوبهم ﴿ساء﴾ يعني : بئس ﴿ما كانوا يعملون﴾ ﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾ يعني : أقروا بألسنتهم في العلانية ﴿ثم كفروا﴾ أي : بقلوبهم ﴿فطُبع على قلوبهم﴾ خُتِمَ عليها ألا يؤمنوا .

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ يعني : في المنظر والهيْئة ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ من قولهم لما أعطوا من الإيمان في الظاهر ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ يعني : أنهم أجسادٌ ليست لهم قلوب آمنوا بها ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ وصفهم بالجُبْن عن القتال ، وانقطع الكلام ، ثم قال : ﴿هم العدو﴾ فيما أسرُّوا ﴿فاحذرهم قاتلهم اللّه﴾ لعنهم اللّه ﴿أنّى يؤفكون﴾ كيف يُصَدُّون عن الإيمان .

﴿وإذا قيل لهم تعالوْا﴾ أي: أخلِصُوا الإيمان ﴿يستغفر لكم رسول اللّٰه لووا رءُوسَهم﴾ أي: أعرضوا ﴿ورأيتهم يصدون﴾ عن دين اللّٰه ﴿وهم مستكبرون﴾ مكذِّبون ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم ...﴾ الآية. أخبر أنهم يموتون على النفاق، فلم يستحلّ رسُولُ اللّٰه أن يستغفر لهم بعد ذلك.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللّٰه حتى ينفضوا﴾ تفسير الكلبي: أنها نزلت في عبداللّٰه بن أبي بن سلول رأس المنافقين أنه قال لقوم كانوا ينفقون على بعض من كان مع رسول اللّٰه ﷺ: لا تنفقوا عليهم؛ حتى ينفضوا عنه. قوله: ﴿وللّٰه خزائن السمٰوات والأرض﴾ يعني: علم خزائن السمٰوات والأرض.

﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ هذا قوْلُ عبداللّٰه بن أبي بن سلول؛ وذلك أنه قال لأصحابه وهُمْ في غزوة تبوك: عمدنا إلى رجل من قريش فجعلناه على رقابنا، أخرجوه فألحقوه بقومه وليكن علينا رجلٌ من أنفسنا. قال اللّٰه: ﴿ وللّٰه العزّة ولرسوله ...﴾ الآية يخبر تبارك وتعالى أنّه مُعِزٌّ رسوله ومن معه من المؤمنين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أقروا باللسان نزلتْ في المنافقين ﴿لا تلهكم أمْوَالكم ولا أولادكم عن ذكر اللّٰه﴾ عن الإيمان باللّٰه ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿من قبل أن يأتي أحدَكُمُ الموت فيقول رب لولا﴾ هلاَّ ﴿أخرْتني إلى أجل قريب فأصّدّق﴾ أي: فأزكي ﴿وأكن من الصالحين﴾ فأحجّ، ومثلها في سورة المؤمنين ﴿حتى إذا جاء أحدَهُمُ الموْتُ قال رب ارجعون﴾ أي:

إلى الدنيا ﴿لعلي أعمل صالحًا فيما تركت﴾[١].

قال محمد : ﴿فأصَّدّق﴾ جواب « لولا »[٢] فمن قرأ (وأكُنْ) بالجزم فهو على موضع (فأصدق) ؛ لأنّ المعنى : إن أخرْتني أصدّقْ وأكنْ من الصالحين ، ومن قرأها (وأكون) فهو على لفظ (فأصدَّقَ) وأكون[٣].

﴿ولن يؤخر اللَّه نفسًا إذا جاء أجلها واللَّه خبيرٌ بما تعْملون﴾



(١) المؤمنون : ٩٩.

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٣/٤٤٠) ، البحر (٨/٢٧٥) ، الدر المصون (٦/٣٢٣) .

(٣) قرأ أبو عمرو وحده (وأكونَ) وقرأ الباقون (وأكن) ينظر : السبعة (٦٣٧) ، النشر (٢/٣٨٨) .

(ل٣٦٤) تفسير سورة التغابن
وهي مدنيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿يسبح لله ...﴾ إلى قوله: ﴿فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمن﴾.

يحيى: عن فطر بن خليفة، عن عبدالرحمن بن سابط قال: «خلق اللَّه الخلق، فكانوا قبضته فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. فذهبتْ إلى يوم القيامة»[1].

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصُّدور.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ

---

(١) كذا وقع هذا الحديث هنا مقطوعًا على عبدالرحمن بن سابط، وقد تقدم في تفسير سورة الواقعة، الآية: ٤١، بهذا الإسناد «يحيى، عن فطر، عن عبدالرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق» فزاد في الإسناد عن «أبي بكر الصديق» وتقدم تخريجه هناك.

ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

﴿ألم يأتكم نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال﴾ يعني: عقوبة ﴿أمرهم﴾ هو الذي عذَّب به الأمم السَّالفة في الدنيا حين كذبوا رسلهم، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بمن كفر قبلهم ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ يعني: عذاب جهنّم بعد عذاب الدنيا.

﴿فقالوا أبشرٌ يهدوننا﴾ إنكارًا لذلك.

﴿واستغنى اللَّه﴾ عنهم ﴿واللَّه غنيٌّ﴾ عن خَلْقه ﴿حميدٌ﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يتغابنون في المنازل عند اللَّه؛ فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن اللَّه﴾ بقضاء اللَّه ﴿ومن يؤمن باللَّه يهدِ قلبه﴾ أي: إذا أصابته مصيبةٌ سلّم ورضي، وعرف أنها من اللَّه.

﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ليس عليه أن يكرههم على الإيمان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم ...﴾ إلى قوله: ﴿فإن اللَّه غفورٌ رحيم﴾ تفسير الكلبي: إن الرجل كان إذا أراد الهجرة تعلّق به ولده وامرأته؛ فقالوا: ننشدك اللَّه أن

تذهب وتتركنا فنضيع، فمنهم من يطيع أمرهم فيقيم، فحذرهم إياهم ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي على الهجرة فيذرهم فيقول لهم: أما واللَّه لئن لم تهاجروا معي وبقيتُ حتى يجمع اللَّه بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبدًا، فلما جمع اللَّه بينه وبينهم أنزل اللَّه: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن اللَّه غفور رحيم﴾.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾ أي: اختبار؛ لينظر كيف تعملون ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾ ما أطقتم. قال قتادة[١]: أنزل اللَّه في سورة آل عمران: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته﴾[٢] وحق تقاته: أن يطاع فلا يُعْصَى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر فنسختها هذه الآية ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾[٣] وعليها بايع رسولُ اللَّه على السَّمْع والطاعة فيما استطاعوا[٤].

﴿وأنفقوا خيرًا لأنفسكم﴾ تفسير الحسن: إنها النفقةُ في سبيل اللَّه.

﴿إن تقرضوا اللَّه قرضًا حسنًا﴾ تفسير الحسن: إن هذا في التطوُّع من الأعمال كلها ﴿يضاعفه لكم ويغفر لكم واللَّه شكورٌ حليم﴾ يشكر للعبد العمل اليسير يثيبه عليه الثواب العظيم ﴿عالم الغيب﴾ يعني: السِّرّ ﴿والشهادة﴾ يعني: العلانية ﴿العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.



(١) انظر تفسير عبد الرزاق (٢/٢٩٥) وتفسير الطبري (٢٨/١٢٧).

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ (٩٣).

(٤) وذهب كثير من العلماء إلى أن قوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ بيان لمجمل قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ليس نسخًا، وهذا قول ابن عباس - في رواية علي بن أبي طلحة عنه - وطاوس، وصحح هذا القول القرطبي في تفسيره (٤/ ١٥٧) فقال: وهذا أصوب؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى. اهـ.
وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص ٢٩٤): وهو الصحيح؛ لأن حق التقوى هو اجتناب ما نهي عنه، ولم ينه عن شيء ولا أمر به إلا وهو داخل تحت الطاقة كما قال عز وجل: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ فالآيتان متوافقتان، والتقدير: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم.

تفسير سورة الطلاق وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ① فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ③﴾

قوله : ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ يخاطب بها النبي ﷺ وجماعة المسلمين . تفسير قتادة : يطلقها في قُبُل عدَّتها طاهرًا من غير جماع واحدة ، ثم يدعها ، فإن كان له فيها حاجةٌ دعا شاهدين فأشهدهما أني قد راجعتها ، وإن لم تكن له فيها حاجةٌ تركها ؛ حتى تنقضي عدتها ، فإن ندما كان خاطبًا من الخطاب .

قوله : ﴿وأحصوا العدة واتقوا اللّه ربكم﴾ أي : فلا تطلقوهن في الدَّم ، ولا في الطهارة وقد جامعتموهن ، إلا في الطهارة بعدما يغتسلن من الحيض من قبل أن تجامعوهُنَّ ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ لا تخرج من بيتها حتى تنقضي عدَّتها ، وهذا الخروج ألا تتحوَّل من بيتها ، وإن احتاجت إلى الخروج بالنهار لحاجتها خرجت ، (ل٣٦٥) ولا تبيت إلا في بيتها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ تفسير ابن عمر : قال : الفاحشة المبيّنة : خروجها في عدَّتها ﴿وتلك حدود اللّه﴾ أحكام اللّه ﴿ومن يتعدّ حدود اللّه﴾ أي : يتجاوز ما أمر اللّه به ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي : بمعصيته من غير شِرْكٍ ﴿لا تدري لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا﴾ يعني : المراجعة رجع إلى أول السورة ﴿فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ أي : له الرجعة ما لم تنقض العدة في التطليقة والتطليقتين ﴿فإذا بلغن أجلَهُنّ﴾ أي : منتهى العدة ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة ، فيتركها حتى تشرف على انقضاء عدَّتها ، ثم يراجعها ثم يطلقها ؛ فتعتد

المرأة تسع حيض، فنهى الله عن ذلك، قوله: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ يعني: على الطلاق والمراجعة ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ يعني: من كانت عنده شهادةٌ فليشهد بها.

قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ تفسير ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾ قال: من كل ضيق [﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾][(١)] من حيث لا يرجو.

﴿إن الله بالغ أمره﴾ أي: يبلغ أمره على من توكل وعلى من لم يتوكل ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرًا﴾ أي: منتهى يُنتهى إليه.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝﴾

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم﴾ شككتم ﴿فعدتهن ثلاثة أشهرٍ واللائي لم يحضْن﴾.

قال محمد: سألوا فقالوا: قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لا تحيض؟ فقيل: ﴿إن ارتبتم﴾ أي: إذا ارتبتم، فعدتهن ثلاثة أشهر.

قوله: ﴿وأولاتُ الأحمال أجلُهنّ أن يضعن حملهنّ﴾ هذه نسخت التي في البقرة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾[(٢)] نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها، وإن لم تكن حاملاً كبيرةً كانت أو صغيرة ومن لا تحيض فعدتُها أربعة أشهر وعشر[(٣)].

﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ في القرآن.

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) البقرة: ٢٣٤.

(٣) وذهب كثير من العلماء أن الآيتين محكمتان ؛ وأن آية سورة البقرة عامة، وآية سورة الطلاق خاصة، فهو تخصيص للعموم ليس نسخًا، انظر نواسخ القرآن (٢٤٣ - ٢٤٦) وتفسير القرطبي (١٧٤/٣ - ١٧٦).

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ من سعتكم ، يعني : أن لها المسكن حتى تنقضي العدة .

قال محمدٌ: يقال : وَجَدْتُ في المال وَجدًا ووُجدًا وجِدَةً ، وَوَجَدْت الضَّالة وِجْدَانًا[1].

﴿ولا تُضاروهن﴾ في المسكن ﴿لتضيقوا عليهن وإن كُنّ أولاتِ حملٍ فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهُنّ﴾ إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع إذا طلّقها ﴿فإن أرضعْنَ لكم فآتوهُنَّ أجورهن﴾ أجر الرضاع ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ يعني : الرجل والمرأة .

قال محمدٌ: يقول : ليأمُرْ بعضُكم بعضًا بالمعروف في رضاع المولود والرفق به ؛ حتى يتفقوا على شيء معلومٍ من أجر الرضاع .

﴿وإن تعاسرتم﴾ في الرضاع ﴿فسترضع له أخرى﴾ أي : فاسترضعوا له امرأة أخرى .

﴿ومن قُدِرَ﴾ قتر ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللَّه﴾ أعطاه اللَّه .

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وكأين﴾ أي : وكم ﴿من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾ عصت أمر ربها ورسله ؛ يعني :

---

(١) ينظر لسان العرب (وجد) .

أهلها ﴿فحاسبناها حسابًا شديدًا﴾ تفسير السُّدي : يعني : فجازيناها جزاءً شديدًا ﴿وعذبناها عذابًا نكرًا﴾ عظيمًا ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ يعني : العقوبة ﴿وكان عاقبة أمرها خسرًا﴾ خسروا به الجنة ﴿أعدّ الله لهم عذابًا شديدًا﴾ في الآخرة بعد عذاب الدنيا .

﴿قد أنزل الله إليكم ذكرًا رسولًا﴾ أي : قد أنزل الله إليكم ذِكْرًا بالرسول الذي جاءكم ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ يبيّنها رسولُ الله ؛ هذا على مقرأ من قرأها مفتوحةَ الياء[1].

﴿قد أحسن الله له رزقًا﴾ يعني : الجنة .

﴿يتنزّل الأمر﴾ يعني : الوحي ﴿بينهن﴾ بين السماء والأرض ﴿لتعلموا﴾ بهذا الوحي ﴿أنّ الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا﴾ لا يخرج عن علمه شيءٌ .

قال محمدٌ : (علمًا) منصوبٌ على المصدر المؤكد ، المعنى : قد علم كل شيءٍ علمًا[2].



---

(١) قراءة العامة بفتح الياء أي : بينها الله ، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها ، أي : بيّن لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام . تفسير القرطبي (١٨/١٧٤) والنشر (٢/٢٤٨ - ٢٤٩) وإتحاف الفضلاء (٥٤٧) .

(٢) ينظر : البحر (٨/٢٧٨) ، مجمع البيان (٥/٣١٠) .

تفسير سورة التحريم وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك ...﴾ الآية . وذلك أن حفصة زارت أباها ، فرجعت فوجدت رسول الله مع مارية أم إبراهيم في البيت ، فلما خرجت مارية دخلت حفصة على رسول الله ﷺ فقالت : أما إنني قد رأيت من كانت معك في البيت . فقال : والله لأرضينك ؛ هي عليَّ حرام فلا تخبري بهذا (ل٣٦٦) أحدًا . فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها فأنزل الله : ﴿يا أيها النبي ...﴾ إلى قوله : ﴿قد فرض الله لكم﴾[1] يعني : بيَّن ﴿تحلَّة أيمانكم﴾ وهو قوله في سورة المائدة : ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين ...﴾ إلى قوله : ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾[2].

---

(١) رويت هذه القصة من طرق انظر تفسير ابن كثير (٣٨٦/٤ - ٣٨٧) والدر المنثور (٢٦٤/٦ - ٢٦٦) وتخريج الكشاف (٥٩/٤ - ٦١) وصحح بعض طرقه الحاكم (٤٩٣/٢) وابن كثير ، وقال ابن حجر في الفتح (٥٢٥/٨) : وهذه طرق يقوي بعضها بعضًا .

وروى البخاري (٥٢٤/٨ رقم ٤٩١٢) ومسلم (١١٠٠/٢ - ١١٠٢ رقم ١٤٧٤) عن عائشة رضي الله عنها وأن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً . قالت : فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل : إني أجد منك ريح مغافير ، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له ، فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن أعود . فنزل : ﴿لم تحرم ما أحل الله لك ...﴾ إلى قوله : ﴿إن تتوبا﴾ لعائشة وحفصة ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا﴾ لقوله : بل شربت عسلاً . وهذا أصح ، والله أعلم .

(٢) المائدة : ٨٩.

قوله: ﴿والله مولاكم وهو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ في أمره، فأُمِرَ رسول الله ﷺ بالكفارة فكفّر يمينه ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا ...﴾ إلى قوله: ﴿وأعرض عن بعض﴾ تفسير الكلبي: أن رسول الله ﷺ قال لحفصة: ألمْ آمُرْكِ أن تكتمي سرّي ولا تخبري به أحدًا، لِمَ أخبرتِ به عائشة؟ وذكر لها بعض الذي قالت، وأعرض عن بعض فلم يذكره لها.

قال: ﴿فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ قال الله: ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ يعني: حفصة وعائشة ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ أي: زاغت إلى الإثم، فأمرهما بالتوبة ﴿وإن تظاهرا﴾ أي: تعاونا ﴿عليه﴾ على النبي ﴿فإن الله هو مولاه﴾ وليّه في العون له ﴿وجبريل﴾ وليّه ﴿وصالح المؤمنين﴾ هم النبيون ﴿بعدَ ذلك﴾ مع ذلك ﴿ظهير﴾ أي: أعوانٌ له، يعني: النبي.

قوله: ﴿قانتات﴾ يعني: مطيعات ﴿سائحات﴾ يعني: صائمات ﴿ثيبات وأبكارًا﴾.

قال محمدٌ: يقال: امرأةٌ ثيبةٌ وثيب أيضًا بينة الثُّيب، وبِكْرٌ بينة البكارة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ...﴾ الآية. قال زيْدُ بنُ أسْلم: «لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، هذا نقي أنفسنا، فكيف نقي أهلينا؟ قال: تأمرونهم بطاعة الله»[1].

قوله: ﴿وقودُها الناس﴾ يعني: حطبها الناس ﴿والحجارة﴾ أي: تأكل الناس وتأكل الحجارة في تفسير الحسن، وهي حجارة من كِبْريتٍ أحْمَر ﴿عليها ملائكةٌ غلاظ شدادٌ﴾ على أعداء الله.

قال أبو العوام: الملكُ منهم في يده مِرزَبَّة من حديد لها شُعْبتان يضرب بها الضربة؛ فيهوي بها سبعون ألفًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ

---

(١) أخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾ فقالوا: يا رسول الله، كيف نقي أهلنا نارًا؟ قال: تأمرونهم بما يحبه الله، وتنهونهم عما يكره الله». كذا في الدر المنثور (٦/ ٢٧٠).

وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ وهذا يقال لهم يوم القيامة ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا .

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللّه توبة نصوحًا﴾ .

يحيى : عن حمّاد ، عن سماكِ بن حرب ، عن النعمان بن بشير قال : « سألت عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح . قال : هي أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه »(١).

﴿عسى ربكم﴾ وعسى من اللّه واجبة ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ .

قال محمد : من قرأ (نَصُوحًا) بفتح النون فعلى صفة التوبة ، ومعناه : توبةً بالغة في النصح ، ومن قرأ (نُصوحًا) بضم النون فمعناه : ينصحون فيها نُصُوحًا(٢)، يقال : نَصَحتُ له نُصْحًا ونُصُوحًا(٣).

يحيى : عن الفرات ، عن عبدالكريم ، عن زياد بن الجرّاح ، عن [عبداللّه](٤) بن معقل قال : « كان أبي عند عبداللّه بن مسعود فسمعته يقول لعبداللّه : أسمعت رسول اللّه يقول : الندم توبةٌ؟ قال : نعم »(٥).

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٣٠٣) وابن أبي شيبة في المصنف ، وهناد في الزهد (٢/٤٥٣ - ٤٥٤ رقم ٩٠١) وأحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٧٥ رقم ٣٧٧٠) وإتحاف الخيرة (٦/٢٩٠ رقم ٥٨٦٩) - والطبري في تفسيره (٢٨/١٦٧) والحاكم (٢/٤٩٥) والبيهقي في الشعب (٥/٣٨٧ رقم ٧٠٣٤) من طرق عن سماك بن حرب به .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن حجر في المطالب : هذا إسناد صحيح .

وقال البوصيري في الإتحاف : هذا إسناد صحيح .

(٢) قرأ الجمهور بفتح النون ، وقرأ أبو بكر بضم النون . ينظر : السبعة (٦٤١) ، والنشر (٢/٣٨٨) .

(٣) ونَصَاحةً أيضًا . ينظر : لسان العرب (نصح) .

(٤) في الأصل : عُبَيدالله . بالتصغير ، والصواب : عبدالله - مكبرًا - بن معقل - بالعين المهملة والقاف - بن مقرن المزني أبو الوليد الكوفي ، ترجمته في التهذيب (١٦/١٦٩ - ١٧٠) .

(٥) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٧٦، ٤٢٢ - ٤٢٣، ٤٣٣) والحميدي (١/٥٨ - ٥٩ رقم ١٠٥) والطيالسي (٥٠ رقم ٣٨١) وابن أبي شيبة (٩/٣٦١) وابن ماجه (٢/١٤٢٠ رقم ٤٢٥٢) والبزار (٥/٣١٠ رقم ١٩٢٦) وأبو يعلى (٨/ ٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٤٩٦٩، ٩/١٣ رقم ٥٠٨١، ٩/٦٤ رقم ٥١٢٩) والشاشي في مسنده (١/٣٠٩ - ٣١٢ =

يحيى : عن سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي قال : « التائب من الذَّنْب كمن لا ذَنْبَ له »[١].

قوله : ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ أي : يقودهم إلى الجنة ﴿وبأيمانهم﴾ كتبهم هي بُشْراهم بالجنة ﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ قال مُجاهد[٢]: يقولونه حين يُطفأ نور المنافقين .

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ تفسير قتادة[٣]: يعني : جاهد الكفار بالسَّيْف ، واغلظ على المنافقين بالحدُود .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا ...﴾ إلى قوله : ﴿فخانتاهما﴾ تفسير ابن عباس[٤]: كانتا

= رقم ٢٦٩ - ٢٧٣) والحاكم (٢٤٣/٤) وأبو نعيم في الحلية (٣١٢/٨) والبيهقي (١٥٤/١٠) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٢/١ - ٤٣ رقم ١٣، ١٤) من طرق عن عبدالكريم - وهو الجزري - به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه اللفظة .

قلت : قد اختلف في شيخ عبدالكريم ، فقال بعض الرواة : « عن زياد بن الجراح » كما هنا ، وقال بعضهم : « عن زياد ابن أبي مريم » ورجح غير واحد من الأئمة « عن زياد بن الجراح » انظر : التاريخ الكبير (٣٧٣/٣ - ٣٧٥) وعلل ابن أبي حاتم (١٠١/٢ - ١٠٢ رقم ١٧٩٧) وعلل الدارقطني (١٩٠/٥ - ١٩٣ رقم ٨١٣) وموضح أوهام الجمع والتفريق (٢٤٧/١ - ٢٦٣) وتهذيب الكمال (٥١١/٩ - ٥١٤) وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود وغيره .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣١٨/٤) من طريق قيس عن عاصم الأحول عن الشعبي قال : « كان يقال ... » .

(٢) رواه الطبري (١٦٨/٢٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٧١/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه الطبري (١٦٩/٢٨) .

(٤) أخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فخانتاهما﴾ قال : ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس : إنه مجنون ، وإما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف ، فتلك خيانتها . كذا في الدر المنثور (٢٧١/٦) .

منافقتين تُظْهِران الإيمان ، وتُسرَّان الشرك ﴿فلم يغنيا عنهما من اللَّه شيئًا﴾ لم يُغْنِ عملُ نوح ولوط - عليهما السلام - عن امرأتيهما من اللَّه شيئًا ؛ وهذا مثل ضربه اللَّه يحذر حفصة وعائشة للذي (كان)[١] مما قص في أول السورة ، وضرب لهما أيضًا مَثَلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ومريم ، يأمرهما بالتمسُّك بطاعة اللَّه وطاعة رسوله ؛ وهو قوله : ﴿وضرب اللَّه مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله﴾ (ل٣٦٧) تسأل الثبات على الإيمان فامرأة فرعون ومنزلتها عند اللَّه لم تُغْنِ عن فِرْعون من اللَّه شيئًا ؛ إذ كان كافرًا .

قال : ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾ يعني : جَيْب دِرْعها عن الفواحش ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ تناول جبريل جَيْبَها بإصبَعِه ، فنفخ فيه ، فصار إلى بطنها فحملتْ قال : ﴿وصدَّقت بكلمات ربها وكتابه[٢]﴾ يعني : جميع الكتب ؛ في تفسير الحسن : ﴿وكانت من القانتين﴾ من المطيعين لربها .

قال محمد : العرب تقول للعفيف : هو نقيُّ الثوب ، وهو طَيِّب الحُجْزة[٣].



(١) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبتها .

(٢) قرأ البصريان وحفص ﴿كُتبه﴾ بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع ، وقرأ الباقون ﴿كتابه﴾ بكسر الكاف ، والتاء وألف بعدها على التوحيد . النشر (٣٨٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٥٤٩) .

(٣) لسان العرب (حجز) .

تفسير سورة الملك وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ ﴾

قوله : ﴿تبارك﴾ هو من باب البركة ﴿الذي بيده﴾ أي : في يده ﴿الملك﴾ .

﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملاً وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الغفور﴾ لمن آمن .

﴿الذي خلق سبع سماوات طباقًا﴾ بعضها فوق بعض ، غِلَظُ كل سماء منها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماءين مسيرةُ خمسمائة عام ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي : اختلاف ؛ يعني : مستوية ﴿فارجع البصر﴾ أي : فانظر إلى السماء ﴿هل ترى من فطور﴾ من شقوق ؛ أي : أنك لا ترى فيها شقوقًا .

قال محمد : من كلام العرب : فطر نابُ البعير إذا شقَّ اللَّحْمَ فظهر[1].

﴿ثم ارجع البصر كرّتين﴾ مرةً بعد مرةٍ ﴿ينقلب إليك البصرُ﴾ يرجع إليك البصر ﴿خاسئًا﴾ فاترًا ﴿وهو حسير﴾ أي : كليل قد أُعْيَا لا يجد منفذًا .

قال محمد : ﴿خاسئًا﴾ أصل الكلمة : الإبْعَاد ، تقول : خسأْتُ الكلبَ إذا أبْعدته[2]. وقوله : ﴿حسير﴾ حقيقة الكلمة : منقطع عن أن تلحق ما نظر إليه ؛ وهو معنى قول يحيى . وقالوا : حَسَرَ الرجلُ وحَسِرَ ؛ وهو الإعياء الشديد[3].

---

(١) لسان العرب (فطر) .

(٢) لسان العرب (خسأ) .

(٣) لسان العرب (حسر) .

﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي الكواكب ﴿وجعلناها﴾ يعني: الكواكب ﴿رجومًا للشياطين﴾ يعني: ما جعل منها رجومًا ﴿وأعتدنا لهم﴾ أعددنا لهم ﴿عذاب السعير﴾ في الآخرة؛ يعني: للذين يرجمون من الشياطين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾

﴿إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقًا﴾ صوتًا ﴿وهي تفور﴾ تغلي ﴿تكاد تميّز﴾ أي: تبين بعضها من بعض وتتفرق تغيظًا على أعداء الله ﴿ألم يأتكم نذير﴾ نبي، ينذركم عذاب جهنم ﴿قالوا بلى﴾ ﴿إن أنتم﴾ يعنون: الرسل والمؤمنين ﴿إلا في ضلال﴾ في الدين ﴿كبير﴾.

﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل﴾ لآمنّا في الدنيا، فلم نكن من أصحاب السعير، والسعير اسم من أسماء جهنم.

﴿فسحقًا﴾ فبُعْدًا ﴿لأصحاب السعير﴾.

قال محمد: ﴿سحقًا﴾ منصوب على المصدر؛ المعنى: أسحقهم الله سحقًا؛ أي: باعدهم من رحمته مباعدة[1]، والسَّحِيقُ: البعيد، وتقول: سَحَقَ الرَّجُلُ وسَحُقَ سُحُوقًا[2].

﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في السّر بذكر ذنوبه في الخلاء (...)[3] الله منها.

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى

(١) وقيل: منصوب على المفعول به؛ أي: ألزمهم الله سُحقًا. الدر المصون (٦/٣٤٣).

(٢) واختلف النحاة في (سحقًا) مصدرًا لفعل ثلاثي أو رباعي. ينظر ذلك من الدر المصون (٦/٣٤٣)، لسان العرب (سحق).

(٣) كلمتان غير واضحتين في الأصل، والمراد: «فيتوب إلى الله» والله أعلم.

ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿ألا يعلم من خلق﴾ على الاستفهام ؛ أي : هو خلقكم ، فكيف لا يعلم سركم وعلانيتكم؟! ﴿وهو اللطيف﴾ بِلُطْفه خلق الخلق ﴿الخبير﴾ بأعمال العباد .

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ أي : سهَّل لكم السُّلوك فيها وذلَّلها لكم ﴿فامشوا﴾ فامضوا ﴿في مناكبها﴾ طرقها ؛ وهو تفسير الحسن[1] ومجاهد[2] ﴿وكلوا من رزقه﴾ الذي أحلَّ لكم ﴿وإليه النشور﴾ البعث .

﴿أأمنتم من في السماء﴾ على الاستفهام ؛ يعني : نفسه ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ أي : أنكم تأمنون ذلك ، قال : ﴿فإذا هي﴾ قبل أن تخسف بكم ﴿تمور﴾ تحرَّكُ حتى يخسف بكم ﴿أم أمنتم﴾ أي : أأمنتم؟ ﴿من في السماء﴾ يعني : نفسه ؛ أي : لا تأمنون ﴿أن يرسل عليكم حاصبًا﴾ كما حصب قوم لوط ؛ يعني : الحجارة التي أمطرها عليهم (...)[3].

(ل٣٦٨) ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿فكيف كان نكير﴾ على الاستفهام ؛ أي : كان شديدًا ؛ ونكيري : عقوبتي .

قال محمد : ذكر ابن مجاهد[4] أن ورشًا روى عن نافع : ﴿نذيري﴾ و﴿نكيري﴾ بياء في الوَصْل . قال : وقرأ الباقون بكسر الراء من غير ياء في وصل ولا وقف[5].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ

---

(١) رواه الطبري (٧/٢٩) .

(٢) رواه الطبري (٧/٢٩) بنحوه .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٧٥/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(٣) طمس في الأصل نحو ثلاثة أرباع سطر .

(٤) كتاب السبعة (٦٤٥) .

(٥) النشر (٣٨٩/٢) والقرطبي (٢١٧/١٨) .

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ بأجنحتها ؛ أي : قد رأوها . ﴿ويقبضن﴾ يعني : إذا وقف الطائر صافًّا بجناحيه لا يزول ؛ في تفسير بعضهم .

﴿أمن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ على الاستفهام إن أراد عذابكم ، أي : ليس أحدٌ ينصركم من دونه ﴿إن الكافرون﴾ ما الكافرون ﴿إلا في غرور﴾ يعني : في غرور الشيطان ﴿بل لجوا في عتوٍّ﴾ وهو الشرك ﴿ونفور﴾ عن الإيمان .

﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه﴾ لا يبصر موضع قدميه ؛ وهذا مثلٌ للكافر ﴿أهدى أمن يمشي سويًّا﴾ عَدْلاً يبصر حيث يسلك ، وهذا مثل المؤمن ؛ أي : أن المؤمن أهدى من الكافر .

قال محمد : يقال : أكبَّ على وجهه بالألف ، وكبَّه اللَّه بغير ألفٍ[1].

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي : أقلكم من يؤمن .

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل إنما العلم عند اللَّه﴾ يعني : علم الساعة لا يعلم قيامها إلا هو ﴿وإنما أنا نذيرٌ﴾ أنذركم عذاب اللَّه ﴿مبين﴾ أبين لكم عن اللَّه ﴿فلما رأوه﴾ يعني : العذاب ﴿زلفة﴾ قريبًا ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ ساء العذاب وجوههم ﴿وقيل﴾ لهم عند ذلك ﴿هذا الذي كنتم به تدَّعون﴾ لقولهم : ﴿ائتنا بعذاب اللَّه﴾[2] استهزاءً وتكذيبًا .

قال محمدٌ : ذكر أبو عُبَيْد أن من القراء من قرأ : (الذي كنتم به تَدْعون) خفيفةً[3]؛ لأنهم كانوا

---

(١) ويقال أيضًا : انكبَّ على وجهه . لسان العرب (كبب) ، الدر المصون (٦/٣٤٧) .

(٢) العنكبوت : ٢٩.

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي رجاء والضحاك ويعقوب وأبي بكر ونافع في رواية الأصمعي . الدر المصون (٦/٣٤٨) وإتحاف الفضلاء (٥٥١) .

يدعون بالعذاب في قوله : ﴿اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ...﴾[١] الآية ، قال : وقرأ أكثرهم (تدَّعون) بالتشديد[٢]، قال : وهي القراءة عندنا ، والتشديد مأخوذ من التخفيف (تَدْعون) تفْعَلون ، و(تدَّعون) تفتعلون مشتقة منه[٣].

قوله : ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أرأيتم إن أهلكني اللّه ومن معي﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمنا فمن يجير﴾ أي : يمنع ﴿الكافرين﴾ أي : ليس لهم مُجيرٌ يمنعهم من عذاب اللّه ﴿فستعلمون﴾ يوم القيامة ﴿من هو في ضلالٍ مبين﴾ أي : أنكم أيها المشركون في ضلال مُبين .

﴿إن أصبح ماؤكم غوْرًا﴾ أي : قد غار في الأرض فذهب ، والغور الذي لا يقدر عليه ولا تدركه الدِّلاء ﴿فمن يأتيكم بماءٍ معين﴾ جاء عن عكرمة : المعين الظاهر . قال الحسن : المعين : الذي أصله من العيون[٤].

قال محمد : ﴿غورًا﴾ مصْدَرٌ موْصُوفٌ به ؛ تقول : ماءٌ غَوْرٌ وماءان غورٌ ومياهٌ غَوْرٌ ؛ كما تقول : هذا عدلٌ ، وهذان عدلٌ ، وهؤلاء عدْلٌ[٥].



(١) الأنفال : ٣٢.

(٢) وهي قراءة العامة . الدر المصون (٦/٣٤٨) .

(٣) قيل : مأخوذ من الدعوى ؛ أي : تدّعون أنه لا جنة ولا نار . وقيل : مأخوذ من الدعاء ؛ أي : تطلبون وتستعجلون . ينظر الدر المصون (٦/٣٤٨) .

(٤) لسان العرب (عين) .

(٥) وقيل : ﴿غورًا﴾ : خبر أصبح ، وقيل : حال على تمام أصبح ؛ جوّزه أبو البقاء ، لكنه استبعده . الدر المصون (٦/٣٤٨) .

تفسير سورة « ن » وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾

قوله : ﴿ن والقلم﴾ تفسير الحسن[1]: يعني : الدواة والقلم هذا القلم الذي يكتب به ، وبعضهم يقول : هو الحوت الذي عليه قرار الأرض[2]. ﴿وما يسطرون﴾ يكتبون ؛ يعني : الملائكة ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (...)[3] للنبي لقول المشركين له : إنه لمجنون ، ومقرأ العامّة بالوقف والإسكان[4] ووقع القسم على القلم ﴿وما يسطرون﴾ .

قال محمد : قراءة نافع (نونٌ) ظاهرة في رواية قالون عنه ، وروى غيره أنه أخفاها ؛ ذكره ابن مجاهد[5].

﴿وإن لك لأجرًا﴾ يعني : الجنة ﴿غير ممنون﴾ به ، أي : لا يمنّ عليك به من أذًى ، في تفسير الحسن .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

(٢) وهذا القول يعود إلى الإسرائيليات المنكرة والصواب أن « ن » حرف من حروف الهجاء ، انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (٤٢٨ - ٤٢٩) والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١٢٦ - ١٢٨) .

(٣) كلمة مطموسة في الأصل ، والمعنى ظاهر .

(٤) الدر المصون (٣٤٩/٦) .

(٥) كتاب السبعة (٦٤٦) .

أدغم الكسائي وأبو بكر عن عاصم بلا خلاف ، وورش بخلاف عنه النون في الواو ، وأظهرها الباقون . الدر المصون (٣٤٩/٦) .

قال محمد : وقيل : معنى ﴿غير ممنون﴾ : غير مقطوع ، يقال : مننت الحبلَ إذا قطعته[١].

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ يعني : دين الإسلام ﴿فستبصر﴾ يوم القيامة ﴿ويبصرون﴾ يعني : المشركين ، أي : سيبصرون أنك كنت المهتدي ، وأنهم الضُّلاَّلُ ﴿بأيكم المفتون﴾ يعني : أيكم الضُّلاَّل ؛ في تفسير الحسن بجعل الباء صلة[٢].

﴿فلا تطع المكذبين﴾ كانوا يريدون أن يترك النبي ﷺ ما جاء به .

﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ تفسير بعضهم : يقول : لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم ، (...)[٣] (ل٣٦٩) في الخير ﴿هماز﴾ أي : يهمز الناس ، أي : يغتابهم ﴿مشَّاء بنميم﴾ يفسد ذات البَيْن ﴿مناع للخير﴾ يمنع حقَّ اللَّه عليه ﴿معتدٍ﴾ أي : ظالم ﴿أثيم﴾ أيْ : آثم ﴿عتلٍّ بعد ذلك﴾ أي : مع ذلك ، والعتلُّ : الفاحش ﴿زنيم﴾ تفسير الحسن : الزنيمُ : اللين الضريبة ؛ يعني : الطبيعة .

قال محمد : وقيل : الزنيمُ : المعروف بالشَّر ؛ كما تعرف الشاة بزنمتها ؛ يقال : شاة زَنِمةٌ ، وهو ما تعلَّق عند حُلوق المِعْزَى[٤]، والعتل عند أهل اللغة : الغليظ الجافي[٥]. واللَّه أعلمُ .

قوله : ﴿أن كان﴾ بأن كان ﴿ذا مالٍ وبنين﴾ .

﴿أساطير الأولين﴾ يعني : كذب الأولين وباطلهم ﴿سنسِمُه على الخرطوم﴾ على أنفه بِسوَادٍ يوم القيامة يُعْرَفُ به .

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾

---

(١) لسان العرب (منن) .

(٢) أي : زائدة ؛ وإلى هذا ذهب قتادة وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأخفش وفيها أقوال أخر . ينظر : الدر المصون (٦/ ٣٥١) تفسير القرطبي (٢٢٩/١٨) .

(٣) طمس في الأصل نحو خمس كلمات .

(٤) لسان العرب (زنم) . وقيل : الزنيم : الدَّعِيُّ يُنسب إلى قوم ليس منهم . الدر المصون (٣٥٢/٦) .

(٥) لسان العرب (عتل) . وقيل : العتل : الذي يحمل الناس ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب . الدر المصون (٣٥٢/٦) .

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿إنا بلوناهم﴾ يعني : أهل مكة ابتلوا بالجوع حين كذّبوا النبي ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ تفسير الكلبي : أنهم كانوا أبناء قوم صالحين ، وأن آباءهم كانوا جعلوا من جنّتهم حظًّا للمساكين وأبناء السبيل ، فخلف من بعدهم أبناؤهم ، فقالوا : كبرنا وكثر عيالنا ، فليس للمساكين عندنا شيء فتقاسموا ﴿ليصرمنها﴾ ليجذُّنّها[1] ﴿مصبحين﴾ أي : صبحًا ﴿ولا يستثنون﴾ أي : ولم يقولوا : إن شاء الله ﴿فطاف عليها طائفٌ﴾ عذابٌ ﴿من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصَّريم﴾ الصريم بمعنى المصروم ، وهو الهالك الذاهب .

﴿فتنادوا مُصْبحين﴾ حين أصبحوا ﴿وهم يتخافتون﴾ يتسارُّون بينهم ﴿ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ أي : ألا تطعموا اليوم مسكينًا ﴿وغدوا على حردٍ قادرين﴾ على جدٍّ من أمرهم ﴿قادرين﴾ على جنتهم في أنفسهم .

قال محمد : والحرد أيضًا في اللغة : المنع ، يقال منه : حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن[2].

﴿فلما رأوها﴾ (خرابًا)[3] سوداء ، وعهدهم بها بالأمس عامرة ﴿قالوا إنا لضالون﴾ أي : ضللنا الطريق ، ظنوا أنها ليست جنتهم ثم أيقنوا أنها جنتهم . فقالوا : ﴿بل نحن محرومون﴾ حُرِمْنا خير جنتنا ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم ﴿ألم أقل لكم لولا﴾ هلا ﴿تسبحون﴾ تستثنون ﴿كذلك العذاب﴾ أي : هكذا كان العذاب ؛ كما قصصته عليكم يعني : ما عذبهم به من إهلاك جنتهم ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني : قريشًا ، رجع إلى قوله : ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني : قريشًا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا .

---

(١) أي : يقطعون ثمرتها . لسان العرب (جذذ) .

(٢) لسان العرب (حرد) .

(٣) لم يظهر آخر هذه الكلمة في التصوير ، ولعلها كما أثبتها ، والله أعلم .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٤١ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝٤٥ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٦ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤٧﴾

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ كالمشركين ؛ أي : لا نفعل ، ثم قال للمشركين : ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أي : ليس حكمنا أن نجعل المسلمين في الآخرة كالمشركين ﴿أم لكم﴾ يقوله للمشركين ﴿كتاب فيه تدرسون﴾ تقرءون ﴿إن لكم فيه﴾ في ذلك الكتاب ﴿لما تخيرون﴾ أي : ما تخيرون واللام صلة ؛ أي : ليس عندكم كتابٌ تقرءون فيه إن لكم لما تخيرون ﴿أم لكم أيمانٌ علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ أي : ما تحكمون ، يقول : أم حلفنا لكم بأن لكم ما تحكمون به . أي : لم نفعل ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ حميل يحمل عنّا لهم بأن لهم ما يحكمون يوم القيامة لأنفسهم ؛ هذا لقول أحدهم : ﴿ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[1] للجنّة إن كانت جنة ﴿أم لهم شركاء﴾ خلقوا مع الله شيئًا أي : قد أشركوا بالله آلهة لم يخلقوا معه شيئًا ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال قبل هذا ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة﴾ يعني : ببالغة يوم القيامة .

﴿يوم يكشف عن ساقٍ﴾ قال مُجاهد[2]: كل كَرب أو شدَّة فهو ساقٌ[3] ومنه قوله : ﴿والتفَّت الساق بالساق﴾[4] أي : كرب الدنيا بكرب الآخرة[5]. ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون

---

(١) فصلت : ٥٠.

(٢) انظر الدر المنثور (٢٨٢/٦) .

(٣) لسان العرب (سوق) .

(٤) القيامة : ٢٩.

(٥) اختلف في تفسير هذه الآية ، وروى البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه (٥٣١/٨ رقم ٤٩١٩) عن أبي سعيد ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا » .

خاشعة أبصارهم﴾ أي: ذليلة (...)[١]. (ل ٣٧٠) ويبقى المنافقون ظهورهم طبقًا واحدًا كأن فيها السفافيد[٢] فيقولون: ربنا فيقول: كذبتم قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون؛ وذلك أن سجودهم في الدنيا لم يكن لله، إنما كان رياءً؛ حتى لا يقتلوا ولا تُسْبَى ذراريهم ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن وهذا وعيدٌ لمن كذَّب بالقرآن ﴿سنستدرجهم﴾ يعني: المكذبين ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي: نأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ﴿وأملي لهم﴾ أي: أطيل لهم وأمهلهم؛ حتى يبلغ الوقت الذي يعذبهم فيه ﴿إن كيدي متين﴾ شديد، وكيده: أخذه إياهم بالعذاب ﴿أم تسألهم﴾ يقول للنبي: أم تسأل المشركين على القرآن ﴿أجرًا فهم من مغرم مثقلون﴾ أي: قد أثقلهم الغُرْم؛ أي: أنك لم تسألهم أجرًا ﴿أم عندهم الغيب﴾ علم الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ لأنفسهم الجنة إن كانت جنة؛ لقول أحدهم: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[٣] للجنة إن كانت جنة.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

= وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق.

ولما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات ليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وأنه قد طالع التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، وطالع أكثر من مائة تفسير فلم يجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته شيء كثير، قال بعد ذلك - مجموع الفتاوى (٦/٣٩٤ - ٣٩٥) -: وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات؛ فإنه قال: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف. اهـ.

قلت: فتصبح الآية من آيات الصفات بدليل الحديث، والله أعلم.

(١) طمس في الأصل قدر سطر، ظهر منه بعض الكلمات علم منها أن القول الآتي من كلام لابن مسعود ﷺ.
وأثر ابن مسعود رواه إسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والطبراني والآجري في الشريعة والدارقطني في الرؤية والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عنه مطولاً مرفوعًا، كما في الدر المنثور (٦/٢٨٣).

(٢) السُّفُود والسَّفُود - بالتشديد - حديدة ذات شعب معقفة، معروف يشوى به اللحم، وجمعه سفافيد لسان العرب (سفد).

(٣) فصلت: ٥٠.

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي : الذي يحكم عليك ، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني : يونس ﴿إذ نادى﴾ يعني : في بطن الحوت ﴿وهو مكظوم﴾ مكروب ؛ وقد مضى تفسير قصة يونس . ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ فتاب ﴿لنبذ بالعراء﴾ بالأرض ﴿وهو مذموم﴾ يعني : حين أخرج من بطن الحوت ؛ في تفسير بعضهم .

قال محمد : العراء : الأرض التي لا تواري من فيها بجبل ولا شجر .

﴿فاجتباه ربه﴾ فاصطفاه فأنقذه مما كان فيه ﴿فجعله من الصالحين﴾ .

﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ لشدَّة نظرهم عَدَاوةً وبغضًا ﴿لما سمعوا الذكر﴾ .

قال محمدٌ : (يزلقونك) في اللغة معناه : يصرعونك[1]، ومنه قول الشاعر :

يتقارضون إذا التقوْا في مجلس نـظـرًا يـزيـلُ مـواطـئَ الأقـدام[2]

وقراءة نافع : (ليَزلقونك) من : زلَقتُ بفتح الياء[3].

قوله : ﴿ويقولون إنه﴾ يعنون : محمدًا ﴿لمجنون﴾ ﴿وما هو﴾ يعني : القرآن ﴿إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الآخرة والجنة والنار .



---

(١) يقال : زَلِق بكسر اللام وزلَقته بفتحها ، وقيل : زلقه وأزلقه بمعنى واحد . لسان العرب (زلق) ، الدر المصون (٣٦٠/٦) .

(٢) البيت من بحر الكامل ، بلا نسبة في اللسان والتاج (قرض ، زلق) وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤٢، ٤٣٢) وفي رواية (في موطن) بدل (في مجلس) .

(٣) وقرأ باقي السبعة بضم الياء . ينظر الدر المصون (٣٦٠/٦) والنشر (٣٨٩/٢) .

تفسير سورة الحاقة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله : ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ أي : أنك لم تك تدري ما الحاقة؟ حتى أعلمتُكَها ، والحاقة : اسمٌ من أسماء القيامة أحقَّت لأقوام الجنة ، وأحقَّت لأقوام النار .

يحيى : وبلغني أن كلَّ شيء في القرآن (وما أدراك) فقد أدراه إياه وكل شيء (وما يدريك) فهو ما لم يُعْلِمْهُ إياه بعدُ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ اللفظ لفظ الاستفهام ، والمعنى تفخيم شأنها ؛ كما تقول فلان ما فلان[١].

﴿كذبت ثمود وعادٌ بالقارعة﴾ تفسير الكلبي : القارعة اسم من أسماء القيامة ﴿فأما ثمودُ فأهلكوا بالطاغية﴾ قال الكلبي : الطاغية : الصَّاعقة التي أهلكوا بها . ﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصرٍ﴾ باردة شديدة البرد .

﴿عاتية﴾ عتت على خُزَّانها بأمر ربها كانت تخرج بقدر فعتت يومئذٍ على خُزَّانها ، وهي ريح الدَّبور ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا﴾ أي : تباعًا ليس فيها تفتير ، وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر ، واللّيالي سبعٌ من ليلة الخميس إلى ليلة الأربعاء .

---

(١) ينظر : الدر المصون (٦/ ٢٥٣، ٦/ ٣٦١) .

قال محمدٌ : قوله : ﴿حسومًا﴾ يقال : هو من حسم الدّاء ؛ لأنه يكون مرة بعد مرة يتابع عليه بالكي . وقيل : المعنى : تحسمهم حسومًا ؛ أي : تُذْهِبهم وتفنيهم[1]؛ فاللّه أعلم .

﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أخبر عنهم ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ شبههم بالنخل التي قد انقعرت فوقعت ، وقوله : ﴿خاوية﴾ يعني : بالية أخذت أبدانهم من أرواحهم ، كالنخل الخاوية . وقوله : ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ يعني : مِن (ل ٣٧١) بقية ؛ أي : قد أهلكوا ، فلا ترى منهم أحدًا ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ ممن كذب الرسل ﴿والمؤتفكات﴾ وهي قريات قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ يعني : الشرك ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ عصى كل قوم رسول ربهم الذي أرسل إليهم ﴿فأخذهم أخذةً رابية﴾ شديدة ، في تفسير مجاهد[2].

قال محمدٌ : (رابية) المعنى : تزيد على الأخذات ؛ وهو معنى قول مجاهد .

﴿إنا لما طغى الماء﴾ على خُزَّانه بأمر ربه كان يخرج بقدر ، فطغى يوم غرَّق اللّه قوم نوح ﴿حملناكم﴾ يعني : نوحًا ومن معه الذين من ذرّيتهم ﴿في الجارية﴾ يعني : السفينة ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ فيذكرون أن جميع من في الأرض غرق غير أهل السَّفينة ﴿وتعيها أذُنٌ واعية﴾ حافظة ؛ وهي أذن المؤمن سمع التذكرة فوعاها بقلبه .

قال محمدٌ : وَعَيْتُ العلم ووَعَيْتُ ما قلتَ ؛ أي : حفظته ، وكذلك كل شيء حفظته في نفسك ، ويقال لكل شيء حفظته في غير نفسك : أوعيتُه ، ومنه أوعيت المتاع في الوعاء[3].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ وهي النفخة الآخرة .

قال محمدٌ : القراءة (نفخةٌ واحدةٌ) بالرفع على ما لم يُسَمَّ فاعله ؛ المعنى نفخ نفخةٌ واحدةٌ في

---

(١) وقيل غير ذلك . ينظر : لسان العرب (حسم) ، الدر المصون (٦/٣٦٢) .

(٢) رواه الطبري (٢٩/٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٢٨٧) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) لسان العرب (وعى) .

الصُّورِ[١].

﴿وحملت الأرض والجبال﴾ تحمل من أصولها فتذهب ﴿فَدُكّتا دكَّة واحدة﴾ تصير أرْضًا مستوية ﴿فيؤمئذٍ وقعت الواقعة﴾ يعني: وقع العذاب بأهل العذاب ﴿وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾ كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابًا﴾[٢] يعني: تشققها، والواهية: الضعيفة ليست في الشدة كما كانت ﴿والملك﴾ يعني: جميع الملائكة ﴿على أرجائها﴾ على حافات السماء يعني: أطرافها.

قال محمدٌ: رجا كل شيء: ناحيَتُه مقصور، والتثنية: رَجَوان والجمع أرجاء[٣].

﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ فوق الخلائق ﴿يومئذ ثمانية﴾ قال قتادة: هم اليوم أربعة من الملائكة، وهم يومئذ ثمانية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، قال: قال رسول الله ﷺ: « أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رِجْلاه في الأرض السفلى، وعلى قرْنه العرشُ، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة[٤]، يقول: سبحانك حيث كنت »[٥].

---

(١) وهي قراءة العامّة، وقرأ أبو السّمال بالنصب، كأنه أقام الجار مقام الفاعل. الدر المصون (٣٦٣/٦).

(٢) النبأ: ١٩.

(٣) لسان العرب (رجو).

(٤) اختلفت روايات هذا الحديث في هذا التحديد، والمعروف ما هنا، والله أعلم.

(٥) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وقد خالفه موسى بن عقبة؛ فرواه عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

رواه إبراهيم بن طهمان في مشيخته (٢١) عن موسى بن عقبة به.

ورواه أبو داود (٢٣٨/٥ - ٢٣٩ رقم ٤٦٩٤) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٤١٤/٤) - والطبراني في الأوسط (١٩٩/٢ رقم ١٧٠٩، ٣٥٦/٤ رقم ٤٤٢١) وأبو الشيخ في العظمة (٩٤٨/٣ رقم ٤٧٦) وابن شاهين في فوائده (٩٧ - ٩٨ رقم ١٩) والخطيب في تاريخه (١٩٥/١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٨٤/٢ رقم ٨٤٦) من طريق أحمد بن حفص النيسابوري عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر إلا موسى بن عقبة، ولا عن موسى بن عقبة إلا إبراهيم بن طهمان، تفرد به أحمد بن حفص.

قال الذهبي في العرش (٧٤٥/١ رقم٢١٣): إسناده صحيح.

يحيى : بلغني أن اسمه : رُزوفيل .

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ لا يخفى على الله من أعمالكم شيء .

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ فيعرف أنه من أهل الجنة ﴿فيقول هاؤم﴾ أي : هاكم ﴿اقرءوا كتابيه﴾ وذلك حين يأذن الله له فيقرأ كتابه ، فإذا كان الرجل في الخير رأسًا يدعو إليه ، ويأمر به

= وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٤١٤) : وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات .

وقال الهيثمي في المجمع (١/٨٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

وقال ابن حجر في الفتح (٨/٥٣٣) : أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم من رواية إبراهيم بن طهمان عن محمد بن المنكدر ، وإسناده على شرط الصحيح . اهـ .

وروى ابن عساكر(٤٣/٥٩ - ٦٠) من طريق صدقة بن عبدالله القرشي عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله ملائكة - وهم الأكرويون - من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه » .

وروي عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر عن جابر وابن عباس . خرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٥٨) من طريق جعفر بن عمر عن ابن عجلان به وقال : غريب من حديث محمد عن ابن عباس لم نكتبه إلا من حديث جعفر عن ابن عجلان ، وحديث جابر قد رواه عن محمد غيره .

ورواه عبيدالله بن عبدالله بن المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن جده محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . خرجه الطبراني في الأوسط (٦/٣١٤ رقم ٦٥٠٣) وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر عن أنس ابن مالك إلا ابنه منكدر ، تفرد به ولده عنه . ورواه إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر عن جابر . اهـ .

وقال الهيثمي في المجمع(١/٨٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، وقال : تفرد به عبدالله بن المنكدر . قلت : هو وأبوه ضعيفان . اهـ .

ويكثر عليه تبعُه ، دعي باسْمه واسْم أبيه فيتقدم ؛ حتى إذا دنا أُخرِج له كتاب أبيض بخطّ أبيض في باطنه السيئات ، وفي ظاهره الحسنات ، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشْفق ويتغير لونه ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك قد غفرت لك فيفرح ثم يقلب كتابه ، فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحًا ؛ حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك ، وقد ضُوعفت لك فيبيضّ وجهه ، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، ويكسى حُلَّتين ، ويُحَلَّى كل مفصل منه ، ويُطوّل ستين ذراعًا ، وهي قامة آدم ويقال : انطلق إلى أصحابك فبشّرهم وأَخْبِرهُمْ أن لكل إنسانٍ منهم مثل هذا ، فإذا أدبر قال : ﴿هاؤم﴾ أي : هاكم ﴿اقرءوا كتابيه إني ظننت﴾ علمت ﴿أني ملاقٍ حسابيه﴾ قال اللَّه : ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي : مرضية قد رضيها ﴿في جنة عالية قطوفها﴾ ثمارها [وعناقيدها ﴿دانية﴾ أدنيت منهم فيقول لأصحابه](1): هل تعرفونني؟ فيقولون قد غيرتك كرامة اللَّه ، من أنت؟ فيقول : [أنا فلان بن فلان ، أبشر كل رجل](1) منكم بمثل هذا ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم﴾ قدمتم [في أيام الدنيا ، و](1) إذا كان الرجل في الشر[رأسًا](1) يدعو إليه (ل٣٧٢) ويأمر به فيكثُر عليه تبعُه ، نودي باسمه واسم أبيه ، فيتقدّم إلى حسابه ، فيخرج له كتابٌ أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها فيفرح ويظن أنه سينجو ؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه حسناتك وقد رُدّت عليك فيسودّ وجْهُه ويعلوه الحزن ، ويقنط من الخير ، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته ، فلا يزداد إلا حُزْنًا ولا يزدادُ وجْهُه إلا سوادًا ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك ، وقد ضُوعفت عليك ؛ أي : يُضاعَفُ عليه العذاب ، ليس المعنى : أنه يزاد عليه ما لم يعمل . قال : فيعظم للنار وتزرقّ عيناه ويَسْوَدّ وجهه ، ويُكسى سرابيل القطران ويقال له : انطلق إلى أصحابك ؛ فأخْبرهم إن لكل إنسان منهم مثل هذا . فينطلق وهو يقول : ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدْر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية﴾ يتمنى الموت ﴿هلك عني سلطانيه﴾ تفسير ابن عباس هلكت عني حُجَّتي . قال اللَّه : ﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾ أي : اجعلوه يَصْلَى الجحيم ﴿ثم في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعًا﴾ اللَّه أعلم بأي ذراع ﴿فاسلكوه﴾ فيسلك فيها ، تدخل من فيه حتى تخرج من دُبُره ، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب ؛ فينادي أصحابه : هل تعرفونني؟ فيقولون : لا ولكن قد نرى ما بك من الخزْي فمن أنت؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان إن

---

(1) طمس في الأصل ، والمثبت من تفسير القرطبي (١٨/٢٧١) .

لكل إنسان منكم مثل هذا قال الله : ﴿فليس له اليوم ها هنا حميم﴾ أي : شفيقٌ ينفعه ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ يعني : غسالة أهل النار : القيْح والدّمُ ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ المشركون .

قال محمدٌ : الاختيار أن يوقف على الهاءات التي مَضَتْ في قوله ﴿كتابيهْ﴾ ﴿حسابيهْ﴾ و﴿ماليهْ﴾ و﴿سلطانيهْ﴾ وتوصل ، وقد حذفها قومٌ في الوصْل ؛ وهو خلاف المصحف ذكره الزَّجّاج[١].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله : ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ أقسم بكل شيء أن القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ على الله ؛ يعني : محمدًا ﷺ. ﴿وما هو﴾ ما القرآن ﴿بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون﴾ أقلكم من يؤمن ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾ أقلكم من يتذكّر أي : يؤمن ﴿تنزيلٌ﴾ يعني : القرآن ﴿من رب العالمين﴾ . ﴿ولو تقوّل علينا﴾ يعني : محمدًا ﴿بعض الأقاويل﴾ فزاد في الوحي أو نقص منه ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي : بالحق عقوبة ، وتفسير الحسن : يقول : لقطعنا يده اليمنى ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو العرق الذي القلب معلق به فإذا انقطع مات الإنسان ﴿فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ .

قال محمدٌ : (حاجزين) من نعت (أحد)[٢]، و(أحدٌ) في معنى جميع ؛ المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه[٣].

---

(١) قراءة العامة بالهاء فيهن وقفًا ووصلاً ، وقرأ يعقوب بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف فيهن ، ووافقه حمزة في ﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾و﴿ماهيه﴾ . النشر (١٤٢/٢) تفسير القرطبي (٢٦٩/١٨) .

(٢) وقيل : خبر (ما) الحجازية ، و(من أحد) اسمها . ينظر : الدر المصون (٣٧٠/٦) .

(٣) لفظ (أحد) يعم في سياق النفي ، كسائر النكرات الواقعة في سياق النفي قاله الزمخشري والحوفي . الدر المصون (٦/ ٣٧٠) .

﴿وإنه﴾ يعني : القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ هم الذين يقبلون التذكرة ﴿وإنه﴾ يعني : القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ يوم القيامة ، إذ لم يؤمنوا به في الدنيا ﴿وإنه﴾ يعني : القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أنه من عند الله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ .

قال محمد : التسبيح معناه : تنزيه الله من السوء وتبرئته تبارك وتعالى .



تفسير سورة سأل سائل
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩﴾

قوله: ﴿سائلٌ﴾ العامة يهمزونها من باب السؤال[1]، قال الحسن: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ لِمَنْ هذا العذاب الذي تذكر أنه يكون في الآخرة؟ فقال الله: ﴿سأل سائلٌ بعذاب﴾ أي: عن عذاب ﴿واقع للكافرين﴾ وكان بعضهم يقرؤها: (سال سيل) بغير همزٍ من باب السَّيْل، وقال: هو واد من نارٍ يسيل[2]، ﴿بعذاب واقع﴾ للكافرين ﴿ليس له دافع﴾ يدفعه ﴿من الله ذي المعارج﴾ ذي المراقي إلى السماء ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يقول هذا كان مقداره [لو ولي][3] غير الله حساب الخلائق، والله (...)[4] تعالى يفرغ منهم في مقدار (ل ٣٧٣) نصف يوم من أيام الدنيا وهو قوله: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾[5] ﴿فاصبر صبرًا جميلاً﴾ ليس فيه (جزع)[6] على تكذيب المشركين لك ﴿إنهم يرونه بعيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، يقولون: ليس بكائنٍ ﴿ونراه قريبًا﴾ جائيًا وكل ما هو آتٍ قريب. ﴿يوم

---

(١) قرأ المدنيان وابن عامر بألف محضة، والباقون بهمزة محققة مفتوحة، وهي الأصل. ينظر: النشر (٢/ ٢٩١)، الدر المصون (٦/٣٧٢).

(٢) وهي قراءة ابن عباس أي قراءة (سال سيل). ينظر الدر المصون (٦/٣٧٢).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير البغوي (٨/٢٢١).

(٤) طمس في الأصل.

(٥) الأنعام: ٦٢.

(٦) مشتبهة في الأصل.

تكون السماء﴾ أي : ذلك يوم تكون السماء ﴿كالمهل﴾ كعكر الزيت ؛ في تفسير زيد بن أسلم ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف ، وهي في حرف ابن مسعود (كالصوف الأحمر المنفوش) .

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿ولا يسأل حيمٌ حميمًا﴾ تفسير الحسن : لا يسأل قريبٌ قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئًا ؛ كما كان يحمل بعضُهم في الدنيا عن بعض .

قال محمدٌ : الحميم : القريب ، والحميم أيضًا : الماء الشديد الحر[1].

قوله : ﴿يبصَّرونهم﴾ يبصر الرجل قرابته ؛ أي : يعرفهم في بعض المواطن ، وفي بعضها لا يعرف بعضهم بعضًا ﴿يود المجرم﴾ يعني : المشرك ، ومعنى (فصيلته) : عشيرته ، ومعنى (تؤويه) : تنصره في الدنيا ﴿ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه﴾ ذلك من عذاب اللَّه . ﴿كلا إنها لظى نزاعة﴾ يعني : أكالة ﴿للشوى﴾ يعني : للهام[2] في تفسير الحسن[3] ﴿تدعو من أدبر﴾ عن الإيمان ﴿وتولّى﴾ عن طاعة اللَّه ﴿وجمع فأوعى﴾ يعني : جمع المال فأوعاه .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) لسان العرب (حمم) .

(٢) الواحدة : هامة ، وهي الرأس ، وقيل : أعلاه أو وسطه . لسان العرب (هوم) .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٧/٢) .

﴿إن الإنسان﴾ يعني : المشرك ﴿خلق هلوعًا﴾ يعني : ضَجِرًا ﴿إذا مسّه الشر﴾ يعني : الشدة ﴿جزوعًا﴾ لم يصبر ليست له فيها حسبةٌ ﴿وإذا مسّه الخير﴾ يعني : إذا أعطي المال ﴿منوعًا﴾ أي : يمنع حق اللّٰه فيه . ﴿إلا المصلين﴾ يعني : المسلمين ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ يدومون عليها في تفسير الحسن ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ وهي الزكاة المفروضة ﴿للسائل والمحروم﴾ تفسير الحسن : السائل : المسكين الذي يسأل عند الحاجة ، والمحروم : الفقير الذي لا يسأل على حال فحُرم أن يُعْطى عن المسألة ؛ كما يُعطى السائل ، وإن أُعْطي شيئًا قَبِل . ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ بيوم الحساب ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون .

﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ وراء أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴿فأولئك هم العادون﴾ الزُّناة تعدَّوْا الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ يعني : ما افترض اللّٰه عليهم ، والأمانات فيما بينهم وبين الناس ﴿وعهدهم﴾ ما عاهدوا عليه ﴿راعون﴾ حافظون ؛ يعني : يؤدون الأمانات ، ويوفون بالعهد فيما بينهم وبين الناس فيما وافق الحق ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ وهي شهادات فيما بين الناس يقومون بها إذا كانت عندهم ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها .

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ يعني : منطلقين يأخذون يمينًا وشمالاً ، يقولون : ما يقول هذا الرجل؟ : ﴿عزين﴾ أي : متفرقين - في تفسير الحسن[١] - عن النبي يكذبون بما جاء به .

قال محمدٌ : (مهطعين) منصوب على الحال[٢]، و(عزين) جمع عزة ، والعِزَةُ : الجماعة[٣].

---

(١) رواه الطبري (٢٩/٨٦) .

(٢) ينظر تفسير القرطبي (١٨/٢٩٣) .

(٣) أي الجماعة المتفرقة قاله أبو عبيدة . وتجمع (العِزَة) أيضًا على عِزَى وعِزين وعُزين . لسان العرب (عزا) تفسير القرطبي (١٨/٢٩٤) الدر المصون (٦/٣٧٩) .

﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم﴾ لقول أحدهم : ﴿ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[(١)] للجنة إن كانت جنة كما يقولون ، قال الله : ﴿كلا﴾ ليسوا من أهل الجنة ، ثم قال : ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ يعني : من النُّطَفِ . ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ قال قتادة : للشمس ثلاثمائة وستون مشرقًا وثلاثمائة وستون مغربًا ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم﴾ أي : على أن نهلكهم بالعذاب ، ونبدل خيرًا منهم آدميين أطوَع للَّه منهم ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين على ذلك إن أردناه ﴿فذرهم يخوضوا﴾ في كفرهم ﴿ويلعبوا﴾ فقد قامت عليهم الحجة ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ يعني : يوم القيامة ، ثم أمر بقتالهم . ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿سراعًا﴾ إلى (...)[(٢)] صاحب الصور ﴿كأنهم إلى نصب﴾ أي : إلى علم منصوب في قراءة من قرأها بنصب النون وإسكان الصاد[(٣)] ﴿يوفضون﴾ (...)[(٢)] ﴿خاشعة أبصارهم﴾ أي: ذليلة ﴿ترهقهم﴾ تغشاهم ﴿ذلة ذلك اليوم الذي [كانوا يوعدون][(٢)]﴾ . (ل ٣٧٤) .



---

(١) فصلت : ٥٠.

(٢) طمس في الأصل .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقرأ ابن عامر وحفص بضمتين . النشر (٢/٢٩٢) ، الدر المصون (٦/٣٨٠) . وينظر في توجيه كل قراءة تفسير القرطبي (١٨/٢٩٦ - ٢٩٧) ، الدر المصون (٦/٣٨٠ - ٣٨١) .

تفسير سورة إنا أرسلنا نوحًا
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾

قوله : ﴿إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ...﴾ إلى قوله : ﴿عذاب أليم﴾ أي : موجع ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي : يغفر لكم ذنوبكم كلها و(من) صلة[1] ﴿ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى﴾ إلى مدتكم ، فيكون موتكم بغير عذاب ﴿إن أجل الله﴾ يعني : القيامة ؛ في تفسير الحسن ﴿لو كنتم تعلمون﴾ لعلمتم أن القيامة جائية ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ أي : كلما دعوتهم أن يتوبوا من الشرك ويؤمنوا فتغفر لهم ، أبَوا و ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ يتولَّون ويكرهون ذلك . ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطّوا رءوسهم ؛ لكي لا يسمعوا دعائي إياهم إلى الإيمان ﴿وأصروا﴾ أقاموا على الكفر ﴿واستكبروا﴾ عن عبادة الله ﴿ثم إني دعوتهم جهارًا﴾ مجاهرة ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا﴾ أي : خلطت دعاءهم في العلانية بدعاء السِّر ﴿يرسل السماء عليكم

---

(١) أي : زائدة ، قاله السدي ، وإليه ذهب ابن عطية الأندلسي وفي (من) أقوال نحوية أخر . ينظر : تفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٩) الدر المصون (٦/٣٨٢ - ٣٨٣) .

مدرارًا﴾ أي : تدرُّ عليكم بالمطر ﴿ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا﴾ .

قال محمدٌ : ﴿جنات﴾ بساتين ، وقيل : إنهم كانوا قد أجدبوا فأعلمهم أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾

قوله : ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا﴾ أي : لا تخافون لله عظمة ﴿وقد خلقكم أطوارًا﴾ تفسير قتادة[1] : يعني : نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ثم لحمًا .

قال محمدٌ : (أطوارًا) أي : طورًا بعد طور ، نقلكم من حال إلى حال ، وهو معنى قول قتادة[2].

وقوله : ﴿ترجون﴾ تخافون ، ومثله قول الشاعر :

محلتهم ذات الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب[3]

أي : ما يخافون إلا خواتم الأعمال . قوله : ﴿سبع سماوات طباقًا﴾ يعني : بعضها فوق بعض .

قال محمدٌ : (طباقًا) من نعت (سبع) ؛ أي : خلق سبعًا ذات أطباق[4].

﴿وجعل القمر فيهن نورًا﴾ أي : معهن ضياء لأهل الأرض ؛ في تفسير الكلبي . ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتًا﴾ خلقكم من الأرض خلقًا ؛ يعني : خلق آدم .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣١٩/٢) والطبري (٩٦/٢٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٧/٦) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٢) وقيل غير ذلك . ينظر : تفسير القرطبي (٣٠٣/١٨) المحرر الوجيز (١٤٠/١٦) .

(٣) البيت من بحر الطويل ، وهو للنابغة الذبياني . ديوان النابغة (ص٤٧) اللسان (جلل) تاج العروس (جلَّ ، حلَّ) جمهرة اللغة (٤٩٢) ، وفي رواية أخرى : مجلتهم .

(٤) ينظر المحرر الوجيز (١٢٥/١٦) . وأجاز الفراء في غير القرآن جر (طباق) على النعت لسموات بمعنى أنه يجوز أن تكون صفة للعدد تارة ، وللمعدود أخرى . الدر المصون (٣٨٤/٦) . وقيل : نصب (طباقًا) على المصدرية وقيل : على الحالية : ينظر : تفسير القرطبي (٣٠٤/١٨) .

قال محمدٌ: (نباتًا) محمول في المصدر على المعنى؛ لأن معنى(أنبتكم): جعلكم تنبتون نباتًا[١].

﴿ويخرجكم إخراجًا﴾ منها يوم القيامة ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجًا﴾ تفسير قتادة[٢]: يعني: طرقًا بيّنة.

﴿واتّبعُوا﴾ اتبع بعضهم بعضًا على التكذيب ﴿من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا﴾ عند اللَّه باتباعهم إياه ﴿ومكروا مكرًا كبارًا﴾ عظيمًا وهو الشرك.

قال محمدٌ: يقال: مكرٌ كبيرٌ وكُبّارٌ في معنى واحد[٣].

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ...﴾ إلى قوله: ﴿ونسرًا﴾ وهي أسماء آلهتهم؛ أي: لا تدَعُوا عبادتها. ﴿وقد أضلوا كثيرًا﴾ تفسير الحسن: يعني: الأصنام؛ أي: ضل كثير من الناس بعبادتهم إياها من غير أن تكون الأصنام دعت إلى عبادتها ﴿ولا تزد الظالمين﴾ المشركين ﴿إلا ضلالاً﴾ هذا دعاء نوح على قومه حين أذن اللَّه له بالدعاء عليهم ﴿مما خطيئاتهم﴾ أي: بخطاياهم ﴿أُغرقوا فأُدخلوا نارًا﴾ أي: وجبت لهم النار.

قال محمدٌ: (مما خطيئاتهم) قيل: إن المعنى: من خطيئاتهم، و(ما)[٤] زائدة.

---

(١) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/٣٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٣١٩) والطبري (٢٩/٩٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٢٩٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) ينظر لسان العرب (كبر) وقيل: كُبّار لغة يمانية. الدر المصون (٦/٣٨٥).

(٤) أي: زائدة للتوكيد، ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة، وجعل (خطيئاتهم) بدلاً، وفيه تعسف. ينظر: الدر المصون (٦/٣٨٦).

﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾ أي : أحدًا وهذا حيث أذن الله له بالدعاء عليهم ﴿ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ أي : أنهم إن ولدوا وليدًا فأدرك كفَرَ وهو شيء علمه نوح من قِبَل الله ، وهو قوله : ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن مِنْ قومك إلا من قد آمن﴾[١] قال نوح : ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قال الحسن : كانا مؤمنين ﴿ولمن دخل بيتي مؤمنًا﴾ تفسير بعضهم : يعني : دخل (...)[٢].

قال محمدٌ : إسكان الياء من (بيتي) وفتحها جائز[٣].

﴿وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارًا﴾ (...)[٤].



(١) هود : ٣٦، ووقع في الأصل : « يا نوح ... ».

(٢) كلمة مطموسة في الأصل .

(٣) فتحها هشام وحفص ، وأسكنها الباقون . ينظر : النشر(٢/٣٩١) ، إتحاف الفضلاء(٥٥٨) .

(٤) بياض في الأصل قدر نصف سطر .

تفسير سورة الجن وهي [مكية](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

قوله : ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفرٌ من الجن﴾ وهم(...)(١) (ل ٣٧٥) ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد﴾ أي : يبين سبيل الهدى ﴿فآمنا به﴾ وكانوا قبل ذلك فيما ذكر على اليهودية . ﴿وأنه تعالى﴾ ارتفع ﴿جدّ ربنا﴾ عظمته وكبرياؤه ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ وهو المشرك منهم ﴿على الله شططًا﴾ أي : جورًا وكذبًا قال الله : ﴿وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ تفسير الكلبي : أن رجالاً من الإنس كان أحدهم في الجاهلية إذا كان مسافرًا ، فأمسى في الأرض القفر نادى : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فيبيت في مَنَعَةٍ منه حتى يصبح ﴿فزادوهم رهقًا﴾ زادت الجن لتعوُّذهم بهم إثمًا . ﴿وأنهم ظنوا﴾ ظن المشركون من الجن ﴿كما ظننتم﴾ يقوله للمشركين من الإنس ﴿أن لن يبعث الله أحدًا﴾ يجحدون البعث .

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرسًا شديدًا وشهبًا﴾ هذا قول الجن من كان يفعل ذلك منهم ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ من السماء ﴿مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا﴾

---

(١) بياض في الأصل قدر نصف سطر ، قال القرطبي في تفسيره (١٩/١) : سورة الجن مكية في قول الجميع .

أي: حَفَظة تمنع من الاستماع.

قال محمدٌ: (الشهاب الرَّصد): الذي قد أُرصِدَ به للرَّجْم[١]، و(شُهُبًا) جمع شهاب[٢].

قال يحيى: وكانوا يستمعون أخبارًا من أخبار السماء، وأمَّا الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يستمعوه.

يحيى: عن عبيدالصمد قال: سمعت أبا رجاءٍ العُطَاردي يقول: «كنا قبل أن يُبعث النبي ما نرى نجمًا يرمى به؛ فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رُمِيَ بها فقلنا: ما هذا؟ إن هذا إلا أمرٌ حدث. فجاءنا أن النبي ﷺ بُعِثَ».

﴿وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا﴾ تفسير الحسن: أنهم قالوا: هذا أمرٌ حدث حين رمي بالنجوم، فلا ندري أشرٌّ أراد الله بأهْل الأرض أن يهلكهم أم أراد بهم ربهم رشدًا، أم أحدث لهم منه نعمةً وكرامة؟: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ المؤمنون ﴿ومنا دون ذلك﴾ يعنون: المشركين ﴿كنا طرائق قِدَدًا﴾ وفي الجن مؤمنون ويهودٌ ونصارى ومجوسٌ وعبدة الأوثان.

قال محمدٌ: (طرائق) أي: كُنَّا فرقًا[٣]، والقِدَدُ: جمع قِدّة، وهي بمنزلة قطعة وقطع[٤].

قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ علمنا ﴿أن لن نعجز الله﴾ أن نسبق الله حتى لا يقدر علينا؛ فيبعثنا يوم القيامة. ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿آمنا به﴾ صدقنا به. ﴿فلا يخاف بَخْسًا﴾ يعني: أن يُنْقَصَ من عمله ﴿ولا رهقًا﴾ ظُلْمًا أن يزاد عليه ما لم يعمل.

قال محمدٌ: أصل (الرَّهَق) في اللغة: العيْبُ والظلم؛ يقال: رهق وترهق في دينه إذا ظلم[٥].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن

---

(١) وجعل الزمخشري الرَّصَد اسم جمع كحَرَس، على معنى ذوي شهاب راصِدين بالرجم. ينظر: الدر المصون (٦/ ٣٩٢).

(٢) لسان العرب (شهب).

(٣) وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون (٦/٣٩٣)، تفسير القرطبي (١٩/١٥).

(٤) والقِدَدُ أصلها من قَدِّ السُّيور؛ أي: قطعها. ينظر: لسان العرب (قدد)، تفسير القرطبي (١٩/١٥).

(٥) ينظر: لسان العرب (رهق). وقيل: الرَّهَق: العدوان وغشيان المحارم. تفسير القرطبي (١٩/١٧).

﴿ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾

﴿وأمّا القاسطون﴾ الجائرون عن الهدى .

قال محمدٌ : يقال : قَسَطَ إذا جار ، وأَقْسَط إذا عدل[1].

﴿فأولئك تحروا رشدًا﴾ أصابوا الرُّشْدَ .

﴿وألَّو استقاموا على الطريقة﴾ على الإيمان ﴿لأسقيناهم ماءً غدقًا﴾ أي : لأوسعنا لهم من الرزق ؛ في تفسير الحسن ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم فيه ؛ فنعلم كيف شكرهم .

قال محمدٌ : قالوا : غَدِقَت الأرض وأَغْدَقت إذا ابتلّتْ ، وقالوا : مطرٌ غَيْداق ؛ أي : كثير ، وسنة غَيْدَاق إذا أخصبت[2].

﴿نسلكه﴾ ندخله ﴿عذابًا صعدًا﴾ تفسير قتادة[3]: لا راحة فيه .

قال محمدٌ : يقال : تصعَّدني الأمر إذا شقَّ عليَّ[4].

﴿وأن المساجد للَّه﴾

قال محمدٌ: المعنى : ولأن المساجد للَّه .

﴿فلا تدعوا مع اللَّه أحدًا﴾ تفسير الحسن : قال : يقول : ليس من قوم غير المسلمين يقومون في مساجدهم إلا وهم يشركون باللَّه فيها ، فأخلصُوا للَّه .

﴿وأنه لما قام عبد اللَّه﴾ (...)[5] ﴿يدعوه﴾ يدعو اللَّه ﴿كادوا﴾ كاد المشركون ﴿يكونون عليه لبدًا﴾ تفسير (...)[5] من الحرد عليه .

---

(١) وعليه فالقاسط : الجائر ، والمقسط : العادل . لسان العرب (قسط) .

(٢) والغدق بفتح الدال وكسرها لغتان . ينظر : لسان العرب (غدق) ، الدر المصون (٦/٣٩٥) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/٣٢٢) والطبري (٢٩/١١٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٠٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٤) ومنه قول عمر بن الخطاب : « ما تصعَّدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح » أي : ما شق عليّ ولا غلبني . ينظر : لسان العرب (صعد) ، تفسير القرطبي (١٩/١٩) ، الدر المصون (٦/٣٩٥) .

(٥) بياض في الأصل قدر أربع كلمات .

قال محمدٌ : كل شيءٍ ألصقته بشيء إلصاقًا شديدًا [فقد لبّدته][١].

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿[قل إني لا أملك لكم] ضرًّا﴾ أن أدخلكم في الكفر ﴿ولا رشدًا﴾ أن أكرهكم على الهدى ﴿قل إني لن يجيرني [من الله أحد﴾ (...)][٢] ﴿ولن أجد من دونه ملتحدًا﴾ ملجأ ألجأ إليه (ل٣٧٦) ﴿إلا بلاغًا من الله﴾ (...)[٢] .

﴿فسيعلمون من أضعف ناصرًا﴾ أي : أنكم أيها المشركون لا ناصر لكم ﴿وأقل عددًا﴾ أي : يفرد كل إنسان بعمله .

﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾ أيها المشركون من مجيء الساعة ﴿أم يجعل له ربي أمدًا عالم الغيب﴾ والغيب ها هنا في تفسير قتادة : الوحي ﴿فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا﴾ من الملائكة يحفظونه حتى يبلغ عن الله الرسالة ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ ليعلم ذلك الرسول أن الرسل قبله قد بلَّغوا رسالات ربهم ﴿وأحاط﴾ الله ﴿بما لديهم﴾ يعني : ما أُرسلوا به فلا يوصل إليهم ؛ حتى يبلغوا عن الله الرسالة ﴿وأحصى كل شيء﴾ من خلقه ﴿عددًا﴾ .

قال محمدٌ : (عددًا) حال ؛ المعنى : وأحْصَى كل شيء في حال العدد[٣].

---

(١) بياض بالأصل . والمثبت من تفسير القرطبي (٢٣/١٩ - ٢٤) .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) وقيل : منصوب على التمييز المنقول من المفعول به ، وقيل : على المصدر من المعنى ، لأن (أحصى) بمعنى (عدّ) . ينظر : تفسير القرطبي(٣١/١٩) ، الدر المصون (٤٠٠/٦) .

تفسير سورة المُزّمّل وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑦ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑪ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑫ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑬﴾

قوله : ﴿يا أيها المزمل﴾ يعني : النبي ﷺ والمزمل هو : المتزمّل بثيابه .

قال محمدٌ : يقال : تَزَمَّلَ فلانٌ إذا تلفَّف بثيابه ، وكل شيءٍ لُفِّفَ فقد زُمِّل[١]، وجاء عن ابن عباس أنه قال : يقول للنبي : يا أيها المزمل بثيابه يعني : يلبسها للصلاة .

﴿قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾ .

قال محمدٌ : (نصفه) ؛ أي : قم نصفه .

﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ أي : ترسَّل فيه ترسُّلاً ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا﴾ تفسير قتادة[٢]: يعني : فرائضه وحدوده والعمل به ﴿إن ناشئة الليل﴾ قيام الليل قال ابن عباس[٣]: وهي بلسان الحبش ، فإذا قام الرجل قالوا : قد نشأ فلان[٤]. قال قتادة[٥]: وما كان بعد العشاء فهو من ناشئة الليل

---

(١) لسان العرب (زمل) ، الدر المصون (٦/٤٠٤) ، تفسير القرطبي (١٩/٣٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٣٢٤) والطبري (٢٩/١٢٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٠٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن نصر .

(٣) رواه الطبري (٢٩/١٢٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٠٨) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن نصر والبيهقي في سننه .

(٤) وقيل في (ناشئة) أقوال أخر . الدر المصون (٦/٤٠٤) ، ونسب القرطبي هذا القول في تفسيره (١٩/٣٩) إلى عبد الله ابن مسعود .

(٥) رواه الطبري (٢٩/١٢٩) .

﴿هي أشد وطئًا﴾ وهي تقرأ « وَطْأً » مفتوحة الواو مقصورة ، ووطاء مكسورة الواو ممدودة ، فمن قرأها ﴿وطئًا﴾ بفتح الواو ، فتفسيرها عند قتادة[١] أثبت في الخير ، ومن قرأها بكسر الواو والمد فتفسيرها عند ابن عباس أشد مواطأة للقلب لفراغه ؛ لأنّ الأصوات تهدأ في الليل[٢].

قال محمدٌ : وِطَاء مصدَر وَاطَأْتُ ، وأراد مُواطأة القلب والسمع على الفهم للقرآن والأحكام لتأويله[٣]. وإليه ذهب يحيى .

وقوله : ﴿وأقوم قيلا﴾ أي أصدق في التلاوة وأجدرُ ألّا يُلبِس عليك الشيطان تلاوتك ﴿إن لك في النهار سبحًا﴾ أي : فراغًا ﴿طويلا﴾ لحوائجك .

﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ أخلص له إخلاصًا . ﴿رب المشرق والمغرب﴾ مشرق الشمس ومغربها ﴿فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون﴾ ما يقول لك المشركون ، وهي منسوخة نسختها القتال[٤].

﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ في الدنيا فسأعذبهم يوم القيامة ، وهذا وعيدٌ ؛ يقالُ : إنها نزلت في بني المغيرة ، وكانوا ناعمين ذوي غِنًى .

قال محمدٌ : النَّعمة : التنعُّمُ ، والنِّعمة اليَدُ الجميلة والصنع من اللّه للإنسان[٥].

﴿ومهلهم قليلا﴾ أي : أن بقاءهم في الدنيا قليل ثم يصيرون إلى النار ﴿إن لدينا﴾ عندنا ﴿أنكالا﴾ وهي القيود .

قال محمدٌ : واحدها نِكْلٌ[٦].

﴿وطعامًا ذا غُصّة﴾ تغصُّ به الحلوق .

= وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٠٨) لعبد بن حميد .

(١) رواه الطبري (٢٩/١٢٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٠٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن نصر .

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها ، وقرأ الباقون بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مدّ وإذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة إلى الطاء فحركها على أصله . النشر (٢/٣٩٣) ، الدر المصون (٦/٤٠٤) .

(٣) تفسير القرطبي (١٩/٤٠) ، الدر المصون (٦/٤٠٤) .

(٤) الناسخ والمنسوخ (٩٦) ، ونواسخ القرآن (٥٥٠ - ٥٥١) .

(٥) لسان العرب (نعم) .

(٦) ويُجمع أيضًا على نُكُول . لسان العرب (نكل) .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿يوم ترجف الأرض﴾ أي: ذلك لهم يوم ترجف الأرض تتزلزل ﴿والجبال وكانت﴾ أي: وصارت؛ يعني: ﴿الجبال كثيبًا﴾ أي: رملاً ﴿مهيلا﴾ أي: سائلاً ﴿فأخذناه أخذًا وبيلا﴾ شديدًا.

قال محمدٌ: يقال: استوبلت البلد، ويقال: كَلأٌ مُسْتَوْبَلٌ؛ أي: لا يُسْتمرأ[١].

﴿يومًا يجعل الولدان شيبًا﴾ أي: فكيف تتقون ذلك اليوم الذي يُجْعل الولدان فيه شيبًا؟: أي: إن كفرتم لم تتقوه. ﴿السماء منفطر به﴾ أي: منشقٌ فيه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿السماء منفطرٌ به﴾ أي: ذات انفطار؛ كما تقول: امرأةٌ مرضع أي: ذاتُ رضاع[٢].

﴿إن هذه تذكرة﴾ أي: أن هذه السورة تذكرة للآخرة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ (...)[٣] وطاعته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) لسان العرب (وبل)، تفسير القرطبي (١٩/٤٨).

(٢) وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل: (منفطرة)؛ لأن مجازها السقف؛ تقول: هذا سماء البيت. تفسير القرطبي (١٩/٥١). وقيل غير ذلك في تأويل التذكير ينظر الدر المصون (٦/٤٠٩).

(٣) بياض في الأصل.

﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أقل ﴿من ثلثي الليل﴾ إلى قوله ﴿علم أن لن تحصوه﴾ (...)[١] ﴿فتاب عليكم﴾ تفسير(ل٣٧٧) قتادة[٢]: كان الفرض قيام الليل في أوّل هذه السورة ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾ فقام رسول الله عليه السلام وأصحابه حَوْلاً حتى انتفخت أقدامهم ؛ وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا ثم أنزل ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفِهِ وثلثِهِ﴾ وبعضهم يقرؤها ﴿وثُلُثَهُ﴾[٣] إلى قوله : ﴿فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فريضتان واجبتان ، فصار قيام الليل تطوُّعًا ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ تفسير الحسن : هذا في التطوّع ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا﴾ .

قال محمدٌ : المعنى : تجدوه خيرًا لكم من متاع الدنيا ، ودخلت (هو) فَصْلاً[٤].

﴿وأعظم أجرًا﴾ أي : يثيبكم عليه الجنة ﴿واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ لمن آمن .



---

(١) بياض في الأصل .

(٢) انظر تفسير الطبري (١٤١/٢٩) .

(٣) قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب الثاء وضم الهاء ، وقرأ الباقون بخفض الثاء وكسر الهاء . ينظر : النشر (٣٩٣/٢) ، الدر المصون (٤٠٩/٦) .

(٤) وقيل : تأكيدًا للمفعول . ويعبر البصريون عن هذا الضمير بأنه ضمير فصل ، والكوفيون بأنه عماد لا محل له من الإعراب ، واستخدام ابن أبي زمنين مصطلح (فصل) يدل على أنه ينحو منحى البصريين . ينظر : الدر المصون (٦/ ٤١٠) ، تفسير القرطبي (٥٩/١٩) ، المحرر الوجيز (١٥٣/١٦) .

تفسير سورة المدّثر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله : ﴿يا أيها المدثر﴾ المتدثر بثيابه ؛ يعني : النبي ﷺ قال جابر بن عبدالله : هذه أوّل آية نزلت على النبي .

قال يحيى : والعامّة على أنَّ أول ما نزل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[1].

قال محمدٌ : وكان ابن عباس يفسر المدّثر : تدثّر بثيابه وتلثَّم[2].

﴿قم فأنذر﴾ من النار ﴿وربّك فكبر وثيابك فطهر﴾ تفسير قتادة[3]: لا تلبسها على معصيتي ، ويقال للرجل الصالح : إنه لطاهر الثياب ﴿والرجز فاهجر﴾ يعني : الأوثان لا تعبُدْهَا .

قال محمدٌ : أصل الرجز : العذاب ، فسميت الأوثان رِجْزًا ؛ لأنها تؤدّي إلى العذاب[4].

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ تفْسير الضحاك بن مزاحم[5]: هي الهدية تهديها ليهدى إليك خيرٌ منها . قال حماد بن سلمة : وهي في قراءة أُبي : « ولا تمنن أن تستكثر » وذلك تفسيرها على قراءة من قرأها بالرفع[6].

---

(١) ينظر : الكلام على ذلك من تفسير القرطبي (٦٠/١٩) .

(٢) والدِّثار : هو الثوب الذي فوق الشِّعار ، والشِّعار الذي يلي الجسد . ينظر : لسان العرب (دثر) ، الدر المصون (٦/ ٤١١) .

(٣) انظر تفسير عبد الرزاق (٣٢٧/٢) وتفسير الطبري (١٤٥/٢٩) والدر المنثور (٣١٢/٦) .

(٤) قال مجاهد : الرجز بالضم اسم صنم ، ويُعْزى للحسن البصري أيضًا ، وبالكسر اسم للعذاب . الدر المصون (٤١٢/٦) .

(٥) انظر تفسير الطبري (١٤٩/٢٩) .

(٦) ونسب القرطبي هذه القراءة إلى ابن مسعود . ينظر : تفسيره (٦٩/١٩) وينظر كذلك الدر المصون (٤١٢/٦) .

قال محمدٌ : قيل : إنه خاطب بهذا النبي ﷺ خاصة ؛ لأنّ اللَّه - عز وجل - أدَّبه بأشرف الآداب ، وأسْنى الأخلاق وليس على الإنسان إثْمٌ أن يُهْدِي هدية يرجو بها ما هو أكثر منها .

قال يحيى : وكان الحسن يقرؤها : « تستكثِرْ » موقوفة[1]، قال : وفيها تقديم وتأخير يقول : لا تستكثر عملك فتمن علينا .

﴿ولربك فاصبر﴾ على ما أُوذيت ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ أي : إذا نفخ في الصور ﴿فذلك يومئذٍ يوم عسير﴾ أي : عسير ﴿على الكافرين غير يسير﴾ ليس لهم من يسره شيء ، وإنما يُسره للمؤمنين .

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ذرني ومن خلقت وحيدًا﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة وهذا وعيدٌ له .

﴿وجعلت له مالاً ممدودًا﴾ واسعًا ﴿وبنين شهودًا﴾ يعني : حضورًا معه بمكة لا يسافرون ، كان له اثنا عشر ولدًا رجالاً ﴿ومهدت له تمهيدًا﴾ بسطت له في الدنيا بسطًا ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ تفسير الحسن : ثم يطمع أن أدخله الجنة لقول المشرك : ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾[2] كما يقولون ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ للجنة إن كانت جنة قال : ﴿كلا﴾ لا ندخله الجنة ﴿إنه كان لآياتنا عنيدًا﴾ معاندًا لها جاحدًا بها ﴿ سأرهقه صعودًا﴾ أي : سأحمله على مشقة من العذاب .

قال محمدٌ : ويقال للعقبة الشاقة : صعودٌ وكذلك الْكَئودُ[3].

﴿إنه فكّر وقدّر ...﴾ إلى قوله ﴿إن هذا إلا قوْل البشر﴾ تفسير الكلبي : أن الوليد بن المغيرة

---

(١) أي : مجزومة ورويت أيضًا عن ابن أبي عبلة . قال القرطبي : وقرأ الحسن بالجزم على جواب النهي وهو رديء ؛ لأنه ليس بجواب . الدر المصون (٦/٤١٢) ، تفسير القرطبي (١٩/٦٩) .

(٢) فصلت : ٥٠ .

(٣) لسان العرب (صعد - كأد) .

قال : يا قوْم إن أمْرَ هذا الرجل يعني : النبي ﷺ قد فشا وقد حضر المْوسَمَ ، وإن الناس سيسألونكم عنه فماذا (...)[١] قال : إذًا واللَّه يستنطقونه فيجدونه فصيحًا عادلاً فيكذبونكم (...)[١] إذًا واللَّه يلقونه فيخبرهم بما لا يخبرهم به الكاهن قالوا : فنخبر (...)[١] يعرفون الشعر ويروونه فيستمعونه فلا يسمعون شيئًا (...)[١] قريش صبأ واللَّه الوليد لئن (...)[٢] (ل٣٧٨) كلها قال أبو جهل : فأنا أكفيكموه فانطلق أبو جهل فجلس إليه وهو كهيئة الحزين فقال له الوليد : ما يحزنك يا ابن أخي؟ قال : ومالي لا أحزن وهذه قريش تجمع لك نفقة يعينوك بها على كِبَرِكَ وزمانتك . قال : أولسْتُ أكثر منهم مالاً وولدًا قال : فإنهم يقولون إنك قلت الذي قلت ؛ لتصيبَ من فضول طعام محمدٍ وأصحابه . قال : واللَّه ما يشبعون من الطعام فأيُّ فضل يكون لهم ولكني أكثرت الحديث فيه فإذا الذي يقول سحرٌ وقول بشر فاجتمع إليه قومه فقالوا : كيف يا أبا المغيرة يكون قوله سحرٌ أو قول بشر؟ قال : أذكركم اللَّه هل تعلمون أنه فرق بين فلانة وزوجها ، وبين فلان وابنه ، وبين فلان وابن أخيه ، وبين فلان مولى بني فلان وبين مواليه - يعني من أسلم؟ فقالوا : اللَّهم نعم ، قد فعل ذلك . قال : فهو ساحرٌ فأنزل اللَّه فيه ﴿إنه فكّر وقدّر فقتل﴾ أي : فلعن ﴿كيف قدر﴾ ﴿ثم قتل﴾ لعن ﴿كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر﴾ كلح .

قال محمدٌ : (عبس وبسر) أي : قطب وكره ، يقال : بَسَرَ وبَسُرَ ، وأصل الكلمة من قولهم : بسَر الفحل الناقة إذا ضربها قبل وقتها[٣].

﴿ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا﴾ يعني : القرآن ﴿إلا سحرٌ يؤثر﴾ يروى ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ يعنون : عَدَّاسًا غلام عتبة كقوله : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾[٤] هو عداس في تفسير الحسن قال : ﴿سأصليه سقر﴾ وسقر اسم من أسماء جهنّم ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي : أنك لم تكن تدري ما سقر ؛ حتى أعلمتك ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ لا تبقي إذا دخلها شيئًا من لحمه ودمه وشعره وبشره وعظامه وأحشائه ؛ حتى تهجم على الفؤاد فيصيح الفؤاد فإذا انتهت إلى فؤاده

---

(١) بياض في الأصل نحو خمس كلمات .

(٢) طمس في الأصل نحو ثلاث كلمات .

(٣) قال الراغب : البسر : استعجال الشيء قبل أوانه . لسان العرب (بسر) ، والمعنى : أن الكافر أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته . الدر المصون (٦/٤١٦) .

(٤) النحل : ١٠٣.

لم تجد شيئًا تتعلق به ، ثم يجدد الله خلقه فتأكله أيضًا ﴿لواحة للبشر﴾ أي : محرقة للجلد .

قال محمدٌ : (البَشَرُ) جمع بشَرة[1] ومعنى لوَّاحة : مغيرة ، تقول : لاحته الشمس إذا غيَّرتْه[2].

﴿عليها تسعة عشر﴾ لمَّانزلت هذه الآية قال أبو جهل : يا معشر قريش ، أرى محمدًا يخوفكم بخزنة النار ، ويزعم أنهم تسعة عشر أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فتخرجوا منها؟ فقال أبو الأسود الجمحي : أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على صدري ، فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله :

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي : فمن يطيقهم؟ ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾ بليَّة ﴿للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ لأنهم في كتبهم تسعة عشر ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾ تصديقًا ﴿ولا يرتاب﴾ يشك ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ فيما أنزل الله من عددهم ﴿ويقول الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ شكٌّ ﴿والكافرون﴾ الجاحدون ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أي : ذكرًا ، وذلك منهم استهزاء وتكذيبٌ . قال الله : ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾

يحيى : عن صاحب له ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن « أن سائلاً سأل رسول الله عن

---

(١) لسان العرب (بشر) .

(٢) لسان العرب (لوح) .

خلق الملائكة من أي شيء خلقت؟ فقال : من نور الحجب السبعين التي تلي الربَّ ؛ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، فليس ملك إلا وهو يدخل في نهر الحياة فيغتسل فيكون من كل قطرة من ذلك الماء ملك ، فلا يحصي أحدٌ ما يكون في يوم واحد »[1] فهو قوله ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ .

---

(١) هذا مرسل واهٍ ، ولم أقف عليه من هذا الطريق ، وروى مسلم (٢٢٩٤/٤ رقم ٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور » .

وأما قصة نهر الحياة واغتسال الملك فيه كل يوم وخلق ملك من كل قطرة تقطر منه ؛ فقد رويت في حديثين : الأول : رواه العقيلي (٥٩/٢ - ٦٠) وابن عدي في الكامل (٦٠/٤) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩)_ وابن الجوزي في الموضوعات (٢١٨/١ - ٢١٩ رقم ٣٠٣، ٣٠٤) من طريق روح بن جناح ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « في السماء الدنيا بيت يقال له المعمور بحيال هذه الكعبة وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان ، يدخل فيه جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخر عنه سبعون ألف قطرة ، فيخلق الله من كل قطرة ملكًا ، ثم يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه » .

قال العقيلي : قصة البيت المعمور لا يتابع عليه . لا يحفظ من حديث الزهري إلا عن روح بن جناح هذا ، وفيه رواية من غير هذا الوجه بإسناد صالح في ذكر البيت المعمور . اهـ

وقال ابن عدي : سمعت ابن حماد يقول : قال السعدي : روح بن جناح ذكر عن الزهري حديثًا معضلًا في البيت المعمور .

ثم قال ابن عدي في آخر ترجمة روح (٦٢/٤) . ولروح بن جناح غير ما ذكرت من الحديث قليل ، وعامة حديثه ما ذكرته ، وربما أخطأ في الأسانيد ، ويأتي بمتون لا يأتي بها غيره ، وهو ممن يكتب حديثه . اهـ

وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يتهم به إلا روح بن جناح ؛ فإنه يُعرف به ، ولم يتابعه عليه أحد ، قال ابن حبان : روح يروي عن الثقات ما إذا سمعه من ليس بمتبحر في هذه الصناعة شهد له بالوضع . وقال عبد الغني الحافظ : هذا حديث منكر بهذا الإسناد ، ليس له أصل عن الزهري ، ولا عن سعيد ولا عن أبي هريرة ، ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق ولا من غيرها . اهـ

وقال ابن كثير : هذا حديث غريب جدًا ، تفرد به روح بن جناح هذا ، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، قال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري . اهـ

والثاني : رواه ابن عدي في الكامل (١٣٣/٤) وأبو الشيخ في العظمة (٧٣٥/٢ رقم ٣١٧) من طريق زياد بن المنذر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لنهرًا ما يدخله جبريل عليه السلام من دخلة فيخرج فينتفض إلا خلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكًا » .

وقال ابن عدي في آخر ترجمة زياد : وهذه الأحاديث التي أمليتها مع سائر أحاديثه التي لم أذكرها ، عامتها غير محفوظة .

﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ رجع إلى قوله : ﴿سأصليه سقر وما أدراك ما سقر﴾ .

﴿كلا والقمر والليل إذْ أدبر﴾ إذ ولّى ، وبعضهم يقرأ : ﴿إذا أدبر﴾ إذا ولّى[1] .

قال محمدٌ : يقال : دبر الليل وأدبر ، كقولك : قبل الليل وأَقْبل ، ويقال : دبرني فلانٌ وخلفني ؛ يعني : إذا جاء بعدي[2] .

﴿والصبح إذا أسفر﴾ إذا (...)[3] ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ لإحدى العظائم يعني (...)[3] .

قال محمد : الكبر جمع كبرى[4]، مثل أولى وأول ، وصُغْرى وصُغَر . ولجهنم (ل٣٧٩) سبعة أبواب : جهنم ، ولظى ، والحطمة ، وسقر ، والجحيم ، والسعير ، والهاوية .

قوله : ﴿نذيرًا للبشر﴾ يعني : محمدًا ﷺ رجع إلى أول السورة ﴿يا أيها المدثر﴾ قم نذيرًا للبشر ﴿فأنذر﴾ قال : ﴿لمن شاء منكم أن يتقدّم﴾ في الخير ﴿أو يتأخر﴾ في الشر كقوله : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[5] وهذا وعيدٌ ﴿كل نفس﴾ يعني : من أهل النار ﴿بما كسبت﴾ بما عملت ﴿رهينة﴾ في النار ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ وهم أصحاب الجنة كلهم في هذا الموضع ﴿في جنات يتساءلون عن المجرمين﴾ أي : يسائلون المجرمين ﴿ما سلككم﴾ ما أدخلكم؟ ﴿في سقر﴾ فأجابهم المشركون قالوا : ﴿لم نك من المصلين ...﴾ إلى قوله : ﴿حتى أتانا اليقين﴾ قال اللّٰه : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أي : لا يشفع لهم الشافعون .

يحيى : عن أبي أميّة ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه ﷺ: « إذا كان يوم القيامة شفع النبي لأمته ، والشهيد لأهل بيته ، والمؤمن لأهل بيته ، وتبقى شفاعة الرحمن يخرج اللّٰه أقوامًا من النار قد احترقوا وصاروا فحمًا فيؤمر بهم إلى نهر في الجنة - يقال له : الحياة - فينبتون كما

---

(١) قرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص (إذْ) ، وقرأ الباقون (إذا) بألف بعد الذال . النشر (٢/٣٩٣) ، الدر المصون (٦/ ٤١٩) .

(٢) لسان العرب (دبر) .

(٣) طمس في الأصل .

(٤) وقال ابن عطية الأندلسي : جمع كبيرة . وأظنه وهمًا عليه . ينظر الدر المصون (٦/ ٤١٩) . المحرر الوجيز (١٦/ ١٦٤) .

(٥) الكهف : ٢٩.

ينبت الغثاء في بطن المسيل ، ثم يقومون فيدخلون الجنة فهم آخر أهل الجنة دخولاً وأدناهم منزلة »[١].

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله : ﴿فما لهم عن التذكرة﴾ عن القرآن ﴿معرضين كأنهم حمرٌ مستنفرةٌ﴾ أي : حمر وحش ﴿فرت من قسورة﴾ تفسير بعضهم القسورة : الأسدُ .

قال محمدٌ : (معرضين) منصوب على الحال ، ومعنى مستنفرة مذعورة استُنفرتْ فنفرت ، وقيل : إن اشتقاق قسورة من القسْر وهو القهر ؛ لأن الأسد يقهر السباع[٢].

﴿بل يريد كل امرئ منهم﴾ يعني : مشركي قريش ﴿أن يؤتى صحفًا منشرة﴾ إلى كل إنسانٍ باسمه أن آمن بمحمدٍ قال الله ﴿كلا﴾ أنتم أهون على الله من ذلك ثم قال ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ لا يؤمنون بها ﴿كلا إنه تذكرة﴾ يعني : القرآن ﴿فمن شاء ذكره﴾ .

﴿هو أهل التقوى﴾ أي : أهل أن يتقى ﴿وأهل المغفرة﴾ أهل أن يغفر ، ولا يغفر إلا للمؤمنين .



(١) لم أقف عليه من هذا الطريق ، ولحديث الشفاعة طرق عن أبي هريرة وغيره ، ذكرت طرفًا منها في تخريج « التوحيد » لابن خزيمة .

(٢) لسان العرب (قسر) .

تفسير لا أقسم بيوم القيامة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾

قوله : ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ المعنى : أقسم و « لا » صلة ، وكذلك قوله ﴿ولا أقسم بالنفس اللّوّامة﴾ معناه أقسم . قال الحسن[1]: وهي نفسُ المؤمن ، إن المؤمن لا تلقاه إلا وهو يلوم نفسه ، يقول : ما أردت بكلامي ، ما أردت بكذا ، ما أردت بكذا ، يندم على ما فات ، ويلوم نفسه ﴿أيحسِب[2] الإنسان﴾ وهو المشرك ﴿أن لن نجمع عظامه﴾ أي : أن لن نبعثه ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ يعني : مفاصله .

قال محمد : (قادرين) حال بمعنى : بلى نجمعها قادرين .

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ وهو المشرك ؛ يعني : أنه يمضي على فجوره لا يعاتب نفسه حتى يلقى ربه ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ متى يوم القيامة ؛ أي : ليست بجائية يكذب بها .

قال اللّه : ﴿فإذا برق البصر﴾ يعني : يوم القيامة ؛ أي : شخص لإجابة الداعي كقوله : ﴿لا يرتد

(١) عزاه السيوطي في الدر (٣١٩/٦) لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس .
(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ، وقرأ باقي السبعة بكسرها . النشر (٢٣٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٥٦٣) .

إليهم طرفهم﴾[1] هذا تفسير الحسن .

قال محمدٌ : من قرأ (برَق البصر) بفتح الراء أراد : بَرِيقَه إذا شخص[2]، يقال : بَرَقَ يَبْرُق ، ومن قرأ بَرِقَ - بكسر الراء - فمعناه : فزع وتحيَّر[3]. يقال منه : بَرِقَ يَبْرَقُ[4].

﴿وجُمع الشمس والقمر﴾ أي : جمعهما جميعًا ؛ في تفسير الحسن . ﴿يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر﴾ قال : (...)[5] ﴿إلى ربك يومئذٍ المستقر﴾ المرجع ﴿ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدّم وأخّر﴾ (...)[5] ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ شاهد على نفسه أنه كافر (...)[5] لم يقبل منه .

قال محمدٌ : وقيل : إن المعاذير الستور بلغة (...)[6].

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ تفسير الحسن[7]: كان رسول الله إذا (ل ٣٨٠) نزل عليه القرآن يُدْئِبُ نفسه في قراءته ، مخافة أن ينساه ، فأنزل الله : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه﴾ أي : نحن نحفظه عليك فلا تنساه ﴿فإذا قرأناه﴾ نحن ﴿فاتبع﴾ أنت ﴿قرآنه﴾ يعني : فرائضه وحدوده والعمل به ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ تفسير بعضهم : نحن نبيّنه لك .

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ أي : لا تؤمنون أنها جائية ، يقوله للمشركين ﴿وجوهٌ

---

(١) إبراهيم : ٤٣.

(٢) قرأ المدنيان بفتح الراء ، وقرأ الباقون بكسرها . النشر (٢/٣٩٣) ، الدر المصون (٦/٤٢٧) ، تفسير القرطبي (١٩/٩٥ - ٩٦).

(٣) وهو قول أبي عمرو والزجاج والفراء والخليل . تفسير القرطبي (١٩/٩٦) .

(٤) يقال : بَرَقَ يَبْرُقُ بَرْقًا وبَرِيقًا : بدا ، ويقال : بَرِقَ يَبْرَقُ بَرَقًا : فزع ودهش . لسان العرب (برق) .

(٥) بياض في الأصل نحو خمس كلمات .

(٦) بياض في الأصل نحو خمس كلمات ، وفي الدر المصور (٦/٤٢٩) : المعاذير الستور بلغة اليمن ، قاله الضحاك والسدي .

(٧) انظر تفسير الطبري (٢٩/١٨٨) .

يومئذٍ ناضرة﴾ ناعمة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ تنظر إلى الله ﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسرة﴾ عابسة ﴿تظن﴾ تعلم ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ أي: داهيةٌ وشرٌّ.

قال محمدٌ: (فاقرة) يقال: إنها من فقَارِ الظَّهْر كأنها تكسيره، تقول: فَقَرْتُ الرَّجُلَ؛ إذا كَسَرْتَ فَقَارَهُ[١].

﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ يعني: النفس سُلَّتْ من الرِّجلين حتى إذا بلغت التَّرْقُوَتَيْنْ ﴿وقيل من راق﴾ أي: من يرقيه؟ في تفسير قتادة ﴿وظن﴾ علم ﴿أنه الفراق﴾ فراق الدنيا ﴿والتفت الساق بالساق﴾ تفسير الحسن[٢]: هذا عند الموت، اجتمع أمر الدنيا وأمر الآخرة.

قال محمدٌ: يعني: كرب الدنيا وكرب الآخرة[٣].

﴿إلى ربك يومئذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿المساق﴾ يساقون إلى الحساب ﴿فلا صدَّق ولا صلى﴾ أي: لم يصدِّق ولم يصلِّ.

قال يحيى: نزلت في أبي جهل.

قال محمدٌ: من كلام العرب: لا فعل، يريد لم يفعل[٤]. قال الشاعر:

وأي فعلٍ سيئٍ لا فعَلَهْ[٥]

أراد: لم يفعله.

﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ يتبختر.

قال محمدٌ: قوله: ﴿يتمطى﴾ أصله: يتمطَّطُ؛ فقلبت الطاء ياءً، كما قالوا: يتظنَّى

---

(١) أي: فَقَار ظهره. ومنه سُمي الفقير، لانكسار فقاره من القُلّ. لسان العرب (فقر)، الدر المصون (٤٣١/٦).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٩٦/٢٩) والدر المنثور (٣٢٨/٦).

(٣) يطلق (الساق) في اللغة ويراد به الكرب والأمر الشديد. لسان العرب (سوق).

(٤) أي: دخول (لا) على الماضي وإرادة المضارع، وهذا مستفيض في كلام العرب، الدر المصون (٤٣٢/٦).
وقال الكسائي: (لا) بمعنى لم، ولكنه يقرن بغيره. تفسير القرطبي (١١٣/١٩).

(٥) من بحر الرجز، يروى لشهاب بن العيف في خزانة الأدب (٨٩/١٠ - ٩٠) وتاج العروس (زنأ) ويروى لابن العفيف العبدي أو عبد المسيح بن عسلة، شرح شواهد المغني (٦٢٤/٢) ونسب في اللسان (شدخ) لجرير، وليس في ديوان جرير، وينظر اللسان (زنأ).

وأصله: يتظنَّن[١].

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾

﴿أولى لك فأولى﴾ تفسير الحسن: أن أبا جهل قال للنبي: ما بين هذين الجبلين أحدٌ أعزُّ مني، فاجهد أنت وربك يا محمد جهدكما؛ فأنزل اللَّه: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ وعيدٌ بعد وعيد، فقتله اللَّه يوم بدر وصيَّره إلى جهنم ﴿أيحسب الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿أن يترك سدى﴾ أي: هَمَلاً، فلا يبعث ولا يحاسب ﴿ألم يك نطفة من مني تمنى﴾[٢] يمنيها الرجل؛ يعني: النطفة ﴿ثم كان علقة فخلق فسوَّى﴾ أي: خلقه اللَّه فسوَّاه ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ الذكر زوج والأنثى زوج ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ يقوله على الاستفهام؛ أي: هو قادر على ذلك.

يحيى: عن إبراهيم، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا ختم أحدكم آخر «لا أقسم بيوم القيامة» فليقلْ: بلى»[٣].

---

(١) وإنما أبدلت الطاء ياءً كراهة اجتماع الأمثال. وقيل: (يتمطى) مأخوذ من (المطا) وهو الظهر أي: يتبختر ويمد مطاه. ينظر لسان العرب (مطط - مطو) الدر المصون (٤٣٣/٦) تفسير القرطبي (١١٤/١٩).

(٢) قرأ حفص عن عاصم ﴿يمنى﴾ بالياء، وقرأ الباقون (تمنى) بالتاء من فوق. ينظر النشر (٣٩٤/٢)، الدر المصون (٦/ ٣٣٤) تفسير القرطبي (١١٧/١٩).

(٣) إبراهيم هو ابن أبي يحيى، متروك، وقد اختلف عنه في هذا الحديث، فروى عنه عن إسماعيل بن أمية عن سعد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا. قاله الدارقطني في العلل (١١/ ٢٤٦).

واختلف عن إسماعيل بن أمية أيضًا: فرواه يزيد بن عياض عنه فتابع إبراهيم على الوجه الأول فقال: عن أبي اليسع عن أبي هريرة مرفوعًا.

رواه ابن أبي حاتم في العلل (٩٠/٢) والحاكم (٥١٠/٢) والبيهقي في الشعب (٣٧٦/٢ - ٣٧٧ رقم ٢٠٩٦) وفي الأسماء والصفات (٦٤/١ رقم ٣٠).

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ووقع في علل ابن أبي حاتم: «عن أبي اليسار» وهو تحريف.

قال الذهبي في الميزان (٥٨٩/٤): أبو اليسع لا يدرى من هو، والسند بذلك مضطرب وخالفهما سفيان بن =

= عيينة ؛ فرواه عن إسماعيل بن أمية ، قال : حدثني أعرابي من أهل البادية ، عن أبي هريرة ﷺ به .
رواه الإمام أحمد (٢٤٩/٢) والحميدي (٤٣٧/٢ رقم ٩٩٥) وأبو داود (١٢/٢ - ١٣ رقم ٨٨٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٣٦) والدارقطني في العلل (٢٤٧/١١) والبيهقي في السنن (٣١٠/٢ - ٣١١)والأسماء والصفات (٦٤/١ - ٦٦ رقم ٣١) وغيرهم .
وروى الترمذي (٤١٣/٥ رقم ٣٣٤٧) جزء آخر من هذا الحديث ، وقال : هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى .
قال الدارقطني : وقوله - يعني : سفيان بن عيينة - أشبه . وقال شعبة : عن إسماعيل بن أمية حدثني رجل صدق ، عن أبي هريرة . اهـ
ورواه إبراهيم بن طهمان عن نصر - شيخ له - عن إسماعيل بن أمية ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد ، عن أبي هريرة مرفوعًا . قاله الدارقطني وخالفهم جميعًا ابن علية ؛ فرواه عن إسماعيل ابن أمية ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبي هريرة موقوفًا .
رواه ابن أبي حاتم في العلل (٩٠/٢) والدارقطني في العلل (٢٤٨/١١) .
قال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : الصحيح إسماعيل بن أمية ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبي هريرة ، موقوف .
وأسند الدارقطني عن علي بن المديني قال : قلت لسفيان بن عيينة : فإن إسماعيل بن علية رواه عنه - أعني عن إسماعيل ابن أمية - عن عبد الرحمن بن القاسم - رجل من أهل مكة - عن أبي هريرة : « إذا قرأ أحدكم « لا أقسم » . فقال سفيان : لم نحفظ . اهـ
وخالفهم جميعًا معمر ؛ فرواه عن إسماعيل بن أمية مرفوعًا معضلًا . خرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٨٣/٢) .

تفسير سورة هل أتى على الإنسان
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

قوله : ﴿هل أتى﴾ يعني : قد أتى ﴿على الإنسان﴾ يعني : آدم ﴿حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ في الخلق وهو عند الله مذكور أنه خالقه خلق الله أصول الخلق في الأيام السّتة ، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأيام الستة .

يحيى : عن الخليل بن مرة قال : « قرأ عمر بن الخطاب ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ فرفع صوته ، وقال : يا ليتها تمت »[١]

يحيى : عن أشعث ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه : « أن عمر بن الخطاب أخذ تبنةً من الأرض ، فقال : يا ليتني هذه التّبنة ، يا ليت أمي لم تلدني ، يا ليتني كنت نسيًا منسيًا ، يا ليتني لم أكن شيئًا يذكر »[٢].

---

(١) روى ابن المبارك في الزهد (٧٩ رقم ٢٣٥) عن أبي عمر زياد بن أبي مسلم عن أبي الخليل - أو قال : عن زياد بن مخراق - « أن عمر بن الخطاب سمع رجلا يقرأ ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورًا﴾ فقال عمر : يا ليتها تمت » .

وقال القرطبي (١٩/ ١٢٠) : وقال أبو بكر ﷺ لما قرأ هذه الآية : « ليتها تمت فلا نُبتلى » أي : ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئًا مذكورًا تمت على ذلك ، فلا يلد ولا يبتلى أولاده .

(٢) كذا وقع هذا الإسناد : « عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه عن عمر » والمعروف في هذا الأثر : « عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر عن عمر ﷺ » رواه ابن المبارك في الزهد (٧٩ رقم ٢٣٤) وابن أبي =

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ يعني: نسل آدم ﴿أمشاج﴾ تفسير الحسن[١]: يعني: مشج ماء الرجل بماء المرأة.

قال محمد: يريد اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، يقال مشجته فهو مشيج[٢].

﴿نبتليه﴾ نختبره.

﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي: بصَّرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة ﴿إما شاكرًا﴾ مؤمنًا ﴿وإما كفورًا﴾.

قال محمد: (إما شاكرًا وإما كفورًا) هما نَصْبٌ على الحال، المعنى: شاكرًا أو كفورًا، كأنه قال: هديناه في هذه الحال[٣].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾

﴿إن الأبرار يشربون من كأسٍ﴾ يعني: الخمر ﴿كان مزاجها كافورًا﴾ تفسير الكلبي: كافورًا

= شيبة (١٤/٢٧٦ رقم ١٦٣٢٧) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٦٠) وأبو داود في الزهد (٨٣ رقم ٧١) من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: «رأيت عمر بن الخطاب ...» فذكره.

ورواه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٦١) عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر عن عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئًا قط، ليتني كنت نسيًا منسيًا، قال: ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال: ليتني كنت مثل هذا».

(١) رواه الطبري (٢٩/٢٠٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٣١) لعبد بن حميد.

(٢) لسان العرب (مشج).

(٣) ينظر الدر المصون (٦/٤٣٨).

عينٌ في الجنة ، اسمها : كافورا ﴿عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا﴾ أي : تجري لهم (...)[١] بعين كما أحبُّوا ﴿يوفون بالنذر﴾ (...)[٣] ﴿ويخافون يومًا كان شَرُّهُ مستطيرًا﴾ (ل ٣٨١) أي : قاسيًا وشره على الكُفَّار .

قال محمد : يقال : استطار الحريق إذا انتشر ، واستطار الفجر إذا انتشر الضوء[٢].

﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي : على حاجاتهم إليه ﴿مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾ يعني : الأسير من المشركين « كان رسول الله ﷺ يدفع الأسير إلى الرجل ، فيقول : احبس هذا عندك . فيكون عنده الليلة والليلتين ، فكانوا يؤثرون على أنفسهم أولئك الأسرى فأثنى الله عليهم بذلك »[٣].

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا﴾ تفسير مجاهد[٤]: قالوا : هذا في أنفسهم ولم ينطقوا به ، فعلم الله ذلك منهم ، فأثنى به عليهم .

﴿يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾ قال بعضهم : يعني : تعبس فيه الوجوه ، والقمطرير : الشديد .

قال محمد : يقال للمعبس الوجه : قمطريرٌ وقُمَاطِرٌ .[٥]

﴿ولقاهم نضرة﴾ في وجوههم ﴿وسرورًا﴾ في قلوبهم .

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ على السرر في الحجال ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾ الزمهرير : البرد الشديد .

قال رسول الله ﷺ: « ليس في الجنة شمسٌ ولا ليلٌ مظلم ، ولا حرٌّ ولا بردٌ يؤذيهم »[٦].

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ يعني : ظلال الشجر .

---

(١) طمس في الأصل .

(٢) لسان العرب (طير) .

(٣) بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (١٣٣/٤) وابن حجر في مختصره (ص١٨٠) .

(٤) رواه عبد الرزاق (٣٣٧/٢) والطبري (٢١١/٢٩) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٣٢/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان أيضًا .

(٥) لسان العرب (قمطر) .

(٦) لم أقف عليه ، وانظر تخريج الكشاف (١٣٥/٤ - ١٣٦) .

قال محمد: (الأرائك) واحدها: أريكة، وهي الحجالُ فيها الفرش والأسِرّة[١] ونصب (متكئين) على الحال؛ المعنى: وجزاهم جنة في حال اتكائهم فيها[٢] وكذلك ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾.

قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ أي: ذللت لهم ثمارها يتناولون فيها كيف شاءوا. قال مجاهد[٣]: إن قام ارتفعت بقدره وإن قعد تدلّت إليه حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت إليه؛ حتى ينالها.

قال محمد: واحد (القطوف): قِطْفٌ[٤]، ومعنى: ذللت أُدْنيتْ[٥].

﴿وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة﴾ الأكواب: الأكواز واحدها: كوب؛ وهو المُدَوَّرُ القصير العنق القصير العروة[٦]، ومعنى ﴿كانت قواريرا قواريرا من فضة﴾ أي: يجتمع فيها صفاء القوارير في بياض الفضة؛ وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، وإن تراب الجنة فضة، فهي قوارير من فضة يشربون فيها يرى الشراب من وراء جُدُرِ القوارير؛ وهذا لا يكون في فضّة الدنيا.

قال محمد: قرأه أهل الحجاز وأهل الكوفة (قواريرًا قواريرًا) بإثبات الألف والتنوين؛ ذكره أبو عبيد قال: وكان حمزة يسقط الألف منهن ولا يصرفن[٧]. وذكر الزّجّاج: أن الاختيار عند النحويين أن تقرأ بغير صرف قال: ومن قرأه قواريرًا بصرف الأول فلأنه رأس آية، ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ؛ لأن العرب ربما قلبت إعراب الشيء؛ لتتبع اللفظة اللفظة[٨]، وكذلك قوله: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرًا﴾ الأجود في العربية: ألا يصرف ولكن لما جعلت رأس آية

---

(١) وتجمع (أريكة) أيضًا على (أريك) لسان العرب (أرك).

(٢) الدر المصون (٦/٤٤٢).

(٣) رواه الطبري (٢٩/٢١٤ - ٢١٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٣٤) لعبد بن حميد.

(٤) لسان العرب (قطف).

(٥) لسان العرب (ذلل).

(٦) لسان العرب (كوب).

(٧) انظر النشر (٢/ ٢٩٥) وإتحاف الفضلاء (٥٦٥ - ٥٦٦).

(٨) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/٤٤٤ - ٤٤٥).

صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد[١] .

﴿قدروها تقديرًا﴾ أي : في أنفسهم فأتتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط ، هذا تفسير قتادة ﴿ويسقون فيها كأسًا﴾ وهي الخمر ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾ أي : طعم ذلك المزاج طعم الزّنجبيل . ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلا﴾ السلسبيل : اسم العين .

قال محمد : المعنى : يسقون عينًا سلسبيلًا[٢]، وكانت العرب تستطيب الزنجبيل ، وتضرب به المثل وبالخمر ممتزجين ، فخاطبهم الله بما كانوا يعرفون ويستحبون في الدنيا ، يقول : لكم في الآخرة مثل ما تستحبون في الدنيا إن آمنتم ، والسلسبيل في اللغة صفة لمكان غاية في السلامة وصرف ؛ لأنه رأس آية[٣].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله : ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ لا يموتون أبدًا ﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾ أي : شبهتهم ﴿لؤلؤًا منثورًا﴾ في صفاء ألوانهم والمنثور : أحسن ما يكون ﴿وإذا رأيتَ﴾ أي : عاينت ﴿ثم﴾ يعني : في الجنة ﴿رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا﴾ (...)[٤] الملكُ من عند ربه إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية (...)[٤] اللهم(...)[٤] فلا يدخل (.. (ل٣٨٢) .)[٤] حتى يستأذن فيقول البواب : سأذكره للبواب الذي يليني ، فيذكره للذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله ، فيقول له : ملكٌ بالباب يستأذن . فيقول : ائذنوا له . فيؤذن له فيدخل فيقول : إن ربك يقرئك السلام ، ويخبره أنه عنه راضٍ ومعه التحفة فتوضع بين يديه .

---

(١) ينظر البحر المحيط (٣٩٨/٨) .

(٢) الدر المصون (٤٤٦/٦) .

(٣) وقيل : السلسبيل : ما سهل انحداره في الحلق ، قال الزجاج : هو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة . ينظر الدر المصون (٤٤٦/٦) .

(٤) طمس في الأصل .

﴿عَالِيْهِم ثياب سندس خضر﴾ وبعضهم يقرؤها ﴿عَالِيَهُم﴾[١] الإستبرق ، والديباج : الصفيق الكثيف ، والسندس : الخفيف[٢]. ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أسورة : سوار من فضة ، وسوارٌ من ذهب ، وسوار من لؤلؤ ﴿وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾ .

يحيى : عن أبي أمية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن أبي إسحاق ، عن[عاصم][٣] بن ضمرة ، عن علي قال : « إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فيشربون من إحداهما ، فتجري عليهم بنضرة النعيم ، فلا تغبر أبشارُهم ، ولا تشعَّث أشعارهم بعدها أبدًا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى ، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة ، فتقول لهم : ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٤]»[٥].

قوله : ﴿إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم﴾ عملكم في الدنيا ﴿مشكورًا﴾ شكره الله لكم ؛ فجزاكم به الجنة .

﴿فاصبر لحكم ربك﴾ لما حكم عليك فيه وفرض ﴿ولا تطع منهم آثمًا﴾ وهو المنافق ؛ في تفسير الحسن أظهر الإسلام وقلبه على الشرك ﴿أو كفورًا﴾ وهو المشرك الجاحد .

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ صلاة الصبح ﴿وأصيلا﴾ صلاة الظهر والعصر ﴿ومن الليل فاسجد

---

(١) قرأ المدنيان وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء ، والباقون بفتح الياء وضم الهاء . ينظر النشر (٢/٣٩٦) . الدر المصون (٦/٤٤٧) .

(٢) لسان العرب (إستبرق - سندس) .

(٣) في الأصل : عامر . وهو تحريف ، وعاصم بن ضمرة هو السلولي الكوفي ، ترجمته في التهذيب (١٣/٤٩٦ - ٤٩٩) وسبق هذا الأثر في تفسير سورة الزمر بإسناد آخر إلى أبي إسحاق السبيعي به ، وفيه : « عاصم » على الصواب .

(٤) الزمر : ٧٣.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر ، وأن الحافظ الضياء والحافظ ابن حجر والحافظ البوصيري صححوه ، وقالوا : إن له حكم الرفع إذ لا مجال للرأي فيه .

له﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ هذا تطوُّع ﴿إن هؤلاء﴾ يعني : المشركين ﴿يحبون العاجلة﴾ الدنيا ﴿ويذرون وراءهم﴾ أمامهم ﴿يومًا ثقيلاً﴾ عسيرًا عليهم ؛ يعني : يوم القيامة ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ يعني : خلقهم .

قال محمد : أصل الكلمة من (الإسار) ، وهو القد ، يقال : ما أحسن ما أسر قَتَبه[١]، أي : ما أحسن ما شَدَّه![٢]

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم﴾ أي : أهلكناهم بالعذاب ، وبدلنا أمثالهم (...)[٣] خيرًا منهم .

﴿إن هذه تذكرة﴾ إن هذه السورة تذكرة ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بطاعته ﴿إن اللَّه كان عليمًا﴾ بخلقه ﴿حكيمًا﴾ في أمره ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ في دينه الإسلام ﴿والظالمين﴾ المشركين ﴿أعدّ لهم عذابًا أليمًا﴾ موجعًا .

قال محمد : نصب (الظالمين) على معنى : يدخل من يشاء في رحمته ، ويعذب الظالمين ، ويكون (أعدّ لهم) تفسيرًا لهذا المضمر[٤] (نصب الظالمين على معنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين)[٥].



(١) القتب : هو الرَّحل الصغير على قدر سنام البعير ، والجمع أقتاب . لسان العرب (قتب) .

(٢) لسان العرب (أسر) .

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٤) أي : منصوب على الاشتغال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ . ينظر الدر المصون (٤٥٢/٦) .

(٥) ما بين القوسين هكذا في الأصل ، وهو مكرر ، ولعل الناسخ ضرب عليه ، والله أعلم .

تفسير سورة والمرسلات
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله : ﴿والمرسلات عرفًا﴾ تفسير الحسن : أنها الرياح ، وقال : عرفها : جَرْيها .

قال محمد : يقال : هم إليه عرفٌ واحدٌ إذا تتابعوا[١].

﴿فالعاصفات عصفًا﴾ الرياح إذا اشتدت ﴿والناشرات نشرًا﴾ الرياح أيضًا ﴿فالفارقات فرقًا﴾ يعني : الملائكة تنزل بالوحي فتفرق بين الكفر والإيمان ، وبين الحلال والحرام ﴿فالملقيات ذكرًا﴾ الملائكة تلقي الوحي ، أي : تنزل به على الأنبياء ﴿عذرًا أو نذرًا﴾ أي : يعذر الله به إلى عباده وينذرهم .

قال السُّدي : المعنى : عذرًا ونذرًا ، والألف صلة[٢].

قال محمد : نصب عذرًا أو نذرًا على معنى الإعذار والإنذار[٣]. وقرأه نافع (عُذْرًا) بالتخفيف و(نُذُرًا) بالتثقيل وهذا (...)[٤] قسم أقسم به[٥].

---

(١) لسان العرب (عرف) .
(٢) أي : زائدة ، وتكون (أو) بمعنى (الواو) . ينظر الدر المصون (٦/٤٥٤) .
(٣) وقيل غير ذلك . ينظر : الدر المصون (٦/٤٥٤) .
(٤) كلمة مطموسة في الأصل .
(٥) ينظر : النشر (٢/٣٩٦) ، الدر المصون (٦/٤٥٤) .

﴿إنما توعدون﴾ من عذاب الله ، يقوله للمشركين ﴿لواقع﴾ .

﴿فإذا النجوم طمست﴾ أي : ينزل عذاب الله يوم تطمس فيه النجوم ، فيذهب ضوؤها ﴿وإذا السماء فرجت﴾ انشقت ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ ذهبت من أصولها وسوّيت بالأرض ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أجلت في تفسير الحسن[١] ﴿لأي يوم أجلت﴾ يعظم ذلك اليوم ﴿ليوم الفصل﴾ القضاء ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ تفسير الحسن : أي : أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك (ل ٣٨٣) ﴿ألم نهلك الأولين﴾ على الاستفهام ؛ أي : بلى قد أهلكناهم ؛ يعني : الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ يعني : كفار آخر هذه الأمة الذين تقوم عليهم الساعة .

قال محمد : من قرأ (ثم نتبعهم) بالرفع فعلى الاستئناف ، ومن قرأ (نتبعهم) بالجزم فهو عطف على (نهلك)[٢].

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف ؛ يعني : النطفة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ الرحم .

﴿إلى قدر معلوم﴾ اليوم الذي يولد فيه المخلوق ﴿فقدرنا﴾ من قرأها بالتثقيل فهي من باب التقدير ، ومن قرأها مخففة فمن باب القدرة[٣] ﴿فنعم القادرون﴾

﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا﴾ تكفتهم ، أي : تضمّهم ، والكفتُ : الضمُّ والجمع ﴿أحياءً وأمواتًا﴾ أي : يكونون على ظهرها أحياء ، ويكونون في بطنها أمواتًا .

قال محمد : تقول : كفت الشيء أكْفِتُه وتقول : أكْفِتْ إليك كذا ، أي : ضُمَّه ، وكانوا يسمون المقبرة كَفْتَةً ؛ لأنها تضمُّ الموتى[٤].

---

(١) رواه الطبري (٢٣٣/٢٩) .

(٢) العامة على رفع العين استئنافًا ، وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو بتسكينها . ينظر الدر المصون (٤٥٦/٦) .

(٣) قرأ المدنيان والكسائي بتشديد الدال ، وقرأ الباقون بتخفيفها . ينظر النشر (٣٩٧/٢) ، الدر المصون (٤٥٦/٦) .

(٤) ومنه سُمي بقيع الغرقد كَفْتَةً ؛ لأنه يدفن فيه . لسان العرب (كفت) .

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ يعني: الجبال المرتفعة ﴿وأسقيناكم ماء فراتًا﴾ عذبًا ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ يقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ يخرج من النار لسانان قبل أن يدخلوا النار فيحيط بالمشركين، ثم يسطع من النار دخانٌ أسود، ثم يصير ثلاث فرق؛ فيلجئون إليه يرجون أن يظلهم من شدة حر النار، فلا يظلهم ويجدون منه من الحر مثل ما وجدوا قبل أن يلجئوا إليه ﴿لا ظليل ولا يغني من اللَّهب﴾ أي: لا بارد في الظل ولا كريم في المنزل ﴿إنها ترمي﴾ يعني: النار ﴿بشرر كالقصر﴾ يعني: قصْرًا من القصور في قراءة من قرأها بجزم الصاد[1] ﴿كأنه جمالات[2] صفر﴾ يعني: النوق السود في قراءة من قرأها بكسر الجيم[3].

قال محمد: يقال للإبل التي هي سودٌ تضرب إلى الصُّفرة: إبل صفر وجمالاتٌ بكسر الجيم جمع جمال[4].

﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ بحُجّة ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ وقد يؤذن لهم في الكلام في بعض المواطن، ولا يؤذن لهم في بعض؛ فإذا أذن لهم في الكلام لم يعتذروا بعذر.

---

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ ابن عباس وتلميذاه ابن جبر وابن جبير، والحسن بفتح القاف والصاد، وهي جمع قصره بالفتح، وهي أعناق الإبل والنخل وأصول الشجر، وقرأ ابن جبير والحسن أيضًا بكسر القاف وفتح الصاد. ينظر: الدر المصون (٤٥٨/٦).

(٢) هكذا في الأصل (جمالات)، حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (جمالة) على الإفراد، وقرأ الباقون (جمالات) على الجمع. ينظر النشر (٢/ ٣٩٧)، الدر المصون (٤٥٨/٦).

(٣) روى رويس ضم الجيم، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر النشر (٣٩٧/٢).

(٤) الدر المصون (٦/ ٤٥٨)، لسان العرب (جمل).

قال محمد : يقرأ (يومُ) بالرفع والنصب ؛ فمن نصب جعله ظرفًا بمعنى : هذا الوعيد يومًا ، ومن رفع جعل هذا لليوم ؛ كما تقول هذا يومك[١].

﴿فإن كان لكم كيد﴾ تنجون به من عذاب الله ﴿فكيدون﴾ أي : أنكم لا تقدرون على ذلك .

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿كلوا وتمتعوا﴾ الآية يقوله للمشركين وعيدًا لهم ، وانقطعت القصَّة الأُولى من أمر أهل النار .

﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ أي : صلُّوا ﴿لا يركعون فبأي حديث بعده﴾ يعني : القرآن ﴿يؤمنون﴾ .

يحيى : عن إبراهيم ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن أبي اليسع ، عن أبي هريرة قال : « إذا ختم أحدكم والمرسلات فليقل : آمنت بالله وبما أنزل »[٢] من حديث يحيى بن محمد .



(١) العامة على رفع (يوم) ، وزيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة وعاصم في بعض طرقه بالفتح . ينظر الدر المصون (٤٥٩/٦) .

(٢) هو جزء من حديث ذكر المؤلف منه جزءًا آخر في آخر سورة القيامة ، ، وتقدم تخريجه هناك وذكر الاختلاف فيه ، وأن أبا اليسع قال فيه الذهبي : لا يدرى من هو .

لكن وقع الحديث هناك بهذا الإسناد مرفوعًا ، ووقع هنا موقوفًا ، وتقدم ذكر الخلاف في رفعه ووقفه ، والله أعلم .

تفسير سورة عمّ يتساءلون

وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

قوله : ﴿عمّ يتساءلون﴾ يعني : المشركين ؛ أي : ما الذي يتساءلون عنه . ثم قال : ﴿عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾ يعني : البعث ، اختلف فيه المشركون والمؤمنون ؛ فآمن به المؤمنون ، وكفر به المشركون ﴿كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون﴾ وعيد بعد وعيد ﴿ألم نجعل الأرض مهادًا﴾ بساطًا ﴿والجبال أوتادًا﴾ للأرض ﴿وخلقناكم أزواجًا﴾ ذكرًا وأنثى ﴿وجعلنا نومكم سباتًا﴾ يعني : نعاسًا .

قال محمد : أصلُ السَّبتِ : انقطاع الحركة ؛ يقال : رجلٌ سبُوتٌ وقد سُبت[١].

﴿وجعلنا الليل لباسًا﴾ سترًا يغطي الخلق فيسكنون فيه ﴿وجعلنا النهار معاشًا﴾ يجلبون فيه معايشهم ﴿وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا﴾ السموات ﴿وجعلنا سراجًا وهاجًا﴾ (...)[٢] (ل٣٨٤) في تفسير الكلبي ؛ يعني : الشمس ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ الرياح في تفسير مجاهد[٣]، وبعضهم يقول : السحاب ﴿ماء ثجاجًا﴾ منصَبًّا بعضه على بعض ﴿لنخرج به حبًّا﴾ البرّ والشعير .

---

(١) لسان العرب (سبت) .

(٢) طمس في الأصل .

(٣) رواه الطبري (٣٠/٥) .

عزاه السيوطي في الدر (٦/٣٤٠) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

﴿ونباتًا﴾ من كل شيء ﴿وجنات ألفافًا﴾ .

قال محمد : يعني : بساتين ملتفة ، ومن كلامهم : امرأةٌ لفاء إذا كانت عظيمة الفخذين[١].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ القضاء ﴿كان ميقاتًا﴾ يوافونه كلهم ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ .

قال محمد : (يوم ينفخ) بدلٌ من (يوم الفصل)[٢].

﴿فتأتون أفواجًا﴾ أمة أمة ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ مثل هذا السراب تراه ، وليس بشيء ﴿إن جهنم كانت مرصادًا﴾ أي : ترصد من حق عليه العذاب ، والصراط عليها ، فمن كان من أهلها هوي فيها ، ومن لم يكن من أهلها حاد عنها إلى الجنة ﴿للطاغين﴾ المشركين ﴿مآبًا﴾ مرجعًا . ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ أي : تأتي عليهم الأحقابُ لا تنقطع أبدًا ، والحُقُب : ثمانون عامًا ، والسَّنة : ثلاثمائة وستون يومًا ، كل يوم ألف يوم من أيام الدنيا ﴿لا يذوقون فيها بردًا﴾ هي مثل قوله : ﴿لا بارد ولا كريم﴾[٣] وقال بعضهم : البرد النوم .

قال محمد : سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه يبرد فيه عطش الإنسان .

﴿ولاشرابًا إلا حميمًا وغساقًا﴾ الحميم : الذي لا يستطاع من حره ، والغسَّاق : القيحُ الغليظ المنتنُ ، وبعضهم يقول : الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده ، وهو الزمهرير .

﴿جزاءً وفاقًا﴾ أي : وافق أعمالهم الخبيثة .

قال محمد : (وفاقًا) من : وافقه موافقة[٤].

---

(١) لسان العرب (لفف) .

(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى ، ينظر الدر المصون (٦/٤٦٣ - ٤٦٤) .

(٣) الواقعة : ٤٤.

(٤) أي : هو مصدر قياسي من صيغة (فاعل) . ينظر لسان العرب (وفق) ، الدر المصون (٦/ ٤٦٥) .

﴿إنهم كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿حسابًا﴾ لا يقرون بالبعث ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾ تكذيبًا ﴿وكل شيء أحصيناه كتابًا﴾ أحصتِ الملائكة على العباد أعمالهم، وهي عند الله محصاة في أم الكتاب.

قال محمد: (كل) منصوب بمعنى: وأحصينا كل شيء أحصيناه[1]، و(كتابًا) توكيدًا لأحصيناه، المعنى: كتبناه كتابًا[2].

قوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ قال عبد الله بن عمرو: «ما نزل على أهل النار آية هي أشدُّ منها، فهم في زيادة من العذاب أبدًا»[3]

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إن للمتقين مفازًا﴾ نجاة مما أعدّ للكافرين ﴿حدائق﴾ جنات ﴿وأعنابًا﴾ أي: فيها أعنابٌ ﴿وكواعب أترابًا﴾ على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿وكأسًا دهاقًا﴾ أي: ممتلئة ﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ اللغو: الباطل ﴿ولا كذابًا﴾ تفسير الحسن يقول: لا يكذب بعضهم بعضًا.

قال محمد: من قرأ (كذَّابًا) مثقَّلة، فمن قولهم: كذاب وكذّب بمعنى واحد[4].

---

(١) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر الدر المصون (٦/٤٦٦).

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٦/٤٦٦ - ٤٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/١٧) من طريق ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه الطبري (٣٠/ ١٧) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول. فذكره.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٤٣) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

(٤) هكذا في الأصل، ولعل المراد أن من شدد جعله مصدر (كذب)، وزيدت فيه الألف كما زيدت في (إكرامًا). ينظر الدر المصون (٦/٤٦٧).

﴿جزاء من ربك عطاءً حسابًا﴾ تفسير مجاهد : يعني : على قدر أعمالهم ؛ وذلك أنهم يعطون المنازل على قدر أعمالهم ، ثم يرزقون فيها بغير حساب .

قال محمد : (جزاءً) منصوب بمعنى : جزاهم جزاءً[١].

﴿رب السموات والأرض﴾ (ربُّ) بالرفع كلام مستقبل في قراءة من قرأها بالرفع[٢] ﴿وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابًا﴾ تفسير الحسن : لا يستطيعون مخاطبته ، كقوله : ﴿يوم يأت لا تكلم نفسٌ إلا بإذنه﴾[٣] قوله : ﴿يوم يقوم الروح﴾ تفسير الحسن : يقوم روح كل شيء في جسده ﴿والملائكة صفًّا لا يتكلمون﴾ لا يشفعون ﴿إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا﴾ في الدنيا لا إله إلا الله .

﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبًا﴾ مرجعًا بعمل صالح ، وقال في آية أخرى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾[٤].

قوله : ﴿إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا﴾ .

يحيى : عن المبارك ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين ، فما فضل إحداهما على الأخرى . وجمع بين أصبعيه الوسطى والذي يقول الناس السبابة »[٥].

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ...﴾ الآية

يحيى : عن الصّلت بن دينار عن علقمة بن (...)[٦] قال : قال رسول الله ﷺ: « أوّل من يدعى يوم القيامة إلى الحساب البهائم ، فتُجْعَل القرناء جمّاء ، والجمّاءُ قرناء ، فيقتصّ لبعضها من

---

(١) ينظر الدر المصون (٦/٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢) قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون بخفض الباء ، وقرأ الباقون برفعها . ينظر النشر (٢/٣٩٧) ، الدر المصون (٦/ ٤٦٨) .

(٣) هود : ١٠٥.

(٤) الإنسان : ٣٠.

(٥) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/ ٧٦١ رقم ٣٧٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به . وتقدم هذا الحديث في تفسير سورة محمد ، الآية : ١٨.

(٦) كلمة مطموسة في الأصل ، وذكر المزي في التهذيب (١٣/ ٢٢٢) في ترجمة الصلت بن دينار أنه روى عن علقمة بن قيس النخعي ، ولم يدركه ، والله أعلم .

بعض ؛ حتى تقتص الجماء من القرناء ، ثم يقال لها : كوني ترابًا . فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ياليتني كنت ترابًا﴾ »[١]



(١) لم أقف عليه من هذا الطريق ، والصلت بن دينار متروك الحديث .
وروى عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٤) والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٦)والحاكم (٢/٣١٦) من طريق جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة قوله نحوه .
وقال الحاكم : جعفر الجزري هذا هو ابن برقان قد احتج به مسلم ، وهو صحيح على شرطه ، ولم يخرجاه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٤٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور .
وروى الطبري (٣٠/٢٦) والحاكم (٤/٥٧٥) من طريق عوف عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو موقوفًا نحوه أيضًا .
وقال الحاكم : رواته ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول ، وتفسير الصحابي مسند . وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : لينه سليمان التيمي .

تفسير سورة النازعات
وهي مكية كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾

قوله : ﴿والنازعات غرقًا﴾ تفسير الحسن[1]: هي النجوم تنزع من المشرق ، وتغرق في المغرب ﴿والناشطات نشطًا﴾ (ل٣٨٥) قال الحسن : هي النجوم تنشط من مشارقها إلى مغاربها ﴿والسابحات سبحًا﴾ النجوم لقوله : ﴿كلٌ في فلك يسبحون﴾[2] يدورون ﴿فالسابقات سبقًا﴾ تفسير الحسن : هي الملائكة سبقوا إلى طاعة الله ﴿فالمدبرات أمرًا﴾ الملائكة يدبر الله بهم ما أراد .

قال محمد : قيل : إن جواب (والنازعات) محذوفٌ ، المعنى - والله أعلم - : كأنه أقسم فقال : وهذه الأشياء لتُبْعَثُنّ[3].

﴿يوم ترجف الراجفة﴾ النفخة الأولى ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الأخرى . ﴿قلوبٌ يومئذ واجفة﴾ مضطربة شديدة الاضطراب ﴿أبصارها﴾ أبصار تلك القلوب ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿يقولون﴾ يقول المشركون في الدنيا : ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ أي : في أول خلقنا ﴿إذا[4]﴾ كنا

---

(١) رواه الطبري (٣٠/٢٨) .

(٢) الأنبياء : ٣٣.

(٣) انظر الدر المصون (٦/٤٧٠) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ﴿إذا﴾ على الإخبار ، وقرأ باقي السبعة ﴿أءذا﴾ على الاستفهام . النشر (١/٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٥٧٠) .

عظامًا نخرة﴾ بالية ينكرون البعث .

قال محمد : يقال : رجع فلان في حافرته إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه[١].

﴿تلك إذًا كرة خاسرة﴾ كاذبة ؛ أي : ليست بكائنة .

قال محمد : وقيل : المعنى : تلك إذًا رجعةٌ يخسر فيها ، قال الله ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي : نفخة ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ أي : بالأرض قد خرجوا من بطنها .

قال محمد : الساهرة عند أهل اللغة : وجه الأرض ، وهو معنى قول يحيى[٢].

﴿هَلْ أَتَنٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَنٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَنٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أي : قد أتاك ﴿إذ ناداه ربه بالوادي المقدس﴾ يعني : المبارك ﴿طوى﴾ قال الحسن : المعنى : طُوِيَ بالبركة .

قال محمد : لم يبين يحيى كيف القراءة في (طُوى) ، وذكر أبو عبيد أن الحسن كان يقرؤها (طِوًى) منونة بكسر الطاء ، على معنى : قدس مرتين . وقرأها نافع (طُوَى) بالضم غير مصروفة ، وذكر الزجاج أن من قرأها (طُوَى) بحرف نافع فهو اسم الوادي[٣].

﴿فقل هل لك إلى أن تزكّى﴾ إلى أن تؤمن ﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي : وأبين لك دين ربك ﴿فتخشى﴾ الله .

قال : ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ يعني : اليد وهي أكبر الآيات التسع التي أتاه بها .

﴿فأخذه الله نكال﴾ أي : عقوبة ﴿الآخرة والأولى﴾ قال مجاهد[٤]: الآخرة قوله : ﴿أنا ربكم

---

(١) لسان العرب (حفر) .

(٢) لسان العرب (سهر) .

(٣) قرأ ابن عامر والكوفيون بالتنوين ، وقرأ الباقون بغير تنوين . ينظر النشر (٢/٣١٩) . وينظر توجيه القراءتين في الدر المصون (٩/٦) .

(٤) رواه الطبري (٣٠/٤١) .

الأعلى﴾(١) والأولى قوله : ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾(٢) فعذبه به الله في الدنيا بالغرق ، ويعذبه في الآخرة بالنار .

﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ تفسير الحسن : لمن يخشى أن يفعل به ما فعل بفرعون وقومه فيؤمن .

قال محمد : (نكال) منصوب مصدر مؤكد ؛ لأن معنى (أخذه الله) : نكّل الله به نكال الآخرة والأولى(٣).

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها﴾ بغير عمد ﴿رفع سمكها فسوّاها﴾ بينكم (وبينها)(٤) مسيرة خمسمائة عام قال : ﴿وأغطش ليلها﴾ أظلم ليلها ﴿وأخرج ضحاها﴾ شمسها ونورها قال : ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ بسطها بعد خلق السماء .

قال محمد : من قرأ ﴿والأرضَ﴾ بالنصب ﴿بعد ذلك دحاها﴾ فالمعنى : ودحا الأرض بعد ذلك ، وكذلك قوله بعد هذا : ﴿والجبال أرساها﴾ تفسير نصب الجبال ؛ كتفسير نصب الأرض(٥).

= وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .

(١) النازعات : ٢٤.

(٢) القصص : ٣٨.

(٣) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر الدر المصون (٦/ ٤٧٤) .

(٤) مشتبهة في الأصل .

(٥) وهي قراءة العامة ؛ أي : بنصب (الأرض والجبال) على إضمار فعل مفسر بما بعده . وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وأبو حيوة وأبو السمال وعمرو بن عبيد بالرفع على الابتداء ، وعيسى برفع (الأرض) فقط . ينظر الدر المصون (٤٧٥/٦) .

قال يحيى : وكان بدء خلق الأرض فيما بلغنا أنها كانت طينة في موضع بيت المقدس ، ثم خلق السمٰوات ، ثم دحا الأرض فقال لها : اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا ، ومن مكة بسطت الأرض ، ثم جعل فيها .

جبالها وأنهارها وأشجارها قال : ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها﴾ أثبتها جعلها أوتادًا للأرض ؛ لئلا تتحرَّكَ بمن عليها ﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ تستمتعون به إلى الموت .

قال محمدٌ : (متاعًا) منصوبٌ على معنى : أَخرج منها ماءها ومرعاها للإمتاع لكم[١] .

﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ النفخة الآخرة ﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ أي : يُحَاسب الناس بأعمالهم ﴿فأما من طغى﴾ كفر ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ لم يؤمن بالآخرة ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ .

﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي : موقفه بين يدي الله ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ يعني : عن هواها ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ أي : هي منزلُه .

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ مَجِيئُهَا ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ تفسير الكلبي : فيمَ أنت من أن تسأل عنها ولمْ أخبرك بها متى تجيء .

﴿إلى ربك منتهاها﴾ منتهى علم مجيئها ﴿إنما أنت منذرُ من يخشاها﴾ إنما يقبل نَذَارتك من يخشى الساعة ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ أي : أو ضحوة تضحى(...)[٢] الدنيا (...)[٢] .



---

(١) أي : بالنصب على أنه مفعول لأجله ، وقيل غير ذلك . ينظر : الدر المصون (٦/٤٧٦) .

(٢) طمس في الأصل .

(ل٣٨٦) تفسير سورة عبس
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٢﴾

قوله : ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ أي : لأن جاءه الأعمى ؛ كان النبي ﷺ مع رجلٍ من المشركين من وجوههم وأشرافهم وهو يدعوه إلى الإسلام ورجا أن يؤمن ؛ فيتّبعه ناسٌ من قومه فهو يكلمه ، وقد طمع في ذلك منه ؛ إذ جاء ابنُ أمِّ مكتوم وكان أعمى ؛ فأعرض النبي ﷺ عنه ، فجعل ابن أم مكتوم لا يتقارُّ لما أعرض عنه النبي مخافة أن يكون حدث فيه شيء ، فأنزل الله : ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾[1].

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٣٣٣١) والطبري في تفسيره (٣٠/٥٠) والحاكم (٢/٥١٤) وابن عبدالبر في التمهيد (٢٤/٣٢٥) والواحدي في أسباب النزول (٣٢٥ - ٣٢٦) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، عن أبيه ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها .

ورواه ابن حبان (٢/٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٥٣٥) من طريق عبدالرحيم بن سليمان عن هشام بن عروة به .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم » ولم يذكر فيه عائشة .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة .

قال الذهبي : قلت : وهو الصواب .

ورواه الإمام مالك في الموطأ (١/١٨٠ رقم ٨) عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلًا .

﴿وما يدريك لعلَّهُ يزّكّى﴾ يؤمن ﴿أو يذكّر فتنفعه الذكرى﴾ قال السُّدي : المعنى : لعله : يزّكى ويذّكّر والألف صلة[1] ﴿أما من استغنى﴾ عن الله ﴿فأنت له تصَّدَّى[2]﴾ تتعرّض ﴿وما عليك ألا يزّكّى﴾ ألا يؤمن ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ يسارع في الخير ﴿وهو يخشى﴾ الله ؛ يعني : ابن أم مكتوم ﴿فأنت عنه تلهّى﴾ تعرض ﴿كلا إنها تذكرة﴾ أي : هذا القرآن تذكرة ﴿فمن شاء ذكره﴾ وقال في آية أخرى : ﴿وما تذكرون إلا أن يشاء الله﴾[3].

قال محمدٌ : من قرأ (فتنفعه) بالرفع فعلى العطف على (تزكى) ومن قرأ (فتنفعه) بالنصْب فعلى جواب (لعلّ)[4] وقوله : ﴿تلهى﴾ يقال : لَهيتُ عن الشيء ألهى عنه إذا تشاغلت عنه[5].

﴿في صحفٍ مكرمة مرفوعة﴾ عند الله في السماء ﴿مطهّرة﴾ من الدَّنَس ﴿بأيدي سفرة﴾

= ورواه ابن سعد في الطبقات (٢٠٨/٤) عن أبي معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلاً .

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (٣٢٤/٢٤) : وهذا الحديث لم يختلف الرواة عن مالك في إرساله ، وهو يسند من حديث عائشة من رواية يحيى بن سعيد الأموي ويزيد بن سنان الرهاوي ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومالك أثبت من هؤلاء .

ورواه ابن جريج عن هشام عن أبيه عروة بمثل حديث مالك .

وروى وكيع عن هشام عن أبيه عروة « في قوله عز وجل : ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ قال : نزلت في ابن أم مكتوم » . اهـ .

وقال الدارقطني في العلل (٥/ق ٤٠ - ١) : يرويه هشام بن عروة ، واختلف عنه ؛ فرواه عبدالرحيم بن سليمان ويحيى بن سعيد الأموي وأبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، واختلف عن أبي معاوية : فأسنده عنه عبدالله بن هاشم الطوسي ، وغيره يرسله ، وكذلك رواه مالك بن أنس وغيره عن هشام عن أبيه مرسلاً ، وهو الصحيح . اهـ .

وانظر : تفسير الطبري (٥١/٣٠ - ٥٢) وتفسير ابن كثير (٤٧٠/٤ - ٤٧١) وتخريج أحاديث الكشاف (١٥٥/٤ - ١٥٧) والدر المنثور (٣٥٠/٦ - ٣٥١) .

(١) أي زائدة ، و(أو) بمعنى الواو . وقد تقدم مثل هذا مرارًا .

(٢) هكذا في الأصل بتثقيل الصاد ، وهي قراءة المدنيين وابن كثير ، وقرأ الباقون بتخفيفها . ينظر : النشر (٣٩٨/٢) ، الدر المصون (٤٧٩/٦) .

(٣) المدثر : ٥٦، وهي قراءة نافع بالخطاب ، وقرأها الباقون بالغيب « يذكرون » . النشر (٣٩٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٥٦٢) .

(٤) قرأ عاصم بنصب العين ، وقرأ الباقون برفعها . ينظر : النشر (٣٩٨/٢) ، الدر المصون (٤٧٨/٦) .

(٥) يقال : لَهِيَ عن الشيء يَلْهَى : سلا عنه ، ولَهَا به يَلْهُو : لعب به . لسان العرب (لهو) .

كَتَبة ؛ يعني : الملائكة ﴿كرام بررة﴾ لا يعصون الله .

قال محمدٌ : واحد السَّفَرة : سافِرٌ مثل كاتب وكَتَبَة ، ويقال : إنما قيل للكتاب : سِفْرٌ ، وللكاتب : سافِرٌ ؛ لأن معناه : أن يُبَيِّنَ الشيء ويوضحه ، ومنه سفرت المرأة إذا كشفت النِّقاب عن وجهها[١] ، وبررة جمع بارّ[٢] .

قوله : ﴿قُتِلَ الإنسان﴾ أي : لُعِنَ ؛ وهذا للمشرك ﴿ما أكفره﴾ تفسير الكلبي : ما أشدَّ كفره : ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ نطفة ثم علقة إلى أن نفخ فيه الروح ﴿ثم السبيل يسَّره﴾ تفسير بعضهم : يعني : خروجه من بطن أمّه ﴿ثم أماته فأقبره﴾ جعل له من يدفنه في القبر ﴿ثم إذا شاء أَنْشره﴾ أحياه ؛ يعني : البعث ؛ أي : كيف يكفر؟! كقوله : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا ...﴾[٣] الآية .

قال محمدٌ : يقال : أقبرتُ الرجلَ جعلتُ له قبْرًا ، وقَبَرْتُه دَفَنْتُه[٤] ، ويقال : أنشر اللهُ الموتى فنشروا ، فواحدهم : ناشِرٌ[٥] .

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قال : ﴿كلا لما يقض﴾ أي : يصنع ﴿ما أمره﴾ يعني : الكافر لم يصنع ما أمره الله . ثم ضرب مثلاً آخر فقال : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ من أي شيء كان ﴿أنا صببنا الماء صبًّا﴾ يعني : المطر ﴿ثم شققنا الأرض شقًّا﴾ أي : بالنبات إلى قوله : ﴿وحدائق غلبًا﴾ قال الكلبي : يعني : شجرًا

---

(١) لسان العرب (سفر) .

(٢) لسان العرب(برر) .

(٣) البقرة : ٢٨.

(٤) لسان العرب (قبر) .

(٥) لسان العرب (نشر) .

طُوالاً عراضًا ﴿وفاكهة وأبًّا﴾ قال الحسن[١]: الفاكهة : ما تأكلون ، والأبُّ : ما تأكل الأنعام[٢].

﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ أي : رزقًا إلى الموت ﴿فإذا جاءت الصَّاخة﴾ اسْمٌ من أسماء القيامة يُصيخُ لها الخلق من الفَرَقِ[٣].

﴿لكل امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾

قال محمدٌ : من قرأ (يغنيه) بالغين منقوطة ، فالمعنى : يصرفه ويَصُدُّه عن قرابته ، يقال : أَغْنِ عني وجهَك ؛ أي : اصرفه[٤].

﴿وجوهٌ يومئذٍ مسفرة﴾ يعني : ناعمة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ برضى الله .

قال محمدٌ : (مُسْفِرة) حقيقته : مُضِيئة ، يقال : أسفر الصبح إذا أضاء[٥].

﴿ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة﴾ أي : يغشاها سوادٌ ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ .



---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٣٤٩) والطبري (٣٠/ ٥٩، ٦٠) .

(٢) وقيل : الأب : مُطْلق المرعى ، وقيل : يابس الفاكهة . وقيل غير ذلك . لسان العرب (أبب)، الدر المصون (٦/٤٨٢) .

(٣) أي : الخوف الشديد . لسان العرب (فرق) .

(٤) العامة على (يغنيه) من الإغناء ، وابن محيصن والزهري وابن أبي عبلة وحميد وابن السميفع : (يعنيه) بفتح الياء ، وبالعين المهملة من قولهم : عناني الأمر ، أي : قصدني . الدر المصون (٦/٤٨٢) .

(٥) لسان العرب (سفر) .

تفسير سورة إذا الشمس كُوِّرت
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

قوله : ﴿إذا الشمس كورت﴾ تفسير الحسن يعني : ذهب ضَوْؤُها .

قال محمدٌ : (كُوِّرت) حقيقتُه : جُمِعَ ضَوْؤها ، ومن كلامهم : كُرْتُ العمامة على رأسي أكُورُها وكَوَّرْتُها أُكَوِّرُها إذا لَفَفْتَها وهو الذي أراد الحسن[1] ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ انتثرت ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ تذهب تصير في حالات أمّا أول ما تُحوَّلُ عن منزلة الحجارة ، فتكون كثيبًا[2]، وتكون كالعهن المنفوش[3]، وتكون هباءً منبثًّا[4]، وتكون سرابًا[5]؛ مثل هذا السراب تراه وليس بشيء .

﴿وإذا العشار عطلت﴾ وهي النوق عطَّلها أهلها فلم تُحْلَب من الشُّغل بأنفسهم .

(ل٣٨٧) **قال محمد** : (العِشارُ) من الإبل : الحوامل ، واحدها : عشَرَاءُ ، وهي التي أتى عليها

---

(١) لسان العرب (كور) .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ (المزمل : ١٤) .

(٣) كما في قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ (القارعة : ٦) .

(٤) كما في قوله تعالى : ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ (الواقعة : ٦) .

(٥) كما في قوله تعالى : ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ (النبأ : ٢٠) .

في الحبل عشرة أشهر، ثم يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعدما تضع[1].

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ جمعت؛ ليقتصّ لبعضها من بعض ثم يقال لها: كوني ترابًا ﴿وإذا البحار سُجِّرت﴾ قال الحسن: يعني: فاضت.

قال محمد: سُجِّرت حقيقته: مُلِئَت[2]، فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئًا واحدًا؛ وهو معنى قول الحسن.

﴿وإذا النفوس زُوِّجت﴾ تفسير الحسن[3]: أي: تلحق كل شيعة بشيعتها: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقات، والمؤمنون بالمؤمنات.

﴿وإذا الموءدة سُئلت﴾ وهي بنات أهل الجاهلية كانوا يدفنونهنَّ أحياءً، لخصلتين: أمّا إحداهما فكانوا يقولون: إن الملائكة بناتُ الله، فألحقوا البنات به فهو أحقُّ بهنّ، وأمّا الخصلة الأخرى: فمخافة الحاجة.

﴿بأي ذنب قتلت﴾ قال الحسن: أراد الله أن يوبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتِلت بغير ذنب فسُئلتْ فلم يوجد لها ذنب، وبعضهم يقرأ: (وإذا الموءدةُ سألت بأي ذنب قتلت)[4]؛ فتتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأي ذنب قتلتني؟!

قال محمد: يقال وأدتُ المولودَ إذا دفنته حيًا، فأنا وائدٌ، والمصدر إدَةٌ.

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ للحساب وهو ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم ﴿وإذا السماء كشطت﴾ أي: طويت، وقال مجاهد[5]: يعني: اجتبذت.

---

(١) وقيل: يظل اسمها عُشراء إلى أن تضع في تمام السنة، وكذلك يقال في جمع نفساء: نِفَاس. ينظر الدر المصون (٦/ ٤٨٤)، لسان العرب (عشر).

(٢) لسان العرب (سجر).

(٣) رواه الطبري (٣٠/ ٧٠).

(٤) العامة على (سُئلت) مبنيًا للمفعول، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس (سألت) مبنيًا للفاعل. ينظر الدر المصون (٦/ ٤٨٦)

(٥) روى الطبري في تفسيره (٣٠/ ٧٣) عن مجاهد قوله: ﴿كشطت﴾ قال: جذبت.

قال محمد : يقال كشطت السقف أي : قلعته ، فكأن المعنى : قُلِعَت فطُويت .

﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أوقدت ، وهي توقد منذ خلقت (...)[١] السموات والأرض في الستة الأيام ﴿وإذا الجنةُ أُزلفت﴾ أُدنيتْ ﴿علمت نفسٌ ما أحضرت﴾ من عملها .

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

﴿فلا أقسم﴾ المعنى : فأقسم « ولا » صلة ﴿بالخُنَّس﴾ تفسير الحسن[٢]: هي النجوم تخنِسُ بالنهار ؛ أي : تتوارى ، وهي في ذلك جارية ﴿الجواري﴾[٣] يعني : جريها في السماء ﴿الكُنَّس﴾ تفسير الكلبي : يعني : أنها تكنس بالنهار كما تتوارى الظباء في كِنَاسِها ﴿والليل إذا عسعس﴾ تفسير الحسن[٤]: إذا أظلم .

قال محمد : قال قومٌ : عسعس الليل عَسْعَسَةً إذا أظلم ، وقيل : عسعس أدبر[٥]، وأنشد بعضهم :

حَتَّى إذا الصُّبحُ لها تَنَفَّسَا   وانجَابَ عنها لَيْلُهَا وعَسْعَسَا[٦]

﴿والصبح إذا تنفس﴾ إذا أضاء أقسم بهذا كله ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني : جبريل يرسله الله إلى النبيين ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾ في المنزلة والقربة ﴿مطاع ثمّ﴾ يعني : في السماء . قال الحسن : أمر الله أهل السماء بطاعة جبريل ، كما أمر أهل الأرض أن يطيعوا محمدًا

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٣٥٢) والطبري (٣٠/٧٥) .

(٣) كذا بالياء ، وقد وقف عليها يعقوب بالياء . إتحاف الفضلاء (١٤١) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٣٠/٧٨) .

(٥) لسان العرب (عسعس) .

(٦) البيت من الرجز ، وهو للعجاج . ينظر : الكشاف (٤/ ١٨٩) والدر المصون (٦/ ٤٨٧) ونسبه القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٣٨) إلى علقمة بن قرط . وينظر البحر المحيط (٨/ ٤٣٠) .

﴿أمينٌ﴾ عند الله وعند الملائكة .

﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني : محمدًا ﷺ وذلك لقول المشركين : إنه مجنونٌ ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ يعني : المشرق الذي منه مطالع النجوم والشمس والقمر ؛ يعني : أن محمدًا رأى جبريل في صورته مع الأفق فسدّ ما بين السماء والأرض ﴿وما هو على الغيب﴾ الوحي ﴿بضنين﴾ ببخيل يبخل عليكم به ، وبعضهم يقرأ (بظنين) أي : بِمُتَّهَم[1] ﴿وما هو﴾ يعني : القرآن ﴿بقول شيطان رجيم﴾ ملعون ﴿فأين تذهبون﴾ تعدلون عنه يقوله للمشركين ﴿إن هو﴾ يعني : ما هو[2]؛ أي : ما القرآن ﴿إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يعني : من آمن به يذكرون به الآخرة ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ على أمر الله والتذكرة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ .



(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس ، وقرأ الباقون بالضاد . ينظر : النشر (٢/ ٣٩٩)، الدر المصون (٦/ ٤٨٧) .

(٢) أي أنّ (إنْ) المخففة بمعنى (ما) النافية . ينظر : مغني اللبيب (١/ ٤١ - ٤٣) .

تفسير سورة إذا السماء انفطرت

وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

قوله : ﴿إذا السماء انفطرت﴾ يعني : انشقَّت ؛ وذلك يوم القيامة ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت ﴿وإذا البحار فجرت﴾ فُجر ملحها في عَذْبها ، وعذبُها في مِلحها في تفسير قتادة[١] ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أُخرج ما فيها من الأموات ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ ما قدمت من خير أو شرّ ، وما أخّرت من سُنَّةٍ حسنةٍ ، فعُمِل بها بعده فله مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا ، أو سُنَّة سيئة فعمل بها بعده فعليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا .

﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ فقال : غرّه حُمقه وجهلُه .

قال محمد : معنى (غرّك) أي : خدعك (ل٣٨٨) وسوّل لك[٢]؛ حتى أضعت (...)[٣]

(١) رواه الطبري (٣٠/٨٥) .

(٢) لسان العرب (غرر) .

(٣) طمس في الأصل قدر كلمتين .

﴿الذي خلقك فسوّاك﴾ يعني: سوى خَلْقك ﴿فعدّلك﴾[1] يعني: اعتدال الخلق؛ أي: جعل عينيك سواء، ويَديك سواء، ورجليك سواء، وجنبيك سواء.

﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ تفسير مجاهد: إن شاء حسنًا، وإن شاء قبيحًا، وإن شاء ذكرًا، وإن شاء أنثى.

﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ بالحساب يوم القيامة ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ يعني: الملائكة التي تكتب أعمال العباد ﴿كرامًا﴾ على الله.

﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من الظَّاهر فيكتبونه.

﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ في الجنة ﴿وإن الفجار﴾ يعني: المشركين ﴿لفي جحيم﴾.

﴿وما هم عنها﴾ عن النار ﴿بغائبين﴾.

﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ ثنّى ذكره تعظيمًا له ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا﴾ أي: لا تنفعها ﴿والأمر يومئذ لله﴾



(١) قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر (٢/ ٣٩٩)، إتحاف الفضلاء (٥٧٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٦).

تفسير سورة المطففين
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾

قوله : ﴿ويلٌ للمطففين﴾ في الآخرة ؛ أي : يدعون بالويل والثبور في النار ، بلغني أنها نزلت في مشركي أهل مكة ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ .

قال محمد : ﴿ويل﴾ رفع بالابتداء ، والخبر ﴿للمطففين﴾[1] والويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب وهلكة[2]، والمطفِّفون : الذين ينقصون المكيال والميزان[3]، وقوله : ﴿على الناس﴾[4] أي : من الناس ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾ أي : كالوا لهم أو وزنوا لهم[5] ﴿يخسرون﴾ يقال : أخسرت الميزان ، وخسرته[6] والقراءة على (أخسرتُ)[7].

---

(١) الدر المصون (٦/ ٤٩٠) .

(٢) لسان العرب (ويل) .

(٣) واحدهم : مطفّف . ينظر لسان العرب (طفف) .

(٤) أي : أن (على) بمعنى (من) ينظر الدر المصون (٦/ ٤٩٠) ، مغني اللبيب .

(٥) الأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين لأحدهما بنفسه بلا خلاف ، وللآخر بحرف الجر ، ويجوز حذفه . الدر المصون (٦/ ٤٩٠) .

(٦) لسان العرب (خسر) .

(٧) وهي قراءة العامة تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٢) .

قوله : ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ .

يحيى : بلغني أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم .

يحيى : عن خداش ، عن عوف الكوفي ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « ما طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كرجلٍ دخل في صلاة مكتوبة فأتمها وأحسنها وأجملها »[1]

﴿كلا إن كتاب الفجار﴾ المشركين ﴿لفي سجين﴾ تفسير ابن عباس[2] قال : سألت كعبًا عن قوله : ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ فقال : حجر أسود تحت الأرض السابعة تكتب فيه أرواح الكفار .

قال : ﴿وما أدراك ما سجين﴾ أي : ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك ، ثم فسّره فقال : ﴿كتاب مرقوم﴾ أي : مكتوب .

﴿وما يُكذّب به إلا كل معتدٍ﴾ أي : ظالم ﴿أثيم﴾ آثمٌ ؛ وهو المشرك ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال

---

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق ، غير أن الإمام أبا المظفر السمعاني قال في تفسيره (٦/ ٤٥) عند ذكر يوم القيامة : وروى الحسن مرسلًا وأبو سعيد الخدري مسندًا في بعض الغرائب من الروايات : « إن الله تعالى يخففه على المؤمنين فيجعله بقدر صلاة مكتوبة خفيفة » . اهـ .

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ رواه الإمام أحمد (٣/ ٧٥) وأبو يعلى (٢/ ٥٢٧ رقم ١٣٩٠) والطبري في تفسيره (٢٩/ ٧٢) وابن أبي الدنيا في الأهوال (١٣١ رقم ١٠٣) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٤) والبغوي في تفسيره (٨/ ٢٢١) وفي شرح السنة (١٥/ ١٢٩ رقم ٤٣١٨) من طريق دراج أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ﷺ .

وقال ابن عدي : وهذا رواه الأوزاعي ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . رواه عنه الوليد بن مسلم .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٩) : إلا أن دراجًا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان ، والله أعلم .

وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٧٨) .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٧) : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناده حسن على ضعف في راويه . اهـ .

والحديث الذي أشار إليه ابن عدي رواه أبو يعلى (١٠/ ٤١٥ رقم ٦٠٢٥) وابن حبان (١٦/ ٣٢٨ رقم ٧٣٣٣) من طريق الوليد بن مسلم به ، ولفظه : « يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة ، فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب » .

وجوّد العراقي إسناده ، تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٧٨) .

(٢) انظر الدر المنثور (٦/٣٦١) .

أساطير الأولين﴾ كذبُ الأولين وباطلهم ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ قال الكلبي : يعني : طبع على قلوبهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾ .

قال محمد : واحد (الأساطير) : أسطورة ؛ مثل : أحدوثة وأحاديث[1]، ومعنى (كلا) عند أهل اللغة ردعٌ وتنبيهٌ[2]، و(ران) بمعنى غطًى ؛ يقال : ران على قلبه الذَّنْبُ يرينُ رَيْنًا[3].

﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ يحتجب الله عن المشركين فلا يرونه ، وأمّا المؤمنون فيرونه في كل جمعة فيتجلَّى لهم ؛ حتى ينظروا إليه .

﴿هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ في الدنيا يقال ذلك للمشركين وهم في النار .

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾

﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ تفسير مجاهد[4]: عليون في السماء السابعة قال : ﴿وما أدراك ما عليون﴾ أي : أنك لم تدر ما عليون؟ حتى أعلمتك ﴿كتابٌ مرقومٌ﴾ مكتوبٌ ؛ يكتب في عليين ﴿يشهده المقرّبون﴾ مقرّبو أهل كل سماء يشهدون كتاب عمل المؤمن حيث يكتب فيه ، ويشهدون عليهم يوم القيامة أنها أعمالهم .

---

(١) وواحدها أيضًا : إسطار : وإسطير وأسطور ، وبالهاء في الثلاثة . ينظر لسان العرب (سطر) .

(٢) انظر مغني اللبيب (١/ ٣١٩ - ٣٢١) .

(٣) والرَّيْن والرَّان بمعنًى . لسان العرب (رين) .

(٤) رواه الطبري (٣٠/١٠١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦/٣٦٤) لعبد بن حميد .

﴿على الأرائك ينظرون﴾ الأرائك السُّرُر في الحجال، قال مجاهد[1]: وهي سُرُر من لؤلؤ وياقوت.

﴿يسقون من رحيق﴾ يعني: الشراب، وهي الخمر ﴿مختوم ختامه مسكٌ﴾ قال مجاهد: يختم به آخر جرعة.

قال محمد: يعني: أنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشربُ، انختم ذلك بطعم المسك ورائحته.

قال: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ في الدنيا بالأعمال الصالحة قال: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ ومزاج ذلك الشراب من تسنيم ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ قال قتادة: يشرب بها المقربون صرفًا، وتمزج لسائر أهل الجنة. و(تسنيم) أشرف شراب في الجنة.

قال: ونصب (عينًا) لأن المعنى من عين[2]؛ كما قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾[3] أي: من طين.

﴿إن الذين أجرموا﴾ أشركوا ﴿كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ في الدنيا؛ أي: يسخرون بهم ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ كان المشركون إذا مرّ عليهم النبي عليه السلام وأصحابه يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا (ل٣٨٩) يطلبون بذلك - زعموا - نعيم الآخرة ﴿وإذا انقلبوا﴾ يعني: المشركين ﴿إلى أهلهم﴾ في الدنيا ﴿انقلبوا فاكهين[4]﴾ أي: مسرورين ﴿وإذا رأوهم﴾ رأوا أصحاب النبي عليه السلام ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ يتركون شهواتهم في الدنيا.

قال الله: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ يحفظون أعمالهم يعني: المشركين ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ تفسير الحسن: هذه والله الدولة الكريمة التي أدال الله المؤمنين على

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٠٤/٣٠).

(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى. ينظر الدر المصون (٦/ ٤٩٤).

(٣) الإسراء: ٦١.

(٤) قرأ حفص ﴿فكهين﴾ بغير ألف، واختلف عن ابن عامر، وقرأ باقي السبعة ﴿فاكهين﴾ بالألف. النشر (٣٥٤/٢ - ٣٥٥) وإتحاف الفضلاء (٥٧٦).

المشركين في الآخرة ، فهم يضحكون منهم ، وهم متكئون على فرشهم ينظرون كيف يعذبون ؛ كما كان الكفّار يضحكون منهم في الدنيا والجنة في السماء .

قال الحسن : قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالمستهزئين يوم القيامة فيفتح لهم بابٌ إلى الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا ؛ فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون ، ثم يدعون فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون ، فيدعون ليدخلوا فإذا جاءوا أغلق دونهم حتى إنهم يدعون فما يجيئون من اليأس»[١].

قوله : ﴿هل ثوب الكفار﴾ هل جوزي الكفار؟ ﴿ما كانوا يفعلون﴾ أي : قد جوزوا شرّ الجزاء .



---

(١) تقدم تخريجه في أول تفسير سورة البقرة ، عند الآية : ١٥.

تفسير سورة إذا السماء انشقت

وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

قوله : ﴿إذا السماء انشقت﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وأذنت لربها﴾ سمعت وأطاعَتْ ﴿وحُقت﴾ وحُقَّ لها أن تفعل ﴿وإذا الأرض مُدَّتْ﴾ تُمَدّ مدَّ الأديم ؛ وهذا إذا بُدلت بأرض بيضاء ؛ كأنّها فضّةٌ لم يُعمَل عليها خطيئة ﴿وألقت﴾ أخرجت ﴿ما فيها﴾ يعني : الأموات ﴿وتخلّت﴾ إلى الله منهم ، فصاروا على (...)[1] ﴿وأذنت لربها وحُقّتْ﴾ هي مثل الأولى .

قال محمدٌ : يقال : أَذِنتُ للشيء آذَنُ أَذَنًا إذا استمعت[2]. قال الشاعر :

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيرًا ذُكِرْتُ به وإن ذُكِرْتُ بسوءٍ عندهم أَذِنُوا[3]

قوله : ﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحًا﴾ أي : عامل إلى ربك عملاً ﴿فملاقيه﴾ فمُلاقٍ ثواب ذلك العمل ؛ إن خيرًا فخيرٌ ، وإن شرًّا فشرٌّ .

قال محمدٌ : الكَدْحُ في اللغة : السَّعْيُ والدُّءوبُ في العمل في باب الدنيا وفي باب الآخرة .

---

(١) كلمة لم تظهر لعيب في التصوير ولعلها : ظهرها .

(٢) لسان العرب (أذن) .

(٣) البيت من بحر البسيط ، وهو لقعنب بن أم صاحب . ينظر : لسان العرب (أذن) ، مغني اللبيب ، تفسير القرطبي (٢٦٩/١٩) .

وجواب (إذا) يدل عليه فملاقيه، المعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله[١].

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه ...﴾ الآية «سألت عائشة النبي ﷺ عن الذي يحاسب حسابًا يسيرًا فقال: يُعرَّف بعمله، ثم يتجاوز الله عنه»[٢] ﴿وينقلب إلى أهله﴾ إلى أزواجه من الحور العين ﴿مسرورًا﴾ ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ تُخلعُ كتفُه اليسرى فتُجعَل خلفه فيأخذ بها كتابه ﴿فسوف يدعو ثبورًا﴾ في النار يقول: يا ويلاه! ويا ثبوراه! ﴿ويُصلى[٣] سعيرًا﴾ أي: يُكْثر عذابه، ويشوى في النار ﴿إنه كان في أهله﴾ في الدنيا ﴿مسرورًا﴾ لا يؤمن بالبعث ﴿إنه ظن﴾ حسِبَ ﴿أن لن يحورَ﴾ أي: يرجع إلى ربه.

قال محمدٌ: حار يحور حَوْرًا وحُئُورًا؛ أي: رجع[٤]، وقال لبيدٌ:

وما المرءُ إلا كالشِّهاب وضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بعد إذ هُوَ سَاطِعُ[٥]

قوله: ﴿بلى إن ربَّهُ كان به بصيرًا﴾ أي: أنه سيبْعَثُه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) وإلى هذا ذهب الأخفش. ينظر: الدر المصون (٤٩٦/٦).

(٢) روى البخاري (٥٧٦/٨ - ٥٧٧ رقم ٤٩٣٩) ومسلم (٢٢٠٤/٤ - ٢٢٠٥ رقم ٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك. قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله - عز وجل -: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾! قال: ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك».

(٣) هكذا في الأصل بضم الياء؛ حيث قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام، والباقون بالضم والفتح والتثقيل، وقرأ أبو الأشهب ونافع وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهم (يُصْلى) بضم الياء وسكون الصاد من (أصْلى) ينظر: النشر (٣٩٩/٢) الدر المصون (٤٩٦/٦).

(٤) لسان العرب (حور).

(٥) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان لبيد (١٦٩)، الدر المصون (٤٩٨/٦)، الكشاف (١٩٨/٤)، تفسير القرطبي (٢٧٣/١٩).

﴿فلا أقسم بالشفق﴾ يعني : الحمرة إذا غابت الشمس ما بين المغرب والعشاء ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع مما عمل فيه الخَلْق من خير أو شرٍّ ﴿والقمر إذا اتسق﴾ إذا استوى فاستدار ، وهذا قسمٌ من قوله : ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ إلى هذا الموضع أقسم بهذا كله ﴿لتركبُن طبقًا عن طبق﴾ أي : حالاً بعد حالٍ ؛ في تفسير الحسن[1].

﴿فما لهم﴾ يعني : المشركين ﴿لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ لا يصلون ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ أي : يخفون في صدورهم .

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ﴾ ثوابٌ وهي الجنة ﴿غير ممنون﴾ تفسير الحسن : غير ممنون عليهم مَنٌّ أذًى .



(١) رواه الطبري (١٢٣/٣٠) .

تفسير سورة والسماء ذات البروج
وهي مكية كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾

قوله : ﴿والسماء ذات البروج﴾ تفسير ابن عباس : ذات النجوم ﴿واليوم الموعود﴾ يعني : يوم القيامة ﴿وشاهد﴾ يعني : يوم الجمعة ﴿ومشهود﴾ يعني : يوم عرفة ؛ هذا تفسير الحسن ، ورواه عن النبي ﷺ.[1] قوله : ﴿قُتِل﴾ لُعِنَ ﴿أصحاب الأُخدود النار ذات الوقُود ...﴾ إلى قوله ﴿شهود﴾ الأخدود : الشقّ في الأرض ، وجمعُه : أخاديد[2]. قال الحسن : كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجُلٍ وامرأة ، فأخذهم المشركون ، فخدوا لهم أُخدودًا في الأرض ، ثم أوقدوا لهم نارًا ضخمة ثم (...)[3] (ل ٣٩٠) فجعلوا يقولون للرَّجل وللمرأة منهم : إمّا أن تترك دينك وإمّا أن نقذفك في النار . فيقول : ما أنا بتارك ديني لشيء! فيُقذف فيها فيحترقُ حتى أتوا عليهم ، فبقيتْ امرأة ومعها صبيٌّ فتهيَّبتْ ؛ فقال لها الصبي : امضي ولا تُنافقي ، فمضتْ فاحترقتْ .

قال يحيى : كان صغيرًا لم يتكلّم قبل ذلك ، وقال مجاهد : وذلك بنجْران .

قال : ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ﴾ من تحريقهم إياهم بالنار ﴿وما نقموا منهم﴾ ما

---

(١) لم أقف عليه من حديث الحسن ، وقد روي عن غير واحدٍ من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا وعن سعيد بن المسيب مرسلًا ، انظر : تفسير الطبري (١٢٩/٣٠ - ١٣٠) وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤ - ٤٩٢) والدر المنثور (٣٦٩/٦ - ٣٧٠) .

(٢) لسان العرب (خدد) .

(٣) كلمة مطموسة في الأصل .

كرهوا منهم ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ ما سفكوا لهم دماءً ، ولا أخذوا لهم مالاً ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ شاهِدٌ على كل نفسٍ بعملها .

﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ يعني : أحرقوهم بالنار ؛ في تفسير السُّدي .

قال محمدٌ : يقال : فتنتُ الشيء أحرقته ، والفتينُ حجارةٌ سودٌ كأنها مُحْرَقةٌ[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إن بطش ربك﴾ عقوبة ربك ﴿لشديد﴾ .

قال محمدٌ : ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ هو جوابُ القسم ﴿والسماء ذات البروج﴾[٢].

﴿إنه هو يبدئ﴾ أي : يخلق ﴿ويعيد﴾ أي : يبعث يوم القيامة ﴿وهو الغفور﴾ للذنوب ، ولا يغفر إلا لمن آمن ﴿الودود﴾ تفسير الحسن : يتودَّد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في (...)[٣]وأرزاقهم ، وما يغفر لهم من الذنوب ﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿المجيدُ﴾ يقرأ (المجيد) بالرفع والجر ؛ فمن قرأ بالرَّفع رجع إلى قوله : ﴿وهو الغفور الودودُ﴾ المجيدُ ذو العرش ، ومن قرأها بالجر جعله من صفة (العرش)[٤] وتفسير المجيد : الكريم .

﴿هل أتاك﴾ أي : قد أتاك ﴿حديثُ الجنودِ فرعَوْن وثمود﴾ كيف أهلكهم الله حين كذَّبوا رسُلَهم .

﴿والله من ورائهم محيطٌ﴾ حتى يجزيهم بأعمالهم .

---

(١) لسان العرب (فتن) .

(٢) وهو قول المبرّد . وقيل : جواب القسم : (إن الذين فتنوا) . وقيل : مقدر - وهو رأي الزمخشري - يدل عليه قوله تعالى : ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ . ينظر : الدر المصون (٦/٥٠٢) ، والكشاف (٤/١٩٩) .

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف بخفض الدال ، وقرأ الباقون برفعها . النشر (٢/٣٩٩) ، الدر المصون (٦/٥٠٤) ، تفسير القرطبي (١٩/٢٩٦ - ٢٩٧) .

قال محمدٌ: المعنى: إن قدرته مُشتملةٌ عليهم لا يعجزه منهم أحدٌ ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿بل هو قرآن مجيد﴾ كريمٌ على الله ﴿في لوحٍ محفوظٍ﴾ وهو أمُّ الكتاب .

قال محمدٌ: قال أبو عبيد: قرأ نافع: (محفوظ) بالرفع، وقرأه غيره (محفوظٍ) بالخفض والخفض في هذا أحبُّ إليَّ ليكون من نعتِ (اللَّوْح)[1].



(١) قرأ نافع برفع الظاء، وقرأ الباقون بخفضها. النشر (٢/٣٩٩)، الدر المصون (٦/٥٠٥)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٩).

تفسير سورة والسَّماء والطَّارِقِ
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۞ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۞ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۞ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۞﴾

قوله : ﴿والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾ والنجم في هذا الموضع جماعة النجوم[١]، والثاقب : المضيءُ .

قال محمد : يقال : ثَقَبَ يَثْقُب ثقُوبًا إذا أضاء ، ويقال للموقد : أثقب نارك ؛ أي : أضئها[٢]. وهذا قسم .

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ وهي تقرأ على وجهين (لما) خفيفة ، و(لمَّا) مثقلة ؛ فمن قرأها بالتخفيف يقول : لعليها حافظ و(ما) صلةٌ ، ومن قرأها بالتثقيل يقول : إلا عليها حافظ ؛ يعني : حافظًا من الملائكة يحفظ عليها عملها[٣].

قال محمد : إنما قيل للنجم : الطارق ؛ لأن طلوعه بالليل ، وكل ما أتى ليلاً فهو طارقٌ[٤].

﴿فلينظر الإنسان ممَّ خلق خلق من ماء دافق﴾ يعني : النطفة .

---

(١) وقيل غير ذلك . تفسير القرطبي (٢٠/ ١) .

(٢) لسان العرب (ثقب) .

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بالتثقيل ، والباقون بالتخفيف ، ينظر النشر (٢/ ٢٩١، ٣٩٩) ، الدر المصون (٦/ ٥٠٦) ، تفسير القرطبي (٢٠/ ٤) .

(٤) لسان العرب (طرق) .

قال محمد : (دافق) قال قوم : معناه : مَدْفُوقٌ[١]، وقال قوم المعنى : من ماءٍ ذي اندفاق[٢].

﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ يعني : صلب الرجل ، وترائب المرأة وهو نحرها .

قال محمد : الترائب موضع القلادة من الصدر ، واحدها : تريبة[٣].

﴿إنه﴾ إن الله ﴿على رجعه﴾ على أن يبعثه بعد الموت ﴿لقادر يوم تبلى السرائر﴾ أي : تختبر وتظهر ؛ يعني : سرائر القلوب ﴿فما له من قوة﴾ يمتنع بها من عذاب الله ﴿ولا ناصر﴾ ينصره وهذا المشرك ، ثم أقسم فقال : ﴿والسماء ذات الرجع﴾ بالمطر عامًا فعامًا ﴿والأرض ذات الصدع﴾ بالنَّبات ﴿إنه﴾ يعني : القرآن ﴿لقولٌ فصل﴾ حقٌّ ﴿وما هو بالهزل﴾ بالكذب .

قال محمد : (الرجع) في اللغة : المطر سمِّيَ بذلك ؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر[٤].

﴿إنهم يكيدون كيدًا﴾ يعني : المشركين يكيدون بالنبي ﷺ ﴿وأكيد كيدًا﴾ أي : أعذبهم في الدنيا والآخرة .

قال محمد : ﴿وأكيد كيدًا﴾ يعني : أجازيهم جزاء كيدهم[٥]؛ وهو معنى ما ذهب إليه يحيى .

﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ أي : قليلاً ؛ وهذا وعيدٌ . تفسير الكلبي : يعني : يوم بدر .

قال محمد : ﴿رويدًا﴾ صفة للمصدر ؛ المعنى : أمهلهم إمهالاً رويدًا[٦].



---

(١) وهو رأي الفراء والأخفش .

(٢) وهو رأي الزجاج ، ومذهب سيبويه . ينظر تفسير القرطبي (٢٠/ ٤) ، الدر المصون (٦/ ٥٠٦) .

(٣) وقيل : الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين . المعجم الوسيط (ترب) .

(٤) لسان العرب (رجع) .

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١١) .

(٦) الدر المصون (٦/ ٥٠٨) ، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢) .

تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

(ل ٣٩١) قوله : ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ صلِّ لربك الأعلى ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾ أي : قدره في خلقه نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظمًا ، ثم لحمًا ، ثم شعرًا ، ثم نفخ فيه الروح ، قال : ﴿فهدى﴾ بين له السبيل : سبيل الهدى ، وسبيل الضلالة ؛ في تفسير الحسن ﴿والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾ فيها تقديم : فجعله أحوى غثاء[1]، والأحوى عند الحسن : الأسود من شدة الخضرة ، والغثاء : الهشيم اليابس ، وهو كقوله : ﴿فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾[2] أي : فصار هشيمًا بعد إذ كان خضرًا .

قال محمد : الحُوَّة : السَّوادُ ؛ ولذلك قيل للشديد الخضرة : أحوى ؛ لأنه يضرب إلى الحُوَّة[3]. والغثاء في كلام العرب : الذي تراه فوق ماء السيل ، يقال منه : غثى الوادي يغثي[4] إذا جمع غثاءه ، وواحدُ الغثاء : غثاءة .

---

(١) الدر المصون (٦/ ٥٠٩) .

(٢) الكهف : ٤٥.

(٣) لسان العرب (حوا) ، الدر المصون (٦/ ٥٠٩ - ٥١٠) .

(٤) يقال فيه غَثَا يَغْثُو ، وغَثَى يَغْثِي ، ويجمع الغُثاء على أَغْثاء . لسان العرب (غثو) .

قوله : ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن يجعل يقرؤه ويدئب فيه نفسه مخافة أن ينسى ، وقوله : ﴿إلا ما شاء الله﴾ هو كقوله : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾[١] ينسيها الله نبيه .

قال محمد : ﴿فلا تنسى﴾ المعنى : فأنت لا تنسى لم يُرد الأمر[٢].

قوله : ﴿إنه يعلم الجهر﴾ العلانية ﴿وما يخفى﴾ السِّر ﴿ونيسرك لليسرى﴾ لعمل الجنة ﴿فذكر﴾ أي : بالقرآن ﴿إن نفعت الذكرى﴾ أي : إنما ينتفع بالتذكرة من يقبلها ﴿سيذكر من يخشى﴾ الله ﴿ويتجنبها﴾ يتجنب التذكرة ﴿الأشقى﴾ يعني : المشرك ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ وهي نار جهنم ، والصغرى : نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه .

﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ وكانت الصلاة يومئذ ركعتين غدوة ، وركعتين عشية ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ يقوله للمشركين ؛ أي : يزعمون أن الدنيا باقية ، وأن الآخرة لا تكون ﴿والآخرة خيرٌ﴾ من الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي : وأن الدنيا لا تبقى ، وأن الآخرة باقية ؛ يعني : بهذا الجنة ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾ تفسير بعضهم : يقول فيها : إن الآخرة خيرٌ من الدنيا وأبقى .



---

(١) البقرة : ١٠٦.

(٢) قيل : هو نفي . وقيل : نهي والألف للإشباع . ومنع مكّي أن يكون نهيًا ؛ لأنه لا ينهى عما ليس باختياره . قال السمين الحلبي : وهذا غير لازم ، إذ المعنى : النهي عن تعاطي أسباب النسيان ، وهو سائغ . ينظر الدر المصون (٦/ ٥١٠) .

تفسير سورة هل أتاك حديث الغاشية

وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

قوله : ﴿هل أتاك﴾ قد أتاك ﴿حديث الغاشية﴾ يعني : القيامة - في تفسير الحسن - تغشى الناس بعذابها وعقابها ﴿وجوهٌ يومئذ خاشعة﴾ ذليلة ؛ يعني : وجوه أهل النار ﴿عاملة ناصبة﴾ كفرت بالله في الدنيا ، فأعملها وأنصبها في النار ﴿تسقى من عين آنية﴾ حارة قد انتهى حرُّها ﴿ليس لهم طعامٌ إلا من ضريع﴾ قال الكلبي : نبت ينبت في الربيع ؛ فإذا كان في الصيف يبس فاسمُه إذا كان عليه ورقه : [شِبْرِق][1] وإذا تساقط ورقه فهو الضريع ، فالإبل تأكله أخضر ، فإذا يبس لم تذقه[2].

﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ وهم أهل الجنة ﴿لسعيها﴾ لثواب عملها ﴿راضية في جنة عالية﴾ في السماء ﴿لا تُسْمَعُ[3] فيها لاغية﴾ يعني : اللغو ﴿فيها عين جارية﴾ يعني : جماعة العيون ؛ وهي الأنهار ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ عالية ﴿وأكواب موضوعة﴾ واحدها كوب ، وهو المدوَّر القصير العنق

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من لسان العرب (ضرع) ، والشبرق : نبات خبيث لا تقربه الدواب . لسان العرب (شبرق - ضرع) .

(٢) لسان العرب (ضرع) .

(٣) هكذا في الأصل (لا تُسمعُ) وهي قراءة نافع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس (لا يُسْمَعُ) وقرأ الباقون (لا تَسمع) . ينظر النشر (٢/ ٤٠٠) ، الدر المصون (٦/ ٥١٣ - ٥١٤) ، تفسير القرطبي (٢٠ - ٣٣) .

القصير العروة[1] ﴿ونمارق مصفوفة﴾ وهي الوسائد ﴿وزرابي﴾ وهي البسط ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة بلغنا أنها منسوجة بالدُّرِّ والياقوت .

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾

وقوله : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ .

قال محمد : قيل : أراد أنها تنهض بأحمالها وهي باركة ، وليس يفعل ذلك غيرها من الدواب .

﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ مثبتة (...)[2] ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ يقول : أفلا ينظرون إلى هذا ، فيعلمون أن الذي خلق هذه الأشياء قادر على أن يبعثهم يوم القيامة ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ أي (بمسلط)[3] تكرههم على الإيمان ﴿إلا من تولى وكفر﴾ أي : فَكِلْهُ إلى الله ، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ جهنم ﴿إن إلينا إيابهم﴾ رجوعهم (...)[4] ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ يعني : جزاءهم في تفسير السدي (...)[5].



(١) لسان العرب (كوب) .

(٢) كلمة مطموسة في الأصل .

(٣) كلمة مشتبهة في الأصل .

(٤) طمس في الأصل قدر كلمتين .

(٥) طمس في الأصل قدر خمس كلمات .

(ل٣٩٢) تفسير سورة والفجر
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

قوله : ﴿والفجر وليالٍ عشر﴾ عشر ذي الحجة أيام عظَّمها الله ﴿والشفع والوتر﴾ تفسير قتادة : الشفع : الخَلْق ، والوَتر : الله - تعالى .

قال محمد : ومن كلامهم : شفع زيدٌ خالدًا ؛ أي : كان واحدًا فصيَّره اثنين[1] ولغة تميم : الوِترُ بكسر الواو ، وأهل الحجاز بالفتح ، وأمّا الوِتر من التِّرة فبالكسر يقال منه : وتَره يَتِرُه تِرَةً ، وهو الظُّلمُ[2].

﴿والليل إذا يسري﴾ ذهب ، وهذا كله قسمٌ ، ثم قال : ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ عقل ؛ يقول : فيه قسمٌ لذي عقل ، وجواب القسمِ .

﴿إن ربك لبالمرصاد﴾[3].

قال محمد : ذكر ابن مجاهد[4] أن قراءة نافع (يسري) بياء في الوصل ، وبغير ياء في

---

(١) لسان العرب (شفع) .

(٢) قاله الزمخشري ، ونقل الأصمعي فيه اللغتين . ينظر الدر المصون (٦/٥١٨) ، تفسير القرطبي (٢٠/ ٤١) ، الكشاف (٤/٢٠٨) ، لسان العرب (وتر) .

(٣) قاله ابن الأنباري ، وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٦/ ٥١٧) .

(٤) كتاب السبعة (٦٨٣) .

الوقف[1].

قوله: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم﴾ وهذا على وجه الخبر؛ أي: أهلكهم حين كذَّبوا رسولهم، و﴿إرمَ﴾ في تفسير بعضهم: قبيلة من عاد.

قال محمد: (إرم) هي في موضع خفضٍ ولم تصرف؛ لأنها اسمٌ للقبيلة[2].

﴿ذات العماد﴾ تفسير الحسن: ذات البناء الرفيع ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني: عادًا في طولهم وأجسامهم.

﴿وثمود﴾ أي: وكيف فعل بثمود: أهلكهم حين كذبوا رسولهم ﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ جابوه: نقبوه فجعلوه بيوتًا.

قال محمدٌ: قراءة نافع في رواية ورش ﴿بالوادي﴾ بياء، وروى عنه غيره ﴿بالواد﴾ بغير ياء ذكره ابن مجاهد[3].

﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ أي: وكيف فُعِلَ بفرعون ذي الأوتاد: أهلكه بالغرق، وكان إذا غضب على أحدٍ أوتد له في الأرض أربعة أوتادٍ على يديه ورجليه؛ في تفسير قتادة.

﴿فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ لونًا من العذاب فأهلكهم ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ جواب القسم.

قال محمد: قوله: ﴿لبالمرصاد﴾ قيل: المعنى: يرصد من كفر به بالعذاب.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ

---

(1) أثبتها وصلًا المدنيان وأبو عمرو، وفي الحالين - أي: الوقف والوصل - يعقوب وابن كثير وحذفها في الحالين الباقون. ينظر النشر (٢/ ٤٠٠)، الدر المصون (٦/ ٥١٨).

(2) وقيل: اسم مدينة. الدر المصون (٦/ ٥١٨).

(3) كتاب السبعة (٦٨٣) أثبتها ورش وصلًا، وفي الحالين يعقوب وابن كثير بخلاف عن قنبل في الوقف، وحذفها الباقون في الحالين. النشر (٢/ ٤٠٠)، الدر المصون (٦/ ٥١٩ - ٥٢٠).

ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿فأما الإنسان﴾ وهو المشرك ﴿إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمَهُ﴾ أي : وسَّعَ عليه من الدنيا ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ أي : فضَّلني ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر﴾ فقتر ﴿عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا﴾ قال الحسن[١]: أكذبهما جميعًا بقوله : ﴿كلا﴾ ومعناها : لا ؛ أي : لا بالغِنَى أكْرَمْتُ ، وَلا بالفَقْرِ أهَنْتُ .

قال محمد : ذكر ابن مجاهد[٢] أن قراءة نافع ﴿أكرمني﴾ ﴿وأهانني﴾ بياء في الوصل[٣].

﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ يقوله للمشركين ﴿ولا تحضون[٤] على طعام المسكين﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون : ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[٥] ﴿وتأكلون التراث أكلاً لمًّا﴾ أي : لا تبالون من حرام أو حلال .

قال محمد : لمًّا شديدًا ؛ وهو من قولك : لممتُ الشيء إذا جمعته[٦] والتراث أصله الوراث من : ورثت ، التاء فيه منقلبة عن واو ؛ يقال : إنه أراد تراث اليتامى[٧].

﴿وتحبون المال حبًّا جمًّا﴾ كثيرًا ﴿كلا إذا دُكَّت الأرض دكًّا دكًّا﴾ أي : صارت مستوية .

قال محمد : معنى (دُكَّت) : دُقَّتْ جبالها وأنشازُها[٨] حتى استوت[٩].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦/٣٨٩) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .
(٢) كتاب السبعة (٦٨٤) .
(٣) أثبتها وصلًا المدنيان ، وأبو عمرو بخلاف عنه ، وفي الحالين يعقوب والبزّي ، والباقون بحذفها في الحالين . النشر (٢/ ٤٠٠) ، الدر المصون (٦/ ٥٢١) .
(٤) قرأ الكوفيون ﴿تحاضون﴾ بألف بعد الحاء والمد للساكن . النشر (٢/٤٠٠) وإتحاف الفضلاء (٥٨٤) .
(٥) يس : ٤٧ .
(٦) لسان العرب (لمم) .
(٧) لسان العرب (ورث) .
(٨) واحدها نشز ؛ وهو ما ارتفع منها . لسان العرب (نشز) .
(٩) لسان العرب (دكك) .

﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾ تفسير السدي : يعني : صفوف الملائكة كل أهل سماء على حدةٍ .

قال يحيى : وحدثني رجلٌ من أهل الكوفة ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب قال : إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدَّ الأديم العكاظي ثم يحشر الله فيها الخلائق من الجن والإنس ، ثم أخذوا مصافّهم من الأرض ثم ينزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض ، وبمثلهم معهم من الجن والإنس ؛ حتى إذا كانوا على رءوس الخلائق أضاءت الأرض لوجوههم ، وخرّ أهل الأرض ساجدين ، وقالوا : أفيكم ربنا؟! قالوا : ليس فينا وهو آت . ثم أخذوا مصافهم من الأرض ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم وخر أهل الأرض ساجدين وقالوا : أفيكم ربنا؟! قالوا : ليس فينا وهو آت . ثم أخذوا مصافهم من الأرض ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم ، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم ، وخرّ أهل الأرض ساجدين (ل٣٩٣) وقالوا : أفيكم ربنا؟! قالوا : ليس فينا وهو آت ، وينزل أهل السماء الرابعة على قدرهم من التضعيف ، ثم ينزل أهل السماء الخامسة على قدر ذلك من التضعيف ، ثم ينزل أهل السماء السادسة على قدر ذلك من التضعيف ، ثم ينزل أهل السماء السابعة على قدر ذلك من التضعيف ؛ حتى ينزل الجبّار - تبارك وتعالى - قال : ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[1] تحمله الملائكة على كواهلها بأيدٍ وقوة وحُسنٍ وجمالٍ ؛ حتى إذا جلس على كرسيه ونادى بصوته ﴿لِمَن الملك اليوم﴾[2] فلا يجيبه أحدٌ فيردُّ على نفسه ﴿لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾[2] »[3].

---

(١) الحاقة : ١٧.

(٢) غافر : ١٦، ١٧.

(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٥٩ - ٩٦٠ رقم ٤٨٤) - وعنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦١ - ٦٢) - من طريق مسلم بن خالد ، عن ابن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب قال : « كان يقال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض . . . » فذكره .

وقال أبو نعيم : كذا حدثناه ومشهوره ما حدثناه ...ثم ساقه من الطريق الآتي .

وقوله : ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ .

يحيى : عن أبان بن أبي عياش ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : « يجيء الربُّ يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة وهم الكروبيون لا يعلم عددهم إلا الله ، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل بر وفاجر عليها ملائكة الرحمة ؛ حتى توضع عن يمين العرش فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ، قال : ويؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام ، يقود كل زمام سبعون ألف ملك مصفدة أبوابها عليها ملائكة سود معهم السلاسل الطوال والأنكال الثقال وسرابيل القطران ومقطَّعات النيران ، لأعينهم لمعٌ كالبرق ولوجوههم لهبٌ كالنار ، شاخصة أبصارُهم لا ينظرون إلى ذي العرش تعظيمًا له ؛ فإذا أدنيت النار ، فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة عام زفرت زفرة ، لم يبق أحدٌ إلا جثا على رُكبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقًا في حنجرته ، فلا يخرج ولا يرجع إلى مكانه ، وذلك قوله : ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾[1] فينادي إبراهيم : رب لا تهلكني بخطيئتي ، وينادي نوحٌ ويونس ، وتوضع النار عن يسار العرش ، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار - تبارك وتعالى - ثم يدعى الخلائق للحساب »[2].

= ورواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (١٠١ - ١٠٣ رقم ٢٥٣) والحارث بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٣٥ رقم ١١٢٩) - والطبري في تفسيره (٣٠/ ١٨٥ - ١٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٢) من طريق عوف ، عن أبي المنهال ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٥/ ١٠٩) : هذا موقوف ، إسناده حسن .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ١٦٢) : رواه الحارث بن أبي أسامة موقوفًا بإسناد حسن .

وروى الطبري في تفسيره (١٧/ ٦ - ٧) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦) - والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٩ - ٥٧٠) من طريق علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه في نزول ملائكة كل سماء ، وزاد فيه : صفة حملة العرش .

وقال الحاكم : رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي ، وهو وإن كان موقوفًا على ابن عباس ؛ فإنه عجيب بمرة .

وقال الذهبي : قلت : إسناده قوي .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٢٦) : مداره على علي بن زيد بن جدعان ، وفيه ضعف في سياقاته غالبًا وفيها نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا ، والله أعلم . اهـ .

(١) غافر : ١٨.

(٢) أبان بن أبي عياش متروك ، ولم أقف على هذا الأثر من هذا الوجه ، والله أعلم .

قوله : ﴿يومئذ يتذكر الإنسان﴾ أي : يتوب ؛ وهو المشرك ﴿وأنّى له الذكرى﴾ أي : وكيف له التوبة وهي لا تقبل يوم القيامة؟! ﴿يقول يا ليتني قدمت﴾ في الدنيا ﴿لحياتي﴾ بعد الموت ؛ يتمنى لو آمن في الدنيا فيحيا في الجنة ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحدٌ ولا يوثق وثاقه أحدٌ﴾ يقول : لا يعذب عذاب الله أحدٌ ، ولا يوثق وثاق الله أحدٌ .

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ وهو المؤمن نفسه مُطْمئنَّةٌ آمنة ﴿ارجعي إلى ربك راضية﴾ قد رضيت الثواب ﴿مرضيَّة﴾ قد رضي عنك ﴿فادخلي في عبادي﴾ تفسير السدي مع عبادي ﴿وادخلي جنتي﴾ .



تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد

وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾

قوله : ﴿لا أقسم﴾ أي : أقسم ﴿بهذا البلد﴾ يعني : مكّة ﴿وأنت حلٌّ بهذا البلد﴾ وهذا حين أُحِلّت له مكة ساعة من النهار يوم الفتح .

تفسير مجاهد[1]: يقول : لا تؤاخذ بما فعلت فيه ، وليس عليك فيه ما على الناس ﴿ووالد﴾ يعني : آدم ﴿وما ولد﴾ وهذا كلُّه قسم .

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ تفسير قتادة[2]: يكابد عمل الدنيا ، وإذا كان مؤمنًا كابد أيضًا عمل الآخرة .

﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ يعني : ألا يقدر الله عليه ؛ وهذا المشرك يحسب أن لن يبعثه الله بعد الموت ﴿يقول أهلكت مالاً لبدًا﴾ كثيرًا ، أي : أكلت وأتلفت ؛ فمن ذا الذي

(١) رواه الطبري (١٩٤/٣٠) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٩٢/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢) رواه عبد الرزاق (٣٧٣/٢) والطبري (١٩٦/٣٠) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٩٣/٦) لعبد بن حميد أيضًا .

يحاسبني؟! في تفسير مجاهد.

قال محمد: (لبدًا) هو من التلبيد؛ كأن بعضه على بعض[١].

﴿أيحسب أن لم يره أحدٌ﴾ أي: لم يره الله حين أهلك ذلك المال؛ أي: بلى قد رآه الله.

﴿ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين﴾ فالذي جعل ذلك قادر على أن يبعثه فيحاسبه ﴿وهديناه النجدين﴾ أي: بصَّرناه السبيلين: سبيل الهدى، وسبيل الضلالة ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أي: لم يقتحم العقبة، وهذا خبرٌ؛ أي: أنه لم يفعل.

قال محمد: العرب تقول: لا فعل بمعنى لم يفعل[٢].

قال: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ يقوله (ل٣٩٤) للنبيﷺ أي: أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما العقبة ﴿فكُّ رقبة﴾ أي: عتق رقبة من الرق ﴿أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة﴾ مجاعة ﴿يتيمًا ذا مقربة﴾ قرابة ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ يعني: اللاصق بالتراب من الحاجة؛ في تفسير الحسن[٣].

قال محمد: من قرأ ﴿فَكُّ رقبة﴾ فالمعنى: اقتحامُ العقبة فَكُّ رقبةٍ أو إطعام؛ وهو معنى قول يحيى[٤]. وقالوا: تَرِبَ الرَّجلُ تَرْبًا بإسكان الراء إذا لصِقَ بالتراب وترب تَرَبًا[٥] بفتح الراء إذا افتقر وأترب إترابًا إذا استغنى. قال الحسن: وقد علم الله - عز وجل - أن قومًا يفعلون هذا الذي ذكر لا يريدون الله به ليسوا بمؤمنين، فاشترط فقال: ﴿ثم كان﴾ (الذي فعل)[٦] هذا ﴿من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر﴾ على ما أمرهم الله به وعمّا نهاهم عنه ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالتراحم فيما بينهم.

---

(١) لسان العرب (لبد).

(٢) ينظر في دلالة (لا) على (لم) مغني اللبيب.

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٠/٢٠٥).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فكَّ رقبةً﴾ بفتح الكاف ونصب رقبة، وقرأ الباقون ﴿فك رقبة﴾ برفع الكاف وخفض رقبة. ينظر. النشر (٢/ ٤٠١).

(٥) ومتربًا ومتربةً. لسان العرب (ترب).

(٦) ما بين القوسين تكرر في الأصل.

قال محمد : (ثم) ها هنا في معنى الواو[1].

﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ يعني : الميامين على أنفسهم ؛ وهم أهل الجنة .

يحيى : عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكُه من النار »[2].

يحيى : عن الجارود ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: « أيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة »[3].

﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة﴾ أصحاب الشؤم على أنفسهم ؛ وهم أهل النار ﴿عليهم نارٌ مؤصدة﴾ .



---

(١) وقيل : هي على بابها من الترتيب والتراخي . ينظر الدر المصون (٦/ ٥٥٦) تفسير القرطبي (٢٠/ ٧١) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه أبو يعلى (٢/ ٣٦٠ رقم ١١١١) من طريق هشام بن حسان ، عن الجارود به .

ورواه الترمذي (٤/٥٤٦ رقم ٢٤٤٩) من طريق عمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري ، وابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (٨٩ رقم ٣١) من طريق هشام بن حسان ، كلاهما عن أبي الجارود زياد بن المنذر ، عن عطية العوفي به .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد روي هذا عن عطية عن أبي سعيد ، موقوف ، وهو أصح عندنا وأشبه . اهـ .

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٣ - ١٤) من طريق زهير ، عن سعد أبي المجاهد الطائي ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ﷺ أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ .

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٧١ رقم ٢٠٠٧) : سألت أبي عن حديث رواه زهير ، عن سعد الطائي أبي مجاهد ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : « أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، ومن أطعم مؤمنًا ، ومن كسى مؤمنًا . . . » الحديث ، فقيل لأبي : هشام بن حسان ، عن الجارود ، عن عطية ، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ . قال أبي : الصحيح موقوف ، الحفاظ لا يرفعونه . اهـ .

ورواه أبو داود (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١ رقم ١٦٧٩) من طريق أبي خالد الدالاني ، عن نبيح ، عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا .

قال المنذري في الترغيب (٣/ ١١٧) : رواه أبو داود من رواية أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني ، وحديثه حسن .

ورواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٤) من طريق خالد بن يزيد ، عن فضيل بن عياض ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

قال أبو نعيم : غريب من حديث الفضيل وأبي هارون ، تفرد به خالد ، واسم أبي هارون عمارة بن جوين العبدي . اهـ .

تفسير والشمس وضحاها

وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

قوله : ﴿والشمس وضحاها﴾ أي : وضوئها ﴿والقمر إذا تلاها﴾ إذا تبعها ليلة الهلال ﴿والنهار إذا جلاها﴾ يعني : ظلمة الليل فأذهبها ﴿والليل إذا يغشاها﴾ إذا غشي الشمس فأذهبها ﴿والسماء وما بناها﴾ أي : والذي بناها ، أقسم بالسماء وبنفسه ﴿والأرض وما طحاها﴾ أي : والذي بسطها ؛ يعني : نفسه ﴿ونفس وما سوّاها﴾ أي : والذي سوّاها ؛ يعني : نفسه ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بين الله لها الفجور والتقوى ﴿قد أفلح من زكاها﴾ يعني : من زكى الله نفسه فهداها ﴿وقد خاب من دسّاها﴾ أي : من دسى الله نفسه ؛ أي : أشقاها .

قال محمد : ﴿دساها﴾ أصل الكلمة (دسّسها) فقلبت السين الواحدة ياء ؛ المعنى : جعلها قليلة خسيسة[1].

قال يحيى : هذا كله قسم من أوّل السورة إلى هذا الموضع .

﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ أي : بطغيانها ؛ وعلى هذا وقع القسم ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ وهو

---

(١) أي : لما كثرت الأمثال - أي : السّينات - أبدل من ثالثها حرف علة . الدر المصون (٦/ ٥٣١) ، لسان العرب (دسس) .

أحمر ثمود الذي عقر الناقة، وقد مضى تفسيرها في سورة هود[1] ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح عليه السلام: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ أي: اتقوا ناقة الله لا تمسوها بسوء واتقوا (سُقْياها) شِربها لا تمنعوها منه ﴿فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم﴾ أهلكهم ﴿فسواها﴾ بالعقوبة ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: لا يخاف الله أن يُتّبع بذلك.



(١) سورة هود، الآية: ٦٥.

تفسير والليل إذا يغشى
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

قوله : ﴿والليل إذا يغشى﴾ إذا غشي النهار ، فأذهب ضوءه ﴿والنهار إذا تجلّى﴾ ظهر ﴿وما خلق الذكر﴾ أي : والذي خلق الذكر ﴿والأنثى﴾ - يعني : نفسه - وهذا كله قسم ﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني : سعي المؤمن وسعي الكافر وهو عملهما .

﴿فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى﴾ بالثواب وهو الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ لعمل الجنة .

﴿وأما من بخل﴾ بما عنده أن يتقرّب به إلى ربه ﴿واستغنى﴾ عن ربه ﴿فسنيسره للعسرى﴾ لعمل النار ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردّى﴾ تفسير بعضهم : إذا تردّى في النار ، وقيل : تردّى : مات .

﴿إن علينا للهدى﴾ أي : نبين لكم سبيل الهدى وسبيل الضلالة .

﴿لا يصلاها﴾ لايُخلَّدُها ﴿إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ كذب بكتاب الله ، وتولّى عن طاعة الله ﴿وسيجنبها﴾ يجنب النار ﴿الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ يتقرب به إلى ربه ؛ تفسير الحسن : إن هذا تطوُّعٌ ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أي : ليس يفعل ذلك لنعمة (ل٣٩٥) يجزى بها أحدًا ﴿إلا ابتغاء﴾ أي : ليس يفعل ذلك إلا ابتغاء ﴿وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ الثواب في الجنّة ، ويقال : إنها نزلت في أبي بكر الصدّيق حين أعتق بلالاً وستّة معه[1].

---

(١) رواه الحاكم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وصححه .
وانظر الدر المنثور (٦/٤٠١) .

تفسير والضحى وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

قوله : ﴿والضحى﴾ يعني : ضحى النهار وهو ضوؤه ﴿والليل إذا سجى﴾ إذا أظلم .

قال محمد : وقيل : سجى : سكن ؛ وذلك عند تناهي ظلامه وركوده[١].

قال يحيى : وهذا قسمٌ .

﴿ما ودّعك ربُك وما قلى﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿ودَّعك﴾ مثقَّلة ، و﴿ودَعَك﴾ خفيفة[٢]؛ فمن قرأها بالتثقيل يقول : لم يُوَدِّعْك فيكون آخر الفراغ من الوحي ، ومن قرأها بالتخفيف يقول : ما تركك ربُّك من أن ينزلَ عليك الوحي ، وذلك أن جبريل أبطأ عن النبي ﷺ بالوحي ، فقال المشركون : قد ودعه ربُّه وأبغضه![٣].

قوله : ﴿وما قلى﴾ أي : وما أبغضك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ يعني : من الدنيا ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ في الجنة ﴿فترضى﴾ ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾ .

---

(١) لسان العرب (سجى) .

(٢) العامة على تشديد الدال من التوديع ، وقرأ ابن عباس وعروة بن الزبير وابن هشام وأبو حيوة وابن أبي عبلة بتخفيفها .
ينظر : الدر المصون (٦/ ٥٣٧) تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٤) فتح الباري (٨/٥٨١) .

(٣) روى البخاري (٨/٥٨٠ رقم ٤٩٥٠) ومسلم (٣/١٤٢٢ رقم ١٧٩٧) عن جندب بن سفيان ﷺ قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا ، فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ . وفي رواية لمسلم (٣/١٤٢١ - ١٤٢٢ رقم ١٧٩٧/١١٤) : وأبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون قد وُدِّع محمد . فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ .

قال محمد : قال ابن عباس : يقول : وجدك يتيمًا عند أبي طالب فآواك إلى خديجة .

﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ كقوله : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا﴾ يعني : القرآن ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾[١].

﴿ووجدك عائلاً﴾ أي : فقيرًا ﴿فأغنى﴾ .

قال محمد : جاء عن ابن عباس في قوله : ﴿فأغنى﴾ أي : فرضّاك بما أعطاك من الرزق ذهب إلى غنى النفس . ويقال : عال الرجل إذا افتقر ، وأعال إذ كثر عياله[٢].

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ لا تقهره فتمنعه حقه الذي أمر الله به ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي : لا تنهره : إمّا أعطيته ، وإما رددتَّه ردًّا لينًا .

﴿وأما بنعمة ربك﴾ بالقرآن ﴿فحدث﴾ .

قال محمد : يقول : بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة وهي أجل (...)[٣] وهو معنى قول يحيى .



(١) الشورى : ٥٢.

(٢) لسان العرب (عيل) .

(٣) كلمة مطموسة في الأصل ولعلها (نعمة) .

تفسير ألم نشرح لك صدرك
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾

قوله : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني : بالإيمان ؛ في تفسير الحسن ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ الوزر : الحمل ، وهي الذنوب التي كانت عليه في الجاهلية ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أي : أثقله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بالنبوة .

﴿فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا﴾ بلغنا عن النبي ﷺ وعن بعض أصحابه أنه قال « لن يغْلِبَ عسرٌ يسرَيْن »[1].

---

(١) روي مرفوعًا موصولًا ومرسلًا ، وروي أيضًا موقوفًا : أما المرفوع فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر بإسناد ضعيف . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/٥٨٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : وأخرج سعيد بن منصور وعبدالرزاق من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه ، ولن يغلب عسر يسرين . ثم قال : إن مع العسر يسرًا ، إن مع العسر يسرًا » . وإسناده ضعيف . اهـ .

قلت : هو في تفسير عبدالرزاق (٢/٣٨٠ - ٣٨١) موقوفًا .

ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٣٨٠) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٣٥ - ٢٣٦) والحاكم (٢/٥٢٨) والبيهقي في الشعب (٧/٢٠٦ رقم ١٠٠١٣) من طرق عن الحسن البصري مرسلًا .

وقال ابن حجر في تغليق التعليق (٤/٣٧٢) : وإسناده إلى الحسن صحيح .

قال ابن حجر في التغليق أيضًا : وقال عبد بن حميد في تفسيره : أخبرني يونس ، عن شيبان ، عن قتادة « في قوله : ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾ قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر بهذه الآية أصحابه ، فقال : لن يغلب عسر إن شاء الله يسرين » وهذا صحيح أيضًا إلى قتادة . اهـ .

وأما الموقوف ، فقال الحاكم في المستدرك (٢/٥٢٨) : قد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب :

قال : ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ تفسير الكلبي : فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدُّعاء ﴿وإلى ربك فارغب﴾ تضرَّع .

قال محمد : قوله : ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾ فذكر العسر مع الألف واللام ، ثمّ ثنى ذكره ، فصار المعنى : إن مع العُسر يُسْرين[1].



= « لن يغلب عسر يسرين » وقد روي بإسناد مرسل عن النبي ﷺ .

ورواه مالك في الموطأ (٣٥٧/١ رقم ٦) عن زيد بن أسلم عن عمر .

ورواه ابن المبارك في الجهاد - كما في السير (١٥/١) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة - كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٧٢) وابن عبدالبر في الاستذكار (٤٤/١٤) من طرق عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر .

قال ابن حجر في التعليق - عن إسناد ابن أبي الدنيا - : هذا إسناد حسن .

وقال ابن حجر في الفتح (٥٨٣/٨) : وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسنادٍ جيد ، وأخرجه الفراء بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباسرضي الله عنهما .

(١) قال السمين الحلبي : إن العرب إذا أتت باسم ، ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول ، ولو أعادته بغير الألف واللام كان غير الأول . ينظر الدر المصون (٦/ ٥٤١) .

تفسير والتين والزيتون
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

قوله : ﴿والتين والزيتون﴾ تفسير قتادة[١]: التين : جبل دمشق ، والزيتون : جبل بيت المقدس ﴿وطور سنين﴾ الطور : الجبل ، وسنين : الحسن ؛ وهو الجبل الذي نادى الله منه موسى ؛ في تفسير الحسن[٢].

﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني : الآمن يريد مكة ؛ يقول : إنكم تأمنون فيه من القتل والسباء ، والعرب تَقْتُل بعضها بعضًا ، وتسبي بعضها بعضًا ، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ في أحسن صورة ، أقسم بهذا كله من أوّل السورة إلى هذا الموضع ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ تفسير الحسن[٣]: يعني : بالإنسان ها هنا المشرك و(أسفل سافلين) يريد جهنم .

قال محمد : قيل : المعنى : رددناه إلى أماكن سافلة ، يقال : سفُل الرجل فهو سافلٌ إذا كان ذليلاً[٤].

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثنى من آمن ﴿فلهم أجرٌ﴾ أي : ثوابٌ ﴿غير ممنون﴾ قال الحسن : غير ممنون عليهم منَّ أذًى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ تفسير الكلبي : قال : يقول للمشرك : فما يكذبك أيها الإنسان بعد بالحساب يوم القيامة ، ثم قال : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي : بلى هو أحكم الحاكمين .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٨٢/٢) والطبري (٢٣٩/٣٠) .
وعزاه السيوطي في الدر (٤٠٩/٦) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن عساكر أيضًا .
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٤٠/٣٠) .
(٣) انظر تفسير الطبري (٢٤٥/٣٠) .
(٤) يقال فيه : (سفل) بضم الفاء وفتحها فهو سافل ، والجمع : سُفَّل سُفَّال وسَفَلَة . لسان العرب (سفل) .

تفسير اقرأ باسم ربك الذي خلق

وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾

(ل ٣٩٦) قوله : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ « أول ما كلم جبريل النبي ﷺ حين تبدّى له قال له : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ...﴾ إلى قوله : ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ » .

قوله : ﴿الذي علم بالقلم﴾ وهو الكتاب بالقلم .

﴿كلا﴾ قال الحسن : معناها حقًّا ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ تفسير الكلبي : يعني : يرتفع من منزلة إلى منزلة قال بعضهم : نزلت في أبي جهل ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ المرجع يوم القيامة ﴿أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى﴾ كان أبو جهل ينهى النبي ﷺ عن الصلاة ﴿أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ وهو محمد ، كان على الهدى وأمر العباد بطاعة الله .

﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ يعني : أبا جهل كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ عمله ﴿كلا لئن لم ينته﴾ أبو جهل عن كفره وتكذيبه ﴿لنسفعن بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته تجره الملائكة بناصيته فتلقيه في النار .

قال محمد : يقال : سفعت بالشيء إذا قبضت عليه و جبذته جبذًا شديدًا[1].

---

(١) لسان العرب (سفع) .

﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ فليدع أبو جهل إذا دعونا بالزبانية خزنه النار فجرُّوا بناصيته إلى النار فليدع حينئذٍ ناديه ؛ يعني : عشيرته وجلساءه فليمنعوه من ذلك .

قال محمد : واحد الزَّبانية : زِبْنِيَةٌ[1] مأخوذ من الزَّبن ، والزَّبنُ : الدّفعُ ؛ كأنهم يدفعون أهل النار إليها .

﴿كلا لا تطعه﴾ لا تطع أبا جهل فيما ؛ يأمرك به يقوله للنبي ﷺ ﴿واسجد﴾ أي : وصلِّ لربك ﴿واقترب﴾ وهو الدُّنُوُّ أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجدًا .



(١) وقيل : زِبْنِيٌّ . ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط (زبن) .

تفسير إنا أنزلناه في ليلة القدر
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قوله : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ تفسير ابن عباس قال : « أنزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجومًا ثلاث آيات ، وأربع آيات ، وخمس آيات ، وأقل من ذلك وأكثر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ »[1].

قال : ﴿وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾ تفسير ابن عباس : العمل في ليلة القدر خيرٌ من العمل في ألف شهر لا توافق ليلة القدر .

يحيى : عن المسعودي ، عن محارب بن دثار أوْ عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: « التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان »[2].

يحيى ، عن فطر ، عن عبد الرحمن بن سابط قال : « كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ويشمر فيهن للصلاة »[3].

---

(١) الواقعة : ٥٧، وتقدم تخريج أثر ابن عباس هناك .

(٢) رواه مسلم (٨٢٤/٢ رقم ٢١١/١١٦٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٥١١/٢) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٦٦٥/٨ رقم ١٠١٧٠) من طريق الشيباني ، عن جبلة ومحارب ، عن ابن عمر رضي الله عنهما . ورواه الإمام أحمد (١٧٠/٣) ومسلم (٨٢٣/٢ رقم ٢١٠/١١٦٥) من طريق شعبة عن جبلة عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ولهذا الحديث طرق عن ابن عمر ، وعن جماعة من الصحابة ﷺ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٧/٣) عن ابن فضيل ، عن الحسن بن عبيدالله ، عن عبدالرحمن بن سابط به . ورواه البخاري (٣١٦/٤ رقم ٢٠٢٤) ومسلم (٨٣٢/٢ رقم ١١٧٤) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

قوله : ﴿تنزل الملائكة والرُّوح فيها بإذن ربهم﴾ الروح : جبريل ؛ في تفسير السدي ﴿من كل أمر﴾ يعني : بكل أمر ؛ في تفسير السدي ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ يعني : هي خيرٌ كلها إلى مطلع الفجر .

قال محمدٌ : (المطلع) بفتح اللام : طلوع الشمس ، والمطلِعُ بالكسر من حيث تطلع[1]، وقالوا : القَدْر والقَدَر بمعنى واحدٍ ، يريدون ما يقدِّرُ الله - عز وجل[2].



(١) والفتح هو القياس والكسر سماع . لسان العرب (طلع)، الدر المصون (٦/٥٥٠) .

(٢) لسان العرب (قدر) .

تفسير لم يكن الذين كفروا
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧﴾

قوله : ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أي : منتهين عن كفرهم ﴿حتى تأتيهم البينة رسول من الله﴾ وهو محمدٌ ﷺ ﴿يتلو صحفًا﴾ يعني : القرآن ﴿مطهرة﴾ من الشرك والكفر ﴿فيها كتب قيمة﴾ أي : مستقيمة لا عوج فيها ؛ يعني : التي جاءت بها الأنبياء .

﴿وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ .

قال محمد : قيل : يعني : ما تفرّقوا في مللهم وكفرهم بالنبي ﷺ إلا أن تفطنوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل .

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ والحنيف في تفسير الحسن : المخلص ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾ أي : يقرون بها ﴿وذلك دين القيمة﴾ تفسير السدي : الملة المستقيمة ﴿أولئك هم شر البرية﴾ يعني : الخلق .

قال محمد : أكثر القراءة (البرية) (ل ٣٩٧) بلا همز ؛ لكثرة الاستعمال[1] واشتقاق اللفظة

---

(١) قرأ نافع وابن ذكوان (البريئة) بالهمز في الحرفين ، والباقون بياء مشدّدة . النشر (٤٠٣/٢) ، الدر المصون (٥٥٢/٦) .

من : برأ الله الخلق [ابتدأه][(١)].

يحيى : عن حماد ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة قال : « المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده »[(٢)].

قوله : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ أي : ورضوا ثوابه ﴿ذلك لمن خشي ربّه﴾ .



---

(١) مطموس في الأصل ، والمثبت من الدر المصون (٦/٥٥٢) ، وينظر : لسان العرب (برأ) .

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١/٤٢٦ - ٤٢٧ رقم ١٥٠) من طريق أبي قتيبة - مسلم بن قتيبة - عن حماد به .

وقال البيهقي : كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفًا ، وأبو المهزم متروك .

ورواه ابن ماجه (٢/١٣٠١ - ١٣٠٢ رقم ٣٩٤٧) وابن حبان في المجروحين (٣/٩٩) من طريق الوليد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم يزيد بن سفيان ، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

ورواه الطبراني في الأوسط (٦/٣٦٧ رقم ٦٦٣٤) من طريق الوليد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : عبدي المؤمن أحب إليَّ من بعض ملائكتي » .

قال العراقي : رواه ابن ماجه ، وأبوالمهزم تركه شعبة ، وضعفه ابن معين . تخريج الإحياء (٥/٢١٩٦ رقم ٣٤٦٩) .

وقال الهيثمي في المجمع (١/٨٢) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه أبو المهزم ، وهو متروك .

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٢٢٧ رقم ١٣٨٥) : هذا إسناد ضعيف ؛ لضعف يزيد بن سفيان .

تفسير إذا زلزلت وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

قوله : ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ يعني : تحرّكت من نواحيها كلها ؛ وذلك يوم القيامة ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ ألقت ما فيها من الأموات ﴿وقال الإنسان﴾ المشرك : ﴿ما لها﴾ تحركت؟! قال الله : ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ بما ألقت مما كان في بطنها من الأموات ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي : أمرها - في تفسير مجاهد[1] - أن تلقي ما في بطنها .

﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتًا﴾ من بين يدي الله ؛ أي : مختلفين بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار ﴿ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة﴾ وزن ذرّة ﴿خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾ في عمل الآخرة .



(١) عزاه السيوطي في الدر (٦/٤٢٥) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

تفسير والعاديات
وهي مكية كلها وقيل : إنها مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله : ﴿والعاديات ضبحًا﴾ تفسير ابن عباس[(١)]: هي الخيلُ ، وضبحُها : أنفاسُها إذا جرت ﴿فالموريات قدحًا﴾ تصيب الحجارة بحوافرها فتخرج منها النار .

قال محمد : وقد قيل : إن ضبحها صوت أجوافها إذا عدَتْ .

قوله : ﴿فالمغيرات صبحًا﴾ قال الحسن[(٢)]: هي الخيل تغير على العدو إذا أصبحت .

قال أنس بن مالك : « إن قومًا كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فنقضوه – وهم أهل فَدَك – فبعث إليهم رسول الله خيله فصبّحوهم ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿والعاديات ضبحًا﴾ »[(٣)].

﴿فأثرن به نقعًا﴾ تثير التراب بحوافرها ؛ في تفسير الحسن .

قال محمد : النقع : حقيقته في اللغة الغُبَار[(٤)]. وقال : (به) ولم يتقدم ذكر المكان ؛ إذ في الكلام دليلٌ عليه[(٥)].

---

(١) رواه الطبري (٣٠/٢٧١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/٤٢٩) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .
(٢) انظر تفسير الطبري (٣٠/٢٧٥) .
(٣) لم أقف عليه ، ولم يذكره الواحدي في « أسباب النزول » ، ولا السيوطي في « لباب النقول » والله أعلم .
(٤) وقيل : رفع الصوت . ينظر : لسان العرب (نقع) ، الدر المصون (٦/٥٥٩) .
(٥) وقال السمين الحلبي : تكون الباء – أي : في (به) – بمعنى (في) ، ويعود الضمير على المكان الذي فيه الإغارة =

﴿فوسطن به جمعًا﴾ أي : جمعًا من الناس أغارت عليهم ؛ يعني : من العدوّ .

قال محمد : معنى (وسَطْنَ) : توسَّطْن .

قال يحيى : وهذا كله قسم ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ وهو الكفور في تفسير العامة ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ يعني : على كفره يوم القيامة ﴿وإنه لحب الخير﴾ المال ﴿لشديد﴾ لبخيل ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ أخرج ما فيها من الأموات ﴿وحصّل ما في الصدور﴾ أي : ميّز كقوله : ﴿يوم تبلى السرائر﴾[1] ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ لعالم .



= كما تقدم ، وقيل غير ذلك . الدر المصون (٦/٥٥٩) .

(١) الطارق : ٩.

تفسير سورة القارعة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قوله : ﴿القارعة ما القارعة﴾ يعظمها بذلك ، وهو اسمٌ من أسماء القيامة .

قال محمدٌ : سميت بذلك ؛ لأنها تقرع بالأهوال ؛ يقال : أصابتهم قوارع الدهر[١].

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ المبسوط في تفسير الحسن .

قال محمد : الفراش : ما تساقط في النار من البعوض .

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصُّوف ﴿المنفوش﴾ وهو أُضعف الصوف .

قال محمد : واحد العِهن : (عِهنة)[٢] مثل صوفة وصوف .

قال يحيى : وهي في قراءة ابن مسعود (كالصوف الأحمر المنفوش) .

﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ وهو المؤمن ﴿فهو في عيشة﴾ أي : معيشة ﴿راضية﴾ قد رضيها وهي الجنة .

قال محمد : (راضية) معناه : مرضية ، وقد قيل : ذات رضًا[٣].

---

(١) لسان العرب (قرع).

(٢) لسان العرب (عهن) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٦/٢٠) .

﴿وأما من خفت موازينه﴾ وهو المشرك ﴿فأمه هاوية﴾ والهاوية اسمٌ من أسماء جهنم وهو الباب الأسفل.

قال محمد: معنى (أمه): مسكنه، وقيل: (أمُّه) لمسكنه؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات[1].

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواحكم تعرض على عشائركم وقرابتكم من موتاكم؛ فإذا مات الميت استقبلوه كما يستقبل البشير، فيقولون: دعوه حتى يسكن؛ فإنه قد كان في كرب وغم فيسألونه (ل ٣٩٨) عن الرجل فإذا ذكر خيرًا حمدوا الله واستبشروا وقالوا: اللهم سدده، وإذا ذكر شرًا استغفروا له، فإذا سألوه عن إنسان قد مات قبله قال: أيهات! مات ذلك قبلي أما مرّ بكم؟! فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية! فما يزالون يسألونه حتى يقولون: هل تزوّج فلان؟ هل تزوّجت فلانة؟»[2].

---

(١) لسان العرب (أمم).

(٢) الحسن بن دينار متروك الحديث. وقد تابعه المبارك بن فضالة؛ فرواه عن الحسن مرسلًا مختصرًا. خرجه الحاكم (٥٣٣/٢) من طريقه، وقال: هذا حديث مرسل صحيح الإسناد؛ فإني لم أجد لهذه السورة تفسيرًا على شرط الكتاب؛ فأخرجته إذ لم أستجز إخلاءه من حديث.

وقد خالفهما الصلت بن دينار - وهو متروك - فوصله؛ فرواه عن الحسن، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ مختصرًا. خرجه الطيالسي (٢٤٨ رقم ١٧٩٤) عن الصلت به.

وروى النسائي (٨/٤ - ٩ رقم ١٨٣٢) وابن حبان (٢٨٤/٧ - ٢٨٥ رقم ٣٠١٤) والحاكم (٣٥٢/١ - ٣٥٣) من طرق عن قتادة، عن قسامة بن زهير، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ نحوه.

ورواه النسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٣٠٠/٩ رقم ١٢٢٠٥) والطيالسي في مسنده (٣١٤ - ٣١٥ رقم ٢٣٨٩) والحاكم (٣٥٣/١) وغيرهم من طريق همام، عن قتادة عن أبي الجوزاء، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ نحوه. وقال الحاكم: هذه الأسانيد كلها صحيحة.

وذكر الدارقطني الخلاف فيه في العلل (٢٢٣/١١ رقم ٢٢٤٤) وقال: والله أعلم بالصواب.

وله شواهد عن أبي الدرداء وأبي هريرة - من طريق آخر - وأنس، ومن مرسل عبيد بن عمير والأشعث بن عبدالله الأعمى، انظر: تخريج الإحياء (٢٦٢٦/٦ - ٢٦٢٩ رقم ٤٠٥٣) وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٥٤/٢ - ٢٥٥ رقم ٨٦٣، ٨٦٤).

تفسير سورة ألهاكم التكاثر
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

قوله : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ أي : في الدنيا عن الآخرة ، وهو التكاثر في المال والولد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي : حتى متم .

يحيى : عن همام ، عن قتادة ، عن مطرف بن عبد الله ، عن أبيه « أنه دخل على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ فقال : يقول ابن آدم : مالي مالي ، وما لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت »[1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٦/٤) ومسلم (٢٢٧٣/٤ رقم ٣/٢٩٥٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٢/٣ رقم ١٤٨١) وأبو عوانة في صحيحه كما في إتحاف المهرة - (٦٨٩/٦) - والطحاوي في مشكل الآثار (٣٤٧/٤ رقم ١٦٥٨) والحاكم (٣٢٢/٤ - ٣٢٣) من طريق همام به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
ورواه الإمام أحمد (٤/ ٢٤، ٢٦) والطيالسي (١٥٦ رقم ١١٤٨) ومسلم (٢٢٧٣/٤ رقم ٢٩٥٨) والترمذي (٤/ ٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ٢٣٤٢، ٤١٦/٥ - ٤١٧ رقم ٣٣٥٤) والنسائي (٢٣٨/٦ رقم ٣٦١٥) وابن حبان (٤٧٤/٢ - ٤٧٥ رقم ٧٠١، ٨ رقم ٣٢٢٧) والطحاوي في المشكل (٣٤٦/٤ رقم ١٦٥٧) والحاكم (٥٣٣/٢ - ٥٣٤) وغيرهم من طرق عن قتادة به .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وليس من شرط الشيخين ؛ وليس لعبدالله بن الشخير راوٍ غير ابنه مطرف ، نظرنا فإذا مسلم قد أخرجه من حديث شعبة عن قتادة مختصرًا . اهـ .
قلت : وقول الحاكم - رحمه الله - : « ليس من شرط الشيخين » لا يريد به قدحًا في الرواة ؛ إنما يريد أن الشيخين =

﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ بعد وعيد ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي : أن علمكم ليس بعلم اليقين يعني : المشركين وأن علم المؤمنين هو علم اليقين ﴿لترون الجحيم﴾ .

قال محمد : الاختيار في القراءة ﴿لترون﴾ بفتح التاء وضم الواو غير مهموزة[1].

﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ يعني : بالمعاينة ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « ثلاثٌ ليس لك منهن بدٌّ ، وليس عليك فيهن تبعةٌ : بيتٌ يُكِنُّك ، وثوبٌ تواري به عورتك ، وطعامٌ تقيم به صلبك »[2].

= لا يخرجان حديث الصحابي حتى يكون له راويان ، كما دل عليه كلامه بعد ، وقد نص على ذلك في غير موضع من المستدرك وفي كتاب « المدخل إلى معرفة الإكليل » وقد رد قوله هذا ابن طاهر في شروط الأئمة الستة (ص ١٨ - ١٩) والحازمي في شروط الأئمة الخمسة (ص ٤٣ - ٤٩) وغيرهما .

ومع ذلك فقد روى مسلم (١/٣٩٠ - ٣٩١ رقم ٥٥٤) ليزيد بن عبدالله بن الشخير عن أبيه حديثًا في النخاعة ، فأصبح لعبد الله بن الشخير راويان عند مسلم ، وذكر له المزي في التهذيب (١٥/٨١) راويًا ثالثًا وهو ابنه هانئ ، عند النسائي ، والله أعلم .

(١) وهي قراءة العامة ، غير أن ابن عامر والكسائي ضما التاء ﴿لتُرون﴾ ، وقراءة الهمزة نسبت للحسن . إتحاف الفضلاء (٥٩٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٤٧٣) والمعافى بن عمران في الزهد (٢٧٣ رقم ١٦٠) والبغوي في الجعديات (٢/١١٢٩ رقم ٣٣٣٠) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن به .

ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص ١٨) والبيهقي في الشعب (٧/٢٩٦ رقم ١٠٣٦٨) من طريق هشام عن الحسن به .

وقال البيهقي : هكذا جاء مرسلًا ، وهو مرسل جيد في هذا المعنى . اهـ .

وخالفهم قتادة ؛ فرواه عن الحسن ، عن حمران عن رجل من أهل الكتاب . كما سيأتي في كلام الإمام أحمد - رحمه الله - .

وخالفهم جميعًا حريث بن السائب ؛ فرواه عن الحسن ، عن حمران ، عن عثمان بن عفان ﷺ مرفوعًا .

رواه الإمام أحمد (١/٦٢) والطيالسي (١٤ رقم ٨٣) وعبد بن حميد رقم (٤٦) والترمذي (٤/٤٩٤ رقم ٢٣٤١) والبزار (٢/٧٠ رقم ٤١٤) والطبراني في الكبير (١/٩١ - ٩٢ رقم ١٤٧) والحاكم (٤/٣١٢) وأبو نعيم في الحلية (١/٦١) وفي تاريخ أصبهان (١/٢٥٤) وابن الأعرابي في الزهد (٥٢ رقم ٨٢) والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٢٢١) والخطيب في تاريخ بغداد (٦/١٨٣ - ١٨٤) والبيهقي في الشعب (٧/٢٩٥ - ٢٩٦ رقم ١٠٣٦٧) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٧٩٨ - ٧٩٩ رقم ١٣٣٤) والضياء في المختارة (١/٤٥٥ - ٤٥٦ رقم ٣٢٩ - ٣٣١) والمزي =

= في تهذيب الكمال (٥٦١/٥) من طريق حريث به .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو حديث الحريث بن السائب .
وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان إلا بهذا الإسناد ، ولا أسند الحسن عن حمران عن عثمان إلا هذا الحديث .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وحريث بن السائب أدخله الساجي في الضعفاء ؛ وقال : قال الإمام أحمد : روى عن الحسن عن حمران عن عثمان حديثًا منكرًا . يعني : هذا الحديث .
وقال الأثرم : سُئل أحمد عن حريث ، فقال : شيخ بصري روى حديثًا منكرًا عن الحسن عن حمران عن عثمان : « كل شيء فضل عن ظل بيت وجلف الخبز وثوب يواري عورة ابن آدم فلا حق لابن آدم فيه » قال : قلت : قتادة يخالفه؟ قال : نعم ، سعيد عن قتادة عن الحسن عن حمران عن رجل من أهل الكتاب . قال أحمد : حدثناه روح ، ثنا سعيد . اهـ . انظر : تهذيب التهذيب (٤٦٣/١) .
وقال الدارقطني في العلل (٢٩/٣ - ٣٠) : كذا رواه حريث بن السائب عن الحسن عن حمران عن عثمان عن النبي ﷺ ، ووهم فيه ، والصواب عن الحسن عن حمران عن بعض أهل [الكتاب] . اهـ . وانظر : العلل المتناهية (٧٩٩/٢) والمختارة (٤٥٧/١) .
ورواه ابن الأعرابي في الزهد (٥٢ رقم ٨٣) من طريق ابن المبارك عن حريث عن الحسن مرسلًا .

تفسير سورة والعصر
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

قوله : ﴿والعصر﴾ يعني : عصر النهار ؛ وهو ما بين زوال الشمس إلى الليل وهو قسمٌ ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ من الجنة ، ثم استثنى من الناس فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق﴾ بالتوحيد ﴿وتواصوا بالصبر﴾ على الفرائض .

قال محمد : والعصر أيضًا ليلة ، واليوم عصرٌ أيضًا[1]. قال الشاعر :

وكن يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَليلةٌ   إذا طَلَبَا أن يُدْرِكا ما تَيمَّمَا[2]

والدهرُ عصرٌ أيضًا .



---

(١) لسان العرب (عصر) .

(٢) البيت من بحر الطويل ، وهو لحميد بن ثور الهلالي . ينظر : تفسير القرطبي (١٧٩/٢٠) ، لسان العرب (عصر) ، وروي في الدر المصون (٥٦٧/٦) (تيمنا) بدل (تيمما) .

تفسير سورة ويل لكل همزة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

قوله : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ وهو الذي يطعن على الناس ﴿الذي جمع مالاً وعدده﴾ وهي تقرأ على وجهين بالتثقيل والتخفيف[1]؛ فمن قرأها بالتثقيل يقول : أحصى عدده ، ومن قرأها بالتخفيف يقول : أعدّه ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي : يحسب أنه يخلّد فيه حياته ﴿كلا لينبذن﴾ ليرمَيَنّ به ﴿في الحطمة﴾ وهو اسمٌ من أسماء جهنم .

﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ يقول : تأكل كل شيء منه حتى ينتهى إلى الفؤاد ، فيصيح الفؤاد ، ثم يجدد خلقهم ، ثم تأكلهم أيضًا حتى ينتهى إلى الفؤاد ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة ﴿في عمد ممددة﴾ قال قتادة : لها عمدٌ هي ممددة بها .



---

(١) قال القرطبي في تفسيره : قراءة الجماعة ﴿جَمَعَ﴾ مخفف الميم ، وشددها ابن عامر وحمزة والكسائي على التكثير ، واختاره أبو عبيد ؛ لقوله ﴿وعدّده﴾ وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وأبو العالية (جَمَعَ) مخففًا ، و (عَدَدَه) مخففًا أيضًا ، فأظهروا التضعيف ، لأن أصله عدّه ، وهو بعيد ، لأنه وقع في المصحف بدالين ، وقد جاء مثله في الشعر ، لما أبرزوا التضعيف خففوه ، قال :

مهلا أمامة قد جربت من خلقي   إني أجـود لأقوام وإن ضننوا

أراد ضنوا وبخلوا ، فأظهر التضعيف ، لكن الشعر موضع ضرورة ، قال المهدوي : من خفف (وعدده) فهو معطوف على المال ، أي وجمع عدده ، فلا يكون فعلا على إظهار التضعيف ، لأن ذلك لا يستعمل إلا في الشعر .

تفسير ألم تر كيف
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾

قوله : ﴿ألم تر﴾ تفسير السدي يعني : ألم تخبر ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ تفسير الحسن هذا خبرٌ أخبر الله به النبي ﷺ وذلك أن العرب أهل الحرم هدموا كنيسة للحبشة وهم نصارى فقال أبرهة بن الصباح : لنهدمنّ كعبة العرب كما هدموا كنيستنا وكان أبرهة من أهل اليمن ملّكته الحبشة عليهم فبعث بالفيل وبالجنود فجاء حتى إذا انتهى إلى الحرم ألقى بجرانه فسقط فوجهوه نحو منازلهم فذهب يسعى فإذا وجه نحو الحرم ألقى بجرانه (ل ٣٩٩) ولم يتحرك وإذا وجه نحو منازلهم ذهب يسعى .

قال محمد : الجران عند أهل اللغة : ما بين النحر والصدر[١].

قوله : ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي : في ذهاب ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ تفسير بعضهم : الأبابيل : الزُّمر زمرة بعد زمرة متتابعة .

قال محمد : واحد الأبابيل : إبالة ، وقد قيل : لا واحدَ لها[٢].

﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ أي : من طين .

قال محمد : وقد جاء لابن عباس أن السجيل : الآجُر .

---

(١) فإذا برك البعير ومدَّ عنقه على الأرض قيل : ألقى جرانه بالأرض . لسان العرب (جرن) .

(٢) وقيل : واحده : إبّول ، وإبّال . ينظر : الدر المصون (٦/٥٧٠) ، لسان العرب (أبل) .

قال يحيى : كان مع الطائر منها ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في فيه ؛ فكان إذا وقع الحجر منها على رأس أحدهم ثقبه حتى يسقط من دبُره .

﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ تفسير الكلبي : العصف : ورق الزرع ، والمأكول : الذي قد أخرقه الدود الذي يكون في البقل .



تفسير لإيلاف قريش
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ① إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ④﴾

قوله : ﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾ تعودهم ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ تفسير بعضهم : كانت لهم رحلة في الشتاء إلى اليمن ؛ لأنها حارة ، وأخرى في الصيف إلى الشام ؛ لأنها باردة .

قال محمد : وقيل ﴿لإيلاف﴾ مصدر ألفتُ تقول : ألفت فلانًا كذا إيلافًا[1] كما تقول : ألزمته إياه إلزامًا ، المعنى : فعل هذا بأصحاب الفيل ليؤلف قريشًا هاتين الرحلتين ؛ فتقيم بمكة .

﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾ وهو ما كان أصابهم يومئذٍ من الشدة ﴿وآمنهم من خوف﴾ وهو الأمن الذي كان فيه أهل الحرم وأهل الجاهلية يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا ، وهم آمنون مما فيه العرب .



(١) لسان العرب (ألف) ، الدر المصون (٥٧١/٦) .

تفسير سورة أرأيت الذي
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله : ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ بالحساب ، وهو المشرك لا يقر بالبعث ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ يدفعه عن حقه ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[1].

﴿فويل للمصلين﴾ وهم المنافقون ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ تفسير الحسن : هو المنافق ؛ إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها ، وإن تركها لم يخش عقابها ﴿الذين هم يراءون﴾ لا يصلونها في السر ، ويصلونها في العلانية يراءون بذلك المؤمنين ﴿ويمنعون الماعون﴾ تفسير بعضهم : الماعون : القِدْر والدَّلْوُ والرَّحى والفأسُ وما أشبه ذلك .



(١) يس : ٤٧.

تفسير إنا أعطيناك الكوثر
وهي مكية كلها

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

قوله : ﴿إنا إعطيناك الكوثر﴾

يحيى : عن عثمان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: « بينما أنا في الجنة إذا بنهرٍ حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا مسكٌ أذفر ، فقلت : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله »(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٩١، ٢٨٩) والبخاري (٤٧٢/١١ رقم ٦٥٨١) وأبو يعلى (٢٥٧/٥ رقم ٢٨٧٦) والطبري في تفسيره (٣٢٤/٣٠) من طريق همام عن قتادة .

ورواه الإمام أحمد (٢٠٧/٣) والبخاري (٦٠٣/٨ رقم ٤٩٦٤) والطبري في تفسيره (٣٢٣/٣٠) من طريق شيبان عن قتادة .

ورواه الإمام أحمد (١٦٤/٣) وعبدالرزاق في تفسيره (٤٠١/٢) وعبد بن حميد (٣٥٩ رقم ١١٨٩) والترمذي (٥/ ٤١٨ رقم ٣٣٥٩) وأبو يعلى (٤٦٢/٥ رقم ٣١٨٦) والطبري (٣٢٥/٣٠) من طريق معمر عن قتادة .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أبو داود (٢٤٧/٥ رقم ٤٧١٥) والطبري (٣٢٣/٣٠) من طريق سليمان التيمي عن قتادة . ورواه الإمام أحمد (٢٣١/٣ - ٢٣٢) والطبري (٣٢٣/٣٠) وابن حبان (٣٩١/١٤ - ٣٩٢ رقم ٦٤٧٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

ورواه الترمذي (٤١٨/٥ - ٤١٩ رقم ٣٣٦٠) من طريق الحكم بن عبدالملك عن قتادة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رُوي من غير وجهٍ عن أنس .

قلت : تابع قتادة عليه جماعة ، منهم حميد الطويل والمختار بن فلفل وثابت البناني .

فراوه الإمام أحمد (٣/ ١٠٣، ١١٥، ٢٦٣) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٧، ١٤٧/١٣) وهناد في الزهد (١٣٤) والنسائي في الكبرى (٥٢٣/٦ رقم ١١٧٠) وأبو يعلى (٤٦/٦ رقم ٣٢٩٠، ٤٤٠/٦ رقم ٣٨٢٣) والطبري (٣٠/ ٣٢٣ - ٣٢٤) وابن حبان (٣٩١/١٤ - ٣٩٢ رقم ٦٤٧٢ - ٦٤٧٣) والحاكم (٧٩/١ - ٨٠) من طريق حميد عن أنس ﷺ .

﴿فصل لربك وانحر﴾ تفسير الحسن يقول : فصل لربك صلاة العيد يوم النحر ، وانحر يوم النحر ﴿إن شانئك﴾ مبغضك ﴿هو الأبتر﴾ قال الكلبي : « إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد والعاص بن وائل داخل المسجد فالتقيا عند الباب ، فقالت قريش للعاص : من الذي استقبلك عند الباب؟ فقال : ذلك الأبتر . فقال الله لنبيه : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وقال : لا أذكر إلا ذكرت معي ، وأما عدو الله العاص بن وائل فأبتر ذكره من كل خير ؛ فلا يذكر بخير أبدًا » .

قال محمد : وإنما قال ذلك الأبتر ؛ لأن العرب تسمي من كان له بنون وبنات فمات البنون وبقي البنات : أبتر[1] كذلك رأيته عن ابن عباس .



= وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

ورواه الإمام أحمد (٣/١٠٢) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٧، ١٣/١٤٤) وهناد في الزهد (١٣٣) ومسلم (١/٣٠٠ - ٣٠١ رقم ٤٠٠) وأبو داود (١/٥٠٧ رقم ٧٨٠، ٥/٢٤٦ - ٢٤٧ رقم ٤٧١٤) والنسائي (٢/١٣٣ - ١٣٤ رقم ٩٠٣) وغيرهم من طريق المختار بن فلفل عن أنس مطولًا .

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٥، ٢٤٧) وأبو يعلى (٦/٤٦ رقم ٣٢٩٠) وابن حبان (١/٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٦٤٧١) من طريق ثابت عن أنس رضي الله عنه .

(١) لسان العرب (بتر) .

(ل ٤٠٠) تفسير قل يا أيها الكافرون
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

قوله : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ من الأوثان ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي : إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ من الأوثان ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي : أنكم تعبدون الأوثان ﴿لكم دينكم﴾ الكفر ﴿ولي دين﴾ الإسلام .

قال محمد : جاء عن ابن عباس أنه قال : « اجتمع رهط من قريش إلى العباس بن عبد المطلب فقالوا له : يا أبا الفضل ، لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بإلهه قال : فأتى العباس إلى النبي فأعلمه بذلك ، فنزل عليه جبريل بهذه السورة فغدا بها رسول الله إلى جماعة قريش فقرأها عليهم »[١].



(١) انظر الدر المنثور (٦/٤٥٣) .

تفسير سورة إذا جاء نصر الله
وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

قوله : ﴿إذا جاء نصر الله ...﴾ إلى قوله ﴿أفواجًا﴾ تفسير الحسن قال : لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض : ليس لكم بهؤلاء القوم يدان . فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجًا ، أي : قبائل قبائل .

﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾ قال الكلبي : فعند ذلك نُعِيتْ إليه نفسه ، وقيل : اعلم أنك ستموت عند ذلك(١).



(١) قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾ فقال عمر بن الخطاب ﷺ : ما أعلم منها إلا ما تقول» . رواه البخاري (٨/٦٠٦ - ٦٠٧ رقم ٤٩٧٠) .

تفسير سورة تبت يدا
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

قوله : ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي : خسرت ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ يعني : ولده أي : إذا صار إلى النار .

قال محمد : أبو لهب اسمُه : عبد العُزّى بن عبد المطلب ، وكنيته : أبو عُتبة ، وإنما قيل له : أبو لهب - فيما ذكر ابن عباس - لأن وجهه كان يتلهّب جمالاً .

﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ تفسير بعضهم : كانت تضع الشوك على طريق رسول الله .

قال محمد : من قرأ ﴿حمالةُ﴾ بالرفع فعلى معنى : سيصلى هو وامرأته حمالة الحطب ، حمالةُ نعت لها ، ومن قرأها بالنصب ﴿حمالةَ﴾ فنصبه على الذم أعني : حمالة الحطب[1].

﴿في جيدها﴾ عنقها ﴿حبلٌ من مسد﴾ تفسير الحسن : المسد : خيوط صفر وحمرٌ . وقال ابن عباس : كان في عنقها قلادة فيها ودعات في مسد .



---

(١) قرأ عاصم ﴿حمالةَ﴾ بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع ، النشر (٢/٤٠٤) . وينظر : التوجيه النحوي في الدر المصون (٦/ ٥٨٦) ، تفسير القرطبي (٢٠/٢٤٠) .

تفسير سورة قل هو الله أحد
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

قوله : ﴿قل هو الله أحد﴾ يعني : الواحد ﴿الله الصمد﴾ تفسير قتادة[١]: الصمد : الباقي ، وتفسير بعضهم الصّمد السّيد الذي قد انتهى سؤْدَدُه[٢].

﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ ولم يكن أحدٌ كفوًا له (أي : مثل وشبه)[٣].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣٠/٣٤٧) .

(٢) روى الطبري (٣٠/٣٤٦) وأبو الشيخ في العظمة (١/٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ٩٦) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : «الصمد : السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفؤ ، وليس كمثله شيء ، فسبحان الله الواحد القهار» .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) من حاشية الأصل .

تفسير الكلبي : «إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك وصِفه . فأنزل الله هذه السورة»[1].



(١) روى الإمام أحمد (١٣٣/٥ - ١٣٤) والترمذي (٤٢١/٥ رقم ٣٣٦٤) وابن خزيمة في التوحيد (٩٥/١ رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٣٤٢/٣٠) وابن أبي عاصم في السنة (٢٩٧/١ - ٢٩٨ رقم ٦٦٣) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٤١) وأبو الشيخ في العظمة (٣٧٢/٢ - ٣٧٤ رقم ٨٨) والحاكم (٥٤٠/٢) والخطيب في تاريخه (٢٨١/٣) والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٥) والواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٨) من طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ﷺ نحوه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه الترمذي (٤٢١/٥ رقم ٣٣٦٥) والطبري (٣٤٣/٣٠) والعقيلي في الضعفاء (١٤١/٤) من طرق عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية مرسلًا

قال الترمذي : وهذا أصح .

وقال العقيلي : وهذا أولى . اهـ .

وروى أبو يعلى (٣٨/٤ - ٣٩ رقم ٢٠٤٤) والطبري في تفسيره (٣٤٣/٣٠) وابن عدي في الكامل (٥١٩/١) والطبراني في الأوسط (٢٥/٦ رقم ٥٦٨٧) وأبو نعيم في الحلية (١١٣/١٠) والواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٩) من طريق سريج بن يونس عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد ، عن الشعبي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما نحوه .

وقال ابن عدي : وهذا الحديث لم يحدث به عن مجالد غير ابنه إسماعيل .

وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن مجالد إلا ابنه إسماعيل تفرد به سريج بن يونس ، ولا يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد .

وقال أبو نعيم : غريب من حديث الشعبي ، لم يروه إلا إسماعيل عن أبيه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٦٥/٤) : إسناده متقارب ...وقد أرسله غير واحد من السلف .

وقال السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٦) : أخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي بسندٍ حسنٍ عن جابر ﷺ...فذكره .

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٦٥/٤) : وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود ﷺ قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة : ﴿قل هو الله أحد﴾ قال الطبراني : ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا . اهـ .

قلت : رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٧٥/٢ - ٣٧٦ رقم ٨٩) من طريق أبي داود عن قيس به مرسلًا

ورواه الطبري (٣٤٢/٣٠ - ٣٤٣) عن عكرمة مرسلًا .

ورواه أيضًا (٣٤٣/٣٠) عن قتادة مرسلًا

تفسير سورة قل أعوذ برب الفلق

وهي مكية كلها في قول قتادة وبعضهم يقول مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ تفسير عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «الفلق: سجنٌ في جهنم»(١).

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ تفسير السدي: يعني: الليل إذا أطبق الأفق بظلمته ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ هي السواحر؛ ينفثن في العقد للسحر ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله: «عموا هذا الحسد بينكم؛ فإنه من الشيطان، وإنه ليس من أحد إلا وهو يعرض له منه شيء؛ وإنه ليس بضائر عبدًا لم يعد بلسان أو يد»(٢).

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦٨) لابن مردويه والديلمي.

وروى الطبري (٣٠/٣٤٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «الفلق جب في جهنم مغطى».

قال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٧٣): حديث مرفوع منكر، إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وروى أبو يعلى - كما في المطالب (١/١٩٨ رقم ٤٤٧) - عن عمرو بن عبسة قال رسول الله ﷺ: «الفلق جهنم».

(٢) الحسن بن دينار متروك، ورواه وكيع في الزهد (٢/٧٥٦ رقم ٤٤١) - وعنه هناد في الزهد (١٢٤٢) - عن بعض أصحابه عن الحسن مختصرًا.

وروى ابن حبان في روضة العقلاء (١٣٦) من طريق حميد قال: «قلت للحسن: يا أبا سعيد، هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب، لا أبا لك، حيث حسدوا يوسف، ولكن عم الحسد في صدرك؛ فإنه لا يضرك، ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك».

(ل ١٠٤) تفسير سورة قل أعوذ برب الناس

وهي مكية في قول قتادة ، وبعضهم يقول : مدنية نزلت هي وقل أعوذ برب الفلق معوذتين للنبي حين سحرته اليهود[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

قوله : ﴿قل أعوذ برب الناس ...﴾ إلى قوله ﴿الخناس﴾ قال قتادة[٢]: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس .

﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة﴾ .

قال محمد : يعني : الذي هو من الجن .

قوله ﴿والناس﴾ .

قال يحيى : ومن شر شياطين الإنس[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٠/٢٤٣ رقم ٥٧٦٥) ومسلم (٤/١٧١٩ - ١٧٢١ رقم ٢١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) انظر تفسير الطبري (٣٠/٣٥٥) .

وروي عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا ، وعن معاوية وابن عباس ﷺ موقوفًا . انظر الدر المنثور (٦/٤٧٠) .

(٣) ثم كتب الناسخ بعد ذلك :

تم الجزء العاشر ، وبه كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيرًا وصلى الله على محمدٍ نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليمًا ، وفي السادس والعشرين من شوّال إحدى عشر وستمائة .

وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « خمس بخمس ما نقض قومٌ العهد إلا سُلط عليهم عدوّهم ، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر » .

= صح من تفسير الثعلبي ﷺ . اهـ

قلت : وحديث ابن عباس هذا رواه الطبراني (١١/٤٥ رقم ١٠٩٩٢) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٩ - ٤٠ رقم ٣٥) من طرق عنه مرفوعًا .

ورواه البيهقي في الشعب (٣/١٩٦ رقم ٣٣١١) وفي السنن (٣/٣٤٦ - ٣٤٧) عن ابن عباس موقوفًا .

وللحديث طرق عن ابن عباس وغيره ، والله أعلم .

وهذا آخر ما يسره الله من تحقيق الكتاب والتعليق عليه وتخريج أحاديثه حسب الطاقة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من مراجعة تجارب الكتاب يوم السبت ١٧ شعبان عام ١٤٢٢ هـ .

كتبه

أبو عبد الله حسين بن عكاشة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة